# الجزء الثامن

﴿ من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ﴾

تأليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي
الجياني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ المتوفى
بالقاهرة سنة ٧٤٥ رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

---

وبهامشه تفسيران جليلان * أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضا * وثانيهما
كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الامام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد
القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنة ٧٤٩
نور الله ضريحه * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول

---

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين
فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا عبد الحفيظ
ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد خلد الله ملكه

---

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالي بالله الآن بثغر طنجة
ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام بن شقرون

---



---

وخدمة لكتاب الله وأداء لبعض ما يجب قد بذلنا وسع الطاقة وأحضرنا أصولا معتمدة معولا
عليها مأثورة عن فحول علماء الغرب والشرق مقابلة على نسخ موثوق بها بالكتبخانة
الخديوية المصرية وعلى الله سبحانه التوكل وبه الاعانة

---

( الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ )

---

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

## ﴿ فهرست الجزء الثامن من تفسير أبي حيان رحمه الله تعالى ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

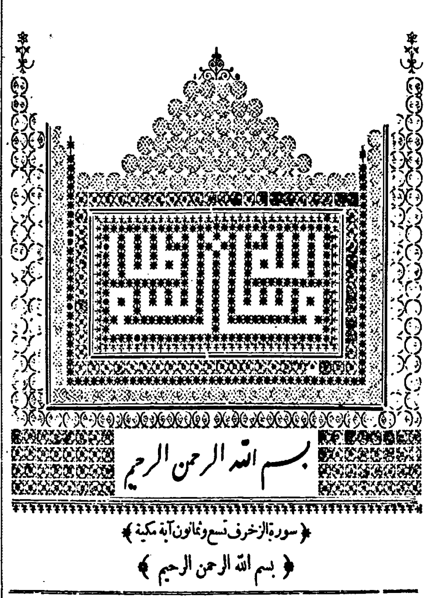
صحيفة

صحيفة

صحيفة



﴿ تمت الفهرست ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم والكتاب المبين * إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم * أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين * وكم أرسلنا من نبى فى الأولين * وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن * فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم * الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا الى ربنا لمنقلبون * وجعلوا له من عباده جزأ إن الانسان لكفور مبين * أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين * واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم * أومن ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون * وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون * أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون *

بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين * وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون * بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين * ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون * وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون * ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون * وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين * ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين * وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون * أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين * فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون * أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم * وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون * وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال إني رسول رب العالمين * فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون * وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون * وقالوا ياأيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون * فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون * ونادى فرعون في قومه قال ياقوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون * أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين * فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين * فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين * ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون * وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون * ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * ألأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين * ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون * الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين * ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون * يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون * وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون * ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون *

﴿سورة الزخرف﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿حم والكتاب المبين﴾ هذه السورة مكية ﴿انا جعلناه﴾ أى صيرناه وهو جواب القسم وهو من الاقسام الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد والكتاب القرآن وأم الكتاب اللوح المحفوظ وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع بكونه (٤) لديه عليا على جميع الكتب وعاليا عن وجوه الفساد حكيما أى حاكما على سائر الكتب وقرئ اما بكسر الهمزة ﴿أفنضرب﴾ قال ابن عباس المعنى أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم وعفوا عن اجرامكم ﴿أن كنتم﴾ لما ذكر خطابا لقريش فنضرب عنكم الذكر وكان هذا الانكار دليلا على تكذيبهم للرسول عليه السلام وانكار الماء جاء به آنسه الله تعالى بان عادتهم عادة الامم السابقة من استهزائهم بالرسل وانه تعالى أهلك من كان أشد منهم بطشا أى أكثر عددا وعددا وجلدا ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أى فليحذر قريش ان يحل بهم مثل ماحل بالاولين مكذبى الرسل من العقوبة ﴿ولئن سألتهم﴾ احتجاج على قريش بما يوجب التناقض وهو اقرارهم بان موجد العالم العلوى والسفلى هو الله تعالى ثم هم يتخذون أصناما آلهة من دون الله تعالى يعبدونها والظاهر أن خلقهن العزيز العليم هو نفس المحكى من كلامهم ولا يدل كونهم ذكروا فى مكان خلقهن الله ان لا يقولوا فى سؤال آخر خلقهن العزيز العليم ﴿والذى جعل لكم﴾ هو من كلام الله تعالى خطابا لهم بتذكير نعمه السابقة وكرر الفعل فى الجواب فى قولهم خلقهن العزيز العليم مبالغة فى التوكيد وفى غير ما سؤال اقتصر واعلى ذكر اسم الله تعالى اذ هو العلم الجامع للصفات العلا وجاء الجواب مطابقا للسؤال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان من مبتدأ فلو طابق فى اللفظ كان بالاسم مبتدأ ولم يكن بالفعل ﴿لعلكم تهتدون﴾

---

وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين * ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون * أم أبرموا أمرا فانا مبرمون * أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون * قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين * سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون * وهو الذى فى السماء إله وفى الارض إله وهو الحكيم العليم * وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون * ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون * وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون * فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ * يعشو يعرض ويعشى يعمى * وقال ابن قتيبة لم نر أحدا حكى عشوت عن الشئ أعرضت عنه وانما يقال تعاشيت عن كذا وتعاميت اذا تغافلت عنه وتقول عشوت الى النار اذا استدللت عليها ببصر ضعيف * وقيل عشى يعشى اذا حصلت الآفة فى بصره وعشا يعشو نظر المعشى ولا آفة به كما قالوا اعرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج * قال الحطيئة

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

أى تنظر اليها نظر المعشى لما يضعف بصره من عظيم الوقود به ومنه قول حاتم

أعشو اذا ما جارتى برزت * حتى يوارى جارتى الخدر

* الصحفة قال الجوهرى هى القصعة وقال الكسائى أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تسع العشرة ثم الصحفة تسع الخمسة ثم المكيلة تسع الرجلين والثلاثة والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف * الكوب قال قطرب الابريق لاعروة له وقال الأخفش الابريق لا خرطوم له وقيل كالابريق الا انه لا أذن له ولا مقبض * قال أبو منصور الجواليقى انما كان بغير عروة ليشرب الشارب من أين شاء لان العروة ترد الشارب من بعض الجهات انتهى * وقال عدى

متكئا تصفق أبوابه * يسعى عليه العبد بالكوب

* أبرم قال الفراء أبرم الأمر بالغ فى إحكامه وأبرم القاتل اذا أدهم وهو القتل الثانى والاول يقال له سحيل كما قال زهير * من سحيل ومبرم * انتهى والابرام أن يجمع خيطين ثم يفتلهما فتلا متقنا والبريم خيط فيه لونان ﴿ حم والكتاب المبين * انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون * وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم * أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين * وكم أرسلنا من نبى فى الأولين * وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون * فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم * الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذى نزل من السماء ماء بقدر

فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وانا الى ربنا لمنقلبون * وجعلوا له من عباده جزأ إن الانسان لكفور مبين * أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين * واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم * أومن ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ﴾ هذه السورة مكية وقال مقاتل الا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وقال ابن عطية باجماع أهل العلم * إنا جعلناه أى صيرناه أو سميناه وهو جواب القسم وهو من الأقسام الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبى تمام * وثناياك انها أغريض * وقيل والكتاب أريد به الكتب المنزلة والضمير فى جعلناه يعود على القرآن وان لم يتقدم له صريح الذكر لدلالة المعنى عليه * وقال الزمخشرى جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال ولعل مستعارة لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجى أى خلقناه عربيا غير عجمى أراد أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته انتهى وهو على طريقة الاعتزال فى كون القرآن مخلوقا وأم الكتاب اللوح المحفوظ لانه الأصل الذى أثبتت فيه الكتب وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع بكونه لديه عليا على جميع الكتب وعاليا عن وجوه الفساد حكيما أى حاكما على سائر الكتب أو محكما بكونه فى غاية البلاغة والفصاحة وصحة المعانى * قال قتادة وعكرمة والسدى اللوح المحفوظ القرآن فيه بأجمعه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل وقيل أم الكتاب الآيات المحكمات لقوله هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ومعناه أن سورة حم واقعة فى الآيات المحكمات التى هى الأم * وقرأ الجمهور فى أم بضم الهمزة والاخوان بكسرها وعزاها ابن عطية يوسف بن عمرو الى العراق ولم يعزها للاخوان عقلة منه يقال ضرب عن كذا وأضرب عنه اذا أعرض عنه * والذكر قال الضحاك وأبو صالح القرآن أى افترانى عنكم القرآن وقولهم ضرب الغرائب عن الحوض اذا أدارها ونحاها وقال الشاعر

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

وقيل الذكر الدعاء الى الله والتخويف من عقابه * قال الزمخشرى والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الأمر على خلاف ماقدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا لتعقلوه وتعملوا بموجبه انتهى وتقدم الكلام معه فى تقديره فعلا بين الهمزة والفاء فى نحو أفلم يسيروا أفلا تعقلون وبينها وبين الواو فى نحو أولم يسيروا كما وأن المذهب الصحيح قول سيبويه والنحويين أن الفاء والواو منوى بهما التقديم لعطف مابعدهما على ماقبلهما وأن الهمزة تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام ولاخلاف بين الهمزة والحرف وقد رددنا عليه قوله وقال ابن عباس ومجاهد المعنى أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم وعفوا عن اجرامكم أن كنتم أو من أجل أن كنتم قوما مسرفين أى هذا لا يصلح ونحا قتادة الى أن المعنى صفحا أى معفوا عنه أى نتركه ثم لاتؤاخذون بقوله ولا بتدبره ولا تنبهون عليه وهذا المعنى نظير قول الشاعر

ثم الصبا صفحا بساكن ذى الغضا * ويصدع قلبى أن يهب هبوبها

أى الى مقاصدكم فى السفر ﴿فأنشرنا﴾ أى أحيينا ﴿به بلدة ميتا﴾ ذكر على معنى القطر والبلدة اسم جنس ﴿لتستووا على ظهوره﴾ تقدم قوله ماتركبون وهى موصولة وراعى فيها اللفظ والمعنى فراعاة المعنى فى قوله ظهور حيث جمع ومراعاة اللفظ حيث أضاف الظهور الى الضمير المفرد وكذا فيما بعد ذلك فى قوله عليه وفى الاشارة فى قوله هذا وجاء فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا والمقرن الغالب الضابط المطيق للشئ يقال أقرن الشئ اذا أطاقه والقرن الحبل الذى يقرن به ﴿وجعلوا له﴾ أى كفار قريش والعرب له أى لله تعالى ﴿من عباده﴾ أى ممن هم عبيده ﴿جزأ﴾ أى نصيبا وهو قولهم الملائكة بنات الله ﴿أم اتخذ﴾ استفهام انكار وتوبيخ لقلة عقولهم كيف زعموا انه تعالى اتخذ لنفسه ما أنتم تكرهونه ﴿وأصفاكم﴾ جعل لكم صفوة ماهو محبوب لكم وذلك هو البنون وقوله مما يخلق تنبيه على استحالة الولد ذكرا كان أو أنثى ﴿واذا بشر﴾ تقدم الكلام عليه ﴿أومن ينشأ فى الحلية﴾

وقول كثير    صفوحا فما تلقاك الا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

* وقال ابن عباس المعنى أفحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أمرتم به وقال الكلبي أن نترككم هملا بلا أمر ولا نهي وقال مجاهد أيضا أن لا نعاقبكم بالتكذيب وقيل أن نترك الانزال للقرآن من أجل تكذيبكم وقرأ حسان بن عبد الرحمن الضبعي والسميط بن عمير وشميل بن عذرة بضم الصاد والجمهور بفتحها وهما لغتان كالسد والسد وانتصاب صفحا على أنه مصدر من معنى أفنضرب لأن معناه أفنصفح أو مصدر في موضع الحال أي صافحين قاله الحوفي وتبعه أبو البقاء * وقال الزمخشري وصفحا على وجهين إما مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصبا على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به إعراضا عنكم وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين * وقال ابن عطية صفحا انتصابه كانتصاب صنع الله انتهى يعني أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة فيكون العامل فيه محذوفا ولا يظهر هذا الذي قاله فليس انتصابه انتصاب صنع الله * وقرأ نافع والاخوان بكسر الهمزة واسرافهم كان متحققا فكيف دخلت عليه ان الشرطية التي لا تدخل الا على غير المتحقق أو على المتحقق الذي انبهم زمانه * قال الزمخشري هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له * وقرأ الجمهور أن بفتح الهمزة أي من أجل أن كنتم * قال الشاعر * أتجزع أن بان الخليط المودع * وقرأ زيد بن علي اذ كنتم بذال مكان النون لما ذكر خطابا لقريش أفنضرب عنكم الذكر وكان هذا الانكار دليلا على تكذيبهم للرسول وانكار ما جاء به آنسه تعالى بأن عادتهم عادة الأمم السابقة من استهزائهم بالرسل وأنه تعالى أهلك من كان أشد بطشا من قريش أي أكثر عددا وعددا وجلدا ومضى مثل الأولين أي فليحذر قريش أن يحل بهم مثل ما حل بالأولين مكذبي الرسل من العقوبة * قال معناه قتادة وهي العقوبة التي سارت سير المثل وقيل مثل الأولين في الكفر والتكذيب وقريش سلكت مسلكها وكان مقبلا عليهم بالخطاب في قوله أفنضرب عنكم فأعرض عنهم الى اخبار الغائب في قوله فأهلكنا أشد منهم بطشا * ولئن سألتهم احتجاج على قريش بما يوجب التناقض وهو اقرارهم بأن موجد العالم العلوي والسفلي هو الله ثم هم يتخذون أصناما آلهة من دون الله يعبدونهم ويعظمونهم * قال ابن عطية ومقتضى الجواب أن يقولوا خلقهن الله فلما ذكر تعالى المعنى جاءت العبارة عن الله تعالى بالعزيز العليم ليكون ذلك توطئة لما عدد من أوصافه الذي ابتدأ الاخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن قريش انتهى * وقال الزمخشري لينسبن خلقها الى الذي هذه أوصافه وليسندنه اليه انتهى والظاهر أن خلقهن العزيز العليم نفس المحكي من كلامهم ولا يدل كونهم ذكروا في مكان خلقهن الله أن لا يقولوا في سؤال آخر خلقهن العزيز العليم * والذي جعل لكم من كلام الله خطابا لهم بتذكير نعمه السابقة وكرر الفعل في الجواب في قوله خلقهن العزيز العليم مبالغة في التوكيد وفي غير ما سؤال اقتصروا على ذكر اسم الله إذ هو العلم الجامع للصفات العلا وجاء الجواب مطابقا للسؤال من حيث

أي ينتقل في عمره حالا فحالا في الحلية وهو الحلي الذي لا يليق الا بالاناث دون الرجال لتزينهن بذلك لازواجهن وهو ان خاصم لا يبين لضعف العقل ونقص التدبر والتأمل أظهر بهذا تحقيرهن وشغوف البنين عليهن وكان في ذلك اشارة الى أن الرجل لا يناسبه التزين كالمرأة وان يكون مخشوشنا

المعنى لا من حيث اللفظ لان من مبتدا فلو طابق فى اللفظ كان بالاسم مبتـدا ولم يكن بالفعل لعلكم تهتدون أى الى مقاصدكم فى السفر أو تهتدون بالنظر والاعتبار بقدر أى بقضاء وحتم فى الأزل أو بكفاية لا كثيرا فيفسد ولا قليلا فلا يجدى فأنشرنا أحيينا به بلدة ميتا ذكر على معنى القطر وبلدة اسم جنس * وقرأ أبو جعفر وعيسى ميتا بالتشديد * وقرأ الجمهور تخرجون مبنيا للمفعول وابن وثاب وعبد الله بن جبير المصبح وعيسى وابن عامر والاخوان مبنيا للفاعل والأزواج الأنواع من كل شئ قيل وكل ما سوى الله فهو زوج كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف وماض ومستقبل وذوات وصفات وصيف وشتاء وربيع وخريف وكونها أزواجا تدل على أنها ممكنة الوجود ويدل على أن محدثها فرد وهو الله المنزه عن الضد والمقابل والمعارض انتهى والانعام المعهود أنه لا يركب من الانعام الا الابل ما موصولة والعائد محذوف أى ما تركبونه وركب بالنسبة للعلل ويتعدى بنفسه على المتعدى بوساطة فى إذ التقدير ما تركبونه واللام فى لتستووا الظاهر أنها لام كى وقال الحوفى ومن أثبت لام الصيرورة جاز له أن يقول به هنا * وقال ابن عطية لام الأمر وفيه بعد من حيث استعمال أمر المخاطب بتاء الخطاب وهو من القلة بحيث ينبغى أن لا يقاس عليه فالفصيح المستعمل اضرب وقيل لتضرب بل نص النحويون على انها لغة رديئة قليلة إذ لا تكاد تحفظ الا قراءة شاذة فبذلك فلتفرحوا بالتاء للخطاب وما آثر المحدثون من قوله عليه الصلاة والسلام لتأخذوا مصافكم مع احتمال ان الراوى روى بالمعنى وقول الشاعر

لتقم أنت يا ابن خير قريش * فتقضى حوائج المسلمينا

وزعم الزجاج أنها لغة جيدة وذلك خلاف ما زعم النحويون والضمير فى ظهوره عائد على ما كأنه قال على ظهور ما تركبون قاله أبو عبيدة فلذلك حسن الجمع لان ما لها لفظ ومعنى فمن جمع فباعتبار المعنى ومن أفرد فباعتبار اللفظ ويعنى من الفلك والانعام وقال الفراء نحوا منه قال أضاف الظهور ثم تذكروا أى فى قلوبكم نعمة ربكم معترفين بها مستعظمين لها لا يريد الذكر باللسان بل بالقلب ولذلك قابله بقوله وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا أى تنزهوا الله بصريح القول وجاء فى الحديث انه عليه الصلاة والسلام كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها الى رحيم ويقال عند النزول منها اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين والقرن الغالب الضابط المطيق للشئ يقال أقرن الشئ اذا أطاقه * قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتنى ولقلما * يطاق احتمال الصد يادعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعف * قال الشاعر

وابن اللبون اذا ما لذ فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

والقرن الحبل الذى يقرن به * وقال أبو عبيدة فلان مقرن لفلان أى ضابط له والمعنى انه ليس لنا من القوة ما نضبط به الدابة والفلك وانما الله الذى سخرها وأنشد قطرب لعمرو بن معديكرب

لقد علم القبائل ما عقيل * لنا فى النائبات بمقرنينا

وقرئ المقترنين اسم فاعل من اقترن * وانا الى ربنا لمنقلبون أى راجعون وهو اقرار بالرجوع الى الله وبالبعث لان الراكب فى مظنة الهلاك بالغرق اذا ركب الفلك وبعثور الدابة اذ ركوبها أمر

فيه خطر ولا نؤمن السلامة فيه فقوله هذا تذكير بانه مستشعر الصيرورة الى الله ومستعد للقائه فهو لا يترك ذلك من قلبه ولا لسانه * وجعلوا له أي وجعل كفار قريش والعرب له أي لله في عباده أي ممن هم عبيد الله جزأ * قال مجاهد نصيبا وحظا وهو قول العرب الملائكة بنات الله * وقال قتادة جزأ أي ندا وذلك هو الأصنام وفرعون ومن عبد من دون الله وقيل الجزء الاناث قال بعض اللغويين يقال أجزأت المرأة اذا ولدت أنثى * قال الشاعر

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب * قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

قيل هذا البيت مصنوع وكذا قوله * زوجتها من بنات الأوس مجزئة * ولما تقدم انهم معترفون بانه تعالى هو خالق العالم أنكر عليهم جعلهم لله جزأ وقد اعترفوا بانه هو الخالق فكيف وصفوه بصفة المخلوق * ان الانسان لكفور نعمة خالقه مبين مظهر لجحوده والمراد بالانسان من جعل لله جزأ وغيرهم من الكفرة * قال ابن عطية ومبين في هذا الموضع غير متعد انتهى وليس يتعين ما ذكر بل يجوز أن يكون معناه ظاهر الكفران النعم ومظهر الجحوده كما قلنا * أم اتخذ مما يخلق بنات استفهام انكار وتوبيخ لقلة عقولهم كيف زعموا انه تعالى اتخذ لنفسه ما أنتم تكرهونه حين أنتم تسود وجوهكم عند التبشير بهن وتئدونهن وأصفاكم جعل لكم صفوة ما هو محبوب وذلك البنون وقوله مما يخلق تنبيه على استحالة الولد ذكرا كان أو أنثى وان فرض اتخاذ الولد فكيف يختار له الأدنى ويخصكم بالأعلى وقدم البنات لانه المنكر عليهم لنسبتهن الى الله وعرف البنين دون البنات تشريفا لهم على البنات * واذا بشر أحدهم تقدم تفسير نظيرها في سورة النحل * أومن ينشؤ في الحلية أي ينتقل في عمره حالا فحالا في الحلية وهو الحلي الذي لا يليق الا بالاناث دون الفحول لتزينهن بذلك لأزواجهن وهو ان خاصم لا يبين لضعف العقل ونقص التدبر والتأمل أظهر بهذا حقوقهن وشفوف البنين عليهن وكان في ذلك اشارة الى ان الرجل لا يناسبه التزين كالمرأة وان يكون مخشوشنا والفحل من الرجال أبى أن يكون متصفا بصفات النساء والظاهر انه أراد بمن ينشؤ في الحلية النساء * وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ويدل عليه قوله وهو في الخصام غير مبين أي لا يظهر حجة ولا يقيم دليلا ولا يكشف عما في نفسه كشفا واضحا ويقال قلما تجد امرأة لا تفسد الكلام وتخلط المعاني حتى ذكر عن بعض الناس انه قال اذا دخلنا على فلانة لا نخرج حتى نعلم ان عقلها عقل امرأة * وقال ابن زيد المراد بمن ينشؤ في الحلية الأصنام وكانوا يتخذون كثيرا منها من الذهب والفضة ويجعلون الحلي على كثير منها ويبعد هذا القول قوله وهو في الخصام غير مبين الا ان أريد بنفي الابانة نفي الخصام أي لا يكون منها خصام فانه كقوله

على لاحب لا يهتدي بمناره * أي لا منار له فيهتدى به ومن في موضع نصب أي وجعلوا من ينشأ ويجوز أن يكون في موضع رفع على الابتداء أي من ينشأ جعلوه لله * وقرأ الجمهور ينشأ مبنيا للفاعل والجحدري في قول مبنيا للمفعول مخففا وابن عباس وزيد بن علي والحسن ومجاهد والجحدري في رواية والاخوان وحفص والمفضل وابان وابن مقسم وهرون عن أبي عمرو مبنيا للمفعول مشددا والحسن في رواية يناشؤ على وزن يفاعل مبنيا للمفعول والمناشأة بمعنى الانشاء كالمعالاة بمعنى الاعلاء وفي الخصام متعلق بمحذوف تفسيره غير مبين أي وهو لا يبين في الخصام ومن أجاز أمازيدا غير ضارب باعمال المضاف اليه في غير أجاز أن يتعلق بمبين أجرى غير مجرى لا وبتقديم معمول أما بعد لا مختلف فيه وقد ذكر ذلك في النحو ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن

﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن

(الدر)

﴿ سورة الزخرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ع) ومبين في هذا الموضع غير متعد انتهى (ح) ليس يتعين ما ذكر بل يجوز أن يكون معناه ظاهر الكفران ومظهرا لجحوده كما قلنا

اناثا ﴾ لم يكفهم أن جعلوا لله تعالى ولدا حتى جعلوه أنثى وجعلوهم من الملائكة وهذا من جهلهم بالله تعالى وصفاته واستخفافهم بالملائكة حيث نسبوا اليهم الانوثة وقرئ عند الرحمن ظرفا وهذا الاستفهام فيه تهكم بهم والمعنى اظهار فساد عقولهم وان دعاويهم مجردة من الحجة ﴿ لوشاء الرحمن ﴾ تقدم الكلام عليه ولما نفى عنهم علم ترك عقابهم على عبادة غير الله أى ليس يدل على ذلك عقل نفى أيضا أن يدل على ذلك سمع فقال ﴿ أم آتيناهم كتابا ﴾ من قبل نزول القرآن أومن قبل انذار الرسول عليه السلام يدل على تجويز عبادتهم غير الله وأنه لايترتب على ذلك عقاب اذهو وفق المشيئة ﴿ فهم به ﴾ أى بذلك الكتاب ﴿ مستمسكون ﴾ فى عبادة غير الله وانتفاء الاثم على ذلك ثم أخبر تعالى انهم مقلدون فى ذلك لآبائهم ولادليل لهم من عقل ولانقل ومعنى على أمة أى على طريقة ودين وعادة فقد سلكنا مسلكهم ونحن مهتدون فى اتباع آثارهم والظاهر أن الضمير فى قال أوفى قل للرسول عليه السلام أى قل يامحمد لقومك أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذى وجدتم عليه آباءكم وهذا تجهيل لهم حيث يقلدون ولاينظرون فى الدلائل ﴿ قالو إنا بما أرسلتم ﴾ أى أنت والرسل قبلك غلب الخطاب على الغيبة ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالقحط والقتل والسبي والجلاء ﴿ فانظر كيف عاقبة ﴾ من كذبك ﴿ واذ قال ابراهيم ﴾ ذكر العرب بحال جدهم الاعلى ونهيه عن عبادة غير الله وافراده بالتوحيد والعبادة هزالهم ليكون لهم رجوع الى دين جدهم اذ كان أشرف آبائهم والمجمع على محبته وانه عليه السلام لم يقلد أباه فى عبادة الاصنام فينبغى أن تقتدوا به فى ترك تقليد آبائكم الأقربين وترجعوا الى النظر واتباع الحق وقرأ الجمهور براء وهو مصدر يستوى فيه المفرد والمذكر ومقابلهما يقال نحن البراء منك وقرئ بضم الباء وقرئ بفتح الباء وكسر الراء ﴿ إلا الذى فطرنى ﴾ (٩) استثناء منقطع إذ كانوا لايعبدون الله تعالى مع

إنا ناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون * وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون * أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين * وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون * إلا الذى فطرنى فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون * بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين * ولما جاءهم الحق قالوا هذا

أصنامهم وأجاز الزمخشرى أن يكون الذى مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال إننى براء مما تعبدون الا من الذى وأن تكون الا صفة بمعنى غير على أن ما فى ماتعبدون نكرة موصوفة تقديره إنى براء



من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا انتهى فوجه البدل لايجوز لانه انما يكون فى غير الموجب من النفى والنهى والاستفهام ألا ترى أنه يصلح مابعد الا لتفريغ العامل له وانى براء جملة موجبة فلا يصح أن يفرغ العامل فيها الذى هو براء لما بعد الا وغر الزمخشرى كون براء فيه معنى الانتفاء ومع ذلك فهو موجب لايجوز أن يفرغ لما بعد الا وأما تقديره ما نكرة موصوفة ولم يبقها موصولة لاعتقاده ان إلا لاتكون صفة إلا لنكرة وهذه المسئلة فيها خلاف من النحويين من قال توصف بها النكرة والمعرفة فعلى هذا تبقى ماموصولة وتكون الا فى موضع الصفة للمعرفة ﴿ الذى فطرنى ﴾ تنبيه على أنه لايستحق العبادة ولايعبد الا الخالق ﴿ فانه سيهدين ﴾ أى يديم هدايتى والضمير فى جعلها المرفوع عائد على ابراهيم وقيل على الله تعالى والضمير المنصوب عائد على كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى والاشارة بهؤلاء لقريش ومن كان من عقب ابراهيم عليه السلام من العرب لما قال فى عقبه قال تعالى لكن متعت هؤلاء وأنعمت عليهم على كفرهم فليسوا ممن بقيت كلمة التوحيد فيهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ وهو القرآن ﴿ ورسول مبين ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم والضمير المرفوع فى وقالوا لقريش كانوا قد استبعدوا أن يرسل الله رسولا من البشر واستفاض عندهم أمر ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وغيرهم من الرسل صلوات الله عليهم فلما لم يكن لهم فى ذلك مدفع ناقضوا فيما يخص محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا لم كان محمدا ولم يكن القرآن نزل على رجل من القريتين عظيم أشاروا الى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه وكثرة المال أى من احدى القريتين وهما مكة والطائف قال ابن عباس والذى من مكة الوليد بن المغيرة المخزومى ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى وكان الوليد بن المغيرة يسمى ريحانة

سحر وإنابه كافرون * وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ﴾ لم يكفهم أن جعلوا لله ولدا وجعلوه إناثا وجعلوهم من الملائكة وهذا من جهلهم بالله وصفاته واستخفافهم بالملائكة حيث نسبوا اليهم الانوثة * وقرأ عمر بن الخطاب والحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر وشيبة والأعرج والابنان ونافع عند الرحمن ظرفا وهو أدل على رفع المنزلة وقرب المكانة لقوله ان الذين عند ربك * وقرأ عبد الله وابن عباس وابن جبير وعلقمة وباقى السبعة عباد الرحمن جمع عبد لقوله بل عباد مكرمون * وقرأ الأعمش عباد الرحمن جمعا بالنصب حكاها ابن خالويه قال وهى فى مصحف ابن مسعود كذلك والنصب على اضمار فعل أى الذين هم خلقوا عباد الرحمن وأنشأوا عباد الرحمن إناثا * وقرأ أبى عبد الرحمن مفردا ومعناه الجمع لانه اسم جنس * وقرأ الجمهور وأشهدوا بهمزة الاستفهام داخلة على شهدوا ماضيا مبنيا للفاعل أى أحضروا خلقهم وليس ذلك من شهادة تحمل المعانى التى تطلب أن تؤدى * وقيل سألهم الرسول عليه السلام ما يدريكم انهم إناث فقالوا سمعنا ذلك من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسألون عنها أى فى الآخرة * وقرأ نافع بهمزة داخلة على أشهدوا رباعيا مبنيا للمفعول بلا مد بين الهمزتين والمسبى عنه بمدة بينهما وعلى بن أبى طالب وابن عباس ومجاهد وفى رواية أبى عمرو ونافع بتسهيل الثانية بلا مد وجماعة كذلك بمد بينهما * وعن على والمفضل عن عاصم تحقيقهما بلا مد والزهرى وناس أشهدوا بغير استفهام مبنيا للمفعول رباعيا فقيل المعنى على الاستفهام حذفت الهمزة لدلالة المعنى عليها * وقيل الجملة صفة للاناث أى إناثا شهدا منهم خلقهم وهم لم يدعوا انهم شهدوا خلقهم لكن لما ادّعوا لجراءتهم انهم إناث صاروا كأنهم ادعوا ذلك واشهادهم خلقهم * وقرأ الجمهور إناثا وزيد بن على أنثا جمع جمع الجمع قيل ومعنى وجعلوا سموا وقالوا والأحسن أن يكون المعنى وصيروا اعتقادهم الملائكة إناثا وهذا الاستفهام فيه تهكم بهم والمعنى اظهار فساد عقولهم وأن دعاويهم مجردة من الحجة وهذا نظير الآية الطاعنة على أهل التنجيم والطبائع ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم * وقرأ الجمهور ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم بالرفع مفردا والزبيرى كذلك الا أنه بالياء والحسن كذلك الا أنه بالتاء وجمع شهاداتهم وابن عباس وزيد بن على وأبو جعفر وأبو حيوة وابن أبى عبلة والجحدرى والأعرج بالنون مبنيا للفاعل شهادتهم على الافراد * وقرأت فرقة سيكتب بالياء مبنيا للفاعل أى الله شهادتهم بفتح التاء والمعنى انه ستكتب شهادتهم على الملائكة بأنوثتهم ويسألون وهذا وعيد * وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الضمير للملائكة * قال قتادة ومقاتل فى آخرين * وقال مجاهد الأوثان علقوا انتفاء العبادة على المشيئة لكن العبادة وجدت لما انتفت المشيئة فالمعنى انه شاء العبادة ووقع ما شاء وقد جعلوا إمهال الله لهم واحسانه اليهم وهم يعبدون غيره دليلا على أنه يرضى ذلك دينا * وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة فى أواخر الأنعام وفى الكلام حذف أى فنحن لا نؤاخذ بذلك اذ هو وفق مشيئة الله ولهذا قال ما لهم بذلك من علم أى بما ترتب على عبادتهم من العقاب ان هم الا يخرصون أى يكذبون * وقيل الاشارة بذلك الى ادعائهم ان الملائكة اناث * وقال الزمخشرى هما كفرتان مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهم عبادتهم الملائكة

قريش وكان يقول لو كان مايقول محمد حقا لنزل على ﴿ أهم يقسمون رحمت ربك ﴾ فيه توبيخ وتعجيب من جهلهم كانه قيل أعلى اختيارهم وارادتهم تقسم الفضائل من النبوة وغيرها ثم فى اضافته فى قوله رحمة ربك تشريف له صلى الله عليه وسلم وان هذه الرحمة التى حصلت لك ليست الا من ربك المصلح لحالك ثم أخبر تعالى انه هو الذى قسم المعيشة بينهم فلم يحصل لأحد الا ماقسمه الله تعالى له واذا كان تعالى هو الذى تولى ذلك وفاوت بينهم وذلك فى الامر الفانى فكيف لا يتولى ذلك فى الامر الخطير وهو ارسال من يشاء وتنبئ من يشاء فليس لكم أن تتخيروا من يصلح لذلك بل أنتم عاجزون عن تدبير أموركم وفى قوله نحن قسمنا بينهم تزهيد فى الانكباب على طلب الدنيا وعون على التوكل على الله تعالى وقال مقاتل فاضلنا بينهم فمن رئيس ومرؤس وأنشد الشافعى رضى الله عنه

ومن الدليل على القضاء وكونه
بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

﴿ ورحمت ربك ﴾ قيل الجنة وقيل غير ذلك خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا وفى هذا اللفظ تحقير للدنيا وما جمع فيها من متاعها

من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئته كما يقول اخوانهم المجبرة انتهى جعل أهل السنة أخوات للكفرة عباد الملائكة ثم أوردسوء الاوجوابا جاريا على ما اختاره من مذهب الاعتزال بوقف على ذلك في كتابه ولما نفى عنهم علم ترك عقابهم على عبادة غير الله أى ليس يدل على ذلك عقل نفى أيضا أن يدل على ذلك سمع فقال أم آتيناهم كتابا من قبل نزول القرآن أومن قبل انذار الرسل يدل على تجويز عبادتهم غير الله وانه لا يترتب على ذلك ثم أخبر تعالى أنهم في ذلك مقلدون لآبائهم ولا دليل لهم من عقل ولا نقل ومعنى على أمة أى طريقة ودين وعادة فقد سلكنا مسلكهم ونحن مهتدون في اتباع آثارهم * ومنه قول قيس بن الحطيم

كنا على أمة آبائنا * ويقتدي بالأول الآخر

* وقرأ الجمهور أمة بضم الهمزة * وقال مجاهد وقطرب على ملة * وقال الجوهري والأمة الطريقة والدين يقال فلان لا أمة له أى لا دين ولا نحلة * قال الشاعر * وهل يستوى ذو أمة وكفور * وتقدم الكلام في أمة في قوله وادّكر بعد أمة * وقرأ عمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والجحدري بكسر الهمزة وهي الطريقة الحسنة لغة في الأمة بالضم قاله الجوهري * وقرأ ابن عباس أمة بفتح الهمزة أى على قصد وحال والخلاف في الحرف الثاني كهو في الأول * وحكى مقاتل ان الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأبى سفيان وأبى جهل وعتبة وشيبة بن أبى ربيعة من قريش أى كما قال من قبلهم أيضا يسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والمترف المنعم أبطرتهم النعمة فآثروا الشهوات وكرهوا مشاق التكاليف * وقرأ الجمهور قل على الأمر وابن عامر وحفص قال على الخبر * وقرأ الجمهور جئتكم بتاء المتكلم وأبى جعفر وشيبة وابن مقسم والزعفراني وأبو شيخ الهنائي وخالد جئناكم بنون المتكلمين والظاهر أن الضمير في قال أو في قل للرسول أى قل يا محمد لقومك أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم وهذا تجهيل لهم حيث يقلدون ولا ينظرون في الدلائل قالوا انا بما أرسلتم أنت والرسل قبلك غلب الخطاب على الغيبة فانتقمنا منهم بالقحط والقتل والسبي والجلاء فانظر كيف كان عاقبة من كذبك * وقال ابن عطية في قال ضمير يعود على النذير وباقي الآية يدل على ان قل في قراءة من قرأها ليست بأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم وانما هي حكاية لما أمر به النذير ولو في هذا الموضع كأنها شرطية بمعنى ان كأن معنى الآية أو ان جئتكم بأبين وأوضح مما كان عليه آباؤكم يصحبكم لجاجكم وتقليدكم فأجاب الكفار حينئذ من الأمم المكذبة بأنبيائها كما كذبت بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يتعين ما قاله بل الظاهر هو ما قدمناه * واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه ذكر العرب بحال جدهم الأعلى ونهيه عن عبادة غير الله وافراده بالتوحيد والعبادة هزؤا لهم ليكون لهم رجوع الى دين جدهم اذ كان أشرف آبائهم والمجمع على محبته وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقلد أباه في عبادة الأصنام فينبغي أن تقتدوا به في ترك تقليد آبائكم الاقربين وترجعوا الى النظر واتباع الحق * وقرأ الجمهور براء مصدر يستوى فيه المفرد والمذكر ومقابلهما يقال نحن البراء منك وهي لغة العالية * وقرأ الزعفراني والقورصي عن أبى جعفر وابن المناذري عن نافع بضم الباء والأعمش برىء وهي لغة نجد وشبيه ويجمع ويؤنث وهذا نحو طويل وطوال وكريم وكرام * وقرأ الأعمش انى بنون مشددة دون نون الوقاية والجمهور انني بنونين الاولى مشددة والظاهر أن قوله إلا الذي فطرني استثناء منقطع اذ كانوا لا يعبدون الله مع أصنامهم وقيل كانوا يشركون أصنامهم معه تعالى في العبادة فيكون استثناء متصلا وعلى

الوجهين فالذي في موضع نصب واذا كان استثناء متصلا كانت ما شاملة من يعلم ومن لا يعلم وأجاز الزمخشري أن يكون الذي مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي وأن تكون الا صفة بمعنى غير على أن ما في ما تعبدون نكرة موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا انتهى و وجه البدل لا يجوز لأنه انما يكون في غير الموجب من النفي والنهي والاستفهام ألا ترى أنه يصلح ما بعد الا لتفريغ العامل له وانني برىء جملة موجبة فلا يصلح أن يفرغ العامل فيها للذي هو برىء لما بعد الا وعن الزمخشري كون برىء فيه معنى الانتفاء ومع ذلك فهو موجب لا يجوز أن يفرغ لما بعد الا وأما تقديره ما نكرة موصوفة فلم يبقها موصولة لاعتقاده أن الا لا تكون صفة الا للنكرة وهذه المسئلة فيها خلاف من النحويين من قال توصف بها النكرة والمعرفة فعلى هذا تبقى ما موصولة وتكون الا في موضع الصفة للمعرفة وجعله فطرني في صلة الذي تنبيه على أنه لا يعبد ولا يستحق العبادة الا الخالق للعباد فانه سيهدين أي يديم هدايتي وفي مكان آخر الذي خلقني فهو يهدين فهو هاديه في المستقبل والحال والضمير في جعلها المرفوع عائد على ابراهيم وقيل على الله والضمير المنصوب عائد على كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني * وقال قتادة ومجاهد والسدي لا إله إلا الله وان لم يجر لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها * وقال ابن زيد كلمة الاسلام لقوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت هو سماكم المسلمين * وقرأ حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرىء في عقبه بسكون القاف أي في ذريته وقرىء في عاقبه أي من عقبه أي خلفه فلا يزال فيهم من يوحد الله و يدعو الى توحيده لعلهم أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم * وقرأ الجمهور بل متعت بتاء المتكلم والاشارة بهؤلاء لقريش ومن كان من عقب ابراهيم عليه السلام من العرب لما قال في عقبه قال تعالى لكن متعت هؤلاء وأنعمت عليهم في كفرهم فليسوا ممن تعقب كلمة التوحيد فيهم * وقرأ قتادة والأعمش بل متعت بتاء الخطاب ورواها يعقوب عن نافع * قال صاحب اللوامح وهي من مناجاة ابراهيم عليه السلام ربه تعالى والظاهر أنه من مناجاة محمد صلى الله عليه وسلم أي قال يارب بل متعت * وقرأ الأعمش متعنا بنون العظمة وهي تعضد قراءة الجمهور حتى جاءهم الحق وهو القرآن ورسول مبين هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقال الزمخشري ( فان قلت ) فما وجه من قرأ بل متعت بفتح التاء ( قلت ) كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الاطناب في تعييرهم لأنه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل اساءة من أحسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله ( فان قلت ) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية للتمتيع ثم أردفه قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة هذا النظم ومؤداه ( قلت ) المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي

( الدر )

(ح) أجاز (ش) أن يكون الذي مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال انني بريء مما تعبدون الا من الذي وأن تكون الا صفة بمعنى غير على أن ما في ما تعبدون نكرة موصوفة تقديره اني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا انتهى فوجه البدل لا يجوز لانه انما يكون في غير موجب من النفي والنهي والاستفهام ألا ترى انه يصلح ما بعد الا لتفريغ العامل له وانني براء جملة موجبة فلا تصلح أن يفرغ العامل فيها للذي هو براء لما بعد الا وعن الزمخشري كون براء فيه معنى الانتفاء ومع ذلك فهو موجب لا يجوز أن يفرغ لما بعد الا وأما تقديره ما نكرة موصوفة ولم يبقها موصولة لاعتقاده أن الا لا تكون صفة الا النكرة وهذه المسئلة فيها خلاف من النحويين من قال توصف بها النكرة والمعرفة فعلى هذا تبقى ما موصولة وتكون الا في موضع الصفة للمعرفة

﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ أي ولولا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة ويصيروا أمة واحدة في الكفر قاله ابن عباس وغيره لأعطيناهم من زينة الدنيا (١٣) كذا وكذا ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن يغني ويفقر الكافر والمؤمن وقال ابن عطية واللام في لمن يكفر لام الملك وفي لبيوتهم لام تخصيص كما تقول هذا الكساء لزيد لدابته أي هو لدابته حلس ولزيد ملك انتهى ولا يصح ما قاله لأن لبيوتهم بدل اشتمال أعيد معه العامل فلا يمكن من حيث هو بدل أن تكون اللام الثانية إلا بمعنى اللام الأولى أما أن يختلف المدلول فلا واللام في كليهما للتخصيص وقرئ ﴿سقفا﴾ على الجمع كرهن ورهن وعلى الإفراد ﴿ومعارج﴾ جمع معرج وهي المصاعد إلى العلالي ﴿عليها يظهرون﴾ أي يعلون السطوح وقال الزمخشري سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة انتهى كأنه يرى اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه ولا يتعين أن توصف المعاطيف بكونها من فضة والزخرف هنا الذهب قاله ابن عباس وفي الحديث إياكم والحمرة فإنها من أحب الزينة إلى الشيطان وقال الشاعر

وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما رأيت الحسن يلبس أحمرا * ﴿ وإن كل ﴾ فإن مخففة من الثقيلة واللام الفارقة بين الإيجاب والنفي وما زائدة ﴿ومتاع﴾ خبر كل وقرئ لما بمعنى إلا فإن نافية ﴿ والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ أي ونعيم الآخرة

---

كانوا عليها وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والإصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد صلى الله عليه وسلم من أهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم انتهى وهو حسن لكن فيه إسهاب والضمير في وقالوا لقريش كانوا قد استبعدوا أن يرسل الله من البشر رسولا فاستفاض عندهم أمر إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل صلى الله عليهم فلما لم يكن لهم في ذلك مدفع نقضوا فيما يخص محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا لم كان محمدا ولم يكن القرآن ينزل على رجل من القريتين عظيم أشاروا إلى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه وكثرة المال * وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين أي من إحدى القريتين وقيل من رجل القريتين وهما مكة والطائف * قال ابن عباس والذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي * وقال مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل * وقال قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي * قال قتادة بلغنا أنه لم يبق فخذ من قريش إلا ادعاه وكان الوليد بن المغيرة يسمى ريحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي أو على ابن مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى أبا مسعود * أهم يقسمون رحمة ربك فيه توبيخ وتعجيب من جهلهم كأنه قيل على اختيارهم وإرادتهم تقسم الفضائل من النبوة وغيرها ثم في إضافته في قوله رحمة ربك تشريف له صلى الله عليه وسلم وأن هذه الرحمة التي حصلت لك ليست إلا من ربك المصلح لحالك والمربيك ثم أخبر تعالى أنه هو الذي قسم المعيشة بينهم فلم يحصل لأحد إلا ما قسمه تعالى وإذا كان تعالى هو الذي تولى ذلك وفاوت بينهم وذلك في الأمر الفاني فكيف لا يتولى الأمر الخطير وهو إرسال من يشاء فليس لكم أن تتخير وا من يصلح لذلك بل أنتم عاجزون عن تدبير أموركم * وقرأ الجمهور معيشتهم على الإفراد وعبد الله والأعمش وابن عباس وسفيان معائشهم على الجمع والجمهور سخريا بضم السين وعمرو بن ميمون وابن محيصن وابن أبي ليلى وأبو رجاء والوليد بن مسلم وابن عامر بكسرها وهو من التسخير بمعنى الاستعباد والاستخدام ليرتفق بعضهم ببعض ويصلوا إلى منافعهم ولو تولى كل واحد جميع أشغاله بنفسه ما أطاق ذلك وضاع وهلك ويبعد أن يكون سخريا هنا من الهزء وقد قال بعضهم أي يهزأ الغني بالفقير وفي قوله نحن قسمنا تزهيد في الإكباب على طلب الدنيا وهون على التوكل على الله * وقال مقاتل فاضلنا بينهم فمن رئيس ومرؤوس * وقال قتادة تلقى ضعيف القوة قليل الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه * وقال الشافعي رحمه الله

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس الفقير وطيب عيش الأحمق

ورحمة ربك قيل النبوة وقيل الهداية والإيمان * وقال قتادة والسدي الجنة خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وما جمع فيها من متاعها ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن * وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين *

وفيه تحريض على التقوى ﴿ ومن يعش ﴾ أي يعم ﴿ عن ذكر الرحمن ﴾ وهو القرآن كقوله صم بكم عمى ﴿ نقيض ﴾ أي نهيء ونيسر وهذا عقاب على الكفر بالختم وعدم الفلاح والظاهر أن ضمير النصب في وانهم ليصدونهم عائد على من على المعنى أعاد أولا على اللفظ في افراد الضمير ثم أعاد على المعنى والضمير في يصدونهم عائد على شيطان وان كان مفردا لانه مبهم في جنسه ولكل عاش شيطان قرين فجاز أن يعود الضمير مجموعا وقرئ جاآنا على التثنية أي العاشي والقرين أعاد على لفظ من ولفظ الشيطان القرين وان كان من حيث المعنى صالحا للجمع وقرئ جاءنا على الافراد والضمير عائد على لفظ من أعاد أولا على اللفظ ثم جمع على المعنى ثم أفرد على اللفظ ﴿ قال ﴾ أي الكافر للشيطان ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ تمنى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصده عن سبيل الله أو تمنى ذلك في الآخرة وهو الظاهر لانه جواب اذا التي للاستقبال أي مشرقي الشمس مشرقها في أقصر يوم من السنة ومشرقها في أطول يوم من السنة ﴿ فبئس القرين ﴾ مبالغة منه في ذم قرينه اذ كان سبب ايراده النار والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس القرين أنت ﴿ ولن ينفعكم اليوم ﴾ حكاية حال يقال لهم يوم القيامة وهي مقالة موحشة حرمتهم روح التأسي لانه وقفهم بها على انه لا ينفعهم التأسي لعظم المصيبة وطول العذاب واستقرار مدته اذ التأسي راحة كل مصاب في الدنيا في الاغلب قال الزمخشري واذ بدل من اليوم انتهى وحمل اذ ظلمتم على معنى اذ تبين ووضح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين ونظيره قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي يتبين أني ولد كريمة انتهى * ولا يجوز فيه البدل على بقاء اذ على موضوعها من كونها ظرفا لما مضى من الزمان فان جعلت لمطلق الوقت جاز وتخريجها على البدل أخذه الزمخشري من ابن جني قال في مساءلته أبا علي راجعته مرارا فيها وآخر ما حصل منه ان الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه فتكون اذ بدلا من اليوم حتى كانها مستقبلة أو كأن اليوم ماض وقيل التقدير بعد اذ ظلمتم فحذف المضاف للعلم به وفاعل ينفعكم الاشتراك ولما كانت حواسهم لم ينتفعوا بها أعاد الضمير عليهم في قوله ﴿ فاما نذهبن بك ﴾ ولم يجر لهم ذكر الا في قوله أفأنت تسمع الصم والمعنى ان قبضناك قبل نصرك عليهم فانا منهم منتقمون في الآخرة ﴿ فانا عليهم مقتدرون ﴾ أي هم في قبضتنا لا يفوتوننا ولما ردد تعالى بين حياته وموته صلى الله عليه وسلم أمره بان يستمسك بما أوحاه اليه ﴿ وانه ﴾ أي وان ما أوحينا اليك ﴿ لذكر لك ولقومك ﴾ أي شرف حيث نزل عليهم وبلسانهم وجعل سائر الناس تبعا لهم والقوم على هذا قريش ثم العرب ﴿ وسئل من أرسلنا ﴾ الظاهر أنه خطاب للسامع الذي يريد ان يفحص عن الديانات فقيل له اسأل أيها الناظر أتباع الرسل جاءتهم الرسل بعبادة غير الله فانهم يخبرونك ان ذلك لم يقع ولا يمكن ان يأتوا به قبلك أي قبل بعثة رسولك أيها السامع وعلق واسأل فارتفع من وهو اسم استفهام على الابتداء وأرسلنا خبره والجملة في موضع نصب باسأل بعد اسقاط الخافض كان سؤاله من أرسلت يارب قبلي من رسلك أجعلت في رسالته آلهة تعبد ثم ساق السؤال فحكى المعنى فرد الخطاب الى محمد في قوله من قبلك

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين * وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون * حتى اذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون * أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين * فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون * أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم * وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون * واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ بين تعالى ان منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله أي ولولا أن يرغب الناس في الكفر اذا رأوا الكافر في سعة ويصيروا أمة واحدة في الكفر * قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي لأعطيناهم من زينة الدنيا كذا وكذا ولكن تعالى اقتضت حكمته أن يغني ويفقر الكافر والمؤمن * قال ابن عطية واللام في لمن يكفر لام الملك وفي لبيوتهم لام تخصيص كما تقول هذا الكساء لزيد

( الدر ) ( ع ) واللام في لمن يكفر لام الملك وفي لبيوتهم لام تخصيص كما تقول هذا الكساء لزيد لدابته أي هو لدابته حلس ولزيد ملك انتهى ( ح ) لا يصح ما قاله لان لبيوتهم بدل اشتمال أعيد معه العامل فلا يمكن من حيث هو بدل أن تكون اللام الثانية الا بمعنى اللام الأولى أما أن يختلف المدلول فلا واللام في كليهما للتخصيص ( ش ) لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه انتهى ( ح ) لا أدري ما أراد بقوله ويجوز الى آخره

لدابته أي هو لدابته حلس ولز بدملك انتهى ولا يصح ماقاله لان لبيوتهم بدل اشتمال أعيد معه العامل فلا يمكن من حيث هو بدل ان تكون اللام الثانية الا بمعنى اللام الاولى أما ان يختلف المدلول فلا واللام في كليهما للتخصيص * وقال الزمخشري لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر و يجوز أن تكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه انتهى ولا أدري ما أراد بقوله و يجوز الى آخره * وقرأ الجمهور سقفا بضمتين وأبو رجاء بضم وسكون وهما جمع سقف لغة تميم كرهن ورهن وابن كثير وأبو عمرو بفتح السين وسكون على الافراد * وقال الفراء جمع سقيفة وقرئ بفتحتين كأنه لغة في سقف وقرئ سقوفا جمعا على فعول نحو كعب وكعوب * وقرأ الجمهور ومعارج جمع معرج وطلحة ومعاريج جمع معراج وهي المصاعد الى العلالي عليها أي يعلون السطوح كما قال فما اسطاعوا أن يظهروه * وقرأ الجمهور وسررا بضم السين وقرئ بفتحها وهي لغة لبعض تميم و بعض كلب وذلك في جمع فعيل المضعف اذا كان اسما باتفاق وصفة نحو ثوب جديد وثياب جدد باختلاف بين النحاة وهذه الاسماء معاطيف على قوله سقفا من فضة فلا يتعين أن توصف المعاطيف بكونها من فضة * وقال الزمخشري سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة انتهى كأنه يرى اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه وزخرفا * قال الزمخشري وجعلنا لهم زخرفا و يجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة و زخرف يعني بعضها من فضة و بعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة انتهى والزخرف الذهب هنا قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وفي الحديث اياكم والحمرة فانها من أحب الزينة الى الشيطان * قال ابن عطية الحسن أحمر والشهوات تتبعه انتهى * قال بعض شعرائنا

وصبغت درعك من دماء كماتهم * لما رأيت الحسن يلبس أحمرا

* وقال ابن زيد الزخرف أثاث البيت وما يتخذ له من السرر والنمارق * وقال الحسن النقوش وقيل التزاويق كالنقش * وقرأ الجمهور لما بفتح اللام وتخفيف الميم هي مخففة من الثقيلة واللام الفارقة بين الايجاب والنفي وما زائدة ومتاع خبر كل * وقرأ الحسن وطلحة والاعمش وعيسى وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم وان نافية ولما بمعنى الا * وقرأ أبو رجاء وأبو حيوة لما بكسر اللام وخرجوه على ان ما موصولة والعائد محذوف تقديره للذي هو متاع كقوله تماما على الذي هو أحسن وان في هذا التخريج هي المخففة من الثقيلة وكل مبتدأ وخبره في المجرور أي وان كل ذلك لكائن أو لمستقر الذي هو متاع ومن حيث هي المخففة من الثقيلة كان الاتيان باللام هو الوجه فكان يكون التركيب لكما متاع لكنه قد تحذف هذه اللام اذا دل المعنى على ان ان هي المخففة من الثقيلة فلا يجر الى ذكر اللام الفارقة ومن ذلك قول الشاعر

ونحن أباة الضيم من آل مالك * وان مالك كانت كرام المعادن

يريد لكانت ولكنه حذف لانه لا يتوهم في إن أن تكون نافية لان صدر البيت يدل على المدح وتعين ان لكونها المخففة من الثقيلة * والآخرة عند ربك للمتقين أي ونعيم الآخرة وفيه تحريض على التقوى * وقرأ ومن يعش بضم الشين أي يتعام و يتجاهل عن ذكره وهو يعرف الحق وقيل يقل نظره في شرع الله و يغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن والذكر هنا يجوز أن يراد به القرآن واحتمل أن يكون مصدرا أضيف الى المفعول أي يعش عن ان يذكر الرحمن * وقال ابن عطية أي فيما ذكر عباده فالمصدر مضاف الى الفاعل انتهى كأنه يريد بالذكر التذكير * وقرأ يحيى بن سلام

البصري ومن يعش بفتح الشين أي يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي * وقرأ زيد ابن علي يعشو بالواو * وقال الزمخشري على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض انتهى ولا يتعين ماقاله إذ تتخرج هذه القراءة على وجهين أحدهما أن تكون من شرطية ويعشو مجزوم بحذف الحركة تقديرا وقد ذكر الأخفش ان ذلك لغة بعض العرب ويحذفون حروف العلة للجازم والمشهور عند النحاة أن ذلك يكون في الشعر لا في الكلام والوجه الثاني ان تكون من موصولة والجزم بسببها للموصول باسم الشرط واذا كان ذلك مسموعا في الذي وهو لم يكن اسم شرط قط فالأولى أن يكون فيما استعمل موصولا وشرطا * قال الشاعر

ولا تحفرن بئرا تريد أخا بها * فانك فيها أنت من دونه تقع
كذاك الذي يبغي على الناس ظالما * تصبه على رغم عواقب ما صنع

أنشدهما ابن الاعرابي وهو مذهب الكوفيين وله وجه من القياس وهو انه كما شبه الموصول باسم الشرط فدخلت الفاء في خبره فكذلك يشبه به فيجزم الخبر الا ان دخول الفاء منقاس اذا كان الخبر مسببا عن الصلة بشروطه المذكورة في علم النحو وهذا لا ينقيه البصريون * وقرأ الجمهور نقيض بالنون وعلي والسلمي والاعمش ويعقوب وأبو عمرو بخلاف عنه وحماد عن عاصم وعصمة عن الأعمش وعن عاصم والعليمي عن أبي بكر بالياء أي يقيض الرحمن وابن عباس يقيض مبنيا للمفعول له شيطان بالرفع أي ييسر له شيطان ويعدله وهذا عقاب على الكفر بالختم وعدم الفلاح كما يقال ان الله يعاقب على المعصية بالتزايد من السيآت * وقال الزمخشري يخذله ويخلي بينه وبين الشياطين كقوله وقيضنا لهم قرناء ألم تر انا أرسلنا الشياطين انتهى وهو على طريقة الاعتزال والظاهر ان ضمير النصب في وانهم ليصدونهم عائد على من على المعنى أعاد أولا على اللفظ في افراد الضمير ثم أعاد على المعنى والضمير في يصدونهم عائد على شيطان وان كان مفردا لانه مبهم في جنسه ولكل عاش شيطان قرين فجاز أن يعود الضمير مجموعا * وقال ابن عطية والضمير في قوله وانهم عائد على الشيطان وفي ليصدونهم عائد على الكفار انتهى والاولى ماذكرناه لتناسق الضمائر في وانهم وفي ليصدونهم وفي ويحسبون لمدلول واحد كأن الكلام وأن العشاة ليصدونهم الشياطين عن السبيل أي سبيل الهدى والفوز ويحسبون أي الكفار * وقرأ أبو جعفر وشيبة وقتادة والزهري والجحدري وأبو بكر والحرميان حتى اذا جاآنا على التثنية أي العاشي والقرين اعادة على لفظ من والشيطان القرين وان كان من حيث المعنى صالحا للجمع * وقرأ الأعمش والأعرج وعيسى وابن محيصن والاخوان جاءنا على الافراد والضمير عائد على لفظ من أعاد أولا على اللفظ ثم جمع على المعنى ثم أفرد على اللفظ ونظير ذلك ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا أفرد أولا ثم جمع في قوله خالدين ثم أفرد في قوله له رزقا * روي انهما يجعلان يوم البعث في سلسلة فلا يفترقان حتى يصيرهما الله الى النار قال أي الكافر للشيطان ياليت بيني وبينك بعد المشرقين تمنى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصده عن سبيل الله أو تمنى ذلك في الآخرة وهو الظاهر لانه جواب اذا التي للاستقبال أي مشرقي الشمس مشرقها في أقصر يوم من السنة ومشرقها في أطول يوم من السنة قاله ابن السائب أو بعد المشرق والمغرب غلب المشرق فثناهما كما قالوا العمران في أبي بكر وعمر والقمران في الشمس والقمر

والموصلان في الجزيرة والموصل والزهدمان في زهدم وكردم والعجاجان في رؤبة والعجاج والأبوان في الأب والأم وهذا اختيار الفراء والزجاج ولم يذكره الزمخشري قال (فإن قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والأصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد اليهما انتهى * وقيل بعد المشرقين من المغربين واكتفى بذكر المشرقين وكأنه في هذا القول يريد مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما فبئس القرين مبالغة منه في ذم قرينه اذا كان سبب ايراده النار والمخصوص بالذم محذوف أي فبئس القرين أنت ولن ينفعكم اليوم حكاية حال يقال لهم يوم القيامة وهي مقالة موحشة حرمتهم روح التأسي لأنه وقفهم بها على أنه لا ينفعهم التأسي لعظم المصيبة وطول العذاب واستمراره مدته إذ التأسي راحة كل مصاب في الدنيا في الأغلب * ألا ترى الى قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي * على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل أخي ولكن * أعزي النفس عنه بالتأسي

فهذا التأسي قد كفاها مؤنة قتل النفس فنفى الله عنهم الانتفاع بالتأسي وفي ذلك تعذيب لهم ويأس من كل خير وهذا لا يكون إلا على تقدير أن يكون الفاعل ينفعكم انكم ومعمولاها أي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب ان لن يخفف عنكم اشتراككم في العذاب واذا كان الفاعل غير أن وهو ضمير يعود على ما يفهم من الكلام قبله أي يتمنى مباعدة القرين والتبرؤ منه ويكون انكم تعليلا أي لاشتراككم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الكفر * وقال مقاتل المعنى ولن ينفعكم اليوم الاعتذار والندم لانكم وقرناءكم مشتركون في العذاب كما اشتركتم في الكفر ان في الدنيا وعلى كون الفاعل غير أن وهي قراءة الجمهور لا يتضمن الكلام نفي التأسي * وقرئ إنكم بالكسر فدل على اضمار الفاعل ويقويه حمل انكم بالفتح على التعليل واليوم واذ ظرفان فاليوم ظرف حال وإذ ظرف ماض أما ظرف الحال فقد يعمل فيه المستقبل لقربه منه أو لتجوز في المستقبل كقوله فمن يستمع الآن * وقول الشاعر * سأسعى الآن إذ بلغت مناها * وأما إذ فماض لا يعمل فيه المستقبل فقال الزمخشري وإذ بدل من اليوم انتهى وحمل إذ ظلمتم على معنى إذ تبين ووضح ظلمكم ولم يبق لأحد ولا لكم شبهة في انكم كنتم ظالمين ونظيره

* اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين اني ولد كريمة انتهى ولا يجوز فيه البدل على بقاء إذ على موضوعها من كونها ظرفا لما مضى من الزمان فان جعلت لمطلق الوقت جاز وتخرج بها على البدل أخذه الزمخشري من ابن جني قال في مساءلته أبا علي راجعته فيها مرارا وآخر ما حصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء في حكم الله وعلمه فيكون إذ بدلا من اليوم حتى كأنها مستقبلة أو كأن اليوم ماض * وقيل التقدير بعد إذ ظلمتم لحذف المضاف للعلم به * وقيل اذ للتعليل حرفا بمعنى ان * وقال الحوفي اليوم ظرف متعلق بينفعكم ولا يجوز تعلق اذ به لانهما ظرفا زمان يعني متغايرين في المعنى تغايرا لا يمكن أن يجتمعا قال فلا يصح أن يكون بدلا من الأخير يعني لذلك التغاير من كون هذا ظرف حال وهذا ظرف مضى قال ولكن تكون اذ متعلقة بما دل عليه المعنى كأنه قال ولن ينفعكم اجتماعكم ثم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك * وقيل الفاعل محذوف تقديره ظلمكم أو جحدكم وهو العامل في اذ لا ضمير الفاعل لما ذكر تعالى حال الكفار وما يقال لهم وكانت قريش تسمع ذلك فلا تزداد إلا عتوا واعراضا وكان هو صلى الله عليه وسلم يجتهد في تحصيل

الايمان لهم خاطبه تعالى تسلية له باستفهام تعجيب أى ان هؤلاء صم فلا يمكنك اسماعهم عمى حيارى فلا يمكنك أن تهديهم وانما ذلك راجع اليه تعالى ولما كانت حواسهم لن ينتفعوا بها الانتفاع الذى يجرى خلاصهم من عذاب الله جعلوا صما عميا حيارى ويريد بهم قريشا فهم جامعو الأوصاف الثلاثة ولذلك عاد الضمير عليهم فى قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون ولم يجر لهم ذكر الا فى قوله أفأنت تسمع الصم الآية والمعنى ان قبضناك قبل نصرك عليهم فانا منهم منتقمون فى الآخرة كقوله أو نتوفينك فالينا يرجعون أو نرينك الذى وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم بدر فانا عليهم مقتدرون أى هم فى قبضتنا لا يفوتوننا وهذا قول الجمهور * وقال الحسن وقتادة المتوعد هم الأمة أكرم الله تعالى نبيه عن أن ينتقم منهم فى حياته كما انتقم من أمم الأنبياء فى حياتهم فوقعت النقمة منهم بعد موته عليه السلام فى الفتن الحادثة فى صدر الاسلام مع الخوارج وغيرهم * وقرئ نرينك بالنون الخفيفة ولما ردد تعالى بين حياته وموته صلى الله عليه وسلم أمره بان يستمسك بما أوحاه اليه * وقرأ الجمهور أوحى مبنيا للمفعول وبعض قراء الشام باسكان الياء والضحاك مبنيا للفاعل وانه أى وان ما أوحينا اليك لذكر لك ولقومك أى شرف حيث نزل عليهم وبلسانهم جعل تبعا لهم والقوم على هذا قريش ثم العرب قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى وابن زيد كان عليه السلام يعرض نفسه على القبائل فاذا قالوا له لمن يكون الأمر بعدك سكت حتى نزلت هذه الآية فكان اذا سئل عن ذلك قال لقريش فكانت العرب لا تقبل حتى قبلته الأنصار * وقال الحسن القوم هنا أمته والمعنى وانه لتذكرة وموعظة * قيل وهذه الآية تدل على أن الانسان يرغب فى الثناء الحسن الجميل ولو لم يكن ذلك مرغوبا فيه ما امتن به تعالى على رسوله فقال وانه لذكر لك ولقومك * وقال ابراهيم عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والذكر الجميل قائم مقام الحياة بل هو أفضل من الحياة لان أثر الحياة لا يحصل الا فى الحى وأثر الذكر الجميل يحصل فى كل مكان وفى كل زمان انتهى * وقال ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعا

﴿ وقال الآخر ﴾

انما الدنيا محاسنها * طيب ما يبقى من الخبر

وذكر أن هلاون ملك التتر سأل أصحابه من الملك فقالوا أنت الذى دوخت البلاد وملكت الأرض وطاعت لك الملوك فقال لا الملك هذا وكان المؤذن اذ ذاك يؤذن هذا الذى له أزيد من ستمائة سنة قد مات وهو يذكر على المآذن فى كل يوم خمس مرات يريد محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوف تسألون قال الحسن عن شكر هذه النعمة * وقال مقاتل المراد من كذب به يسأل سؤال توبيخ * واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا قيل هو على ظاهره وأن جبريل عليه السلام قال له ليلة الاسراء حين أم بالأنبياء واسأل من أرسلنا فلم يسألهم اذ كان أثبت يقينا ولم يكن فى شك * وروى ذلك عن ابن عباس وابن جبير والزهرى وابن زيد وفى الأثر أن ميكال قال لجبريل هل سأل محمد عن ذلك فقال هو أعظم يقينا وأوثق ايمانا من أن يسأله ذلك * وقال ابن عباس أيضا والحسن ومجاهد وقتادة والسدى وعطاء أرادوا سأل أتباع من أرسلنا وحملة شرائعهم اذ يستحيل سؤال الرسل أنفسهم وليسوا مجتمعين فى الدنيا * قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الرسل والسؤال الواقع مجاز عن النظر حيث لا يصلح لحقيقته كثير منه مساءلة الشعراء الديار

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ الآية ﴿ فلما جاءهم بآياتنا ﴾ قبله كلام محذوف تقديره فطالبوه بما يدل على صحة دعواه الرسالة من الله تعالى فلما جاءهم بآياتنا ﴿ اذاهم منها يضحكون ﴾ أى فاجأهم الضحك بحيث لم يفكروا ولم يتأملوا بل بنفس ما رأوا ذلك ضحكوا سخرية واستهزاء كما كانت قريش تضحك قال الزمخشرى ( فان قلت ) كيف جاز ان تجاب لما باذا المفاجأة (قلت) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محلها كانه قيل فلما جاءهم فاجأوا وقت ضحكهم انتهى ولا نعلم نحويا ذهب الى ماذهب اليه هذا الرجل من ان اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجأ بل المذاهب فيها ثلاثة مذهب أنها حرف فلا تحتاج الى عامل ومذهب انها ظرف مكان فان صرح بعد الاسم بعدها بخبر له كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فاذا زيد قائم فقائم ناصب لاذا كأن التقدير خرجت ففي المكان الذى خرجت فيه زيد قائم ومذهب أنها ظرف زمان والعامل فيه الخبر أيضا كأنه قال ففي الزمان الذى خرجت فيه زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر أو ذكر اسم منصوب على الحال كانت اذا خبرا للمبتدا فان كان المبتدا جثة وقلنا اذا ظرف مكان كان الأمر واضحا وان قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف أي ففي الزمان حضور زيد وما ادعاه الزمخشرى من اضمار فعل المفاجأة لم ينطق به ولا فى موضع واحد ثم المفاجأة التى ادعاها لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذى فيه اذا تقول خرجت فاذا الاسد فالمعنى ففاجأنى الأسد وليس المعنى ففاجأت الاسد ﴿ وما نريهم من آية ﴾ كانت آياته من كبار الآيات وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها فعلى هذا يكون ثم صفة محذوفة أى من أختها السابقة عليها ولا يبقى فى الكلام تعارض ولا يكون ذلك الحكم فى الآية الاولى لانه لا يسبقها شئ فتكون أكبر منه وقيل الأولى تقتضى علما والثانية تقتضى علما منضما الى علم الأولى فيزداد الرجوح ومعنى أختها مناسبتها تقول هذه الدرة أخت هذه أى مناسبتها ﴿ وقالوا ياأيه الساحر ﴾ خطاب استهزاء وانتقاص ويكون قولهم بما عهد عندك أى على زعمك وقولك ﴿ واننا لمهتدون ﴾ إخبار غير مطابق معلق على شرط دعائه وكشف العذاب عنهم وعهد معزوم على نكثه ألا ترى الى قوله اذاهم ينكثون فقوله بما عهد عندك يحتمل أن يكون من أن دعوتك مستجابة ﴿ ونادى فرعون فى قومه ﴾ جعل القوم محلا للنداء والظاهر انه نادى عظماء القبط فى محله الذى هو وهم يجتمعون فيه فرفع صوته فيما بينهم لتنتشر مقالته فى جميع القبط وسبب ندائه ذلك انه لما رأى اجابة الله دعوة موسى عليه السلام ورفع العذاب عنهم خاف ميل القوم اليه فنادى ﴿ قال ياقوم أليس لى ملك مصر ﴾ أراد أن يبين فضله على موسى عليه السلام بملك مصر وهى من اسكندرية الى اسوان ﴿ وهذه الانهار ﴾ أى الخلجان التى تخرج من النيل وأعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر تنيس ونهر دمياط والواو فى وهذه الانهار واو الحال وتجرى خبر وهذه والانهار صفة أو عطف بيان ﴿ أفلا تبصرون ﴾ عظمتى وقدرتى وعجز موسى ﴿ أم أنا خير ﴾ الظاهر أنها أم المنقطعة المقدرة ببل والهمزة أى بل أنا خير وهو اذا استفهم أهو خير ممن هو ضعيف ﴿ لا يكاد ﴾ يفصح عن مقصوده اذا تكلم وهو الملك المتحكم فيهم قالوا له بلا شك أنت خير

والاطلال ومنه سيد الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا فالسؤال هنا مجاز عن النظر فى أديانهم هل جاءت عبادة الأوثان قط فى ملة من ملل الأنبياء والذى يظهر أنه خطاب للسامع الذى يريد أن يفحص عن الديانات فقيل له اسأل أيها الناظر أتباع الرسل أجاءت رسلهم بعبادة غير الله فانهم يخبرونك أن ذلك لم يقع ولا يمكن أن يأتوا به وأبعد من ذهب الى أن المعنى واسألنى واسألنا عن من أرسلنا وعلق واسأل فارتفع من وهو اسم استفهام على الابتداء وأرسلنا خبره فى موضع نصب باسأل بعد اسقاط الخافض كان سؤاله من أرسلت يارب قبلى من رسلك أجعلت فى رسالته آلهة تعبد ثم ساق السؤال فحكى المعنى فرد الخطاب الى محمد فى قوله من قبلك ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال إنى رسول رب العالمين * فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون * وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون * وقالوا ياأيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون * فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون * ونادى فرعون فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون * أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد

يبين * فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين * فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها من وجهين أحدهما أنه لما تقدم طعن قريش على الرسول واختيارهم أن ينزل القرآن على رجل من القريتين عظيم أي في الجاه والمال وذكر أن مثل ذلك سبقهم اليه فرعون في قوله أليس لي ملك مصر الى آخر الآية أتبعه بالملك والمال ففرعون قدوتهم في ذلك ومع ذلك فصار فرعون مقهورا مع موسى منتقما منه فكذلك قريش والوجه الثاني أنه لما قال واسأل من أرسلنا الآية ذكر قصة موسى وعيسى وهما أكبر اتباعا ممن سبقهم من الانبياء وكل جاء بالدعاء الى الله وافراده بالعبادة فلم يكن فيما جاء أبدا إباحة اتخاذ آلهة من دون الله كما اتخذت قريش فناسب ذكر قصتهما للآية التي قبلها وآيات موسى هي المعجزات التي أتى بها وخص الملائكة بالذكر وهم الاشراف لأن غيرهم من الناس تبع لهم * فلما جاءهم بآياتنا قبله كلام محذوف تقديره فطالبوه بما يدل على صحة دعواه الرسالة من الله فلما جاءهم بآياتنا وهي انقلاب العصا ثعبانا وعودها عصا واخراج اليد البيضاء نيرة وعودها الى لونها الأول اذاهم منها يضحكون أي فاجأهم الضحك بحيث لم يفكروا ولم يتأملوا بل بنفس ما رأوا ذلك ضحكوا سخرية واستهزاء كما كانت قريش تضحك * قال الزمخشري ( فان قلت ) كيف جاز أن يجاب لما باذا المفاجأة ( قلت ) لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم انتهى ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه هذا الرجل من أن اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجأ بل المذاهب فيها ثلاثة مذهب أنها حرف فلا تحتاج الى عامل ومذهب أنها ظرف مكان فان صرح بعد الاسم بعدها بخبر له كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فاذا زيد قائم فقائم ناصب لاذا كأن التقدير خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم ومذهب أنها ظرف زمان والعامل فيه الخبر أيضا كأنه قال ففي الزمان الذي خرجت فيه زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر أو ذكر اسم منصوب على الحال كانت اذا خبرا للمبتدأ فان كان المبتدأ جثة وقلنا اذا ظرف مكان كان الأمر واضحا وان قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف أي ففي الزمان حضور زيد وما ادعاه الزمخشري من اضمار فعل المفاجأة لم ينطق به ولا في موضع واحد ثم المفاجأة التي ادعاها لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه اذا تقول خرجت فاذا الاسد والمعنى ففاجأني الأسد وليس

﴿ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ﴾ قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسودده فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب ان كان صادقا فكان ذلك دليلا على القاء مقاليد الملك اليه لما وصف نفسه بالملك والعزة ووصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال ان كان صادقا فهلا ملكه ربه وسوره وجعل الملائكة أنصاره وقرئ أسورة ﴿ فاستخف قومه ﴾ أي استجهلهم لقلة أحلامهم ﴿ فلما آسفونا ﴾ هو على حذف مضاف قال ابن عباس أحزنوا أولياءنا المؤمنين ﴿ فجعلناهم سلفا ﴾ قال ابن عباس متقدمين الى النار ﴿ ومثلا للآخرين ﴾ أي حديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدث به الآخرون من الكفار يقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون

( الدر )

(ش) فان قلت كيف جاز أن تجاب لما باذا المفاجأة (قلت) لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم انتهى (ح) لانعلم نحويا ذهب الى ماذهب اليه هذا الرجل من أن اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجأ بل المذاهب فيها ثلاثة مذهب أنها حرف فلا تحتاج الى عامل ومذهب انها ظرف مكان فان صرح بعد الاسم بعدها بخبر له كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فاذا زيد قائم فقائم ناصب لاذا كأن التقدير خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم ومذهب انها ظرف زمان والعامل فيه الخبر أيضا كأنه قال ففي الزمان الذي خرجت فيه زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر أو ذكر اسم منصوب على الحال كانت اذا خبرا للمبتدا فان كان المبتدا جثة وقلنا اذا ظرف مكان كان الأمر واضحا وان قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف أي ففي الزمان حضور زيد وما ادعاه ( ش ) من اضمار فعل المفاجأة لم ينطق به ولا في موضع واحد ثم المفاجأة التي ادعاها لا يدل المعنى على انها تكون من الكلام السابق بل المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه اذا تقول خرجت فاذا الأسد والمعنى ففاجأني الاسد وليس المعنى ففاجأت الاسد

المعنى ففاجأت الأسد * ومانريهم من آية الاهى أكبر من أختها قال الزمخشرى (فان قلت) اذا جاءتهم آية واحدة من جلة التسع فأأختها التى فضلت عليها فى الكبر من بقية الآيات (قلت) أختها التى هى آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منهما فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات (قلت) أختها التى هى آية مثلها على سبيل التفضيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم اذا قدرتهم رجلا (فان قلت) فهو كلام متناقض لأن معناه مامن آية من التسع إلا وهى أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى حالة واحدة (قلت) الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة فى الأشياء التى تتلاقى فى الفضل وتتقارب منازلهم فيه التقارب اليسير ان تختلف آراء الناس فى تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى هذا بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك * ومنه بيت الحماسة

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها انتهى وهو كلام طويل ملخصه أن الوصف بالا كبرية مجاز وأن ذلك بالنسبة الى الناظرين فيها * وقال ابن عطية عبارة عن شدة موقعها فى نفوسهم بحدة أمرها وحدوثه وذلك أن آية عرضها موسى هى العصا واليد وكانت أكبر آياته ثم كل آية بعد ذلك كانت تقع فيعظم عندها مجيئها وتكبر لأنهم كانوا انسوا التى قبلها فهذا كما قال الشاعر

على انها تعفو الكلوم وانما * يوكل بالأدنى وان جل مايمضى

وذهب الطبرى الى أن الآيات هنا الحجج والبينات انتهى وقيل كانت من كبار الآيات وكانت كل واحدة أكبر من التى قبلها فعلى هذا يكون ثم صفة محذوفة أى من أختها السابقة عليها ولا يبقى فى الكلام تعارض ولا يكون ذلك الحكم فى الآية الأولى لانه لم يسبقها شئ فتكون أكبر منه وقيل الأولى تقتضى علما والثانية تقتضى علما منضما الى علم الأولى فيزداد الرجوح وكنى باختها مناسبتها تقول هذه الذرة أخت هذه أى مناسبتها وأخذناهم بالعذاب بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وذلك عقاب لهم وآيات لموسى لعلهم يرجعون عن كفرهم * قال الزمخشرى لعلهم يرجعون أراد أن يرجعوا عن الكفر الى الايمان (فان قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) ارادته فعل غيره ليس الا أن يأمره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه انتهى وهو على طريق الاعتزال * وقال ابن عطية لعلهم ترج بحسب معتقد البشر وظنهم * وقالوا ياأيه الساحر ادع لنا ربك أى فى كشف العذاب * قال الجمهور هو خطاب تعظيم لان السحر كان علم زمانهم أولانهم استصحبوا له ما كانوا يدعون به أولا ويكون قولهم بما عهد عندك اننا لمهتدون اخبار مطابق مقصود وقيل بل خطاب استهزاء وانتقاص ويكون قولهم بما عهد عندك أى على زعمك وقوله وإننا لمهتدون اخبار مطابق على شرط دعائه وكشف العذاب وعهم معزوم على نكثه ألا ترى فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون وعلى القول الأول يكون

قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون جاريا على أكثر عادة الناس اذا مسه الضر تضرع ودعا واذا كشف عنه رجع الى عادته الأولى كقوله فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون ثم اذا كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه وقوله بما عهد عندك محتمل أن يكون من أن دعوتك مستجابة وفي الكلام حذف أي فدعا موسى فكشف فلما كشفنا * وقرأ أبو حيوة ينكثون بكسر الكاف * ونادى فرعون في قومه جعل القوم محلا للنداء والظاهر أنه نادى عظماء القبط في محله الذي هو وهم يجتمعون فيه فرفع صوته فيما بينهم لتنتشر مقالته في جميع القبط ويجوز أن يكون أمر بالنداء فأسند اليه وسبب ندائه ذلك أنه لما رأى اجابة الله دعوة موسى ورفع العذاب خاف ميل القوم اليه فنادى قال ياقوم أليس لي ملك مصر أراد أن يبين فضله على موسى بملك مصر وهي من اسكندرية الى أسوان وهذه الأنهار أي الخلجان التي تجري من النيل وأعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس والواو في وهذه الأنهار واو الحال وتجري خبر وهذه والأنهار صفة أو عطف بيان ويجوز أن تكون الواو عاطفة على ملك مصر وتجري حال من تحتي أي من تحت قهري وملكي * وقال قتادة كانت جنانها وأنهارها تجري من تحت قصره وقيل كان له سرير عظيم وقطع من نيل مصر قطعة قسمها أنهارا تجري من تحت ذلك السرير وأبعد الضحاك في تفسيره الأنهار بالقواد والرؤساء الجبابرة يسيرون تحت لوائه ومن فسرها بالأموال يعرفها من تحت يده ومن فسرها بالخيل فقيل كما سمي الفرس بحرا يسمى نهرا وهذه الأقوال الثلاثة تقرب من تفاسير الباطنية * أفلا تبصرون عظمتي وقدرتي وعجز موسى * وقرأ مهدي بن الصغير يبصرون بياء الغيبة ذكره في الكامل للهذلي والسباعي عن يعقوب ذكره ابن خالويه * قال الزمخشري وليت شعري كيف ارتقت الى دعوى الربوبية همة من تعاظم بملك مصر وعجب الناس من مدى عظمته وأمر فنودي بها في أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الأبهة والجلالة على صغير ولا كبير حتى يتربع في صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وكسر نون أفلا تبصرون عيسى وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أحسن عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها قال أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه أم أنا خير من هذا الذي هو مهين الظاهر أنها أم المنقطعة المقدرة ببل والهمزة أي بل أنا خير وهو اذا استفهم أهو خير ممن هو ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده اذا تكلم وهو الملك المتحكم فيهم قالوا له بلا شك أنت خير * وقال السدي وأبو عبيدة أم بمعنى بل فيكون انتقل من ذلك الكلام الى اخباره بأنه خير ممن ذكر كقول الشاعر

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى * وصورتها أم أنت في العين أملح

وقال سيبويه أم هذه المعادلة أي أم تبصرون الأمر الذي هو حقيق أن يبصر عنده وهو أنه خير من موسى وهذا القول بدأ به الزمخشري فقال أم هذه متصلة لان المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون الا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب انتهى وهذا القول متكلف جدا اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق وان كان السابق جملة فعلية كان المعادل جملة فعلية أو جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله أدعوتموهم أم أنتم صامتون لان معناه أم صمتم وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية لان قوله أم أنا خير ليس مقابلا لقوله أفلا تبصرون وان كان السابق اسما كان المعادل اسما أو جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله

(ش) أم هـذه متصلة لان المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون الا أنه وضع وقوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب انتهى (ح) هذا القول متكلف جدا فالمعادل انما يكون مقابلا للسابق فان كان السابق جملة فعلية أو جملة اسمية يتقدر منها فعلية كقوله أدعوتموهم أم أنتم صامتون لان معناه أم صمتم وهنا لا تتقدر منها جملة فعلية لان قوله أم أنا خير ليس مقابلا لقوله أفلا تبصرون وان كان السابق اسما كان المعادل اسما أو جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله

* أمخدج اليدين أم أتمت *

فأتمت معادل للاسم لأن التقدير أم متما وقيل حذف المعادل بعد أم لدلالة المعنى عليه اذ التقدير أم تبصرون فحذف تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كان بعد أم لا نحو أيقوم زيد أم لا تقديره أم لا يقوم وأزيد عندك أم لا أي أم لا هو عندك فأما حذفه دون لا فليس من كلامهم وقد جاء حذف أم والمعادل وهو قليل قال

* دعاني اليها القلب اني لأمرها *

* سميع فما أدري أرشد طلابها * يريد أم غي

* أمخدج اليدين أم أتمت * فأتمت معادل للاسم فالتقدير أم متما وقيل حذف المعادل بعد أم لدلالة المعنى عليه اذ التقدير تبصرون فحذف تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كان بعد أم لا نحو أيقوم زيد أم لا تقديره أم لا يقوم وأزيد عندك أم لا أى أم لا هو عندك فأما حذفه دون لا فليس من كلامهم . وقد جاء حذف أم والمعادل وهو قليل قال الشاعر

دعاني اليها القلب إني لأمرها * سميع فما أدرى أرشد طلابها

يريد أم غىّ * وحكى الفراء انه قرأ أما أنا خير دخلت الهمزة على ما النافية فأفادت التقدير ولا يكاد يبين الجمهور انه كان بلسانه بعض شئ من أثر الجمرة ومن ذهب الى أن الله كان أجابه فى سؤاله واحلل عقدة من لسانى فلم يبق لها أثر جعل انتفاء الابانة بأنه لا يبين حجته الدالة على صدقه فيما يدعى لانه لا قدرة له على ايضاح المعنى لأجل كلامه وقيل عابه بما كان عليه موسى من الحبسة أيام كان عند فرعون فنسب الى ما عهده مبالغة فى التعيير وقول فرعون ولا يكاد يبين كذب بحت ألا ترى الى مناظرته له ورده عليه واخمامه بالحجة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم بلغاء * وقرأ الباقر يبين بفتح الياء من بان اذا ظهر فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه سوارين وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسودده قال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب ان كان صادقا وكان ذلك دليلا على إلقاء مقاليد الملك إليه لما وصف نفسه بالعزة والملك ووازن بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف وقلة الأعضاد فاعترض فقال ان كان صادقا فهلا ملكه ربه وسوره وجعل الملائكة أنصاره * وقرأ الضحاك فلولا ألقى مبنيا للفاعل أى الله أساورة نصبا والجمهور أساورة رفعا وأبى وعبدالله أساوير والمفرد اسوار بمعنى سوار والهاء عوض من الياء كهى فى زنادقة هى عوض من ياء زناديق المقابلة لياء زنديق وهذه مقابلة لألف أسوار وقرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والأعرج ومجاهد وأبو حيوة وحفص أسورة جمع سوار نحو خمار وأخمرة وقرأ الأعمش أساور وروىت عن أبى وعن أبى عمرو وجاء معه الملائكة مقترنين أى يحمونه ويقيمون حجته * قال ابن عباس يعينونه على من خالفه * وقال السدى يقارن بعضهم بعضا وقال مجاهد يمشون معه وقال قتادة متتابعين * فاستخف قومه أى استجهلهم لخفة أحلامهم قاله ابن الاعرابى وقال غيره حملهم على أن يخفوا لما يريد منهم فأجابوه لفسقهم * فلما آسفونا منقول بالهمزة من أسف اذا غضب والمعنى فلما عملوا الأعمال الخبيثة الموجبة لان لا يحلم عنهم وعن ابن عباس أحزنوا أولياءنا المؤمنين نحو السحرة وبنى اسرائيل وعنه أيضا أغضبونا وعن على أسخطونا وقيل خالفوا * وقال القشيرى وغيره الغضب من الله إما ارادة العقوبة فهو من صفات الذات أو العقوبة فيكون من صفات الفعل * وقرأ الجمهور سلفا قال ابن عباس وزيد بن أسلم وقتادة أى متقدمين الى النار وهو مصدر سلف يسلف سلفا وسلف الرجل آباؤه المتقدمون والجمع أسلاف وسلاف وقيل هو جمع سالف كحارس وحرس وحقيقته انه اسم جمع لان فعلا ليس من أبنية الجموع المكسرة * وقال طفيل يرثى قومه

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم * صروف المنايا والرجال تقلب

* قال الفراء والزجاج سلفا ليتعظ بهم الكفار المعاصرون للرسول * وقرأ أبو عبدالله وأصحابه وسعيد بن عياض والأعمش وطلحة والأعرج وحمزة والكسائى وسلفا بضم السين واللام جمع سليف وهو الفريق مع القاسم بن معن العرب تقول مضى سليف من الناس * وقرأ على ومجاهد

﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ الآية لما ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام ذكر طرفا من قصة عيسى عليه السلام وعن ابن عباس وغيره لما نزل إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ونزل كيف خلق من غير فحل قالت قريش ما أراد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا ﴿ وقالوا أآلهتنا خير ﴾ هذا الاستفهام يتضمن أن آلهتهم خير من عيسى عليه السلام ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا ﴾ أي ما مثلوا هذا التمثيل إلا لأجل الجدل والغلبة والمغالطة لا لتمييز الحق واتباعه وانتصب جدلا على أنه مفعول من أجله وقيل مصدر في موضع الحال ﴿ خصمون ﴾ شديدو الخصومة واللجاج والظاهر أن الضمير في أم هو لعيسى لتناسق الضمائر في قوله ان هو الا عبد أنعمنا عليه ﴿ ولو نشاء لجعلنا ﴾ قال بعض النحويين من تكون للبدل أي لجعلنا بدلكم ملائكة وجعل (٢٤) من ذلك قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة أي بدل الآخرة ومنه قول الشاعر

أخذوا المخاض من الفصيل غيلة * ظلما ويكتب للأمير افالا

أي بدل الفصيل ويجوز أن تكون من هنا للتعليل على حذف مضاف تقديره من أجلكم ﴿ يخلفون ﴾ أي يكونون خلفاءكم وقيل يخلف بعضهم بعضا والظاهر أن الضمير في وانه لعلم للساعة يعود على عيسى عليه السلام اذ الظاهر في الضمائر السابقة أنها عائدة عليه وقرأ ابن عباس وجماعة لعلم أي لعلامة للساعة يدل على قرب ميقاتها اذ خروجه شرط من أشراطها وهو نزوله من السماء في آخر الزمان

﴿ واتبعون ﴾ أي هداي ﴿ بالبينات ﴾ أي المعجزات أو بآيات الانجيل الواضحات ﴿ بالحكمة ﴾ أي بما تقتضيه الحكمة الالهية من الشرائع بالحكمة ﴿ ولا بين ﴾ متعلق بجئتكم ﴿ بعض الذي تختلفون فيه ﴾ من أمر الديانات والضمير في من بينهم عائد على من خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم ﴿ فاختلف الأحزاب ﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ هل ينظرون ﴾ الضمير لقريش وان تأتيهم بدل من الساعة أي اتيانها اياهم ﴿ الاخلاء يومئذ ﴾ قيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط والتنوين في يومئذ عوض من الجملة المحذوفة أي يوم اذ تأتيهم الساعة والذين آمنوا صفة لياعبادي ﴿ تحبرون ﴾ تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوههم والضمير في وفيها عائد على الجنة ﴿ ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ﴾ هذا حصر لانواع النعيم لانها اما مشتهاة في القلب واما مستلذة في العيون ﴿ وتلك الجنة ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ أورثتموها ﴾ حال ويجوز أن تكون الجنة بدلا من تلكم وأورثتموها الخبر ﴿ بما كنتم ﴾ متعلق بأورثتموها ولما ذكر ما تضمن الاكل والشرب ذكر الفاكهة ﴿ منها تأكلون ﴾ من للتبعيض اذ لا يأكلون الا بعضها

---

والأعرج أيضا وسلفا بضم السين واللام جمع سلفة وهي الأمة والقطيعة والسلف في غير هذا ولد القبج والجمع سلفان ومثلا للآخرين أي حديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدث به الآخرون من الكفار يقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون * ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون * إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون * ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون * الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين * ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون * يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون * وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون * لما ذكر تعالى طرفا من قصة موسى عليه السلام ذكر طرفا من قصة عيسى عليه السلام وعن ابن عباس وغيره لما نزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ونزل كيف خلق من غير فحل قالت قريش ما أراد محمد من ذكر عيسى الا أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى فهذا كان صدودهم من ضربه مثلا وقيل ضرب المثل بعيسى هو ما جرى بين الزبعرى وبين الرسول عليه الصلاة والسلام في القصة المحكية في قوله انكم وما تعبدون وقد ذكرت في سورة الأنبياء في آخرها ان ابن الزبعرى قال فاذا كان هؤلاء أي عيسى وأمه وعزير في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم وقيل المثل هو أن الكفار لما سمعوا ان النصارى تعبد

عيسى قالوا آلهتنا خير من عيسى قال ذلك منهم من كان يعبد الملائكة وضرب مبني للمفعول فاحتمل أن يكون الفاعل ابن الزبعرى ان صحت قصته وان يكون الكفار * وقرأ أبو جعفر والاعرج والنخعي وأبو رجاء وابن وثاب وعامر ونافع والكسائي يصدون بضم الصاد أي يعرضون عن الحق من أجل ضرب المثل * وقرأ ابن عباس وابن جبير والحسن وعكرمة وباقي السبعة بكسرها أي يصيحون ويرتفع لهم جبة بضرب المثل * وروي ضم الصاد عن علي وأنكرها ابن عباس ولا يكون إنكاره الا قبل بلوغه تواترها * وقرأ الكسائي والفراء هما لغتان بمعنى مثل يعرشون ويعرشون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو خفف الكوفيون الهمزتين وسهل باقي السبعة الثانية بين بين * وقرأ ورش في رواية أبي الأزهر بهمزة واحدة على مثال الخبر فاحتمل أن تكون همزة الاستفهام محذوفة لدلالة أم عليها واحتمل أن يكون خبرا محضا حكوا ان آلهتهم خير ثم عن لهم أن يستفهموا على سبيل التنزل من الخبر الى الاستفهام المقصود به الافحام وهذا الاستفهام يتضمن أن آلهتهم خير من عيسى مضرب وذلك الا جدلا أي ما مثلوا هذا التمثيل الا لأجل الجدل والغلبة والمغالطة لا لتمييز الحق واتباعه وانتصب جدلا على أنه مفعول من أجله وقيل مصدر في موضع الحال * وقرأ ابن مقسم الا جدالا بكسر الجيم وألف خصمون شديدو الخصومة واللجاج وفعل من أبنية المبالغة نحو هدي. والظاهر ان الضمير في أم هو لعيسى لتناسق الضمائر في قوله ان هو إلا عبد * وقال قتادة يعود على النبي صلى الله عليه وسلم أنعمنا عليه بالنبوة وشرفناه بالرسالة * وجعلناه مثلا أي خبرة عجيبة كالمثل لبني اسرائيل إذ خلق من غير أب وجعل له من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه وقيل المنعم عليه هو محمد صلى الله عليه وسلم * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض قال بعض النحويين من تكون للبدل أي لجعلنا بدلكم ملائكة وجعل من ذلكم قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة أي بدل الآخرة وقول الشاعر

أخذوا المخاض من الفصيل غلبة * ظلما ويكتب للامير افالا

أي بدل الفصيل وأصحابنا لا يثبتون لمن معنى البدلية ويتأولون ما ورد مما يوهم ذلك * قال ابن عطية لجعلنا بدلا منكم * وقال الزمخشري ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك انتهى وهو تخريج حسن ونحو من هذا التخريج قول من قال لجعلنا من الانس ملائكة وان لم تجر العادة بذلك والجواهر جنس واحد والاختلاف بالاوصاف * يخلفون قال السدي يكونون خلفاءكم * وقال قتادة يخلف بعضهم بعضا * وقال مجاهد في عمارة الارض وقيل في الرسالة بدلا من رسلكم والظاهر أن الضمير في وانه لعلم للساعة يعود على عيسى اذ الظاهر في الضمائر السابقة انها عائدة عليه * وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والضحاك وابن زيد أي وان خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها اذ خروجه شرط من أشراطها وهو نزوله من السماء في آخر الزمان * وقال الحسن وقتادة أيضا وابن جبير يعود على القرآن على معنى انه يدل انزاله على قرب الساعة أو انه به تعلم الساعة وأهوالها * وقالت فرقة يعود على النبي صلى الله عليه وسلم اذ هو آخر الانبياء تميزت الساعة به نوعا وقدرا من التمييز ونفى التحديد التام الذي انفرد

لله تعالى بعلمه * وقرأ الجمهور لعلم مصدر علم * قال الزمخشري أي شرط من أشراطها تعلم به فسمي العلم شرطا لحصول العلم به * وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وأبو مالك الغفاري وزيد بن علي وقتادة ومجاهد والضحاك ومالك بن دينار والاعمش والكلبي * قال ابن عطية وأبو نصرة لعلم بفتح العين واللام أي لعلامة * وقرأ عكرمة به قال ابن خالويه وأبو نصرة للعلم معرفا بفتحتين * فلا تمترن بها أي لا تشكون فيها واتبعون هذا أي هداي أو شرعي وقيل أي قل لهم يا محمد واتبعوني هذا أي الذي أدعوكم له أو هذا القرآن كان الضمير في قال للقرآن ثم حذرهم من اغواء الشيطان ونبه على عداوته بالبينات أي المعجزات أو بآيات الانجيل الواضحات بالحكمة أي بما تقتضيه الحكمة الالهية من الشرائع * قال السدي بالحكمة النبوة * وقال أيضا قضايا يحكم بها العقل * وذكر القشيري والماوردي الانجيل * وقال الضحاك الموعظة * ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو أمر الديانات لان اختلافهم يكون فيها وفي غيرها من الأمور التي لا تتعلق بالديانات فأمور الديانات بعض ما يختلفون فيه وبين لهم في غيره ما احتاجوا اليه * وقيل بعض ما يختلفون فيه من أحكام التوراة * وقال أبو عبيدة بعض بمعنى كل ورده الناس عليه * وقال مقاتل هو كقوله ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم أي في الانجيل لحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت * وقال مجاهد بعض الذي يختلفون فيه من تبديل التوراة * وقيل مما سألتم من أحكام التوراة * وقال قتادة ولأبين لكم اختلاف القرون الذين تحزبوا في أمر عيسى في قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم أي من تلقائهم ومن أنفسهم بان شرهم ولم يدخل عليهم الاختلاف من غيرهم وتقدم الخلاف في اختلافهم في سورة مريم في قوله فاختلف الأحزاب من بينهم * هل ينظرون الضمير لقريش وأن تأتيهم بدل من الساعة أي اتيانها إياهم * الأخلاء يومئذ قيل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط والتنوين في يومئذ عوض عن الجملة المحذوفة أي يوم إذ تأتيهم الساعة ويومئذ منصوب بعدو والمعنى انه ينقطع كل خلة وتنقلب الاخلة المتقين فانها لا تزداد إلا قوة * وقيل إلا المتقين إلا المجتنبين أخلاء السوء وذلك أن أخلاء السوء كل منهم يرى أن الضرر دخل عليه من خليله كما ان المتقين يرى كل منهم النفع دخل عليه من خليله * وقرئ يا عبادي بالياء وهو الأصل ويا عباد بحذفها وهو الأكثر وكلاهما في السبعة * وعن المعتمر بن سليمان سمع أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا يفزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم الآية فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين آمنوا الآية قال فييأس منها الكفار * وقرأ الجمهور لا خوف مرفوع منون وابن محيصن بالرفع من غير تنوين والحسن والزهري وابن أبي اسحاق وعيسى وابن يعمر بفتحها من غير تنوين والذين آمنوا صفة ليا عبادي * تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم لقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم * وقال الزجاج يكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل وأمال أبو الحرث عن الكسائي بصحاف ذكره ابن خالويه والضمير في وفيها عائد على الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين هذا حصر لأنواع النعم لانها إما مشتهاة في القلوب أو مستلذة في العيون * وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وابن عباس وحفص ما تشتهيه بالضمير العائد على ما والجمهور وباقي السبعة بحذف الهاء وفي مصحف عبد الله ما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين بالهاء فيهما وتلك الجنة مبتدأ وخبر والتي أورثتموها صفة أو الجنة صفة والتي أورثتموها بما كنتم تعملون الخبر وما قبله صفتان فاذا كان بما الخبر تعلق بمحذوف وعلى القولين

﴿ ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون ﴾ لماذكر تعالى حال أهل الجنة أعقبه بذكر حال الكفرة ﴿ ونادوا يامالك ﴾ تقدم انهم مبلسون أى ساكتون وهذه أحوال لهم فى أزمان متطاولة فلاتعارض بين سكوتهم وندائهم واللام فى ليقض لام الطلب والرغبة والمعنى ليمتنا مرة حتى لايتكرر عذابنا ﴿ قال ﴾ أى مالك ﴿ انكم ماكثون ﴾ أى مقيمون فى النار لاتبرحون وقال ابن عباس يجيبهم بعد مضى ألف سنة ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ الظاهر انه من كلام الله تعالى لهم ﴿ أم أبرموا ﴾ الضمير لقريش أى بل أحكموا أمرا من كيدهم للرسول ومكرهم ﴿ فانا مبرمون ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتناجون ويتسارون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ﴾ وهو مايحدث به الرجل نفسه أوغيره فى مكان خال ﴿ ونجواهم ﴾ وهو ما تكلموا به فيما بينهم ﴿ بلى ﴾ أى نسمعها ﴿ ورسلنا ﴾ وهم الحفظة ﴿ قل ان كان للرحمن ولد ﴾ التعليق بان لايقتضى جواز الشئ بل قد يعلق بها الممتنع ويجاب بالممتنع ونظيره ماتقدم من قوله تعالى فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض أوسلما فى السماء فتأتيهم بآية وجوابه محذوف تقديره فافعل وهو عليه السلام لا يستطيع لاالنفق ولاالسلم ويجوز أن يكون المعنى ان كان للرحمن ولد فيما تدعون وتزعمون ﴿ فانا أول ﴾ الآنفين المنكرين لذلك تقول العرب عبد الرجل يعبد بمعنى أنف يأنف ومعنى إله معبود وبه يتعلق الجار والمجرور والمعنى انه هو معبود فى السماء ومعبود فى الارض والعائد على الموصول محذوف تقديره هو إله وقرئ وقيله منصوب على اضمار فعل أى ويعلم قيله وبالخفض فقيل معطوف على الساعة وقيل هى واو القسم والجواب محذوف تقديره لينصرن أو لأفعلن بهم ماأشاء وبالرفع معطوف على علم الساعة تقديره وعلم قيله فحذف وعلم وأقيم المضاف اليه مقامه فرفع والضمير المجرور عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم بدلالة قوله ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أى اعرض عنهم وتاركهم ﴿ وقل سلام ﴾ أى الأمر سلام ﴿ فسوف يعلمون ﴾ وعيد لهم وتهديد وموادعة وهى منسوخة بآية السيف

الأولين يتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة ولماذكر مايتضمن الأكل والشرب ذكر الفاكهة منها تأكلون من للتبعيض أى لاتأكلون إلا بعضها ومايخلف المأكول باق فى الشجر كما جاء فى الحديث ﴿ ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون * لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون * وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين * ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون * أم أبرموا أمرا فانا مبرمون * أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون * قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين * سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون * وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم * وتبارك الذى له ملك السموات والأرض ومابينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون * ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون * وقيله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون * فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ لماذكر تعالى حال أهل الجنة ومايقال لهم من لذائذ البشارة أعقب ذلك بذكر حال الكفرة ومايجاوبون به عند سؤالهم * وقرأ عبدالله وهم فيها أى فى جهنم والجمهور وهم فيه أى فى العذاب * وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لايرى ولا يرى * لايفتر عنهم أى لايخفف ولاينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا ونقص حرها والمبلس الساكت اليائس من الخير * وماظلمناهم أى ماوضعنا العذاب فيمن لايستحقه ولكن كانوا هم الظالمين أى الواضعين الكفر موضع الايمان فظلموا بذلك أنفسهم * وقرأ الجمهور والظالمين على أن هم فصل * وقرأ عبدالله وأبو زيد النحويان الظالمون بالرفع على انهم خبرهم وهم مبتدأ * وذكر أبو عمرو والجرمى ان لغة تميم جعل ماهو فصل عند غيرهم مبتدأ ويرفعون مابعده على الخبر * وقال أبو زيد سمعتهم يقرؤن تجدوه عندالله هو خير وأعظم أجرا يعنى برفع خير وأعظم * وقال قيس بن دريج

نحن الى ليلى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر

قال سيبويه ان رؤبة كان يقول أظن زيدا هو خير منك يعنى بالرفع * ونادوا يامالك تقدم انهم مبلسون أى ساكتون وهذه أحوال لهم فى أزمان متطاولة فلاتعارض بين سكوتهم وندائهم

*وقرأ الجمهور يامالك * وقرأ عبدالله وعلي وابن وثاب والأعمش يامال بالترخيم على لغة من ينتظر
الحرف *وقرأ أبو السرار الغنوي يامال بالبناء على الضم جعل اسما على حياله واللام في ليقض
لام الطلب والرغبة والمعنى يمتنا مرة حتى لا يتكرر عذابنا كقوله فوكزه موسى فقضى عليه أي
أماته قال أي مالك انكم ماكثون أي مقيمون في النار لا تبرحون * وقال ابن عباس يجيبهم بعد
مضي ألف سنة وقال نوف بعد مائة وقيل ثمانين * وقال عبدالله بن عمرو أربعين * لقد جئناكم بالحق
يظهر انه من كلام الله تعالى *وقيل من كلام بعض الملائكة كما يقول أحد خدم الرئيس أعلمناكم
وفعلنا بكم *قيل ويحتمل أن يكون لقد جئناكم من قول الله لقريش بعقب حكاية أمر الكفار
مع مالك وفي هذا توعد وتخويف بمعنى انظروا كيف يكون حالكم *أم أبرموا والضمير لقريش
أي بل أحكموا أمرا من كيدهم للرسول ومكرهم فانا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله أم
يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون ويتسارعون في أمر الرسول فقال
تعالى أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم وهو ما يحدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال ونجواهم
وهي ما تكلموا به فيما بينهم *بلى أي نسمعها ورسلنا وهم الحفظة *قل ان كان للرحمن ولد كما تقولون
فأنا أول من يعبده على ذلك ولكن ليس له شيء من ذلك وأخذ الزمخشري هذا القول وحسنه
بفصاحته فقال ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح يوردونه وحجة واضحة يدلون بها
فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم أبيه وهذا
كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك
الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق
العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات
الكينونة والعبادة وفي معنى نفيها على أبلغ الوجوه وأقواها ثم قال الزمخشري ونظيره أن يقول
العدلي للمجبر ثم ذكر كلاما يستحق عليه التأديب بل السيف نزهت كتابي عن ذكره ثم قال
وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقلة
بالتوحيد على أبلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا أول العابدين الموحدين لله
المكذبين قولهم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من
عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد *وقرأ بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية أي ما كان للرحمن
ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد * وروي أن النضر بن عبد الدار بن قصي قال أن الملائكة
بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال
ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له انتهى أما القول ان كان لله ولد في
زعمكم فهو قول مجاهد وأما القول فأنا أول الآنفين فهو قول جماعة حكاه عنهم أبو حاتم ولم يسم أحدا
منهم ويدل عليه قراءة السلمي واليماني العبدين وقراءة ذكرها الخليل بن أحمد في كتابه العين
العبدين باسكان الباء تخفيف العبدين بكسرها وذكر صاحب اللوامح أنه جاء عن ابن عباس في
معنى العابدين أنه الآنفين انتهى * وقال ابن عرفة يقال عبد يعبد فهو عبد وقلما يقال عابد والقرآن
لا يأتي بالقليل من اللغة ولا الشاذ ثم قال كقول مجاهد * وقال الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * واعبد أن أهجوا كليبا بدارمي

أي آنف وأستنكف * وقال آخر

متى ما يشاذ والود يصرم خليله * ويعبد عليه لامحالة ظالما

وأما القول بأن ان نافية فروي عن ابن عباس والحسن والسدي وقتادة وابن زيد وزهير بن محمد * وقال مكي لايجوز أن تكون ان بمعنى ما النافية لأنه يوهم انك انما نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ماهو آت وهذا محال انتهى ولايلزم منه محال لأن كان قد تستعمل فيما يدوم ولا يزول كقولك وكان الله غفورا رحيما أي لم يزل فالمعنى ما كان وما يكون * وقال أبو حاتم العبد بكسر الباء الشديد الغضب * وقال أبو عبيدة معناه أول الجاحدين والعرب تقول عبدني حقي أي جحدني * وقرأ ولد بفتحتين عبد الله وابن وثاب وطلحة والأعمش بضم الواو وسكون اللام ثم قال سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون أي من نسبة الولد اليه والمعنى ان الاله يجب أن يكون واجب الوجود وما كان كذلك فهو فرد مطلق لايقبل التجزي والولد عبارة عن أن ينفصل عن الشيء جزء من أجزائه فيتولد منه شخص مثله ولا يكون الا فيما هو قابل ذاته للتجزي وهذا محال في حقه تعالى فامتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان القاطع قال فذرهم يخوضوا أي في باطلهم ويلعبوا أي في دنياهم وظاهر هذين الأمرين مهادنة وترك وذلك مما نسخ بآية السيف * وقرأ الجمهور حتى يلاقوا وأبو جعفر وابن محيصن وعبيد بن عقيل عن أبي عمرو يلقوا مضارع لقي يومهم الذي يوعدون يوم القيامة * وقال عكرمة وغيره يوم بدر وأضاف اليوم اليهم لأنه الذي فيه هلاكهم وعذابهم * وقرأ الجمهور إله فيهما * وقرأ عمر وعبد الله وأبي وعلي والحكم بن أبي العالي وبلال بن أبي بردة وابن يعمر وجابر وابن زيد وعمر بن عبد العزيز وأبو الشيخ الهناني وحميد وابن مقسم وابن السميقع الله فيهما ومعنى إله معبود به يتعلق الجار والمجرور والمعنى أنه هو معبود في السماء ومعبود في الأرض والعائد على الموصول محذوف تقديره هو إله كما حذف في قولهم ما أنا بالذي قائل لك شيأ وحسنه طوله بالعطف عليه كما حسن في قائل لك شيأ طوله بالمعمول ومن قرأ الله ضمنه أيضا معنى المعبود كما ضمن العلم في نحو قولهم هو حاتم في طيء أي جواد في طيء ويجوز أن تكون الصلة الجار والمجرور والمعنى أنه فيهما بالالهية والربوبية اذ يستحيل حمله على الاستقرار وفي قوله وفي الأرض نفي لآلهتهم التي كانت تعبد في الأرض وعنده علم الساعة أي علم تعيين وقت قيامها وهو الذي استأثر به تعالى * وقرأ الجمهور يرجعون بياء الغيبة ونافع وعاصم والعدنيان بتاء الخطاب وهو في كلتا القراءتين مبني للمفعول * وقرئ بفتح تاء الخطاب مبنيا للفاعل * وقرأ الجمهور بياء الغيبة وشد الدال وعنه بتاء الخطاب وشد الدال والمعنى ولا يملك آلهتهم التي يدعون الشفاعة عند الله * قال قتادة استثنى ممن عبد من دون الله عيسى وعزيرا والملائكة فانهم يملكون شفاعة بان يملكها الله اياهم اذ هم ممن شهد بالحق وهم يعلمونه في أحوالهم فالاستثناء على هذا متصل * وقال مجاهد وغيره من المشفوع فيهم كأنه قال لايشفع هؤلاء الملائكة وعزير وعيسى الا فيمن شهد بالحق وهو يعلمه أي بالتوحيد قالوا فالاستثناء على هذا منفصل كأنه قال لكن من شهد بالحق يشفع فيهم هؤلاء وهذا التقدير الذي قدروه يجوز أن يكون فيه الاستثناء متصلا لأنه يكون المستثنى منه محذوفا كأنه قال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة في أحد الا فيمن شهد بالحق فهو استثناء من المفعول المحذوف كما قال الشاعر

نجا سالم والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف ومئزر

أي ولم ينج الا جفن سيف فهو استثناء من المشفوع فيهم الجائز فيه الحذف وهو متصل فان جعلته

مستثنى من الذين يدعون فيكون منفصلا والمعنى ولا يملك آلهتهم ويعنى بهم الأصنام والاوثان الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به هو الذى يملك الشفاعة وان أدرجت الملائكة فى الذين يدعون كان استثناء متصلا * وقرأ الجمهور فأنى يؤفكون بياء الغيبة مناسبا لقوله ولئن سألتهم أى كيف يصرفون عن عبادة من أقروا أنه موجد العالم وعبد الوارث عن أبى عمرو بتاء الخطاب * وقرأ الجمهور وقيله بالنصب فعن الأخفش أنه معطوف على سرهم ونجواهم وعنه أيضا على وقال قيله وعن الزجاج على محل الساعة فى قوله وعنده علم الساعة وقيل معطوف على مفعول يكتبون المحذوف أى يكتبون أقوالهم وأفعالهم وقيل معطوف على مفعول يعلمون أى يعلمون الحق وقيله يارب وهو قول لا يكاد يعقل وقيل منصوب على اضمار فعل أى ويعلم قيله * وقرأ السلمى وابن وثاب وعاصم والاعمش وحمزة وقيله بالخفض وخرج على أنه عطف على الساعة أو على انها واو القسم والجواب محذوف أى لينصرن أو لأفعلن بهم ما أشاء * وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن وقتادة ومسلم بن جندب وقيله بالرفع وخرج على أنه معطوف على علم الساعة على حذف مضاف أى وعلم قيله حذف وأقيم المضاف اليه مقامه وروى هذا عن الكسائى وعلى الابتداء وخبره يارب الى لا يؤمنون أو على أن الخبر محذوف تقديره مسموع أو متقبل فجملة النداء وما بعده فى موضع نصب بوقيله وقرأ أبو قلابة يارب بفتح الباء أراد يارباكما تقول ياغلام ويتخرج على جواز الاخفش ياقوم بالفتح وحذف الالف والاجتزاء بالفتحة عنها * وقال الزمخشرى والذى قالوه يعنى من العطف ليس بقوى فى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك والوجه أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كأنه قال وأقسم بقيله أو وقيله يارب قسمى * إن هؤلاء قوم لا يؤمنون وإقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه انتهى وهو مخالف لظاهر الكلام اذ يظهر أن قوله يارب الى لا يؤمنون متعلق بقيله ومن كلامه عليه السلام واذا كان ان هؤلاء جواب القسم كان من اخبار الله عنهم وكلامه والضمير فى وقيله للرسول وهو المخاطب بقوله فاصفح عنهم أى أعرض عنهم وتاركهم وقل سلام أى الامر سلام فسوف يعلمون وعيد لهم وتهديد وموادعة وهى منسوخة بآية السيف * وقرأ الجمهور يعلمون بياء الغيبة كما فى فاصفح عنهم * وقرأ أبو جعفر والحسن والاعرج ونافع وهشام بتاء الخطاب * وقال السدى وقل سلام أى خيرا بدلا من شرهم وقال مقاتل أوردعليهم معروفا وحكى الماوردى قل ما تسلم به من شرهم

## ﴿ سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين * رحمة من ربك إنه هو السميع العليم * رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين * بل هم فى شك يلعبون * فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم * ربنا اكشف

عنا العذاب إنا مؤمنون * أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون
إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون * ولقد
فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلى عباد الله إنى لكم رسول أمين * وأن
لا تعلوا على الله إنى آتيكم بسلطان مبين * وإنى عذت بربى وربكم أن ترجمون * وان لم تؤمنوا لى
فاعتزلون * فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون * فأسر بعبادى ليلا إنكم متبعون * واترك البحر
رهوا إنهم جند مغرقون * كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا
فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين
ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين * ولقد
اخترناهم على علم على العالمين * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين * إن هؤلاء ليقولون * إن
هى الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين * فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * أهم خير أم قوم تبع
والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين * وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين *
ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين * يوم لا يغنى
مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون * إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم * إن شجرة الزقوم
طعام الأثيم * كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا
فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون * إن
المتقين فى مقام أمين * فى جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين * كذلك
وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة آمنين * لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى
ووقاهم عذاب الجحيم * فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم * فإنما يسرناه بلسانك لعلهم
يتذكرون * فارتقب إنهم مرتقبون ﴾ * الدخان معروف وقال أبو عبيدة والدخان الجدب *
قال القتبى يعنى دخانا ليبس الارض منه حتى يرتفع منها كالدخان وقياس جمعه فى القلة أدخنة وفى
الكثرة دخنان نحو غراب وأغربة وغربان وشذوا فى جمعه على فواعل فقالوا دواخن كأنه
جمع داخنة تقديرا كما شذوا فى عثان قالوا عواثن * رها البحر رهو رهوا سكن يقال جاءت الخيل
رهوا أى ساكنة قال الشاعر

والخيل تمزع رهوا فى أعنتها * كالطير ينجو من الشؤبوب ذى البرد

ويقال افعل ذلك رهوا أى ساكنا على هينتك وقال ابن الاعرابى رها فى السير قال القطامى
فى نعت الركاب

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة * ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وقال الليث عيش راه وارع خافض وقال غيره الرهو والرهوة المكان المرتفع والمنخفض يجتمع
فيه الماء وهو من الاضداد والجمع رهاء والرهو المرأة الواسعة الهن حكاه النضر بن شميل والرهو
ضرب من الطير يقال هو الكركى * وقال أبو عبيدة رها الرجل يرهو رهوا فتح بين رجليه * المهل
دردى الزيت وعكره * عتله ساقه بعنف ودفع واهانة والعتل الجافى الغليظ ﴿ حم والكتاب
المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمرا من عندنا إنا
كنا مرسلين * رحمة من ربك إنه هو السميع العليم * رب السموات والأرض وما بينهما ان
كنتم موقنين * لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين * بل هم فى شك يلعبون *

﴿ سورة الدخان ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

﴿ حم والكتاب المبين ﴾
هذه السورة مكية قيل الا قوله إنا كاشفوا العذاب ومناسبة هذه السورة انه ذكر فى أواخر ما قبلها فذرهم يخوضوا ويلعبوا فذكر تعالى يوما غير معين ولا موصوف فبين فى أوائل هذه السورة ذلك اليوم بوصف وصفه فقال فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين وان العذاب يأتيهم من قبلك ﴿ والكتاب المبين ﴾ هو القرآن أقسم به تعالى والضمير فى أنزلناه يكون عائدا عليه والليلة المباركة ليلة القدر قالوا كتب الله كلها انما أنزلت فى رمضان ﴿ منذرين ﴾ أى مخوفين ﴿ فيها ﴾ أى فى الليلة المباركة ﴿ يفرق ﴾ يفصل من غيره ويخلص ووصف أمر بحكيم أى أمر ذى حكمة وقد أبهم تعالى هذا الأمر فقال ابن عباس فى ليلة القدر يفصل كل ما فى العام المقبل من الأقدار والأرزاق والآجال وغير ذلك ويكتب لهم ذلك الى مثلها من العام المقبل وأمرا مفعول بمنذرين ﴿ رحمة من ربك ﴾

فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم * ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون * أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون * إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون * ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا الي عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون * وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون * فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون * فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون * واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون * كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوما آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾

هذه السورة مكية قيل الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون * ومناسبة هذه السورة انه ذكر في أواخر ما قبلها فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فذكر يوما غير معين ولا موصوفا فبين في أوائل هذه السورة ذلك اليوم بوصف وصفه فقال فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين وان العذاب يأتيهم من قبلك ويحل بهم من الجدب والقحط ويكون العذاب في الدنيا وان كان العذاب في الآخرة فيكون يومهم الذي يوعدون يوم القيامة والظاهر أن الكتاب المبين هو القرآن أقسم به تعالى ويكون الضمير في أنزلناه عائدا عليه قيل ويجوز أن يراد به الكتب الالهية المنزلة وان يراد به اللوح المحفوظ وجواب القسم وقال الزمخشري وغيره قوله انا أنزلناه على ان الكتاب هو القرآن ويكون قد عظمه تعالى بالاقسام به * وقال ابن عطية لا يحسن وقوع القسم عليه أي على انا أنزلناه وهو اعتراض يتضمن تفخيم الكتاب ويكون الذي وقع عليه القسم انا كنا منذرين انتهى * قال قتادة وابن زيد والحسن الليلة المباركة ليلة القدر وقالوا كتب الله كلها انما نزلت في رمضان التوراة في أوله والانجيل في وسطه والزبور في نحو ذلك والقرآن في آخره في ليلة القدر ويعني ابتداء نزوله كان في ليلة القدر وقيل أنزل جملة ليلة القدر الى البيت

مفعول من أجله والعامل فيه مرسلين ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ قال ابن مسعود وغيره هو الدخان الذي رأته قريش قيل لعبد الله ان قاصا عند أبواب كندة يقول انه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الناس فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم به وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز والعلهز هو الصوف يقع فيه القراد فيشوى الصوف بدم القراد ويؤكل وأكلوا العظام أيضا وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان الرجل يحدث الرجل فيسمع الكلام ولا يرى المتكلم من الدخان فمشى اليه أبو سفيان ونفر معه فناشدوه الله والرحم وواعدوه أن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى  شركهم وفيه فرحمهم النبي صلى الله عليه وسلم وبعث اليهم بصدقة ومال وفيه فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالتهم فأنزل الله تعالى ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ﴾ يعني يوم بدر وقال عبد الرحمن خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم ﴿ ولقد فتنا قبلهم ﴾ هذا كالمثال لقريش ذكرت قصة من أرسل اليهم موسى عليه السلام فكذبوه فأهلكهم الله تعالى ﴿ وجاءهم رسول كريم ﴾ أي كريم عند الله تعالى وعند المؤمنين ﴿ أن أدوا ﴾ يحتمل أن تكون أن تفسيرية لأنه تقدم ما يدل على معنى القول وهو رسول كريم وأن تكون مخففة من الثقيلة و ناصبة للمضارع فانها توصل بالامر طلب منهم أن يؤدوا اليه بني اسرائيل ﴿ ورسول أمين ﴾ أي غير متهم قد ائتمنني الله تعالى على وحيه ورسالته ﴿ وأن لا تعلوا ﴾ أي لا تستكبروا على عبادة الله تعالى ﴿ بسلطان مبين ﴾ أي بحجة واضحة في نفسها ﴿ واني عذت ﴾ أي استجرت ﴿ بربي وربكم أن ترجمون ﴾ كانوا قد توعدوه بالقتل فاستعاذ من ذلك ﴿ وان لم تؤمنوا لي ﴾ أي تصدقوا ﴿ فاعتزلون ﴾ أي كونوا بمعزل مني وهذه متاركة حسنة ﴿ فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ﴾ ان هؤلاء لفظ تحقير لهم ﴿ فاسر بعبادي ﴾ في الكلام حذف أي فانتقم منهم فقال له الله تعالى أسر بعبادي هم بنو اسرائيل ومن آمن به من القبط ﴿ انكم متبعون ﴾ أي يتبعكم فرعون وجنوده فتنجون ويغرق المتبعون ﴿ واترك البحر رهوا ﴾ قال ابن عباس ساكنا كما جزته ﴿ قوما آخرين ﴾ هم بنوا اسرائيل ﴿ فما بكت عليهم السماء والارض ﴾ استعارة لتحقير أمرهم وانه لم يتغير عن هلاكهم شيء ﴿ وما كانوا منظرين ﴾ أي مؤخرين عن العذاب

المعمور ومن هنالك كان جبريل يتلقاه * وقال عكرمة وغيره هي ليلة النصف من شعبان وقد أوردوا فيها أحاديث * وقال الحافظ أبو بكر بن العربي لا يصح فيها شيء ولا في نسخ الآجال فيها انا كنا منذرين أي مخوفين * قال الزمخشري (فان قلت) انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ماموقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الأمور المحكمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم والمباركة الكثيرة الخير لما ينتج الله فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها إلا انزال القرآن وحده لكفى به بركة انتهى * وقرأ الحسن والاعرج والأعمش يفرق بفتح الياء وضم الراء كل بالنصب أي يفرق الله * وقرأ زيد بن علي فيما ذكر الزمخشري نفرق بالنون كل بالنصب وفيما ذكر أبو علي الاهوازي عنه بفتح الياء وكسر الراء ونصب كل ورفع حكيم على أنه الفاعل بيفرق * وقرأ الحسن وزائدة عن الاعمش بالتشديد مبنيا للمفعول أو معنى يفرق يفصل من غيره ويلخص ووصف أمر بحكيم أي أمر ذي حكمة وقد أبهم تعالى هذا الامر * وقال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد في ليلة القدر يفصل كل ما في العام المقبل من الاقدار والارزاق والآجال وغير ذلك ويكتب ذلك الى مثلها من العام المقبل * وقال هلال بن أساف كان يقال انتظروا القضاء في رمضان * وقال عكرمة لفضل الملائكة في ليلة النصف من شعبان وجوزوا في أمرا أن يكون مفعولا به بمنذرين لقوله لينذر بأسا شديدا أو على الاختصاص جعل كل أمر حكيم جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة نفسه بان قال أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا كذا قال الزمخشري * وقال وفي قراءة زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهي نصب على الاختصاص ومفعولا له والعامل أنزلنا أو منذرين أو يفرق ومصدرا من معنى يفرق أي فرقا من عندنا أو من أمرنا محذوفا وحالا قيل من كل والذي تلقيناه من أشياخنا أنه حال من أمر لانه وصف بحكيم فحسنت الحال منه الا أن فيه الحال من المضاف اليه وهو ليس في موضع رفع ولا نصب ولا يجوز وقيل من ضمير الفاعل في أنزلناه أي آمرين وقيل من ضمير المفعول في أنزلناه أي في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل والظاهر ان من عندنا صفة لامرا وقيل يتعلق بيفرق * انا كنا مرسلين لما ذكر انزال القرآن ذكر المرسل أي مرسلين الانبياء بالكتب للعباد فالجملة المؤكدة مستأنفة وقيل يجوز أن يكون بدلا من انا كنا منذرين وجوزوا في رحمة أن يكون مصدرا أي رحمنا رحمة وأن يكون مفعولا له بأنزلناه أو ليفرق أو لأمرا من عندنا وأن يكون مفعولا بمرسلين والرحمة توصف بالارسال كما وصفت به في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والمعنى على هذا انا نفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لان من عادتنا أن نرسل رحمتنا * وقرأ زيد بن علي والحسن رحمة بالرفع أي تلك رحمة من ربك التفاتا من مضمر الى ظاهر إذ لو روعي ما قبله لكان رحمة منا لكنه وضع الظاهر موضع المضمر ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين * وقرأ ابن محيصن والاعمش وأبو حيوة والكوفيون رب السموات بالخفض بدلا من ربك وباقي السبعة والأعرج وابن أبي اسحق وأبو جعفر وشيبة بالرفع على القطع أي هو رب * وقرأ الجمهور ربكم ورب برفعهما وابن أبي اسحق وابن محيصن وأبو حيوة والزعفراني وابن مقسم والحسن وأبو موسى عيسى بن سليمان وصالح الناقط

كلاهما عن الكسائي بالجر وأحمد بن جبير الانطاكي رب كم ورب بالنصب على المدح وهم يخالفون بين الاعراب الرفع والنصب اذا طالت النعوت وقوله ان كنتم موقنين تحريك لهم بانكم تقرون بانه تعالى خالق العالم وأنه أنزل الكتب وأرسل الرسل رحمة منه وأن ذلك منكم من غير علم وايقان ولذلك جاء بل هم فى شك يلعبون أى فى شك لا يزالون فيه يلعبون فاقرارهم ليس عن حد ولا تيقن فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين * قال على بن أبى طالب وابن عمر وابن عباس وسعيد الخدرى وزيد بن على والحسن هو دخان يجيء يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤس الكافرين والمنافقين حتى تكون مصلقة حنيذة * وقال ابن مسعود وأبو العالية والنخعى هو الدخان الذى رأته قريش قيل لعبد الله ان قاصا عند أبواب كندة يقول انه دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ أنفاس الناس فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز والعلهز الصوف يقع فيه القراد فيشوى الصوف بدم القراد ويؤكل وفيه أيضا حتى أكلوا العظام وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع الكلام ولا يرى المحدث من الدخان فمشى اليه أبو سفيان ونفر معه وناشده الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم وفيه فرحمهم النبى صلى الله عليه وسلم وبعث اليهم بصدقة ومال وفيه فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعنى يوم بدر * وقال عبد الرحمن خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم * وقال عبد الرحمن الاعرج يوم تأتى السماء هو يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة وفى حديث حذيفة أول الآيات خروج الدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن وفيه قلت يا نبى الله وما الدخان على هذه الآية فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين وذكر بقية الحديث واختصرناه بدخان مبين أى ظاهر لا شك أنه دخان يغشى الناس يشملهم فان كان هو الذى رأته قريش فالناس خاص بالكفار من أهل مكة وقد مضى كما قال ابن مسعود وان كان من أشراط الساعة أو يوم القيامة فالناس عام فيمن أدركه وقت الاشراط وعام بالناس يوم القيامة * هذا عذاب الى مؤمنون فى موضع نصب بفعل القول محذوفا وهو فى موضع الحال أى يقولون ويجوز أن يكون اخبارا من الله كأنه تعجب منه كما قال فى قصة الذبيح ان هذا لهو البلاء المبين * انا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف عنهم العذاب والايمان واجب كشف العذاب أولم يكشف * أنى لهم الذكرى أى كيف يذكرون ويتعظون ويقولون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل فى باب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون * وقرأ زر بن حبيش معلم بكسر اللام * انا كاشفوا العذاب قليلا اخبار عن اقامة الحجة عليهم ومبالغة فى الاملاء لهم ثم أخبر أنهم عائدون الى الكفر * وقال قتادة هو توعد بمعاد الآخرة وان كان الخطاب لقريش حين حل بهم الجدب كان ظاهرا وان كان الدخان قبل يوم القيامة فاذا أتت السماء بالعذاب تضرع منافقوهم وكافرهم وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشف عنهم قيل بعد أربعين يوما فحين

يكشفه عنهم يرتدون ويوم البطشة الكبرى على هذا هو يوم القيامة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى وكونه يوم القيامة هو قول ابن عباس والحسن وقتادة وكونه يوم بدر هو قول عبد الله وأبي وابن عباس ومجاهد وانتصب يوم نبطش قيل بذكراهم وقيل بننتقم الدال عليه منتقمون وضعف بأنه لا نصب الا بالفعل وقيل بمنتقمون ورد بأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها * وقرأ الجمهور نبطش بفتح النون وكسر الطاء والحسن وأبو جعفر بضمها والحسن أيضا وأبو رجاء وطلحة بضم النون وكسر الطاء بمعنى نسلط عليهم من يبطش بهم والبطشة على هذه القراءة ليس منصوبا بنبطش بل بمقدر أي نبطش ذلك المسلط البطشة أو يكون البطشة في معنى الابطاشة فينتصب بنبطش * ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون هذا كالمثال لقريش ذكرت قصة من أرسل اليهم موسى عليه السلام فكذبوه فأهلكهم الله * وقرئ فتنا بتشديد التاء للمبالغة في الفعل أو التكثير متعلقة وجاءهم رسول كريم أي كريم عند الله وعند المؤمنين قاله الفراء أو كريم في نفسه لأن الانبياء انما يبعثون من سروات الناس قاله أبو سليمان أو كريم حسن الخلق قاله مقاتل * أن أدوا الي عباد الله يحتمل أن تكون أن تفسيرية لأنه تقدم ما يدل على معنى القول وهو رسول كريم وأن تكون أن مخففة من الثقيلة أو الناصبة للمضارع فانها توصل بالأمر * قال ابن عباس أن أدوا الي الطاعة يا عباد الله أي اتبعوني على ما أدعوكم اليه من الايمان * وقال مجاهد وقتادة وابن زيد طلب منهم أن يؤدوا اليه بني اسرائيل كما قال فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم فعلى قول ابن عباس عباد الله منادى ومفعول أدوا محذوف وعلى قول مجاهد ومن ذكر معه عباد الله مفعول أدوا * اني لكم رسول أمين أي غير متهم قد ائتمنني الله على وحيه ورسالته وأن لا تعلوا على الله أي لا تستكبروا على عبادة الله قاله يحيى بن سلام * قال ابن جريج لا تعظموا على الله قيل والفرق بينهما أن التعظيم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر ذكره الماوردي وأن هنا كان السابق في أوجهها الثلاثة * اني آتيكم بسلطان مبين أي بحجة واضحة في نفسها وموضحة صدق دعواي * وقرأ الجمهور اني بكسر الهمزة على سبيل الاخبار وقرأت فرقة بفتح الهمزة والمعنى لا تعلوا على الله من أجل أني آتيكم فهذا توبيخ لهم كما تقول أتغضب ان قال لك الحق واني عذت أي استجرت بربي وربكم أن ترجمون كانوا قد توعدوه بالقتل فاستعاذ من ذلك وقرئ عدت بالادغام * قال قتادة وغيره الرجم هنا بالحجارة * وقال ابن عباس وأبو صالح بالشتم وقول قتادة أظهر لأنه قد وقع منهم في حقه ألفاظ لا تناسب وهذه المعاذة كانت قبل أن يخبره تعالى بقوله فلا يصلون اليكما * وان لم تؤمنوا لي أي تصدقوا فاعتزلون أي كونوا بمعزل وهذه متاركة حسنة * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ان هؤلاء لفظ تحقير لهم * وقرأ الجمهور أن هؤلاء بفتح الهمزة أي بأن هؤلاء * وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى والحسن في رواية وزيد ابن علي بكسرها * فأسر بعبادي في الكلام حذف أي فانتقم منهم فقال له الله أسر بعبادي وهم بنو اسرائيل ومن آمن به من القبط * وقال الزمخشري فيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادي وأن يكون جوابا لشرط محذوف كأنه قيل قال ان كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي انتهى وكثيرا ما يجيز هذا الرجل حذف الشرط وابقاء جوابه وهو لا يجوز الا لدليل واضح كأن يتقدمه الأمر وما أشبهه مما ذكر في النحو على خلاف في ذلك انكم متبعون أي يتبعكم فرعون وجنوده فتنجون ويغرق المتبعون * واترك البحر رهوا قال ابن عباس ساكنا كما أجراه * وقال مجاهد وعكرمة يبسا من قوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا * وقال الضحاك دمثا لينا

( الدر )

﴿ سورة الدخان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ش) فيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادي وأن تكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال ان كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي انتهى (ح) كثيرا ما يجيز هذا الرجل حذف الشرط وابقاء جوابه وهذا لا يجوز الا لدليل واضح كأن يتقدمه الأمر وما أشبهه مما ذكر في النحو على خلاف في ذلك

* وقال عكرمة جددا * وقال ابن زيد سهلا * وقال مجاهد أيضا منفردا * قال قتادة أراد موسى ان يضرب البحر بعصاه لما قطعه حتى يلتئم وخاف أن يتبعه فرعون فقيل له هذا انهم جند مغرقون أي فيه لأنهم اذا رأوه ساكنا على حالته حين دخل فيه موسى و بنوا اسرائيل أو مفتوحا طريقا يبسا دخلوا فيه فيطبقه الله عليهم * كم تركوا أي كثيرا تركوا من جنات وعيون تقدم تفسيرها في الشعراء * وقرأ الجمهور ومقام بفتح الميم * قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير أراد المقام * وقرأ ابن هرمز وقتادة وابن السميفع ونافع في رواية خارجة بضمها * قال قتادة أراد المواضع الحسان من المجالس والمساكن وغيرها ونعمة بفتح النون نضارة العيش ولذاذة الحياة * وقرأ أبو رجاء ونعمة بالنصب عطفا على كم كانوا فيها فاكهين * قرأ الجمهور بألف أي طيبي الأنفس وأصحاب فاكهة كلابن وتامر وأبو رجاء والحسن بغير ألف والفكه يستعمل كثيرا في المستخف المستهزئ فكأنهم كانوا مستخفين بشكل النعمة التي كانوا فيها * وقال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه أيضا الاشر * وقال القشيري فاكهين لاهين كذلك * وقال الزجاج والمعنى الأمر كذلك فيوقف على كذلك والكاف في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف وقيل الكاف في موضع نصب أي يفعل فعلا كذلك لمن يريد اهلاكه * وقال الكلبي كذلك أفعل بمن عصاني * وقال الحوفي أهلكنا اهلاكا وانتقمنا انتقاما كذلك * وقال الزمخشري الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وأورثناها قوما آخرين ليسوا منهم وهم بنوا اسرائيل كانوا مستعبدين في يد القبط فأهلك الله تعالى القبط على أيديهم وأورثهم ملكهم * وقال قتادة وقال الحسن ان بني اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون وضعف قول قتادة بانه لم يرو في مشهور التواريخ أن بني اسرائيل رجعوا الى مصر في شئ من ذلك الزمان ولا ملكوها قط إلا أن يريد قتادة أنهم ورثوا نوعها في بلاد الشام انتهى ولا اعتبار بالتواريخ فالكذب فيها كثير وكلام الله صدق قال تعالى في سورة الشعراء كذلك وأورثناها بني اسرائيل وقيل قوما آخرين ممن ملك مصر بعد القبط من غير بني اسرائيل * فما بكت عليهم السماء والارض استعارة لتحقير أمرهم وانه لم يتغير عن هلاكهم شئ ويقال في التعظيم بكت عليه السماء والارض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وقال زيد بن مفرغ

الريح تبكي شجوه * والبرق يلمع في غمامه

﴿ وقال جرير ﴾

فالشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

﴿ وقال النابغة ﴾

بكى حادث الجولان من فقد ربه * وحوران منه خاشع متضائل

﴿ وقال جرير ﴾

لما أتى خبر الزهو تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

ويقول في التحقيرمات فلان فما خشعت الجبال ونسبة هذه الأشياء لما لا يعقل ولا يصير ذلك منه حقيقة عبارة عن تأثر الناس له أو عن عدمه وقيل هو على حذف مضاف أي فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الملائكة وأهل الارض وهم المؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين * روى ذلك عن الحسن وما روى عن علي وابن عباس ومجاهد وابن جبير إن المؤمن اذا مات بكى عليه من

﴿ من فرعون ﴾ بدل من قوله من العذاب المهين أعيد معه حرف الجر كما أعيد فى قوله منها من غم ﴿ ولقد اخترناهم ﴾ أى اصطفيناهم وشرفناهم ﴿على علم على العالمين﴾ أى عالمى زمانهم ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعنى قريشا وأشار بهؤلاء الى تحقيرهم كانوا يقولون ليس لنا الاموتة واحدة ولا ننشر بعدها الحساب ﴿ فأتوا بآبائنا ﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين كانوا يعدونهم بالبعث أى ان صدقتم فيما تعدوننا فاحيوا لنا من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم حتى يكون ذلك دليلا على البعث فى الآخرة ﴿أهم﴾ أى قريش ﴿ خير أم قوم (٣٧) تبع ﴾ وتبع تقدم الكلام عليه ﴿وما بينهما﴾ أى من الجنسين ﴿لاعبين ﴾ أى عابثين ﴿ ما خلقناهما الا بالحق ﴾ أى بالعدل يجازى المحسن والمسيء بما أراد تعالى من ثواب وعقاب ﴿ لا يعلمون ﴾ انه تعالى خلق ذلك لذلك فهم لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا ﴿ كالمهل ﴾ دردى الزيت وقيل غير ذلك ﴿ خذوه ﴾ يقال للزبانية خذوه ﴿فاعتلوه﴾ أى سوقوه بعنف وجذب ﴿الى سواء الجحيم﴾ أى وسطه ﴿ ثم صبوا ﴾ المصبوب فى الحقيقة هو الحميم فتارة اعتبرت الحقيقة وتارة اعتبرت الاستعارة لانه اذا صب الحميم فقد صب ماتولد عنه من الألم والعذاب فعبر بالمسبب عن السبب لان العذاب هو المسبب عن الحميم ولفظة العذاب أهول وأهيب ﴿ذق﴾ أى العذاب ﴿انك أنت العزيز الكريم ﴾ وهذا على سبيل التهكم بهم والهزء بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه ﴿إن هذا﴾ أى الأمر ﴿ ما كنتم به تمترون﴾ أى تشكون ولما ذكر حال الكفار أعقب بحال المؤمنين فقال ﴿إن المتقين ﴾ الآية ﴿إلا الموتة الأولى ﴾ استثناء منقطع أى لكن الموتة الأولى ذاقوها فى الدنيا وفى ذلك تنبيه على ما أنعم به عليهم من الخلود السرمدى وتذكير لهم بمفارقة الدنيا الفانية الى هذه الدار الباقية والضمير فى يسرناه عائد على القرآن ﴿ بلسانك ﴾ أى بلغتك وهى لغة العرب ﴿ فارتقب ﴾ أى انتظر الذى وعدناك ﴿ انهم مرتقبون ﴾ فيما يظنون الدوائر عليك وفيها وعده صلى الله عليه وسلم ووعيدهم ومتاركة منسوخة بآية السيف

الارض موضع عبادته أربعين صباحا وبكى عليه السماء موضع صعود عمله قالوا فلم يكن فى قوم فرعون من هذه حاله تمثيل وما كانوا منظرين أى مؤخرين عن العذاب لما حان وقت هلاكهم بل عجل الله لهم ذلك فى الدنيا ﴿ ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين * ولقد اخترناهم على علم على العالمين * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين * إن هؤلاء ليقولون * ان هى إلا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين * فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين * يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون * الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم * إن شجرة الزقوم طعام الأثيم * كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم * خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق انك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون * إن المتقين فى مقام أمين * فى جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين * يدعون فيها بكل فاكهة آمنين * لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم * فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم * فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون * فارتقب انهم مرتقبون ﴾ لما ذكر تعالى اهلاك فرعون وقومه ذكر احسانه لبنى اسرائيل فبدأ بدفع الضرر عنهم وهو نجاتهم مما كانوا فيه من العذاب ثم ذكر اتصال النفع لهم من اختيارهم على العالمين وايتائهم الآيات والعذاب المهين قتل أبنائهم واستخدامهم فى الأعمال الشاقة * وقرأ عبد الله من العذاب المهين وهو من اضافة الموصوف الى صفته كبقلة الحمقاء ومن فرعون بدل من العذاب على حذف مضاف أى من عذاب فرعون أو لا حذف جعل فرعون نفسه هو العذاب مبالغة وقيل يتعلق بمحذوف أى كائنا وصادرا من فرعون * وقرأ ابن عباس من فرعون من استفهام مبتدأ وفرعون خبره لما وصف فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وشيطنته ثم عرف حاله فى ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين أى مرتفعا على العالم أو متكبرا مسرفا من المسرفين * ولقد اخترناهم أى اصطفيناهم وشرفناهم على علم على علم مصدر لم يذكر فاعله فقيل على علم منهم وفضل فيهم فاخترناهم للنبوات والرسالات وقيل على علم منا أى عالمين بمكان الخيرة وبانهم أحقاء بان يختاروا وقيل على علم منا بما يصدر من العدل والاحسان والعلم والايمان بانهم يزيغون وتفرط منهم الهنات فى بعض الأحوال

وقيل اخترناهم بهذا الانجاء وهذه النعم على سابق علم لنا فيهم وخصصناهم بذلك دون العالم * على العالمين أي عالمي زمانهم لان أمة محمد صلى الله عليه وسلم مفضلة عليهم وقيل على العالمين عام لكثرة الأنبياء فيهم وهذا خاص بهم ليس لغيرهم وكان الاختيار من هذه الجهة لأن أمة محمد أفضل وعلى في قوله على علم ليس معناها معنى على في قوله على العالمين ولذلك تعلقا بفعل واحد لما اختلف المدلول كقوله ويوما على ظهر الكثيب تعذرت * على وآلت حلفة لم تحلل

فعلى علم حال امامن الفاعل أومن المفعول وعلى ظهر حال من الفاعل في تعذرت والعامل في ذي الحال * وآتيناهم من الآيات أي المعجزات الظاهرة في قوم فرعون وما ابتلوا به وفي بني اسرائيل مما أنعم به عليهم من تظليل الغمام والمن والسلوى وغير ذلك مما لم يظهرها لغيرهم ما فيه بلاء أي اختبار بالنعم ظاهر أو الابتلاء بالنعم كقوله ونبلوكم بالشر والخير ان هؤلاء يعني قريشا وفي اسم الاشارة تحقير لهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى أي ما الموتة الا محصورة في موتتنا الاولى وكان قد قال تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فذكر موتتين أولى وثانية فأنكروا هم أن يكون لهم موتة ثانية والمعنى ما آخر أمرنا ومنتهى وجودنا الا عند موتتنا فيتضمن قولهم هذا انكار البعث ثم صرحوا بما تضمنه قولهم فقالوا وما نحن بمنشرين أي بمبعوثين بحياة دائمة يقع فيها حساب وثواب وعقاب وكان قولهم ذلك في معنى قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين * فأتوا بآبائنا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين كانوا يعدونهم بالبعث أي ان صدقتم فيما تقولون فأحيوا الناس من مات من أبنائنا بسؤالكم ربكم حتى يكون ذلك دليلا على البعث في الآخرة قيل طلبوا من الرسول أن يدعو الله فيحيي لهم قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة النبوة والبعث إذ كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل * أهم أي قريش خير أم قوم تبع الظاهر أن تبعا هو شخص معروف وقع التفاضل بين قومه وقوم الرسول عليه الصلاة والسلام وان كان لفظ تبع يطلق على كل من ملك العرب كما يطلق كسرى على من ملك الفرس وقيصر على من ملك الروم قيل واسمه أسعد الحميري وكنى أبا كرب وذكر أبو حاتم الرياشي انه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وروى أنه لما آمن بالمدينة كتب كتابا ونظم شعرا أما الشعر فهو

شهدت على أحمد انه * رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وأما الكتاب فروى ابن اسحق وغيره انه كان فيه أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شئ وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الاسلام فان أدركتك فبها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الأولين وتابعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الأمر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه (إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول) ويقال كان الكتاب والشعر عند أبي أيوب خالد بن زيد فلم يزل عنده حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر حتى أدوه للنبي صلى الله عليه وسلم * وعن ابن عباس كان تبع نبيا وعنه لما أقبل تبع من الشرق بعد أن حير الحيرة وسمر قند قصد المدينة وكان قد خلف بها حين سافر ابنا فقتل غيلة فأجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع واله الانصار وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال ان هؤلاء

لكرام اذجاءه كعب وأسد ابنا عم من قريظة جيران وأخبراه أنه يحال بينك و بين ما تريد فانها مهاجر نبي من قريش اسمه محمد ومولده بمكة فثناه قولهما عما كان يريد ثم دعواه الى دينهما فاتبعهما وأكرمهما وانصرفوا عن المدينة ومعهم نفر من اليهود فقال له في الطريق نفر من هذيل بدلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة بمكة وأرادت هذيل هلاكه لانهم عرفوا أنه ما أراده أحد بسوء الا هلك فذكر ذلك للحبرين فقالوا ما نعلم لله بيتا في الأرض غير هذا فاتخذه مسجدا وانسك عنده واحلق رأسك وما أراد القوم إلا هلاكك فأكرمه وكساه وهو أول من كسا البيت وقطع أيدي أولئك النفر من هذيل وأرجلهم وسمر أعينهم وصلبهم * وقال قوم ليس المراد بتبع رجلا واحدا إنما المراد ملوك اليمن وكانوا يسمون التبابعة والذي يظهر أنه أراد واحدا من هؤلاء تعرفه العرب بهذا الاسم أكثر من معرفة غيره به * وفي الحديث لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا فهذا يدل على أنه واحد بعينه * قال الجوهري التبابعة ملوك اليمن والتبع الظل والتبع ضرب من الطير * وقال أبو القاسم السهيلي تبع لكل ملك اليمن والشحر حضرموت وملك اليمن وحده لا يسمى تبعا قاله المسعودي والخيرية الواقعة فيها التفاضل وكلا الصنفين لا خير فيهم هي بالنسبة للقوة والمنعة كما قال أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون في تفسير ابن عباس أهم أشد أم قوم تبع واضافة قوم إلى تبع دليل على انه لم يكن منهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين اخبار عما فعل تعالى بهم وتنبيه على أن علة الاهلاك هي الاجرام وفي ذلك وعيد لقريش وتهديد أن يفعل بهم ما فعل بقوم تبع ومن قبلهم من مكذبي الرسل لاجرامهم ثم ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث وهو خلق العالم بالحق * وقرأ الجمهور وما بينهما من الجنسين وعبيد بن عمير وما بينهن لاعبين * قال مقاتل عابثين ما خلقناهما إلا بالحق أي بالعدل يجازي المحسن والمسيء بما أراد تعالى من ثواب وعقاب ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه تعالى خلق ذلك فهم لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا * وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان والخبر يوم الفصل أي ان يوم الفصل ميعادهم وجزاؤهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيأ يعم جميع الموالي من القرابة والعتاقة والصلة شيأ من اغناء أي قليلا منه ولا هم ينصرون جمع لان عن مولى في سياق النفي فيعم فعاد على المعنى لا على اللفظ * إلا من رحم الله قال الكسائي من رحم منصوب على الاستثناء المنقطع أي لكن من رحمه الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه من لغيهم من المخلوقين قيل و يجوز أن يكون الاستثناء متصلا أي لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض * وقال الحوفي و يجوز أن يكون بدلا من مولى المرفوع و يكون يغني بمعنى ينفع * وقال الزمخشري من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لا يمنع من العذاب الا من رحم الله * وقاله الحوفي قبله إنه هو العزيز الرحيم لا ينصر من عصاه الرحيم لمن أطاعه ومن عفا عنه * إن شجرة الزقوم قرئ بكسر الشين وتقدم الكلام فيها في سورة الصافات طعام الأثيم صفة مبالغة وهو الكثير الآثام و يقال له أثوم صفة مبالغة أيضا وفسر بالمشرك * وقال يحيى بن سلام المكتسب للاثم وعن ابن زيد ان الأثيم هنا هو أبو جهل وقيل الوليد * كالمهل هو دردي الزيت أو مذاب الفضة أو مذاب النحاس أو عكر القطران أو الصديد أولها لابن عمر وابن عباس وآخرها لابن عباس * وقال الحسن كالمهل بفتح الميم لغة فيه وعن ابن مسعود وابن عباس أيضا المهل ما أذيب من ذهب أو فضة أو حديد أو رصاص * وقرأ مجاهد وقتادة والحسن والابنان وحفص يغلي بالياء أي الطعام وعمرو بن ميمون وأبو رزين والاعرج وأبو جعفر وشيبة

وابن محيصن وطلحة والحسن فى رواية وباقى السبعة تغلى بالتاء أى الشجرة كغلى الحميم وهو الماء المسخن الذى يتطاير من غليانه * خذوه فاعتلوه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه أى سوقوه بعنف وجذب * وقال الأعمش معنى اعتلوه اقصفوه كما يقصف الحطب الى سواء الجحيم * قال ابن عباس وسطها * وقال الحسن معظمها * وقرأ الجمهور فاعتلوه بكسر التاء وزيد بن على والابنان ونافع بضمها والخلاف عن الحسن وقتادة والأعرج وأبى عمرو * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم وفى الحج يصب من فوق رؤسهم الحميم والمصبوب فى الحقيقة هو الحميم فتارة اعتبرت الحقيقة وتارة اعتبرت الاستعارة لانه أذم من الحميم فقد صب ما تولد عنه من الآلام والعذاب فعبر بالمسبب عن السبب لان العذاب هو المسبب عن الحميم ولفظة العذاب أهول وأهيب * ذق أى العذاب إنك أنت العزيز الكريم وهذا على سبيل التهكم والهزء لمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وعن قتادة انه لما نزلت إن شجرة الزقوم طعام الأثيم قال أبو جهل أتهددنى يا محمد وان ما بين لابتيها أعز منى ولا أكرم فنزلت هذه الآية وفى آخرها ذق إنك أنت العزيز الكريم أى على قولك وهذا كما قال جرير

ألم تكن فى رسوم قد رسمت بها * من كان موعظة يازهرة اليمن

يقولها لشاعر سمى نفسه به فى قوله

أبلغ كليبا وأبلغ عنك شاعرها * إنى الأعز وإنى زهرة اليمن

فجاء به جرير على جهة الهزء وقرئ إنك بكسر الهمزة * وقرأ الحسن بن على بن أبى طالب على المنبر والكسائى بفتحها ان هذا أى الامر أو العذاب ما كنتم به تمترون أى تشكون ولما ذكر حال الكفار أعقبه بحال المؤمنين فقال إن المتقين فى مقام أمين * وقرأ عبد الله بن عمر وزيد بن على وأبو جعفر وشيبة والاعرج والحسن وقتادة ونافع وابن عامر فى مقام بضم الميم وأبو رجاء وعيسى ويحيى والاعمش وباقى السبعة بفتحها ووصف المقام بالامين أى يؤمن فيه من الغير فكأنه فعيل بمعنى مفعول أى مأمون فيه قاله ابن عطية * وقال الزمخشرى الامين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كان يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره وتقدم شرح السندس والاستبرق * وقرأ ابن محيصن واستبرق جعله فعلا ماضيا * متقابلين وصف لمجالس أهل الجنة لا يستدبر بعضهم بعضا فى المجالس كذلك أى الامر كذلك وقرأ الجمهور بحور منونا وعكرمة بغير تنوين لان العين تقسمن الى حور وغير حور فهؤلاء من حور العين لا من شهلن مثلا يدعون فيها أى الخدم والمنصرفين عليهم بكل فاكهة أرادوا احضارها لديهم آمنين من الأمراض والتخم * لا يذوقون فيها الموت * وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون مبنيا للمفعول الا الموتة الأولى هذا استثناء منقطع أى لكن الموتة الأولى ذاقوها فى الدنيا وذلك تنبيه على ما أنعم به عليهم من الخلود السرمدى وتذكيرلهم بمفارقة الدنيا الفانية الى هذه الدار الباقية * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفى (قلت) أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الأولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل فانهم يذوقونها * وقال ابن عطية قدر قوم الا بسوى وضعف ذلك الطبرى وقدرها ببعد وليس تضعيفه بصحيح بل يصح المعنى بسوى ويتسق وأما معنى الآية فتبين أنه نفى عنهم ذوق الموت وأنه لا ينالهم من ذلك غير ما تقدم فى الدنيا * وقرأ أبو حيوة ووقاهم مشددا بالقاف والضمير فى يسرناه عائد على القرآن وبلسانك بلغتك وهى لغة العرب

﴿سورة الجاثية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض﴾ لآية هذه السورة مكية وقيل الاقوله قل للذين آمنوا الآية فمدني ومناسبة أولها لآخر ماقبلها في غاية الوضوح قال تعالى فانما يسرناه بلسانك وقال حم تنزيل الكتاب ان في السموات والأرض ذكر تعالى في البقرة ثمانية دلائل وهنا ستة ثم لم يذكر الفلك والسحاب والسبب في ذلك أن مدار الحركة الفلك والسحاب على الرياح المختلفة بذكر الرياح وهناك جعل مقطع الثمانية واحدا وهنا رتبها على مقاطع ثلاثة يؤمنون يوقنون يعقلون وأظن سبب هذا الترتيب ان كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان لم تكونوا مؤمنين ولا موقنين فلا أقل أن تكونوا من العاقلين فاجتهدوا وقال هناك ان في خلق السموات وهنا في السموات فدل على ان الخلق عين المخلوق وهو الصحيح ولا تفاوت بين ان يقال ان في السموات أو في خلق السموات قال الزمخشري أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في وآيات والجر في واختلاف انتهى فنسبة عمل الجر والنصب والجر والرفع للواو ليس بصحيح لأن الصحيح من المذاهب ان حروف العطف لا تعمل ومن منع العطف على مذهب الأخفش أضمر حرف الجر بعد وفي اختلاف فالعمل للحرف مضمر أونابت الواو مناب عامل واحد ويدل على ان في مقدرة قراءة  عبد الله وفي اختلاف مصرحا بفي وحسن حذف في تقدمها في قوله وفي خلقكم ﴿تلك آيات الله﴾ أي تلك الآيات وهي الدلائل المذكورة ﴿نتلوها﴾ أي نسردها عليك ملتبسة بالحق ونتلوها في موضع الحال أي متلوة قال الزمخشري والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلي شيخا انتهى ليس نحوه لأن في وهذا حرف تنبيه وقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه أي

 تنبه وأما تلك فليس فيها حرف التنبيه فاذا كان حرف التنبيه عاملا بما فيه من معنى التنبيه لأن الحرف قد يعمل في الحال فالمعنى تنبه لزيد في حال شيخه أو في حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف يدل عليه المعنى أي انظر اليه في حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه ان كان هناك قال الزمخشري بعد الله وآياته أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد انتهى ليس هذا بشئ لأن فيه من حيث المعنى اقحام الاسماء من غير ضرورة والعطف والمراد غير العطف من اخراجه الى باب البدل لان تقدير كرم زيد انما يكون في أعجبني زيد كرمه بغير واو على البدل وهذا قلب لحقائق النحو وانما المعنى في أعجبني زيد وكرمه ان ذات زيد أعجبته وأعجبه كرمه فهما اعجابان لا اعجاب واحد وقد رددنا عليه مثل هذا فيما تقدم ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ قيل نزلت في النضر بن الحارث وغيره وما كان يشترى من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله تعالى وأفاك أثيم صفتا مبالغة وألفاظ هذه الآية تقدم الكلام عليها والاشارة باولئك الى كل أفاك لشموله الأفاكين حمل أولا على لفظ كل فأفرد ثم على المعنى فجمع كقوله كل حزب بما لديهم فرحون ﴿من ورائهم جهنم﴾ أي من قدامهم والوراء ماتوارى من خلف وأمام ﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾ من الاموال في متاجرهم ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله﴾ من الأوثان ﴿هذا﴾ أي القرآن ﴿هدى﴾

---

* فارتقب النصر الذي وعدناك إنهم مرتقبون فيما يظنون الدوائر عليك وفيها وعد له عليه السلام ووعيد لهم ومتاركة منسوخة بآيات السيف

﴿سورة الجاثية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون * ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم * واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين * من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم * هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم *

الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون * من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون * ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ هذه السورة مكية قال ابن عطية بلا خلاف وذكر الماوردي الاقل للذين آمنوا يغفروا الآية فمدنية نزلت في عمر بن الخطاب * قال ابن عباس وقتادة وقال النحاس والمهدوي عن ابن عباس نزلت في عمر شتمه مشرك بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فنزلت * ومناسبة أولها لآخر ما قبلها في غاية الوضوح قال فانما يسرناه بلسانك وقال حم تنزيل الكتاب وتقدم الكلام على تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم أول الزمر * وقال أبو عبد الله الرازي وقوله العزيز الحكيم يجوز جعله صفة لله فيكون ذلك حقيقة وان جعلناه صفة للكتاب كان ذلك مجازا والحقيقة أولى من المجاز مع أن زيادة القرب توجب الرجحان انتهى وهذا الذي ردد في قوله وان جعلناه صفة للكتاب لا يجوز لو كان صفة للكتاب لوليه فكان يكون التركيب تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله لان من الله إما أن يكون متعلقا بتنزيل وتنزيل خبر لحم أو لمبتدأ محذوف فلا يجوز الفصل به بين الصفة والموصوف لا يجوز أعجبني ضرب زيد سوط الفاضل أو في موضع الخبر وتنزيل مبتدأ فلا يجوز الفصل بين الصفة والموصوف أيضا لا يجوز ضرب زيد شديد الفاضل والتركيب الصحيح في نحو هذا أن يلي الصفة موصوفها ان في السموات والأرض احتمل أن يريد في خلق السموات كقوله وفي خلقكم والظاهر أنه لا يراد التخصيص بالخلق بل في السموات والارض على الاطلاق والعموم أي في أي شيء نظرت منهما من خلق وغيره من تسخير وتنوير وغيرهما الآيات لم يأت بالآيات مفصلة بل أتى بها مجملة احالة على غوامض يثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع وجعلها للمؤمنين اذ في ضمن الايمان العقل والتصديق وما يبث من دابة أي في غير جنسكم وهو معطوف على وفي خلقكم ومن أجاز العطف على الضمير المخفوض من غير اعادة الخافض أجاز في وما يبث أن يكون معطوفا على الضمير في خلقكم وهو مذهب الكوفيين ويونس والأخفش وهو الصحيح واختاره الاستاذ أبو علي الشلوبين * وقال الزمخشري يقبح العطف عليه وهذا تفريع على مذهب سيبويه وجمهور البصريين قال وكذلك أن أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد انتهى وهذا يجيزه الجرمي والزيادي في الكلام وقال لقوم يوقنون وهم الذين لهم نظر يؤديهم الى اليقين * واختلاف الليل والنهار تقدم الكلام على نظيره في سورة البقرة * وقرأ الجمهور آيات جمعا بالرفع فيهما والأعمش والجحدري وحمزة والكسائي ويعقوب بالنصب فيهما وزيد بن علي برفعهما على التوحيد * وقرأ أبي وعبد الله لآيات فيهما كالاولى فأما آيات لقوم يعقلون رفعا ونصبا فاستدل

أي بالغ في الهداية كقولك هذا رجل أي كامل في الرجولية ﴿ الله الذي سخر ﴾ هذه آية اعتبار قال الزمخشري ويجوز ان يكون يعني منه خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وأن يكون وما في الارض مبتدأ ومنه خبره انتهى لا يجوز هذان الوجهان الا على قول الاخفش لأن جميعا اذ ذاك حال والعامل فيها معنوي وهو الجار والمجرور فهو نظير زيد قائما في الدار لا يجوز على مذهب الجمهور وقرئ ليجزي مبنيا للفاعل أي ليجزي الله وقرئ بالنون أي لنجزي نحن وبالياء مبنيا للمفعول والأحسن ان يكون المفعول الذي لم يسم فاعله ضمير المصدر أي ليجزي هو أي الجزاء وينتصب قوما باضمار فعل يدل عليه ما قبله تقديره يجزي قوما ﴿ فما اختلفوا ﴾ تقدم الكلام عليه

( الدر )

﴿ سورة الجاثية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ش) أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في وآيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف انتهى (ح) نسبة عمل الجر والنصب والجر والرفع للواو ليس بصحيح لان الصحيح من المذاهب ان حرف العطف لا يعمل ومن منع العطف على مذهب الأخفش أضمر حرف الجر وقدر وفي اختلاف فالعمل للحرف مضمرا ونابت الواو مناب عامل واحد ويدل على أن في مقدرة قراءة عبد الله وفي اختلاف مصرحا بفي وحسن حذف في تقدمها في قوله وفي خلقكم

به وشبهه مما جاء فى كلام الاخفش ومن أخذ بمذهبه على عطف معمولى عاملين بالواو وهى مسألة فيها أربعة مذاهب ذكرناها فى كتاب التذييل والتكميل لشرح التسهيل فأما ما يخص هذه الآية فمن نصب آيات بالواو وعطفت واختلاف على المجرور بفى قبله وهو وفى خلقكم وما يبث وعطف آيات على آيات ومن رفع فكذلك والعاملان أولاهما إن وفى وثانيهما الابتداء وفى * وقال الزمخشرى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر واختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت والعاملان الابتداء وفى عملت الرفع للواو وليس بصحيح لان الصحيح من المذاهب أن حرف العطف لا يعمل ومن منع العطف على مذهب الاخفش أضمر حرف الجر فقدر وفى اختلاف فالعمل للحرف مضمرا ونابت الواو مناب عامل واحد ويدل على أن فى مقدرة قراءة عبد الله وفى اختلاف مصرحا وحسن حذف فى تقدمها فى قوله وفى خلقكم وخرج أيضا النصب فى آيات على التوكيد لآيات المتقدمة ولاضمار حرف فى وقرئ واختلاف بالرفع على خبر مبتدأ محذوف أى هى آيات ولاضمار حرف أيضا * وقرأوا اختلاف الليل والنهار آية بالرفع فى اختلاف وفى آية موحدة وكذلك وما يبث من دابة * وقرأ زيد بن على وطلحة وعيسى وتصريف الرياح * وقال الزمخشرى والمعنى أن المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفى خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم * وقال أبو عبد الله الرازى ذكر فى البقرة ثمانية دلائل وهنا ستة لم يذكر الفلك والسحاب والسبب فى ذلك ان مدار الحركة للفلك والسحاب على الرياح المختلفة فذكر الرياح وهناك جعل مقطع الثمانية واحدا وهنا رتبها على مقاطع ثلاثة يؤمنون يوقنون يعقلون * قال وأظن سبب هذا الترتيب إن كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدلائل فان لم تكونوا مؤمنين ولا موقنين فلا أقل أن تكونوا من العاقلين فاجتهدوا وقال هناك ان فى خلق السموات وهنا فى السموات فدل على ان الخلق غير المخلوق وهو الصحيح عند أصحابنا ولا تفارق بين أن يقال فى السموات وفى خلق السموات انتهى وفيه تلخيص وتقديم وتأخير * تلك آيات الله أى تلك الآيات وهى الدلائل المذكورة نتلوها أى نسردها عليك ملتبسة بالحق ونتلوها فى موضع الحال أى متلوة * قال الزمخشرى والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلى شيخا انتهى وليس نحوه لان فى وهذا حرف تنبيه وقيل العامل فى الحال ما دل عليه حرف التنبيه أى تنبه وأما تلك فليس فيها حرف تنبيه عاملا بما فيه من معنى التنبيه لان الحرف قد يعمل فى الحال تنبه لزيد فى حال شيخه وفى حال قيامه وقيل العامل فى مثل هذا التركيب فعل محذوف يدل عليه المعنى أى انظر اليه فى حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه ان كان هناك * وقال ابن عطية نتلوها فيه حذف مضاف أى نتلو شأنها وشرح العبرة بها ويحتمل أن يريد بآيات الله القرآن المنزل فى هذه المعانى فلا يكون فى نتلوها حذف مضاف انتهى ونتلوها معناه يأمر الملك ان نتلوها * وقرئ يتلوها بياء الغيبة عائدا على الله وبالحق بالصدق لان صحتها معلومة بالدلائل العقلية * فبأى حديث الآية فيه تقريع وتوبيخ وتهديد بعد الله أى بعد حديث الله وهو كتابه وكلامه كقوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها وقال

( الدر )

(ش) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلى شيخا انتهى (ح) ليس نحوه لان فى وهذا حرف تنبيه وقيل العامل فى الحال ما دل عليه حرف التنبيه أى تنبه وأما تلك فليس فيها حرف تنبيه فاذا كان حرف التنبيه عاملا بما فيه من معنى التنبيه لان الحرف قد يعمل فى الحال فالمعنى تنبه لزيد فى حال شيخه أو فى حال قيامه وقيل العامل فى مثل هذا التركيب فعل محذوف يدل عليه المعنى أى انظر اليه فى حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه ان كان هناك

فبأي حديث بعده يؤمنون أي بعد حديث الله وكلامه * وقال الضحاك بعد توحيد الله * وقال الزمخشري بعد الله وآياته أي بعد آيات الله كقولهم أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد انتهى وهذا ليس بشئ لان فيه من حيث المعنى اقحام الاسماء من غير ضرورة والعطف والمراد غير العطف من اخراجه الى باب البدل لان تقدير كرم زيد انما يكون في أعجبني زيد كرمه بغير واو على البدل وهذا قلب لحقائق النحو وانما المعنى في أعجبني زيد وكرمه ان ذات زيد أعجبته وأعجبه كرمه فهما اعجابان لا اعجاب واحد وقد رددنا عليه مثل قوله هذا فيما تقدم * وقرأ أبو جعفر والاعرج وشيبة وقتادة والحرميان وأبو عمرو وعاصم في رواية يؤمنون بالياء من تحت والأعمش وباقي السبعة بتاء الخطاب وطلحة توقنون بالتاء من فوق والقاف من الايقان * ويل لكل أفاك أثيم قيل نزلت في أبي جهل وقيل في النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فيمن كان مضار الدين الله وأفاك أثيم صفتا مبالغة وألفاظ هذه الآية تقدم الكلام عليها * وقرأ الجمهور علم وقتادة ومطر الوراق بضم العين وشد اللام مبنيا للمفعول أي عرف * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى ثم في قوله ثم يصير مستكبرا (قلت) كمعناه في قول القائل * يرى غمرات الموت ثم يزورها * وذلك بان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار منها واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها بعدما رآها وعاينها شئ يستبعد في العادة والطباع وكذلك آيات الله الواضحة القاطعة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بها اتخذها هزوا ولم يقل اتخذه اشعارا بانه اذا أحس بشئ من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه * وقال الزمخشري ويحتمل واذا علم من آياتنا شيأ يمكن أن يتشبث به المعاند ويجعله محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسي بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة انتهى وعتبة جارية كان أبو العتاهية يهواها وينتسب بها والاشارة بأولئك الى كل أفاك لشموله الافاكين حمل أولا على لفظ كل وأفرد على المعنى فجمع كقوله كل حزب بما لديهم فرحون * من ورائهم جهنم أي من قدامهم والوراء ماتوارى من خلف وامام ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ من الأموال في متاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الأوثان * هذا أي القرآن هدى أي بالغ في الهداية كقولك هذا رجل أي كامل في الرجولية * وقرأ طلحة وابن محيصن وأهل مكة وابن كثير وحفص أليم بالرفع نعتا للعذاب والحسن وأبو جعفر وشيبة وعيسى والأعمش وباقي السبعة بالجر نعتا لرجز * الله الذي سخر الآية آية اعتبار في تسخير هذا المخلوق العظيم والسفن الجارية فيه بهذا المخلوق الحقير وهو الانسان بأمره أي بقدرته أناب الأمر مناب القدرة كأنه يأمر السفن أن تجري من فضله بالتجارة وبالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والهواء والأملاك الموكلة بهذا كله وما في الأرض من البهائم والمياه والجبال والنبات * وقرأ الجمهور منه وابن عباس بكسر الميم وشد النون ونصب

( الدر )

(ش) بعد الله وآياته أي بعد ايات الله كقولهم أعجبني كرم زيد انتهى (ح) هذا زيد وكرمه يريدون أعجبني ليس بشئ لان فيه من حيث المعنى اقحام الاسماء من غير ضرورة والعطف والمراد غير العطف من اخراجه الى باب البدل لان تقدير كرم زيد انما يكون في أعجبني زيد كرمه من غير واو على البدل وهذا قلب لحقائق النحو وانما المعنى في أعجبني زيد وكرمه أن زيدا قد أعجبه وأعجبه كرمه فهما اعجابان لا اعجاب واحد وقد رددنا عليه مثل هذا فيما تقدم

التاء على المصدر * قال أبو حاتم نسبة هذه القراءة الى ابن عباس ظلم وحكاها أبو الفتح عن ابن عباس
وعبد الله بن عمر والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وحكاها أيضا عن هؤلاء الأربعة صاحب
اللوامح وحكاها ابن خالويه عن ابن عباس وعبيد بن عمير * وقرأ سلمة بن محارب كذلك الا انه ضم
التاء أي هو منه وعنه أيضا فتح الميم وشد النون وهاء الكناية عائد على الله وهو فاعل سخر على الاسناد
المجازي أو على انه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك أو هو منه والمعنى على قراءة الجمهور انه سخر هذه الأشياء
كائنة منه وحاصلة عنده اذ هو موجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه * وقال الزمخشري ويجوز
أن يكون يعني منه خبر مبتدأ محذوف تقديره هي جميعا منه وأن يكون وما في الارض مبتدأ ومنه خبره
انتهى ولا يجوز هذان الوجهان الا على قول الاخفش لان جميعا اذ ذاك حال والعامل فيها معنوي
وهو الجار والمجرور فهو نظير زيد قائما في الدار ولا يجوز على مذهب الجمهور * قل للذين
آمنوا يغفروا نزلت في صدر الاسلام أمر المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار وأن لا يعاقبوهم
بذنب بل يصبرون لهم قاله السدي ومحمد بن كعب * قيل وهي محكمة والأكثر على انها منسوخة
بآية السيف * يغفروا في جزمه أوجه للنحاة تقدمت في قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة
في سورة ابراهيم لا يرجون أيام الله أي وقائعه بأعدائه ونقمته منهم * وقال مجاهد وقيل أيام انعامه
ونصره وتنعيمه في الجنة وغير ذلك * وقيل لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين
ووعدهم الفوز * قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وتقدم قول ابن عباس أنها نزلت في عمر
ابن الخطاب قيل سبه رجل من الكفار فهم أن يبطش به * وقرأ الجمهور ليجزي الله وزيد بن علي
وأبو عبد الرحمن والأعمش وأبو علية وابن عامر وحمزة والكسائي بالنون وشيبة وأبو جعفر بخلاف
عنه بالياء مبنيا للمفعول * وقد روي ذلك عن عاصم وفيه حجة لمن أجاز بناء الفعل للمفعول على أن
يقام المجرور وهو بما وينصب المفعول به الصريح وهو قوما ونظيره ضرب بسوط زيدا ولا يجيز
ذلك الجمهور وخرجت هذه القراءة على أن يكون بني الفعل للمصدر أي وليجزى الجزاء قوما وهذا
أيضا لا يجوز عند الجمهور لكن يتأول على أن ينصب بفعل محذوف تقديره يجزي قوما فيكون
جملتان احداهما ليجزي الجزاء قوما والأخرى يجزيه قوما وقوما هنا يعني به الغافرين ونكره على
معنى التعظيم لشأنهم كأنه قيل قوما أي قوم من شأنهم التجاوز عن السيئات والصفح عن المؤذيات
وتحمل الوحشة * وقيل هم الذين لا يرجون أيام الله أي بما كانوا يكسبون من الاثم كأنه قيل لم
تكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن * من عمل صالحا كهؤلاء الغافرين ومن أساء كهؤلاء الكفار
وأتى باللام في فلنفسه لان المحاب والحظوظ تستعمل فيها على الدالة على العلو والقهر كما تقول
الأمور لزيد متأتية وعلى عمرو مستصعبة والكتاب التوراة والحكم القضاء وفصل الأمور لان
الملك كان فيهم * قيل والحكم الفقه ويقال لم يتسع فقه الأحكام على نبي كما اتسع على لسان موسى
من الطيبات المستلذات الحلال وبذلك تتم النعمة وذلك المن والسلوى وطيبات الشام إذ هي
الأرض المباركة * بينات أي دلائل واضحة من الأمر أي من الوحي الذي فصلت به الأمور * وعن
ابن عباس من الأمر أي من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وانه يهاجر من تهامة الى يثرب * وقيل
معجزات موسى فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم تقدم تفسيره في شورى ﴿ ثم
جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله
شيأ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين * هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم

﴿ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها﴾ الآية لما ذكر تعالى انعامه على بني اسرائيل واختلافهم بعد ذلك ذكر حال نبيه صلى الله عليه وسلم وما من به عليه من اصطفائه فقال ثم جعلناك على شريعة من الامر قيل الشريعة هي الامر والنهي والحدود والفرائض ﴿هذا بصائر﴾ أي هذا القرآن جعل ما فيه من معالم الدين بصائر للقلوب كما جعل روحا وحياة وقرئ هذه أي هذه الآيات

( الدر )

(ش) ويجوز أن يكون يعني منه خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وان يكون وما في الأرض مبتدأ ومنه خبره انتهى (ح) ولا يجوز هذان الوجهان الا على قول الاخفش لان جميعا اذ ذاك حال والعامل فيها معنوي وهو الجار والمجزور فهو نظير زيد قائما في الدار ولا يجوز على مذهب الجمهور

﴿أم حسب﴾ أم منقطعة تتقدر ببل والهمزة وهو استفهام انكار قال الكلبي نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحرث قال شيبة والوليد بن عتبة وعتبة قالوا للمؤمنين والله ماأنتم على شئ ولئن كان ماتقولون حقا لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا واجترحوا اكتسبوا والسيئات هنا سيئات الكفر ونجعلهم نصيرهم والمفعول الثاني هو كالذين وبه تمام المعنى واحتمل الضمير في محياهم ومماتهم أن يعود على الذين اجترحوا أخبر أن حالهم في الزمانين سواء وان يعود على المجترحين والصالحين بمعنى أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء في الكرامة عند الله تعالى ومحيا المجترحين ومماتهم سواء في اهانتهم عند الله تعالى وعدم كرامتهم عليه ويكون اللفظ قد لف هذا المعنى وذهن السامع يفصله اذ قد تقدم ابعاد الله أن يجعل هؤلاء كهؤلاء قال الزمخشري والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد ألا تراك لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق انتهى هذا الذي ذهب اليه الزمخشري من ابدال الجملة من المفرد قد أجازه أبو الفتح واختاره ابن مالك وأما تجويزه أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم فيظهر لي انه لا يجوز لانها بمعنى التصيير ولا يجوز صيرت زيدا غلامه منطلق ولا صيرت زيدا أبوه قائم لان التصيير انتقال من ذات الى ذات او من وصف في الذات الى وصف فيها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول صيرت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا يجوز والذي يظهر لي انا اذا قلنا بتشبث هذه الجملة بما قبلها أن تكون الجملة في موضع الحال والتقدير أم حسب الكفار أن نصيرهم مثل المؤمنين في حال استواء محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم يفترقون أي افتراق في الحالين وتكون هذه الحال مبينة ما انبهم في المثلية الدالة عليها الكاف ﴿أفرأيت﴾ قال مقاتل نزلت في الحرث بن قيس وأفرأيت هي بمعنى أخبرني والمفعول الاول هو من اتخذ والثاني محذوف تقديره بعد الصلاة التي لمن أي أيهتدي ويدل عليه قوله بعد فمن يهديه من بعد الله أي لا أحد يهديه من بعد اضلال الله اياه ﴿من اتخذ إلهه هواه﴾ أي هو مطاوع لهوى نفسه يتبع ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه ﴿وأضله الله على علم﴾ أي من الله تعالى سابق أو على علم من هذا الضال بان الحق هو الدين ويعرض عنه عنادا فيكون كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والظاهر أن قولهم نموت ونحيا حكم على النوع بجملته من غير اعتبار تقديم ولا تأخير أي تموت طائفة وتحيا طائفة وان المراد بالموت مفارقة الروح للجسد وجواب اذا ما كان حجتهم لان اذا للاستقبال وخالفت أدوات الشرط بان جوابها اذا كان منفيا بما لم تدخل الفاء بخلاف أدوات الشرط فلابد من الفاء تقول ان تزرنا فما جفوتنا أي فما تجفونا وفي كون الجواب منفيا بما دليل على ما اخترناه من ان جواب اذا لا يعمل فيها لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها

يوقنون * أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون * أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون * وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون * واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين * قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ لما ذكر تعالى إنعامه على بني اسرائيل واختلافهم بعد ذلك ذكر حال نبيه عليه الصلاة والسلام وما من به عليه من اصطفائه فقال ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء * قال قتادة الشريعة الأمر والنهي والحدود والفرائض * وقال مقاتل البينة لانها طريق الى الحق * وقال الكلبي السنة لانه كان يستن بطريقة من قبله من الأنبياء * وقال ابن زيد الدين لانه طريق الى النجاة والشريعة في كلام العرب الموضع الذي يرد فيه الناس في الأنهار والمياه * ومنه قول الشاعر

وفي الشرائع من جيلان مقتنص * رب الثياب خفي الشخص منسرب

فشريعة الدين من ذلك من حيث يرد الناس أمر الله ورحمته والقرب منه من الأمور التي من دين الله الذي بعثه في عباده في الزمان السالف أو يكون مصدر أمر أي من الأمر والنهي وسمي النهي أمرا * أهواء الذين لا يعلمون * قيل جهال قريظة والنضير * وقيل رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك * هذا بصائر أي هذا القرآن جعل ما فيه من معالم الدين بصائر للقلوب كما جعل روحا وحياة * وقرئ هذى أي هذه الآيات * أم حسب أم منقطعة تتقدر ببل والهمزة وهو استفهام

انكار * وقال الكلبي نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا للمؤمنين والله ما أنتم على شيء ولئن كان ما تقولون حقا لحالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا واجترحوا اكتسبوا والسيئات هنا سيئات الكفر ونجعلهم نصيرهم والمفعول الثاني هو كالذين وبه تمام المعنى * وقرأ الجمهور سواء بالرفع ومماتهم بالرفع أيضا وأعربوا سواء مبتدا وخبره ما بعده ولا مسوغ لجواز الابتداء به بل هو خبر مقدم وما بعده المبتدا والجملة خبر مستأنف واحتمل الضمير في محياهم ومماتهم أن يعود على الذين اجترحوا أخبر أن حالهم في الزمانين سواء وأن يعود على المجترحين والصالحين بمعنى أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء في اهانتهم عند الله وعدم كرامتهم عليه ويكون اللفظ قد لف هذا المعنى وذهن السامع يفرقه إذ قد تقدم ابعاد الله أن يجعل هؤلاء كهؤلاء * قال أبو الدرداء يبعث الناس على ما ماتوا عليه * وقال مجاهد المؤمن يموت مؤمنا ويبعث مؤمنا والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا * وقال ابن عطية مقتضى هذا الكلام أنه لفظ الآية ويظهر لي أن قوله سواء محياهم ومماتهم داخل في الحسبة المنكرة السيئة وهذا احتمال حسن والأول أيضا أجود انتهى ولم يبين كيفية تشبث الجملة بما قبلها حتى يدخل في الحسبة * وقال الزمخشري والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لأن الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق انتهى وهذا الذي ذهب إليه الزمخشري من ابدال الجملة من المفرد قد أجازه أبو الفتح واختاره ابن مالك وأورد على ذلك شواهد على زعمه ولا يتعين فيها البدل * وقال بعض أصحابنا وهو الامام العالم ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن علي الاشبيلي ويعرف بابن العلج وكان ممن أقام باليمن وصنف بها قال في كتابه البسيط في النحو ولا يصح أن يكون جملة معمولة للأول في موضع البدل كما كان في النعت لانها تقدر تقدير المشتق تقدير الجامد فيكون بدلا فيجتمع فيه تجوزان ولان البدل يعمل فيه العامل الأول فيصح أن يكون فاعلا والجملة لا تكون في موضع الفاعل بغير سائغ لانها لا تضمر فان كانت غير معمولة فهل تكون جملة لا يبعد عندي جوازها كما يتبع في العطف الجملة للجملة ولتأكيد الجملة التأكيد اللفظي انتهى وتبين من كلام هذا الامام انه لا يجوز أن تكون الجملة بدلا من المفرد وأما تجويز الزمخشري أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم فيظهر لي انه لا يجوز لانها بمعنى التصيير لا يجوز صيرت زيدا أبوه قائم ولا صيرت زيدا غلامه منطلق لان التصيير انتقال من ذات الى ذات أو من وصف في الذات الى وصف فيها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول صيرت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا يجوز والذي يظهر لي انه اذا قلنا بتشبث الجملة بما قبلها أن تكون الجملة في موضع الحال والتقدير أم حسب الكفار أن نصيرهم مثل المؤمنين في حال استواء محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم مفترقون أي افتراق في الحالتين وتكون هذه الحال مبينة ما انبهم في المثلية الدال عليها الكاف التي هي في موضع المفعول الثاني * وقرأ زيد بن علي وحمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب وما بعده مرفوع على الفاعلية أجري سواء مجرى مستويا كما قالوا مررت برجل سواء هو والعدم وجوز في انتصاب سواء وجهين أحدهما أن يكون منصوبا على الحال وكالذين المفعول الثاني والعكس * وقرأ الأعمش سواء بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب أيضا وخرج على أن يكون محياهم ومماتهم ظرفي زمان والعامل إما أن نجعلهم وإما سواء وانتصب على البدل من مفعول نجعلهم والمفعول الثاني سواء



(ش) والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد ألا تراك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق انتهى (ح) هذا الذي ذهب اليه (ش) من ابدال الجملة من المفرد قد أجازه أبو الفتح واختاره ابن مالك وأورد على ذلك شواهد على زعمه ولا يتعين فيها البدل وقال بعض أصحابنا وهو الامام ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاشبيلي ويعرف بابن العلج وكان ممن أقام باليمن وصنف بها قال في كتابه البسيط في النحو لا يصح أن تكون جملة معمولة للاول في موضع البدل كما كان في النعت لانها تقدر تقدير المشتق تقدير المشتق وتقدير الجامد فيكون بدلا فيجتمع فيه تجوز ان ولان البدل يعمل فيه العامل الاول فيصح أن يكون فاعلا والجملة لا تكون في موضع الفاعل بغير سائغ لانها لا تضمر فان كانت غير معمولة فهل تكون جملة بدلا من جملة لا يتعين عندي جوازها كما يتبع في

أى ان يجعل محياهم ومماتهم سواء * وقال الزمخشرى ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا ممانا لافتراق أحوالهم وتمثيله بقوله وخفوق النجم ليس بجيد لأن خفوق مصدر ليس على مفعل فهو فى الحقيقة على حذف مضاف أى وقت خفوق النجم بخلاف محيا ومماة ومقدم فانها تستعمل بالوضع مصدرا واسم زمان واسم مكان فاذا استعملت اسم مكان أو اسم زمان لم يكن ذلك على حذف مضاف قامت هذه مقامه لأنها موضوعة للزمان وللمكان كما وضعت للمصدر فهى مشتركة بين هذه المدلولات الثلاثة بخلاف خفوق النجم فانه وضع للمصدر فقط * وقد خلط ابن عطية فى نقل القرآن وله بعض عذر فانه لم يكن معربا فقال وقرأ طلحة بن مصرف وعيسى بخلاف عنه سواء بالنصب محياهم ومماتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائى وحفص والأعمش سواء بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب ووجه كلا من القراءتين على ماتقتضيه صنعة الاعراب وتبعه على هذا الوهم صاحب التحرير وهو معذور لأنه ناسخ من كتاب الى كتاب والصواب مااستبناه من القراآت لمن ذكرناه ويستنبط من هذه الآية تباين حال المؤمن العاصى من حال الطائع وان كانت فى الكفار وتسمى مبكاة العابدين * وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويرددالى الصباح ساء مايحكمون وعن الربيع ابن خيثم أنه كان يرددها ليلة أجمع وكذلك الفضيل بن عياض كان يقول لنفسه ليت شعرى من أى الفريقين أنت * وقال ابن عطية وأما لفظها فيعطى أنه اجتراح الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل أن تكون المعادلة هى بالاجتراح وعمل الصالحات ويكون الايمان فى الفريقين ولهذا بكى الخائفون ساء مايحكمون هو كقوله بئسما اشتروا وتقدم اعرابه فى البقرة * وقال ابن عطية ماما مصدرية والتقدير ساء الحكم حكمهم بالحق بأن خلقها حق واجب لمافيه من فيض الخيرات وليدل عليه دلالة الصنعة على الصانع ولتجزى هى لام كى معطوفة على بالحق لان كلا من الباء واللام يكونان للتعليل فكان الخلق معللا بالجزاء * وقال الزمخشرى أو على معلل محذوف تقديره ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس * وقال ابن عطية ويحتمل أن تكون لام الصيرورة أى فصار الامر منها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها آخرون لان يجازى كل واحد بعمله وبما اكتسب من خير أو شر انتهى * أفرأيت الآية * قال مقاتل نزلت فى الحرث بن قيس السهمى وأفرأيت هو بمعنى أخبرنى والمفعول الأول هو من اتخذ والثانى محذوف تقديره بعد الصلاة التى لمن اهتدى يدل عليه قوله بعد فمن يهديه من بعد الله أى لا أحد يهديه من بعد اضلال الله اياه من اتخذ الهه هواه أى هو مطواع لهوى نفسه يتبع ماتدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه * قال ابن جبير اشارة الى الأصنام اذ كانوا يعبدون مايهوون من الحجارة * وقال قتادة لايهوى شيأ الا ركبه لايخاف الله فلهذا يقال الهوى إله معبود وقرأ الأعرج وأبو جعفر آلهة بتاء التأنيث بدل من هاء الضمير وعن الأعرج أنه قرأ آلهة على الجمع * قال ابن خالويه ومعناه أن أحدهم كان يهوى الحجر فيعبده ثم يرى غيره فيهواه فيلقى الأول فكذلك قوله الهه هواه الآية وان نزلت فى هوى الكفر فهى متناولة جميع هوى النفس الامارة * قال ابن عباس ماذكر الله هوى الا ذمه * وقال وهب اذا شككت فى خير أمرين فانظر أبعدهما من هواك فأته * وقال سهل التسترى هواك داؤك فان خالفته فدواؤك * وفى الحديث والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ومن حكمة الشعر قول عنترة وهو جاهلى

العطف الجملة للجملة وكتأكيد الجملة التأكيد اللفظى انتهى وتبين من كلام هذا الامام انه لايجوز أن تكون الجملة بدلا من المفرد وأما تجويز (ش) أن يجعلهم سواء محياهم ومماتهم فيظهر لى انه لايجوز لانها بمعنى التصيير ولايجوز صيرت زيدا أبوه قائم ولا صيرت زيدا غلامه منطلق لأن التصيير انتقال من ذات الى ذات أو من وصف فى الذات الى وصف فيها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول صيرت المقدرة مفعولا ثانيا ليس فيها انتقال مما ذكرنا فلا تجوز والذى يظهر لى انا اذا قلنا بتشبث هذه الجملة بماقبلها أن تكون الجملة فى موضع الحال والتقدير أم حسب الكفار أن نصيرهم مثل المؤمنين فى حال استواء محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم مفترقون أى افتراق فى الحالتين وتكون هذه الحال مبينة ماانبهم فى المثلية الدالة عليها الكاف التى هى فى موضع المفعول الثانى ( ش ) ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أى

انى امرؤ وسمح الخليقة ماجد * لاأتبع النفس اللجوج هواها

* وقال أبو عمران موسى بن عمران الاشبيلي الزاهد رحمه الله تعالى

نخالف هواها واعصها ان من يطع * هوى نفسه ينزع به شر منزع

ومن يطع النفس اللجوج ترده * وترم به فى مصرع أى مصرع

*وأضله الله على علم أى من الله تعالى سابق أو على علم من هذا الضال بأن الحق هو الدين و يعرض عنه عنادا فيكون كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم * وقال الزمخشرى صرفه عن الهداية واللطف وخذله عن علم عالما بأن ذلك لا يجدى عليه وأنه ممن لا لطف به أو مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بأنواع الالطاف المحصلة والمقربة انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقرأ الجمهور غشاوة بكسر الغين وعبد الله والأعمش بفتحها وهى لغة ربيعة والحسن وعكرمة وعبد الله أيضا بضمها وهى لغة عكلية والاعمش وطلحة وأبو حنيفة ومسعود بن صالح وحمزة والكسائى غشوة بفتح الغين وسكون الشين وابن مصرف والاعمش أيضا كذلك الا أنهما كسرا العين وتقدم تفسير الجملتين فى أول البقرة *وقرأ الجمهور تذكرون بشد الذال والجحدرى بخففها والاعمش بتاءين *وقالوا ان هى الاحياتنا الدنيا هى مقالة بعض قريش انكار البعث *والظاهر أن قولهم نموت ونحيا حكم على النوع بجملته من غير اعتبار تقديم وتأخير أى نموت طائفة ونحيا طائفة وأن المراد بالموت مفارقة الروح للجسد وقيل فى الكلام تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وقيل نموت عبارة عن كونهم لم يوجدوا ونحيا أى فى وقت وجودنا وهذا قريب من الأول قبله ولاذكر للموت الذى هو مفارقة الروح فى هذين القولين وقيل نموت الآباء ونحيا الابناء * وقرأ زيد بن على ونحيا بضم النون* ومايهلكنا الا الدهر أى طول الزمان لان الآفات تستوى فيه كمالاتها هذا ان كان قائلو هذا معترفين بالله فنسبوا الآفات الى الدهر بجهلهم أنها مقدرة من عند الله وان كانوا لايعرفون الله ولا يقرون به وهم الدهرية فنسبوا ذلك الى الدهر * وقرأ عبد الله الادهر وتأويله الادهر يمر كانوا يضيفون كل حادثة الى الدهر وأشعارهم ناطقة بشكوى الدهر حتى يوجد ذلك فى أشعار المسلمين * قال ابن دريد فى مقصورته

يادهر ان لم تك عتبى فاتئد * فان اروادك والعتبى سواء

وما كان حجتهم ليست حجة حقيقة أى حجتهم عندهم أولانهم أدلوا بها كما يدلى المحتج بحجته وساقوها مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أولانه فى نحو قولهم *تحية بينهم ضرب وجيع *أى ما كان حجتهم الا ماليس بحجة والمراد نفى أن يكون لهم حجة البتة وقرأ الجمهور حجتهم بالنصب والحسن وعمرو بن عبيد وزيد بن على وعبيد بن عمير وابن عامر فيما روى عنه عبد الحميد وعاصم فيما روى هارون وحسين عن أبى بكر عنه حجتهم أى ماتكون حجتهم لان اذا للاستقبال وخالفت أدوات الشرط بأن جوابها اذا كان منفيا بما لم تدخل الفاء بخلاف أدوات الشرط فلابد من الفاء تقول ان تزرنا فما جفوتنا أى فما تجفونا وفى كون الجواب منفيا بما دليل على مااخترناه من أن جواب اذا لا يعمل فيها لان مابعد ماالنافية لا يعمل فيما قبلها إئتوا يظهر أنه خطاب للرسول والمؤمنين اذهم قائلون بمقالته أو هو خطاب له ولمن جاء بالبعث وهم الأنبياء وغلب الخطاب على الغيبة * وقال ابن عطية إئتوا من حيث المخاطبة له والمراد هو وإلهه والملك الوسيط الذى ذكره هو لهم فجاء من ذلك جملة قيل لها إئتوا ان كنتم انتهى ولما اعترفوا بأنهم مايهلكهم الا الدهر وانهم استدلوا

( الدر )

سواء فى محياهم ومماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وان استووا مماتا الافتراق أحوالهم انتهى ( ح ) تمثيله بقوله وخفوق النجم ليس بجيد لان خفوقا مصدر ليس على مفعل بل هو فى الحقيقة على حذف مضاف أى وقت خفوق النجم بخلاف محيا وممات ومقدم فانها تستعمل بالوضع مصدرا واسم زمان واسم مكان فاذا استعملت اسم مكان أو اسم زمان لم يكن ذلك على حذف مصدر قامت هذه مقامه لانها موضوعة للزمان والمكان كما وضعت للمصدر فهى مشتركة بين هذه المدلولات الثلاثة بخلاف خفوق فانه موضوع للمصدر فقط

﴿ ولله ملك السموات والارض ﴾ الآية العامل في ويوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم والمبطلون الداخلون في الباطل
﴿ جاثية ﴾ باركة على الركب مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف وقرئ جاذية بالذال والجذو أشد استيفازا من الجثو لان الجاذي
هو الذي يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس جاثية أي مجتمعة وقرئ كل أمة تدعى بنصب كل على البدل بدل النكرة
الموصوفة من النكرة والظاهر عموم كل أمة من مؤمن وكافر ﴿ تدعى الى كتابها ﴾ المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته
أو خالفته وأفرد كتابها اكتفاء باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب ﴿ اليوم تجزون ﴾ أي يقال لهم اليوم تجزون ﴿ هذا
كتابنا ﴾ هو الذي دعيت اليه كل أمة وصحت  اضافته اليه تعالى لانه مالكه والآمر بكتبه واليهم لان أعمالهم
مثبتة فيه والاضافة تكون بادنى ملابسة فلذلك صحت اضافته اليهم واليه تعالى ﴿ ينطق عليكم ﴾ أي يشهد ﴿ بالحق ﴾ من غير زيادة ولا نقصان ﴿ انا كنا نستنسخ ﴾ أي الملائكة أي نجعلها تنسخ أي تكتب وحقيقة النسخ نقل خط من أصل ينظر فيه فاعمال العباد كانها الأصل وقرئ والساعة بالرفع على الابتداء وبالنصب عطفا على وعد الله ﴿ الا ظنا ﴾ أي ظنا ضعيفا وقال الاعشى

وجد به الشيب أثقاله * وما اغتره الشيب الا اغترارا

أي اغترارا بينا وقال الزمخشري (فان قلت) مامعنى ان نظن الا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب وأدخل حرف النفي
والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين انتهى وهذا كلام من
لاشعور له بالقاعدة النحوية من أن التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره الا المصدر المؤكد فانه
لا يكون فيه وقولهم ان نظن دليل على ان الكفار قد أخبروا بانهم ظنوا البعث واقعا ودل قولهم قبل ان هي الاحياتنا الدنيا على
انهم منكرون البعث فهم والله أعلم فرقتان ﴿ وبدا لهم ﴾ أي قبائح أعمالهم ﴿ وحاق بهم ﴾ أي أحاط بهم ولا تستعمل حاق الا في
المكروه ننساكم نترككم في العذاب كالشئ المنسي الملقى غير المبالى به ﴿ كما نسيتم ﴾ أي لقاء جزاء الله على أعمالكم وأضاف اللقاء
لليوم توسعا ﴿ منها ﴾ أي من النار ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ أي تطلب منهم مراجعة الى عمل صالح وتقدم الكلام عليه في الاستعتاب

---

على انكار البعث بالا دليل لهم فيمن سؤال إحياء آبائهم رد الله تعالى عليهم بأنه تعالى هو المحيي وهو
المميت لا الدهر وضم الى ذلك آية جامعة للحساب يوم البعث وهذا واجب الاعتراف به ان أنصفوا
ومن قدر على هذا قدر على الاتيان بآبائهم ﴿ ولله ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون * وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون *
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين * وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم
فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين * واذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندري
ما الساعة ان نظن إلا ظنا ومانحن بمستيقنين * وبدا لهم سيئات ماعملوا وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن * وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين *
ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولاهم يستعتبون
فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء في السموات والأرض وهو
العزيز الحكيم ﴾ العامل في ويوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم قاله الزمخشري وحكاه ابن
عطية عن فرقة والتنوين في يومئذ تنوين العوض عن جملة ولم تتقدم جملة الا قوله ويوم تقوم
الساعة فيصير التقدير ويوم تقوم يوم اذ تقوم الساعة يخسر ولا مزيد فائدة في قوله يوم اذ تقوم
الساعة لان ذلك مستفاد من ويوم تقوم الساعة فان كان بدلا توكيدا وهو قليل جاز ذلك والا فلا
يجوز أن يكون بدلا وقالت فرقة العامل في ويوم تقوم مايدل عليه الملك قالوا وذلك ان يوم القيامة
حال ثالثة ليست بالسماء ولا بالأرض لأن ذلك يتبدل فكأنه قال ولله ملك السموات والأرض
والملك يوم القيامة فحذف لدلالة ماقبله عليه ويومئذ منصوب بيخسر وهي جملة فيها استئناف وان
كان لها تعلق بما قبلها من جهة تنوين العوض والمبطلون الداخلون في الباطل جاثية باركة على
الركب مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف * وقرئ جاذية بالذال والجذو أشد استيفازا من
الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف أصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن قتادة
جماعات من الجثوة وهي الجماعة يجمع على جثى قال الشاعر

ترى جثوتين من تراب عليهما * صفائح صم من صفيح منضد

وعن مورج السدوسي جاثية خاضعة بلغة قريش وعن عكرمة جاثية متميزة * وقرأ يعقوب كل أمة تدعى بنصب كل أمة على البدل بدل النكرة الموصوفة من النكرة والظاهر عموم كل أمة من مؤمن وكافر * قال الضحاك وذلك عند الحساب * وقال يحيى بن سلام ذلك خاص بالكفار تدعى الى كتابها المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته أو خالفته أو الذي كتبته الحفظة وهو صحائف أعمالها أو اللوح المحفوظ أو المعنى الى ما سبق لها فيه أي إلى حسابها أقوال وأفرد كتابها اكتفاء باسم الجنس لقوله ووضع الكتاب اليوم تجزون هذا كتابنا هو الذي دعيت اليه كل أمة وصحت اضافته اليه تعالى لانه مالكه والآمر بكتبه واليهم لان أعمالهم مثبتة فيه والاضافة تكون بأدنى ملابسة فلذلك صحت اضافته اليهم واليه تعالى ينطق عليكم يشهد بالحق من غير زيادة ولا نقصان إنا كنا نستنسخ أي الملائكة أي نجعلها تنسخ أي تكتب وحقيقة النسخ نقل خط من أصل ينظم فيه فأعمال العباد كأنها الأصل * وقال الحسن هو كتب الحفظة على بني آدم وعن ابن عباس يجعل الله الحفظة تنسخ من اللوح المحفوظ كل ما يفعل العباد ثم يمسكونه عندهم فتأتي أفعال العباد على نحو ذلك فيعيد أيضا فذلك هو الاستنساخ وكان يقول ابن عباس ألستم عربا وهل يكون الاستنساخ الامن أصل ثم بين حال المؤمن بأنه يدخله في رحمته وهو الثواب الذي أعده له وان ذلك هو الظفر بالبغية وبين الكافر بأنه يوبخ ويقال له أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن اتباعها والايمان بها وكنتم أصحاب جرائم والفاء في أفلم ينوى بها التقديم وانما قدمت الهمزة لان الاستفهام له صدر الكلام والتقدير فيقال له ألم * وقال الزمخشري والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم لحذف المعطوف عليه انتهى وقد تقدم الكلام معه في زعمه أن بين الفاء والواو اذا تقدمها همزة الاستفهام معطوفا عليه محذوفا ورددنا عليه ذلك * وقرأ الأعرج وعمرو بن فائد واذا قيل إن وعد الله بفتح الهمزة وذلك على لغة سليم والجمهور إن بكسرها * وقرأ الجمهور والساعة بالرفع على الابتداء ومن زعم أن لاسم إن موضعا جوز العطف عليه هنا أو زعم ان لان واسمها موضعا جوز العطف عليه وبالعطف على الموضع لان واسمها هنا * قال أبو علي ذكره في الحجة وتبعه الزمخشري فقال وبالرفع عطفا على محل ان واسمها والصحيح المنع وحمزة بالنصب عطفا على وعد الله وهي مروية عن الأعمش وأبي عمرو وعيسى وأبي حيوة والعبسي والمفضل ان نظن الا ظنا تقول ضربت ضربا فان نفيت لم تدخل الا إذ لا يفرغ العامل بالمصدر المؤكد فلا تقول ماضربت الاضربا ولا ماقمت الاقياما فأما الآية فتأول على حذف وصف المصدر حتى يصير مختصا لا مؤكدا وتقديره الا ظنا ضعيفا أو على تضمين نظن معنى نعتقد ويكون ظنا مفعولا به وقد تأول ذلك بعضهم على وضع الا في غير موضعها وقال التقدير ان نحن الا نظن ظنا وحكى هذا عن المبرد ونظيره ما حكاه أبو عمرو بن العلاء وسيبويه من قول العرب ليس الطيب الا المسك * قال المبرد ليس الا الطيب المسك انتهى واحتاج الى هذا التقدير كون المسك مرفوعا بعد الا وأنت اذا قلت ما كان زيد الا فاضلا نصبت فلما وقع بعد الا ما ظاهره انه خبر ليس احتاج أن يزحزح الا عن موضعها ويجعل في ليس ضمير الشأن ويرفع الا الطيب المسك على الابتداء والخبر فيصير كالملفوظ به في نحو ما كان الا زيد قائم ولم يعرف المبرد ان ليس في مثل هذا التركيب عاملتها بنو تميم معاملة ما فلم يعملوها الا باقية مكانها وليس غير عاملة وليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب في نحو ليس الطيب إلا المسك ولا تميمي إلا وهو يرفع في ذلك حكاية جرت بين عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء ذكرناها فيما كتبناه من علم النحو ونظير ان نظن الا ظنا

( الدر )

(ش) والمعنى ألم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم لحذف المعطوف عليه انتهى (ح) قد تقدم الكلام معه في زعمه أن بين الفاء والواو اذا تقدمهما همزة الاستفهام معطوفا عليه محذوفا ورددنا عليه ذلك

* قول الأعشى

وجد به الشيب أثقاله * وما اغتره الشيب الا اغترارا

أي اغترارا بينا * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى ان نظن الا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين انتهى وهذا الكلام ممن لا شعور له بالقاعدة النحوية من أن التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه * وقدره بعضهم ان نظن الا أنكم تظنون ظنا قال وانما احتيج الى هذا التقدير لانه لا يجوز في الكلام ما ضربت الا ضربا فاهتدى الى هذه القاعدة النحوية وأخطأ في التخريج وهو محكي عن المبرد ولعله لا يصح وقولهم ان نظن دليل على أن الكفار قد أخبروا بأنهم ظنوا البعث واقعا ودل قولهم قبل قوله ان هي الا حياتنا الدنيا على أنهم منكرون البعث فهم والله أعلم فرقتان أو اضطربوا فتارة أنكروا وتارة ظنوا وقالوا ان نظن الا ظنا على سبيل الهزء * وبدا لهم سيئات ما عملوا أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات وأطلق على العقوبة سيئة كما قال * وجزاء سيئة سيئة مثلها * وحاق بهم أي أحاط ولا يستعمل حاق الا في المكروه * ننساكم نترككم في العذاب أو نجعلكم كالشيء المنسي الملقى غير المبالى به كما نسيتم لقاء يومكم أي لقاء جزاء الله على أعمالكم ولم تخطروه على بال بعد ما ذكرتم به وتقدم اليكم بوقوعه وأضاف اللقاء لليوم توسعا كقوله بل مكر الليل والنهار * وقرأ الجمهور لا يخرجون مبنيا للمفعول والحسن وابن وثاب وحمزة والكسائي مبنيا للفاعل منها أي من النار ولا هم يستعتبون أي يطلب مراجعة الى عمل صالح * وتقدم الكلام في الاستعتاب * وقرأ الجمهور رب بالجر في الثلاثة على الصفة وابن محيصن بالرفع فيهما على اضمار هو

## ﴿ سورة الأحقاف خمس وثلاثون آية مكية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون * قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين * ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين * واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين * أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم * قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى الي وما أنا إلا نذير مبين * قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين * وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم * ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين * ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا

( الدر )

(ش) فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين انتهى (ح) هذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من أن التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه

خوف عليهم ولاهم يحزنون * أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون * ووصينا
الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده
وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا
ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون * والذي قال لوالديه
أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله
حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين * أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس انهم كانوا خاسرين * ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون *
ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون * واذكر
أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله اني أخاف
عليكم عذاب يوم عظيم * قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين *
قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون * فلما رأوه عارضا مستقبل
أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها
فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه
وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا
يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا
الآيات لعلهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك
إفكهم وما كانوا يفترون * واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه
قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى
مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر
لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له
من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين * أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي
بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير * ويوم يعرض الذين كفروا على النار
أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * فاصبر كما صبر أولوا
العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون * لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ
فهل يهلك الا القوم الفاسقون ﴾ * الحقف رمل مستطيل مرتفع فيه اعوجاج وانحناء ومنه
احقوقف الشيء اعوج * قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل

* عيي بالأمر اذا لم تعرف جهته ويجوز فيه الادغام فتقول عي كما قلت في حيي حي * قال الشاعر

عيوا بأمرهم كما * عيت ببيضتها الحمامه

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون * قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني

﴿ سورة الأحقاف ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ هذه السورة مكية قال ابن عباس الا قل أرأيتم وفاصبر كما الآيتين فانهما مدنيتان ومناسبة أول الآخر اقبلها ان في آخرها ذلكم بأنكم اتخذتم وقلتم انه عليه السلام اختلقها فقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وهاتان الصفتان هما آخر تلك وهما أول هذه وأجل مسمى أي موعد لفساد هذه البنية قال ابن عباس هو يوم القيامة ﴿ عما أنذروا ﴾ يحتمل أن تكون ما مصدرية وان تكون بمعنى الذي ﴿ قل أرأيتم ما تدعون ﴾ معناه أخبروني عن الذين تدعون من دون الله وهي الاصنام ﴿ أروني

ماذا خلقوا ﴾ استفهام توبيخ ومفعول أرأيتم الأول هو ما تدعون وماذا خلقوا جملة استفهامية يطلبها أرأيتم لان مفعولها الثانى يكون استفهاما ويطلبها أرونى على سبيل التعليق فهذا من باب الاعمال أعمل الثانى وحذف مفعول أرأيتم الثانى ومن الأرض تفسير لابهام فيما خلقوا والظاهر انه يريد من أجزاء الارض أى خلق ذلك انما هو لله تعالى قال ابن عطية يحتمل أرأيتم وجهين أحدهما أن تكون متعدية وما مفعولة بها ويحتمل أن تكون منبهة لا تتعدى وتكون ما استفهاما على معنى التوبيخ وتدعون معناه تعبدون انتهى وكون أرأيتم لا تتعدى وانها منبهة شئ قاله الأخفش فى قوله قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة والذى يظهر ماقلناه ثم وقفهم على عبادتهم فقال أم لهم أى بل ألهم شرك إئتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم وهو القرآن فانه ناطق بالتوحيد فالمعنى ائتونى بكتاب واحد يشهد بصحة ماهم عليه ﴿ أو أثارة من علم ﴾ أى بقية من علم من علوم الأولين وقال ابن عباس الاثارة الخط فى التراب وذلك شئ كانت العرب تفعله وتتكهن به وتزجر ﴿ وهم ﴾ أى الأصنام عن دعاء الكفار ﴿ غافلون ﴾ أى لا يشعرون بدعاء الكفار والضمير فى افتراه عائد على الحق والمراد به الآيات ﴿ قل ان افتريته ﴾ على سبيل الفرض فانا مستحق فى ذلك العقاب ﴿ فلا تملكون لى من الله شيأ ﴾ أى من رد عقوبة الله لى شيأ ﴿ بما تفيضون فيه ﴾ أى تندفعون فيه من الباطل ومرادة الحق وتسميته تارة سحرا وتارة فرية وافتراء والضمير فى فيه يعود على القرآن ﴿ شهيدا ﴾ لى بالتبليغ وشهيدا عليكم بالتكذيب ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ عدة لهم بالغفران ان رجعوا عن الكفر ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ أى جاء قبلى غيرى والبدع والبديع من الأشياء مالم ير مثله والظاهر ان ما استفهامية وأدرى معلقة بجملة الاستفهام فى موضع المفعول وما مبتدأ ويفعل الخبر انتهى وقال الزمخشرى يجوز أن تكون موصولة منصوبة انتهى الفصيح المشهور ان درى تتعدى بالباء ولذلك حين عدى بهمزة النقل تعدى بالباء نحو قوله ولا أدراكم به فجعل ما استفهامية هو الاولى وكثيرا ما علقت فى القرآن نحو وان أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون ويفعل مثبت غير منفى لكنه لما تقدمه النفى وانسحب عليه النفى لاشتماله على ما ويفعل فلذلك قال ولا بكم ولولا اعتبار النفى لكان التركيب مايفعل بى وبكم ﴿ ان أتبع الا ما يوحى الى ﴾ استسلام وتبرؤ من علم المغيبات ووقوف مع النذارة من عذاب الله تعالى ﴿ وشهد شاهد ﴾ هو عبد الله بن سلام قاله الجمهور والآية مدنية وعن عبد الله بن سلام نزلت فى آيات من كتاب الله تعالى وعد منها وشهد شاهد وقال الزمخشرى جواب الشرط محذوف تقديره ان كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين انتهى جملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط الا بالفاء فان كانت الاداة الهمزة تقدمت الفاء نحو ان تزرنا أفما نحسن اليك أو غيرها تقدمت الفاء نحو ان تزرنا فهل ترى الاخيرا فقول الزمخشرى ألستم ظالمين

---

ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين * ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين * أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم * قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين * قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ هذه السورة مكية وعن ابن عباس وقتادة ان قل أرأيتم ان كان من عند الله وفاصبر كما صبر الآيتين مدنيتان * ومناسبة أولها لما قبلها أن فى آخر ما قبلها فذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وقلتم انه عليه الصلاة والسلام اختلقها فقال تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وهاتان الصفتان هما آخر تلك وهما أول هذه وأجل مسمى أى موعد لفساد هذه البنية * قال ابن عباس هو القيامة وقال غيره أى أجل كل مخلوق عن ما أنذروا يحتمل أن تكون ما مصدرية وأن تكون بمعنى الذى * قل أرأيتم ما تدعون معناه أخبرونى عن الذين تدعون من دون الله وهى الأصنام أرونى ماذا خلقوا من الارض استفهام توبيخ ومفعول أرأيتم الاول هو ما تدعون وماذا خلقوا جملة استفهامية يطلبها أرأيتم لان مفعولها الثانى يكون استفهاما ويطلبها أرونى على سبيل التعليق فهذا من باب الاعمال أعمل الثانى وحذف مفعول أرأيتم الثانى ويمكن أن يكون أرونى توكيدا لأرأيتم بمعنى أخبرونى وأرونى أخبرونى كأنهما بمعنى واحد

* وقال ابن عطية يحتمل أرأيتم وجهين أحدهما أن تكون متعدية وما مفعولة بها ويحتمل أن تكون أرأيتم منبهة لا تتعدى وتكون ما استفهاما على معنى التوبيخ وتدعون معناه تعبدون انتهى وكون أرأيتم لا تتعدى وأنها منبهة فيه شيء قاله الأخفش في قوله قال أرأيت إذ أوينا الى الصخرة والذي يظهر أن ما تدعون مفعول أرأيتم كما هو في قوله قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون في سورة فاطر وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة فيها وقد أمعنا الكلام في أرأيتم في سورة الانعام فيطالع هنالك ومن الارض تفسير للإبهام في ماذا خلقوا والظاهر انه يريد من اجزاء الارض أي خلق ذلك انما هو لله أو يكون على حذف مضاف أي من العالم على الارض أي على وجهها من حيوان أو غيره ثم وقفهم على عبادتهم فقال أم لهم أي بل أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا القرآن ناطق بالتوحيد وبابطال الشرك وكل كتب الله المنزلة ناطقة بذلك فطلب منهم أن يأتوا بكتاب واحد يشهد بصحة ما هم عليه من عبادة غير الله أو أثارة من علم أي بقية من علم أي من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أو على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب والأثارة تستعمل في بقية الشرف يقال لبني فلان أثارة من شرف اذا كانت عندهم شواهد قديمة وفي غير ذلك قال الراعي

وذات أثارة أكلت علينا * نباتا في اكمته فقارا

أي بقية من شحم * وقرأ الجمهور أو أثارة وهو مصدر كالشجاعة والسماحة وهي البقية من الشئ كأنها اثرة * وقال الحسن المعنى من علم استخرجتموه فتثيرونه وقال مجاهد المعنى هل من أحد يأثر علما في ذلك * وقال القرطبي هو الاسناد ومنه قول الأعشى

ان الذي فيه تماريتما * بين للسامع والاثر

أي وللمستدعين غيره ومنه قول عمر رضي الله عنه فما حلفت به ذاكرا ولا آثرا * وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة المعنى أو خاصة من علم فاشتقاقها من الاثرة فكأنها قد آثر الله بها من هي عنده * وقال ابن عباس المراد بالاثارة الخط في التراب وذلك شئ كانت العرب تفعله وتتكهن به وتزجر تفسيره الاثارة بالخط يقتضي تقوية أمر الخط في التراب وانه شئ ليس له وجه إذ أبانه وقف أحد اليه وقيل ان صح تفسير ابن عباس الاثارة بالخط في التراب كان ذلك من باب التهكم بهم وبأقوالهم ودلائلهم * وقرأ علي وابن عباس بخلاف عنهما وزيد بن علي وعكرمة وقتادة والحسن والسلمي والأعمش وعمرو بن ميمون أو أثرة بغير ألف وهي واحدة جمعها أثر كقترة وقتر وعلي والسلمي وقتادة أيضا باسكان الثاء وهي الفعلة الواحدة مما يؤثر أي قد قنعت لكم بخبر واحد وأثر واحد يشهد بصحة قولكم وعن الكسائي ضم الهمزة واسكان الثاء * وقال ابن خالويه وقال الكسائي على لغة أخرى إثرة وأثرة يعني بكسر الهمزة وضمها * ومن أضل ممن يعبد الأصنام وهي جماد لا قدرة لها على استجابة دعائهم ما دامت الدنيا أي لا يستجيبون لهم أبدا ولذلك غيا انتفاء استجابتهم بقوله الى يوم القيامة ومع ذلك لا شعور لهم بعبادتهم اياهم وهم في الآخرة أعداء لهم فليس لهم في الدنيا بهم نفع وهم عليهم في الآخرة ضرر كما قال تعالى سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وجاء من لا يستجيب لانهم يسندون اليهم ما يسند لاولي العلم من الاستجابة والغفلة أو كأن من لا يستجيب يراد به من عبد من دون الله من انس وجن وغيرهما وغلب من يعقل وحمل أولا على لفظ من لا يستجيب ثم على المعنى في وهم من ما بعده والظاهر عود الضمير أولا على لفظ من لا يستجيب ثم على المعنى في زعم على معنى

بغير فاء لا يجوز ان يكون جواب الشرط

(الدر)

﴿سورة الاحقاف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ع) يحتمل أرأيتم وجهين أحدهما أن تكون متعدية وما مفعولة بها ويحتمل أرأيتم أن تكون منبهة لا تتعدى وتكون ما استفهاما على معنى التوبيخ وتدعون معناه تعبدون انتهى (ح) كون أرأيتم لا تتعدى وانها منبهة فيه شئ قاله الاخفش في قوله قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة والذي يظهر ان ما تدعون مفعول أرأيتم كما هو في قوله أرأيتم شركاءكم الذين تدعون في سورة فاطر وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة فيها وقد أمعنا الكلام في أرأيتم في سورة الانعام فيطالع هنالك

من فى من لا يستجيب كما فسرناه وقيل يعود على معنى من فى ومن أضل أى والكفار عن ضلالهم بانهم يدعون من لا يستجيب غافلون لا يتأملون ما عليهم فى دعائهم من هذه صفته * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات جمع بينة وهى الحجة الواضحة واللام فى للحق لام العلة أى لاجل الحق وأتى بالظاهرين بدل المضمرين فى قال الذين كفروا للحق ولم يأت التركيب قالوا لها تنبيها على الوصفين وصف المتلو عليهم بالكفر ووصف المتلو عليهم بالحق ولو جاء بهما الوصفين لم يكن فى ذلك دليل على الوصفين من حيث اللفظ وان كان من سمى الآيات سحرا هو كافر والآيات فى نفسها حق ففى ذكرهما ظاهرين يستحيل على القائلين بالكفر وعلى المتلو بالحق وفى قوله لما جاءهم تنبيه على أنهم لم يتأملوا ما يتلى عليهم بل بادروا أول سماعه الى نسبته الى السحر عنادا وظلما ووصفوه بمبين أى ظاهر انه سحر لا شبهة فيه * أم يقولون افتراه أى بل يقولون افتراه أى بل أيقولون اختلقه انتقلوا من قولهم هذا سحر الى هذه المقالة الاخرى والضمير فى افتراه عائد الى الحق والمراد به الآيات قل ان افتريته على سبيل الفرض فالله حسبى فى ذلك وهو الذى يعاقبنى على الافتراء عليه ولا يمهلنى فلا تملكون لى من ردعقوبة الله بى شيأ فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا أملك لكم من الله شيأ ثم استسلم الى الله واستنصر به فقال هو أعلم بما تفيضون فيه أى تندفعون فيه من الباطل ومراده الحق وتسميته تارة سحرا وتارة فرية والضمير فى فيه يحتمل أن يعود على ما أو على القرآن وبه فى موضع الفاعل بكفى على أصح الأقوال شهيدا بينى وبينكم شهيدا لى بالتبليغ والدعاء اليه وشهيدا عليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم عدة لهم بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر واشعار بحلمه تعالى عليهم إذ لم يعاجلهم بالعقاب إذ كان ما تقدم تهديدا لهم فى أن يعاجلهم على كفرهم * قل ما كنت بدعا من الرسل أى جاء قبلى غيرى قاله ابن عباس والحسن وقتادة والبدع والبديع من الأشياء ما لم ير مثله * ومنه قول عدى بن زيد أنشده قطرب

فما أنا بدع من حوادث تعترى * رجالا عرت من بعد بؤسى فأسعد

والبدع والبديع كالخف والخفيف والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجودا وأبدع الشاعر جاء بالبديع وشئ بدع بالكسر أى مبتدع وفلان بدع فى هذا الأمر أى بديع وقوم ابداع عن الأخفش * وقرأ عكرمة وأبو حيوة وابن أبى عبلة بفتح الدال جمع بدعة وهو على حذف مضاف أى ذا بدع * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم انتهى وهذا الذى أجازه ان لم ينقل استعماله عن العرب لم نجزه لان فعل فى الصفات لم يحفظ منه سيبويه إلا عدى * قال سيبويه ولا نعلمه جاء صفة الا فى حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى وقد استدرك واستدراكه صحيح وأما قيم فأصله قيام وقيم مقصور منه ولذلك اعتلت الواو فيه إذ لو لم يكن مقصورا لصحت كما صحت فى حول وعوض * وأما قول العرب مكان سوى وماء روى ورجل رضى وماء صرى وسبى طيبة فتأولة عند البصريين لا يثبتون بها فعلا فى الصفات * وعن مجاهد وأبى حيوة بدعا بفتح الباء وكسر الدال كحذر * وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أى فيما يستقبل من الزمان أى لا أعلم مالى بالغيب فأفعاله تعالى وما يقدره لى ولكم من قضاياه لا أعلمها * وعن الحسن وجماعة وما أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب * وعن الكلبى قال له أصحابه

( الدر )

(ش) ويجوز أن تكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم انتهى (ح) هذا الذى أجازه ان لم ينقل استعماله عن العرب لم نجزه لان فعلا فى الصفات لم يحفظ منه سيبويه الا عدى قال سيبويه ولا نعلمه جاء صفة الا فى حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى وقد استدرك على سيبويه زيم بمعنى متفرق وهو استدراك صحيح وأما قيم فأصله قيام وقيم مقصور منه ولذلك اعتلت الواو فيه اذ لو لم يكن مقصورا لصحت كما صحت فى حول وعوض وأما قول العرب مكان سوى وماء روى ورجل رضى وماء صرى وسبى طيبة فمتأولة عند التصريفيين لا يثبتون بها فعلا فى الصفات

وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أ أزل بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت و رأيتها يعنى فى منامه ذات نخل وشجر * وقال ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة والحسن وعكرمة معناه فى الآخرة وكان هذا فى صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله تعالى أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأن المؤمنين لهم من الله فضل كبير وهو الجنة وبان الكافرين فى نار جهنم وهذا القول ليس بظاهر بل قد أعلم سبحانه من أول الرسالة حال الكافر وحال المؤمن * وقيل ما يفعل بى ولا بكم من الأوامر والنواهى وما يلزم الشريعة * وقيل نزلت فى أمر كان النبى صلى الله عليه وسلم ينتظره من الله فى غير الثواب والعقاب ان أتبع إلا ما يوحى الى استسلام وتبرؤ من علم المغيبات و وقوف مع النذارة الامن عذاب الله * وقرأ الجمهور ما يفعل بضم الياء مبنيا للمفعول و زيد بن على وابن أبى عبلة بفتحها والظاهر أن ما استفهامية وأدرى معلقة لجملة الاستفهام موصولة منصوبة انتهى والفصيح المشهور ان درى يتعدى بالباء ولذلك حين عدى بهمزة النقل يتعدى بالباء نحو قوله ولا أدراكم به فجعل ما استفهامية هو الأولى والأجود وكثيرا ما علقت فى القرآن نحو وان أدرى أقريب و يفعل مثبت غير منفى لكنه قد انصب عليه النفى لاشتماله على ما و يفعل فلذلك قال ولا بكم ولولا اعتبار النفى لكان التركيب ما يفعل بى ولا بكم ألا ترى زيادة من فى قوله أن ينزل عليكم من خير لانصباب قوله ما يود الذين كفروا على يود وعلى متعلق يود وهو أن ينزل فاذا انتفت ودادة التنزيل انتفى التنزيل * وقرأ ابن عمير ما يوحى بكسر الحاء أى الله عز وجل قل أرأيتم مفعولا أرأيتم محذوفان لدلالة المعنى عليهما والتقدير أرأيتم حالكم ان كان كذا ألستم ظالمين فالأول حالكم والثانى ألستم ظالمين وجواب الشرط محذوف أى فقد ظلمتم ولذلك جاء فعل الشرط ماضيا * وقال الزمخشرى جواب الشرط محذوف تقديره ان كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين انتهى وجملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط إلا بالفاء فان كانت الأداة الهمزة تقدمت الفاء نحو ان تزرنا أفما نحسن اليك أو غيرها تقدمت الفاء نحو ان تزرنا فهل ترى إلا خيرا فقول الزمخشرى ألستم ظالمين بغير فاء لا يجوز أن يكون جواب الشرط * وقال ابن عطية وأرأيتم يحتمل أن تكون منبهة فهى لفظ موضوع للسؤال لا يقتضى مفعولا و يحتمل أن تكون الجملة كان وما عملت فيه تسد مسد مفعوليها انتهى وهذا خلاف ما قرره محققو النحاة فى أرأيتم * وقيل جواب الشرط فآمن واستكبرتم أى فقد آمن محمد به أو الشاهد واستكبرتم أنتم عن الايمان * وقال الحسن تقديره فمن أضل منكم * وقيل فمن المحق منا ومنكم ومن المبطل * وقيل انما تهلكون والضمير فى به عائد على ما عاد عليه اسم كان وهو القرآن * وقال الشعبى يعود على الرسول والشاهد عبد الله بن سلام قاله الجمهور وابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن سيرين والآية مدنية * وعن عبد الله بن سلام نزلت فى آيات من كتاب الله نزلت فى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم * وقال مسروق الشاهد موسى عليه السلام لا ابن سلام

(الدر) (ح) الظاهر أن ما استفهامية وأدرى معلقة لجملة الاستفهام فى موضع المفعول وما مبتدأ و يفعل الخبر (ش) يجوز أن تكون موصولة منصوبة انتهى (ح) الفصيح المشهور ان درى تتعدى بالباء ولذلك حين عدى بهمزة النقل تعدى بالباء نحو قوله ولا أدراكم به فجعل ما استفهامية هو الأولى وكثيرا ما علقت فى القرآن نحو وان أدرى أقريب و يفعل مثبت غير منفى لكنه قد انصب عليه النفى لاشتماله على ما و يفعل فلذلك قال ولا بكم ولولا اعتبار النفى لكان التركيب ما يفعل بى و بكم ألا ترى زيادة من فى قوله أن ينزل عليكم من خير من ربكم لانصباب قوله ما يود الذين كفروا على يود وعلى متعلق يود وهو أن ينزل فاذا انتفت ودادة التنزيل انتفى التنزيل (ش) جواب الشرط محذوف تقديره ان كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله إن الله لا يهدى القوم الظالمين انتهى (ح) جملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط الا بالفاء فان كانت الاداة الهمزة تقدمت الفاء نحو ان تزرنا أفما نحسن اليك أو غيرها تقدمت الفاء نحو ان تزرنا فهل ترى الا خيرا فقول (ش) ألستم ظالمين بغير فاء لا يجوز أن يكون جواب الشرط (ع) وأرأيتم يحتمل أن تكون منبهة فهى لفظ موضوع للسؤال لا يقتضى مفعولا و يحتمل أن تكون الجملة كان وما عملت فيه تسد مسد مفعوليها انتهى (ح) هذا خلاف ما قرره محققو النحاة فى أرأيتم

﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ الآية قال مقاتل هي مقالة كفار قريش للذين آمنوا أي لأجل الذين آمنوا واللام للتبليغ ثم انتقلوا الى الغيبة في قولهم ماسبقونا ولولم ينتقلوا لكان الكلام ماسبقتم اليه والعامل في اذ محذوف أي واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب في ذلك الجواب المحذوف لأن هذا القول ناشئ عن العناد و يمتنع أن يعمل في اذ سيقولون لحيلولة الفاء وقد ... بعرف الأعصار عليه ولما طعنوا في صحة القرآن قيل لهم انه أنزل الله من قبله التوراة على موسى عليه السلام وأنتم لاتنازعون في ذلك اماما أي يهتدى به اذ فيه البشارة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وارساله فيلزم اتباعه والايمان به وانتصب اماما على الحال والعامل فيه العامل في ومن قبله أي وكتاب موسى كائن من قبل القرآن في حال كونه اماما ولما عبر عن الكفار بالذين ظلموا عبر عن المؤمنين بالمحسنين ليقابل بلفظ الاحسان لفظ الظلم وبشرى في موضع جر معطوف على المصدر المنسبك في قوله لتنذر ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ﴾ (٥٨) تقدم الكلام عليه ولما ذكر جزاء بما كانوا يعملون قال ووصينا الانسان اذ كان بر الوالدين ثاني أفضل الاعمال اذ في الصحيح أي الاعمال أفضل فقال الصلاة على ميقاتها قال ثم أي قال بر الوالدين واذ كان عقوقهما ثاني أكبر الكبائر اذ قال عليه السلام ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين والوارد في برهما كثير قال ابن عطية ونصب هذا يعني احسانا على المصدر الصريح والمفعول الثاني في المجرور والباء متعلقة بوصينا أو بقوله احسانا انتهى لايصح ان يتعلق باحسانا لانه مصدر مقدر بحرف

لانه أسلم بالمدينة والسورة مكية والخطاب في وكفرتم به لقريش *وقال الشعبي الشاهد من آمن من بني اسرائيل بموسى والتوراة لان ابن سلام أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين والسورة مكية *وقال سعد بن أبي وقاص ومجاهد وفرقة الآية مكية والشاهد عبد الله بن سلام وهي من الآيات التي تضمنت غيبا أبرزه الوجود وعبد الله بن سلام مذكور في الصحيح وفيه بهت اليهود لعنهم الله ومن كذب اليهود وجهلهم بالتاريخ مايعتقدونه في عبد الله بن سلام أنه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها اجتمع بأحبار اليهود وقص عليهم أحلامه فعلموا أنه صاحب دولة وعموا فأصحبوه عبد الله بن سلام فقرأ علوم التوراة وفقهها مدة زعموا وأفرطوا في كذبهم الى أن نسبوا الفصاحة المعجزة التي في القرآن الى تأليف عبد الله بن سلام وعبد الله هذا لم تعلم له إقامة بمكة ولا ترددا اليها فما أكذب اليهود وأبهتهم لعنهم الله وناهيك من طائفة ماذم في القرآن طائفة مثلها ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم * ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين * ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون * أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون * ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت اليك وإني من المسلمين *أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي

مصدري والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولأن أحسن لايتعدى بالباء انما يتعدى باللام تقول أحسنت لزيد ولا تقول أحسنت بزيد على معنى ان الاحسان يصل اليه ﴿ حملته أمه كرها ﴾ ليس الكره في أول علوقها بل في ثاني استمرار الحمل حتى تتوقع حوادثه وحمله وفصاله أي ومدة حمله وفصاله وهذا لا يكون الا بان يكون أحد الطرفين ناقصا اما بان تلد المرأة لستة أشهر وترضع عامين واما بأن تلد لتسعة أشهر على العرف وترضع عامين غير ربع عام فان زادت مدة الحمل نقصت مدة الرضاع وبالعكس فترتب من هذا ان أقل مدة الحمل ستة أشهر وأقل مدة الرضاع عام وتسعة أشهر وإكمال العامين لمن أراد أن يتم الرضاعة وتقدم الكلام على بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ﴿ قال ﴾ أي قال المحسن منهم ﴿ رب أوزعني ﴾ ولذلك أشار بقوله أولئك بصيغة الجمع وقرئ يتقبل ويتجاوز مبنيا للمفعول ورفع أحسن وقرئ بالنون فيهما ونصب أحسن ﴿ في أصحاب الجنة ﴾ قيل في بمعنى مع وقيل هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس من أصحابه تريد في جملة من أكرمهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة وانتصب وعد الله على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة والمراد بالذي الجنس ولذلك جاء الخبر مجموعا في قوله أولئك

كانوا يوعدون * والذى قال لوالديه أف لكما أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ماهذا إلا أساطير الأولين * أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين * ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون ﴾ قال قتادة هى مقالة كفار قريش الذين آمنوا أى لأجل الذين آمنوا واللام للتبليغ ثم انتقلوا الى الغيبة فى قولهم ماسبقونا ولو لم ينتقلوا لكان الكلام ماسبقتمونا اليه لما سمعوا أن جماعة آمنوا خاطبوا جماعة من المؤمنين أى قالوا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه أولئك الذين بلغنا أنهم يريدون عمارا وصهيبا وبلالا ونحوهم ممن أسلم وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم * وقال الكلبى والزجاج هى مقالة كنانة وعامر وسائر قبائل العرب المجاورة قالت ذلك حين أسلمت غفار ومزينة وجهينة أى لو كان هذا الدين خيرا ماسبقنا اليه الرعاة وقال الثعلبى هى مقالة اليهود حين أسلم ابن سلام وغيره منهم * وقال أبو المتوكل أسلم أبو ذر ثم أسلمت غفار فقالت قريش ذلك وقيل أسلمت أمة لعمر فكان يضربها حتى يفتر ويقول لولا أنى فترت لزدتك ضربا فقال كفار قريش لو كان مايدعو اليه محمد حقا ماسبقتنا اليه فلانة والظاهر ان اسم كان هو القرآن وعليه يعود به ويؤيده ومن قبله كتاب موسى وقيل به عائد على الرسول والعامل فى إذ محذوف أى واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب عن ذلك الجواب المحذوف لان هذا القول هو ناشئ عن العناد ويمتنع أن يعمل فى إذ فسيقولون لحيلولة الفاء ولتعاند زمان إذ وزمان سيقولون افك قديم كما قالوا أساطير الأولين وقدمه بمرور الاعصار عليه ولما طعنوا فى صحة القرآن قيل لهم انه أنزل الله من قبله التوراة على موسى وأنتم لاتنازعون فى ذلك فلا ينازع فى انزال القرآن * اماما أى يهتدى به ان فيه البشارة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وارساله فيلزم اتباعه والايمان به وانتصب اماما على الحال والعامل فيه العامل فى ومن قبله أى وكتاب موسى كان من قبل القرآن فى حال كونه اماما * وقرأ الكلبى كتاب موسى نصب وفتح ميم من على أنها موصولة تقديره وآتينا الذى قبله كتاب موسى وقيل انتصب اماما بمحذوف أى أنزلناه اماما أى قدوة يؤتم به ورحمة لمن عمل به وهذا اشارة الى القرآن كتاب مصدق له أى لكتاب موسى وهى التوراة التى تضمنت خبره وخبر من جاء به وهو الرسول فجاء هو مصدقا لتلك الاخبار أو مصدقا الكتب الالهية ولسانا حال من الضمير فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب اذ قد وصف العامل فيه اسم الاشارة أولسانا حال موطئة والحال فى الحقيقة هو عربيا أو على حذف أى ذا الشأن عربى فيكون مفعولا بمصدق أى هذا القرآن مصدق من جاء به وهو الرسول وذلك باعجازه وأحواله البارعة وقيل انتصب على اسقاط الخافض أى بلسان عربى * وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعرج وأبو جعفر وابن عامر ونافع وابن كثير لتنذر بتاء الخطاب للرسول والاعمش وابن كثير أيضا وباقى السبعة بياء الغيبة أى لينذرنا القرآن والذين ظلموا الكفار عباد الأصنام حيث وضعوا العبادة فى غير من يستحقه وبشرى قيل معطوف على مصدق فهو فى موضع رفع أو على اضمار هو وقيل منصوب بفعل محذوف معطوف على لينذر أى ويبشر بشرى وقيل منصوب على اسقاط الخافض أى ولبشرى * وقال الزمخشرى وتبعه أبو البقاء وبشرى فى محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له انتهى وهذا لايجوز على الصحيح من مذهب النحويين لانهم يشترطون فى الحمل على المحل أن يكون المحل بحق الاصالة وان يكون للموضع محرز والمحل هنا ليس بحق الاصالة لان الاصل هو الجر فى المفعول

﴿ أف ﴾ تقدم الكلام عليه وان أخرج أى أبعث بعد الموت ﴿ من قبلى ﴾ ولم يبعث أحد بعد موته ﴿ وهما يستغيثان ﴾ جملة حالية واستغاث يتعدى بنفسه وبالباء ﴿ ويلك ﴾ دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لاحقيقة الهلاك ﴿ آمن ﴾ أمر منهما له بالايمان ﴿ ان وعد الله ﴾ هو البعث بعد الموت ﴿ ولكل ﴾ أى من المحسن والمسىء ﴿ درجات ﴾ لأن الجنة درجات غلب درجات والنار دركات ﴿ ولنوفيهم ﴾ بعثناهم

( الدر )

( ش ) وبشرى فى محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له انتهى ( ح ) تبعه فى ذلك أبو البقاء وهو لايجوز على الصحيح من مذاهب النحويين لانهم يشترطون فى الحمل على المحل أن يكون المحل بحق الأصالة وأن يكون للموضع محرز والمحل هنا ليس بحق الأصالة لان الأصل هو الجر فى المفعول له وانما النصب ناشئ عن اسقاط الخافض لكنه لما كثر بالشروط المذكورة فى النحو وصل اليه الفعل فنصبه

له وانما النصب ناشئ عن اسقاط الخافض لكنه لما كثر بالشروط المذكورة في النحو وصل اليه الفعل فنصبه * ولما عبر عن الكفار بالذين ظلموا عبر عن المؤمنين بالمحسنين ليقابل بلفظ الاحسان لفظ الظلم * ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تقدم الكلام على نظير هذه الآية في سورة فصلت ولما ذكر جزاء بما كانوا يعملون قال ووصينا اذ كان بر الوالدين ثانيا أفضل الاعمال اذ في الصحيح أي الاعمال أفضل فقال الصلاة على ميقاتها قال ثم أي قال ثم بر الوالدين وان كان عقوقهما ثاني أكبر الكبائر اذ قال عليه الصلاة والسلام ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين والوارد في برهما كثير * وقرأ الجمهور حسنا بضم الحاء واسكان السين وعلي والسلمي وعيسى بفتحهما وعن عيسى بضمهما والكوفيون احسانا فقيل ضمن ووصينا معنى ألزمنا فيتعدى لاثنين فانتصب حسنا واحسانا على المفعول الثاني لوصينا وقيل التقدير ايصاء ذا حسن أو ذا احسان ويجوز أن يكون حسنا بمعنى احسان فيكون مفعولا له أي ووصيناه بهما لاحساننا اليهما فيكون الاحسان من الله تعالى وقيل النصب على المصدر على تضمين وصينا معنى أحسنا بالوصية للانسان بوالديه احسانا * وقال ابن عطية ونصب هذا يعني احسانا على المصدر الصريح والمفعول الثاني في المجرور والباء متعلقة بوصينا أو بقوله احسانا انتهى ولا يصح أن يتعلق باحسانا لانه مصدر بحرف مصدري والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولان أحسن لا يتعدى بالباء انما يتعدى باللام تقول أحسنت لزيد ولا تقول أحسنت بزيد على معنى ان الاحسان يصل اليه وتقدم الكلام على ووصينا الانسان بوالديه حسنا في سورة العنكبوت وانجر هنا بالكلام على ذلك مزيد الفائدة * حملته أمه كرها ليس الكره في أول علوقها بل في ثاني استقرار الحمل اذ لا تدبير لها في حمله ولا تركه انتهى ولا يلحقها كره اذ ذاك فهذا احتمال بعيد * وقال مجاهد والحسن وقتادة المعنى حملته مشقة ووضعته مشقة * وقرأ الجمهور بضم الكاف وشيبة وأبو جعفر والأعرج والحرميان وأبو عمرو بالفتح وبهما معا أبو رجاء ومجاهد وعيسى والضم والفتح لغتان بمعنى واحد كالعقر والعقر وقالت فرقة بالضم المشقة وبالفتح الغلبة والقهر وضعفوا قراءة الفتح * وقال بعضهم لو كان بالفتح لرمت به عن نفسها اذ معناه القهر والغلبة انتهى وهذا ليس بشئ اذ قراءة الفتح في السبعة المتواترة * وقال أبو حاتم القراءة بفتح الكاف لا تحسن لان الكره بالفتح النصب والغلبة انتهى وكان أبو حاتم يطعن في بعض القرآن بما لا علم له به جسارة منه عفا الله عنه وانتصابهما على الحال من ضمير الفاعل أي حملته ذات كره أو على انه نعت لمصدر محذوف أي حملا ذا كره وحمله وفصاله ثلاثون شهرا أي ومدة حمله وفصاله وهذا لا يكون الا بان يكون أحد الطرفين ناقصا اما بان تلد المرأة لستة أشهر وترضع عامين واما ان تلد لتسعة أشهر على العرف وترضع عامين غير ربع عام فان زادت مدة الحمل نقصت مدة الرضاع فمدة الرضاع عام وتسعة أشهر واكمال العامين لمن أراد أن يتم الرضاعة وقد كشفت التجربة ان أقل مدة الحمل ستة أشهر كنص القرآن * وقال جالينوس كنت شديد الفحص عن مقدار زمن الحمل فرأيت امرأة ولدت لمائة وأربع وثمانين ليلة وزعم ابن سينا أنه شاهد ذلك وأما أكثر الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه * قال ابن سينا في الشفاء بلغني من جهة من أثق به كل الثقة أن امرأة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدت ولدا نبتت أسنانه * وحكى عن ارسطاطاليس أنه قال ان مدة الحمل لكل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت لسبعة أشهر ولثمانية وقل ما يعيش الولد في الثامن الا في بلاد معينة مثل مصر انتهى وعبر عن مدة الرضاع بالفصال لما كان الرضاع يلي الفصال

(ع) ونصب هذا يعني احسانا على المصدر الصريح والمفعول الثاني في المجرور والباء متعلقة بوصينا أو بقوله احسانا انتهى (ح) لا يصح أن يتعلق باحسانا لانه مصدر مقدر بحرف مصدري والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولأن أحسن لا يتعدى بالباء انما يتعدى باللام تقول أحسنت لزيد ولا تقول أحسنت بزيد على معنى أن الاحسان يصل اليه

ويلابسه لانه ينتهى به ويتم ممى به * وقرأ الجمهور وفصاله وهو مصدر فاصل كأنه من اثنين فاصل أمه وفاصلته * وقرأ أبو رجاء والحسن وقتادة والجحدرى وفصله قيل والفصل والفصال مصدران كالفطم والفطام * وهذا لطيفة ذكر تعالى الأم فى ثلاثة مراتب فى قوله بوالديه وحمله وارضاعه المعبر عنه بالفصال وذكر الوالد فى واحدة فى قوله بوالديه فناسب ما قال الرسول من جعل ثلاثة أرباع البر للام والربع للاب فى قول الرجل يارسول الله من أبر قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك * حتى اذا بلغ أشده فى الكلام حذف تكون حتى غاية له تقديره فعاش بعد ذلك أو استمرت حياته وتقدم الكلام فى بلغ أشده فى سورة يوسف والظاهر ضعف قول من قال بلوغ الاشد أربعون لعطف وبلغ أربعين سنة والعطف يقتضى التغاير الاان ادعى أن ذلك توكيد لبلوغ الاشد فيمكن والتأسيس أولى من التأكيد وبلوغ الاربعين اكتمال العقل لظهور الفلاح قيل ولم يبعث نبى الابعد الاربعين * وفى الحديث أن الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب ويقول بأبى وجه لايفلح * قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وتقدم الكلام على هذا فى سورة النمل * وأصلح لى فى ذريتى سأل أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لى الصلاح فى ذريتى فأوقعه فيهم أوضمن وأصلح لى معنى والطف بى فى ذريتى لأن أصلح يتعدى بنفسه لقوله وأصلحنا له زوجه فلذلك احتيج قوله فى ذريتى الى التأويل قيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وتتناول من بعده وهو مشكل لانها نزلت بمكة وأبوه أسلم عام الفتح ولقوله أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا فلم يقصد بذلك أبو بكر ولا غيره والمراد بالانسان الجنس ولذلك أشار بقوله أولئك جمعا * وقرأ الجمهور يتقبل مبنيا للمفعول أحسن رفعا وكذا ويتجاوز وزيد بن على وابن وثاب وطلحة وأبو جعفر والأعمش بخلاف عنه وحمزة والكسائى وحفص نتقبل أحسن نصبا ونتجاوز بالنون فيهما والحسن والأعمش وعيسى بالياء فيهما مفتوحة ونصب أحسن فى أصحاب الجنة قيل فى بمعنى مع وقيل هو نحو قولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه يريد فى جملة من أكرم منهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة وانتصب وعد الصدق على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لأن قوله أولئك الذين يتقبل وعد منه تعالى بالتقبل والتجاوز لما ذكر الانسان البار بوالديه وما آل اليه من الخير ذكر العاق بوالديه وما آل اليه من الشر والمراد بالذى الجنس ولذلك جاء الخبر مجموعا فى قوله أولئك الذين حق عليهم القول * وقال الحسن هو الكافر العاق بوالديه المنكر البعث وقول مروان بن الحكم واتبعه قتادة أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قول خطأ ناشئ عن جور حين دعا مروان وهو أمير المدينة الى مبايعة يزيد فقال عبد الرحمن جعلتموها هرقلية كلما مات هرقل ولى ابنه وكلما مات قيصر ولى ابنه فقال مروان خذوه فدخل بيت أخته عائشة رضى الله عنها وقد أنكرت ذلك عائشة فقالت وهى الصدوقة لم ينزل فى آل أبى بكر من القرآن غير براءتى وقالت والله ماهو به ولو شئت أن أسميه لسميته وصدت مروان وقالت ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله ويدل على فساد هذا القول أنه تعالى قال أولئك الذين حق عليهم القول وهذه صفات الكفار أهل النار وكان عبد الرحمن من أفاضل الصحابة وسراتهم وأبطالهم وممن له فى الاسلام غناء يوم اليمامة وغيره * أف لكما تقدم الكلام على أف مدلولا ولغات وقراءة فى سورة الاسراء واللام فى لكما للبيان أى لكما أعنى التأفيف * وقرأ الجمهور أتعدانى بنونين

وقرئ أذهبتم على الخبر وأأذهبتم بهمزتين على الاستفهام وهو استفهام توبيخ وانكار فاليوم هو يوم القيامة ﴿ واذكر أخا عاد ﴾ هو هود عليه السلام والاحقاف قال ابن  عباس واد بين عمان ومهرة ﴿ وقد خلت النذر من بين يديه ﴾ هم الرسل الذين تقدموا زمانه ﴿ ومن خلفه ﴾ الرسل الذين كانوا في زمانه وقد خلت جملة حالية وأن لاتعبدوا متعلق بالنذر ﴿ قالوا أجئتنا ﴾ استفهام تقرير وتوبيخ فيما أنذرهم اياهم من العذاب العظيم على ترك افراد الله تعالى بالعبادة ﴿ لتأفكنا ﴾ أي لتصرفنا ﴿ عن آلهتنا ﴾ بالافك وهو الكذب ﴿ فأتنا ﴾ استعجال منهم لحلول ما وعدهم به من العذاب العظيم والضمير في رأوه الظاهر انه عائد على ما في قوله بما تعدنا وهو العذاب وانتصب عارضا على الحال من المفعول وقال الزمخشري فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع الى ماتعدنا وان يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا اما تمييزا واما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح انتهى هذا الذي ذكر أنه أعرب وأفصح ليس جاريا على ماذكره النحاة لأن المبهم الذي يفسره ويوضحه التمييز لا يكون الا في باب رب نحو ربه رجلا لقيته وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو وأما ان الحال توضح المبهم وتفسره فلا نعلم ان أحدا ذهب اليه وقد حصر النحاة الذي يفسره ما بعده فلم يذكر وا فيه مفعول رأى اذا كان ضميرا ولا ان الحال تفسر الضمير وتوضحه والعارض المعترض في الجو من السحاب الممطر وأودية جمع واد وهو جمع شاذ في القياس اذ فاعل الاسم لا يجمع على أفعلة

الأولى مكسورة والحسن وعاصم وأبو عمرو في رواية وهشام بادغام نون الرفع في نون الوقاية * وقرأ نافع في رواية وجماعة بنون واحدة وقرأ الحسن وشيبة وأبو جعفر بخلاف عنه وعبد الوارث عن أبي عمرو وهارون بن موسى عن الجحدري وسام عن هشام بفتح النون الأولى كأنهم فروا من الكسرتين والياء الى الفتح طلبا للتخفيف ففتحوا كما فر من أدغم ومن حذف * وقال أبو حاتم فتح النون باطل غلط * أن أخرج أي أخرج من قبري للبعث والحساب * وقرأ الجمهور أن أخرج مبنيا للمفعول والحسن وابن يعمر والاعمش وابن مصرف والضحاك مبنيا للفاعل * وقد خلت القرون من قبلي أي مضت ولم يخرج منهم أحد ولا بعث * وقال أبو سليمان الدمشقي وقد خلت القرون من قبلي مكذبة بالبعث * وهما يستغيثان الله يقال استغثت الله واستغثت بالله والاستعمالان في لسان العرب وقد رددنا على ابن مالك انكار تعديته بالباء وذكرنا شواهد على ذلك في الانفال أي يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك وقيل ويلك لمن يحقر ويحرك لامر يستعجل اليه * وقرأ الأعرج وعمرو بن فائد أن وعد الله بفتح الهمزة أي آمن بأن وعد الله حق والجمهور بكسرها فيقول ماهذا أي ماهذا الذي يقول أي من الوعد بالبعث من القبور الا شئ سطره الأولون في كتبهم ولا حقيقة له * قال ابن عطية وظاهر ألفاظ هذه الآية انها نزلت في مشار اليه قال وقبل له فنفى الله أقواله تحذيرا من الوقوع في مثلها وقوله أولئك ظاهره أنه اشارة الى جنس يتضمنه قوله والذي قال ويحتمل أن تكون الآية في مشار اليه ويكون قوله في أولئك بمعنى صنف هذا المذكور وجنسه هم الذين حق عليهم القول أي قول الله أنه يعذبهم في أمم أي جملة أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقتضي أن الجن يموتون قرنا بعد قرن كالانس * وقال الحسن في بعض مجالسه الجن لا يموتون فاعترضه قتادة بهذه الآية فسكت * وقرأ العباس عن أبي عمرو وأنهم كانوا بفتح الهمزة والجمهور بالكسر ولكل أي من المحسن والمسيء درجات غلب درجات اذ الجنة درجات والنار دركات والمعنى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا منها * قال ابن زيد درجات المحسنين تذهب علوا ودرجات المسيئين تذهب سفلا انتهى والمعلل محذوف تقديره وليوفيهم أعمالهم قدر جزائهم بجعل الثواب درجات والعقاب دركات * وقرأ الجمهور وليوفيهم بالياء أي الله تعالى والاعمش والاعرج وشيبة وأبو جعفر والاخوان وابن ذكوان ونافع بخلاف عنه بالنون والسلمي بالتاء من فوق أي ولتوفيهم الدرجات أسند التوفية اليها مجازا ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون * واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به اليكم ولكني أراكم قوما تجهلون * فلما

رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ ويوم يعرض أي يعذب بالنار كما يقال عرض على السيف اذا قتل به والعرض المباشرة كما تقول عرضت العود على النار أي باشرت به النار * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها انتهى ولا ينبغي حمل القرآن على القلب إذ الصحيح في القلب انه مما يضطر اليه في الشعر واذا كان المعنى صحيحا واضحا مع عدم القلب فأي ضرورة تدعو اليه وليس في قولهم عرضت الناقة على الحوض ولا في تفسير ابن عباس ما يدل على القلب لان عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة كل منهما صحيح إذ العرض أمر نسبي يصح اسناده لكل واحد من الناقة والحوض * وقرأ الجمهور أذهبتم على الخبر أي فيقال لهم أذهبتم ولذلك حسنت الفاء في قوله فاليوم تجزون * وقرأ قتادة ومجاهد وابن وثاب وأبو جعفر والأعرج وابن كثير بهمزة بعدها مدة مطولة وابن عامر بهمزتين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية هشام وابن كثير في رواية * وعن هشام الفصل بين المحققة والملينة بألف وهذا الاستفهام هو على معنى التوبيخ والتقرير فهو خبر في المعنى فلذلك حسنت الفاء ولو كان استفهاما محضا لم تدخل الفاء والطيبات هنا المستلذات من المآكل والمشارب والملابس والمفارش والمراكب والمواطئ وغير ذلك مما يتنعم به أهل الرفاهية وهذه الآية محرضة على التقلل من الدنيا وترك التنعم فيها والأخذ بالتقشف وما يجتزي به رمق الحياة عن رسول الله في ذلك ما يقتضي التأسي به * وعن عمر في ذلك أخبار تدل على معرفته بأنواع الملاذ وعزة نفسه الفاضلة عنها أتظنون انا لا نعرف خفض العيش ولو شئت لجعلت أكبادا وصلاء وصلائق ولكن استبقي حسناتي فان الله عز وجل وصف أقواما فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم والصلاء الشواء والصفار المتخذ من الخردل والزبيب والصلائق الخبز الرقاق العريض * قال ابن عباس وهذا من باب الزهد والا فالآية نزلت في كفار قريش والمعنى انه كانت تكون لكم طيبات الآخرة لو آمنتم لكنكم لم تؤمنوا فاستعجلتم طيباتكم في الحياة الدنيا فهذه كناية عن عدم الايمان ولذلك ترتب عليه فاليوم تجزون عذاب الهون ولو أريد الظاهر ولم يكن كناية عن ما ذكرنا لم يترتب عليه الجزاء بالعذاب * وقرئ الهوان وهو والهون بمعنى واحد ثم بين تلك الكناية بقوله بما كنتم تستكبرون أي ترفعون عن الايمان وبما كنتم تفسقون أي بمعاصي الجوارح وقدم ذنب القلب وهو الاستكبار على ذنب الجوارح إذ أعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب ولما كان أهل مكة مستغرقين في لذات الدنيا معرضين عن الايمان وما جاء به الرسول ذكرهم بما جرى للعرب الأولى وهم قوم عاد وكانوا أكثر أموالا وأشد قوة وأعظم جاها فيهم فسلط عليهم العذاب بسبب كفرهم وضرب الأمثال وقصص من تقدم تعرف بقبح الشيء وتحسينه فقال لرسوله واذكر لقومك أهل مكة هودا عليه السلام إذ أنذر قومه عادا عذبهم الله بالأحقاف * قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة * وقال ابن اسحق من عمان الى

بتدميرما أمرت به وقرئ نرى بالتاء مبنيا للمفعول مساكنهم رفع ولما أخبر بهلاك قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ﴿ولقد مكناهم﴾ وان نافية أي في الذي ما مكناكم فيه من القوة والغنى والبسط في الاجسام والاموال ولم يكن النفي بلفظ ما كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى

( الدر )

( ش ) ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها انتهى ( ح ) لا ينبغي حمل القرآن على القلب اذ الصحيح في القلب أنه مما يضطر اليه في الشعر واذا كان المعنى صحيحا واضحا مع عدم القلب فأي ضرورة تدعو اليه وليس في قولهم عرضت الناقة على الحوض ولا في تفسير ابن عباس ما يدل على القلب. لأن عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة كل منهما صحيح اذ العرض أمر نسبي يصح اسناده لكل واحد من الناقة والحوض

حضرموت * وقال ابن زيد رمال مشرفة بالشحر من اليمن * وقيل بين مهرة وعدن * وقال قتادة هي بلاد الشحر المواصلة للبحر اليماني * وقال ابن عباس هي جبل بالشام * قال ابن عطية والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت إرم ذات العماد وفي ذكر هذه القصة اعتبار لقريش وتسلية للرسول إذ كذبه قومه كما كذبت عاد هودا عليه السلام والجملة من قوله وقد خلت النذر وهو جمع نذير من بين يديه ومن خلفه يحتمل أن تكون حالا من الفاعل في النذر من بين يديه وهم الرسل الذين تقدموا زمانه ومن خلفه الرسل الذين كانوا في زمانه ويكون على هذا معنى ومن خلفه أي من بعد انذاره ويحتمل أن يكون اعتراضا بين انذار قومه وأن لا تعبدوا والمعنى وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم * قالوا أجئتنا استفهام تقرير وتوبيخ وتعجيز له فيما أنذره إياهم من العذاب العظيم على ترك افراد الله بالعبادة * لتأفكنا لتصرفنا قاله الضحاك أو لتزيلنا عن آلهتنا بالافك وهو الكذب أي عن عبادة آلهتنا * فأتنا بما تعدنا استعجال منهم بحلول ما وعدهم به من العذاب ألا ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به * قال انما العلم عند الله أي علم وقت حلوله وليس تعيين وقته الي وانما أنا مبلغ ما أرسلني به الله اليكم ولما تحقق عنده وعد الله وانه حال بهم وهم في غفلة من ذلك وتكذيب قال ولكني أراكم قوما تجهلون أي عاقبة أمركم لا شعور لكم بها وذلك واقع لا محالة وكانت عاد قد حبس الله عنها المطر أياما فساق الله اليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فاستبشروا والضمير في رأوه الظاهر انه عائد على ما في قوله بما تعدنا وهو العذاب وانتصب عارضا على الحال من المفعول * وقال ابن عطية ويحتمل أن يعود على الشيء المرئي الطالع عليهم الذي فسره قوله عارضا * وقال الزمخشري فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع الى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييز وإما حال وهذا الوجه أعرب وأفصح انتهى وهذا الذي ذكر أنه أعرب وأفصح ليس جاريا على ما ذكره النحاة لان المبهم الذي يفسره ويوضحه التمييز لا يكون إلا في باب رب نحو ربه رجلا لقيته وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو وأما ان الحال يوضح المبهم ويفسره فلا نعلم أحدا ذهب اليه وقد حصر النحاة المضمر الذي يفسره ما بعده فلم يذكروا فيه مفعول رأى اذا كان ضميرا ولا أن الحال يفسر الضمير ويوضحه * والعارض المعترض في الجو من السحاب الممطر * ومنه قول الشاعر

يامن رأى عارضا أرقت له * بين ذراعي وجبهة الأسد

﴿ وقال الأعشى ﴾

يامن رأى عارضا قد بت أرمقه * كأنما البرق في حافاتها الشعل

مستقبل أوديتهم هو جمع واد وأفعلة في جمع فاعل الاسم شاذ نحو ناد وأندية وجائز وأجوزة والجائز الخشبة الممتدة في أعلى السقف واضافة مستقبل وممطر اضافة لا تعرف فلذلك نعت بهما النكرة بل هو ما استعجلتم أي قال لهم هود ذلك أي بل هو العذاب الذي استعجلتم به اضرب عن قولهم عارض ممطرنا وأخبر بأن العذاب فاجأهم ثم قال ريح أي هي ريح بدل من هو * وقرأ ما استعجلتم بضم التاء وكسر الجيم وتقدمت قصص في الريح فأغنى عن ذكرها هنا * تدمر أي تهلك والدمار الهلاك وتقدم ذكره * وقرأ زيد بن علي تدمر بفتح التاء وسكون الدال وضم الميم * وقرئ كذلك إلا أنه بالياء ورفع كل أي يهلك كل شيء وكل شيء عام مخصوص أي من نفوسهم وأموالهم أو من أمرت بتدميره

(ش) فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع الى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا وإما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح انتهى (ح) هذا الذي ذكر من أنه أعرب وأفصح ليس جاريا على ماذكره النحاة لان المبهم الذي يفسره ويوضحه التمييز لا يكون الا في باب رب نحو ربه رجلا لقيته وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو وأما أن الحال توضح المبهم وتفسره فلا نعلم أحدا ذهب اليه وقد حصر النحاة المضمر الذي يفسره مابعده فلم يذكروا فيه معمول رأى اذا كان ضميرا ولا أن الحال تفسر الضمير وتوضحه

﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم والذى حولهم من القرى مارب وحجر ثمود وسدوم ﴿ وصرفنا الآيات ﴾ أى الحجج والدلائل ﴿ فلولا نصرهم ﴾ أى فهلا نصرهم حين جاءهم الهلاك ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى اتخذوهم من دون الله قربانا أى فى حال التقرب وجعلهم شفعاء ﴿ آلهة ﴾ وهو المفعول الثانى لاتخذوا والاول الضمير المحذوف العائد على الموصول وقال الزمخشرى وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدل لفساد المعنى انتهى لم يبين الزمخشرى كيف يفسد المعنى ويظهر ان المعنى صحيح على ذلك الاعراب ﴿ واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ﴾ قصة الجن كانت مرتين الأولى يأتى ذكرها والثانية أن الله تعالى أمره عليه السلام أن ينذر الجن ويقرأ عليهم القرآن فقال انى أمرت أن أقرأ على الجن فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره أحد ليلة الجن غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا فى شعب الحجون خط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثيابا بيضا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك وفى آخر هذا الحديث قلت يا رسول الله سمعت لهم لغطا فقال انهم تداروا فى قتيل لهم فحكمت بالحق ﴿ فلما حضروه ﴾ أى القرآن ﴿ قالوا أنصتوا ﴾ أى اسكتوا للاستماع وفيه تأدب مع العلم وكيف يتعلم



واضافة الرب الى الريح دلالة على انها وتصريفها مما يشهد بباهر قدرته تعالى لانها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الأمر لكونها مأمورة من جهته تعالى * وقرأ الجمهور لا ترى بتاء الخطاب إلا مساكنهم بالنصب وعبد الله ومجاهد وزيد بن على وقتادة وأبو حيوة وطلحة وعيسى والحسن وعمرو بن ميمون بخلاف عنهما وعاصم وحمزة لا يرى بالياء من تحت مضمومة الا مساكنهم بالرفع وأبو رجاء ومالك بن دينار بخلاف عنهما والجحدرى والأعمش وابن أبى اسحق والسلمى بالتاء من فوق مضمومة مساكنهم بالرفع وهذا لا يجيزه أصحابنا الا فى الشعر وبعضهم يجيزه فى الكلام * وقال ذو الرمة

كأنه جمل هم وما بقيت * الا النحيزة والألواح والعصب

وقال آخر * فما بقيت الا الضلوع الجراشع * وقرأ عيسى الهمدانى لا يرى بضم الياء الا مسكنهم بالتوحيد * وروى هذا عن الأعمش ونصر بن عاصم * وقرئ لا ترى بتاء مفتوحة للخطاب الا مسكنهم بالتوحيد مفردا منصوبا واجتزئ بالمفرد عن الجمع تصغيرا لشأنهم وانهم لما هلكوا فى وقت واحد فكأنهم كانوا فى مسكن واحد ولما أخبر بهلاك قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ولقد مكناهم وان نافية أى فى الذى ما مكناهم فيه من القوة والغنى والبسط فى الأجسام والأموال ولم يكن النفى بلفظ ما كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى وقيل ان شرطية محذوفة الجواب والتقدير ان مكناكم فيه طغيتم وقيل ان زائدة بعد ما الموصولة تشبيها بما النافية وما التوقيتية فهى فى الآية كهى فى قوله

يرجى المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

أى مكناهم فى مثل الذى مكناكم فيه وكونها نافية هو الوجه لان القرآن يدل عليه فى مواضع كقوله كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وقوله هم أحسن أثاثا ورئيا وهو أبلغ فى التوبيخ وأدخل فى الحث فى الاعتبار ثم عدد نعمه عليهم وانها لم تغن عنهم شيأ حيث لم يستعملوا السمع والأبصار والأفئدة فيما يجب أن يستعمل وقيل ما استفهام بمعنى التقرير وهو بعيد كقوله من شئ إذ يصير التقدير أى شئ مما ذكر أغنى عنهم من شئ فتكون من زيدت فى الموجب وهو لا يجوز على الصحيح والعامل فى إذ أغنى ويظهر فيها معنى التعليل لو قلت أكرمت زيدا لاحسانه الى أو إذ أحسن الى استويا فى الوقت وفهم من إذ ما فهم من لام التعليل وان اكرامك اياه فى وقت احسانه اليك انما كان لوجود احسانه لك فيه ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون * فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون * وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا

﴿ فلما قضى ﴾ أى القرآن ﴿ ولوا الى قومهم منذرين ﴾ تفرقوا على البلاد ينذرون الجن قال قتادة ما أسرع ما عقل القوم وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب وخنافر وأمثالهما حين جاءهما رياهما من الجن وكان سبب اسلامهما ﴿ من بعد موسى ﴾ أى بعد كتاب موسى قال عطاء كانوا على ملة اليهود ﴿ أجيبوا داعى الله ﴾ هو الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا به يعود على الله ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ من للتبعيض ﴿ ويجركم من عذاب أليم ﴾ وهذا كله وظواهر القرآن يدل على أن الجن مكلفون ولم ينص هنا على ثوابهم اذا أطاعوا وعمومات القرآن تدل على الثواب وكذا قال ابن عباس لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون فى الجنة ويزدحمون على أبوابها ﴿ فليس بمعجز ﴾ (٦٦) أى بفائت من عقابه اذ لا منجا ولا مهرب منه قال الزمخشرى ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها انتهى لا ينبغى حمل القرآن على القلب اذ الصحيح فى القلب انه مما يضطر اليه فى الشعر واذا كان المعنى صحيحا واضحا مع عدم القلب فأى ضرورة تدعو اليه وليس فى قولهم عرضت الناقة على الحوض ولا فى تفسير ابن عباس ما يدل على القلب لان عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة كل منهما صحيح اذ العرض أمر نسبى يصح اسناده لكل واحد من الحوض والناقة ﴿ أليس هذا بالحق ﴾ أى يقال لهم والاشارة بهذا الى العذاب ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ تصديق حيث لا ينفع فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك فذوقوا العذاب ﴿ فاصبر ﴾ الفاء عاطفة هذه الجملة على الجملة من أخبار الكفار فى الآخرة والمعنى بينهما مرتبط أى هذه حالهم مع الله تعالى فلا تستعجل أنت واصبر ولا تخف الا الله تعالى وأولوا العزم أى الجد من الرسل ﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ أى لكفار قريش بالعذاب أى لا تدع بتعجيله لهم فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا كأنهم لم يلبثوا فيها الا ساعة من نهار بلاغ يعنى به القرآن والشرع أى هذا بلاغ أى تبليغ وانذار وبلاغ مبتدأ خبره لهم ﴿ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ﴾

فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين * قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم * ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين * أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شئ قدير * ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون * لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ﴾ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم والذى حولهم من القرى مارب وحجر ثمود وسدوم ويريد من أهل القرى وصرفنا الآيات أى الحجج والدلائل والعظات لاهل تلك القرى لعلهم يرجعون عما هم فيه من الكفر الى الايمان فلم يرجعوا فلولا نصرهم أى فهلا نصرهم حين جاءهم الهلاك الذين اتخذوا أى اتخذوهم من دون الله قربانا أى فى حال التقرب وجعلهم شفعاء آلهة وهو المفعول الثانى لاتخذوا والاول الضمير المحذوف العائد على الموصول وأجاز الحوفى وابن عطية وأبو البقاء أن يكون قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا آلهة بدل منه * وقال الزمخشرى وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدل منه لفساد المعنى انتهى ولم يبين الزمخشرى كيف يفسد المعنى ويظهر ان المعنى صحيح على ذلك الاعراب وأجاز الحوفى أيضا أن يكون قربانا مفعولا من أجله بل ضلوا عنهم أى غابوا عن نصرتهم * وقرأ الجمهور افكهم بكسر الهمزة واسكان الفاء وضم الكاف وابن عباس فى رواية بفتح الهمزة والافك مصدران * وقرأ ابن عباس أيضا وابن الزبير والصباح بن العلاء الانصارى وأبو عياض وعكرمة وحنظلة بن النعمان ابن مرة ومجاهد افكهم بثلاث فتحات أى صرفهم وأبو عياض وعكرمة أيضا كذلك الا انه ما شددا الفاء للتكثير وابن الزبير أيضا وابن عباس فيما ذكر ابن خالويه آفكهم بالمد فاحتمل أن يكون فاعل فالهمزة أصلية وأن يكون أفعل فالهمزة للتعدية أى جعلهم يأفكون ويكون افعل بمعنى المجرد وعن الفراء انه قرئ افكهم بفتح الهمزة والفاء وضم الكاف وهى لغة فى الافك وابن عباس فيما روى قطرب وأبو الفضل الرازى آفكهم اسم فاعل من افك أى صارفهم والاشارة بذلك على من قرأ

( الدر ) ( ش ) وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدل منه لفساد المعنى انتهى ( ح ) لم يبين

أفكهم مصدرا الى اتخاذ الاصنام آلهة أى ذلك كذبهم وافتراؤهم * وقال الزمخشرى وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أى وذلك أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء انتهى وعلى قراءة من جعله فعلا معناه وذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق وكذلك قراءة اسم الفاعل أى صارفهم عن الحق ويحتمل أن تكون ما مصدرية أى وافتراؤهم وان تكون بمعنى الذى والعائد محذوف أى يفترونه * واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن * ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما بين ان الانس مؤمن وكافر وذكر أن الجن فيهم مؤمن وكافر وكان ذلك بأثر قصة هود وقومه لما كان عليه قومه من الشدة والقوة والجن توصف أيضا بذلك كما قال تعالى قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين وان ما أهلك به قوم هود هو الريح وهو من العالم الذى لا يشاهد وانما يحس بهبوبه والجن أيضا من العالم الذى لا يشاهد وان هودا عليه السلام كان من العرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب فهذه تجوز أن تكون مناسبة لهذه الآية بما قبلها وفيها أيضا توبيخ لقريش وكفار العرب حيث أنزل عليهم هذا الكتاب المعجز فكفروا به وهم من أهل اللسان الذى أنزل به القرآن ومن جنس الرسول الذى أرسل اليهم وهؤلاء جن فليسوا من جنسه وقد أثر فيهم سماع القرآن وآمنوا به وبمن أنزل عليه وعلموا انه من عند الله بخلاف قريش وأمثالها فهم مصرون على الكفر به واذ صرفنا وجهنا اليك * وقرأ صرفنا بتشديد الراء لانهم كانوا جماعة فالتكثير بحسب الحال نفرا من الجن والنفر دون العشرة ويجمع على أنفار * قال ابن عباس كانوا سبعة منهم زوبعة والذى يجمع اختلاف الروايات ان قصة الجن كانت مرتين احداهما حين انصرف من الطائف وكان خرج اليهم يستنصرهم فى قصة ذكرها أصحاب السير * فروى ان الجن كانت تسترق السمع فلما بعث الرسول حرست السماء ورمى الجن بالشهب قالوا ما هذا الأمر حدث وطافوا الارض فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى نخلة وهو قائم يصلى فاستمعوا القراءة وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم والمرة الأخرى ان الله أمره أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فقال انى أمرت أن أقرأ على الجن فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره أحد ليلة الجن غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا فى شعب الحجون خط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم تقطعوا تقطع السحاب فقال لى هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك وفى آخر هذا الحديث قلت يا رسول الله سمعت لهم لغطا فقال انهم تدارؤا فى قتيل لهم فحكمت بالحق * وقد روى عن ابن مسعود انه لم يحضر أحد ليلة الجن والله أعلم بصحة ذلك * فلما حضروه أى القرآن أى كانوا بمسمع منه وقيل حضروا الرسول وهو التفات من اليك الى ضمير الغيب قالوا انصتوا أى اسكتوا للاستماع وفيه تأديب مع العلم وكيف يتعلم * وقرأ الجمهور فلما قضى مبنيا للمفعول وأبو مجلز وحبيب بن عبد الله بن الزبير قضى مبنيا للفاعل أى قضى محمد ما قرأ أى أتمه وفرغ منه * وقال ابن عمر وجابر بن عبد الله قرأ عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من آيات ربنا نكذب ربنا لك الحمد * ولوا الى قومهم منذرين تفرقوا على البلاد ينذرون الجن * قال قتادة ما أسرع ما عقل القوم انتهى وعند ذلك وقعت قصة سواد بن

فى هذه الآية وعيد وانذار

( الدر )

( ش ) كيف يفسد المعنى ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الاعراب

قارب وخنافر وأمثالهما حين جاءهما رياهما من الجن وكان سبب اسلامهما من بعد موسى أي من بعد كتاب موسى قال عطاء كانوا على ملة اليهود وعن ابن عباس لم تسمع الجن بأمر عيسى وهذا لا يصح عن ابن عباس كيف لا تسمع بأمر عيسى وله أمة عظيمة لا تنحصر على ملته فيبعد عن الجن كونهم لم يسمعوا به ويجوز أن يكونوا قالوا من بعد موسى تنبيها لقومهم على اتباع الرسول اذ كان عليه الصلاة والسلام قد بشر به موسى فقالوا ذلك من حيث ان هذا الامر مذكور في التوراة مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل والكتب الالهية اذ كانت كلها مشتملة على التوحيد والنبوة والمعاد والأمر بتطهير الاخلاق * يهدي الى الحق أي الى ما هو حق في نفسه صدق يعلم ذلك بصريح العقل والى صراط مستقيم غاير بين اللفظين والمعنى متقارب وربما استعمل أحدهما في موضع لا يستعمل الآخر فيه فجمع هنا بينهما بحسن التكرار أجيبوا داعي الله هو الرسول والواسطة المبلغة عنه وآمنوا به يعود على الله * يغفر لكم من ذنوبكم من للتبعيض لانه لا يغفر بالايمان ذنوب المظالم قال معناه الزمخشري وقيل من زائدة لان الاسلام يجب ما قبله فلا يبقى معه تبعة ويجركم من عذاب أليم وهذا كله وظواهر القرآن تدل على الثواب وكذا قال ابن عباس لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون على أبوابها وقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار واليه كان يذهب أبو حنيفة * فليس بمعجز في الارض أي بفائت من عقابه اذ لا منجا منه ولا مهرب كقوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا * وروي عن ابن عامر وليس لهم بزيادة ميم * وقرأ الجمهور ولم يعي مضارع عيي على وزن فعل بكسر العين والحسن ولم يعي بكسر العين وسكون الياء ووجهه انه في الماضي فتح عين الكلمة كما قالوا في بقي بقا وهي لغة لطيء ولما بني الماضي على فعل بفتح العين بني مضارعه على يفعل بكسر العين فجاء يعيي فلما دخل الجازم حذف الياء فبقي يعي بنقل حركة الياء الى العين فسكنت الياء وبقي يعي * وقرأ الجمهور بقادر اسم فاعل والباء زائدة في خبر ان وحسن زيادتها كون ما قبلها في حيز النفي وقد أجاز الزجاج ما ظننت ان أحدا بقائم قياسا على هذا والصحيح قصر ذلك على السماع فكأنه في الآية قال أليس الله بقادر ألا ترى كيف جاء ببلى مقررا لاحياء الموتى لا لرؤيتهم * وقرأ الجحدري وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وعيسى والاعرج بخلاف عنه ويعقوب يقدر مضارعا * أليس هذا بالحق أي يقال لهم والاشارة بهذا الى العذاب أي كنتم تكذبون بانكم تعذبون والمعنى توبيخهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا تصديق حيث لا ينفع * وقال الحسن انهم ليعذبون في النار وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون انه العدل فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل الفاء عاطفة هذه الجملة على الجملة من اخبار الكفار في الآخرة والمعنى بينهما مرتبط أي هذه حالهم مع الله فلا تستعجل أنت واصبر ولا تخف الا الله وأولو العزم أي أولو الجد من الرسل وهم من حفظ له شدة مع قومه ومجاهدة فتكون من للتبعيض وقيل يجوز أن تكون للبيان أي الذين هم الرسل ويكون الرسل كلهم أولي العزم وأولو العزم على التبعيض يقتضي أنهم رسل وغير رسل وعلى البيان يقتضي أنهم الرسل وكونها للتبعيض قول عطاء الخراساني والكلبي وللبيان قول ابن زيد * وقال الحسن بن الفضل هم الثمانية عشر المذكورة في سورة الانعام لانه قال عقب ذكرهم فبهداهم اقتده * وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه طو يلا وابراهيم صبر على النار واسحق صبر نفسه على الذبح ويعقوب صبر على الفقد لولده وعمي

بصره وقال فصبر جميل ويوسف صبر على السجن والبئر وأيوب على البلاء وزاد غيره وموسى قال قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها * ولا تستعجل لهم أى الكفار قريش بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم فى الدنيا كأنهم لم يلبثوا الا ساعة * وقرأ أبى من النهار وقرأ الجمهور من نهار * وقرأ الجمهور بلاغ بالرفع والظاهر رجوعه الى المدة التى لبثوا فيها كأنه قيل تلك الساعة بلاغهم كما قال تعالى متاع قليل فبلاغ خبر مبتدا محذوف قيل ويحتمل أن يكون بلاغ يعنى به القرآن والشرع أى هذا بلاغ أى تبليغ وانذار * وقال أبو مجلز بلاغ مبتدا وخبره لهم ويقف على فلا تستعجل وهذا ليس بجيد لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض اذ ظاهر قوله لهم انه متعلق بقوله فلا تستعجل لهم والحيلولة بالجملة التشبيهية بين الخبر والمبتدا * وقرأ الحسن وزيد بن على وعيسى بلاغا بالنصب فاحتمل أن يراد بلاغا فى القرآن أى بلغوا بلاغا أو بلغنا بلاغا * وقرأ الحسن أيضا بلاغ بالجر نعتا لنهار * وقرأ أبو مجلز وأبو سراح الهذلى بلغ على الأمر للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا يؤيد حمل بلاغ رفعا ونصبا على انه يعنى به تبليغ القرآن والشرع وعن أبى مجلز أيضا بلغ فعلا ماضيا * وقرأ الجمهور يهلك بضم الياء وفتح اللام وابن محيصن فيما حكى عنه ابن خالويه بفتح الياء وكسر اللام وعنه أيضا بفتح الياء واللام وماضيه هلك بكسر اللام وهى لغة * وقال أبو الفتح هى مرغوب عنها * وقرأ زيد بن ثابت يهلك بضم الياء وكسر اللام الا القوم الفاسقين بالنصب وفى هذه الآية وعيد وانذار

---

﴿ سورة القتال أربعون آية مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

---

﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم * ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم * كذلك يضرب الله للناس أمثالهم * فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها * ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم * يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم * أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم * دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها * ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم * إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم * وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم * أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم * مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم * ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من

عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم * والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم * فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها * فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم * فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم * ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم * طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم * فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها * ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم * فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم * أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم * ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم * ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم * ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم * فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم * إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم * إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم * ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ * البال الفكر تقول خطر فى بالى كذا ولا يثنى ولا يجمع وشذ قولهم بالات فى جمعه * تعس الرجل بفتح العين تعسا ضد تنعش وأتعسه الله * قال مجمع بن هلال

تقول وقد أفردتها من حليلها * تعست كما أتعستنى يا مجمع

* وقال قوم منهم عمرو بن شميل وأبو الهيثم تعس بكسر العين * وعن أبى عبيدة تعسه الله وأتعسه فى باب فعلت وأفعلت * وقال ابن السكيت التعس أن يخر على الوجه * والنكس أن يخر على الرأس وقال هو أيضا وثعلب التعس الهلاك * وقال الأعشى

بذات لوث عفرنات اذا عثرت * فالتعس أولى لها من أن أقول لعا

* آسن الماء تغير ريحه يأسن ويأسن ذكره ثعلب فى الفصيح والمصدر أسون وأسن بكسر السين يأسن بفتحها لغة أسنا قاله اليزيدى وأسن الرجل بالكسر لا غير اذا دخل البئر فأصابته ريح من ريح البئر فغشى عليه أودار رأسه * قال الشاعر

قد أترك القرن مصفرا أنامله * يميد فى الرمح ميد المائح الأسن

* الاشراط العلامات واحدها شرط بسكون الراء وبفتحها * قال أبو الأسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت اشراط أوله تبدو

وأشرط الرجل نفسه ألزمها أمورا * قال أوس بن حجر

فأشرط فيها نفسه وهو معصم * فألقى بأسباب له وتوكلا

* العسل معروف وعسل بن ذكوان رجل نحوى قديم * المعى مقصور وألفه منقلبة عن ياء يدل عليه تثنيته معيان بقلب الألف ياء والمعى ما فى البطن من الحوايا * القفل معروف وأصله اليبس والصلابة والقفل والقفيل ما يبس من الشجر والقفيل أيضا نبت والقفيل السوط وأقفله الصوم أيبسه قاله الجوهرى * آنفا وآنفا هما اسما فاعل ولم يستعمل فعلهما والذى استعمل ائتنف وهما بمعنى مبتدياً وتفسيرهما بالساعة تفسير معنى * وقال الزجاج هو من استأنفت الشئ اذا ابتدأته * فأولى لهم قال صاحب الصحاح قول العرب أولى لك تهديد وتوعيد * ومنه قول الشاعر

فأولى ثم أولى ثم أولى * وهل للدار يحلب من مرد

انتهى واختلفوا أهو اسم أو فعل فذهب الأصمعى الى أنه بمعنى قاربه ما يهلكه أى نزل به * وأنشد

تعادى بين هاديتين منها * وأولى أن يزيد على الثلاث

أى قارب أن يزيد * قال ثعلب لم يقل أحد فى أولى أحسن مما قال الأصمعى * وقال المبرد يقال لمن هم بالعطب كما روى أن اعرابيا كان يوالى رمى الصيد فينفلت منه فيقول أولى لك ثم رمى صيدا فقاربه ثم أفلت منه * وقال

فلو كان أولى يطعم القوم صيدهم * ولكن أولى يترك القوم جوعا

والأكثرون على أنه اسم فقيل هو مشتق من الولى وهو القرب كما قال الشاعر

تكلفنى ليلى وقد شط وليها * وعادت عواد بيننا وخطوب

وقال الجرجانى هو ماخوذ من الويل فهو أفعل منه لكن فيه قلب * الضغن والضغينة الحقد * قال عمرو بن كلثوم

فان الضغن بعد الضغن يفشو * عليك ويخرج الداء الدفينا

وقد ضغن بالكسر وتضاغن القوم وأضغنوا أبطنوا الأحقاد وقد ضغن عليه وأضغنت الصبى أخذته تحت حضنك وأنشد الأحمر * كأنه مضغن صبيا * وقال ابن مقبل

* وما اضطغنت سلاحى عند معركها * وفرس ضاغن لا يعطى ما عنده من الجرى إلا بالضرب وأصل الكلمة من الضغن وهو الالتواء والاعوجاج فى قوائم الدابة والقناة وكل شئ * وقال بشر

* كذات الضغن تمشى فى الزقاق * وأنشد الليث

ان قناتى من صليات القنا * ما زادها التثقيف إلا ضغنا

والحقد فى القلب يشبه به * وقال قطرب * والليث أضغن العداوة * قال الشاعر

قل لابن هند ما أردت بمنطق * ساء الصديق وشيد الأضغانا

* لحنت له بفتح الحاء ألحن لحنا قلت له قولا يفهمه عنك ويخفى عن غيره ولحنه هو بالكسر فهمه وألحنه فهمه وألحنته أنا إياه ولاحنت الناس فاطنتهم * وقال الشاعر

منطق صائب ويلحن أحيا * نا وخير الحديث ما كان لحنا

وقال القتال الكلابى

ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا * ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقيل لحن القول الذهاب عن الصواب مأخوذ من اللحن فى الاعراب * وتره نقصه مأخوذ من الدخل * وقيل من الوتر وهو الفرد ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم * والذين

﴿ سورة القتال ﴾
( بسم الله الرحمن الرحيم )
﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾ قال ابن عباس هذه السورة مدنية الا آية منها نزلت بمكة بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهى وكأين من قرية الآية ومناسبة أولها لآخر ما قبلها واضحة جدا وصدوا عن سبيل الله أى أعرضوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه وهم أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وهم المطعمون يوم بدر أضل أعمالهم أى أتلفها حيث لم ينشأ عنها خير ولا نفع بل ضرر محض ﴿ والذين

آمنوا ﴾ هم الأنصار واللفظ عام يشمل كل مؤمن وكافر ﴿ وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ تخصيصه من بين ما يجب الايمان به تعظيم لشأنه صلى الله عليه وسلم واعلام انه لا يصح الايمان ولا يتم الا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم خبر الذين ﴿ وأصلح بالهم ﴾ أي شأنهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما فعل بالكفار من اضلال أعمالهم وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم واصلاح بالهم وذلك مبتدأ وما بعده خبر أي كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ذلك ﴿ يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم ﴿ فاذا لقيتم الذين كفروا ﴾ أي في أي زمان لقيتموهم فاقتلوهم وفي قوله فاقتلوا المشركين أي في أي مكان فعم في الزمان وفي المكان ﴿ فضرب الرقاب ﴾ هذا من المصدر النائب مناب فعل الامر وهو مطرد فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل ولما كان القتل للانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته عبر بذلك عن القتل ولا يراد خصوصية الرقاب فانه لا يكاد يتأتى حالة الحرب ان تضرب الرقاب وانما يتأتى القتل في أي موضع كان من الأعضاء ﴿ حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ﴾ أي أكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب فاذا وقع الاثخان وتمكنوا من أخذ من لم يقتل وشدوا وثاق الاسراء ﴿ فاما منا ﴾ بالاطلاق ﴿ وإما فداء ﴾ فالنصب على اضمار فعل تقديره فاما تمنون منا واما تفادون فداء ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ وحتى غاية لما تقدم أي أثقالها وآلاتها ومنه قول عمرو بن معدي كرب

وأعددت للحرب أوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا

والظاهر أن ضرب الرقاب وهو القتل مغيا بشد الوثاق وقت حصول الاثخان وان قوله واما منا بعد أي بعد الشد واما فداء حال التي للأسور اما أن يمن عليه بالاطلاق كما من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمامة بن أثال الحنفي باطلاقه واما أن يفدى كما روي عنه عليه السلام انه فودي منه رجلان من الكفار برجل واحد مسلم قال الزمخشري كما من على أبي عروة الحجبي وعلى ابن أثال الحنفي انتهى صوابه على ثمامة وعلى أبي عروة الحجبي فغير الكنية والاسم ولعل ذلك من الناسخ لا في أصل التصنيف وهذه الآية ظاهرها معارض لقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فذهب ابن عباس وجماعة الى أنها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين الآية وأن الأسر والمن والفداء مرتفع فان وقع أسير قتل ولا بد الا ان أسلم وروي نحوه عن أبي بكر الصديق وذهب جماعة الى أن هذه مخصصة لعموم تلك والمن والفداء ثابت ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر ذلك ﴿ لانتصر منهم ﴾ أي لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف وغير ذلك ﴿ ولكن ليبلو ﴾ أي ليختبركم ﴿ سيهديهم ﴾ أي الى طريق الجنة ﴿ عرفها لهم ﴾ أي بينها لهم من التعريف أو علاها من الاعراف وهي الجبال أو طيبها من العرف وهو الطيب ﴿ ان تنصروا الله ﴾ أي دينه ﴿ ينصركم ﴾ على أعدائكم ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ أي في مواطن الحرب ﴿ فتعسا لهم ﴾ قال ابن عباس بعدا لهم والذين مبتدأ ضمن معنى الشرط والخبر فتعسا لهم وهو على اضمار فعل أي فاتعسهم تعسا ﴿ كرهوا ما أنزل الله ﴾ عام في كل ما نزل ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ أي جعلها من الأعمال التي لا تزكو ولا يعتد بها ﴿ دمر الله عليهم ﴾ أي أفسد عليهم ما اختصوا به من أنفسهم وأولادهم ﴿ أمثالها ﴾



آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم * ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم * فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها * ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم * يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم * أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ هذه السورة مدنية عند الاكثر وقال الضحاك وابن جبير والسدي مكية وقال ابن عطية مدنية باجماع وليس كما قال وعن ابن عباس وقتادة أنها مدنية الا آية منها نزلت بعد حجه حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهي وكاين من قرية الآية * ومناسبة أولها لآخر ما قبلها واضحة جدا * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أي أعرضوا عن الدخول في الاسلام أو صدوا غيرهم عنه وهم أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ابن عباس وهم المطعمون يوم بدر * وقال مقاتل كانوا اثني

عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام و يأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب صدوا من أرادمنهم ومن غيرهم أن يدخل فى الاسلام * وقال الضحاك عن سبيل الله عن بيت الله بمنع قاصديه وهو عام فى كل من كفر وصد * أضل أعمالهم أى أتلفها حيث لم ينشأ عنها خير ولا نفع بل ضرر محض وقيل نزلت هذه الآية ببدر وأن الاشارة بقوله أضل أعمالهم الى الاتفاق الذى اتفقوه فى سفرهم الى بدر وقيل المراد بالاعمال أعمالهم البرة فى الجاهلية من صلة رحم وفك عان ونحو ذلك واللفظ يعم جميع ذلك والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الأنصار * وقال مقاتل ناس من قريش وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام وعلى تقدير خصوص السبب فى القبيلتين فاللفظ عام يتناول كل كافر وكل مؤمن وآمنوا بما نزل على محمد تخصيصه من بين ما يجب الايمان به تعظيم لشأن الرسول و إعلام بأنه لا يصح الايمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التى هى وهو الحق من ربهم وقيل وهو الحق ناسخ لغيره ولا يرد عليه النسخ * وقرأ الجمهور نزل مبنيا للمفعول و زيد بن على وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل والأعمش أنزل معدى بالهمزة مبنيا للمفعول * وقرئ نزل ثلاثيا * كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم أى حالهم قاله قتادة وشأنهم قاله مجاهد وأمرهم قاله ابن عباس وحقيقة لفظ البال أنها بمعنى الفكر والموضع الذى فيه نظر الانسان وهو القلب فاذا اصلح ذلك فقد صلحت حاله فكان اللفظ مشيرا الى صلاح عقيدتهم وغير ذلك من الحال تابع * ذلك اشارة الى ما فعل بالكفار من اضلال أعمالهم و بالمؤمنين من تكفير سيئاتهم واصلاح حالهم وذلك مبتدأ وما بعده الخبر أى كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق * وقال الزمخشرى و يجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك أى كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا انتهى ولا حاجة الى الاضمار مع صحة لوجه وعدم الاضمار والباطل ما لا ينتفع به * وقال مجاهد الشيطان وكل ما يأمر به والحق هو الرسول والشرع وهذا الكلام تسميه علماء البيان التفسير * كذلك يضرب قال ابن عطية الاشارة الى اتباع المذكورين من الفريقين أى كما اتبعوا هذين السبيلين كذلك يبين أمر كل فرقة و يجعل لها ضربها من القول وصفها وضرب المثل من الضرب الذى هو بمعنى النوع * وقال الزمخشرى كذلك أى مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم ( فان قلت ) أين ضرب الامثال ( قلت ) فى أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو فى ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فاذا لقيتم الذين كفروا أى فى أى زمان لقيتموهم فاقتلوهم وفى قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم أى فى أى مكان فعم فى الزمان وفى المكان * وقال الزمخشرى لقيتم من اللقاء وهو الحرب انتهى فضرب الرقاب هذا من المصدر النائب مناب فعل الأمر وهو مطرد فيه وهو منصوب بفعل محذوف فيه واختلف فيه اذا انتصب ما بعده فقيل هو منصوب بالفعل الناصب للمصدر وقيل هو منصوب بنفس المصدر لنيابته عن العامل فيه ومثاله ضربا زيدا كما قال الشاعر

على حين ألهى الناس جل أمورهم * فندلا زريق المال ندل الثعالب

وهذا هو الصحيح و يدل على ذلك قوله فضرب الرقاب وهو اضافة المصدر للمفعول ولو لم يكن معمولا له ما جازت اضافته اليه وضرب الرقاب عبارة عن القتل ولما كان القتل للانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته عبر بذلك عن القتل ولا يراد خصوصية الرقاب فانه لا يكاد تتأتى حالة الحرب ان

أى أمثال تلك التدمير والاشارة بذلك الى الهلاك

تضرب الرقاب وانما يأتي القتال في أي موضع كان من الأعضاء ويقال ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاونه وما فيه عيناه اذا قتله كما عبر بقوله بما كسبت أيديكم عن سائر الافعال لما كان أكثر الكسب منسوبا الى الايدي * قال الزمخشري وفي هذه العبارة من الغلظة والشدة ماليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلاوه وأوجه أعضائه وقد زاد في هذه في قوله فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان انتهى ولما في ذلك من تشجيع المؤمنين وأنهم من الكفار بحيث هم متمكنون منهم اذا أمروا بضرب رقابهم * حتى اذا أثخنتموهم أي أكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب فاذا وقع الاثخان وتمكنوا من أخذ من لم يقتل وشدوا وثاق الاسرى فامامنا بالاطلاق واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها أي أثقالها وآلاتها * ومنه قول عمرو بن معدي كرب

وأعددت للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

أنشده ابن عطية لعمرو هذا وأنشده الزمخشري للاعشى وقيل الاوزار هنا الآثام لان الحرب لابد أن يكون فيها آثام في أحد الجانبين وهذه الغاية قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم * وقال قتادة حتى يسلم الجميع وقيل حتى تقتلوهم * وقال ابن عطية وظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الامر أبدا وذلك أن الحرب بين المؤمنين والكافرين لاتضع أوزارها فجاء هذه كما تقول أنا أفعل كذا وكذا الى يوم القيامة فانما تريد أنك تفعله دائما * وقال الزمخشري وسميت يعني آلات الحرب من السلاح والكراع أوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا والظاهر أن ضرب الرقاب وهو القتل مغيا بشد الوثاق وقت حصول الاثخان وأن قوله فامامنا بعد أي بعد الشد واما فداء حالتان للمأسور اما أن يمن عليه بالاطلاق كما من رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاق ثمامة بن أثال الحنفي وأما أن يفدى كما روى عنه عليه السلام أنه فودى منه رجلان من الكفار برجل مسلم وهذه الآية معارض ظاهرها لقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فذهب ابن عباس وقتادة وابن جريج والسدي والضحاك ومجاهد الى انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين الآية وان الاسر والمن والفداء مرتفع فان وقع أسير قتل ولابد الا أن يسلم * وروى نحوه عن أبي بكر الصديق وذهب ابن عمر وعمر بن عبد العزيز وعطاء والحسن الى أن هذه مخصصة لعموم تلك والمن والفداء ثابت * وقال الحسن لايقتل الاسير الا في الحرب يهيب بذلك على العدو وذهب أكثر العلماء الى ان أهل الكتاب فيهم المن والفداء وعباد الأوثان ليس فيهم الا القتل فخصصوا من المشركين أهل الكتاب وخصص من الكفار عبدة الأوثان وأما مذهب الأئمة اليوم فمذهب أبي حنيفة ان الامام مخير في القتل والاسترقاق ومذهب الشافعي انه مخير في القتل والاسترقاق والفداء والمن ومذهب مالك انه مخير في واحد من هذه الأربعة وفي ضرب الجزية والظاهر أن قوله واما فداء يجوز فداؤه بالمال وبمن أسر من المسلمين * وقال الحسن لايفدى بالمال * وقرأ السلمي فشدوا بكسر الشين والجمهور بالضم والوثاق بفتح الواو وفيه لغة الوثاق وهو اسم لما يوثق به وانتصب منا وفداء باضمار فعل يقدر من لفظهما أي فاما تمنون منا واما تفدون فداء وهو فعل يجب اضماره لان المصدر جاء تفصيل عاقبة فعامله مما يجب اضماره ونحوه قول الشاعر

لأجهدنّ فامادر ءواقعة * تخشى واما بلوغ السؤل والأمل

أى فاما أدرأ درأ واقعة وإما أبلغ بلوغ السؤل * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكونا مفعولين أى أدوهم منا واقبلوا وليس اعراب نحوى * وقرأ ابن كثير فى رواية شبل واما فدى بالقصر * قال أبو حاتم لا يجوز قصره لانه مصدر فاديته وهذا ليس بشئ فقد حكى الفراء فيه أربع لغات فداء لك بالمد والاغراء وفدى لك بالكسر بياء والتنوين وفدى لك بالقصر وفداء لك والظاهر من قوله فاما منا المن بالاطلاق كما منّ الرسول عليه الصلاة والسلام على ثمامة وعلى أبى عروة الحجبى وفى كتاب الزمخشرى كما منّ على أبى عروة الحجبى وأثال الحنفى فغير الكنية والاسم ولعل ذلك من الناسخ لافى أصل التصنيف وقيل يجوز أن يراد بالمن أى يمنّ عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا القبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة والظاهر ان قوله حتى تضع الحرب أوزارها غاية لقوله فشدوا الوثاق لانه قد غيا فضرب الرقاب بشد الوثاق وقت الاثخان فلا يمكن أن يغيا بغاية أخرى لتدافع الغايتين الا ان كانت الثانية مبينة للاولى ومؤكدة فيجوز لان شد الوثاق للاسرى لا يكون الا حتى تضع الحرب أوزارها اذا فسرنا ذلك بانتفاء شوكة الكفار الملقين إذ ذاك ويكون الحرب المراد بها التى تكون وقت لقاء المؤمنين الكفار ويجوز أن يكون المغيا محذوفا يدل عليه المعنى التقدير الحكم ذلك حتى تضع الحرب أوزارها أى لا يبقى شوكة لهم أو كما قال ابن عطية انها استعارة بمعنى الى يوم القيامة أى اصنعوا ذلك دائما * وقال الزمخشرى (فان قلت) حتى بم تعلقت (قلت) لا يخلو من أن تتعلق إما بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعى رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم وعند أبى حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حتى لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انهم يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الى ان تناول المن والفداء يعنى بتناول المن بان يتركوا عن القتل ويسترقوا أى بالتخلية بضرب الجزية بكونهم من أهل الذمة وبالعذاب أن يفادى باسارى المشركين أسارى المسلمين وقد رواه الطحاوى مذهبا لأبى حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم بمال ولا غيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين * ذلك أى الأمر ذلك اذا فعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم أى لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف ولكن ليبلوأى ولكن أمركم بالقتال ليبلو بعضكم وهم المؤمنون أى يختبرهم ببعض وهم الكافرون بان يجاهدوا ويصبروا والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب * وقرأ الجمهور قاتلوا بفتح القاف والتاء بغير ألف وقتادة والأعرج والأعمش وأبو عمرو وحفص قتلوا مبنيا للمفعول والتاء خفيفة وزيد بن ثابت والحسن وأبو رجاء وعيسى والجحدرى أيضا كذلك * وقرأ على فلن يضل مبنيا للمفعول اعمالهم رفع * وقرئ يضل بفتح الياء من ضل أعمالهم رفع * سيهديهم أى الى طريق الجنة * وقال مجاهد يهتدى أهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون لانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلوا عليها * وروى عياض عن أبى عمرو ويدخلهم ويوم يجمعكم ليوم الجمع وانما نطعمكم بسكون لام الكلمة عرفها لهم عن مقاتل ان الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ أعطاه الله * وقال أبو سعيد الخدرى ومجاهد وقتادة معناه بينها لهم أى جعلهم يعرفون منازلهم منها وفى

( الدر )

﴿ سورة القتال ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) كما منّ على أبى عروة الحجبى وعلى ابن أثال الحنفى انتهى (ح) صوابه على ثمامة وعلى أبى عروة الحجبى فغير الاسم والكنية ولعل ذلك من الناسخ لافى أصل التصنيف

﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الآية والكاف في كما في موضع نعت لمصدر محذوف تقديره أكلا كما تأكل الانعام يتمتعون أي ينتفعون بمتاع الدنيا أياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أي موضع اقامة ﴿ وكأين من قرية ﴾ على حذف مضاف تقديره من أهل قرية ولذلك عاد الضمير في أهلكناهم على ذلك المحذوف ﴿ من قريتك ﴾ هي مكة ﴿ التي أخرجتك ﴾ أخرجك أهلها نسب الاخراج اليها مجازا قال ابن عطية ونسب الاخراج الى القرية حملا على اللفظ وقال أهلكناهم حملا على المعنى انتهى ظاهر هذا الكلام لا يصح لأن الضمير في أهلكناهم ليس عائدا على المضاف الى القرية التي أسند اليها الاخراج بل الى أهل القرية في قوله وكأين من قرية فان كان أراد بقوله حملا على المعنى أي معنى القرية في قوله وكأين من قرية فهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى أن يكون في مدلول واحد وعلى هذا يبقى كأين مفلتا غير محدث عنه بشئ الا ان تخيل أن هي أشد خبر عن كأين والظاهر أنه في موضع الصفة ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ استفهام توقيف وتقرير على شئ متفق عليه وهي معادلة بين هذين الفريقين والاشارة الى الرسول عليه السلام والى كفار قريش واللفظ عام لاهل الصنفين ومعنى على بينة أي على حجة واضحة وهو القرآن ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ وهو الشرك ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أي شهوات أنفسهم والضمير في واتبعوا عائد على معنى من لا على لفظه ﴿ مثل الجنة ﴾ أي صفة الجنة وهو مرفوع بالابتداء قال النضر بن شميل كأنه قال صفة الجنة ما تسمعون انتهى فما تسمعون هو الخبر وفيها أنهار

الحديث لأحدكم بمنزله في الجنة أعرف منه بمنزله في الدنيا وقيل سماها لهم ورسمها كل منزل بصاحبه وهذا نحو من التعريف يقال عرف الدار وأرفها أي حددها فالجنة كل أحد مفرزة عن غيرها والعرف والأرف الحدود وقيل شرفها لهم ورفعها وعلاها وهذا من الاعراف التي هي الجبال وما أشبهها * وقال مورج وغيره طيبها مأخوذ من العرف ومنه طعام معرف أي مطيب أي وعرفت القدر طيبتها بالملح والتابل * إن تنصروا الله أي دينه ينصركم أي على أعدائكم بخلق القوة فيكم وغير ذلك من المعارف ويثبت أقدامكم أي في مواطن الحرب أو على محجة الاسلام * وقرأ الجمهور ويثبت مشددا والمفضل عن عاصم مخففا * فتعسا لهم قال ابن عباس بعدا لهم وابن جريج والسدى حزنا لهم والحسن شتما وابن زيد شقاء والضحاك رغما وحكى النقاش قصما * والذين كفروا مبتدأ والفاء داخلة في خبر المبتدا وتقديره فتعسهم الله تعسا فتعسا منصوب بفعل مضمر ولذلك عطف عليه الفعل في قوله وأضل أعمالهم ويجوز أن يكون الذين منصوبا على اضمار فعل يفسره قوله فتعسا لهم كما تقول زيدا جدعا له * وقال الزمخشري (فان قلت) علام عطف قوله وأضل أعمالهم (قلت) على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا لهم نقيض لعا له انتهى واضمار ما هو من لفظ المصدر أولى لان فيه دلالة على ما حذف * وقال ابن عباس يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار انتهى وفي قوله فتعسا لهم أي هلاكا بأداة تقوية لقلوب المؤمنين إذ جعل لهم التثبيت وللكفار الهلاك والعثرة * ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله يشمل ما أنزل من القرآن في بيان التوحيد وذكر البعث والفرائض والحدود وغير ذلك مما تضمنه القرآن فأحبط أعمالهم أي جعلها من الاعمال التي لا تزكو ولا يعتد بها * دمر الله عليهم أي أفسد عليهم ما اختصوا به من أنفسهم وأولادهم وأموالهم وكل ما كان لهم وللكافرين أمثالها تلك العاقبة والتدميرة التي يدل عليها دمر والهلكة لان التدمير يدل عليها أو السنة لقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا والوجه الاول هو الراجح لان العاقبة منطوق بها فعاد الضمير على الملفوظ به وما بعده مقول القول * ذلك بان ابتداء وخبر والاشارة بذلك الى النصر في اختيار جماعة والى الهلاك كما قال وللكافرين أمثالها قال ذلك الهلاك الذي جعل للكفار بأيدي المؤمنين بسبب أن الله مولاهم أي ناصرهم ومؤيدهم وان الكافرين لا ناصر لهم إذ اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضر وتركوا عبادة من ينفع ويضر وهو الله تعالى قال قتادة نزلت هذه الآية يوم أحد ومنها انتزع رسول الله صلى الله عليه وسلم رده على أبي سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم حين قال المشركون ان لنا عزى ولا عزى لكم ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار * والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم * وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم * أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم * مثل الجنة

تفسير لتلك الصفات فهو استئناف اخبار عن تلك الصفة وقال سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة يقدر الخبر المحذوف متقدما ثم فسر ذلك الذي يتلى ﴿غير آسن﴾ أي غير متغير يقال أسن الماء يأسن اذا تغير ﴿لم يتغير طعمه﴾ نفي لجميع وجوه الفساد في اللبن ﴿لذة﴾ جمعت طيب المطعم وزوال الآفات من الصداع وغيره ولذة تأنيث لذ وهو اللذيذ أو مصدر نعت به فالجمهور بالجر على انه صفة لخمر وبالرفع صفة لأنهار وبالنصب أي لأجل لذة فهو مفعول له ﴿من عسل مصفى﴾ قال ابن عباس لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ووصفه بمصفى لأن الغالب على العسل التذكير وهو مما يذكر ويؤنث وبدئ من هذه الانهار بالماء وهو الذي لا يستغنى عنه في المشروبات ثم باللبن اذ كان يجري مجرى المطعوم في كثير من أقوات العرب وغيرهم ثم بالخمر لانه اذا حصل الري والمطعوم تشوقت النفس الى ما تلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفاء في الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم فهو متأخر في الرتبة ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ لما ذكر المشروب ذكر من المأكول ما يتفكه به قيل ومن زائدة أي ولهم فيها كل الثمرات وقيل المبتدأ محذوف أي أنواع من كل الثمرات ﴿ومغفرة من ربهم﴾ هو معطوف على ما قبله لا بقيد فيها أي ولهم مغفرة من ربهم لان المغفرة قبل دخول الجنة أو على حذف  أي تنعيم مغفرة لان المغفرة سبب التنعيم ﴿وسقوا﴾

عائد على معنى من وكمن قبله محذوف يقابله تقديره أهؤلاء المنعمون كمن هو خالد في النار جاء هو خالد على اللفظ وكذلك خرجوا عاد على معنى من يستمع كان المنافقون يحضرون عند الرسول صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه وتلاوته فاذا خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم وهم السامعون كلام الرسول حقيقة الواعون له ماذا قال آنفا أي الساعة وذلك على سبيل الهزء والاستخفاف أي لم نفهم ما يقول ولا ندري ما نفع ذلك وممن سألوه ابن مسعود وآنفا حال أي مبتدأ أي ما القول الذي ائتنفه الآن قبل انفصالنا عنه قال الزمخشري وآنفا نصب على الظرف انتهى قال ذلك لانه فسره بالساعة وقال الزمخشري والمفسرون يقولون آنفا معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى انتهى * الصحيح أنه ليس بظرف ولا نعلم أحدا من النحاة عده في الظروف ﴿فقد جاء أشراطها﴾ أي علاماتها واحدها شرط بفتح الراء وجزمها فينبغي الاستعداد لها ومن أشراطها مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو خاتم الانبياء روي عنه عليه السلام انه قال أنا من أشراط الساعة وقال بعثت أنا والساعة كفرسي رهان ﴿فأنى لهم﴾ الظاهر أن المعنى فكيف لهم الذكرى أي والعمل بها اذا جاءتهم الساعة أي قد فاتهم ذلك ثم أضرب عن ذكر المنافقين وقال ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله﴾ والمعنى دم على علمك بتوحيد الله تعالى واستغفاره عليه السلام لاهل الايمان رحمة لهم ﴿وللمؤمنين﴾ أي ولذنوب المؤمنين وأحواله صلى الله عليه وسلم ثلاثة مع الله بالتوحيد ومع نفسه بالاستغفار ومع غيره بالاستغفار لهم ﴿متقلبكم ومثواكم﴾ هو على العموم في كل متقلب وفي كل اقامة

التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم * ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم * والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها * فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم * فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴿يتمتعون﴾ أي ينتفعون بمتاع الدنيا أياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والكاف في موضع نصب اما على الحال من ضمير المصدر كما يقول سيبويه أي يأكلونه أي الأكل مشبها أكل الانعام والمعنى أن أكلهم مجرد من الفكر والنظر كما يقال للجاهل يعيش كما تعيش البهيمة لا يريد التشبيه في مطلق العيش ولكن في لازمه * والنار مثوى لهم أي موضع اقامة ثم ضرب تعالى مثلا لمكة والقرى المهلكة على عظمها كقرية عاد وغيرهم والمراد أهلها وأسند الاخراج اليها مجازا والمعنى كانوا سبب خروجك وذلك وقت هجرته عليه السلام الى المدينة وكما جاء في حديث ورقة بن نوفل ياليتني فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال أومخرجي هم * وقال ابن عطية ونسب الاخراج الى القرية حملا على اللفظ وقال أهلكناهم

(الدر) (ع) ونسب الاخراج الى القرية حملا على اللفظ وقال أهلكناهم حملا على المعنى انتهى (ح) ظاهر هذا الكلام لا يصح لأن الضمير في أهلكناهم ليس عائدا على المضاف الى القرية التي أسند اليها الاخراج بل الى أهل القرية في قوله وكأين من

حملا على المعنى انتهى وظاهر هذا الكلام لا يصح لان الضمير فى أهلكناهم ليس عائدا على المضاف الى القرية التى أسند اليها الاخراج بل الى أهل القرية فى قوله وكأين من قرية وهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى أى ان يكون فى مدلول واحد وكان يبقى كأين مغفلا غير محدث عنه بشئ الا أن وقت اهلاكهم كأنه قال فهم لا ينصرون اذ ذاك * وقال ابن عباس لما أخرج من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى الله وأنت أحب بلاد الله إلى فلو أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك فأعدى الأعداء من عدا على الله فى حرمه أو قتل غير قاتله وقيل بدخول الجاهلية قال فأنزل الله تعالى وكأين من قرية الآية وقد تقدم أول السورة عن ابن عباس خلاف هذا القول * أفمن كان على بينة من ربه استفهام توقيف وتقرير على كل شئ متفق عليه وهى معادلة بين هذين الفريقين * قال قتادة والاشارة الى الرسول والى كفار قريش انتهى واللفظ عام لأهل الصنفين ومعنى على بينة واضحة وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات كمن زين له سوء عمله وهو الشرك والكفر بالله وعبادة غيره واتبعوا أهواءهم أى شهوات أنفسهم ممن لا يكون له بينة فعبدوا غير خالقهم والضمير فى واتبعوا عائد على معنى من وقرئ أمن كان بغير فاء * مثل الجنة أى صفة الجنة وهو مرفوع بالابتداء * قال الزمخشرى قال النضر بن شميل كأنه قال صفة الجنة وهو ما تسمعون انتهى فما تسمعون الخبر وفيها انهار تفسير لتلك الصفة فهو استئناف إخبار عن تلك الصفة وقال سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة وقدر الخبر المحذوف متقدما ثم فسر ذلك الذى يتلى * وقال ابن عطية وفى الكلام حذف يقتضيه الظاهر كأنه قيل مثل الجنة ظاهر فى نفس من وعى هذه الأوصاف وكان ابن عطية قد قال قبل هذا ويظهر أن القصد بالتمثيل هو الى الشئ الذى يتخيله المرء عند سماعه فهنا كذا فكأنه يتصور عند ذلك اتباعا على هذه الصورة وذلك هو مثل الجنة قال وعلى هذه التأويلات يعنى قول النضر وقول سيبويه وما قاله هو يكون قبل قوله كمن هو خالد فى النار حذف تقديره أساكن أو أهؤلاء اشارة إلى المتقين قيل ويحتمل عندى أن يكون الحذف فى صدر هذه الآية كأنه قال مثل أهل الجنة وهى بهذه الأوصاف كمن هو خالد فى النار ويجئ قوله فيها أنهار فى موضع الحال على هذا التأويل انتهى ولم يذكر الزمخشرى غير هذا الوجه قال ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبر من هو خالد فى النار وقوله فيها أنهار فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قوله التى فيها أنهار ويجوز أن تكون خبر مبتدأ محذوف هى فيها أنهار كان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار * وقال الزمخشرى أيضا ( فان قلت ) ما معنى قوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار قال كمن هو خالد فى النار (قلت) هو كلام فى صورة الاثبات ومعناه النفى والانكار لانطوائهم تحت كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وانخراطه فى مسلكه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل مثل الجنة كمن هو خالد فى النار أى كمثل جزاء من هو خالد فى النار ( فان قلت ) لم عرى من حرف الانكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من سوى بين المستمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح ان أرزأ الكرام وان * أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريته من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم

( الدر )

قرية فان كان أراد بقوله حملا على المعنى أى معنى القرية فى قوله وكأين من قرية فهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا على اللفظ وحملا على المعنى أن يكون فى مدلول واحد وكان على هذا يبقى كأين مغفلا غير محدث عنه بشئ الا أن يتخيل ان أشد خبر عن كأين والظاهر انه فى موضع الصفة

من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة ابله والذى طرح لأجله حرف الانكار ارادة أن يصور قبح ماأزن به فكأنه قال نم مثلى يفرح برزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذى تحته كل انكار انتهى وتلخص من هذا الاتفاق على اعراب مثل الجنة مبتدأ واختلفوا فى الخبر فقيل هو مذكور وهو كمن هو خالد فى النار وقيل محذوف فقيل مقدر قبله وهو قول سيبويه وقيل بعده وهو قول النضر وابن عطية على اختلاف التقدير ولماين الفرق بين الفريقين فى الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما فيما يؤلان اليه وكما قدم من على بينة على من اتبع هواه قدم حاله على حاله * وقرأ ابن كثير وأهل مكة آسن على وزن فاعل من أسن بفتح السين وقرئ غير ياسن بالياء * قال أبو على وذلك على تخفيف الهمز لم يتغير وغيره ولذة تأنيث لذ وهو اللذيذ ومصدر نعت به فالجمهور بالجر على انه صفه لخمر وقرئ بالرفع صفة لانهار وبالنصب أى لأجل لذة فهو مفعول له من عسل مصفى * قال ابن عباس لم يخرج من بطون النحل قيل فخالطه الشمع وغيره ووصفه بمصفى لان الغالب على العسل التذكير وهو مما يذكر ويؤنث وعن كعب أن النيل ودجلة والفرات وجيحان تكون هذه الانهار فى الجنة واختلف فى تعيين كل فهو منها الماذا يكون يتزل وبدئ من هذه الأنهار بالماء وهو الذى لا يستغنى عنه فى المشروبات ثم باللبن اذ كان يجرى مجرى الطعوم فى كثير من أقوات العرب وغيرهم ثم بالخمر لانه اذا حصل الرى والمطعوم تشوقت النفس الى ماتلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفاء فى الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم فهو متأخر فى الهيئة * ولهم فيها من كل الثمرات وقيل المبتدا محذوف أى أنواع من كل الثمرات وقدره بعضهم بقوله زوجان * ومغفرة من ربهم لان المغفرة قبل دخول الجنة أو على حذف أى بنعيم مغفرة اذ المغفرة سبب التنعيم وسقوا عائد على معنى من وهو خالد على اللفظ وكذا خرجوا على معنى من يستمع كان المنافقون يحضرون عند الرسول ويسمعون كلامه وتلاوته فاذا خرجوا قالوا الذين أوتوا العلم وهم السامعون كلام الرسول حقيقة الواعون له ماذا قال آنفا أى الساعة وذلك على سبيل الهزء والاستخفاف أى لم نفهم مايقول ولم ندر ما نفع ذلك وممن سألوه ابن مسعود وآنفا حال أى مبتدأ أى ما القول الذى ائتنفه قبل انفصاله عنه * وقرأ الجمهور آنفا على وزن فاعل وابن كثير على وزن فعل * وقال الزمخشرى وآنفا نصب على الظرف انتهى وقال ذلك لانه فسره بالساعة * وقال ابن عطية والمفسرون يقولون آنفا معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى انتهى والصحيح انه ليس بظرف ولا نعلم أحدا من النحاة عده فى الظروف والضمير فى زادهم عائد على الله كما أظهره قوله طبع الله إذ هو مقابلهم وكما هو فى وآتاهم والزيادة فى هذا المعنى تكون بزيادة التفهيم والأدلة أو بورود الشرع بالأمر والنهى والاخبار فيزيد المهدى لزيادة علم ذلك والايمان به قيل ويحتمل أن يعود على قول المنافقين واضطرابهم لان ذلك مما يعجب به المؤمن ويحمد الله على ايمانه ويزيد نصرة فى دينه وقيل يعود على قول الرسول وآتاهم تقواهم أى أعطاهم أى جعلهم متقين له فتقواهم مصدر مضاف للفاعل أن تأتيهم بدل اشتمال من الساعة والضمير للمنافقين أى الأمر الواقع فى نفسه انتظار الساعة وان كانوا هم فى أنفسهم ينتظرون غير ذلك لان مافى أنفسهم غير مراعى لانه باطل * وقرأ أبو جعفر الرواسى عن أهل مكة ان تأتهم على الشرط وجوابه فقد جاء أشراطها وهذا غير مشكوك فيه لانها آتية لا محالة لكن خوطبوا بما كانوا عليه من الشك ومعناه ان شككتم فى اتيانها فقد جاء أعلامها فالشك راجع الى المخاطبين الشاكين * وقال

(الدر)

(ش) وآنفا نصب على الظرف انتهى (ح) قال ذلك لأنه فسره بالساعة (ع) والمفسرون يقولون آنفا معناه الساعة الماضية القريبة منا وهذا تفسير بالمعنى انتهى (ح) الصحيح أنه ليس بظرف ولا نعلم أحدا من النحاة عده فى الظروف

﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ الآية مدح الله تعالى المؤمنين بطلبهم انزال سورة والمعنى تتضمن أمرنا بمجاهدة العدو وفضح أمر المنافقين والظاهر ان طالبي ذلك هم خلص في ايمانهم ولذلك قال بعد رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا ﴿نظر المغشى عليه من الموت﴾ أي نظرا كما ينظر من اصابته الغشية من أجل حلول الموت ﴿فأولى لهم﴾ قال الجوهري تقول العرب أولى لك تهديد ووعيد واختلفوا أهو اسم أو فعل فذهب الاصمعي الى أنه فعل بمعنى قاربه مايهلكه أي نزل به فعلى قوله انه اسم يكون مبتدأ والخبر لهم وقيل أولى مبتدأ ولهم من صلته وطاعة خبر وكان اللام بمعنى الباء كانه قيل فاولى بهم طاعة ﴿فاذا عزم الأمر﴾ أي جد والعزم الجد وهؤلاء أصحاب الأمور واستعير للأمر كما قال تعالى لمن عزم الامور وقال الراجز

قد جدت الحرب بكم فجدوا *

والظاهر أن جواب اذا قوله فلو صدقوا كما تقول اذا جاء الشتاء فلو جئتني لكسوتك ﴿فلو صدقوا الله﴾ أي فيما زعموا من حرصهم على الجهاد ﴿فهل عسيتم﴾ التفات للذين في قلوبهم مرض أقبل بالخطاب اليهم على سبيل التوبيخ لهم وتوقيفهم على سوء مرتكبهم وعسى تقدم الخلاف في لغتها وفصل بين عسى وخبرها بالشرط وهو ﴿ان توليتم أن تفسدوا في الارض﴾ لعدم معونة أهل الاسلام على أعدائهم ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾ تقطعوا ما بينكم وبينهم من صلة الرحم ﴿أولئك﴾ اشارة الى مرضى القلوب ﴿فأصمهم﴾ عن استماع الموعظة ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عن طريق الهدى ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أي يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة وعوا استفهام توبيخ وتوقيف على مخازيهم ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ استعارة للذين منعوا الايمان وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة للتقرير والتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يصل اليها ذكر ﴿ان الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ قال ابن عباس وغيره نزلت في منافقين كانوا أسلموا ثم نافقت قلوبهم والآية تتناول كل من دخل في لفظها

---

الزمخشري (فان قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله فانى لهم ومعناه أن تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ لقوله يوم يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فان قلت) بم يتصل قوله وقد جاء أشراطها على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك إن أكرمني زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه * وقرأ الجعفي وهرون عن أبي عمرو بغتة بفتح الغين وشد التاء * قال صاحب اللوامح وهي صفة وانتصابها على الحال لا نظير لها في المصادر ولا في الصفات بل في الأسماء نحو الجربة وهو اسم جماعة والمسربة اسم مكان انتهى وكذا قال أبو العباس بن الحاج من أصحاب الاستاذ أبي على الشلوبين في كتاب المصادر على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم انتهى وهذا على عادته في تغليط الرواية * فقد جاء أشراطها أي علاماتها فينبغي الاستعداد لها ومن أشراط الساعة مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هو خاتم الأنبياء * وروى عنه انه قال أنا من أشراط الساعة * وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وكفرسي رهان وقيل منها الدخان وانشقاق القمر وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام * فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم الظاهر ان المعنى فكيف لهم الذكرى والعمل بها اذا جاءتهم الساعة أي قد فاتها ذلك قيل ويحتمل أن يكون المبتدأ محذوفا أي فانى لهم الخلاص اذا جاءتهم الذكرى بما كانوا يخبرون به فيكذبون به بتواصله بالعذاب ثم أضرب عن ذكر المنافقين وقال فاعلم أنه لا اله الا الله والمعنى دم على علمك بتوحيد واحتج بهذا على قول من قال أول الواجبات العلم والنظر قبل القول والاقرار وفي الآية ما يدل على التواضع وهضم النفس إذ أمره بالاستغفار ومع غيره بالاستغفار لهم متقلبكم متصرفكم في حياتكم الدنيا ومثواكم إقامتكم في قبوركم وفي آخرتكم * وقال عكرمة متقلبكم في أصلاب الآباء الى أرحام الامهات ومثواكم اقامتكم في الارض * وقال الطبري وغيره متقلبكم تصرفكم في يقظتكم ومثواكم منامكم وقيل متقلبكم في معائشكم ومتاجركم ومثواكم حيث تستقرون من منازلكم وقيل متقلبكم بالتاء وابن عباس بالنون ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم * فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها * ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد

ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم * ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر والله يعلم إسرارهم * فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم * ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ كان المؤمنون حريصين على ظهور الاسلام وعلو كلمته وتمنى قتل العدو وكانوا يستأنسون بالوحى ويستوحشون اذا أبطأ والله تعالى قد جعل ذلك بالوضر وبة لايتعدى فمدح تعالى المؤمنين بطلبهم انزال سورة والمعنى تتضمن أمرنا بمجاهدة العدو وفضح أمر المنافقين والظاهر ان ظانى ذلك هم خلص فى إيمانهم ولذلك قال بعد رأيت الذين فى قلوبهم مرض * وقال الزمخشرى كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة فى معنى الجهاد فاذا أنزلت وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا فى أيديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس انتهى وفيه تحويف لما يدل عليه لفظ القرآن ولولا بمعنى هلا وعن أبى مالك لا زائدة والتقدير لو نزلت وهذا ليس بشئ * وقرئ فاذا نزلت وقرأ زيد بن على سورة محكمة بنصبهما ومرفوع نزلت بضم وسورة نصب على الحال * وقرأهو وابن عمر وذكر مبنيا للفاعل أى الله فيها القتال ونصب الجمهور برفع سورة محكمة على انه مفعول لم يسم فاعله وبناء وذكر للمفعول والقتال رفع به وإحكامها كونها لاتنسخ * قال قتادة كل سورة فيها القتال فهى محكمة من القرآن لابخصوصية هذه الآية وذلك ان القتال نسخ ما كان من المهادنة والصلح وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل محكمة بالحلال والحرام وقيل محكمة أريدت مدلولات ألفاظها على الحقيقة دون المتشابه الذى أريد به المجاز نحو قوله على العرش استوى فى جنب الله فضرب الرقاب رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا نظر المغشى عليه أى نظرا كما ينظر من أصابته الغشية من أجل حلول الموت وقيل يفعلون ذلك وهو شخوص البصر الى الرسول من شدة العداوة وقيل من خشية الفضيحة فانهم ان يخالفوا عن القتال افتضحوا وبان نفاقهم وأولى لهم تقدم شرحه فى المفردات * وقال قتادة كأنه قال العقاب أولى لهم وقيل وهم المكروه وأولى وزنها أفعل أو أفلع على الاختلاف لان الاستفعال الذى ذكرناه فى المفردات فعلى قول الجمهور انه اسم يكون مبتدا والخبر لهم وقيل أولى مبتدا ولهم من صلته وطاعة خبر وكان اللام بمعنى الباء كأنه قيل فأولى بهم طاعة ولم يتعرض الزمخشرى لاعرابه وانما قال ومعناه الدعاء عليهم بان يليه المكروه وعلى قول الاصمعى انه فعل يكون فاعله مضمرا يدل عليه المعنى وأضمر لكثرة الاستعمال كأنه قال قارب لهم هو أى الهلاك * قال ابن عطية والمشهور من استعمال العرب أولى لك فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القوة فيقول على جهة الزجر والتوعد أولى لك يافلان وهذه الآية من هذا الباب ومنه قوله أولى لك فأولى وقول الصديق للحسن رضى الله عنهما أولى لك انتهى والأكثرون على أن طاعة وقول معروف كلام مستقل محذوف منه أحد الجزأين إما الخبر وتقديره أمثل وهو قول مجاهد ومذهب سيبويه والخليل واما المبتدا وتقديره الأمر أوأمرنا طاعة أى الأمر المرضى لله طاعة وقيل هى حكاية قولهم أى قالوا طاعة ويشهد له قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف وقولهم هذا على سبيل الهزء والخديعة * وقال قتادة الواقف على فأولى لهم طاعة ابتداء وخبر والمعنى

﴿سوّل لهم﴾ تقدم الكلام عليه فى يوسف وسول لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء قال الزمخشرى وقد اشتقه من السؤل من لاعلم له بالتصريف والاشتقاق جميعا انتهى وهذا ليس بجيد لأنه توهم أن السول أصله الهمز فاختلفت المادتان اذعين سول واو وعين السؤل همزة والسول له مادتان احداهما الهمز من سأل يسأل والثانية الواو من سال يسال فاذا كان هكذا فسول يجوز أن يكون من ذوات الواو لامن ذوات الهمز ﴿ذلك بانهم قالوا﴾ روى أن قوما من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلاف عليه بنصرة وموازرة وذلك قولهم سنطيعكم فى بعض الأمر أى فى بعض ماتأمرون به أوفى بعض الأمر الذى يهمكم ﴿والله يعلم اسرارهم﴾ قالوا ذلك سرا فيما بينهم فافشاه الله تعالى عليهم ﴿فكيف اذا توفتهم الملائكة﴾ الضمير عائد على من تقدم ذكره من الكفار كيف استفهام وبعده مبتدأ محذوف وكيف خبره تقديره كيف حالهم اذا توفتهم والظاهران



وقت التوفى هو عند الموت وقال ابن عباس لايتوفى واحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه وفى دبره والملائكة ملك الموت والمصرفون معه ويضربون حال من الملائكة

ان ذلك منهم على جهة الخديعة وقيل طاعة صفة لسورة أي فهي طاعة أي مطاعة وهذا القول ليس بشئ لحيلولة الفصل الكثير بين الصفة والموصوف * فاذا عزم الأمر أي جد والعزم الجد وهو لأصحاب الأمر واستعير للأمر كما قال تعالى لمن عزم الأمور وقال الشاعر

* فجدت بهم الحرب فجدوا * والظاهر أن جواب اذا قوله فلو صدقوا الله كما تقول اذا كان الشتاء فلو جئتني لكسوتك وقيل الجواب محذوف تقديره فاذا عزم الأمر هو أو نحوه قاله قتادة ومن حمل طاعة وقول معروف على انهم يقولون ذلك خديعة قدّر ناه عزم الأمر فاقفوا وتقاضوا وقدره أبو البقاء فأصدق فلو صدقوا الله فيما زعموا من حرصهم على الجهاد أو في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم أو في قلوبهم طاعة وقول معروف * فهل عسيتم التفات للذين في قلوبهم مرض أقبل بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ وتوقيفهم على سوء مرتكبهم وعسى تقدم الخلاف في لغتها وفي القراءة فيها اذا اتصل بها ضمير الخطاب في سورة البقرة واتصال الضمير بها لغة الحجاز وبنو تميم لا يلحقون بها الضمير * وقال أبو عبد الله الرازي وقد ذكروا أن عسى يتصل بها ضمير الرفع وضمير النصب وانها لا يتصل بها ضمير قال وأما قول من قال عسى أنت تقوم وعسى أنا أقوم فدون ما ذكرناه تطويل الذي فيه انتهى ولا أعلم أحدا من نقلة العرب ذكر انفصال الضمير بعد عسى وفصل بين عسى وخبرها بالشرط وهو أن توليتم * وقرأ الجمهور ان توليتم ومعناه ان أعرضتم عن الاسلام * وقال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن يشير الى ماجرى من الفتن بعد زمان الرسول * وقال كعب ومحمد بن كعب وأبو العالية والكلبي ان توليتم أي أمور الناس من الولاية ويشهد لها قراءة وليتم مبنيا للمفعول وعلى هذا قيل نزلت في بني هاشم وبني أمية وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام وبها قرأ علي وأو يس أي ان وليتكم ولاية جور دخلتم الى دنياهم دون امام العدل وعلى معنى ان توليتم بالتعذيب والتنكيل وافعال العرب في جاهليتها وسيرتها من الغارات والنهبات فان كانت ثمرتها الافساد في الأرض وقطيعة الرحم وقيل معناه ان تولا كم الناس وكلكم الله اليهم والاظهر ان ذلك خطاب للمنافقين في أمر القتال وهو الذي سبقت الآيات فيه أي ان أعرضتم عن امتثال أمر الله في القتال وأن تفسدوا في الارض بعدم معونة أهل الاسلام فاذا لم تعينوهم قطعتم ما بينكم وبينهم من صلة الرحم ويدل على ذلك أولئك الذين لعنهم الله فالآيات كلها في المنافقين وهذا التوقع الذي في عسى ليس منسوبا اليه تعالى لانه عالم بما كان وما يكون وانما هو بالنسبة لمن عرف المنافقين كأنه يقول لهم لناعلم من حيث ضياعهم هل يتوقع منكم اذا أعرضتم عن القتال أن يكون كذا وكذا * وقرأ الجمهور وتقطعوا بالتشديد على التكثير وأبو عمرو في رواية وسلام ويعقوب وأبان وعصمة بالتخفيف مضارع قطع والحسن وتقطعوا بفتح التاء والقاف على اسقاط حرف الجر أي أرحامكم لان تقطع لازم * أولئك اشارة الى المرضى القلوب فأصمهم عن سماع الموعظة وأعمى أبصارهم عن طريق الهدى * وقال الزمخشري لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى عموا انتهى وهو على طريق الاعتزال وجاء التركيب فأصمهم ولم يأت فأصم آذانهم وجاء وأعمى أبصارهم ولم يأت وأعماهم قيل لان الاذن لو أصمت لاتسمع الابصار فالعين لها مدخل في الرؤية والاذن لها مدخل في السمع انتهى ولهذا جاء وعلى سمعهم وجعل لكم السمع ولم يأت وعلى آذانهم ولا يأتي وجعل لكم الآذان

وحين ذكر الاذن نسبت اليه الوقر وهو دون الصمم كما قال وفى آذاننا وقر * أفلا يتدبرون أى يتصفحونه ومافيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة وهو استفهام توبيخى وتوقيفى على مخاربهم * أم على قلوب أقفالها استعارة للذين منهم الايمان وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة للتقرير ولا يستحيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يصل اليها ذكر ولم يحتج الى تعريف القلوب لانه معلوم انها قلوب من ذكر ولا حاجة الى تقدير صفة محذوف أى أم على قلوب أقفالها قاسية وأضاف الاقفال اليها أى الاقفال المختصة أوهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تفتح * وقرئ اقفالها بكسر الهمزة وهو مصدر وأقفلها بالجمع على أفعل * ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى * قال قتادة نزلت فى قوم من اليهود وكانوا عرفوا أمر الرسول من التوراة وتبين لهم بهذا الوجه فلما باشروا أمره حسدوه فارتدوا عن ذلك القدر من الهدى * وقال ابن عباس وغيره نزلت فى منافقين كانوا أسلموا ثم ماتت قلوبهم والآية تتناول كل من دخل فى ضمن لفظها وتقدم الكلام على سول فى سورة يوسف * وقال الزمخشرى سول لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السؤل من لاعلم له بالتصريف والاشتقاق جميعا انتهى * وقال أبو على الفارسى بمعنى ولاهم من السول وهو الاسترخاء والتدلى وقال غيره سول لهم رجاهم * وقال ابن بحر أعطاهم سؤلهم وقول الزمخشرى وقد اشتقه الى آخره ليس بجيد لانه توهم أن السول أصله الهمزة واختلفت المادتان أو عين سول واو وعين السؤل همزة والسول له مادتان احداهما الهمز من سأل يسئل والثانية الواو من سال يسال فاذا كان هكذا فسول يجوز أن يكون من ذوات الهمز * وقال صاحب اللوامح والتسويل أصله من الارخاء ومنه فدلاهما بغرور والسول استرخاء البطن * وقرأ زيد بن على سول لهم أى كيده على تقدير حذف مضاف * وقرأ الجمهور وأملى لهم مبنيا للفاعل والظاهر أنه يعود على الشيطان وقاله الحسن وجعل وعده الكاذب بالبقاء كالابقاء والابقاء هو البقاء ملاوة من الدهر يمد لهم فى الآمال والامانى قيل ويحتمل أن يكون فاعل أملى ضميرا يعود على الله وهو الأرجح لان حقيقة الاملاء انما هو من الله * وقرأ ابن سيرين والجحدرى وشيبة وأبو عمرو وعيسى وأملى مبنيا للمفعول أى امهلوا ومد وافى عمرهم * وقرأ مجاهد وابن هرمز والأعمش وسلام ويعقوب وأملى بهمزة المتكلم مضارع أملى أى وأنا أنظرهم كقوله انما نملى لهم ويجوز أن يكون ماضيا سكنت منه الياء كما تقول فى يعى بسكون الياء * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل * وروى أن قوما من قريظة والنضير كانوا يعينون المنافقين فى أمر الرسول والخلاف عليه بنصره ومؤازرته وذلك قوله سنطيعكم فى بعض الامر وقيل الضمير فى قالوا للمنافقين والذين كرهوا مانزل الله هم قريظة والنضير وبعض الامر قول المنافقين لهم لئن أخرجتم لنخرجن معكم قاله ابن عباس وقيل بعض الأمر التكذيب بالرسول أو بلا اله إلا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول الفريقين اليهود والمنافقين للمشركين سنطيعكم فى التكاثف على عداوة الرسول والقعود عن الجهاد معه ونعين فى بعض الأمر فى بعض ما يأسرون به أو فى بعض الأمر الذى يهمكم * وقرأ الجمهور أسرارهم بفتح الهمزة وكانت أسرارهم كثيرة وابن وثاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائى وحفص بكسرها وهو مصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم وأفشاه الله عليهم * وقال أبو عبد الله الرازى الأظهر أن يقال والله يعلم أسرارهم مافى قلوبهم من العلم بصدق محمد عليه السلام فانهم كانوا معاندين مكابرين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم انتهى * فكيف اذا توفتهم الملائكة تقدم

( الدر )

( ش ) سول لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لاعلم له بالتصريف والاشتقاق جميعا انتهى ( ح ) قوله وقد اشتقه الى آخره ليس بجيد لانه يوهم أن السول أصله الهمز فاختلفت المادتان اذ عين سوّل واو وعين السول همزة والسول له مادتان احداهما الهمز من سأل يسأل والثانية الواو من سال يسال فاذا كان هكذا فسول يجوز ان يكون من ذوات الواو لا من ذوات الهمز

﴿ أم حسب الذين فى قلوبهم مرض ﴾ الآية اخراج أضغانهم وهو حقودهم ابرازها للرسول وللمؤمنين والظاهر أنها من رؤية البصر لعطف العرفان عليه وهو معرفة القلب وفى هاتين الجملتين تقريب لشهرتهم لكنه لم يعينهم بأسمائهم ابقاء عليهم وعلى قراباتهم ﴿ ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ كانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول عليه السلام مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح كقولهم راعنا ﴿ أعمالكم ﴾ خطاب عام يشمل المؤمن والكافر ﴿ ان الذين كفروا ﴾ ناس من بنى اسرائيل ﴿ من بعد ما تبين لهم الهدى ﴾ وتبين  هداهم معرفتهم بالرسول عليه السلام من التوراة ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ قيل نزلت فى بنى أسد أسلموا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد آثرناك وجئناك بأنفسنا وأهلنا كأنهم منوا عليه بذلك فنزلت فيهم هذه الآية وقوله تعالى يمنون عليك أن أسلموا فعلى هذا يكون ولا تبطلوا أعمالكم بالمن بالاسلام والرياء والسمعة والشرك والنفاق ﴿ وماتوا وهم كفار ﴾ عام والموجب لانتفاء الغفران وفاتهم على الكفر وقيل نزلت بسبب عدى بن حاتم رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال وكانت له أفعال برضا حاله فقال فى النار فبكى عدى وولى فدعاه فقال له أبى وأبوك وأبو ابراهيم خليل الرحمن فى النار فنزلت ﴿ فلا تهنوا ﴾ أى تضعفوا ﴿ وتدعوا الى السلم ﴾ وهو الصلح ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ أى الاغلبون ﴿ ولن يتركم ﴾ أى يعريكم من ثواب أعمالكم ﴿ إنما الحياة الدنيا ﴾ تحقير لأمر الدنيا أى فلا تهنوا فى الجهاد وأخبر عنها بذلك ﴿ يؤتكم أجوركم ﴾ أى ثواب أعمالكم من الايمان والتقوى ﴿ ولا يسألكم أموالكم ﴾ أى كثيرا من أموالكم إنما يسألكم ربع العشر فطيبوا أنفسكم ﴿ ان يسألكموها ﴾ أى جميعها ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ كررها التنبيه توكيدا ﴿ ومن يبخل ﴾ أى بالصدقة وما أوجب الله عليه ﴿ فانما يبخل عن نفسه ﴾ أى لا يتعدى ضرره لغيره ﴿ والله الغنى ﴾ مطلقا ﴿ وأنتم الفقراء ﴾ مطلقا لافتقاركم الى ما تحتاجون اليه فى الدنيا ﴿ وان تتولوا ﴾ عطف على تؤمنوا وتتقوا أى وان تتولوا عن الايمان والتقوى ﴿ يستبدل قوما غيركم ﴾ أى يخلق قوما سواكم راغبين فى الايمان والتقوى غير متولين عنهما ﴿ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ أى فى الخلاف والتولى والبخل

---

شرح الذين فى قلوبهم مرض ومبلغهم لاجل القتال وتقدم قول المرتدين وما يلحقهم فى ذلك من جزائهم على طواعية الكاذبين ما أنزل الله وتقدم والله يعلم أسرارهم فجاء هذا الاستفهام الذى معناه التوقيف عقب هذه الاشياء فقال الطبرى فكيف علمه بها أى بأسرارهم اذا توفتهم الملائكة وقيل فكيف يكون حالهم مع الله فيما ارتكبوه من ذلك القول * وقرأ الأعمش توفاهم بألف بدل التاء فاحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا حذفت منه التاء والظاهر أن وقت التوفى هو عند الموت * وقال ابن عباس لا يتوفى أحد على معصيته الا تضرب الملائكة فى وجهه وفى دبره والملائكة ملك الموت والمصرفون معه وقيل هو وقت القتال نصرة للرسول بضرب وجوههم أن يثبتوا وأدبارهم ان هزموا والملائكة ملائكة النصر والظاهر أن يضربون حال من الملائكة وقيل حال من الضمير فى توفاهم وهو ضعيف * ذلك أى ذلك الضرب للوجوه والأدبار بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وهو الكفر أو كتمان بعث الرسول أو تسويل الشيطان أقوال والمتبع الشئ هو مقبل بوجهه عليه فناسب ضرب الملائكة وجهه وكرهوا رضوانه وهو الايمان بالله واتباع دينه والكافر للشئ متول عنه فناسب ضرب الملائكة دبره ففى ذلك مقابلة أمرين بأمرين * أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم * ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم * إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم * إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم * فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم * إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم * ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم * ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ اخراج أضغانهم وهو حقودها ابرازها للرسول والمؤمنين والظاهر أنها من رؤية البصر لعطف العرفان عليه وهو معرفة القلب واتصال الضمير فى أريناكهم وهو الافصح وان كان يجوز الانفصال وفى هاتين الجملتين تقريب

لشهرتهم لكنه لم يعينهم بأسمائهم ابقاء عليهم وعلى قراباتهم واكتفاء منهم بما يتظاهرون به من اتباع الشرع وان أبطنوا خلافه * ولتعرفنهم فى لحن القول كانوا يصطلحون فيما بينهم من ألفاظ يخاطبون بها الرسول مما ظاهره حسن ويعنون به القبيح وكانوا أيضا يصدر منهم الكلام يشعر بالاتباع وهم بخلاف ذلك كقولهم عند النصر انا كنا معكم وغير ذلك كقولهم لئن رجعنا الى المدينة وقوله ان بيوتنا عورة والظاهر الاراءة والمعرفة بالسيما ووجود المعرفة فى المستقبل بلحن القول واللام فى ولتعرفنهم لام جواب القسم المحذوف * والله يعلم أعمالكم خطاب عام يشمل المؤمن والكافر وقيل خطاب للمؤمنين فقط * وقرأ الجمهور ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونبلو بالنون والواو وأبو بكر بالياء فيهن وأويس ونبلوا باسكان الواو وبالنون والأعمش باسكانها وبالياء وذلك على القطع اعلاما بان ابتلاءه دائم ومعنى حتى نعلم المجاهدين أى نعلمهم مجاهدين قد خرج جهادهم الى الوجود وبان مسكهم الذى يتعلق به ثوابهم * إن الذين كفروا ناس من بنى اسرائيل وتبين هداهم معرفتهم بالرسول من التوراة أو منافقون كان الايمان قد داخل قلوبهم ثم نافقوا والمطعمون سفرة بدر وتبين الهدى وجوده عند الداعى اليه أو مشاعة فى كل كافر وتبين الهدى من حيث كان فى نفسه أقوال وسيحبط أعمالهم أى التى كانوا يرجون بها انتفاعا وأعمالهم التى كانوا يكيدون بها الرسول ودين الاسلام * يا أيها الذين آمنوا قيل نزلت فى بنى اسرائيل أسلموا وقالوا الرسول الله قد آثرناك وجئناك بنفوسنا وأهلنا كأنهم منوا بذلك فنزلت فيهم هذه الآية وقوله يمنون عليك أن أسلموا فعلى هذا يكون ولا تبطلوا أعمالكم بالمن بالاسلام * وعن ابن عباس بالرياء والسمعة وعنه بالشرك والنفاق وعن حذيفة بالكبائر وقيل بالعجب فانه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وعن مقاتل بعصيانكم للرسول وقيل أعمالكم صدقاتكم بالمن والأذى * وماتوا وهم كفار عام فى الموجب لانتفاء الغفران وهو وفاتهم على الكفر وقيل هم أهل القليب وقيل نزلت بسبب عدى ابن حاتم رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه قال وكانت له أفعال برفحاله فقال فى النار فبكى عدى وولى فدعاه فقال له أبى وأبوك وأبو ابراهيم خليل الرحمن فى النار فنزلت * فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وهو الصلح * وقرأ الجمهور وتدعوا مضارع دعا والسلمى بتشديد الدال أى تفتروا والجمهور الى السلم بفتح السين والحسن وأبو رجاء والأعمش وعيسى وطلحة وحمزة وأبو بكر بكسرها وتقدم الكلام على السلم فى البقرة فى قوله ادخلوا فى السلم كافة * وقال الزمخشرى وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا ادعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموا انتهى والتلاوة بغير لا وكان يجب أن يأتى بلفظ التلاوة فيقول وقرئ وتدعوا معطوف على تهنوا فهو مجزوم ويجوز أن يكون مجزوما باضمار إن * وأنتم الأعلون أى الاعليون وهذه الجملة حالية وكذا والله معكم ويجوز أن يكونا جملتى استئناف أخبر أولا بقوله أنتم الأعلون فهو إخبار بمغيب أبرزه الوجود ثم ارتقى الى رتبة أعلى من التى قبلها وهى كون الله تعالى معهم * ولن يتركم قال ابن عباس ولن يظلمكم وقيل لن يعريكم من ثواب أعمالكم وقيل ولن ينقصكم * وقال الزمخشرى وقال أبو عبيد ولن يتركم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو قريب قال أو ذهبت بماله قال أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى أفرد عنهما قتلا ونهبا * إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وهو تحقير لأمر الدنيا أى فلا تهنوا

( الدر )

( ش ) وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه انتهى ( ح ) التلاوة وتدعوا بغير لا فكان يجب أن يأتى بلفظ التلاوة فيقول وقرئ وتدعوا

فى الجهاد وأخبر عنها بذلك باعتبار ما يختص بها من ذلك وأما ما فيها من الطاعة وأمر الآخرة فليس بذلك * يؤتكم أجوركم أى ثواب أعمالكم من الايمان والتقوى ولا يسألكم أموالكم * قال سفيان ابن عيينة أى كثيرا من أموالكم انما يسألكم ربع العشر فطيبوا أنفسكم وقيل لا حاجة النهابل يرجع ثواب انفاقكم اليكم وقيل انما يسألكم أمواله لانه هو المالك لها حقيقة وهو المنعم باعطائها وقيل الضمير فى يسألكم للرسول أى لا يسألكم أجرا على تبليغ الرسالة كما قال قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين * إن يسألكموها فيحفكم أى يبالغ فى الالحاح تبخلوا ويخرج أضغانكم أى تطعنون على الرسول وتضيق صدوركم كذلك وتخفون دينا يذهب بأموالكم * وقرأ الجمهور ويخرج أضغانكم جزما على جواب الشرط والفعل مسند الى الله أو الى الرسول أو الى البخل * وقرأ عبد الوارث عن أبى عمرو ويخرج بالرفع على الاستئناف بمعنى وهو يخرج وحكاها أبو حاتم عن عيسى وفى اللوامح عن عبد الوارث عن أبى عمرو وتخرج بالتاء وفتحها وضم الراء والجيم أضغانكم بالرفع بمعنى وهو يخرج أو سيخرج أضغانكم رفع بفعله * وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن سيرين وابن محيصن وأيوب بن المتوكل واليمانى وتخرج بتاء التأنيث مفتوحة أضغانكم رفع به ويعقوب ونخرج بالنون أضغانكم رفعا وهى مروية عن عيسى الا انه فتح الجيم باضمار أن فالواو عاطفة على مصدر متوهم أى يكف بخلكم واخراج أضغانكم وهذا الذى خيف أن يعترى المؤمنين هو الذى تقرب به محمد بن سلمة الى كعب بن الأشرف وتوصل به الى قتله حين قال له ان هذا الرجل قد أكثر علينا وطلب منا الأموال * ها أنتم هؤلاء كررها التنبيه توكيدا وتقدم الكلام على هذا التركيب فى سورة آل عمران * وقال الزمخشرى هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون أى أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا فى سبيل الله انتهى وكون هؤلاء موصولا اذا تقدمها ما الاستفهامية باتفاق أو من الاستفهامية باختلاف * فى سبيل الله قيل للغزو وقيل الزكاة واللفظ أعم * ومن يبخل أى بالصدقة وما أوجب الله عليه فانما يبخل عن نفسه أى لا يتعدى ضرره لغيره وبخل يتعدى بعلى وبعن يقال بخلت عليه وعنه وصليت عليه وعنه وكأنهما اذا عديا بعن ضمنا معنى الامساك كأنه قيل أمسكت عنه بالبخل * والله الغنى وأنتم الفقراء أى الغنى مطلقا اذ يستحيل عليه الحاجات وأنتم الفقراء مطلقا لافتقاركم الى ما تحتاجون اليه فى الدنيا والى الثواب فى الآخرة * وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا وتتقوا أى وان تتولوا أى عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم أى يخلق قوما غيركم راغبين فى الايمان والتقوى غير متولين عنهما كما قال ويأت بخلق جديد وتعيين أولئك القوم وانهم الانصار أو التابعون أو أهل اليمن أو كندة والنخع أو العجم أو فارس والروم أو الملائكة أقوال والخطاب لقريش أو لاهل المدينة قولان * وروى أبو هريرة انه عليه الصلاة والسلام سئل عن هذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على فخذه وقال قوم هذا والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وان صح هذا الحديث وجب المصير فى تعيين ما أبهم من قوله قوما غيركم الى تعيين الرسول * ثم لا يكونوا أمثالكم أى فى الخلاف والتولى والبخل

( الدر )

( ش ) هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون أى أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا فى سبيل الله انتهى ( ح ) كون هؤلاء موصولا مذهب الكوفيين ولم يثبت البصريون اسم الاشارة موصولا الا اذا تقدمها ما الاستفهامية باتفاق أو من الاستفهامية باختلاف والله أعلم

﴿ سورة الفتح تسع وعشرون آية مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * وينصرك الله نصرا عزيزا * هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما * ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا * ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما * إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا * إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما * سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا * بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا * ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا * ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما * سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا * قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما * ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما * لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا * ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا * وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما * إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما * لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا * هو الذى أرسل رسوله

﴿سورة الفتح﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ هذه السورة مدنية فعن ابن عباس انها نزلت بالمدينة والصحيح انها نزلت بالطريق منصرفه من الحديبية سنة ست من الهجرة فهي تعد من المدني * ومناسبتها لما قبلها انه تقدم وان تتولوا وهو خطاب الكفار قريش أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بالفتح العظيم ولما قال وأنتم الاعلون ناسب ذلك علو الاسلام بهذا الفتح العظيم وعلل المغفرة باجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل * والسكينة هي الطمأنينة والسكون فقيل بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم والظاهر أن اللام في ليدخل تتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام وذلك أنه قال ولله جنود السموات والارض فكان في ذلك دليل على انه تعالى يبتلى بتلك الجنود من يشاء فيقبل الخير من قضى له بالخير والشر من قضى له بالشر ليدخل المؤمنين جنات ويعذب الكافرين فاللام تتعلق بيبتلى هذه قرئ لتؤمنوا وعطف عليه ما بعده بتاء الخطاب وبياء الغيبة والضمير في وتعزروه وتوقروه عائد للرسول عليه السلام وفي تسبحوه عائد لله تعالى وتقدم لفظ التعزير ﴿إن الذين يبايعونك﴾ هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين أخذ الرسول عليه السلام الاهبة لقتال قريش حين أرجف بقتل عثمان بن عفان وقد بعثه الى قريش يعلمهم انه جاء معتمرا لا محاربا وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية بايعهم صلى الله عليه وسلم على الصبر المتناهي في قتال العدو الى أقصى الجهد ولذلك قال سلمة بن الاكوع وغيره بايعنا على الموت وقال ابن عمر وجابر على أن لا نفر وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن نكث فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه انتهى

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا * محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود * ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ * ظفر بالشئ غلب عليه وأظفره غلبه * المعرة المكروه والمشقة اللاصقة مأخوذ من العر والعرة وهو الجرب الصعب اللازم * قال الشاعر

* كذى العر يكوى غيره وهو راتع * الشطء الفراخ أشطأ الزرع أفرخ والشجرة أخرجت غصونها * آزر ساوى طولا * قال الشاعر

بمحنية قد آزر الضال نبتها * بجر جيوش غانمين وخيب

أي ساوى نبتها الضال طولا وهو شجر ووزنه أفعل لقولهم في المضارع يوزر ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * وينصرك الله نصرا عزيزا * هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما * ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا * ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما * إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا * إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ هذه السورة مدنية وعن ابن عباس انها نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزل والصحيح انها نزلت بطريق منصرفه صلى الله عليه وسلم من الحديبية سنة ست من الهجرة فهي تعد في المدني * ومناسبتها لما قبلها انه تقدم وان تتولوا الآية وهو خطاب لكفار قريش أخبر رسوله بالفتح العظيم وانه بهذا الفتح حصل الاستبدال وآمن كل من كان بها وصارت مكة دار إيمان ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية

تكلم المنافقون وقالوا لو كان محمد نبيا ودينه حقا ما صد عن البيت ولكان فتح مكة فأكذبهم الله تعالى وأضاف عز وجل الفتح الى نفسه اشعارا بأنه من عند الله لا بكثرة عدد ولا عدد وأكده بالمصدر ووصفه بأنه مبين مظهر لما تضمنه من النصر والتأييد والظاهر ان هذا الفتح هو فتح مكة وقال الكلبي وجماعة وهو المناسب لآخر السورة التي قبل هذه لما قال ها أنتم هؤلاء تدعون الآية بين أنه فتح لهم مكة وغنموا وحصل لهم أضعاف ما أنفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الا على أنفسهم وأيضا لما قال وأنتم الاعلون والله معكم بين برهانه بفتح مكة فانهم كانوا هم الاعلين وأيضا لما قال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم كان فتح مكة حيث لم يلحقهم وهن ولا دعوا الى صلح بل أتى صناديد قريش مستأمنين مستسلمين مسلمين وكانت هذه البشرى بلفظ الماضي وان كان لم يقع لان اخباره تعالى بذلك لا بد من وقوعه وكون هذا الفتح هو فتح مكة بدأ به الزمخشري * وقال الجمهور هو فتح الحديبية وقاله السدي والشعبي والزهري * قال ابن عطية وهو الصحيح انتهى ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام من القوم بحجارة وسهام وعن ابن عباس رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم * وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوه الصلح * قال الشعبي بلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب على المجوس وأطعموا نخل خيبر * وقال الزهري لم يكن فتح أعظم من فتح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام من قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام * قال القرطبي فما مضت تلك السنون الا والمسلمون قد جاؤا الى مكة في عشرة آلاف * وقال موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم من الحديبية ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادكم بالراح ويسألونكم القضية ورغبوا اليكم في الأمان ورأوا منكم ما كرهوا وكان في فتحها آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه * وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا انتهى وفي هذا الوقت اتفقت بيعة الرضوان وهو الفتح الأعظم قاله جابر بن عبد الله والبراء بن عازب وفيه استقبل فتح خيبر وامتلأت أيدي المؤمنين خيرا ولم يفتحها الا أهل الحديبية ولم يشركهم أحد من المتخلفين عن الحديبية * وقال مجاهد هو فتح خيبر * وفي حديث مجمع بن جارية شهدنا الحديبية فلما انصرفنا إذا الناس يهزون الأباعر فقيل ما بال الناس قالوا أوحى الله للنبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ النبي صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوفتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديبية ولم يدخل فيها أحد إلا من شهد الحديبية * وقال الضحاك الفتح حصول المقصود بغير قتال وكان الصلح من الفتح وفتح مكة بغير قتال فتناول الفتحين الحديبية ومكة * وقيل فتح الله تعالى له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها إذ لا فتح من فتوح الاسلام إلا وهو تحته ومتشعب منه * وقيل قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل ليطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة * قال الزمخشري (فان قلت) كيف جعل

فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الأمور الأربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو وسبب للغفران والثواب والفتح والظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه منغلق مالم يظفر فاذا ظفر به وحصل فى اليد فقد فتح انتهى * وقال ابن عطية المراد هنا ان الله فتح لك لكى يجعل ذلك علامة لغفرانه لك فكأنها لام صيرورة ولهذا قال عليه السلام لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب الى من الدنيا انتهى ورد بان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد فى معنى ليقومن زيد انتهى أما الكسر فقد علل بانه شبهت تشبيها بلام كى وأما النصب فله أن يقول ليس هذا نصبا لكنها الحركة التى تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف وبعد هذا فهذا القول ليس بشئ اذ لا يحفظ من لسانهم والله ليقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحا ويتم نعمته عليك باظهارك على عدوك ورضاه عنك وبفتح مكة والطائف وخيبر نصرا عزيزا أى بالظفر والتمكن من الأعداء بالغنيمة والأسر والقتل نصرا فيه عز ومنعة وأسندت العزة اليه مجازا والعزيز حقيقة هو المنصور صلى الله عليه وسلم وأعيد لفظ الله فى وينصرك الله نصرا لما بعد عن ما عطف عليه إذ فى الجملتين قبله ضمير يعود على الله وليكون المبدأ مسندا الى الاسم الظاهر والمنتهى كذلك ولما كان الغفران واتمام النعمة والهداية والنصر يشترك فى اطلاقها الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره بقوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقوله انهم لهم المنصورون وكان الفتح لم يبق لأحد إلا للرسول صلى الله عليه وسلم أسنده تعالى الى نون العظمة تفخيما لشأنه وأسند تلك الأشياء الأربعة الى الاسم الظاهر واشتركت الخمسة فى الخطاب له صلى الله عليه وسلم تأنيساله وتعظيما لشأنه ولم يأت بالاسم الظاهر لان فى الاقبال على المخاطب مالا يكون فى الاسم الظاهر * هو الذى أنزل السكينة وهى الطمأنينة والسكون قيل بسبب الصلح والامن فيعرفون فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم * وقيل السكينة اشارة الى ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الشرائع ليزدادوا إيمانا بها الى إيمانهم وهو التوحيد روى معناه عن ابن عباس * وقيل الوقار والعظمة لله ولرسوله * وقيل الرحمة ليتراحموا وقاله ابن عباس * ولله جنود السموات والأرض اشارة الى تسليم الأشياء اليه تعالى ينصر من شاء وعلى أى وجه شاء ومن جنده السكينة ثبتت قلوب المؤمنين * ليدخل هذه اللام تتعلق قيل بانا فتحنا لك * وقيل بقوله ليزدادوا (فان قيل) ويعذب عطف عليه والازدياد لا يكون سببا لتعذيب الكفار (أجيب) عن هذا بانه ذكر لكونه مقصودا للمؤمن كأنه قيل بسبب ازديادكم فى الايمان يدخلكم الجنة ويعذب الكفار بأيديكم فى الدنيا * وقيل بقوله وينصرك الله أى بالمؤمنين وهذه الأقوال فيها بعد * وقال الزمخشرى ولله جنود السموات والأرض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن صلح قلوب المؤمنين بصلح الحديبية وان وعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكرون فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه انتهى ولا يظهر من كلامه هذا ما تتعلق به اللام والذى يظهر أنها تتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام

وذلك انه قال ولله جنود السموات والارض كان في ذلك دليل على انه تعالى يبتلي بتلك الجنود من شاء فيقبل الخير من قضى له بالخير والشر من قضى له بالشر ليدخل المؤمنين جنات ويعذب الكفار فاللام تتعلق بيبتلي هذه وما تعلق بالابتلاء من قبول الايمان والكفر ويكفر معطوف على ليدخل وهو ترتيب في الذكر لا ترتيب في الوقوع وكان التبشير بدخول الجنة أهم فبدئ به * ولما كان المنافقون أكثر ضررا على المسلمين من المشركين بدئ بذكرهم في التعذيب * الظانين بالله ظن السوء الظاهر أنه مصدر أضيف الى ما يسوء المؤمنين وهو أن المشركين يستأصلونهم ولا ينصرون ويدل عليه عليهم دائرة السوء وبل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا * وقيل ظن السوء ما يسوء المشركين من ايصال الهموم اليهم بسبب علو كلمة الله وتسليط رسوله قتلا وأسرا ونهبا ثم أخبر أنهم يستعلي عليهم السوء ويحيط بهم فاحتمل أن يكون خبرا حقيقة واحتمل أن يكون هو وما بعده دعاء عليهم وتقدم الكلام على هذه الجملة في سورة براءة * وقيل ظن السوء يشمل ظنونهم الفاسدة من الشرك كما قال إن يتبعون إلا الظن ومن انتفاء رؤية الله تعالى الأشياء وعلمه بها كما قال ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا ابطلان خلق العالم كما قال ذلك ظن الذين كفروا * وقيل السوء هنا كما تقول هذا فعل سوء * وقرأ الحسن السوء فيهما بضم السين * وكان الله عزيزا حكيما لما تقدم تعذيب الكفار والانتقام منهم ناسب ذكر العزة ولما تقدم تعالى بغيبات ناسب ذكر العلم وقرن باللفظتين ذكر جنود السموات والأرض فمنها السكينة التي للمؤمنين والنقمة للمنافقين والمشركين ومن جنود الله الملائكة في السماء والغزاة في سبيل الله في الأرض * وقرأ الجمهور لتؤمنوا وما عطف عليه بتاء الخطاب وأبو جعفر وأبو حيوة وابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة والجحدري بفتح التاء وضم الزاي خفيف وهو أيضا وجعفر ابن محمد كذلك الا انهم كسروا الزاي وابن عباس واليماني بزاءين من العزة وتقدم الكلام في وعزروه في الأعراف والظاهر أن الضمائر عائدة على الله تعالى وتفريق الضمائر بجعلها للرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها لله تعالى حيث يليق قول الضحاك * بكرة وأصيلا قال ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر * ان الذين يبايعونك هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الاهبة لقتال قريش حين أرجف بقتل عثمان بن عفان فقد بعثه الى قريش يعلمهم أنه جاء معتمرا لا محاربا وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية بايعهم على الصبر المتناهي في قتال العدو الى أقصى الجهد ولذلك قال سلمة بن الأكوع وغيره بايعنا على الموت * وقال ابن عمر وجابر على أن لا نفر والمبايعة مفاعلة من البيع لان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة وبقي اسم البيعة بعد على معاهدة الخلفاء والملوك * انما يبايعون الله أي صفقتهم انما يمضيها ويمنح الثمن الله عز وجل * وقرأ تمام بن العباس بن عبد المطلب انما يبايعون لله أي لاجل الله ولوجهه والمفعول محذوف أي انما يبايعونك لله يد الله فوق أيديهم * قال الجمهور اليد هنا النعمة أي نعمة الله في هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها فوق أيديهم التي مدوها لبيعتك * وقيل قوة الله فوق قواهم في نصرك ونصرهم * وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو يدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول

﴿ سيقول لك المخلفون من الاعراب ﴾ المخلفون قبائل من العرب مذكورون فى البحر ﴿ شغلتنا أموالنا ﴾ هذا اعتلال منهم عن تخلفهم أى لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم فبدؤا بذكر الأموال لان بها قوام العيش وعطفوا الأهل عليها لانهم كانوا يحافظون على حفظ الأهل أكثر من حفظ المال وكان الرسول صلى الله عليه وسلم استنفرهم حين أراد المسير الى مكة فتعللوا بهذا الاعتلال ﴿ يقولون بألسنتهم ﴾ الظاهر انه راجع الى الجملتين المقولتين من الشغل وطلب الاستغفار لان قولهم شغلتنا كذب وطلب الاستغفار خبث منهم واظهار انهم مؤمنون عاصون ﴿ قل فمن يملك ﴾ أى من يمنعكم من قضاء الله ﴿ ان أراد بكم ضرا ﴾ من قتل أو هزيمة ﴿ أو أراد بكم نفعا ﴾ من ظفر وغنيمة اذ هو تعالى المتصرف فيكم ولما أخبر تعالى انهم قوم بور ذكر مادل على انهم ليسوا بمؤمنين فقال ومن لم يؤمن ثم ذكر جزاءهم وهو السعير ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ معناه أن يغيروا وعده لأهل الحديبية لغنيمة خيبر وذلك انه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ وأمره تعالى أن يقول لهم لن تتبعونا وأتى بصيغة لن وهى للمبالغة فى النفى أى لا يتم لكم ذلك أن وقد وعد تعالى أن ذلك لا يحضرها الا أهل الحديبية فقط ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ يريد وعده قبل اختصاصهم بها ﴿ بل تحسدوننا ﴾ أى يعز عليكم أن نصيب مغنما معكم وذلك على سبيل الحسد أن نقاسمكم فيما تغنمون ثم رد تعالى عليهم كلامهم هذا فقال ﴿ بل كانوا لا يفقهون ﴾ أى لا يفهمون ﴿ الا قليلا ﴾ من أمور الدنيا ﴿ قل للمخلفين من الاعراب ﴾ أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ذلك ودل على انهم كانوا يظهرون الاسلام ولو لم يكن الأمر كذلك لم يكونوا أهلا لهذا الأمر وأبهم تعالى فى قوله ﴿ الى قوم أولى بأس شديد ﴾ قال ابن عباس هم الفرس وقيل غير ذلك والظاهر أن هؤلاء المقاتلين ليسوا ممن تؤخذ منهم الجزية اذ لم يذكر هنا الا القتال أو الاسلام قال الزمخشرى وفى هذا دليل على امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته انتهى وهذا ليس بصحيح قد حضر كثير منهم مع جعفر فى موته وحضروا حرب هوازن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضروا معه فى سفرة تبوك ولا يتم قول الزمخشرى الا على قول من عين انهم من أهل الردة ﴿ فان تطيعوا ﴾ أى فيما تدعون اليه ﴿ كما توليتم من قبل ﴾ أى فى الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى زمان الحديبية ﴿ يعذبكم ﴾ يحتمل أن يكون فى الدنيا وأن يكون فى الآخرة ﴿ ليس على الاعمى حرج ﴾ تقدم الكلام عليه

---

فقد أطاع الله ومن نكث فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا على نفسه انتهى * وقرأ زيد بن على ينكث بكسر الكاف * وقال جابر بن عبد الله ما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم لحرم * وقرأ الجمهور عليه الله بنصب الهاء * وقرئ بما عاهد بالايا * وقرئ الحيدى فسيؤتيه بالياء والحرميان وابن عامر وزيد بن على بالنون أجرا عظيما هى الجنة وأوفى لغة تهامة * قوله عز وجل ﴿ سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيأ إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا * بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا * ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا * ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما * سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا * قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما * ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما ﴾ قال مجاهد وغيره ودخل كلام بعضهم فى بعض المخلفون من الاعراب هم جهينة ومزينة وغفار وأشجع والديل وأسلم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا ورأى أولئك الاعراب انه يستقبل عدوا عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل والمجاورين بمكة وهم الأحابيش ولم يكن الايمان تمكن من قلوبهم فقعدوا عن

النبي صلى الله عليه وسلم وتخلفوا وقالوا لن يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله عز وجل في هذه الآية وأعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل اليهم فكان كذلك * شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا وهذا اعتلال منهم عن تخلفهم أي لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم وبدؤا بذكر الأموال لان بها قوام العيش وعطفوا الأهل لانهم كانوا يحافظون على حفظ الاهل أكثر من حفظ المال * وقرئ شغلتنا بتشديد الغين حكاه الكسائي وهي قراءة ابراهيم بن نوح بن باذان عن قتيبة ولما علموا أن ذلك التخلف عن الرسول كان معصية سألوا أن يستغفر لهم * يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم الظاهر أنه راجع الى الجملتين المقولتين من الشغل وطلب الاستغفار لان قولهم شغلتنا كذب وطلب الاستغفار خبث منهم واظهار انهم مؤمنون عاصون * وقال الطبري هو راجع الى قولهم فاستغفر لنا يريد أنهم قالوا ذلك مصانعة من غير توبة ولا ندم * قل فمن يملك أي من يمنعكم من قضاء الله إن أراد بكم ضرا من قتل أو هزيمة أو أراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة أي هو تعالى المتصرف فيكم وليس حفظكم أموالكم وأهليكم بمانع من ضياعها اذا أراده الله تعالى وقرأ الجمهور ضرا بفتح الضاد والاخوان بضمها وهما لغتان ثم بين تعالى لهم العلة في تخلفهم وهي ظنهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه لا يرجعون الى أهليهم وتقدم الكلام على أهل وكيف جمع بالواو والنون في قوله ماتطعمون أهاليكم * وقرأ عبد الله الى أهلهم بغير ياء وزين قراءة الجمهور مبنيا للمفعول والفاعل هو الله تعالى * وقيل غيره ممن نسب اليه التزيين مجازا * وقرئ وزين مبنيا للفاعل وظننتم ظن السوء يحتمل أن يكون هو الظن السابق وهو ظنهم أن لا ينقلبوا ويكون قد ساءهم ذلك الظن وأحزنهم حيث أخلف ظنهم ويحتمل أن يكون غيره لاجل العطف أي ظننتم انه تعالى يخلف وعده في نصر دينه واعزاز رسوله صلى الله عليه وسلم * بورا هلكى والظاهر انه مصدر كالهلك ولذلك وصف به المفرد المذكر كقول ابن الزبعرى

يارسول المليك ان لساني * راتق مافتقت إذ أنا بور

والمؤنث حكى أبو عبيدة امرأة بور والمثنى والمجموع * وقيل يجوز أن يكون جمع بائر كحائل وحول هذا في المعتل وباذل وبذل في الصحيح وفسر بورا بفاسدين هلكى * وقال ابن بحر أشرار واحتمل وكنتم أي يكون المعنى وصرتم بذلك الظن وان يكون وكنتم على بابها أي وكنتم في الاصل قوما فاسدين أي الهلاك سابق لكم على ذلك الظن ولما أخبر تعالى انهم قوم بور ذكر مايدل على انهم ليسوا بمؤمنين فقال ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو كافر جزاؤه السعير ولما كانوا ليسوا مجاهدين بالكفر ولذلك اعتذروا وطلبوا الاستغفار مزج وعيدهم وتوبيخهم ببعض الامهال والترجئة * وقال الزمخشري ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لرحمته حيث يكفر السيآت باجتناب الكبائر بالتوبة انتهى وهو على مذهب الاعتزال * سيقول المخلفون روى أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بغزو خيبر ووعده بفتحها وأعلمه أن المخلفين اذا رأوا مسيره الى خيبر وهم عدو مستضعف طلبوا الكون معه رغبة في عرض الدنيا من الغنيمة وكان كذلك * يريدون أن يبدلوا كلام الله معناه أن يغيروا وعده لأهل الحديبية بغنيمة خيبر وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منها شيأ قاله مجاهد وقتادة وعليه عامة أهل التأويل * وقال ابن زيد كلام الله قوله تعالى قل لن تخرجوا معي

أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وهذا لا يصح لان هذه الآية نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك فى آخر عمره وهذه السورة نزلت عام الحديبية وأيضا فقد غزت مزينة وجهينة بعد هذه المدة معه عليه الصلاة والسلام وفضلهم بعد على تميم وغطفان وغيرهم من العرب * وقرأ الجمهور كلام الله بألف والاخوان كلم الله جمع كلمة وأمره تعالى أن يقول لهم لن تتبعونا وأتى بصيغة لن وهى للمبالغة فى النفى أى لا يتم لكم ذلك اذ قد وعد تعالى أن ذلك لا يحضرها الا أهل الحديبية فقط * كذلكم قال الله من قبل يريد وعده قبل اختصاصهم بها * بل تحسدوننا أى يعز عليكم ان نصيب مغنما معكم وذلك على سبيل الحسد ان تقاسمكم فيما تغنمون * وقرأ أبو حيوة بكسر السين ثم رد عليهم تعالى كلامهم هذا فقال بل كانوا لا يفقهون الا قليلا من أمور الدنيا وظاهره ليس لهم فكر الا فيها كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا والاضراب الأول رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى ما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه * قل للمخلفين من الاعراب أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ذلك ودل على أنهم كانوا يظهرون الاسلام ولو لم يكن الأمر كذلك لم يكونوا أهلا لذلك الامر وأبهم تعالى فى قوله الى قوم أولى بأس شديد * فقال عكرمة وابن جبير وقتادة هم هوازن ومن حارب الرسول صلى الله عليه وسلم فى حنين * وقال كعب الروم الذين خرج اليهم عام تبوك والذين بعث اليهم فى غزوة مونة * وقال الزهرى والكلبى أهل الردة وبنو حنيفة باليمامة وعن رافع بن خديج انا كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم أريدوا بها * وقال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح ومجاهد وعطاء الخراسانى وابن أبى ليلى هم الفرس * وقال الحسن فارس والروم * وقال أبو هريرة قوم لم يأتوا بعد وظاهر الآية يرد هذا القول والذى أقوله إن هذه الأقوال تمثيلات من قائليها الا ان المعنى بذلك ماذكروا بل أخبر بذلك مبهما دلالة على قوة الاسلام وانتشار دعوته وكذا وقع حسن اسلام تلك الطوائف وقاتلوا أهل الردة زمان أبى بكر وكانوا فى فتوح البلاد أيام عمر وأيام غيره من الخلفاء والظاهر أن هؤلاء المقاتلين ليسوا ممن تؤخذ منهم الجزية اذ لم يذكر هنا الا القتال أو الاسلام ومذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى ورضى عنه أن الجزية لا تقبل من مشركى العرب ولا من المرتدين وليس الا الاسلام أو القتل وتقبل ممن عداهم من مشركى العجم وأهل الكتاب والمجوس ومذهب الشافعى رحمه الله تعالى لا تقبل الا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركى العجم والعرب * وقال الزمخشرى وهذا دليل على امامة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته انتهى وهذا ليس بصحيح فقد حضر كثير منهم مع جعفر فى مونة وحضروا حرب هوازن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضروا معه فى سفرة تبوك ولا يتم قول الزمخشرى الا على قول من عين أنهم أهل الردة * وقرأ الجمهور أو يسلمون مرفوعا وأبى وزيد ابن على بحذف النون منصوبا باضمار أن فى قول الجمهور من البصريين غير الجرمى وبها فى قول الجرمى والكسائى وبالخلاف فى قول الفراء وبعض الكوفيين فعلى قول النصب باضمار أن هو عطف مصدر مقدر على مصدر متوهم أى يكون قتال أو اسلام أى أحدهذين ومثله فى النصب قول امرىء القيس

فقلت له لا تبك عينا انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

( الدر )

﴿ سورة الفتح ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ش ) وهذا دليل على امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى أيام الرسول ولكن بعد وفاته انتهى ( ح ) هذا ليس بصحيح قد حضر كثير منهم مع جعفر فى مونة وحضروا حرب هوازن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضروا معه فى سفرة تبوك ولا يتم قول ( ش ) الا على قول من عين انهم من أهل الردة ء

﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين ﴾ الآية لما ذكر حال من تخلف عن السفر مع الرسول ذكر حال المؤمنين الخلص الذين سافروا معه والآية دالة على رضا الله تعالى عنهم ولذا سميت بيعة الرضوان والعامل في إذ رضي والرضا بمعنى اظهار النعم عليهم فهو صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان وتحت يحتمل أن يكون معمولا ليبايعونك أو حالا من المفعول لانه عليه السلام كان تحتها جالسا في أصلها وكانت الشجرة سمرة ﴿ فعلم ما في قلوبهم ﴾ من الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وأثابهم فتحا قريبا ﴾ قيل هو فتح خيبر وكان عقب انصرافهم من مكة ﴿ ومغانم كثيرة ﴾ هذه المغانم المدعو بها هي المغانم التي كانت بعد هذه وتكون الى يوم القيامة ﴿ فعجل لكم هذه ﴾ الاشارة بهذه الى البيعة والتخلص من أمر قريش بالصلح قاله ابن عباس ﴿ وكف أيدي الناس عنكم ﴾ أي أهل مكة بالصلح ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها ﴾ قال ابن عباس بلاد فارس والروم بما فتحه المسلمون ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم ﴾ أي قضى بينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة وروى في سببها أن قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن أبي جهل وخرجوا يطلبون غرة في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أحس بها المسلمون بعث عليه السلام خالد بن الوليد وسماه حينئذ سيف الله في جملة من المسلمين ففروا أمامهم حتى أدخلوهم بيوت مكة وأسروا منهم جملة وسيقوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فمنّ عليهم وأطلقهم ﴿ هم الذين كفروا ﴾ أي أهل مكة ومعكوفا حال أي محبوسا ﴿ ولولا رجال مؤمنون ﴾ كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الاماكن فقال تعالى ولولا أي ولولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم ﴿ فيصيبكم ﴾ باهلاكهم مكروه ومشقة ما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه قال الزمخشري ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب انتهى قوله لمرجعهما الى معنى واحد ليس بصحيح لان ما تعلق به لولا الاولى غير ما تعلق به الثانية فالمعنى في الاولى ولولا وطء قوم بمؤمنين والمعنى في الثانية لو تميزوا من الكفار وهذا المعنى مغاير للاول مغايرة ظاهرة ﴿ حمية الجاهلية ﴾ قال الزهري حميتهم أنفتهم من الاقرار للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو والسكينة الوقار والاطمئنان فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى لا اله الا الله وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر أن الضمير في وكانوا عائد على المؤمنين والمفضل عليهم محذوف أي أحق بها من كفار مكة لان الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه عليه السلام

والرفع على العطف على تقاتلونهم أو على القطع أي أوهم يسلمون دون قتال فان تطيعوا أي فيما تدعون اليه كما توليتم من قبل أي في زمان الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في زمان الحديبية يعذبكم يحتمل أن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة * ليس على الأعمى حرج نفي الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو ومع ارتفاع الحرج فجائز لهم الغزو وأجرهم فيه مضاعف والأعرج أحرى بالصبر وأن لا يفر وقد غزا ابن أم مكتوم وكان أعمى في بعض حروب القادسية وكان رضي الله عنه يمسك الراية فلو حضر المسلمون فالغرض متوجه بحسب الوسع في الغزو * وقرأ الجمهور يدخله ويعذبه بالياء والحسن وقتادة وأبو جعفر والأعرج وشيبة وابن عامر ونافع بالنون قوله عز وجل ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما * وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا * ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنت الله تبديلا * وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا * هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما * اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما ﴾ لما ذكر تعالى حال من تخلف عن

السفر مع الرسول صلى الله عليه وسلم لذكر حال المؤمنين الخلص الذين سافروا معه والآية دالة على رضا الله تعالى عنهم ولذا سميت بيعة الرضوان وكانوا فيما روى الفا وخمسمائة وعشرين * وقال ابن أبي أوفى وثلاثمائة وأصل هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا الى أهل مكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب يعلمهم أنه جاء معتمرا لا يريد قتالا فلما أتاهم وكلمهم عقروا جمله وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد بعث عمر فقال قد علمت فظاظتي وهم يبغضونني وليس هناك من بني عدي من يحميني ولكن أدلك على رجل هو أعز مني وأحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فأخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكان أبان بن سعيد بن العاصي حين لقيه نزل عن دابته وحمله عليها وأجاره فقالت له قريش ان شئت فطف بالبيت وأما دخولكم علينا فلا سبيل اليه فقال ما كنت لاطوف به حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الحديبية من مكة على عشرة أميال فصرخ صارخ من العسكر قتل عثمان فحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وقالوا لانبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة البيعة فنزل روح القدس فبايعوا كلهم الا الجد بن قيس المنافق * وقال الشعبي أول من بايع أبو سنان بن وهب الاسدي والعامل في اذ رضي والرضا على هذا بمعنى اظهار النعم عليهم فهو صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان وتحت يحتمل أن يكون معمولا ليبايعونك أو حالا من المفعول لأنه صلى الله عليه وسلم كان تحتها جالسا في أصلها * قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدي غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره بايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكانت الشجرة سمرة * قال بكير بن الأشجع يوم فتح مكة قال نافع كان الناس يأتون تلك الشجرة يصلون عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها وكانت هذه البيعة سنة ست من الهجرة وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من شهد بيعة الرضوان * فعلم ما في قلوبهم قال قتادة وابن جريج من الرضا بالبيعة أن لا يفروا * وقال الفراء من الصدق والوفاء * وقال الطبري ومنذر بن سعيد من الايمان وصحته والحب في الدين والحرص عليه * وقيل من الهم والانصراف عن المشركين والانفة من ذلك على نحو ما خاطب به عمر وغيره وهذا قول حسن يترتب معه نزول السكينة والتعريض بالفتح القريب والسكينة تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أمر الله تعالى وعلى الأقوال السابقة قيل هذا القول لا يظهر احتياج الى انزال السكينة الا أن يجازى بالسكينة والفتح القريب والمغانم * وقال مقاتل فعلم ما في قلوبهم من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه على الموت فأنزل السكينة عليهم حتى بايعوا * قال ابن عطية وهذا فيه مذمة للصحابة رضي الله تعالى عنهم انتهى * وأثابهم فتحا قريبا قال قتادة وابن أبي ليلى فتح خيبر وكان عقب انصرافهم من مكة * وقال الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا طويلا * وقيل فتح مكة والقرب أمر نسبي لكن فتح خيبر كان أقرب * وقرأ الحسن ونوح القارئ وآتاهم أي أعطاهم والجمهور وأثابهم من الثواب * ومغانم كثيرة أي مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها عليهم * وقيل مغانم هجر * وقيل مغانم فارس والروم * وقرأ الجمهور يأخذونها بالياء على الغيبة في وأثابهم وما قبله من ضمير الغيبة * وقرأ الأعمش وطلحة ورويس عن يعقوب ودلبة عن يونس عن ورش وأبو حيوة وسقلاب عن نافع والانطاكي عن أبي جعفر بالتاء على

الخطاب كما جاء بعد وعدكم الله مغانم كثيرة بالخطاب وهذه المغانم الموعود بها هي المغانم التي كانت بعد هذه وتكون الى يوم القيامة قاله ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين ولقد اتسع نطاق الاسلام وفتح المسلمون فتوحا لا تحصى وغنموا مغانم لا تعد وذلك في شرق البلاد وغربها حتى في بلاد الهند وفي بلاد السودان في عصرنا هذا وقدم علينا حاجا أحد ملوك غانة من بلاد التكرور وذكر عنه أنه استفتح أزيد من خمسة وعشرين مملكة من بلاد السودان وأسلموا وقدم علينا بعض ملوكهم يحج معه * وقيل الخطاب لأهل البيعة وأنهم سيغنمون مغانم كثيرة * وقال زيد ابن أسلم وابنه المغانم الكثيرة مغانم خيبر * فعجل لكم هذه الاشارة بهذه الى البيعة والتخلص من أمر قريش بالصلح قاله ابن عباس وزيد بن أسلم وابنه * وقال مجاهد مغانم خيبر * وكف أيدي الناس عنكم أي أهل مكة بالصلح * وقال ابن عباس عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري ومن كان معهم إذ جاؤا لينصروا أهل خيبر والرسول عليه الصلاة والسلام محاصر لهم فجعل الله في قلوبهم الرعب وكفهم عن المسلمين * وقال ابن عباس أيضا أسد وغطفان حلفاء خيبر * وقال الطبري كف اليهود عن المدينة بعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحديبية والى خيبر * ولتكون أي هذه الكفة آية للمؤمنين وعلامة يعرفون بها انهم من الله تعالى بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم * وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الأنبياء حق فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة فيكون الضمير في ولتكون عائدا على هذه وهي مغانم خيبر والواو في ولتكون زائدة عند الكوفيين وعاطفة على محذوف عند غيرهم أي ليشكروه ولتكون أو وعد فعجل وكف لينفعكم بها ولتكون أو يتأخر أو يقدر ما يتعلق به متأخرا أي فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما أي طريق التوكل وتفويض الأمور اليه * وقيل بصيرة واتقانا * وأخرى لم تقدروا عليها * قال ابن عباس والحسن ومقاتل بلاد فارس والروم وما فتحه المسلمون * وقال الضحاك وابن زيد وابن اسحاق خيبر * وقال قتادة والحسن مكة وهذا القول يتسق معه المعنى ويتأيد وفي قوله لم تقدروا عليها دلالة على تقدم محاولة لها وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة * وقال الزمخشري هي مغانم هوازن في غزوة حنين * وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة وجوز الزمخشري في وأخرى أن تكون مجرورة باضمار رب وهذا فيه غرابة لان رب لم تأت في القرآن جارة مع كثرة ورود ذلك في كلام العرب فكيف يؤتى بها مضمرة وانما يظهر أن وأخرى مرفوع بالابتداء فقد وصفت بالجملة بعدها وقد أحاط هو الخبر ويجوز أن تكون في موضع نصب بمضمر يفسره معنى قد أحاط الله بها أي وقضى الله أخرى وقد ذكر الزمخشري هذين الوجهين ومعنى قد أحاط الله بها بالقدرة والقهر لأهلها أي قد سبق في علمه ذلك وظهر فيها أنهم لم يقدروا عليها * ولو قاتلكم الذين كفروا هذا ينبني على الخلاف في قوله تعالى وكف أيدي الناس عنكم أهم مشركو مكة أو ناصروا أهل خيبر أو اليهود * لولوا الأدبار أي لغلبوا وانهزموا * سنة الله في موضع المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله أي سن الله عليه أنبياءه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي * وهو الذي كف أيديهم أي قضى بينكم المكافة والمحاجزة بعدما خولكم الظفر عليهم والغلبة * وروي في سببها أن قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن أبي جهل وخرجوا يطلبون غرة في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أحس بهم المسلمون بعث عليه الصلاة والسلام خالد

ابن الوليد وسماه حينئذ سيف الله فى جملة من الناس ففروا أمامهم حتى أدخلوهم بيوت مكة وأسروا منهم جملة وسيقوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فمن عليهم وأطلقهم * وقال قتادة كان ذلك بالحديبية عند معسكره وهو ببطن مكة * وعن أنس هبط ثمانون رجلا من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم مسلحين يريدون غرته فأخذناهم فاستحياهم * وفى حديث عبد الله بن معقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فأخذ الله أبصارهم فقال لهم هل جئتم فى عهد وهل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم * وقال الزمخشرى كان يعنى هذا الكف يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا * وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة * وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت انتهى * وقرأ الجمهور بما تعملون على الخطاب وأبو عمرو بالياء وهو تهديد للكفار * هم الذين كفروا يعنى أهل مكة * قال ابن خالويه يقال الهدى والهدى والهداء ثلاث لغات انتهى * وقرأ الجمهور الهدى بسكون الدال وهى لغة قريش وابن هرمز والحسن وعصمة عن عاصم واللؤلؤى وخارجة عن أبى عمرو والهدى بكسر الدال وتشديد الياء وهما لغتان وهو معطوف على الضمير فى صدوكم ومعكوفا حال أى محبوسا عكفت الرجل عن حاجته حبسته عنها وأنكر أبو على تعدية عكف وحكاه ابن سيدة والأزهرى وغيرهما وهذا الحبس يجوز أن يكون من المشركين بصدهم أو من جهة المسلمين لترددهم ونظرهم فى أمرهم * وقرأ الجعفى عن أبى عمرو والهدى بالجر معطوفا على المسجد الحرام أى وعن نحر الهدى * وقرأ بالرفع على اضمار وصد الهدى وكان خرج عليه ومعه مائة بدنة قاله مقاتل * وقيل بسبعين وكان الناس سبعمائة رجل فكانت البدنة عن عشرة قاله المسور بن مخرمة وأبى بن الحكم * أن يبلغ محله قال الشافعى الحرم وبه استدل أبو حنيفة ان محل هدى المحصر الحرم لا حيث أحصر * وقال الفراء حيث يحل نحره وأن يبلغ يحتمل أن يتعلق بالصد أى وصدوا الهدى وذلك على أن يكون بدل اشتمال أى وصدوا بلوغ الهدى محله أو على أنه مفعول من أجله أى كراهة أن يبلغ محله ويحتمل أن يتعلق بمعكوفا أى محبوسا لأجل أن يبلغ محله فيكون مفعولا من أجله ويكون الحبس من المسلمين أو محبوسا عن أن يبلغ محله فيكون الحبس من المشركين وكان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركين غير متميزين عنهم ولا معروفى الأماكن فقال تعالى ولولا كراهة أن يهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين لهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة ما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه * قال الزمخشرى ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب انتهى وقوله لمرجعهما الى معنى واحد ليس بصحيح لان ما تعلق به لولا الأولى غير ما تعلق به الثانية فالمعنى فى الأولى ولولا وطء قوم مؤمنين والمعنى فى الثانية لو تميزوا من الكفار وهذا معنى مغاير للأول مغايرة ظاهرة وأن تطؤهم بدل اشتمال من رجال وما بعده * وقيل بدل من الضمير فى تعلموهم أى لم تعلموا وطأتهم أى انه وطء مؤمنين وهذا فيه بعد والوطء الدوس وعبر به عن الاهلاك بالسيف وغيره * قال الشاعر

ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد نابت الهرم

وفى الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر ولم تعلموهم صفة لرجال ونساء غلب فيها المذكر والمعنى

( الدر )

(ش) ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب انتهى (ح) قوله لمرجعهما الى معنى واحد ليس بصحيح لان ما تعلق به لولا الأولى غير ما تعلق به الثانية فالمعنى فى الأولى ولولا وطء قوم مؤمنين والمعنى فى الثانية لو تميزوا من الكفار وهذا معنى مغاير للاول مغايرة ظاهرة

لم تعرفوا أعيانهم وانهم مؤمنون * وقال ابن زيد المعرة المأثم * وقال ابن اسحق الدية * وقال ابن
عطية وهذا ضعيف لانه لا إثم ولا دية في قتل مؤمن مستور الايمان بين أهل الحرب * وقال الطبري
هي الكفارة * وقال القاضي منذر بن سعيد المعرة أن يعنفهم الكفار ويقولون قتلوا أهل دينهم
* وقيل الملامة وتألم النفس منه في باقي الزمن ولفق الزمخشري من هذه الأقوال سؤالا وجوابا على
عادته في تلفيق كلامه من أقوالهم وإيهامه أنها سؤالات وأجوبة له * فقال (فان قلت) أي معرة
تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء مقالة المشركين
انهم فعلوا بأهل دينهم مافعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير انتهى بغير علم
اخبار عن الصحابة وعن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والامتناع من التعدي حتى انهم
لو أصابوا من ذلك أحدا لكان من غير قصد كقول النملة عن جند سليمان وهم لا يشعرون وبغير علم
متعلق بان تطؤهم * وقيل متعلق بقوله فتصيبكم منهم معرة من الذين بعدكم ممن يعتب عليكم
* وقرأ الجمهور لو تزيلوا وابن أبي عبلة وابن مقسم وأبو حيوة وابن عون لو تزايلوا على وزن
تفاعلوا وليدخل متعلق بمحذوف دل عليه المعنى أي كان انتفاء التسليط على أهل مكة وانتفاء
العذاب ليدخل الله في رحمته من يشاء وهذا المحذوف هو مفهوم من جواب لو ومعنى تزيلوا لو
ذهبوا عن مكة أي لو تزيل المؤمنون من الكفار وتفرقوا منهم ويجوز أن يكون الضمير للمؤمنين
والكفار أي لو افترق بعضهم من بعض * إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية إذ
معمول لعذبنا أو لوصدوكم أو لاذكر مضمرة والحمية الأنفة يقال حميت عن كذا حمية اذا أنفت
عنه وداخلك عار وأنفة لفعله قال المتلمس

الا انني منهم وعرضي عرضهم * كذا الرأس يحمي انفه ان يهشما

* وقال الزهري حميتهم أنفتهم عن الاقرار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله
الرحمن الرحيم والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو * وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لآلهتهم
والانفة أن يعبدوا غيرها * وقيل قالوا قتلوا آباءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا واللات والعزى
لا يدخلها أبدا وكانت حمية جاهلية لانها بغير حجة وفي غير موضعها وانما ذلك محض تعصب لانه صلى
الله عليه وسلم انما جاء معظما للبيت لا يريد حربا فهم في ذلك كما قال الشاعر في حمية الجاهلية

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

وحمية بدل من الحمية والسكينة الوقار والاطمئنان فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى لا اله الا الله روى
ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وعمرو بن ميمون وقتادة
ومجاهد وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والربيع والسدي
وابن زيد * وقال عطاء بن أبي رباح ومجاهد أيضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير * وقال علي بن أبي طالب وابن عمر رضي الله تعالى عنهما لا اله الا الله والله
أكبر * وقال أبو هريرة وعطاء الخراساني لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضيفت
الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى وأساسها * وقيل هو على حذف مضاف أي كلمة أهل التقوى
* وقال المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم كلمة التقوى هنا هي بسم الله الرحمن الرحيم وهي التي
أباها كفار قريش فالزمها الله المؤمنين وجعلهم أحق بها * وقيل قولهم سمعا وطاعة والظاهر أن
الضمير في وكانوا عائد على المؤمنين والمفضل عليهم محذوف أي أحق بها من كفار مكة لان الله تعالى

﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ الآية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل خروجه الى الحديبية وقال مجاهد كانت الرؤيا بالحديبية أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وناس معه والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون أنهم يدخلونها فيما يستأنف واطمأنت قلوبهم ودخلوها معه عليه السلام فى ذى القعدة سنة سبع وذلك ثلاثة أيام هو وأصحابه وصدقت رؤياه عليه السلام ﴿ فعلم ما لم تعلموا ﴾ أى ما قدره من ظهور الاسلام فى تلك المدة ودخول  الناس فيه وما كان أيضا بمكة من المؤمنين الذين دفع الله بهم قال الزمخشرى فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب فى تأخر فتح مكة الى العام القابل انتهى لم يكن فتح مكة فى العام القابل انما كان بعد ذلك بأكثر من عام لأن الفتح كان سنة ثمان من الهجرة وكان خروجه من المدينة عام الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة ﴿ والذين معه ﴾ من شهد الحديبية ﴿ أشداء ﴾ جمع شديد ﴿ ركعا سجدا ﴾ دليل على كثرة ذلك منهم وهذه السيما قال مالك بن أنس كانت جباههم منيرة من كثرة السجود فى التراب ﴿ مثلهم ﴾ أى صفتهم فى التوراة ومثلهم هذا مبتدأ وكزرع خبره وقال قتادة مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانجيل مكتوب انه سيخرج من أمة محمد قوم ينبتون نباتا كالزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر شطأ الزرع وأشطأ اذا أخرج فراخه وهو فى الحنطة والشعير والضمير المنصوب فى آزره عائد على الزرع لأن الزرع أول ما يطلع رقيق الاصل فاذا خرجت فراخه غلظ أصله وتقوى وكذلك أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا أقلة ضعفاء فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين ﴿ فاستغلظ ﴾ أى صار من الرقة الى الغلظ ﴿ فاستوى ﴾ أى تم نباته ﴿ على سوقه ﴾ جمع ساق كناية عن أصوله ﴿ يعجب الزراع ﴾ جملة فى موضع الحال واذا أعجب الزراع فهو أحرى أن يعجب غيرهم لأنه لا عيب فيه اذ قد أعجب العارفين بعيوب الزرع ولو كان معيبا لم يعجبهم وهنا تم المثل وليغيظ متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام قبله تقديره جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار والأجر العظيم الجنة

---

اختارهم لدينه وصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم * وقيل من اليهود والنصارى وهذه الأحقية هى فى الدنيا * وقيل أحق بها فى علم الله تعالى * وقيل وأهلها فى الآخرة بالثواب * وقيل الضمير فى وكانوا عائد على كفار مكة لأنهم أهل حرم الله ومنهم رسوله لولا ما سلبوا من التوفيق * وكان الله بكل شئ عليما اشارة الى علمه تعالى بالمؤمنين ورفع الكفار عنهم والى علمه بصلح الكفار فى الحديبية اذ كان سببا لامتزاج العرب واسلام كثير منهم وعلو كلمة الاسلام وكانوا عام الحديبية ألفا وأربعمائة وبعده بعامين ساروا الى مكة بعشرة آلاف * وقال أبو عبد الله الرازى فى هذه الآية لطائف معنوية وهو أنه تعالى أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن باين بين الفاعلين اذ فاعل جعل هو الكفار وفاعل أنزل هو الله تعالى وبين المفعولين اذ تلك حمية وهذه سكينة وبين الاضافتين أضاف الحمية الى الجاهلية وأضاف السكينة الى الله تعالى وبين الفعل جعل وأنزل فالحمية مجعولة فى الحال فى العرض الذى لا يبقى والسكينة كالمحفوظة فى خزانة الرحمة فأنزلها والحمية قبيحة مذمومة فى نفسها وازدادت قبحا بالاضافة الى الجاهلية والسكينة حسنة فى نفسها وازدادت حسنا باضافتها الى الله تعالى والعطف فى فأنزل بالفاء لا بالواو يدل على المقابلة تقول أكرمنى زيد فأكرمته فدلت على المجازاة للمقابلة ولذلك جعل فأنزل ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أجاب أولا الى الصلح وكان المؤمنون عازمين على القتال وأن لا يرجعوا الى أهلهم الا بعد فتح مكة أو النحر فى المنحر وأبوا الا أن يكتبوا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وباسم الله قال تعالى على رسوله ولما سكن هو صلى الله عليه وسلم للصلح سكن المؤمنون فقال وعلى المؤمنين ولما كان المؤمنون عند الله تعالى ألزموا تلك الكلمة قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفيه تلخيص وهو كلام حسن قوله عز وجل ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا * محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود * ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا

وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية * وقال مجاهد كانت الرؤيا بالحديبية انه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل و رفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت * و روى ان رؤياه كانت ان ملكا جاءه فقال له لتدخلن الآية ومعنى صدق الله لم يكذبه والله تعالى منزه عن الكذب وعن كل قبيح وصدق يتعدى الى اثنين الثانى بنفسه و بحرف الجر تقول صدقت زيدا الحديث وصدقته فى الحديث وقد عدها بعضهم فى اخوات استغفر وأمر * وقال الزمخشرى لحذف الجار وأوصل الفعل لقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه انتهى فدل كلامه على ان أصله حرف الجر و بالحق متعلق بمحذوف أى صدقا ملتبسا بالحق لتدخلن اللام جواب قسم محذوف و يبعد قول من جعله جواب بالحق و بالحق قسم لاتعلق له بصدق وتعليقه على المشيئة قيل لانه حكاية قول الملك للرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن كيسان * وقيل هذا التعليق تأدب بآداب الله تعالى وان كان الموعود به محقق الوقوع حيث قال تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله * وقال ثعلب استثنى فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لا يعلمون * وقال الحسن بن الفضل كان الله علم أن بعض الذين كانوا بالحديبية يموت فوقع الاستثناء لهذا المعنى * وقال أبو عبيدة وقوم ان بمعنى اذ كما قيل فى قوله وانا ان شاء الله بكم لاحقون * وقيل هو تعليق فى قوله آمنين لا لاجل اعلامه بالدخول فالتعليق مقدم على موضعه وهذا القول لا يخرج التعليق عن كونه معلقا على واجب لان الدخول والامن أخبر بهما تعالى ووقعت الثقة بالامرين وهما الدخول والامن الذى هو قيد فى الدخول وآمنين حال مقارنة للدخول ومحلقين ومقصرين حال مقدرة ولا تخافون بيان لكمال الأمن بعد تمام الحج ولما نزلت هذه الآية علم المسلمون أنهم يدخلونها فيما يستأنف واطمأنت قلوبهم ودخلوها معه عليه الصلاة والسلام فى ذى القعدة سنة سبع وذلك ثلاثة أيام هو وأصحابه وصدقت رؤياه صلى الله عليه وسلم * فعلم ما لم تعلموا أى ما قدره من ظهور الاسلام فى تلك المدة ودخول الناس فيه وما كان أيضا بمكة من المؤمنين الذين دفع الله بهم قاله ابن عطية * وقال الزمخشرى فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة الى العام القابل انتهى ولم يكن فتح مكة فى العام القابل انما كان بعد ذلك بأكثر من عام لان الفتح انما كان سنة ثمان من الهجرة * فجعل من دون ذلك أى من قبل ذلك أى من زمان دون ذلك الزمان الذى وعدوا فيه بالدخول فتحا قريبا قال كثير من الصحابة هذا الفتح القريب هو بيعة الرضوان * وقال مجاهد وابن اسحاق هو فتح الحديبية * وقال ابن زيد خيبر وضعف قول من قال انه فتح مكة لان فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة بل كان بعد ذلك * هو الذى أرسل رسوله فيه تأكيد لصدق رؤياه صلى الله عليه وسلم وتبشير بفتح مكة لقوله تعالى ليظهره على الدين كله وتقدم الكلام على معظم هذه الآية * وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينك والظاهر أن قوله محمد رسول الله مبتدأ وخبر * وقيل رسول الله صفة * وقال الزمخشرى عطف بيان والذين معطوف والخبر عنه وعنهم أشداء وأجاز الزمخشرى أن يكون محمد خبر مبتدأ محذوف أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله * وقرأ ابن عامر فى رواية رسول الله بالنصب على المدح والذين

( الدر )

(ش) فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة الى العام القابل انتهى (ح) لم يكن فتح مكة فى العام القابل انما كان بعد ذلك بأكثر من عام لان الفتح كان سنة ثمان من الهجرة وكان خروجه من المدينة عام الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة

معهم من شهد الحديبية قاله ابن عباس * وقال الجمهور جميع أصحابه أشداء جمع شديد كقوله أعزة على الكافرين رحماء بينهم كقوله أذلة على المؤمنين وكقوله واغلظ عليهم وقوله بالمؤمنين رؤف رحيم * وقرأ الحسن أشداء رحماء بنصبهما * قيل على المدح * وقيل على الحال والعامل فيهما العامل في معه ويكون الخبر عن المبتدإ المتقدم تراهم * وقرأ يحيى بن يعمر أشدا بالقصر وهي شاذة لان قصر الممدود انما يكون في الشعر نحو قوله * لا بد من صنعا وان طال السفر * وفي قوله تراهم ركعا سجدا دليل على كثرة ذلك منهم * وقرأ عمرو بن عبيد ورضوانا بضم الراء * وقرئ سيماهم بزيادة ياء والمد وهي لغة فصيحة كثيرة في الشعر قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر

وهذه السيما قال مالك بن أنس كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب * وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية وعدهم بأن يجعل لهم نورا يوم القيامة من أثر السجود * وقال ابن عباس أيضا السمت الحسن وخشوع يبدو على الوجه * وقال الحسن ومعمر بن عطية بياض وصفرة وتهيج يعتري الوجه من السهر * وقال عطاء والربيع بن أنس حسن يعتري وجوه المصلين * وقال منصور سألت مجاهدا هذه السيما هي الأثر يكون بين عيني الرجل قال لا وقد تكون مثل ركبة البعير وهي أقسى قلبا من الحجارة * وقال ابن جبير ذلك مما يتعلق بجباههم من الأرض عند السجود * وقال الزمخشري المراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من أثر السجود يفسرها أي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس أبي الملوك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدثت في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير انتهى * وقرأ ابن هرمز اثر بكسر الهمزة وسكون الثاء والجمهور بفتحهما * وقرأ قتادة من آثار السجود بالجمع ذلك أي ذلك الوصف من كونهم أشداء رحماء مبتغين سيماهم في وجوههم صفتهم في التوراة * قال مجاهد والفراء هو مثل واحد أي ذلك صفتهم في التوراة والانجيل فيوقف على الانجيل * وقال ابن عباس هما مثلان فيوقف على ذلك في التوراة وكزرع خبر مبتدأ محذوف أي مثلهم كزرع أوهم كزرع * وقال الضحاك المعنى ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة وتم الكلام ثم ابتدأ ومثلهم في الانجيل كزرع فعلى هذا يكون كزرع خبر ومثلهم * وقال قتادة مثل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قوم ينبتون نباتا كالزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله وقضينا إليه أن دابر هؤلاء * وقال ابن عطية وقوله كزرع هو على كل الاقوال وفي أي كتاب أنزل فرض مثل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الاصل انتهى * وقال ابن زيد شطأه فراخه وأولاده * وقال الزجاج نباته * وقال قطرب شتول السنبل يخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان قاله الفراء * وقال الكسائي والأخفش طرفه قال الشاعر

أخرج الشطء على وجه الثرى * ومن الاشجار أفنان الثمر

وقرأ الجمهور شطأه باسكان الطاء والهمز وابن كثير وابن ذكوان بفتحهما وكذلك وبالمد أبو حيوة وابن أبي عبلة وعيسى الكوفي وبألف بدل الهمزة زيد بن علي فاحتمل أن يكون مقصورا وان

يكون أصله الهمز فنقل الحركة وأبدل الهمزة ألفا كما قالوا في المرأة والكمأة المراة والكماة وهو تخفيف مقيس عند الكوفيين وهو عند البصريين شاذ لا يقاس عليه * وقرأ أبو جعفر شطه بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الطاء ورويت عن شيبة ونافع والجحدري وعن الجحدري أيضا شطوه بإسكان الطاء وواو بعدها * وقال أبو الفتح هي لغة أو بدل من الهمزة ولا يكون الشط الا في البر والشعير وهذه كلها لغات * وقال صاحب اللوامح شطأ الزرع وأشطأ اذا أخرج فراخه وهو في الحنطة والشعير وغيرهما * وقرأ ابن ذكوان فأزره ثلاثيا وباقي السبعة فآزره على وزن أفعله * وقرئ فأزّره بتشديد الزاي وقول مجاهد وغيره آزره فاعله خطأ لانه لم يسمع في مضارعه الا يؤزر على وزن يكرم والضمير المنصوب في آزره عائد على الزرع لان الزرع أول ما يطلع رقيق الأصل فاذا خرجت فراخه غلظ أصله وتقوى وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أقلة ضعفاء فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين * وقال الحسن آزره قواه وشد آزره * وقال السدي صار مثل الاصل في الطول فاستغلظ صار من الرقة الى الغلظ فاستوى أي تم نباته على سوقه جمع ساق كناية عن أصوله * وقرأ ابن كثير على سؤقه بالهمز * قيل وهي لغة ضعيفة يهمزون الواو التي قبلها ضمة ومنه قول الشاعر * أحب المؤقدين إليّ مؤسى * يعجب الزراع جملة في موضع الحال واذا أعجب الزراع فهو أحرى أن يعجب غيرهم لانه لاعيب فيه اذ قد أعجب العارفين بعيوب الزرع ولو كان معيبا لم يعجبهم وهنا تم المثل وليغيظ متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام قبله تقديره جعلهم الله بهذه الصفة ليغيظ بهم الكفار * وقال الزمخشري (فان قلت) ليغيظ بهم الكفار تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به * وعد الله الذين آمنوا لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان * وقال ابن عطية وقوله منهم لبيان الجنس وليست للتبعيض لانه وعد مدح الجميع * وقال ابن جرير منهم يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع الى يوم القيامة فأعاد الضمير على معنى الشطء لا على لفظه والأجر العظيم الجنة وذكر عند مالك بن أنس رجل ينتقص الصحابة فقرأ مالك هذه الآية وقال من أصبح بين الناس في قلبه غيظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية والله الموفق

## ﴿ سورة الحجرات ثماني عشرة آية مدنية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم * يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم

الايمان و زينه فى قلوبكم وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون * يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ولاتلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظنّ إن بعض الظنّ إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله توّاب رحيم * ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير * قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيأ إن الله غفور رحيم * إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون * قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم مافى السموات ومافى الأرض والله بكل شئ عليم * يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين * ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ * التنابز بالألقاب التداعى بها تفاعل من نبزه و بنو فلان يتنابزون و يتنازبون و يقال النبز والنزب لقب السوء * اللقب هو مايدعى به الشخص من لفظ غير اسمه وغير كنيته وهو قسمان قبيح وهو ما يكرهه الشخص لكونه تقصيرا به وذما وحسن وهو بخلاف ذلك * كالصديق لأبى بكر * والفاروق لعمر * وأسد الله لحمزة رضى الله تعالى عنهم * تجسس الأمر تطلبه و بحث عن خفيه تفعل من الجس ومنه الجاسوس وهو الباحث عن العورات ليعلم بها و يقال لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم * الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى * الشعب * والقبيلة * والعمارة * والبطن * والفخذ * والفصيلة * فالشعب يجمع القبائل * والقبيلة تجمع العمائر * والعمارة تجمع البطون * والبطن يجمع الأفخاذ * والفخذ يجمع الفصائل * خزيمة شعب * وكنانة قبيلة * وقريش عمارة * وقصى بطن * وهاشم فخذ * والعباس فصيلة * وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها * وروى عن ابن عباس الشعوب البطون هذا غير ماتما لأ عليه أهل اللغة و يأتى خلاف فى ذلك عند قوله وجعلناكم شعوبا القبيلة دون الشعب شبهت بقبائل الرأس لانها قطع تقابلت * ألت يألت بضم اللام وكسرها ألتا ولات يليت وألات يليت رباعيا ثلاث لغات حكاها أبو عبيدة والمعنى نقص * وقال رؤبة

وليلة ذات ندى سريت * ولم يلتنى عن سراها ليت

أى لم يمنعنى ولم يحبسنى * وقال الحطيئة

أبلغ سراة بنى سعد مغلغلة * جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض

﴿سورة الحجرات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله﴾ هذه السورة مدنية ومناسبتها لآخر ماقبلها ظاهرة لانه تعالى ذكر الرسول وأصحابه ثم قال وعد الله فى باصدر من المؤمن بعض شئ مما ينبغى أن ينهى عنه وقال ابن عباس نهوا أن يتكلموا بين يدى كلامه وقرئ لاتقدموا بفتح التاء وأصلها لاتتقدموا بحذف التاء الثانية

أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون * ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم * ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم * يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ هذه السورة مدنية * ومناسبتها لآخر ماقبلها ظاهرة لانه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شئ مما ينبغى أن ينهى عنه فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله وكانت عادة العرب وهى الى الآن الاشتراك فى الآراء وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب فجرى من بعض من لم يمرن على آداب الشريعة بعض ذلك * قال قتادة فربما قال قوم ينبغى أن يكون كذا لو أنزل فى كذا * وقال الحسن ذبح قوم ضحايا قبل النبى صلى الله عليه وسلم وفعل قوم فى بعض غزواته شيأ بآرائهم فنزلت هذه الآية ناهية عن جميع ذلك * فقال ابن عباس نهوا أن يتكلموا بين يدى كلامه وتقول العرب تقدمت فى كذا وكذا وقدمت فيه اذا قلت فيه * وقرأ الجمهور لاتقدموا فاحتمل أن يكون متعديا وحذف مفعوله ليتناول كل مايقع فى النفس مما تقدم فلم يقصد لشئ معين بل النهى متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعول معين كقولهم فلان يعطى ويمنع واحتمل أن يكون لازما بمعنى تقدم كما تقول وجه بمعنى توجه ويكون المحذوف مما يوصل اليه بحرف أى لاتتقدموا فى شئ ما من الأشياء أو بما يحبون ويعضد هذا الوجه قراءة ابن عباس وأبى حيوة والضحاك ويعقوب وابن مقسم لاتقدموا بفتح التاء والقاف والدال على اللزوم وحذفت التاء تخفيفا اذ أصله لاتتقدموا * وقرأ بعض المكيين تقدموا بشد التاء أدغم تاء المضارعة فى التاء بعدها كقراءة البزى * وقرئ لاتقدموا مضارع قدم بكسر الدال من القدوم أى لاتقدموا الى أمر من أمور الدين قبل قدومهما ولاتعجلوا عليهما والمكان المسامت وجه الرجل قريبا منه * قيل فيه بين يدى المجلوس اليه توسعا لما جاور الجهتين من اليمين واليسار وهى فى قوله بين يدى الله مجاز من مجاز التمثيل وفائدة تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر دون الاهتداء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى لاتقطعوا أمرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا عاملين بالوحى المنزل أو مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعلى هذا مدار تفسير ابن عباس * وقال مجاهد لاتفتاتوا على الله شيأ حتى يقصه الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفى هذا النهى توطئة لما يأتى بعد من نهيهم عن رفع أصواتهم وللنهى أمر بالتقوى لأن من التقوى اجتناب المنهى عنه * إن الله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وأفعالكم ثم ناداهم ثانيا تحريكا لما يلقيه اليهم واستبعادا لما يتجدد من الاحكام وتطرية للانصات ونزلت بسبب عادة الأعراب من الجفاء وعلو الصوت لاترفعوا أصواتكم أى اذا نطق ونطقتم

﴿ أن تحبط ﴾ هو على حذف مضاف تقديره مخافة أن تحبط ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم ﴾ قيل نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولما كان منهما من غض الصوت ﴿ امتحن الله قلوبهم ﴾ أى جربها ودربها للتقوى ﴿ إن الذين ينادونك ﴾ نزلت فى وفد بنى تميم الأقرع ابن حابس والزبرقان ابن بدر وعمرو بن الأهتم وغيرهم وفدوا ودخلوا المسجد وقت الظهيرة والنبى عليه السلام راقد فجعلوا ينادونه بجملتهم يامحمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج لهم وقصتهم وشاعرهم وخطيبهم وشاعره عليه السلام وخطيبه مذكور فى البحر ﴿ من وراء الحجرات ﴾ الوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص من خلف أو قدام ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ الآية سبب نزولها ان الحرث ابن صوار أسلم وراح الى قومه فجمع زكاتهم ووجه الرسول صلى الله عليه وسلم الوليد لقبض الزكاة فخاف الوليد ورجع فأخبر الرسول أن الحرث منع الزكاة فقدم الحرث بعد ذلك وأقسم أن الوليد ماجاء ولارآه وجاء بزكاة قومه فى قصة فيها طول ذكرت فى البحر وفاسق وبنبأ مطلقان يتناول اللفظ كل واحد على جهة البدل وقرئ فتبينوا وفتثبتوا أخبر تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم لو أطاعكم فى كثير من الامر الذى يؤدى اليه اجتهادكم وتقدمكم بين يديه لعنتم أى لشق عليكم

ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه لان رتبة النبوة والرسالة يجب أن توقر وتجل ولا يكون الكلام
مع الرسول صلى الله عليه وسلم كالكلام مع غيره ولما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه لا أكلمك
يارسول الله الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلم النبى صلى
الله عليه وسلم كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر اذا قدم على الرسول صلى الله
عليه وسلم قوم أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يكن الرفع والجهر الا ما كان فى طباعهم لا أنه مقصود بذلك الاستخفاف
والاستعلاء لأنه كان يكون فعلهم ذلك كفرا والمخاطبون مؤمنون كجهر بعضكم لبعض أى فى
عدم المبالاة وقلة الاحترام فلم ينهوا الا عن جهر مخصوص وكره العلماء رفع الصوت عند قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبحضرة العالم وفى المساجد وعن ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس
وكان فى أذنه وقر وكان جهير الصوت وحديثه فى انقطاعه فى بيته أياما بسبب ذلك مشهور وأنه قال
يارسول الله لما أنزلت خفت أن يحبط عملى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك من أهل الجنة
وقال له مرة أما ترضى أن تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل باليمامة رضى الله تعالى عنه
يوم مسيلمة * أن تحبط أعمالكم ان كانت الآية معرضة بمن يجهر استخفافا فذلك كفر يحبط معه
العمل حقيقة وان كانت للمؤمن الذى يفعل ذلك غفلة وجريا على عادته فانما يحبط عمله البر فى
توقير النبى صلى الله عليه وسلم وغض الصوت عنده أن لو فعل ذلك كأنه قال مخافة أن تحبط الاعمال
التى هى معدة أن تعملوها فتؤجروا عليها وأن تحبط مفعول له والعامل فيه ولا تجهروا على مذهب
البصريين فى الاختيار ولا ترفعوا على مذهب الكوفيين فى الاختيار ومع ذلك فمن حيث المعنى
حبوط العمل علة فى كل من الرفع والجهر * وقرأ عبد الله وزيد بن على فتحبط بالفاء وهو مسبب
عن ما قبله * ان الذين يغضون أصواتهم قيل نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما لما
كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار امتحن الله قلوبهم للتقوى أى جربت ودربت
للتقوى فهى مضطلعة بها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشئ باختباره أى عرف
قلوبهم كائنة للتقوى فللتقوى فى موضع الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن لأجل التقوى أى
لتثبت وتظهر تقواها * وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص
ابريزه من خبثه وجاءت فى هذه الآية ان مؤكدة لمضمون الجملة وجعل خبرها جملة من اسم الاشارة
الدال على التفخيم والمعرفة بعده جائيا بعدها ذكر جزائهم على غض أصواتهم وكل هذا دليل على
أن الارتضاء بما فعلوا من توقير النبى صلى الله عليه وسلم بغض أصواتهم وفيها تعريض بعظيم
ما ارتكب رافعو أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجبه هؤلاء * ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات نزلت فى وفد بنى تميم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وغيرهم
وفدوا ودخلوا المسجد وقت الظهيرة والرسول صلى الله عليه وسلم راقد فجعلوا ينادونه بجملتهم
يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج فقال له الاقرع بن حابس يا محمد ان مدحى زين وذمى شين فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ذلك الله تعالى فاجتمع الناس فى المسجد فقالوا نحن بنى تميم
بخطيبنا وشاعرنا نشاعرك ونفاخرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار
أمرت ولكن هاتوا * فقال الزبرقان لشاب منهم فخر واذكر فضل قومك * فقال الحمد لله الذى
جعلنا خير خلقه وآتانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن من خير أهل الأرض من أكثرهم عددا ومالا

وسلاها فمن أنكر علينا فليأت بقول هو أحسن من قولنا وفعل هو أحسن من فعلنا * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيبه قم فأجبه * فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوها وأعظمهم أحلاما فأجابوه والحمد لله الذي جعلنا أنصار دينه ووزراء رسوله وعز الدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فمن قالها منع نفسه وماله ومن أباها قتلناه وكان رغمه علينا هينا أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات وقال الزبرقان لشاب قم فقل أبياتا تذكر فيها فضل قومك فقال

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * فينا الرؤس وفينا يقسم الربع
ونطعم النفس عند القحط كلهم * من السديف اذا لم يؤنس الفزع
اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فدعا حسان بن ثابت فقال له أعد علي قولك فأسمعه فأجابه

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد شرعوا سنة للناس تتبع
يوصي بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله فكل الخير يطلع

ثم قال حسان في أبيات

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم غاب من معد وحاضر
بضرب كايزاع المخاض مشاشه * وطعن كأفواه اللقاح المصادر
وسل أحدا يوم استقلت جموعهم * بضرب لنا مثل الليوث الخوادر
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغا * اذا طاب ورد الموت بين العساكر
فنضرب هاما بالذراعين نتمي * الى حسب من جذع غسان زاهر
فلولا حياء الله قلنا تكرما * على الناس بالحقين هل من منافر
فأحياؤنا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

قال فقام الأقرع بن حابس فقال اني والله لقد جئت لأمر وقد قلت شعرا فاسمعه وقال

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس في كل غارة * تكون بنجد أو بأرض التهائم
وان لنا المرباع في كل معشر * وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان قم فأجبه فقام وقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يصير وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد كنت غنيا يا أخا دارم ان يذكر منك ما ظننت ان الناس قد نسوه فكان قوله عليه الصلاة والسلام أشد عليهم من جميع ما قاله حسان ثم رجع حسان الى شعره فقال

فان كنتم جئتم لحقن دمائكم * وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا * ولا تفخروا عند النبي بدارم
والا ورب البيت قد مالت القنا * على هامكم بالمرهفات الصوارم

فقال الأقرع بن حابس والله ما أدري ما هذا الأمر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم

(ش) فان قلت أفرق بين الكلامين بين ماتثبت فيه وما أسقط عنه (قلت) الفرق بينهما أن المنادى والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفي الثاني لايجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدإ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين ولا اختصاص انتهى (ح) قد أثبت أصحابنا في معاني من أنها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعل واحد وان الشيء الواحد يكون محلا لهما وتأولوا ذلك على سيبويه وقالوا من ذلك قولهم أخذت الدرهم من زيد فزيد محل لابتداء الأخذ منه وانتهائه معا قالوا فمن تكون في أكثر المواضع لابتداء الغاية فقط وفي بعض المواضع لابتداء الغاية وانتهائها معا (ش) ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي أن يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم انتهى (ح) ليس في الآية الحكم بقلة العقلاء منطوقا به فيحتمل النفي وانما هو مفهوم من قوله أكثرهم لايعقلون والنفي المحض المستفاد انما هو من صريح لفظ التقليل لامن المفهوم فلا يحمل قوله ولكن أكثر الناس لايشكرون النفي المحض للشكر لان النفي لم يستفد من صريح التقليل.

شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم مايضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم وكساهم * ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة وذلك ان المناداة من وراء الحجرات فيها رفع الصوت واساءة الأدب والله قد أمر بتوقير رسوله وتعظيمه والوراء الجهة التي يوارى بها عنك الشخص من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان * وقال الزمخشري (فان قلت) أفرق بين الكلامين بين ماتثبت فيه وما تسقط عنه (قلت) الفرق بينهما ان المنادى والمنادى في أحدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي الثاني لايجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن يكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من أقطارها كان مطلقا بغير تعيين ولا اختصاص انتهى وقد أثبت أصحابنا في معاني من أنها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعل واحد وان الشيء الواحد يكون محلا لهما وتأولوا ذلك على سيبويه وقالوا من ذلك قولهم أخذت الدرهم من زيد فزيد محل لابتداء الأخذ منه وانتهائه معا قالوا فمن تكون لابتداء الغاية فقط في أكثر المواضع وفي بعض المواضع لابتداء الغاية وانتهائها معا وهذه المناداة التي أنكرت ليس انكارها لكونها وقعت في ادبار الحجرات أو في وجوهها وانما أنكر ذلك لانهم نادوه من خارج مناداة الأجلاف التي ليس فيها توقير كما ينادي بعضهم بعضا والحجرات منازل الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت تسعة والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى حجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة * وقرأ الجمهور الحجرات بضم الجيم اتباعا للضمة قبلها وأبو جعفر وشيبة بفتحها وابن أبي عبلة باسكانها وهي لغى ثلاث في كل فعلة بشرطها المذكور في علم النحو والظاهر أن من صدر منه النداء كانوا جماعة وذكر الأصم أن من ناداه كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فان صح ذلك كان الاسناد الى الجماعة لانهم راضون بذلك واذا كانوا جماعة احتمل أن يكونوا تفرقوا فنادى بعض من وراء هذه الحجرة وبعض من وراء هذه أو نادوه مجتمعين من وراء حجرة حجرة أو كانت الحجرة واحدة وهي التي كان فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وجمعت اجلالا له وانتفاء العقل عن أكثرهم دليل على ان فيهم عقلا * وقال الزمخشري ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي أن يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم انتهى وليس في الآية الحكم بقلة العقل منطوقا به فيحمل النفي وانما هو مفهوم من قوله أكثرهم لايعقلون والنفي المحض المستفاد انما هو من صريح لفظ التقليل لامن المفهوم فلا يحمل قوله ولكن أكثر الناس لايشكرون النفي المحض للشكر لان النفي لم يستفد من صريح التقليل وهذه الآية سجلت على الذين نادوه بالسفه والجهل وابتدأ أول السورة بتقديم الأمور التي تنمي الى الله تعالى ورسوله على الأمور كلها ثم على مانهى عنه من التقديم بالنهي عن رفع الصوت والجهر فكان الاول بساطا للثاني ثم يلي بما هو ثناء على الذين امتنعوا من ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظم موقعه عند الله تعالى ثم جيء على عقبه بما هو أفظع وهو الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرمه من وراء الجدار كما يصاح بأهون الناس ليلبيه على فظاعة ما جسروا عليه لان

من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء معه من المنكر المتفاحش * ومن هذا وأمثاله تقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي عبيد ومحله من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت باباً على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه * ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم * قال الزمخشري انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم انتهى وهذا ليس مذهب سيبويه أن أن وما بعدها بعد لو في موضع مبتدا الا في موضع فاعل ومذهب المبرد انها في موضع فاعل بفعل محذوف كما زعم الزمخشري واسم كان ضمير يعود على المصدر المفهوم من صبروا أي لكان هو أي صبرهم خيراً لهم * وقال الزمخشري في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو انتهى لانه قدر أن وما بعدها فاعلاً بفعل مضمر فأعاد الضمير على ذلك الفاعل وهو الصبر المنسبك من ان ومعمولها خيراً لهم في الثواب عند الله وفي انبساط نفس الرسول صلى الله عليه وسلم وقضائه لحوائجهم * وقد قيل انهم جاؤا في أسارى فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم النصف وفادى على النصف ولو صبروا لاعتق الجميع بغير فداء * وقيل لكان صبرهم أحسن لادبهم * والله غفور رحيم لن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا * يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة الآية حدث الحرث بن ضرار قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني الى الاسلام فأسلمت والى الزكاة فأقررت بها فقلت أرجع الى قومي وأدعوهم الى الاسلام وأداء الزكاة فمن أجابني جمعت زكاته فترسل من يأتيك بما جمعت فلما جمع ممن استجاب له وبلغ الوقت الذي أراد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه واحتبس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسروات قومه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لي وقتاً الى من يقبض الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ولا أرى حبس الرسول الا من سخطه فانطلقوا بنا اليه وكان عليه السلام بعث الوليد بن الحرث ففرق فرجع فقال منعني الحرث الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث الى الحرث فاستقبل الحرث البعث وقد فصل من المدينة فقالوا هذا الحرث فقال الى من بعثتم قالوا اليك قال ولم فقالوا بعث اليك الوليد فرجع وزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله قال لا والذي بعث محمداً بالحق ما رأيت رسولك ولا أتاني وما أقبلت الا حين احتبس علي رسولك خشية أن يكون سخطة من الله ورسوله * قال فنزلت هذه الآية وفاسق ونبأ مطلقان فيتناول اللفظ كل واحد على جهة البدل وتقدم قراءة فتبينوا وفتثبتوا في سورة النساء وهو أمر يقتضي أن لا يعتمد على كلام الفاسق ولا يبنى عليه حكم وجاء الشرط بحرف ان المقتضي للتعليق في الممكن لا بالحرف المقتضي للتحقيق وهو اذا لأن مجيء الرجل الفاسق للرسول وأصحابه بالكذب انما كان على سبيل الندرة وأمروا بالتثبت عند مجيئه لئلا يطمع في قبول ما يلقيه اليهم ونبأ ما يترتب على كلامه فاذا كانوا بمثابة التبين والتثبت كف عن مجيئهم بما يريد * أن تصيبوا مفعول له أي كراهة ان تصيبوا أو لئلا تصيبوا بجهالة حال أي جاهلين بحقيقة الأمر معتمدين على خبر الفاسق فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم من اصابة القوم بعقوبة بناء على خبر الفاسق نادمين مقيمين على ما فرط منكم متمنين أنه لم يقع ومفهوم ان جاءكم فاسق قبول كلام غير الفاسق وأنه لا يتثبت عنده وقد يستدل به على قبول خبر الواحد العدل * وقال قتادة لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التثبت من الله والعجلة من الشيطان * وقال مقلد بن سعيد هذه الآية ترد على من قال ان المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لأن الله تعالى

(الدر)

(ش) انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم انتهى (ح) هذا ليس مذهب سيبويه بل مذهب سيبويه أن أن وما بعدها بعد لو في موضع مبتدأ لا في موضع فاعل ومذهب المبرد انها في موضع فاعل بفعل محذوف كما زعم الزمخشري

أمر بالتبين قبل القبول انتهى وليس كما ذكر لأنه ما أمر بالتبين الا عند مجىء الفاسق لا مجىء المسلم بل بشرط الفسق والمجهول الحال يحتمل أن يكون فاسقا فالاحتياط لازم * واعلموا أن فيكم رسول الله هذا توبيخ لمن يكذب للرسول عليه الصلاة والسلام ووعيد بالنصيحة ولا يصدر ذلك الا ممن هو شاك فى الرسالة لأن الله تعالى لا يترك نبيه صلى الله عليه وسلم يعتمد على خبر الفاسق بل يبين له ذلك والظاهر أن قوله واعلموا أن فيكم رسول الله كلام تام أمرهم بأن يعلموا أن الذى هو بين ظهرانيكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تخبروه بما لا يصح فانه رسول الله يطلعه على ذلك ثم أخبر تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم لو أطاعكم فى كثير من الأمر الذى يؤدى اليه اجتهادكم وتقدمكم بين يديه لعنتم أى لشق عليكم * وقال مقاتل لأثمتم * وقال الزمخشرى والجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لأدائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى أن فيكم رسول الله وأنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهو أنكم تحاولون منه أن يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأى واستصواب فعل المطواع لغيره والتابع له فيما يرتئيه المحتذى على أمثلته ولو فعل ذلك لعنتم أى لوقعتم فى الجهد والهلاك وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان أى الى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التى لا يفطن اليها الا الخواص * وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى انتهى وفيه تكثير ولا يبعد أن تكون الجملة المصدرة بلو مستأنفة لا حالا فلا تعلق لها بما قبلها من جهة الاعراب وتقديم خبر ان على اسمها قصدا الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن من استتباعهم رأى الرسول صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه * وقيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على أنه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الأمر وشريطة لكن مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لأن الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك انتهى وهو ملتقط من كلام الزمخشرى * وقال الزمخشرى أيضا ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبا عليه ان الرجل لا يمدح بفعل غيره وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى أن يثنى عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا انتهى وهى على طريق الاعتزال * وعن الحسن حبب الايمان بما وصف من الثناء عليه وكره الثلاثة بما وصف من العقاب انتهى * أولئك هم الراشدون التفات من الخطاب الى الغيبة * فضلا من الله ونعمة * قال ابن عطية مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله هو بمعناه اذ التحبيب والتزيين هو نفس الفضل * وقال الحوفى فضلا نصب على الحال انتهى ولا يظهر هذا الذى قاله * وقال أبو البقاء مفعول له أو مصدر فى معنى ما تقدم * وقال الزمخشرى فضلا مفعول له أو مصدر من غير فعله (فان قلت) من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله تعالى والشرط أن

(الدر)

(ش) والجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لأدائه الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد الى آخر كلامه رحمه الله (ح) فى كلامه تكثير ولا يبعد فى أن تكون الجملة المصدرة بلو مستأنفة لا حالا ولا تعلق لها بما قبلها من جهة الاعراب

﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ الآية سبب نزولها ماجرى بين الاوس والخزرج حين أساء الادب عبدالله بن أبي بن سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه الى زيارة سعد بن عبادة فى مرضه وتعصب بعضهم لعبد الله ورد عبدالله بن رواحة على ابن أبي فتجالدا الحيان قيل بالحديد وقيل بالجريد والنعال والايدى فنزلت فقرأها عليهم فاصطلحوا وقرئ بين أخويكم بالتثنية واخوتكم بالجمع ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ قيل سبب نزولها أن عكرمة بن أبي جهل كان يمشى بالمدينة وقد أسلم فقال له قوم هذا ابن فرعون هذه الامة فعز عليه ذلك وشكاهم فنزلت قال الزمخشرى وهو فى الأصل جمع قائم كصوم وزور انتهى وفعل ليس من ابنية الجموع الا على مذهب أبي الحسن فى قوله ان ركبا جمع راكب ﴿ عسى أن يكونوا ﴾ يعنى أن يكون المسخور منهم خيرا من الساخرين بهم عسى أن يكن أى يكون المسخور منهن خيرا من الساخرات بهن ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ أى تعيبوا بعضكم بعضا ﴿ ولا تنابزوا بالالقاب ﴾  أى القبيحة كقولهم سعيد بطه وأما الألقاب الحسنة فهى كالصديق فى أبي بكر رضى الله عنه والفاروق فى عمر ﴿ بئس الاسم الفسوق ﴾ أى بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد ايمانكم ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ أى لا تعملوا على حسبه وأمر تعالى باجتنابه لئلا يجترئ أحد على ظن الابعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله والمأمور باجتنابه هو بعض الظن المحكوم عليه قال الزمخشرى والهمزة فيه بدل من الواو وكأنه يثم الاعمال أى يكسرها باحباطه انتهى ليس هذا بشئ لان تصريف هذه الكلمة مستعمل فيه الهمز تقول أثم يأثم فهو آثم والاثم والآثام فالهمزة أصل وليست بدلا عن واو وأما يثم فاصله يوثم وهى من مادة أخرى ﴿ ولا تجسسوا ﴾ أى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ يقال غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة هى من الاغتياب وهى ذكر الرجل بما يكره أن يسمع مما هو فيه وفى الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الغيبة فقال أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع فقيل يارسول الله وان كان حقا فقال عليه السلام اذا قلت باطلا فذلك البهتان وقال ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ﴿ أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ روى فى الحديث ماصام من أكل لحوم الناس وقال أبو زيد السهيلى ضرب المثل لأخذه العرض بأكل اللحم لان اللحم ستر على العظم والشاتم لاخيه كأنه يقشر ويكشف ماعليه من ستر الله قال الزمخشرى ميتا نصب على الحال من الاخ انتهى هذا ضعيف لان المجرور بالاضافة لا يجئ الحال منه الا اذا كان له موضع من الاعراب نحو أعجبنى ركوب الفرس مسرجا وقيام زيد مسرعا فالفرس فى موضع نصب وزيد فى موضع رفع

بعد الفاعل ( قلت ) لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه ولا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التى هى أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام * والله عليم بأحوال المؤمنين ومابينهم من التمايز والتفاضل * حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على افاضلهم انتهى أما توجيهه كون فضلا مفعولا من أجله فهو على طريق الاعتزال وأما تقديره أو كان ذلك فضلا فليس من مواضع اضمار كان ولذلك شرط مذكور فى النحو ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون * يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ سبب نزولها ماجرى بين الأوس والخزرج حين أساء الأدب عبدالله بن أبي بن سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه الى زيارة سعد بن عبادة فى موضعه وتعصب بعضهم لعبدالله ورد عبدالله بن رواحة على ابن أبي فتجالدا الحيان * قيل بالحديد * وقيل بالجريد والنعال والأيدى فنزلت فقرأها عليهم

فاصطلحوا * وقال السدي وكانت بالمدينة امرأة من الأنصار يقال لها أم بدر وكان لها زوج من غيرهم فوقع بينهم شئ أوجب أن يأنف لها قومها وله قومه فوقع قتال فنزلت الآية بسببه * وقرأ الجمهور اقتتلوا جمعا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس * وقرأ ابن أبي عبلة اقتتلتا على لفظ التثنية وزيد بن علي وعبيد بن عمير اقتتلتا على التثنية مراعى بالطائفتين الفريقان اقتتلوا وكل واحد من الطائفتين باغ فالواجب السعي بينهما بالصلح فان لم تصطلحا وأقامتا على البغي قوتلتا أو لشبهة دخلت عليهما وكل منهما يعتقد أنه على الحق فالواجب إزالة الشبه بالحجج النيرة والبراهين القاطعة فان لجا فكالباغيتين فان بغت إحداهما فالواجب أن تقاتل حتى تكف عن البغي ولم تتعرض الآية من أحكام التي تبغي لشئ إلا لقتالها وإلى الاصلاح ان فاءت والبغي هنا طلب العلو بغير الحق والأمر في فأصلحوا وقاتلوا هو لمن له الأمر من الملوك وولاتهم * وقرأ الجمهور حتى تفئ مضارع فاء بفتح الهمزة والزهري حتى تفي بغير همزة وفتح الياء وهذا شاذ كما قالوا في مضارع جاء يجي بغير همز فاذا أدخلوا الناصب فتحوا الياء أجروه مجرى يفي مضارع وفى شذوذا * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم أي إخوة في الدين * وفي الحديث المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله * وقرأ الجمهور بين أخويكم مثنى لان أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا كان الاصلاح لازما بين اثنين فهو ألزم بين أكثر من اثنين * وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج * وقرأ زيد ابن ثابت وابن مسعود والحسن بخلاف عنه والجحدري وثابت البناني وحماد بن سلمة وابن سيرين بين إخوانكم جمعا بالألف والنون والحسن أيضا وابن عامر في رواية وزيد بن علي ويعقوب بين إخوتكم جمعا على وزن غلمة * وروى عبد الوهاب عن أبي عمرو القراآت الثلاث ويغلب الاخوان في الصداقة والاخوة في النسب وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر ومنه انما المؤمنون إخوة وقوله أو بيوت إخوانكم * يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم هذه الآية والتي بعدها تأديب للأمة لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها * وقيل نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل كان يمشي بالمدينة وقد أسلم فقال له قوم هذا ابن فرعون هذه الأمة فعز ذلك عليه وشكاهم فنزلت والقوم مرادف رجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء ولذلك قابله هنا بقوله ولا نساء من نساء * وفي قول زهير

وما أدرى وسوف إخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

* وقال الزمخشري وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر انتهى وليس فعل من أبنية الجموع إلا على مذهب أبي الحسن في قوله ان ركبا جمع راكب * وقال أيضا الزمخشري وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن انتهى وغيره يجعله من باب التغليب والنهي ليس مختصا بانصبابه على قوم ونساء بقيد الجمعية من حيث المعنى وان كان ظاهر اللفظ ذلك بل المعنى لا يسخر أحد من أحد وانما ذكر الجمع والمراد به كل فرد فرد ممن يتناوله عموم البدل فكأنه اذا سخر الواحد كان بمجلسه ناس يضحكون على قوله أو بلغت سخريته ناسا فضحكوا فينقلب الحال الى جماعة * عسى أن يكونوا أي المسخور منهم خيرا منهم أي من الساخرين بهم وهذه الجملة مستأنفة وردت مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه أي ربما يكون المسخور منه عند الله خيرا من الساخر لان العلم بخفيات الأمور انما هو لله تعالى * وعن ابن

(الدر)

(ش) وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر انتهى (ح) ليس فعل من أبنية الجموع الا على مذهب أبي الحسن في قوله ان ركبا جمع راكب (ش) وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الأناث لانهن توابع لرجالهن انتهى (ح) غيره يجعله من باب التغليب

مسعود لو سخرت من كلب خشيت أن أحول كلبا * ولا نساء من نساء * روى أن عائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهما رأتا أم سلمة ربطت حقو يها بثوب أبيض وسدلت طرفه خلفها فقالت عائشة لحفصة انظري الى ما يجر خلفها كأنه لسان كلب * وعن عائشة أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة * وعن أنس كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يعيرن أم سلمة بالقصر * وقالت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان أبي هارون وان عمي موسى وان زوجي محمد * وقرأ عبد الله وأبي عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى ناقصة والجمهور عسى فيهما تامة وهي لغتان الاضمار لغة تميم وتركه لغة الحجاز * ولا تلمزوا أنفسكم ضم الميم في تلمزوا الحسن والأعرج وعبيد عن أبي عمرو * وقال أبو عمرو هي عربية والجمهور بالكسر واللمز بالقول والاشارة ونحوه مما يفهمه آخر والهمز لا يكون إلا باللسان والمعنى لا يعب بعضكم بعضا كما قال فاقتلوا أنفسكم كأن المؤمنين نفس واحدة إذهم إخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى ومفهوم أنفسكم ان له أن يعيب غيره مما لا يدين بدينه * ففي الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس * وقيل المعنى لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق اللمز فقد لمز نفسه ولا تنابزوا بالألقاب اللقب ان دل على ما يكرهه المدعو به كان منهيا وأما اذا كان حسنا فلا ينهى عنه وما زالت الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجرى في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير * وروى أن بني سلمة كانوا قد كثرت فيهم الألقاب فنزلت الآية بسبب ذلك * وفي الحديث كنوا أولادكم * قال عطاء مخافة الألقاب * وعن عمر أشيعوا الكنى فانها سنة انتهى ولاسيما اذا كانت الكنية غريبة لا يكاد يشترك فيها أحد مع من تكنى بها في عصره فانه يطير بها ذكره في الآفاق وتتهادى أخباره الرفاق كما جرى في كنيتي بأبي حيان واسمي محمد فلو كانت كنيتي أبا عبد الله أو أبا بكر مما يقع فيه الاشتراك لم أشتهر تلك الشهرة وأهل بلادنا جزيرة الأندلس كثيرا ما يلقبون الألقاب حتى قال فيهم أبو مروان الطبني

يا أهل أندلس ما عندكم أدب * بالمشرق الادب النفاح بالطيب
يدعى الشباب شيوخا في مجالسهم * والشيخ عندكم يدعى بتلقيب

فمن علماء بلادنا وصالحيهم من يدعى الواعي وبالقص وبوجه نافخ وكل هذا يحرم تعاطيه * قيل وليس من هذا قول المحدثين سليمان الأعمش وواصل الأحدب ونحوه مما تدعو الضرورة اليه وليس فيه قصد استخفاف ولا أذى قالوا وقد قال ابن مسعود لعلقمة وتقول أنت ذلك يا أعور * وقال ابن زيد أي لا يقول أحد لأحد يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق بعد توبته ونحو ذلك وتلاحى ابن أبي حدرد وكعب بن مالك فقال له مالك يا اعرابي يريد أن يبعده من الهجرة فقال له الآخر يا يهودي يريد المخالطة لليهود في يثرب * بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أي بئس اسم تنسبونه بعصيانكم نبزكم بالالقاب فتكونون فساقا بالمعصية بعد ايمانكم أو بئس ما يقوله الرجل لأخيه يا فاسق بعد ايمانه * وقال الرماني هذه الآية تدل على أنه لا يجتمع الفسوق والايمان انتهى * وقال الزمخشري نحو قول الرماني * قال استقباح الجمع بعد الايمان والفسق الذي يأباه الايمان وهذه نزغة اعتزالية * وقال الزمخشري الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سمى من ذكره وارتفع بين الناس كأنه قيل بئس الذكر المرتفع

(الدر)

(ح) لأبي مروان الطبني
يا أهل أندلس ما عندكم أدب *
بالمشرق الأدب النفاح بالطيب
تدعى الشباب شيوخا في مجالسهم *
والشيخ عندكم يدعى بتلقيب *

المؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم أن تذكروا بالفسق * ومن لم يتب أى عن هذه الأشياء
فأولئك هم الظالمون تشديد وحكم بظلم من لم يتب * اجتنبوا كثيرا من الظن أى لا تعملوا على حسبه
وأمر تعالى باجتنابه لئلا يجترئ أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله والمأمور
باجتنابه هو بعض الظن المحكوم عليه بانه اثم وتمييز المجتنب من غيره انه لا يعرف له أمارة صحيحة
وسبب ظاهر كمن يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث كالدخول والخروج الى حانات الخمر وصحبة
نساء المغانى وادمان النظر الى المرد فمثل هذا يقوى الظن فيه انه ليس من أهل الصلاح ولا إثم فيه
وان كنا لا نراه يشرب الخمر ولا يزنى ولا يعبث بالشبان بخلاف من ظاهره الصلاح فلا يظن به السوء
وهذا هو المنهى عنه ويجب أن يزيله والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب * وقال الزمخشرى
والهمزة فيه بدل عن الواو كأنه يثم الأعمال أى يكسرها باحباطه وهذا ليس بشئ لان تصريف
هذه الكلمة مستعمل فيه الهمز تقول أثم يأثم فهو آثم والاثم والآثام فالهمزة أصل وليست
بدلا من واو واما يثم فأصله يوثم وهو من مادة أخرى * وقيل الاثم متعلق بتكلم الظان اما اذا
لم يتكلم فهو فى فسحة لانه لا يقدر على رفع الخواطر التى يبيحها قول النبى صلى الله عليه وسلم
الحزم سوء الظن * وقرأ الجمهور ولا تجسسوا بالجيم * وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن سيرين بالحاء
وهما متقاربان نهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه * وقيل لابن
مسعود هل لك فى فلان تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شئ أخذنا به وفى
الحديث ان الامير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم وقد وقع عمر رضى الله تعالى عنه فى حراسته على
من كان فى ظاهره ريبة وكان دخل عليه هجما فلما ذكر له نهى الله تعالى عن التجسس انصرف عمر
ولا يغتب بعضكم بعضا يقال غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال
وهى ذكر الرجل بما يكره مما هو فيه * وفى الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الغيبة
فقال ان تذكر من المرء ما يكره أن يسمع فقال يا رسول الله وان كان حقا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قلت باطلا فذلك البهتان وفى الصحيحين فقد بهته * وقال ابن عباس الغيبة ادام
كلاب الناس * وقالت عائشة عن امرأة ما رأيت أجمل منها الا انها قصيرة فقال لها النبى صلى الله
عليه وسلم اغتبتها نظرت الى أسوأ ما فيها فذكرتيه * وحكى الزهراوى عن جابر عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال الغيبة أشد من الزنا لان الزانى يتوب الله عليه والذى يغتاب فلا يتاب عليه حتى
يستحل وعرض المسلم مثل دمه فى التحريم وفى الحديث المستفيض فان الله حرم عليكم دماءكم
وأموالكم وأعراضكم ولا يباح من هذا المعنى الا ما تدعو الضرورة اليه من تجريح الشهود والرواة
والخطاب اذا استنصح من يخطب اليه من يعرفهم والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم * ومنه
* وان أكلوا لحمى وفرت لحومهم * أيحب أحدكم قال الزمخشرى تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب
من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى * منها الاستفهام الذى معناه
التقرير * ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة * ومنها اسناد الفعل الى أحدكم
والاشعار بان أحدا من الأحدين لا يحب ذلك * ومنها انه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم
الانسان حتى جعل الانسان أخا * ومنها انه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا انتهى * وقال
الرمانى كراهية هذا اللحم يدعو اليه الطبع وكراهية الغيبة يدعو اليها العقل وهو أحق أن يجاب
لانه بصير عالم والطبع أعمى جاهل انتهى * وقال أبو زيد السهيلى ضرب المثل لأخذه العرض

( الدر )

(ش) والهمزة فيه بدل عن الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها باحباطه انتهى
(ح) هذا ليس بشئ لان تصريف هذه الكلمة مستعمل فيه الهمز تقول اثم يأثم فهو آثم والاثم والآثام فالهمزة أصل وليست بدلا عن واو وأما يثم فاصله يوثم وهو من دماة أخرى

﴿ ياأيها الناس اناخلقناكم من ذكروأنثى ﴾ الآية قيل غضب الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد حين أذن بلال يوم فتح مكة على الكعبة فنزلت ومن ذكر وأنثى أى من آدم وحواء ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل ﴾ قيل الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب والاسباط فى بنى اسرائيل ﴿ لتعارفوا ﴾ أى جعلكم ماذكر كى يعرف بعضكم بعضا فى النسب فلا ينتمى الى غير آبائه لتفاخر بالآباء والاجداد ودعوى التفاضل فى الانساب ثم بين تعالى الخلة التى يحصل بها التفاضل وهى التقوى وفى خطبته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاجر شقى هين على الله تعالى ثم قرأ هذه الآية ﴿ قالت الاعراب آمنا ﴾ قال مجاهد نزلت فى بنى أسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة أظهروا الاسلام وقلوبهم دخلة انما يحبون المغانم وعرض الدنيا فرد الله عليهم بقوله قل لم تؤمنوا كذبهم الله تعالى فى دعوى الايمان ولم يصرح باكذابهم بلفظه بل بما دل عليه من انتفاء ايمانهم وهذا فى أعراب مخصوصين ﴿ ولكن قولوا أسلمنا ﴾

( الدر )

(ش) ميتا نصب على الحال من الاخ انتهى (ح) هذا ضعيف لان المجرور بالاضافة لايجىء الحال منه الا اذا كان له موضع من الاعراب نحو أعجبنى ركوب الفرس مسرجا وقيام زيد مسرعا فالفرس فى موضع نصب وزيد فى موضع رفع وقد أجاز بعض أصحابنا انه اذا كان الأول جزأ أو كالجزء كان انتصاب الحال من الثانى وقد رددنا عليه ذلك فيما كتبناه فى علم النحو والصواب انتصابه على الحال من لحم

بأكل اللحم لان اللحم ستر على العظم والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ماعليه من ستر وقال تعالى ميتا لان الميت لايحس وكذلك الغائب لايسمع مايقول فيه المغتاب ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت انتهى * وروى فى الحديث ماصام من أكل لحوم الناس * وقال أبو قلابة الرياشى سمعت أبا عاصم يقول ما اغتبت أحدا منذ عرفت مافى الغيبة * وقيل لعمر بن عبيد لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك قال اياه فارحموا * وقال رجل للحسن بلغنى انك تغتابنى قال لم يبلغ قدرك عندى أن أحكمك فى حسناتى وانتصب ميتا على الحال من لحم وأجاز الزمخشرى ان ينتصب عن الأخ وهو ضعيف لان المجرور بالاضافة لايجىء الحال منه الا اذا كان له موضع من الاعراب نحو أعجبنى ركوب الفرس مسرجا وقيام زيد مسرعا فالفرس فى موضع نصب وزيد فى موضع رفع وقد أجاز بعض أصحابنا انه اذا كان الاول جزأ أو كالجزء جاز انتصاب الحال من الثانى وقد رددنا عليه ذلك فيما كتبناه فى علم النحو * فكرهتموه قال الفراء أى فقد كرهتموه فلا تفعلوه * وقيل لما وقفهم على التوبيخ بقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فأجاب عن هذا لانهم فى حكم من يقولها نخوطبوا على انهم قالوا لا فقيل لهم فكرهتموه وبعد هذا يقدر فلذلك فاكرهوا الغيبة التى هى نظير ذلك وعلى هذا التقدير يعطف قوله واتقوا الله قاله أبو على الفارسى وفيه عجرفة العجم * وقال الزمخشرى ولما قررهم عز وجل بان أحدا منهم لايحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه أى فتحققت بوجوب الاقرار عليكم بانكم لاتقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوا كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ماهو نظيره من الغيبة والطعن فى اعراض المسلمين انتهى وفيه أيضا عجرفة العجم والذى قدره الفراء أسهل وأقل تكلفا وأجرى على قواعد العربية * وقيل لفظه خبر ومعناه الأمر تقديره فاكرهوه ولذلك عطف عليه واتقوا الله ووضع الماضى موضع الأمر فى لسان العرب كثير ومنه اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه أى ليتق الله ولذلك انجزم يثب على جواب الأمر وما أحسن ماجاء الترتيب فى هذه الآية جاء الأمر أولا باجتناب الطريق التى لاتؤدى الى العلم وهو الظن ثم نهى ثانيا عن طلب تحقق ذلك الظن فيصير علما بقوله ولا تجسسوا ثم نهى ثالثا عن ذكر ذلك اذا علم فهذه أمور ثلاثة مترتبة ظن فعلم بالتجسس فاغتياب وضمير النصب فى كرهتموه الظاهر أنه عائد على الأكل * وقيل على الميت وقرأ أبو سعيد الخدرى وأبو حيوة فكرهتموه بضم الكاف وتشديد الراء ورواها الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم والجمهور بفتح الكاف وتخفيف الراء وكره يتعدى الى واحد فقياسه اذا ضعف أن يتعدى الى اثنين كقراءة الخدرى ومن معه أى جعلتم فكرهتموه فأما قوله وكره اليكم الكفر فعلى التضمين بمعنى بغض وهو يتعدى لواحد وبالى الى آخر وبغض منقول بالتضعيف من بغض الشئ الى زيد والظاهر عطف واتقوا الله على ماقبله من الأمر والنهى * قوله عز وجل ﴿ ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل

الايمان فى قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيأ إن الله غفور رحيم * إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون * قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله بكل شئ عليم * يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين * إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون ﴾ قيل غضب الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد حين أذن بلال يوم فتح مكة على الكعبة فنزلت وعن ابن عباس سببها قول ثابت بن قيس لرجل لم يفسح له عند النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن فلانة فوبخه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له انك لاتفضل أحدا إلا فى الدين والتقوى ونزل الأمر بالتفسح فى ذلك أيضا من ذكر وأنثى أى من آدم وحواء أو كل أحد منكم من أب وأم فكل واحد منكم مساو للآخر فى ذلك الوجه فلا وجه للتفاخر *وجعلناكم شعوبا وقبائل وتقدم الكلام على شئ من ذلك فى المفردات * وقيل الشعوب فى العجم والقبائل فى العرب والاسباط فى بنى اسرائيل * وقيل الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل ربيعة ومضر وسائر عدنان * وقال قتادة ومجاهد والضحاك الشعب النسب الابعد والقبيلة الأقرب قال الشاعر

قبائل من شعوب ليس فيهم * كريم قد يعد ولا نجيب

وقيل الشعوب الموالى والقبائل العرب * وقال أبو روق الشعوب الذين ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل الذين ينسبون الى آبائهم انتهى وواحد الشعوب شعب بفتح الشين وشعب بطن من همدان ينسب اليه عامر الشعبى من سادات التابعين والنسب الى الشعوب شعوبية بفتح الشين وهم الأمم التى ليست بعرب * وقيل هم الذين يفضلون العجم على العرب وكان أبو عبيدة خارجيا شعوبيا وله كتاب فى مناقب العرب ولابن غرسية رسالة فصيحة فى تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه ذلك علماء الاندلس برسائل عديدة * وقرأ الجمهور لتعارفوا مضارع تعارف محذوف التاء والأعمش بتاءين ومجاهد وابن كثير فى رواية وابن محيصن بادغام التاء فى التاء وابن عباس وأبان عن عاصم لتعرفوا مضارع عرف والمعنى انكم جعلكم الله تعالى ما ذكر كى يعرف بعضكم بعضا فى النسب فلا ينتمى الى غير آبائه لا التفاخر بالآباء والأجداد ودعوى التفاضل وهى التقوى وفى خطبته عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وما زال التفاخر بالانساب فى الجاهلية والاسلام وبالبلاد وبالمذاهب وبالعلوم وبالصنائع وأكثره بالانساب

وأعجب شئ الى عاقل * فروع عن المجد مستأخره

إذا سئلوا ما لهم من علا * أشاروا إلى أعظم ناخره

ومن ذلك اقتصار أولاد مشايخ الزوايا الصوفية بآبائهم واحترام الناس لهم بذلك وتعظيمهم لهم وان كان الأولاد بخلاف الآباء فى الدين والصلاح *وقرأ الجمهور إن بكسر الهمزة وابن عباس بفتحها وكان قرأ لتعرفوا مضارع عرف فاحتمل أن تكون أن معمولة لتعرفوا وتكون اللام فى لتعرفوا لام الأمر وهو أجود من حيث المعنى وأما ان كانت لام كى فلا يظهر المعنى ان جعلهم شعوبا وقبائل لان تعرفوا أن الأكرم هو الأتقى فان جعلت مفعول لتعرفوا محذوفا أى لتعرفوا الحق لان أكرمكم عند الله أتقاكم ساغ فى لام لتعارفوا أن تكون لام كى *قالت الأعراب آمنا قال مجاهد

فهو اللفظ الصادق من اقوالكم وهو الانقياد والاستسلام ظاهرا فلذلك قال الله تعالى ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وجاء النفى بلما الدالة على انتفاء الشئ الى زمان الاخبار به ﴿وان تطيعوا الله ورسوله ﴾ بالايمان والاعمال وهذا فتح لباب التوبة وقرئ لايلتكم من لات يليت وهى لغة الحجاز وقرئ يألتكم من ألت وهى لغة غطفان وأسد ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم﴾ هى منقولة من علمت به أى شعرت به ولذلك تعدت الى واحد بنفسها والى الآخر بحرف الجر لما ثقلت بالتضعيف وفى ذلك تجهيل لهم حيث ظنوا أن ذلك يخفى على الله تعالى ثم ذكر تعالى احاطته بما فى السموات والارض ﴿ يمنون عليك﴾ أى يعتدون عليك ﴿أن أسلموا﴾ فأن أسلموا فى موضع المفعول ولذلك تعدى اليه فى قوله قل لاتمنوا عليك اسلامكم الآية

نزلت في بني أسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة أظهروا الاسلام وقلوبهم دخلة انما يحبون المغانم وعرض الدنيا * وقيل مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار قالوا آمنا فاستحققنا الكرامة فرد الله تعالى عليهم بقوله قل لم تؤمنوا أكذبهم الله في دعوى الايمان ولم يصرح باكذابهم بلفظه بل بما دل عليه من انتفاء ايمانهم وهذا في أعراب مخصوصين * فقد قال الله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية * ولكن قولوا أسلمنا فهو اللفظ الصادق من أقوالكم وهو الاستسلام والانقياد ظاهرا ولم يواطئ أقوالكم ما في قلوبكم فلذلك قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم وجاء النفي بلما الدالة على انتفاء الشئ الى زمان الاخبار وتبين أن قوله لم تؤمنوا الاراد به انتفاء الايمان في الزمن الماضي بل متصلا بزمان الاخبار أيضا لانك اذا نفيت بلم جاز أن يكون النفي قد انقطع ولذلك يجوز أن تقول لم يقم زيد وقد قام وجاز أن يكون النفي متصلا بزمن الاخبار فاذا كان متصلا بزمن الاخبار لم يجز أن تقول وقد قام لتكاذب الخبرين وأما لما فانها تدل على نفي الشئ متصلا بزمان الاخبار ولذلك امتنع لما يقم زيد وقد قام للتكاذب والظاهر أن قوله لما يدخل الايمان في قلوبكم ليس له تعلق بما قبله من جهة الاعراب * وقال الزمخشري (فان قلت) هو بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة (قلت) ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم يثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قوله قولوا انتهى والذي يظهر أنهم أمروا أن يقولوا قولوا أسلمنا غير مقيد بحال وان ولما يدخل الايمان اخبار غير قيد في قولهم * وقال الزمخشري وما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد انتهى ولا أدري من أي وجه يكون ما نفى بلما يقع بعد ولما انما تنفي ما كان متصلا بزمان الاخبار ولا تدل على ما ذكر وهي جواب لقد فعل وهب ان قد تدل على توقع الفعل فاذا نفي ما دل على التوقع فكيف يتوهم انه يقع بعد * وان تطيعوا الله ورسوله بالايمان والاعمال وهذا فتح لباب التوبة * وقرأ الجمهور لا يلتكم من لات يليت وهي لغة الحجاز والحسن والاعرج وأبو عمرو ولا يألتكم من ألت وهي لغة غطفان وأسد * ثم لم يرتابوا ثم تقتضي التراخي وانتفاء الريبة يجب أن يقارن الايمان فقيل من ترتيب الكلام لا من ترتيب الزمان أي ثم أقول لم يرتابوا * وقيل قد يخلص الايمان ثم يعترضه ما يثلم اخلاصه فنفي ذلك لحصول التراخي أو أريد انتفاء الريبة في الأزمان المتراخية المتطاولة فحاله في ذلك كحاله في الزمان الأول الذي آمن فيه * أولئك هم الصادقون أي في قولهم آمنا حيث طابقت ألسنتهم عقائدهم وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال وفي سبيل الله يشمل جميع الطاعات البدنية والمالية وليسوا كأعراب بني أسد في قولهم آمنا وهم كاذبون في ذلك * قل أتعلمون الله بدينكم هي منقولة من علمت به أي شعرت به ولذلك تعدت الى واحد بنفسها والى الآخر بحرف الجر لما ثقلت بالتضعيف وفي ذلك تجهيل لهم حيث ظنوا أن ذلك يخفى على الله تعالى ثم ذكر احاطة علمه بما في السموات والأرض ويقال من عليهم بيد أسداها اليه أي أنعم عليه المنة النعمة التي لا يطلب لها ثواب ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما أي يعتدون عليك أن أسلموا فأن أسلموا في موضع المفعول ولذلك تعدى اليه في قوله قل لا تمنوا على إسلامكم ويجوز أن يكون أسلموا مفعولا من أجله أي يتفضلون عليك باسلامهم أن هداكم للايمان بزعمكم وتعليق المن بهدايتهم بشرط الصدق يدل على انهم ليسوا مؤمنين إذ قد بين تعالى كذبهم في قولهم آمنا

بقوله قل لم تؤمنوا * وقرأ عبد الله وزيد بن علي إذ هداكم جملا إذ مكان ان وكلاهما تعليل وجواب الشرط محذوف أي ان كنتم صادقين فهو المان عليكم * وقرأ ابن كثير وأبان عن عاصم يعملون بياء الغيبة والجمهور بتاء الخطاب

﴿ سورة ق أربعون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب * أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد * قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ * بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج * أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج * كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد * أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد * ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد * وجاءت سكرت الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * وقال قرينه هذا مالدي عتيد * ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب * الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد * قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد * ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد * يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد * وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد * وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص * إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب * فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود * واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج * إنا نحن نحيي ونميت والينا المصير * يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ * بسقت النخلة بسوقا طالت * قال الشاعر

لنا خمر وليست خمر كرم * ولكن من نتاج الباسقات

كرام في السماء ذهبن طولا * وفات ثمارها أيدي الجناة

وبسق فلان على أصحابه أي علاهم * ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

﴿سورة ق﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ق والقرآن المجيد﴾ الآية هذه السورة مكية قال ابن عباس الا آية وهي قوله ولقد خلقنا السموات والارض * ومناسبتها لآخر ماقبلها أنه تعالى أخبر أن أولئك الذين قالوا آمنا لم يكن ايمانهم حقا وانتفاء ايمانهم دليل على انكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وعدم الانذار أيضا يدل على انكار البعث فلذلك أعقبه بق والقرآن. قسم به والمجيد صفة وهو الشريف على غيره من الكتب والجواب محذوف يدل عليه مابعده تقديره انك جئتهم منذرا بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا والضمير في بل عجبوا عائد على الكفار والاشارة بقولهم هذا شئ عجيب الظاهر انها الى مجيء منذر من البشر والاشارة بقوله ذلك الى البعث ﴿رجع بعيد﴾ أى مستبعد فى الأوهام والفكر قال الزمخشري ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ماأنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن * فان قلت ماناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع * قلت مادل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث انتهى وكون ذلك رجع بعيد بمعنى مرجوع وانه من كلام الله لامن كلامهم على ماشرحه مفهوم عجيب ينبو عن ادراكه فهم العرب ﴿بل كذبوا﴾ (١١٩) أى ما أجادوا النظر بل كذبوا والحق القرآن ﴿فى أمر مريج﴾ قال الضحاك مختلط مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن ﴿أفلم ينظروا﴾ حين كفروا بالبعث وبما جاء به الرسول الى آثار قدرة الله تعالى فى العالم العلوى والسفلى ﴿كيف بنيناها﴾ مرتفعة من غير عمد ﴿وزيناها﴾ بالنيرين وبالنجوم ﴿ومالها من فروج﴾ أى من فتوق وشقوق بل هى سليمة من كل خلل ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها ﴿رواسى﴾ أى جبالا ثوابت تمنعها من التكفؤ ﴿من كل زوج﴾ أى نوع ﴿بهيج﴾ أى حسن المنظر يسر من نظر اليه وتبصرة مفعول من أجله ﴿لكل عبد منيب﴾ أى راجع الى ربه مفكر فى بدائع صنعه ﴿ماء مباركا﴾ أى كثير المنافع ﴿وحب الحصيد﴾ أى الحب الحصيد فهو من اضافة الموصوف الى صفته والحصيد كل مايحصد مماله حب كالبر والشعير ﴿باسقات﴾ أى طوالا فى العلو وهو منصوب على الحال وهى حال مقدرة لانها حالة الانبات لم تكن طوالا وباسقات جمع والنخل اسم جنس فيجوز أن يذكر نحو قوله نخل منقعر وان يؤنث كقوله نخل خاوية وأن يجمع باعتبار أفراده ومنه باسقات وقوله وينشئ السحاب الثقال ﴿لها طلع﴾ تقدم شرحه عند ومن طلعها قنوان دانية ﴿نضيد﴾ أى منضود بعضه فوق بعض يريد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة مافيه من الثمر وأول ظهور الثمر فى الكفرى وهو أبيض منضد كحب الرمان فهو نضيد فان خرج من الكفرى فمادام ملتصقا بعضه ببعض تفرق فليس بنضيد ورزقا نصب على المصدر لأن معنى وأنبتنا رزقنا أو على أنه مفعول له والاشارة فى كذلك الى الاحياء أى الخروج من الارض احياء بعد موتكم مثل ذلك الحياة للبلدة الميتة وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث وذكر تعالى فى السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفى الفروج وفى الارض ثلاثة المد والقاء الرواسى والانبات قابل المد بالبناء لان المد وضع والبناء رفع والقاء الرواسى بالتزين بالكواكب لارتكاب كل واحد منهما والانبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج فلا شق فيها ونبه فيما تعلق به الانبات على مايقطف كل سنة ويبقى أصله ومايزرع كل سنة

---

يا ابن الذين بمجدهم * بسقت على قيس فزاره

ويقال بسقت الشاة ولدت وأبسقت الناقة وقع فى ضرعها اللبأ قبل النتاج فهى مبسق ونوق مباسق حاد عن الشئ مال عنه حيودا وحيدة وحيدودة * الوريد عرق كبير فى العنق يقال انهما وريدان عن يمين وشمال * وقال الفراء هو مابين الحلقوم والعلباوين * وقال الأثرم هو نهر الجسد هو فى القلب الوتين وفى الظهر الأبهر وفى الذراع والفخذ الأكحل والنسا وفى الخنصر الأسلم * وقال الزمخشري والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه سمى وريدا لان الروح ترده * قال * كان وريديه رشا صلب * ﴿ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب * أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد * قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ * بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج * أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج * كذبت قبلهم قوم

نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد ﴾ هذه السورة مكية * قال ابن عطية باجماع من المتأولين * وقال صاحب التحرير قال ابن عباس وقتادة مكية إلا آية وهي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الآية * ومناسبتها الآخر ما قبلها انه تعالى أخبر ان أولئك الذين قالوا آمنا لم يكن إيمانهم حقا وانتفاء إيمانهم دليل على انكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال بل عجبوا أن جاءهم منذر وعدم الايمان أيضا يدل على انكار البعث فلذلك أعقبه به وق حرف هجاء وقد اختلف المفسرون في مدلوله على أحد عشر قولا متعارضة لا دليل على صحة شئ منها فأطرحت نقلها في كتابي هذا والقرآن مقسم به والمجيد صفته وهو الشريف على غيره من الكتب والجواب محذوف يدل عليه ما بعده وتقديره انك جئتهم منذرا بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا * وقيل ما ردوا أمرك بحجة * وقال الأخفش والمبرد والزجاج تقديره لتبعثن * وقيل الجواب مذكور فعن الأخفش قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعن ابن كيسان والأخفش ما يلفظ من قول وعن نحاة الكوفة بل عجبوا والمعنى لقد عجبوا * وقيل ان في ذلك لذكرى وهو اختيار محمد بن على الترمذى * وقيل ما يبدل القول لدى وهذه كلها أقوال ضعيفة * وقرأ الجمهور قاف بسكون الفاء وبفتحها عيسى وبكسرها الحسن وابن أبي اسحق وأبو السمال وبالضم هرون وابن السميقع والحسن أيضا فيما نقل ابن خالويه والأصل في حروف المعجم اذا لم تركب مع عامل أن تكون موقوفة فمن فتح قاف عدل الى أخف الحركات ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين ومن ضم فكما ضم قط ومنذ وحيث * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالخوف رجل منهم قد عرفوا صدقه وأمانته ونصحه فكان المناسب أن لا يعجبوا وهذا مع اعترافهم بقدرة الله تعالى فأى بعد في أن يبعث من يخوف وينذر بما يكون في المآل من البعث والجزاء والضمير في بل عجبوا عائد على الكفار ويكون قوله فقال الكافرون تنبيها على القلة الموجبة للعجب وهو انهم قد جبلوا على الكفر فلذلك عجبوا * وقيل الضمير عائد على الناس قيل لان كل مفطور يعجب من بعثة بشر رسولا من الله لكن من وفق نظر فاهتدى وآمن ومن خذل ضل وكفر وحاج بذلك العجب والاشارة بقولهم هذا شئ عجيب الظاهر أنها الى مجئ منذر من البشر * وقيل الى ما تضمنه الانذار وهو الاخبار بالبعث * وقال الزمخشرى وهذا اشارة الى المرجع انتهى وفيه بعد * وقرأ الجمهور أئذا بالاستفهام وهم على أصولهم في تحقيق الثانية وتسهيلها والفصل بينهما * وقرأ الأعرج وشيبة وأبو جعفر وابن وثاب والأعمش وابن عتبة عن ابن عامر اذا بهمزة واحدة على صورة الخبر فجاز ان يكون استفهاما حذفت منه الهمزة وجاز ان يكونوا عدلوا الى الخبر وأضمر جواب اذا أى اذا متنا وكنا ترابا رجعنا وأجاز صاحب اللوامح ان يكون الجواب رجع بعيد على تقدير حذف الفاء وقد أجاز بعضهم في جواب الشرط ذلك اذا كان جملة اسمية وقصره أصحابنا على الشعر في الضرورة وأما في قراءة الاستفهام فالظرف منصوب بمضمر أى أنبعث اذا متنا واليه الاشارة بقوله ذلك أى البعث رجع بعيد أى مستبعد في الأوهام والفكر * وقال الزمخشرى واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع انتهى وأخذه من قول ابن جنى قال ابن جنى ويحتمل أن يكون المعنى أئذا متنا بعد رجعنا فدل رجع بعيد على هذا الفعل ويحل محل الجواب لقولهم أئذا * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب

أو سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت وأكثر الزرع قوت والتمر فاكهة وقوت ولما ذكر قوله تعالى بل كذبوا بالحق ذكر من كذب الانبياء عليهم السلام تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على مفردات هذه الآية وقصص من ذكر فيها

( الدر )

﴿ سورة ق ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكار ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن * فان قلت فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع (قلت) ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث انتهى (ح) كون ذلك رجع بعيد بمعنى مرجوع وانه من كلام الله لا من كلامهم على ما شرحه مفهوم عجيب ينبو عن ادراكه فهم العرب

ويكون من كلام الله تعالى استبعاد الانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن (فان قلت) فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع (قلت) ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث انتهى وكون ذلك رجع بعيد بمعنى مرجوع وانه من كلام الله تعالى لا من كلامهم على ما شرحه مفهوم عجيب ينبو عن ادراكه فهم العرب * قد علمنا ما تنقص الارض منهم أي من لحومهم وعظامهم وآثارهم * قاله ابن عباس ومجاهد والجمهور وهذا فيه رد لاستبعادهم الرجع لان من كان عالماً بذلك كان قادراً على رجعهم * وقال السدي أي ما يحصل في بطن الارض من موتاهم وهذا يتضمن الوعيد * وعندنا كتاب حفيظ أي حافظ لما فيه جامع لا يفوت منه شيء أو محفوظ من البلى والتغير * وقيل هو عبارة عن العلم والاحصاء وفي الخبر الثابت ان الارض تأكل ابن آدم الا عجب الذنب وهو عظم كالخردلة منه يركب ابن آدم بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقدروا قبل هذا الاضراب جملة يكون مضرباً عنها أي ما أجادوا النظر بل كذبوا * وقيل لم يكذبوا المنذر بل كذبوا والغالب ان الاضراب يكون بعد جملة منفية * وقال الزمخشري بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات انتهى وكان هذا الاضراب الثاني بدلا من الاول وكلاهما بعد ذلك الجواب الذي قدرناه جواباً للقسم فلا يكون قبل الثانية ما قدروه من قولهم ما أجادوا النظر بل كذبوا بالحق والحق القرآن أو البعث أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاسلام أقوال * وقرأ الجمهور لما جاءهم أي لم يفكروا فيه بل بأول ما جاءهم كذبوا والجحدري لما جاءهم بكسر اللام وتخفيف الميم وما مصدرية واللام لام الجر كهي في قولهم كتبته لخمس خلون أي عند مجيئهم اياه * فهم في أمر مريج قال الضحاك وابن زيد مختلط مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن * وقال قتادة مختلف * وقال الحسن ملتبس * وقال أبو هريرة فاسد ومرجت أمانات الناس فسدت ومرج الدين اختلط * قال أبو واقد

ومرج الدين فاعددت له * مشرف الحارك محبول الكتد

* وقال ابن عباس المريج الأمر المنكر وعنه أيضاً مختلط وقال الشاعر

فجالت والتمست لها حشاها * فخر كأنه خوط مريج

والأصل فيه الاضطراب والقلق مرج الخاتم في أصبعي اذا قلق من الهزال ويجوز أن يكون الأمر المريج باعتبار انتقال أفكارهم فيما جاء به المنذر قالا عدم قبولهم أول انذاره اياهم ثم العجب منهم ثم استبعاد البعث الذي أنذر به ثم التكذيب لما جاء به * أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم الى آثار قدرة الله تعالى في العالم العلوي والسفلي كيف بنيناها مرتفعة من غير عمد وزيناها بالنيرين وبالنجوم ومالها من فروج أي من فتوق وسقوف بل هي سليمة من كل خلل * والارض مددناها بسطناها وألقينا فيها رواسي أي جبالا ثوابت تمنعها من التكفؤ من كل زوج أي نوع بهيج أي حسن المنظر بهيج أي يسر من نظر اليه * وقرأ الجمهور تبصرة وذكرى بالنصب وهما منصوبان بفعل مضمر من لفظهما أي بصر وذكر * وقيل مفعول من أجله وقرأ زيد بن علي تبصرة بالرفع وذكر معطوف عليه أي ذلك الخلق على ذلك الوصف تبصرة والمعنى يتبصر بذلك ويتذكر كل عبد منيب أي راجع الى ربه مفكر في بدائع صنعه * ماء مباركاً أي كثير المنفعة وحب الحصيد أي الحب الحصيد فهو من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كما في قوله البصريون والحصيد كل ما يحصد مما له حب كالبر والشعير * باسقات أي طوالا في العلو وهو

﴿ أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ الخلق الاول هو انشاء الانسان من نطفة على التدريج وتقدم تفسير عيي عند ولم يعى بخلقهن والمعنى أعجزنا عن الخلق الاول فنعجز عن الخلق الثانى وهذا توقيف للكفار وتوبيخ واقامة الحجة الواضحة عليهم بل هم فى لبس أى خلط وشبهة وحيرة ﴿ ولقد خلقنا الانسان ﴾ هذه آيات فيها اقامة حجج على الكفار فى انكارهم البعث والانسان اسم جنس وقيل آدم ﴿ ونحن أقرب اليه ﴾ قرب علمه وباحواله لا يخفى عليه شئ من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله فى كل مكان أى بعلمه وهو منزه عن الامكنة وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقول العرب هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار والحبل العرق شبه بواحد الحبال واضافته الى الوريد للبيان كقولهم بعير سانية أو يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما فى عضو واحد والعامل فى اذ أقرب اليه لانه أخبر خبرا مجردا بالخلق والعلم بخطوات الانفس والقرب بالقدرة والملك فلما تم الاخبار أخبر بذكر الاحوال التى تصدق هذا الخبر وتعين وروده عند السامع فنها اذ يتلقى المتلقيان ومنها مجىء سكرة الموت ومنها النفخ فى الصور ومنها مجىء كل نفس معها سائق وشهيد والمتلقيان الملكان الموكلان بكل انسان ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات وقال الحسن الحفظة أربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل وقعيد مفرد فاحتمل أن يكون معناه مقاعد كما تقول جليس وخليط أى مجالس ومخالط وأن يكون عدل من فاعل الى فعيل للمبالغة كعليم قال الكوفيون مفرد أقيم مقام اثنين والأجود أن يكون حذف من الأول لدلالة الثانى عليه أى عن اليمين قعيد وظاهر ما يلفظ العموم قال مجاهد يكتب عليه كل شئ حتى أنينه فى مرضه ﴿ رقيب ﴾ ملك يرقب ﴿ عتيد ﴾ حاضر

منصوب على الحال وهى حال مقدرة لانها حالة الانبات لم تكن طوالا وباسقات جمع والنخل اسم جنس فيجوز أن يذكر نحو قوله نخل منقعر وان يؤنث نحو قوله تعالى نخل خاوية وان يجمع باعتبار افراده ومنه باسقات وقوله وينشئ السحاب الثقال والجمهور باسقات بالسين * وروى قطبة بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ باصقات بالصاد وهى لغة لبنى العنبر يبدلون من السين صادا اذا وليتها أو فصل بحرف أو حرفين خاء أو عين أو قاف أو طاء * لها طلع تقدم شرحه عند ومن طلعها قنوان دانية * نضيد أى منضود بعضه فوق بعض يريد كثرة الطلع وتراكمه أى كثرة ما فيه من الثمر وأول ظهور الثمر فى الكفرى هو أبيض ينضد كحب الرمان فادام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فاذا خرج من الكفرى تفرق فليس بنضيد ورزقا نصب على المصدر لان معنى وأنبتنا رزقنا أو على انه مفعول له * وقرأ الجمهور ميتا بالتخفيف وأبو جعفر وخالد بالتثقيل والاشارة فى ذلك الى الاحياء أى الخروج من الارض أحياء بعد موتكم مثل ذلك الحياة للبلدة الميت وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث وذكر تعالى فى السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفى الفروج وفى الارض ثلاثة المد والقاء الرواسى والانبات قابل المد بالبناء لان المد وضع والبناء رفع والقاء الرواسى بالتزيين بالكواكب لارتكاز كل واحد منهما والانبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج فلا شق فيها ونبه فيما تعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى أصله وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت وأكثر الزرع قوت والتمر فاكهة وقوت ولما ذكر تعالى قوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم ذكر من كذب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على مفردات هذه الآية وقصص من ذكر فيها * وقرأ أبو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة بلام التعريف والجمهور ليكة * كل كذب الرسل أى كلهم أى جميعهم كذب وحمل على لفظ كل فأفرد الضمير فى كذب * وقال الزمخشرى يجوز أن يراد به كل واحد منهم انتهى والتنوين فى كل تنوين عوض من المضاف اليه المحذوف وأجاز محمد ابن الوليد وهو من قدماء نحاة مصر أن يحذف التنوين من كل جعله غاية ويبنى على الضم كما بنى قبل وبعد فأجاز كل منطلق بضم اللام دون تنوين ورد ذلك عليه الأخفش الصغير وهو على بن سليمان * فحق وعيد أى وجب تعذيب الأمم المكذبة واهلاكهم وفى ذلك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقريش ومن كذب الرسول * قوله عز وجل ﴿ أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد * ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

* وجاءت سكرت الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ أفعيينا بالخلق الأول وهو انشاء الانسان من نطفة على التدريج وتقدم تفسيره فى قوله تعالى ولم يعى بخلقهن * وقرأ الجمهور أفعيينا بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة ماضى عيى كرضى * وقرأ ابن أبى عبلة والوليد بن مسلم والقورصى عن أبى جعفر والسمسار عن شيبة وأبو بحر عن نافع بتشديد الياء من غير اشباع فى الثانية هكذا قال أبو القاسم الهذلى فى كتاب الكامل وقال ابن خالويه فى كتاب شواذ القرا آت له أفعينا بتشديد الياء ابن أبى عبلة وفكرت فى توجيه هذه القراءة اذ لم يذكر أحد توجيهها فخرجتها على لغة من أدغم الياء فى الياء فى الماضى فقال عى فى عيى وحى فى حيى فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الادغام فقال عينا وهى لغة لبعض بكر بن وائل يقولون فى رددت ورددنا ردت وردنا فلا يفكون وعلى هذه اللغة يكون الياء المشددة مفتوحة فلو كان نا ضمير نصب لاجتمعت العرب على الادغام نحو ردنا زيد * وقال الحسن الخلق الأول آدم عليه السلام والمعنى أعجزنا عن الخلق الأول فنعجز عن الخلق الثانى وهذا توقيف للكفار وتوبيخ واقامة الحجة الواضحة عليهم * بل هم فى لبس أى خلط وشبهة وحيرة ومنه قول على ياجار أنه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله * من خلق جديد أى من البعث من القبور * ولقد خلقنا الانسان هذه آيات فيها اقامة حجج على الكفار فى انكارهم البعث والانسان اسم جنس * وقيل آدم * ونحن أقرب قرب علم به وبأحواله لا يخفى عليه شئ من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله فى كل مكان أى بعلمه وهو منزه عن الامكنة وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقول العرب هو منى مقعد القابلة ومقعد الازار * قال ذوالرمة

* والموت أدنى لى من الوريد *

والحبل العرق الذى شبه بواحد الحبال واضافته الى الوريد للبيان كقولهم بعير سانية أو يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما فى عضو واحد والعامل فى اذ أقرب * وقيل اذكر قيل ويحسن تقدير اذكر لأنه أخبر خبرا مجردا بالخلق والعلم بخطرات الأنفس والقرب بالقدرة والملك فلما تم الاخبار أخبر بذكر الاحوال التى تصدق هذا الخبر وتعين وروده عند السامع فمنها اذ يتلقى المتلقيان ومنها مجىء سكرة الموت ومنها النفخ فى الصور ومنها مجىء كل نفس معها سائق وشهيد والمتلقيان الملكان الموكلان بكل انسان ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات * وقال الحسن الحفظة أربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل وقعيد مفرد فاحتمل أن يكون معناه مقاعد كما تقول جليس وخليط أى مجالس ومخالط وأن يكون عدل من فاعل الى فعيل للمبالغة كعليم * قال الكوفيون مفرد اقيم مقام اثنين والاجود أن يكون حذف من الأول لدلالة الثانى عليه أى عن اليمين قعيد كما قال الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن أجل الطوى رمانى

على أحسن الوجهين فيه أى كنت منه بريا ووالدى بريا ومذهب المبرد أن التقدير عن اليمين قعيد وعن الشمال فأخر قعيد عن موضعه ومذهب الفراء ان لفظ قعيد يدل على الاثنين والجمع فلا يحتاج الى تقدير * وقرأ الجمهور ما يلفظ من قول وظاهر ما يلفظ العموم * قال مجاهد وأبو الحوراء يكتب عليه كل شئ حتى أنينه فى مرضه * وقال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت الله تعالى من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك * وقيل هو مخصوص أى من قول خير أو شر

﴿ وجاءت سكرة الموت ﴾ معطوف على اذ يتلقى وسكرت الموت ما يعترى الانسان عند نزاعه والباء فى بالحق للتعدية أى جاءت سكرة الموت الحق وهو الأمر الذى نطقت به كتب الله تعالى وبعث به رسله من سعادة الميت وشقاوته أو للحال أى ملتبسة بالحق ﴿ ما كنت منه تحيد ﴾ أى تميل يقول أعيش كذا وأعيش كذا فمتى فكر فى قرب الموت حاد بذهنه عنه وأمله الى مسافة طويلة بعيدة من الزمان ومن الحيد الحذر من الموت وظاهر تحيد أنه خطاب للانسان الذى جاءته سكرة الموت ﴿ سائق ﴾ حاث على السير ﴿ وشهيد ﴾ يشهد عليه قال الزمخشرى ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ماهو فى حكم المعرفة انتهى لاضرورة تدعو الى الحال بل الجملة فى موضع الصفة ان أعربت معها سائق مبتدأ وخبرا والا فسائق فاعل بالظرف قبله لأنه قد اعتمد فالظرف فى موضع الصفة وأما قوله لتعرفه بالاضافة الى ماهو فى حكم المعرفة فكلام ساقط لا يصدر عن مبتدئ فى النحو لانه لو نعت كل نفس ما نعت الا بنكرة فهو نكرة على كل حال ولا يمكن أن يتعرف كل وهو مضاف الى نكرة.

﴿ لقد كنت فى غفلة من هـذا ﴾ أى من عاقبة الكفر فلما كشف الغطاء عنك احتد بصرك أى بصيرتك وهذا كما تقول فلان حديد الذهن وكنى بالغطاء عن الغفلة كأنها غطت جميعه أو عينيه فهو لا يبصر فاذا كان فى القيامة زالت عنه الغفلة فأبصر مالم يكن يبصره من الحق ﴿ وقال قرينه ﴾ هو الشيطان الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته ﴿ هذا ما لدى عتيد ﴾ ( ١٢٤ ) هذا شئ لدى وفى ملكتى عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد أعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى ﴿ ألقيا فى جهنم ﴾ الخطاب من الله للملكين السائق والشهيد ﴿ كل كفار ﴾ مبالغة أى يكفر النعمة والمنعم ﴿ عنيد ﴾ منحرف عن الطاعة ﴿ مناع للخير ﴾ أى الزكاة ﴿ مريب ﴾ شاك فى الله تعالى أو فى البعث وقيل متهم ﴿ الذى جعل مع الله إلها آخر ﴾ الظاهر تعلقه بما قبله على جهة البدل ويكون فالقياه توكيدا ﴿ قال قرينه ﴾ لم تأت هذه الجملة بالواو بخلاف وقال قرينه قبله لأن هذه استؤنفت كما استؤنفت الجمل فى حكاية التقاول فى مقاولة موسى وفرعون لجرت مقاولة بين الكافر وقرينه فكأن الكافر قال رب هو أطغانى قال قرينه ربنا ما أطغيته و[illegible] قرينه فعطف [illegible] بين معناها [illegible] على مجى كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ومعنى ما أطغيته تنزيه لنفسه من أنه أثر فيه

وقال معناه عكرمة وما خرج عن هـذا لا يكتب واختلفوا فى تعيين قعود الملكين ولا يصح فيه شئ * رقيب ملك يرقب * عتيد حاضر واذا كان على اللفظ رقيب عتيد فأحرى على العمل * وقال الحسن فاذا مات طويت صحيفته وقيل له يوم القيامة اقرأ كتابك * وجاءت سكرت الموت هو معطوف على اذ يتلقى وسكرة الموت ما يعترى الانسان عند نزاعه والباء فى بالحق للتعدية أى جاءت سكرة الموت الحق وهو الأمر الذى أنطق الله به كتبه وبعث به رسله من سعادة الميت أو شقاوته أو للحال أى ملتبسة بالحق * وقرأ ابن مسعود سكران جما * ذلك ما كنت منه تحيد أى تميل تقول أعيش كذا وأعيش كذا فتى فكر فى قرب الموت حاد بذهنه عنه وأمل الى مسافة بعيدة من الزمن ومن الحيد الحذر من الموت وظاهر تحيد أنه خطاب للانسان الذى جاءته سكرة الموت * وقال الزمخشرى الخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب * ذلك يوم الوعيد هو على حذف أى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وأضاف اليوم الى الوعيد وان كان يوم الوعد والوعيد معا على سبيل التخويف * وقرأ الجمهور معها وطلحة بالحاء مثقلة أدغم العين فى الهاء فانقلبتا حاء كما قالوا ذهب محم يريد معهم سائق جاث على السير وشهيد يشهد عليه * قال عثمان بن عفان ومجاهد وغيره ملكان موكلان بكل انسان أحدهما يسوقه والآخر من حفظه يشهد عليه * وقال أبو هريرة السائق ملك والشهيد النبى * وقيل الشهيد الكتاب الذى يلقاه منشورا والظاهر أن قوله سائق وشهيد اسما جنس فالسائق ملائكة موكلون بذلك والشهيد الحفظة وكل من يشهد * وقال ابن عباس والضحاك السائق ملك والشهيد جوارح الانسان * قال ابن عطية وهذا يبعد عن ابن عباس لان الجوارح انما تشهد بالمعاصى وقوله كل نفس يعم الصالحين فانما معناه وشهيد بخيره وشره ويقوى فى شهيد اسم الجنس فشهد بالخير الملائكة والبقاع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شئ الا شهد له يوم القيامة * وقال أبو هريرة السائق ملك والشهيد العمل * وقال أبو مسلم السائق شيطان وهو قول ضعيف * وقال الزمخشرى ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الأمرين كأنه قيل ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة هذا كلام ساقط لا يصدر عن مبتدئ فى النحو لأنه لو نعت كل نفس لما نعت الا بالنكرة فهو نكرة على كل حال فلا يمكن أن يتعرف كل وهو مضاف الى نكرة * قوله عز وجل ﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * وقال قرينه هذا ما لدى عتيد * ألقيا فى جهنم كل كفار [illegible] مناع للخير معتد مريب * الذى جعل مع الله إلها آخر فألقياه فى العذاب الشديد * قال قرينه

---

( تدبر ) ( ش ) ومحل [illegible] النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة انتهى ( ح ) لا ضرورة تدعو الى الحال بل الجملة فى موضع الصفة ان أعربت معها سائق وشهيد مبتدأ وخبرا والا فسائق فاعل بالظرف قبله لانه قد اعتمد فالظرف فى موضع الصفة [illegible] قوله لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة فكلام ساقط لا يصدر عن مبتدئ فى النحو لانه لو نعت كل نفس لما نعت الا بالنكرة فهو نكرة على كل حال فلا يمكن أن يتعرف كل وهو مضاف الى نكرة

﴿ ولكن كان فى ضلال بعيد ﴾ أى من نفسه لا منى فهو الذى استحب العمى على الهدى وكذب القرين بل أطغاه بوسوسته وتزيينه ﴿ قال لا تختصموا لدى ﴾ استئناف أيضا مثل ما قال قرينه كان قائلا قال ماقال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا لدى أى فى دار الجزاء وموقف الحساب ﴿ وقد قدمت اليكم بالوعيد ﴾ لمن عصانى فلم أترك لكم حجة ﴿ مايبدل القول لدى ﴾ أى عندى فما أمضيته لا يمكن تبديله ﴿ وما أنا بظلام ﴾ تقدم الكلام عليه والمعنى لا أعذب من لا يستحق العذاب وانتصاب يوم بظلام قال الزمخشرى ويجوز أن ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ فى الصور يوم يقول وعلى هذا يشار بذلك الى يوم يقول انتهى هذا بعيد جدا قد فصل على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة ولا يناسب هذا القول فصاحة القرآن وبلاغته وهل امتلأت تقرير وتوقيف لا سؤال استفهام حقيقة لانه تعالى عالم باحوال جهنم وقيل السؤال والجواب من باب التصوير الذى يثبت المعنى أى حالها حال من لو نطق بالجواب لسائله لقال كذا وهذا القول يظهر انها اذ ذاك لم تكن ملأى فقولها هل من مزيد سؤال ورغبة فى الزيادة والاستكثار من الداخلين ﴿ فيها ما توعدون ﴾ خطاب للمؤمنين ولكل أواب هو البدل من المتقين ﴿ من خشى ﴾ بدل بعد بدل تابع لكل قال الزمخشرى ولا يجوز أن يكون فى حكم أواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى انتهى يعنى بقوله فى حكم أواب وحفيظ أن يجعل من صفته وهذا حكم صحيح وأما قوله ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى فالحصر فيه ليس بصحيح قد وصفت العرب بما فيه أل وهو موصول نحو القائم والمضروب ووصفت بذو الطائية وذات فى المؤنث ومن كلامهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله بها يريدون بالفضل الذى فضلكم والكرامة التى أكرمكم ولا يريد الزمخشرى خصوصية الذى بل فروعه من المؤنث المثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك انتهى وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون نعتا انتهى هذا لا يجوز لان من لا ينعت بها وبالغيب حال من المفعول أى وهو غائب عنه وانما أدركه بالعلم الضرورى اذ كل مصنوع لا بد له من صانع ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ أى سالمين من العذاب أو مسلما عليكم من الله تعالى وملائكته ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ أى يوم تقدير الخلود ﴿ لهم مايشاؤن فيها ﴾ أى ماتعلقت به مشيئتهم من أنواع الملاذ والكرامات ﴿ ولدينا مزيد ﴾ زيادة أو شئ مزيد على مايشاؤن عند ربهم ونحوه ومزيد مبهم فقيل مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها وقيل تجلى الله تعالى لهم حتى يرونه

---

ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد * قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد * مايبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد * يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد * وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ * من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب * ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد ﴾ قرأ الجمهور لقد كنت فى غفلة بفتح التاء والكاف فى كنت وغطاءك وبصرك والجحدرى بكسرها على مخاطبة النفس * وقرأ الجمهور عنك غطاءك فبصرك بفتح التاء والكاف حملا على لفظ كل من التذكير والجحدرى وطلحة بن مصرف عنك غطاءك فبصرك بالكسر مراعاة للنفس أيضا ولم ينقل الكسر فى الكاف صاحب اللوامح الا عن طلحة وحده * قال صاحب اللوامح ولم أجد عنه فى لقد كنت الكسر فان كسر فان الجميع شرع واحد وان فتح لقد كنت فحمل على كل انه مذكر ويجوز تأنيث كل فى هذا الباب لاضافته الى نفس وهو مؤنث وان كان كذلك فانه حمل بعضه على اللفظ وبعضه على المعنى مثل قوله فله أجره ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون انتهى قال ابن عباس وصالح بن كيسان والضحاك يقال للكافر الغافل من ذوى النفس التى معها السائق والشهيد اذا حصل بين يدى الرحمن وعاين الحقائق التى لا يصدق بها فى الدنيا ويتغافل عن النظر فيها لقد كنت فى غفلة من هذا أى من عاقبة الكفر فلما كشف الغطاء عنك احتد بصرك أى بصيرتك وهذا كما تقول فلان حديد الذهن * وقال مجاهد هو بصر العين أى احتد التفاته الى ميزانه وغير ذلك من أهوال القيامة وعن زيد بن أسلم قول فى هذه الآية يحرم نقله وهو فى كتاب ابن عطية وكنى بالغطاء عن الغفلة كأنها غطت جميعه أو عينيه فهو لا يبصر فاذا كان فى القيامة زالت عنه الغفلة فابصر ما كان لم يبصره من الحق * وقال قرينه أى من زبانية جهنم هذا العذاب الذى لدى لهذا الانسان الكافر عتيد حاضر ويحسن هذا القول اطلاق ما على مالا يعقل * وقال قتادة قرينه الملك الموكل بسوقه أى هذا الكافر الذى أسوقه لدى حاضر * وقال الزهراوى وقيل قرينه

شيطانه وهذا ضعيف وانما وقع فيه أن القرين فى قوله ربنا ما أطغيته هو شيطانه فى الدنيا ومغويه
بالاخلاف ولفظ القرين اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه من الزبانية قرين ومماشى الانسان فى
طريقه قرين * وقيل قرينه هنا عمله قلبا وجوارحا * وقال الزمخشرى وقال قرينه هو الشيطان
الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته هذا
ما لدى عتيد هذا شئ لدى وفى ملكتى عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه
وشيطانا مقرونا به يقول قد أعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى انتهى وهذا قول مجاهد * وقال
الحسن وقتادة أيضا الملك الشهيد عليه * وقال الحسن أيضا هو كاتب سيآته وما نكرة موصوفة
بالظرف وبعتيد وموصولة والظرف صلتها * وعتيد قال الزمخشرى بدل أو خبر بعد خبر أو خبر
مبتدأ محذوف انتهى * وقرأ الجمهور عتيد بالرفع وعبد الله بالنصب على الحال والأولى اذ ذاك أن
تكون ما موصولة ألقيا فى جهنم الخطاب من الله للملكين السائق والشهيد * وقيل للملكين من
ملائكة العذاب فعلى هذا الألف ضمير الاثنين * وقال مجاهد وجماعة هو قول اما للسائق واما للذى
هو من الزبانية وعلى انه خطاب للواحد * وقال المبرد معناه ألق ألق فثنى * وقال الفراء هو من
خطاب الواحد بخطاب الاثنين * وقيل الألف بدل من النون الخفيفة أجرى الوصل مجرى
الوقف وهذه أقوال مرغوب عنها ولا ضرورة تدعو الى الخروج عن ظاهر اللفظ لقول مجاهد
وقرأ الحسن ألقين بنون التوكيد الخفيفة وهى شاذة مخالفة لنقل التواتر بالألف كل كفار أى
يكفر النعمة والمنعم * عنيد قال قتادة منحرف عن الطاعة * وقال الحسن جاحد متمرد * وقال
السدى المشاق من العند وهو عظم يعرض فى الحلق * وقال ابن بحر المعجب بما فيه مناع للخير * قال
قتادة ومجاهد وعكرمة يعنى الزكاة * وقيل بخيل * وقيل مانع بنى أخيه من الايمان كالوليد بن
المغيرة كان يقول لهم من دخل منكم فيه لم أنفعه بشئ ما عشت والأحسن عموم الخير فى المال وغيره
مريب قال الحسن شاك فى الله أو فى البعث * وقيل متهم الذى جوزوا فيه أن يكون منصوبا
بدلا من كل كفار وأن يكون مجرورا بدلا من كفار وأن يكون مرفوعا بالابتداء مضمنا معنى
الشرط ولذلك دخلت الفاء فى خبره وهو فالقياه والظاهر تعلقه بما قبله على جهة البدل ويكون
فالقياه توكيدا * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون صفة من حيث يختص كفار بالأوصاف
المذكورة فجاز وصفه بهذه المعرفة انتهى وهذا ليس بشئ لو وصفت النكرة بأوصاف كثيرة
لم يجز ان توصف بالمعرفة * قال قرينه لم تأت هذه الجملة بالواو بخلاف وقال قرينه قبله لان هذه
استؤنفت كما استؤنفت الجمل فى حكاية التقاول فى مقاولة موسى وفرعون فجرت مقاولة بين
الكافر وقرينه فكأن الكافر قال رب هو أطغانى قال قرينه ربنا ما أطغيته وأما وقال قرينه
فعطف للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجئ كل نفس مع الملكين
وقول قرينه ما قال له ومعنى ما أطغيته تبرؤ منه لنفسه من أنه أثر فيه ولكن كان فى ضلال بعيد أى من
نفسه لا منى فهو الذى استحب العمى على الهدى كقوله وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن
دعوتكم فاستجبتم لى وكذب القرين قد أطغاه بوسوسته وتزيينه * قال لا تختصموا لدى استئناف
أيضا مثل قال قرينه كأن قائلا قال ما قال الله تعالى فقيل لا تختصموا لدى أى فى دار الجزاء وموقف
الحساب * وقد قدمت إليكم بالوعيد لمن عصانى فلم أترك لكم حجة * ما يبدل القول لدى أى عندى
فما أمضيته لا يمكن تبديله * وقال الفراء ما يكذب لدى لعلمى بجميع الأمور وقدمت يجوز أن

يكون بمعنى تقدمت أي قد تقدم قولي لكم ملتبسا بالوعيد أو يكون قدم المتعدية وبالوعيد هو المفعول والباء زائدة والتقديم كان في الدنيا ونهيهم عن الاختصام في الآخرة فاختلف الزمانان فلا تكون الجملة من قوله وقد قدمت حالا الا على تأويل أي وقد صح عندكم أني قدمت وصحة ذلك في الآخرة فاتفق زمان النهي عن الاختصام وصحة التقديم بالحال على هذا التأويل مقارنة * وما أنا بظلام للعبيد تقدم شرح مثله في أواخر آل عمران والمعنى لا أعذب من لا يستحق العذاب وقرأ يوم يقول بياء الغيبة الأعرج وشيبة ونافع وأبو بكر والحسن وأبو رجاء وأبو جعفر والأعمش وباقي السبعة بالنون وعبد الله والحسن والأعمش أيضا يقال مبنيا للمفعول وانتصاب يوم بظلام أو باذكر أو بأنذر كذلك * قال الزمخشري ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ في الصور يوم نقول وعلى هذا يشار بذلك الى يوم يقول انتهى وهذا بعيد جدا قد فصل على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة فلا يناسب هذا القول فصاحة القرآن وبلاغته وهل امتلأت تقرير وتوقيف لا سؤال استفهام حقيقة لانه تعالى عالم بأحوال جهنم قيل وهذا السؤال والجواب منها حقيقة * وقيل هو على حذف مضاف أي نقول لخزنة جهنم قاله الرماني * وقيل السؤال والجواب من باب التصوير الذي يثبت المعنى أي حالها حال من لو نطق بالجواب لسائله لقال كذا وهذا القول يظهر أنها اذ ذاك لم تكن ملأى فقولها من مزيد سؤال ورغبة في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها * وقال الحسن وعمرو وواصل كانت ملأى وقت السؤال فلا تزداد على امتلائها كما جاء في الحديث وهل ترك لنا عقيل من دار أي ما ترك ومزيد يحتمل أن يكون مصدرا واسم مفعول * غير بعيد مكانا غير بعيد وهو تأكيد لأزلفت رفع مجاز القرب بالوعد والاخبار فانتصاب غير على الظرف صفة قامت مقام مكان فأعربت باعرابه وأجاز الزمخشري ان ينتصب غير بعيد على الحال من الجنة * قال وتذكيره يعني بعيد لأنه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث انتهى وكونه على وزن المصدر لا يسوغ أن يكون المذكر صفة للمؤنث * وقال الزمخشري أيضا أو على حذف الموصوف أي شيأ غير بعيد انتهى وكأنه يعني إزلافا غير بعيد هذا اشارة للثواب * وقرأ الجمهور ما توعدون خطابا للمؤمنين وابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة أي هذا القول هو الذي وقع الوعد به وهي جملة اعتراضية بين المبدل منه والبدل ولكل أواب هو البدل من المتقين * من خشي بدل بعد بدل تابع لكل قاله الزمخشري وانما جعله تابعا لكل لا بدلا من للمتقين لأنه لا يتكرر الابدال من مبدل منه واحد قال ويجوز أن يكون بدلا من موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين سائر الموصولات الا بالذى انتهى يعني بقوله في حكم أواب ان يجعل من صفته وهذا حكم صحيح وأما قوله ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى فالحصر ليس بصحيح قد وصفت العرب بما فيه أل وهو موصول نحو القائم والمضروب ووصفت بذو الطائية وذات في المؤنث ومن كلامهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله به يريد بالفضل الذي فضلكم والكرامة التي أكرمكم ولا يريد الزمخشري خصوصية الذي بل فروعه من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك وجوز أن تكون من موصولة مبتدأ خبره القول المحذوف تقديره يقال لهم ادخلوها لأن من في معنى الجمع وان تكون شرطية والجواب الفعل المحذوف أي فيقال وأن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن الي وحذف حرف



(ش) ويجوز أن ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم يقول وعلى هذا يشار بذلك الى يوم يقول انتهى (ح) هذا بعيد جدا قد فصل على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة فلا يناسب هذا القول فصاحة القرآن وبلاغته (ش) ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى انتهى (ح) يعني بقوله في حكم أواب أن يجعل من صفة وهذا حكم صحيح وأما قوله ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى فالحصر فيه ليس بصحيح قد وصفت العرب بما فيه ال وهو موصول نحو القائم والمضروب ووصفت بذو الطائية وذات في المؤنث ومن كلامهم بالفضل ذو فضلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله به يريد بالفضل الذى فضلكم والكرامة التي أكرمكم ولا يريد (ش) خصوصية الذى بل فروعه من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك (ع) ويحتمل أن يكون من نعتا انتهى (ح) هذا لا يجوز لان من لا ينعت بها

﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ الآية أي كثيرا أهلكنا قبلهم أي قبل قريش هم أشد منهم بطشا لكثرة قوتهم وأموالهم والظاهر أن الضمير في فنقبوا عائد على كم أي دخلوا البلاد من أنقابها والمعنى طوفوا في البلاد وقيل نقروا وبحثوا والتنقيب التنقير والبحث نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال وفنقبوا متسبب عن شدة بطشهم فهي التي أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يعود الضمير في فنقبوا على قريش أي فنقبوا في أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا محيصا حتى يؤملوه لأنفسهم ويدل على عود الضمير على أهل مكة قراءة ابن عباس وغيره فنقبوا بكسر القاف مشددة على الأمر لاهل مكة أي فسيحوا في البلاد وابحثوا ﴿ ان في ذلك ﴾ أي في اهلاك تلك القرون ﴿ لذكرى ﴾ لتذكرة واتعاظا لمن كان له قلب أي واع والمعنى لمن كان له عقل وعبر عنه بمحله ومن له قلب لايعي كمن لاقلب له وقرأ الجمهور ألقى السمع مبنيا للفاعل والسمع نصب به أي أو أصغى بسمعه لهذه الانباء الواعظة ﴿ وهو (١٢٨) شهيد ﴾ أي حاضر الذهن متفطن لما أصغى اليه سمعه مفكر فيه فشهيد من المشاهدة وهو الحضور ﴿ ولقد خلقنا السموات والارض ﴾ نزلت في اليهود تكذيبا لهم في قولهم انه تعالى استراح من خلق السموات والارض في ستة أيام يوم السبت واستلقى على العرش ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ احتمل أن تكون جملة حالية واحتمل أن تكون استئنافا واللغوب الاعياء ﴿ فاصبر ﴾ قيل منسوخ بآية السيف ﴿ على مايقولون ﴾ أي اليهود وغيرهم من الكفار قريش وغيرهم ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ أي فصل ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ هي صلاة الصبح ﴿ وقبل الغروب ﴾ هي صلاة العصر وقيل غير ذلك ﴿ واستمع ﴾ أمر بالاستماع والظاهر أنه أريد به حقيقة الاستماع والمستمع له محذوف تقديره واستمع لما أخبر به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يامعاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب يوم بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل مفعول استمع محذوف تقديره نداء المنادي وقيل تقديره نداء الكافر بالويل والثبور وقيل لايحتاج الى مفعول اذ حذف اقتصارا والمعنى كن مستمعا ولاتكن غافلا معرضا وانتظر الخطاب لكل سامع وفي الحديث أن ملكا ينادي من السماء أيتها الأجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلموا الى الحشر والوقوف بين يدي الله تعالى ﴿ من مكان قريب ﴾ وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق قيل والمنادي اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادي والمكان القريب هي صخرة بيت المقدس لقربها من السماء بثمانية عشر ميلا ﴿ يوم يسمعون ﴾ بدل من يوم ينادي والصيحة صيحة المنادي قيل يسمعون من تحت أقدامهم وقيل من تحت شعورهم وهي النفخة الثانية وبالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر ﴿ ذلك ﴾ أي يوم النداء والسماع ﴿ يوم الخروج ﴾ من القبور وقيل الاشارة بذلك الى النداء أي ذلك النداء واتسع في

---

النداء للتقريب * وقال ابن عطية يحتمل أن تكون من نعتا انتهى وهذا لايجوز لان من لاينعت بها وبالغيب حال من المفعول أي وهو غائب عنه وانما أدركه بالعلم الضروري اذ كل مصنوع لابد له من صانع ويجوز أن تكون صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه * وقيل في الخلوة حيث لايراه أحد فيكون حالا من الفاعل وقرن بالخشية الرحمن بناء على الخاشي حيث علم أنه واسع الرحمة وهو مع ذلك يخشاه * ادخلوها بسلام أي سالمين من العذاب أو مسلما عليكم من الله وملائكته * ذلك يوم الخلود كقوله فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود وهو معادل لقوله في الكفار ذلك يوم الوعيد * لهم مايشاؤن فيها أي ماتعلقت به مشيئاتهم من أنواع الملاذ والكرامات كقوله تعالى ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم * ولدينا مزيد زيادة أو شيء مزيد على مايشاؤن ونحوه * فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين وكما جاء في الحديث أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ماأطلعتهم عليه ومزيد مبهم فقيل مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها * وقيل أزواج من حور الجنة * وقيل تجلي الله تعالى لهم حتى يرونه * قوله عز وجل ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص * إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب * فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود * واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج * انا نحن نحيي ونميت والينا المصير * يوم تشقق الأرض عنهم

سراعا ذلك حشر علينا يسير * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ أى كثيرا أهلكنا أى قبل قريش هم أشد منهم بطشا لكثرة قوتهم وأموالهم * وقرأ الجمهور فنقبوا بفتح القاف مشددة والظاهر أن الضمير فى نقبوا عائد على كم أى دخلوا البلاد من أنقابها والمعنى طافوا فى البلاد * وقيل نقروا و بحثوا والتنقيب التنقير والبحث * قال امرؤ القيس فى معنى التطواف

وقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

* وروى وقد طوفت * وقال الحرث بن خلدة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الأرض كل مجال

وفنقبوا متسبب عن شدة بطشهم فهى التى أقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه و يجوز أن يعود الضمير فى فنقبوا على قريش أى فنقبوا فى أسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا محيصا حتى يؤملوا لانفسهم و يدل على عود الضمير على أهل مكة قراءة ابن عباس وابن يعمر وأبى العالية ونصر بن يسار وأبى حيوة والأصمعى عن أبى عمرو بكسر القاف مشددة على الامر لاهل مكة أى فسيحوا فى البلاد وابحثوا * وقرئ بكسر القاف خفيفة أى نقبت أقدامهم وأخفاف ابلهم أو حفيت لكثرة تطوافهم فى البلاد من نقب خف البعير اذا انتقب ودمى و يحتمل أن يكون هل من محيص على اضمار القول أى يقولون هل من محيص من الهلاك واحتمل أن لا يكون ثم قول أى لا محيص من الموت فيكون توقيفا وتقريرا * ان فى ذلك أى فى اهلاك تلك القرون لذكرى لتذكرة واتعاظا لمن كان له قلب أى واع والمعنى لمن له عقل وعبر عنه بمحله ومن له قلب لا يعى كمن لا قلب له * وقرأ الجمهور أو ألقى السمع مبنيا للفاعل والسمع نصب به أى أو أصغى سمعه مفكرا فيه وشهيد من الشهادة وهو الحضور * وقال قتادة لمن كان له قلب من أهل الكتاب فيعتبر و يشهد بصحتها لعلمه بذلك من التوراة فشهيد من الشهادة * وقرأ السلمى وطلحة والسدى وأبو البرهسم أو ألقى مبنيا للمفعول السمع رفع به أى السمع منه أى من الذى له قلب * وقيل المعنى أو لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه ولم يحضر ذهنه أى الملقى والفاتح والملقى له والمفتوح أذنه حاضر الذهن متفطن وذكر لعاصم أنها قراءة السدى فقته وقال أليس يقول يلقون السمع * ولقد خلقنا السموات والأرض نزلت فى اليهود تكذيبا لهم فى قولهم انه تعالى استراح من خلق السموات والأرض فى ستة أيام يوم السبت واستلقى على العرش * وقيل التشبيه الذى وقع فى هذه الامة انما أخذ من اليهود * وما مسنا من لغوب احتمل أن تكون جملة حالية واحتمل أن تكون استئنافا واللغوب الاعياء * وقرأ الجمهور بضم اللام وعلى والسلمى وطلحة و يعقوب بفتحها وهما مصدران الأول مقيس وهو الضم وأما الفتح فغير مقيس كالقبول والولوع و ينبغى أن يضاف الى تلك الخمسة التى ذكرها سيبويه وزاد الكسائى الوزوع فتصير سبعة * فاصبر قيل منسوخ بآية السيف على ما يقولون أى اليهود وغيرهم من الكفار قريش وغيرهم وسبح بحمد ربك أى فصل قبل طلوع الشمس هى صلاة الصبح وقبل الغروب هى صلاة العصر قاله قتادة وابن زيد والجمهور * وقال ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل صلاة العشاءين وقبل الغروب ركعتان قبل المغرب وفى صحيح مسلم عن أنس ما معناه ان الصحابة كانوا يصلونها قبل المغرب * وقال قتادة ما أدركت أحدا يصليها إلا أنسا وأبا برزة الأسلمى * وقال بعض التابعين كان الصحابة

الظرف فجعل خبرا عن المصدر و يوم بدل من اليوم الثانى وانتصب سراعا على الحال من الضمير فى عنهم والعامل تشقق ﴿ ذلك حشر علينا يسير ﴾ فصل بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة وهو علينا أى يسير علينا وحسن ذلك لأجل كون الصفة فاصلة ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ هذا وعيد محض للكفار وتهديد لهم وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أى بمتسلط حتى تجبرهم على الايمان ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ لأن من لا يخاف الوعيد لكونه غير مصدق بوقوعه لا يذكر اذ لا تنفع فيه الذكرى كما قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وختمت بقوله فذكر بالقرآن كما افتتحت بق والقرآن المجيد

يهبون اليهما كما يهبون الى المكتوبة * وقال ابن زيد هي العشاء فقط * وقال مجاهد هي صلاة الليل وأدبار السجود * قال أبو الأحوص هو التسبيح في أدبار الصلوات * وقال عمر وعلي وأبو هريرة والحسن والشعبي وابراهيم ومجاهد والأوزاعي هما ركعتان بعد المغرب * وقال ابن عباس هو الوتر بعد العشاء * وقال ابن عباس ومجاهد أيضا وابن زيد النوافل بعد الفرائض * وقال مقاتل ركعتان بعد العشاء يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد * وقرأ ابن عباس وأبو جعفر وشيبة وعيسى والأعمش وطلحة وشبل وحمزة والحرميان وإدبار بكسر الهمزة وهو مصدر تقول أدبرت الصلاة انقضت وتمت * وقال الزمخشري وغيره معناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم * وقرأ الحسن والأعرج وباقي السبعة بفتحها جمع دبر كطنب وأطناب أي وفي أدبار السجود أي أعقابه * قال أوس بن حجر

على دبر الشهر الحرام فأرضنا * وما حولها جدب سنون تلمع

واستمع أمر بالاستماع والظاهر انه أريد به حقيقة الاستماع والمستمع له محذوف تقديره واستمع لما أخبر به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب يوم بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور * وقيل مفعول استمع محذوف تقديره نداء المنادي * وقيل تقديره نداء الكافر بالويل والثبور * وقيل لا يحتاج الى مفعول إذ حذف اقتصارا والمعنى كن مستمعا ولا تكن غافلا معرضا * وقيل معنى واستمع وانتظر والخطاب لكل سامع * وقيل للرسول أي ارتقبه فان فيه تبين صحة ما قلته كما تقول لمن تعده بورود فتح استمع كذا وكذا أي كن منتظرا له مستمعا فيوم منتصب على أنه مفعول به * وقرأ ابن كثير المنادي بالياء وصلا ووقفا ونافع وأبو عمرو بحذف الياء وقفا وعيسى وطلحة والأعمش وباقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا اتباعا لخط المصحف ومن أثبتها فعلى الأصل ومن حذفها وقفا فلان الوقف تغيير يبدل فيه التنوين ألفا نصبا والتاء هاء ويشدد المخفف ويحذف الحرف في القوافي والمنادي في الحديث ان ملكا ينادي من السماء أيتها الأجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة هلموا الى الحشر والوقوف بين يدي الله تعالى * من مكان قريب وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق * قيل والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي * وقيل المنادي جبريل * وقال كعب وقتادة وغيرهما المكان صخرة بيت المقدس قال كعب قربها من السماء بثمانية عشر ميلا كذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب الزمخشري باثني عشر ميلا وهي وسط الأرض انتهى ولا يصح ذلك إلا بوحي * يوم يسمعون بدل من يوم ينادي والصيحة صيحة المنادي * قيل يسمعون من تحت أقدامهم * وقيل من تحت شعورهم وهي النفخة الثانية وبالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر * ذلك أي يوم النداء والسماع يوم الخروج من القبور * وقيل الاشارة بذلك الى النداء واتسع في الظرف فجعل خبرا عن المصدر أو يكون على حذف أي ذلك النداء نداء يوم الخروج أو وقت النداء يوم الخروج * وقرأ نافع وابن عامر تشقق بشد الشين وباقي السبعة بتخفيفها وقرئ تشقق بضم التاء مضارع شققت على البناء للمفعول وتنشق مضارع انشقت * وقرأ زيد بن علي تتشقق بفك الادغام ذكره أبو علي الأهوازي في قراءة زيد بن علي من تأليفه ويوم بدل من يوم الثاني * وقيل منصوب بالمصدر وهو الخروج * وقيل المصير وانتصب سراعا على الحال من الضمير في عنهم والعامل تشقق * وقيل محذوف تقديره

يخرجون فهو حال من الواو في يخرجون قاله الحوفي ويجوز أن يكون هذا المقدر عاملا في يوم تشقق * ذلك حشر علينا يسير فصل بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة وهو علينا أي يسير علينا وحسن ذلك كون الصفة فاصلة * وقال الزمخشري علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك اليوم العظيم إلا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة انتهى وهو على طريقه في أن تقديم المفعول وما أشبهه من دلالة ذلك على الاختصاص وقد بحثنا معه في ذلك في سورة الفاتحة في إياك نعبد * نحن أعلم بما يقولون هذا وعيد محض للكفار وتهديد لهم وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم * وما أنت عليهم بجبار بمتسلط حتى تجبرهم على الايمان قاله الطبري * وقيل التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم * فذكر بالقرآن من يخاف وعيد لأن من لا يخاف الوعيد لكونه غير مصدق بوقوعه لا يذكر إذ لا تنفع فيه الذكرى كما قال وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وختمت بقوله فذكر بالقرآن كما افتتحت بق والقرآن

## ﴿ سورة الذاريات ستون آية مكية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والذاريات ذروا * فالحاملات وقرا * فالجاريات يسرا * فالمقسمات أمرا * إنما توعدون لصادق * وإن الدين لواقع * والسماء ذات الحبك * إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك * قتل الخراصون * الذين هم في غمرة ساهون * يسئلون أيان يوم الدين * يوم هم على النار يفتنون * ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون * إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم * وفي الارض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون * وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون * هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه اليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم * قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم * قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة عند ربك للمسرفين * فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم * وفي موسى إذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين * فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم * وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم * وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون * فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين * والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون * ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين * كذلك ما أتى الذين من قبلهم

( الدر )

(ش) علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة انتهى

﴿سورة والذاريات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿والذاريات ذروا﴾ الآية هذه السورة مكية * ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقال أول



هذه بعد القسم ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع والذاريات الرياح والحاملات السحاب والجاريات الفلك والمقسمات الملائكة هذا تفسير على كرم الله وجهه على المنبر وقد سأله ابن الكوا وقاله ابن عباس والظاهر أن الآية فى الكفار وأنه وعيد محض ﴿وان الدين﴾ الجزاء ﴿لواقع﴾ أى صادر حقيقة على المكلفين من الانس والجن والظاهر فى والسماء أنه جنس أريد به جميع السموات ﴿ذات الحبك﴾ أى ذات الخلق المستوى الجيد وقيل ذات الطرائق يعنى المجرة التى فى السماء وجواب القسم أنكم لفى قول مختلف والظاهر أنه خطاب عام للمسلم والكافر كما أن جواب القسم السابق يشملهما واختلافهم كونهم مؤمنا بالرسول وكتابه وكافرا به ﴿يؤفك﴾ أى يصرف ﴿عنه﴾ أى عن القرآن أو الرسول ﴿من

من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون * فتول عنهم فما أنت بملوم * وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين * وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين * فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون * فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ﴾ * الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء القائم اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره * قال الشاعر

مكلل بأصول النجم ينسجه * ريح خريق لضاحى مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق وواحدها حبيكة كطريقة وطرق أو حباك كمثال ومثل قال الراجز

كأنما جللها الحوّاك * طنفسة فى وشيها حباك

ويقال حباك للظفيرة التى يشد بها خطار القصب بكرد وهى مستطيلة تصنع فى ترحيب الغراسات المصطفة * وقال ابن الاعرابى حبكت الشئ أحكمته وأحسنت عمله * قال الفراء الحبك تكسر كل شئ * وقال غيره المحبوك الشديد الخلق من فرس وغيره * قال امرؤ القيس

قد غدا يحملنى فى أنفه * لاحق الأطلين محبوك ممر

المجوم النوم * السمن معروف وهو امتلاء الجسد بالشحم واللحم يقال سمن سمنا فهو سمين شذوا فى المصدر واسم الفاعل والقياس سمن وسمن وقالوا سامن اذا حدث له السمن * الذنوب الدلو العظيمة * قال الراجز

إنا اذا نازلنا غريب * له ذنوب ولنا ذنوب

* وان أبيتم فلنا القليب *

وأنشده الزمخشرى * لنا ذنوب ولكم ذنوب * ويطلق ويراد به الحظ والنصيب * قال علقمة بن عبدة

وفى كل حى قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

ونسبه الزمخشرى لعمرو بن شاس وهو وهم وهو فى ديوان علقمة * وكان الحارث بن أبى شمر الغسانى أسر شاسا أخا علقمة فدخل اليه علقمة فمدحه بالقصيدة التى فيها هذا البيت فلما وصل الى هذا البيت فى الانشاد قال الحرث نعم وأذنبه * وقال حسان

لا يبعدن ربيعة بن مكرم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

﴿وقال آخر﴾

لعمرك والمنايا طارقات * لكل بنى أب منها ذنوب

﴿والذاريات ذروا * فالحاملات وقرا * فالجاريات يسرا * فالمقسمات أمرا * إنما توعدون لصادق * وإن الدين لواقع * والسماء ذات الحبك * إنكم لفى قول مختلف * يؤفك عنه من

(الدر)

(ش) قال عمرو بن شاس وفى كل حى قد خبطت بنعمة * البيت انتهى (ح) نسبة البيت لعمرو بن شاس وهم وهو لعلقمة بن عبدة وفى ديوانه وكان الحرث بن أبى شمر الغسانى أسر شاسا أخا علقمة فدخل اليه علقمة ومدحه بالقصيدة فيها هذا البيت فلما وصل فى الانشاد الى هذا البيت قال له الحرث نعم وأذنبه

أفك ﴾ أي من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم ﴿ قتل الخراصون ﴾ دعاء عليهم وهم أصحاب القول المختلف مكذبو الرسول عليه السلام ﴿ في غمرة ﴾ في جهل يغمرهم ﴿ ساهون ﴾ غافلون عما أمروا به ﴿ أيان يوم الدين ﴾ أي متى وقت الجزاء سؤال تكذيب واستهزاء ﴿ يوم هم ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أي الجزاء ﴿ يفتنون ﴾ أي يعذبون في النار ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ أي يقال لهم ذوقوا ﴿ هذا الذي ﴾ مبتدأ وخبر واستعجالهم قولهم أيان يوم الدين ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين وانتصب ﴿ آخذين ﴾ على الحال أي قابليه راضين به وذلك في الجنة والظاهر أن ﴿ قليلا ﴾ ظرف وهو في الأصل صفة أي كانوا في قليل ﴿ من الليل ﴾ ويجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف تقديره كانوا يهجعون هجوعا قليلا وما زائدة في كلا الاعرابين



﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ فيه ظهور على أن تهجدهم يتصل بالأسحار فيأخذون في الاستغفار مما يمكن أن يقع فيه تقصير والأسحار مظنة الاستغفار والحق هنا هو الزكاة المفروضة والسائل الذي يستعطي والمحروم الممنوع من الشيء ﴿ وفي الأرض آيات ﴾ تدل على الصانع وقدرته وتدبيره من حيث هي كالبساط لما فوقها وفيها الفجاج المسالك وهي متجزئة من سهل ووعر وبحر وبر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة ومنبتة وسبخة وتلقح بأنواع النبات وفيها العيون والمعادن والدواب المنبثة في بحرها وبرها المختلفة الأشكال ﴿ للموقنين ﴾ وهم الذين نظروا النظر الصحيح وأداهم ذلك الى ايقان ما جاءت به الرسل فأيقنوا به ولم يدخلهم في ذلك ريب ﴿ وفي أنفسكم ﴾ في حال ابتدائها وانتقالها من حال الى حال وما أودع في شكل الانسان من لطائف الحواس وما ترتب على العقل الذي أوتيه من بدائع العلوم وغرائب الصنائع وغير ذلك مما لا ينحصر ﴿ وفي السماء رزقكم ﴾ وهو المطر والثلج لأنه سبب الأقوات وكل عين دائمة هي من الثلج ﴿ وما توعدون ﴾ هي الجنة والضمير في انه عائد على الاخبار السابق من الله تعالى فيما تقدم في هذه السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء وكونهم في قول مختلف وقتل الخراصين وكينونة المتقين في الجنة على ما وصف وذكر أوصافهم وما ذكر بعد ذلك ولذلك شبه في الحقيقة بما يصدر من نطق الانسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام وقرئ مثل بالرفع صفة لحق وقرئ بالفتح وهي حركة بناء لما أضيف الى مبني بني وينسبك ما بعده مصدر تقديره مثل نطقكم أي لحق مثل حق نطقكم

---

أفك * قتل الخراصون * الذين هم في غمرة ساهون * يسألون أيان يوم الدين * يوم هم على النار يفتنون * ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون * إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم * وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون * وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها انه قال فذكر بالقرآن من يخاف وعيد * وقال أول هذه بعد القسم انما توعدون لصادق وان الدين لواقع * والذاريات الرياح * فالحاملات السحاب * فالجاريات الفلك * فالمقسمات الملائكة هذا تفسير علي كرم الله وجهه على المنبر وقد سأله ابن الكوا قاله ابن عباس * وقال ابن عباس أيضا فالحاملات هي السفن الموقرة بالناس وأمتاعهم * وقيل الحوامل من جميع الحيوان * وقيل الجاريات السحاب بالرياح * وقيل الجواري من الكواكب وأدغم أبو عمرو وحمزة والذاريات في ذال ذروا وذر وهاتفرقه من المطر أو التراب * وقرئ بفتح الواو وتسمية للمحمول بالمصدر ومعنى يسرا جريا ذا يسر أي سهولة فيسرا مصدر وصف به على تقدير محذوف فهو على رأي سيبويه في موضع الحال أمرا تقسم الأمور من الامطار والأرزاق وغيرها فأمرا مفعول به * وقيل مصدر منصوب على الحال أي مأمورة ومفعول المقسمات محذوف * وقال مجاهد يتولى أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الأرواح واسرافيل للنفخ وجاء في الملائكة فالمقسمات على معنى الجماعات * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد الرياح لا غير لأنها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف الرياح انتهى فاذا كان المدلول متغايرا فتكون أقساما متعاقبة واذا كان غير متغاير فهو قسم واحد وهو من عطف الصفات أي ذرت أول هبوبها التراب والحصباء فأقلت السحاب فجرت في الجو باسطة السحاب فقسمت المطر فهذا كقوله

يالهف زيابة للحارث الـ * صابح فالغانم فالآيب

أي الذي صبح العدو فغنم منهم فآب الى قومه سالما غانما والجملة المقسم عليها وهي جواب القسم هي انما توعدون وما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف أي توعدونه ويحتمل أن تكون مصدرية أي انه وعدكم أو وعيدكم اذ يحتمل توعدون الأمرين أن يكون مضارع وعد ومضارع أوعد ويناسب أن يكون مضارع أوعد لقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ولان المقصود التخويف والتهويل ومعنى صدقه تحقق وقوعه والمتصف بالصدق حقيقة هو الخبر وقال تعالى ذلك وعد غير مكذوب أي مصدوق فيه * وقيل لصادق ووضع اسم الفاعل موضع المصدر ولا حاجة الى هذا التقدير * وقال مجاهد الأظهر ان الآية في الكفار وانه وعيد محض وان الدين أي الجزاء لواقع أي صادر حقيقة على المكلفين من الانس والجن والظاهر في السماء انه جنس أريد به جميع السموات * وقال عبدالله بن عمرو بن العاص هي السماء السابعة * وقيل السحاب الذي يظل الأرض ذات الحبك أي ذات الخلق المستوي الجيد قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والربيع * وقال الحسن وسعيد بن جبير ذات الحبك أي الزينة بالنجوم * وقال الضحاك ذات الطرائق يعني من المجرة التي في السماء * وقال ابن زيد ذات الشدة لقوله سبعا شدادا * وقيل ذات الصفاقة * وقرأ الجمهور الحبك بضمتين وابن عباس والحسن بخلاف عنه وأبو مالك الغفاري وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو السمال ونعيم عن أبي عمرو باسكان الباء وعكرمة بفتحها جمع حبكة مثل طرفة وطرف وأبو مالك الغفاري والحسن بخلاف عنه بكسر الحاء والباء وأبو مالك الغفاري والحسن أيضا وأبو حيوة بكسر الحاء واسكان الباء وهو تخفيف فعل المكسور هما وهو اسم مفرد لا جمع لان فعلا ليس من أبنية الجموع فينبغي أن يعد مع ابل فيما جاء من الأسماء على فعل بكسر الفاء والعين وابن عباس أيضا وأبو مالك بفتحهما * قال أبو الفضل الرازي فهو جمع حبكة مثل عقبة وعقب انتهى والحسن أيضا الحبك بكسر الحاء وفتح الباء وقرأ أيضا كالجمهور فصارت قراءته خمسا الحبك الحبك الحبك الحبك الحبك * وقرأ أبو مالك أيضا الحبك بكسر الحاء وضم الباء وذكرها ابن عطية عن الحسن فتصير له ست قراآت * وقال صاحب اللوامح وهو عديم النظير في العربية في أبنيتها وأوزانها ولا أدري ما رواه انتهى * وقال ابن عطية هي قراءة شاذة غير متوجهة وكأنه أراد كسرها ثم توهم الحبك قراءة الضم بعد أن كسر الحاء وضم الباء وهذا على تداخل اللغات وليس في كلام العرب هذا البناء انتهى وعلى هذا تأول النحاة هذه القراءة والأحسن عندي أن تكون مما اتبع فيه حركة الحاء لحركة ذات في الكسرة ولم يعتد باللام الساكنة لان الساكن حاجز غير حصين وجواب القسم انكم لفي قول مختلف والظاهر أنه خطاب عام للمسلم والكافر كما ان جواب القسم السابق يشملهما واختلافهم كونهم مؤمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم وكتابه وكافرا * وقال ابن زيد خطاب للكفرة فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون * وقال الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا انما يكون متناقضا مختلفا * وقيل اختلافهم في الحشر منهم من ينفيه ومنهم من يشك فيه * وقيل اختلافهم اقرارهم بان الله تعالى أوجدهم وعبادتهم غيره والأقوال التي يقولونها في آلهتهم * يؤفك أي يصرف عنه أي عن القرآن والرسول قاله الحسن وقتادة * من أفك أي من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم لقوله لا يهلك على الله الا هالك * وقيل من صرف في سابق علم الله تعالى انه مأفوك عن الحق لا يرعوي * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للذي أقسم بالسماء

على انهم فى قول مختلف فى وقوعه فنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك * وقيل المأفوك عنه محذوف وعن هنا للسبب والضمير عائد على قول مختلف أى يصرف بسببه من أراد الاسلام بان يقول هو سحر هو كهانة حكاه الزهراوى والزمخشرى وأورده على عادته فى ابداء ما هو محكى عن غيره انه مخترعه * وقال ابن عطية ويحتمل أن يعود على قول مختلف والمعنى يصرف عنه بتوفيق الله الى الاسلام من غلبت سعادته وهذا على أن يكون فى قول مختلف للكفار الا ان عرف الاستعمال فى افكه الصرف من خير الى شر فلذلك لا تجده الا فى المذمومين انتهى وفيه بعض تلخيص * وقرأ ابن جبير وقتادة من أفك مبنيا للفاعل أى من افك الناس عنه وهم قريش * وقرأ زيد بن على يأفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب * وقرئ يؤفن عنه من أفن بالنون فيهما أى يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا * قتل الخراصون أى قتل الله الخراصين وهم المقدرون ما لا يصح * فى غمرة فى جهل يغمرهم ساهون غافلون عن ما أمروا به * أيان يوم الدين أى متى وقت الجزاء سؤال تكذيب واستهزاء وتقدمت قراءة من كسر الهمزة فى قوله أيان مرساها وأيان يوم الدين فيكون الظرف محلا للمصدر وانتصب يومهم بمضمر تقديره هو كائن أى الجزاء قاله الزجاج وجوزوا أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هو يومهم والفتحة فتحة بناء لاضافته الى غير متمكن وهى الجملة الاسمية ويؤيده قراءة ابن أبى عبلة والزعفرانى يومهم بالرفع واذا كان ظرفا جاز أن تكون الحركة فيه حركة اعراب وحركة بناء وتقدم الكلام على اضافة الظرف المستقبل الى الجملة الاسمية فى غافر فى قوله تعالى يومهم بارزون * وقال بعض النحاة يومهم بدل من يوم الدين فيكون هنا حكاية من كلامهم على المعنى ويقولون ذلك على سبيل الاستهزاء ولو حكى لفظ قولهم لكان التركيب يوم نحن على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم أى يقال لهم ذوقوا * هذا الذى مبتدأ وخبر * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أى ذوقوا هذا العذاب انتهى وفيه بعد والاستقلال خير من البدل ومعنى تفتنون تعذبون فى النار ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين وانتصب آخذين على الحال أى قابليه راضين به وذلك فى الجنة * وقال ابن عباس آخذين أى فى دنياهم ما آتاهم ربهم من أوامره ونواهيه وشرعه فالحال محكية لتقدمها فى الزمان على كونهم فى الجنة والظاهر أن قليلا ظرف وهو فى الأصل صفة أى كانوا فى قليل من الليل وجوز أن يكون نعتا لمصدر محذوف أى كانوا يهجعون هجوعا قليلا وما زائدة فى كلا الاعرابين وفسر أنس بن مالك ذلك فقال كانوا يتنفلون بين المغرب والعشاء ولا يدل لفظ الآية على الاقتصار على هذا التفسير * وقال الربيع بن خيثم كانوا يصيبون من الليل حظا * وقال مطرف ومجاهد وابن أبى نجيح قل ليلة أتت عليهم هجوعا كلها * وقال الحسن كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا * وقال الضحاك كانوا قليلا أى فى عددهم وثم خبر كان ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون فما نافية وقليلا وقف حسن وهذا القول فيه تفكيك للكلام وتقدم معمول العامل المنفى بما على عامله وذلك لا يجوز عند البصريين ولو كان ظرفا أو مجرورا وقد أجاز ذلك بعضهم وجاء فى الشعر قوله

اذا هى قامت حاسرا مشمعلة * (٢) يحسب الفؤاد رأسها ما تقنع

فقدم رأسها على ما تقنع وهو منفى بما وجوزوا أن تكون ما مصدرية فى موضع رفع بقليلا أى كانوا قليلا هجوعهم وهو اعراب سهل حسن وأن تكون ما موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف تقديره

كانوا قليلا من الليل من الوقت الذى يهجعون فيه وفيه تكلف ومن الليل يدل على أنهم مشغولون بالعبادة فى أوقات الراحات وسكون الانفس من مشاق النهار * وبالاسحار هم يستغفرون فيه ظهور على أن تهجدهم يتصل بالاسحار فيأخذون فى الاستغفار مما يمكن أن يقع فيه تقصير وكأنهم أجرموا فى تلك الليالى والاسحار مظنة الاستغفار * وقال ابن عمر والضحاك يستغفرون يصلون * وقال الحسن يدعون فى طلب المغفرة والظاهر أن قيام الليل وهذا الحق فى المال هو من المندوبات وأكثر ما تقع زيادة الثواب بفعل المندوب * وقال القاضى منذر بن سعيد هذا الحق هو الزكاة المفروضة وضعف بأن السورة مكية وفرض الزكاة بالمدينة * وقيل كان فرضا ثم نسخ وضعف بأنه تعالى لم يشرع شيأ بمكة قبل الهجرة من أخذ الأموال * والسائل الذى يستعطى * والمحروم لغة الممنوع من الشئ * قال علقمة

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمة * أنى توجه والمحروم محروم

وأما فى الآية فالذى يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه * وقيل الذى تبعد منه ممكنات الرزق بعد قربها منه فيناله الحرمان * وقال ابن عباس المحارب الذى ليس له فى الاسلام سهم مال * وقال زيد بن أسلم هو الذى أجيحت ثمرته * وقيل الذى ماتت ماشيته * وقال عمر بن عبد العزيز هو الكلب * وقيل الذى لا ينمى له مال * وقيل المحارف الذى لا يكاد يكسب * وقيل غير ذلك وكل هذه الأقوال على سبيل التمثيل لا التعيين ويجمعها أنه الذى لا مال له لحرمان أصابه * وفى الأرض آيات تدل على الصانع وقدرته وتدبيره من حيث هى كالبساط لما فوقها وفيها الفجاج للسلاك وهى متجزئة من سهل ووعر وبحر وبر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة ومنبتة وسبخة وتلقح بأنواع النبات وفيها العيون والمعادن والدواب المنبثة فى بحرها وبرها المختلفة الاشكال * وقرأ قتادة آية على الافراد للموقنين وهم الذين نظروا النظر الصحيح وأداهم ذلك الى ايقان ما جاءت به الرسل فأيقنوا لم يدخلهم ريب * وفى أنفسكم حال ابتدائها وانتقالها من حال الى حال وما أودع فى شكل الانسان من لطائف الحواس وما ترتب على العقل الذى أوتيه من بدائع العلوم وغريب الصنائع وغير ذلك مما لا ينحصر * وفى السماء رزقكم * قال الضحاك ومجاهد وابن جبير المطر والثلج لانه سبب الاقوات وكل عين دائمة من الثلج * وقال مجاهد أيضا وواصل الاحدب أراد القضاء والقدر أى الرزق عند الله يأتى به كيف شاء وما توعدون الجنة أوهى النار أو أمر الساعة أو من خير وشر أو من ثواب وعقاب أقوال المراد بها التمثيل لا التعيين * وقرأ ابن محيصن أرزاقكم على الجمع والضمير فى انه عائد على القرآن أو الى الدين الذى فى قوله وان الدين لواقع أو الى اليوم المذكور فى قوله ايان يوم الدين أو الى الرزق أو الى الله أو الى النبى صلى الله عليه وسلم أقوال منقولة والذى يظهر أنه عائد على الاخبار السابق من الله تعالى فيما تقدم فى هذه السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء وكونهم فى قول مختلف وقتل الخراصون وكينونة المتقين فى الجنة على ما وصف وذكر أوصافهم وما ذكر بعد ذلك ولذلك شبه فى الحقيقة بما يصدر من نطق الانسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام * وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر والحسن وابن أبى اسحق والأعمش بخلاف عن ثلاثتهم مثل بالرفع صفة لقوله لحق وباقى السبعة والجمهور بالنصب * وقيل هى فتحة بناء وهو نعت كحاله فى قراءة من رفع ولما أضيف الى غير متمكن بنى وما على هذا الاعراب زائدة للتوكيد والاضافة هى الى أنكم تنطقون * وقال المازنى بنى مثل لأنه ركب مع ما فصار شيأ واحدا ومثله ويحما وهيا

﴿هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين﴾ الآية هل أتاك تقرير لتجمع نفس المخاطب كما تبدأ المرء اذا أردت أن تحدثه بعجيب فتقرره هل سمع ذلك أم لا فكأنك تقتضي أن يقول لا و يستطعمك الحديث و بدأ بقصة ابراهيم عليه السلام وان كانت متأخرة عن قصة عاد هزاً للعرب اذ كان أباهم الاعلى ولكون الرسل الذين وفدوا عليه جاؤا باهلاك قوم لوط اذ كذبوه ففيه وعيد للعرب وتهديد واتعاظ وتسلية للرسول عليه السلام عما يجري عليه من قومه و وصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند الله تعالى وتقدم ذكر عددهم في سورة هود واذ معمولة لقوله حديث وضيف الجماعة والواحد فيه سواء والظاهر أنهم دخلوا عليه بغير استئذان منه لهم وانتصب سلاما على اضمار فعل تقديره سلمنا سلاما وفي ذلك دليل على أن الوارد على قوم يبدأهم بالسلام و يردون عليه وارتفع سلام على اضمار تقديره عليكم سلام (١٣٧) ﴿قوم منكرون﴾ الذي يناسب حال ابراهيم عليه السلام أنه لايخاطبهم بذلك اذ فيه من عدم الانس مالا يخفى بل يظهر انه يكون التقدير هؤلاء قوم منكرون وقال ذلك مع نفسه أو لمن كان من أتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الاضياف والظاهر ان أنتم خطاب للضيف والمعنى انكم قوم لم يتقدم لنا علم بكم فاخبروه أنهم رسل الله ﴿فراغ الى أهله﴾ أي مضى الى أهله فجاء بعجل سمين فيه دليل على المبادرة لاكرام الضيف وتقديم أحسن مايقدم للضيف ﴿فقربه اليهم﴾ فيه أدب الضيف من تقريب القرا لمن يأكل وفيه العرض على الأكل فان في ذلك



تأنيسا للأكل وثم صفة محذوفة تقديره سمين محنوذ أي مشوي ﴿فأوجس منهم خيفة﴾ أي فلما استمروا على الامتناع من الأكل أوجس منهم خيفة وذلك أن أكل الضيف أمنة ودليل على انبساط نفسه وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة فخشي ابراهيم عليه السلام أن يكون امتناعهم من أكل طعامه انما هو لشر يريدونه ﴿قالوا لاتخف﴾ وعرفوه أنهم ملائكة الله تعالى ﴿و بشروه بغلام﴾ ووقعت البشارة بعد التأنيس والجلوس وكانت البشارة بذكر لانه أسر للنفس وأبهج ووصفه بعليم لانها الصفة التي يختص بها الانسان الكامل وفيه تبشير بحياته حتى يكون من العلماء ﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ أي الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم وتسمع كلامهم والصرة الصيحة وقيل الجماعة من النسوة ﴿فصكت وجهها﴾ أي لطمته وهو فعل النساء اذا تعجبن من شيء ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أي أنا قد اجتمع في أني عجوز وذلك مانع من الولادة وأني عقيم لم ألد قط فكيف ألد تعجبت

---

وايضا قال حميد بن ثور

الاهيا مما لقيت وهيا * وويحا لمن لم يلق منهن ويحما

قال فلولا البناء لكان منونا وقال الشاعر

* فأكرم بنا أما وأكرم بنا ابنما *

انتهى هذا التخريج وابنما ليس ابنا بني مع ما بل هذا من باب زيادة الميم فيه واتباع ما في الآخر اذ جعل في الميم الاعراب تقول هذا ابنم ورأيت ابنما ومررت بابنم وليست ما في الثلاث في ابنما مركبة مع ما كما قال بل الفتحة في ابنما حركة اعراب وهو منصوب على التمييز وأنشد النحويون في بناء الاسم مع الحرف قول الراجز

أثور ما أصيدكم أو ثورين * أم تيكم الجماء ذات القرنين

* وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره انه لحق حقا مثل ما أنكم فحركته حركة اعراب * وقيل انتصب على أنه حال من الضمير المستكن في لحق * وقيل حال من لحق وان كان نكرة فقد أجاز ذلك الجرمي وسيبويه في مواضع من كتابه والنطق هنا عبارة عن الكلام بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني و يقول الناس هذا حق كما أنك ههنا وهذا حق كما أنك ترى وتسمع وهذا كما في الآية وما زائدة بنص الخليل ولا يحفظ حذفها فتقول هذا حق كأنك ههنا والكوفيون يجعلون مثلا محلا فينصبونه على الظرف و يجيزون زيد مثلك بالنصب فعلى مذهبهم يجوز أن تكون مثل فيها منصوبا على الظرف واستدلالهم والرد عليهم مذكور في النحو ومن كلام بعض الاعراب من ذا الذي أغضب الخليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه الى اليمين * قوله عز وجل ﴿هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون * فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه اليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف و بشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم *﴾

﴿ قالوا كذلك ﴾ أي مثل ذلك القول الذي أخبرناك به ﴿ قال ربك ﴾ وهو القادر على ايجاد ما يستبعد ولما علم ابراهيم عليه السلام انهم ملائكة وانهم لا ينزلون إلا باذن الله رسلا ﴿ قال فما خطبكم ﴾ والخطب الأمر الذي فيه غرابة وفي قوله ﴿ أيها المرسلون ﴾ دليل على أنه عرفهم أنهم رسل الله تعالى جاؤا بأمر عظيم ﴿ الى قوم مجرمين ﴾ أي ذوي جرائم وهي كبار المعاصي من كفر وغيره وأتى بقوم نكرة وقد صرح في آية أخرى إنا أرسلنا الى قوم لوط ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين ﴾ أي لنهلكهم بها وهو السجيل طين يطبخ كما يطبخ الآجر حتى يصير في صلابة الحجارة ﴿ مسوّمة ﴾ معلمة على كل حجر منها اسم صاحبه ﴿ للمسرفين ﴾ وهم المجاوزون الحد في الكفر وغيره ﴿ فأخرجنا ﴾ هو من كلام الله تعالى ﴿ من كان فيها ﴾ أي في القرية التي حل العذاب بأهلها ﴿ غير بيت ﴾ هو بيت لوط وهو لوط عليه السلام وابنتاه فقط وقيل ثلاثة عشر نفسا ﴿ وتركنا فيها ﴾ أي في القرية ﴿ آية ﴾ علامة قال ابن جريج حجرا كبيرا جدا منضودا وقيل ماء اسود منتن ويجوز أن يكون فيها عائدا على الاهلاكة التي أهلكوها فانها من أعاجيب الاهلاك بجعل أعالي القرية أسافل وإمطار الحجارة والظاهر أن قوله وفي موسى معطوف على وتركنا فيها أي وفي قصة موسى وقال الزمخشري وابن عطية يكون عطفا على وفي الأرض آيات للموقنين وفي موسى وهذا بعيد جدا ينزه القرآن عن مثله ﴿ بسلطان مبين ﴾ هو البرهان الذي ظهر على يديه من قلب العصا واليد البيضاء وغير ذلك ﴿ فتولى بركنه ﴾ أي أعرض وازور كما قال ونأى بجانبه ﴿ وقال ساحر أو مجنون ﴾ تردد في كذبه ﴿ فنبذناهم في اليم ﴾ أي رميناهم في البحر كما يرمى الحصا ﴿ وهو مليم ﴾ أي أتى من المعاصي بما يلام عليه من دعواه الالهية وغير ذلك والعقيم التي لا خير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر ﴿ ما تذر من شئ أتت عليه ﴾ أي سلطت عليه ﴿ الا جعلته كالرميم ﴾ جملة حالية والرميم تقدم تفسيره في يس ﴿ تمتعوا حتى حين ﴾ قال الحسن هذا كان حين بعث اليهم صالح أمروا بالايمان بما جاء به والتمتع الى أن تأتي آجالهم ثم انهم عتوا بعد ذلك ولذلك جاء العطف بالفاء المقتضية تأخر العتو عن ما أمروا به فهو مطابق لفظا ووجودا والصاعقة الصيحة ﴿ وهم ينظرون ﴾ أي فجأة وهم ينظرون بعيونهم وكانت نهارا أو وهم ينظرون ينتظرون ذلك في تلك الأيام الثلاثة التي أعلموا فيها ورأوا علاماته في قلوبهم وانتظار العذاب أشد من العذاب ﴿ فما استطاعوا من قيام ﴾ كقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين ونفي الاستطاعة أبلغ من نفي القدرة ﴿ وما كانوا منتصرين ﴾ أبلغ من نفي الانتصار أي فما قدروا على الهرب

---

قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم * قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا الى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة عند ربك للمسرفين * فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم * وفي موسى إذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين * فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم * وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم * وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون * فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ هل أتاك تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرء إذا أردت أن تحدثه بعجيب فتقرره هل سمع ذلك أم لا فكأنك تقتضي أن يقول لا ويستطعمك الحديث وفيه تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحي وضيف الواحد والجماعة فيه سواء وبدأ بقصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كانت متأخرة عن قصة عاد هزما للعرب اذ كان أباهم الاعلى ولكون الرسل الذين وفدوا عليه جاؤا باهلاك قوم لوط إذ كذبوه ففيه وعيد للعرب وتهديد واتعاظ وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يجري عليه من قومه ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند الله تعالى كقوله تعالى في الملائكة بل عباد مكرمون قاله الحسن فهي صفة سابقة فيهم أولا كرام ابراهيم اياهم اذ خدمهم بنفسه وزوجته سارة وعجل لهم القرا * وقيل لكونه رفع مجالسهم في صفة حادثة * وقرأ عكرمة المكرمين بالتشديد وأطلق عليهم ضيف لكونهم في صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أو لحسبانه لذلك وتقدم ذكر عددهم في سورة هود واذ معمولة للمكرمين اذا كانت صفة حادثة بفعل ابراهيم والا فبما في ضيف من معنى الفعل أو باضمار اذكر وهذه أقوال منقولة * وقرأ الجمهور قالوا سلاما بالنصب على المصدر السادّ مسدّ فعله المستغني به * قال سلام بالرفع وهو مبتدأ محذوف الخبر تقديره

عليكم سلام قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه أخذا بأدب الله تعالى إذ سلاما دعاء وجوز أن يكون
خبر مبتدا محذوف أي أمري سلام وسلام جملة خبرية فقد تحصل مضمونها ووقع * وقال ابن عطية
ويتجه أن يعمل في سلاما قالوا على أن يجعل سلاما في معنى قولا ويكون المعنى حينئذ أنهم قالوا تحية
وقولا معناه سلاما وهذا قول مجاهد * وقرأ ابن وثاب والنخعي وابن جبير وطلحة قال سلم بكسر
السين وإسكان اللام والمعنى نحن سلم أو أنتم سلم وقرئا مرفوعين * وقرئ سلاما قالوا سلاما بنصبهما
وكسر سين الثاني وسكون لامه * قوم منكرون قال أبو العالية أنكر سلامهم في تلك الأرض وذلك
الزمان وقيل لا نميزهم ولا عهد لنا بهم وقيل كان هذا سؤالهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني
من أنتم وقوم خبر مبتدا محذوف قدره أنتم والذي يناسب حال ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنه
لا يخاطبهم بذلك إذ فيه من عدم الانس ما لا يخفى بل يظهر أنه يكون التقدير هؤلاء قوم منكرون
* وقال ذلك مع نفسه أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الأضياف * فراغ الى أهله
أي مضى أثناء حديثه مخفيا مضيه مستعجلا فجاء بعجل سمين ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن
يبادر بالقرا من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يمنعه أن يجيء بالضيافة وكونه عطف فجاء
على فراغ يدل على سرعة مجيئه بالقرا وأنه كان معدا عنده لمن يرد عليه * وقال في سورة هود فما
لبث أن جاء بعجل حنيذ وهذا يدل أيضا على أنه كان العجل سابقا شيه قبل مجيئهم * وقال قتادة كان
غالب ماله البقر وفيه دليل على أنه يحضر للضيف أكثر مما يأكل وكان عليه الصلاة والسلام مضيافا
وحسبك وقف للضيافة أوقافا تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها * فقربه اليهم فيه أدب
المضيف من تقريب القرا لمن يأكل وفيه العرض على الأكل فإن في ذلك تأنيسا للآكل بخلاف
من قدم طعاما ولم يحث على أكله فإن الحاضر قد يتوهم أنه قدمه على سبيل التجمل عسى أن يمتنع
الحاضر من الأكل وهذا موجود في طباع بعض الناس حتى ان بعضهم اذا ألح الحاضر وتمادى في
الأكل أخذ من أحسن ما أحضر وأجزله فيعطيه لغلامه برسم رفعه لوقت آخر يختص هو بأكله
* وقيل الهمزة في ألا للانكار وكأنه ثم محذوف تقديره فامتنعوا من الأكل فأنكر عليهم ترك
الأكل فقال ألا تأكلون وفي الحديث أنهم قالوا انا لا نأكل الا ما أدينا ثمنه فقال لهم واني لا أبيحه لكم
الا بثمن قالوا وما هو قال ان تسموا الله عز وجل عند الابتداء وتحمدوه عند الفراغ من الأكل فقال
بعضهم لبعض بحق اتخذه الله خليلا * فأوجس منهم خيفة أي فلما استمروا على الامتناع من الأكل
أوجس منهم خيفة وذلك أن أكل الضيف أمنة ودليل على انبساط نفسه وللطعام حرمة وذمام
والامتناع منه وحشة فخشي ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن امتناعهم من أكل طعامه انما هو لشر
يريدونه فقالوا لا تخف وعرفوه أنهم ملائكة وعن ابن عباس وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا
للعذاب وعلمهم بما أضمر في نفسه من الخوف انما يكون باطلاع الله ملائكته على ما في نفسه أو
بظهور أمارته في الوجه فاستدلوا بذلك على الباطن وعن يحيى بن شداد مسح جبريل عليه السلام
بجناحه العجل فقام يدرج حتى لحق بأمه * بغلام عليم أي سيكون عليما وفيه تبشير بحياته حتى يكون
من العلماء وعن الحسن عليم نبي والجمهور على ان المبشر به هو اسحق بن سارة * وقال مجاهد هو
اسماعيل * وقيل علم أنهم ملائكة من حيث بشروه بغيب ووقعت البشارة بعد التأنيس والجلوس
وكانت البشارة بذكر لأنه أسر للنفس وأبهج ووصفه بعليم لأنها الصفة التي يختص بها الانسان
الكامل الا بالصورة الجميلة والقوة * فأقبلت امرأته في صرة أي الى بيتها وكانت في زاوية تنظر

ولا كانوا ممن ينتصر لنفسه فيدفع ما حل به وقرئ وقوم نوح بالجر عطفا على المجرور قبل ذلك وبالنصب على اضمار فعل تقديره وأهلكنا قوم نوح

اليهم وتسمع كلامهم * وقيل فأقبلت أي شرعت في الصياح قيل وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء والصرة قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وسفيان الصيحة قال الشاعر

فألحقنا بالهاديات ودونه * جواحرها في صرة لم تزيل

* وقال قتادة وعكرمة الرنة * وقيل قالت أوه بصياح وتعجب * وقال ابن بحر الجماعة أي من النسوة تبادر وانظرا الى الملائكة * وقال الجوهري الصرة الصيحة والجماعة والشدة فصكت وجهها أي لطمته قاله ابن عباس وكذلك كما يفعله من ردعليه أمر يستهوله ويتعجب منه وهو فعل النساء اذا تعجبن من شيء * وقال السدي وسفيان ضربت بكفها جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الآن وقالت عجوز عقيم أي انا قد اجتمع فيها انها عجوز وذلك مانع من الولادة وانها عقيم وهي التي لم تلد قط فكيف ألد تعجبت من ذلك * قالوا كذلك أي مثل القول الذي أخبرناك به قال ربك وهو القادر على ايجاد ما يستبعد * وروي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة * انه هو الحكيم أي ذو الحكمة العليم بالمصالح ولما علم ابراهيم عليه الصلاة والسلام انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله تعالى رسلا قال فما خطبكم الى قوم مجرمين أي ذوي جرائم وهي كبار المعاصي من كفر وغيره * لنرسل عليهم أي لنهلكهم بها * حجارة من طين وهو السجيل طين يطبخ كما يطبخ الآجر حتى يصير في صلابة كالحجارة * مسومة معلمة على كل واحد منها اسم صاحبه * وقيل معلمة أنها من حجارة العذاب * وقيل معلمة أنها ليست من حجارة الدنيا للمسرفين وهم المجاوزون الحد في الكفر * فأخرجنا من كان فيها في القرية التي حل العذاب بأهلها * غير بيت هو بيت لوط عليه السلام وهو لوط وابنتاه فقط * وقيل ثلاثة عشر نفسا * وقال الرازي الآية تدل على أن الايمان هو الاسلام وكذا قال الزمخشري وهما معتزليان * وتركنا فيها أي في القرية آية علامة * قال ابن جريج حجرا كبيرا جدا منضودا * وقيل ماء أسود منتن ويجوز أن يكون فيها عائدا على الاهلاكة التي أهلكوها فانها من أعاجيب الاهلاك بجعل أعالي القرية أسافل وامطار الحجارة والظاهر أن قوله وفي موسى معطوف على وتركنا فيها أي في قصة موسى * وقال الزمخشري وابن عطية وفي موسى يكون عطفا على وفي الأرض آيات للموقنين وفي موسى وهذا بعيد جدا ينزه القرآن عن مثله * وقال الزمخشري أيضا أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * انتهى ولا حاجة الى إضمار وتركنا لانه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور وتركنا * فتولى بركنه أي ازور وأعرض كما قال ونأى بجانبه * وقيل بقوته وسلطانه * وقال ابن زيد بركنه بمجموعه * وقال قتادة بقومه وقال ساحر أو مجنون ظن أحدهما أو تعمد الكذب وقد علم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا * وقال أبو عبيدة أو بمعنى الواو ويدل على ذلك انه قد قالهما قال إن هذا لساحر عليم وقال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون واستشهد أبو عبيدة بقول جرير

أثعلبة الفوارس أو رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا

ولا ضرورة تدعو الى جعل أو بمعنى الواو إذ يكون قالهما وأبهم على السامع فأو للابهام وهو مليم أي أتى من المعاصي ما يلام عليه العقيم التي لا خير فيها من الشتاء مطر أو لقاح شجر وفي الصحيح نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور فقول من ذهب الى أنها الصبا أو الجنوب أو النكباء وهي ريح بين ريحين نكبت عن سمت القبلة فسميت نكباء ليس بصحيح لمعارضته للنص الثابت عن

(الدر)

﴿سورة الذاريات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) ﴿ع﴾ وفي معطوف على وفي الارض آيات للموقنين أي وفي موسى انتهى (ح) هذا بعيد جدا ينزه القرآن عن مثله (ش) أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية لقوله * علفتها تبنا وماء باردا * انتهى (ح) لا حاجة الى اضمار وتركنا لانه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور وتركنا

﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾ أى وبنينا السماء فهو من باب الاشتغال وكذا والأرض فرشناها و بأيد أى بقوة قاله ابن عباس ﴿ وانا لموسعون ﴾ أى بناءها فالجملة حالية أى بنيناها بتوسيعها كقوله جاء زيد وانه لمسرع أى مسرعا فهى بحيث ان الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء كالنقطة فى وسط الدائرة ﴿ فنعم الماهدون ﴾ المخصوص بالمدح محذوف تقديره نحن ﴿ ومن كل شىء خلقنا زوجين ﴾ أى من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا (١٤١) وأنثى ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ عظيم قدرتنا ﴿ ففروا الى الله أمر بالدخول فى الايمان وطاعة الله تعالى وجعل الأمر بذلك بلفظ الفرار لينبه على أن وراء الناس عقابا وعذابا وأمرا حقه أن يفر منه فجمعت لفظ ففروا بين التحذير والاستدعاء و ينظر الى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لاملجأ ولامنجا منك إلا اليك ﴿ إنى لكم منه ﴾ أى من العذاب ﴿ نذير مبين ولاتجعلوا مع الله إلها آخر ﴾ نهى عن جعل شريك لله تعالى وكرر انى لكم منه نذير على سبيل التوكيد ﴿ كذلك ﴾ أى أمر الأمم السابقة عند مجىء الرسل اليهم مثل الأمر من الكفار الذين بعثت اليهم وهو التكذيب ﴿ ساحر أو مجنون ﴾ أو للتفصيل أى قال بعض ساحر وقال بعض مجنون وقال بعض كلاهما ألا ترى أن قوم نوح عليه السلام لم يقولوا عنه ساحر بل قالوا به جنة فجمعوا فى الضمير ودلت أو على التفصيل ﴿ أتواصوا به ﴾ أى بذلك القول وهو توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة على تكذيب الأنبياء مع افتراق أزمانهم ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ أى لم يتواصوا به لانهم لم يكونوا فى زمان واحد بل جمعتهم علة واحدة وهى كونهم طغاة فهم مستعلون فى الأرض مفسدون فيها عاتون ﴿ فتول عنهم ﴾ أعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا ﴿ فما أنت بملوم ﴾ اذ قد بلغت ونصحت ﴿ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ تؤثر فيهم وفيمن قدر الله أن يؤمن وما دل عليه الظاهر من الموادعة منسوخ بآية السيف وعن على رضى الله عنه لما نزل فتول عنهم

---

الرسول صلى الله عليه وسلم انها الدبور ماتذر من شىء أتت عليه وهو عام مخصوص كقوله تدمر كل شىء بأمر ربها أى مما أراد الله تدميره واهلاكه من ناس أو ديار أو شجر أو نبات لانها لم يرد الله بها اهلاك الجبال والآكام والصخور ولا العالم الذى لم يكن من قوم عاد * إلا جعلته كالرميم جملة حالية والرميم تقدم تفسيره فى يس وهنا قال السدى التراب وقتادة الهشيم ومجاهد البالى وقطرب الرماد وابن عيسى المنسحق الذى لا يرم جعل الهمزة فى أرم للسلب * روى أن الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من قوم عاد فتنزعه من بينهم وتهلكه * تمتعوا حتى حين * قال الحسن هذا كان حين بعث اليهم صالح أمروا بالايمان بما جاء به والتمتع الى أن تأتى آجالهم ثم انهم عتوا بعد ذلك ولذلك جاء العطف بالفاء المقتضية تأخر العتو عن ما أمروا به فهو مطابق لفظا و وجودا * وقال الفراء هذا الأمر بالتمتع كان بعد عقر الناقة والحين ثلاثة أيام التى أوعدوا فى تمامها بالعذاب فالعتو كان قد تقدم قبل أن يقال لهم تمتعوا ولاضرورة تدعو الى قول الفراء إذ هو غير مرتب فى الوجود * وقرأ الجمهور الصاعقة وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما والكسائى الصعقة وهى الصيحة هنا * وقرأ الحسن الصاعقة وزيد بن على كقراءة الكسائى وهم ينظرون أى فجأة وهم ينظرون بعيونهم قاله الطبرى وكانت نهارا * وقال مجاهد وهم ينظرون ينتظرون ذلك فى تلك الأيام الثلاثة التى أعلموه فيها ورأوا علاماته فى قلوبهم وانتظار العذاب أشد من العذاب * فما استطاعوا من قيام لقوله فأصبحوا فى دارهم جاثمين ونفى الاستطاعة أبلغ من نفى القدرة وما كانوا منتصرين أبلغ من نفى الانتصار أى فاقدروا على الهرب ولا كانوا ممن ينتصر لنفسه فيدفع ما حل به * وقيل من قيام هو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه فليس المعنى انتصاب القامة قاله قتادة * وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وقوم بالجر عطفا على ماتقدم أى وفى قوم نوح وهى قراءة عبد الله * وقرأ باقى السبعة وأبو عمرو فى رواية بالنصب * قيل عطفا على الضمير فى فأخذتهم * وقيل عطفا على فنبذناهم لان معنى كل منهما فأهلكناهم * وقيل منصوب باضمار فعل تقديره وأهلكنا قوم نوح لدلالة معنى الكلام عليه * وقيل باذكر مضمرة * وروى عبد الوارث ومحبوب والأصمعى عن أبى عمرو وأبو السمال وابن مقسم وقوم نوح بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى أهلكناهم قوله عز وجل ﴿ والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون * ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا الى الله إنى لكم منه نذير مبين * ولاتجعلوا مع الله إلها آخر إنى لكم منه نذير مبين * كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون * فتول عنهم فما أنت بملوم * وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين * وما

خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين * فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون * فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ أي وبنينا السماء فهو من باب الاشتغال وكذا وفرشنا الأرض * وقرأ أبو السمال ومجاهد وابن مقسم برفع السماء ورفع الأرض على الابتداء * بأيد أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو كقوله داود ذا الأيد * وانا لموسعون أي بناءها فالجملة حالية أي بنيناها موسعوها كقوله جاء زيد وانه لمسرع أي مسرعا فهي بحيث ان الأرض وما يحيط من الماء والهواء كالنقطة وسط الدائرة * وقال ابن زيد قريبا من هذا وهو أن الوسع راجع الى السماء * وقيل لموسعون قوة وقدرة أي لقادرون من الوسع وهو الطاقة * وقال الحسن أوسع الرزق بالمطر والماء فنعم الماهدون وخلقنا زوجين * قال مجاهد اشارة الى المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار والشقاوة والسعادة والهدى والضلال والسماء والأرض والسواد والبياض والصحة والمرض والكفر والايمان ونحو ذلك ورجحه الطبري بأنه أدل على القدرة التي توجد الضدين بخلاف ما يفعل بطبعه كالتسخين والتبريد ومثل الحسن بأشياء مما تقدم وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له * وقال ابن زيد وغيره من كل شئ أي من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وأنثى * وقيل المراد بالشئ الجنس وما يكون تحت الجنس نوعان فمن كل جنس خلق نوعين من الجواهر مثل النامي والجامد ومن النامي المدرك والنبات ومن المدرك الناطق والصامت وكل ذلك يدل على أنه فرد لا كثرة فيه لعلكم تذكرون أي بأني باني السماء وفارش الأرض وخالق الزوجين تعالى أن يكون له زوج أو تذكرون أنه لا يعجزه حشر الاجساد وجمع الأرواح * وقرأ أبي تتذكرون بتاءين وتخفيف الذال * وقيل ارادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه * ففروا الى الله أمر بالدخول في الايمان وطاعة الله وجعل الأمر بذلك بلفظ الفرار لينبه على أن وراء الناس عقاب وعذاب وأمر حقه أن يفر منه فجمعت لفظة ففروا بين التحذير والاستدعاء وينظر الى هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك قاله ابن عطية وهو تفسير حسن * وقال الزمخشري الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيأ وكرر اني لكم منه نذير مبين عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما ألا ترى الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله انتهى وهو على طريق الاعتزال وقد رددنا عليه في تفسير لا ينفع نفسا ايمانها في موضع هذه الآية * كذلك أي أمر الأمم السابقة عند مجئ الرسل اليهم مثل الأمر من الكفار الذين بعثت اليهم وهو التكذيب ساحر أو مجنون أو للتفصيل أي قال بعض ساحر وقال بعض مجنون وقال بعض كلاهما ألا ترى الى قوم نوح عليه الصلاة والسلام لم يقولوا عنه انه ساحر بل قالوا به جنة فجمعوا في الضمير ودلت أو على التفصيل * أتواصوا به أي بذلك القول وهو توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة على تكذيب الانبياء مع افتراق أزمانهم * بل هم قوم طاغون أي لم يتواصوا به لأنهم لم يكونوا في زمان واحد بل جمعتهم علة واحدة وهي كونهم طغاة فهم مستعلون في الأرض مفسدون فيها عاتون * فتول عنهم أي أعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة

الذكرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك ﴿ إلا ليعبدون ﴾ أي معدين ليعبدون وكأن الآية تعديد نعم أي خلقت لهم حواس وعقولا وأجساما منقادة نحو العبادة كما تقول هذا مخلوق لكذا وإن لم يصدر منه الذي خلق له كما تقول القلم مبري لأن يكتب به وهو قد يكتب به وقد لا يكتب به ﴿ ما أريد منهم من رزق ﴾ أي أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم ﴿ وما أريد أن يطعمون ﴾ أي أن يطعموا خلقي وهو على حذف مضاف والاضافة الى الضمير تجوز قاله ابن عباس ﴿ المتين ﴾ الشديد القوة العظيمها ﴿ فان للذين ظلموا ﴾ هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول عليه السلام ﴿ ذنوبا ﴾ أي حظا ونصيبا ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ من الأمم السابقة التي كذبت الرسل في الاهلاك والعذاب ويجمع في القلة على أذنبة وفي الكثرة على ذنائب وقال علقمة بن عبدة

* وفي كل حي قد خبطت بنعمة *
* فحق لشاس من نداك ذنوب *

﴿ فويل للذين كفروا من يومهم ﴾ قيل يوم بدر وقيل يوم القيامة ﴿ الذي يوعدون ﴾ أي به أو يوعدونه

فلم يجيبوا * فما أنت بملوم اذ قد بلغت ونصحت * وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين تؤثر فيهم وفيمن
قدر الله أن يؤمن وما دل عليه الظاهر من الموادعة منسوخ بآية السيف وعن علي كرم الله وجهه
لما نزل فتول عنهم حزن المسلمون وظنوا أنه أمر بالتولي عن الجميع وأن الوحي قد انقطع نزلت
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك * الا ليعبدون أي وما خلقت الجن والانس الطائعين
قاله زيد بن أسلم وسفيان ويؤيده رواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلقت الجن
والانس من المؤمنين * وقال علي وابن عباس الا ليعبدون الا لآمرهم بعبادتي وليقروا لي بالعبادة فعبر
بقوله ليعبدون اذ العبادة هي مضمن الأمر فعلى هذا الجن والانس عام * وقيل يحتمل أن يكون
المعنى الا معدين ليعبدون وكأن الآية تعديد نعمه أي خلقت لهم حواس وعقولا وأجساما منقادة
نحو العبادة كما تقول هذا مخلوق لكذا وان لم يصدر منه الذي خلق له كما تقول القلم مبري لأن يكتب
به وهو قد يكتب به وقد لا يكتب به * وقال الزمخشري الا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم الا اياها
( فان قلت ) لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا ( قلت ) انما أراد منهم أن يعبدوه
مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها
ولو أرادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقال مجاهد
الا ليعبدون ليعرفون * وقال ابن زيد لاحملهم في العبادة على الشقاوة والسعادة * وقال الربيع
ابن أنس الا للعبادة قال وهو ظاهر اللفظ * وقيل الا ليذلوا لقضائي * وقال الكلبي الا ليوحدون
فالمؤمن يوحده في الشدة والرخاء والكافر في الشدة * وقال عكرمة ليطيعون فأثيب العابد
وأعاقب الجاحد * وقال مجاهد أيضا الا للامر والنهي * ما أريد منهم من رزق أي ان يرزقوا
أنفسهم ولا غيرهم * وما أريد أن يطعمون أي أن يطعموا خلقي فهو على حذف مضاف فالاضافة
الى الضمير تجوز قاله ابن عباس * وقيل أن يطعمون أن ينفعون فذكر جزأ من المنافع وجعله
دالا على الجميع * وقال الزمخشري يريد ان شأني مع عبادي ليس كشأن السادة مع عبيدهم لان
ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وأرزاقهم فاما مجهز في تجارة يبغي
ربحا أو مرتب في فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق
أو طابخ أو خابز أو ما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق فأما
مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم في تحصيل رزقي ولا
رزقكم وأنا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي
فما هو إلا أنا وحدي انتهى وهو تكثير وخطابة * وقرأ ابن محيصن الرازق كما قرأ وفي السماء
رازقكم اسم فاعل وهي قراءة جيدة * وقرأ الأعمش وابن وثاب المتين بالجر صفة للقوة على معنى
الاقتدار قاله الزمخشري أو كأنه قال ذو الأيد وأجاز أبو الفتح أن تكون صفة لذو وخفض على
الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب * فان للذين ظلموا هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين
كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم ذنوبا أي حظا ونصيبا مثل ذنوب أصحابهم من الأمم السابقة التي
كذبت الرسل في الاهلاك والعذاب وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم * وقال
الجوهري الذنوب الدلو الملأى ماء ولا يقال لها ذنوب وهي فارغة وجمعها العدد وفي الكثير ذنائب
والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم أسفل المتن * وقال ابن الاعرابي
يقال يوم ذنوب أي طويل الشر لا ينقضي * فويل للذين كفروا من يومهم * قيل يوم بدر * وقيل

يوم القيامة الذي يوعدون أي به أو يوعدونه

﴿ سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع * والبحر المسجور * إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع * يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا * فويل يومئذ للمكذبين * الذين هم في خوض يلعبون * يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون * إن المتقين في جنات ونعيم * فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون * متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين * والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرىء بما كسب رهين * وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم * ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم * فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فاني معكم من المتربصين * أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين * أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون * أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين * أم له البنات ولكم البنون * أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون * وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم * فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون * يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون * وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون * واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ * الرق بالفتح والكسر جلد رقيق يكتب فيه وجمعه رقوق والرق بالكسر المملوك * مار الشئ ذهب وجاء * وقال الأخفش وأبو عبيدة تكفأ وأنشد الأعشى

كأن مشيتها من بين جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

ويروى مر والسحابة * الدع الدفع في الضيق بشدة واهانة * السموم الريح الحارة التي تدخل المسام ويقال سم يومنا فهو مسموم والجمع سمائم * وقال ثعلب شدة الحر أو شدة البرد في النهار * وقال أبو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس أكثر * المنون الدهر وريبه حوادثه * وقيل اسم للموت * المسيطر المتسلط * وحكى أبو عبيدة سطرت على اذا اتخذتني خولا ولم يأت في كلام العرب اسم على مفيعل إلا خمسة مهيمن ومحيمر ومبيطر ومسيطر ومبيقر فالمحيمر اسم جبل والبواقي أسماء

﴿ سورة والطور ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة اذ فى آخرها فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وقال هنا إن عذاب ربك لواقع والطور الجبل والظاهر أنه اسم جنس لا جبل معين وفى الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء وقال نوف البكالى انه الذى أقسم الله تعالى به لفضله على الجبال قيل وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام والكتاب المسطور القرآن والكتب الالهية ﴿ فى رق منشور ﴾ أى مبسوط وقيل مفتوح لا ختم عليه ﴿ والبيت المعمور ﴾ قال على كرم الله وجهه وابن عباس هو بيت فى السماء مسامت للكعبة يقال له الضراح والضريح أيضا وهو الذى ذكر فى حديث الاسراء قال جبريل عليه السلام هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه آخر ما عليهم ﴿ والسقف المرفوع ﴾ السماء وقال ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة ﴿ والبحر المسجور ﴾ قال مجاهد وشمر بن عطية هو البحر الموقد نارا وروى أن البحر هو جهنم والواو الأولى واو القسم وما بعدها للعطف والجملة المقسم عليها هى قوله ان عذاب ربك لواقع وفى اضافة العذاب لقوله ربك لطيفة اذ هو المالك والناظر فى مصلحة العبد فبالاضافة الى الرب واضافته لكاف الخطاب أمان له عليه السلام وأن العذاب الواقع هو بمن كذبه ولواقع يدل على الشدة وهو أدل عليها من لكائن ألا ترى الى قوله اذا وقعت الواقعة وقوله وهو واقع بهم كأنه مهيأ فى مكان مرتفع فيقع على من حل به وعن جبير بن مطعم قال قدمت المدينة لأسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فوافيته يقرأ فى صلاة المغرب والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما  صدع قلبى فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مقامى حتى يقع العذاب وانتصب يوم بدافع ويجوز أن ينتصب بقوله لواقع والجملة بعدها اعتراض بين العامل والمعمول ﴿ يوم تمور ﴾ قال ابن عباس تضطرب ﴿ وتسير الجبال ﴾ هذا

فى أول الأمر ثم تنسف حتى تصير آخرا كالعهن المنفوش ﴿ فويل ﴾ عطف جملة على جملة تتضمن ربط المعنى وتأكيده والخوض التخبط فى الباطل وغلب استعماله فى الاندفاع فى الباطل ﴿ يوم يدعون ﴾ وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيدى الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا فى أقفيتهم يقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون ثم قيل لهم على قطع رجائهم ﴿ اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ﴾ عذابكم حتم فسواء صبركم وجزعكم لابد من جزاء أعمالكم ﴿ ان المتقين ﴾ لما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين ليقع الترهيب والترغيب وهو اخبار عما يؤول اليه حال المؤمنين أخبر بذلك خبرا ﴿ فى جنات ونعيم ﴾ وانتصب فاكهين على الحال والعامل فيها العامل فى الجار والمجرور ﴿ فكهين ﴾ مسرورين فرحين وقيل من التفكه وما فى قوله بما موصولة بمعنى الذى والعائد عليها محذوف تقديره آتاهموه ويجوز أن تكون مصدرية ومفعول آتاهم محذوف أى باتيانهم ربهم الجنة ﴿ هنيئا ﴾ تقدم الكلام عليه فى النساء والمعنى هنا هنأكم النعيم بسبب عملكم وانتصب ﴿ متكئين ﴾ على الحال ﴿ وعلى سرر ﴾ متعلق به ﴿ وزوجناهم ﴾ قرناهم والتزويج كناية عن ذلك كما قال تعالى ولهم فيها أزواج مطهرة وقال الزمخشرى ﴿ والذين آمنوا ﴾ معطوف على حور عين أى قرناهم بالحور العين وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين وأتبعناهم ذرياتهم ثم ذكر حديث ابن عباس ثم قال فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم فى أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم أى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم (فان قلت) ما معنى تنكير الايمان (قلت) معناه الدلالة على انه ايمان

فاعلمن والله تعالى أعلم ﴿ والطور * وكتاب مسطور * فى رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع * والبحر المسجور * ان عذاب ربك لواقع * ماله من دافع * يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا * فويل يومئذ للمكذبين * الذين هم فى خوض يلعبون * يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون * ان المتقين فى جنات ونعيم * فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون * متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين * والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم

خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد بإيمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم انتهى ولا يتخيل أحد أن والذين آمنوا معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره والأحسن من هذه الأقوال قول ابن عباس ويعضده الحديث الذي رواه لأن الآيات كلها في صفة احسان الله تعالى الى أهل الجنة فذكر من جملة احسانه أنه يرعى المحسن (١٤٦) في المسيء ولفظة ألحقنا تقتضي أن للملحق بعض التقصير في الأعمال فيكون اعراب والذين مبتدأ وأتبعناهم معطوف على آمنوا وبإيمان متعلق بقوله واتبعناهم ونكره الاكتفاء بحصول الايمان وان كان الانسان مقصرا في العمل وخبر والذين قوله ألحقنا بهم ﴿ وما ألتناهم ﴾ أي نقصناهم والظاهر أن الضمير في ألتناهم عائد على المؤمنين والمعنى أنه تعالى يلحق المقصر بالمحسن ولا ينقص المحسن من أجره شيأ وهذا تأويل ابن عباس ﴿ بما كسبت ﴾ متعلق برهين ﴿ وأمددناهم ﴾ أي يسرنا لهم شيأ فشيأ حتى يكثر ولا ينقطع ﴿ يتنازعون فيها ﴾ أي يتعاطون فيها والتنازع التجاذب ملاعبة اذ أهل الدنيا لهم في ذلك لذة فكذلك في الجنة ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ قرئ برفعهما واللغو السقط من الكلام كما يجري بين شراب الخمر في الدنيا والتأثيم الاثم الذي يلحق شارب الخمر في الدنيا ﴿ غلمان لهم ﴾ أي مماليك ﴿ مكنون ﴾ أي في الصدف لم تنله الايدي وهو اذ ذاك رطب فهو أحسن وأصفى والظاهر أن التساؤل هو في الجنة اذ هذه كلها معاطيف بعضها على بعض أي يتساءلون عن أحوالهم وما نال كل واحد منهم ويدل عليه فمن الله علينا أي بهذا النعيم الذي نحن فيه ﴿ مشفقين ﴾ أي رقيق القلوب خاشعين لله تعالى والسموم هنا النار وقال الحسن اسم من أسماء جهنم ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه ﴿ ندعوه ﴾ نعبده ونسأله الوقاية من عذابه ﴿ انه هو البر ﴾ المحسن ﴿ الرحيم ﴾

بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين * وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم * ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ﴾

هذه السورة مكية * ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة اذ في آخر تلك فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وقال هنا ان عذاب ربك لواقع * الطور الجبل والظاهر انه اسم جنس لا جبل معين وفي الشأم جبل يسمى الطور وهو طور سيناء * فقال نوف البكالي انه الذي أقسم الله به لفضله على الجبال * قيل وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام * والكتاب المسطور القرآن أو المنتسخ من اللوح المحفوظ أو التوراة أو هي الانجيل والزبور أو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق أو الصحف التي تعطى يوم القيامة بالايمان والشمائل أقوال آخرها للفراء ولا ينبغي أن يحمل شئ منها على التعيين انما تورد على الاحتمال * وقرأ أبو السمال في رق بكسر الراء منشور أي مبسوط * وقيل مفتوح لا ختم عليه * وقيل منشور لائح * وعن ابن عباس منشور ما بين المشرق والمغرب * والبيت المعمور قال علي وابن عباس وعكرمة هو بيت في السماء مسامت الكعبة يقال له الضراح والضريح أيضا وهو الذي ذكر في حديث الاسراء قال جبريل هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم * وقال مجاهد وقتادة وابن زيد في كل سماء بيت معمور وفي كل أرض كذلك * وسأل ابن الكواء عليا رضي الله تعالى عنه فقال بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح * وقال الحسن البيت المعمور الكعبة يعمره الله كل سنة بستمائة ألف فان عجز من الناس أتمه الله بالملائكة * والسقف المرفوع السماء قال ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة * والبحر المسجور قال مجاهد وشمر بن عطية والضحاك ومحمد بن كعب والأخفش هو البحر الموقد نارا * وروي أن البحر هو جهنم * وقال قتادة البحر المسجور المملوء وهذا معروف من اللغة ورجحه الطبري بوجود ماء البحر كذلك ولا ينافي ما قاله مجاهد لأن سجرت التنور معناه ملأته بما يحترق * وقال ابن عباس المسجور الذي ذهب ماؤه * وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال خرجت أمة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور أي فارغ وليس لذي الرمة حديث الا هذا فيكون من الاضداد * وروي أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة * وقال ابن عباس أيضا المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه ولولا أن البحر يمسك لفاض على الارض * وقال الربيع المسجور المختلط العذب بالملح * وقيل المفجور ويدل عليه واذا البحار فجرت والجمهور على أن البحر المقسم به هو

بحر الدنيا ويؤ يده واذا البحار سجرت وعن علي وابن عمر أنه في السماء تحت العرش فيه ماء غليظ يقال له بحر الحياة يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبتون في قبورهم * وقال قتيبة بن سعيد هو جهنم وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما جاء في الفرس وان وجدناه لبحرا قيل ويحتمل أن تكون الجملة في القسم بالطور والبحر والبيت لكونها أماكن خلوة مع الله تعالى خاطب بها رجم رسله فالطور قال فيه موسى أرني أنظر اليك والبيت المعمور لمحمد صلى الله عليه وسلم والبحر المسجور ليونس قال لا اله الا أنت سبحانك فتشرفت هذه الأماكن بهذه الأسباب والقسم بكتاب مسطور لان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان لهم مع الله في هذه الأماكن كلام واقترانه بالطور دل على ذلك والقسم بالسقف المرفوع لبيان رفعة البيت المعمور انتهى ونكر وكتاب لانه شامل لكل كتاب أنزله الله شمول البدل ويحتمل أن يكون شمول العموم كقوله علمت نفس ما أحضرت وكونه في رق يدل على ثبوته وانه لا يتغطى الرؤس ووصفه بمنشور يدل على وضوحه فليس كالكتاب المطوي الذي لا يعلم ما انطوى عليه والمنشور يعلم ما فيه ولا يمنع من مطالعة ما تضمنه والواو الاولى واو القسم وما بعدها للعطف والجملة المقسم عليها هي قوله ان عذاب ربك لواقع وفي اضافة العذاب لقوله ربك لطيفة اذ هو المالك والناظر في مصلحة العبد فبالاضافة الى الرب واضافته لكاف الخطاب أمان له صلى الله عليه وسلم وان العذاب لواقع هو بمن كذبه ولواقع على الشدة وهو أدل عليها من لكائن ألا ترى الى قوله اذا وقعت الواقعة وقوله وهو واقع بهم كأنه مهيأ في مكان مرتفع فيقع على من حل به وعن جبير بن مطعم قدمت المدينة لأسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فوافيته يقرأ في صلاة المغرب والطور الى ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبي فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب * وقرأ زيد بن علي واقع بغير لام * قال قتادة يريد عذاب الآخرة للكفار أي لواقع بالكفار ومن غريب ما يحكى أن شخصا رأى في النوم في كفه مكتوبا خمس واوات فعبر له بخير فسأل ابن سيرين فقال تهيأ لما لا يسر فقال له من أين أخذت هذا فقال من قوله تعالى والطور الى ان عذاب ربك لواقع فما مضى يومان أو ثلاثة حتى أحيط بذلك الشخص وانتصب يوم بدافع قاله الحوفي * وقال مكي لا يعمل فيه واقع ولم يذكر دليل المنع * وقيل هو منصوب بقوله لواقع وينبغي أن يكون ماله من دافع على هذا جملة اعتراض بين العامل والمعمول * قال ابن عباس تمور تضطرب * وقال أيضا تشقق * وقال الضحاك يموج بعضها في بعض * وقال مجاهد تدور وتسير الجبال سيرا هذا في أول الأمر ثم تنسف حتى تصير آخرا كالعهن المنفوش * فويل عطف على جملة تتضمن ربط المعنى وتأكيده والخوض التخبط في الباطل وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل * يوم يدعون وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيدي الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا في أقفيتهم * وقرأ علي وأبو رجاء والسلمي وزيد بن علي يدعون بسكون الدال وفتح العين من الدعاء أي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوها دعا مدعوعين يقال لهم هذه النار لما قيل لهم ذلك وقفوا بعد ذلك على الجهتين اللتين يمكن دخول الشك في انها النار وهي اما أن يكون سحر يلبس ذات المرئي واما أن يكون في نظر الناظر اختلال فأمرهم بصليها على جهة التقريع ثم قيل لهم على قطع رجائهم فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم عذابكم حتم فسواء صبركم وجزعكم لا بد من جزاء أعمالكم قاله ابن عطية

الكثير الرحمة اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب

* وقال الزمخشري أفسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى أم أنتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (فان قلت) لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله انما تجزون ما كنتم تعملون ( قلت ) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في العاقبة وبأن يجازي عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع انتهى وسحر خبر مقدم وهذا مبتدا وسواء مبتدا والخبر محذوف أي الصبر والجزع * وقال أبو البقاء خبر مبتدا محذوف أي صبركم وتركه سواء ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين ليقع الترهيب والترغيب وهو اخبار عن ما يؤول اليه حال المؤمنين أخبروا بذلك ويجوز أن يكون من جملة القول للكفار اذ ذلك زيادة في غمهم وتنكيد لهم والاول أظهر * وقرأ الجمهور فكهين نصبا على الحال والخبر في جنات ونعيم * وقرأ خالد بالرفع على انه خبران وفي جنات متعلق به ومن أجاز تعداد الخبر أجاز أن يكونا خبرين ووقاهم معطوف على في جنات اذ المعنى استقروا في جنات أو على آتاهم وما مصدرية أي فكهين باتيانهم ربهم النعيم ووقايتهم عذاب الجحيم وجوز أن تكون الواو في ووقاهم واو الحال ومن شرط قد في الماضي قال هي هنا مضمرة أي وقد وقاهم * وقرأ أبو حيوة ووقاهم بتشديد القاف * كلوا واشربوا على اضمار القول أي يقال لهم هنيأ * قال الزمخشري أكلا وشربا هنيأ أو طعاما وشرابا هنيأ وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون مثله في قوله

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

أعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنا عزة المستحل من أعراضنا وكذلك معنى هنيأ هنا هنأكم الأكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب انتهى وتقدم لنا الكلام مشبعا على هنيأ في سورة النساء وأما تجويزه زيادة الباء فليست زيادتها مقيسة في الفاعل الا في فاعل كفى على خلاف فيها فتجويز زيادتها في الفاعل هنا لا يسوغ وأما قوله ان الباء تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا على الاعمال فهي تتعلق بأحدهما * وانتصب متكئين على الحال * قال أبو البقاء من الضمير في كلوا أو من الضمير في وقاهم أو من الضمير في آتاهم أو من الضمير في فاكهين أو من الضمير في الظرف انتهى * والظاهر أنه حال من الظرف وهو قوله في جنات * وقرأ أبو السمال على سرر بفتح الراء وهي لغة لكلب في المضعف فرارا من توالي ضمتين مع التضعيف * وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والظاهر أن قوله والذين آمنوا مبتدأ وخبره ألحقنا وأجاز أبو البقاء أن يكون والذين في موضع نصب على تقدير وأكرمنا الذين آمنوا ومعنى الآية قال الجمهور وابن عباس وابن جبير وغيرهما أن المؤمنين الذين اتبعتهم ذريتهم في الايمان يكونون في مراتب آبائهم وان لم يكونوا في التقوى والاعمال مثلهم كرامة لآبائهم فبايمان متعلق بقوله واتبعناهم * وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته وان كان لم يبلغها بعمله ليقر بها عينه ثم قرأ الآية * وقال ابن عباس والضحاك ان الله تعالى يلحق الابناء الصغار وان لم يبلغوا الايمان بأحكام الآباء المؤمنين انتهى فيكون بايمان متعلقا بألحقنا أي ألحقنا

( الدر )

﴿ سورة والطور ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) أكلا وشربا هنيأ أو طعاما وشرابا هنيأ وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون مثله في قوله

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت *

أعني صفة استعملت مقام المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيأ ههنا هنأكم الأكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون والباء زائدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب انتهى (ح) تقدم لنا الكلام على هنيأ مشبعا في سورة النساء وأما تجويزه زيادة الباء فليست زيادتها مقيسة في الفاعل الا في فاعل كفى على خلاف فيها فتجويز زيادتها في الفاعل هنا لا يسوغ وأما قوله ان الباء تتعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا على الاعمال فهي تتعلق بأحدهما

بسبب الايمان الآباء بهم ذرياتهم وهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع آبائهم واذا كان أبناء الكفار الذين لم يبلغوا حد التكليف في الجنة كما ثبت في صحيح البخاري فأحرى أولاد المؤمنين * وقال الحسن الآية في الكبار من الذرية * وقال منذر بن سعيد هي في الصغار لا في الكبار وعن ابن عباس أيضا الذين آمنوا المهاجرون والأنصار والذرية التابعون وعنه أيضا ان كان الآباء أرفع درجة رفع الله الابناء اليهم فالآباء داخلون في اسم الذرية * وقال النخعي المعنى أعطيناهم أجورهم من غير نقص وجعلنا ذريتهم كذلك * وقال الزمخشري والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بالحور العين وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين وأتبعناهم ذرياتهم ثم ذكر حديث ابن عباس ثم قال فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم بهم ونسلهم ثم قال بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم أي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم (فان قلت) ما معنى تنكير الايمان (قلت) معناه الدلالة على أنه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد ايمان الذرية الداني المحل كأنه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم انتهى ولا يتخيل أحد أن والذين معطوف على بحور عين غير هذا الرجل وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره والأحسن من هذه الاقوال قول ابن عباس ويعضده الحديث الذي رواه لان الآيات كلها في صفة احسان الله تعالى الى أهل الجنة وذكر من جملة احسانه أنه يرعى المحسن في المسيء ولفظة ألحقنا تقتضي أن للملحق بعض التقصير في الاعمال * وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم وباقي السبعة واتبعتهم وأبو عمرو وذرياتهم جمعا نصبا وابن عامر جمعا رفعا وباقي السبعة مفردا وابن جبير وأتبعناهم ذريتهم بالمد والهمز * وقرأ الجمهور ألتناهم بفتح اللام من ألات والحسن وابن كثير بكسرها وابن هرمز آلتناهم بالمد من آلت على وزن أفعل وابن مسعود وأبي لتناهم من لات وهي قراءة طلحة والأعمش ورويت عن شبل وابن كثير وعن طلحة والأعمش أيضا لتناهم بفتح اللام * قال سهل لا يجوز فتح اللام من غير ألف بحال وأنكر أيضا آلتناهم بالمد وقال لا يروى عن أحد ولا يدل عليها تفسير ولا عربية وليس كما ذكر بل قد نقل أهل اللغة آلت بالمد كما قرأ ابن هرمز * وقرئ وما ولتناهم ذكره ابن هارون * قال ابن خالويه فيكون هذا الحرف من لات يليت وولت يلت وألت يألت وألات يليت ويولت وكلها بمعنى نقص ويقال ألت بمعنى غلظ وقام رجل الى عمر رضي الله عنه فوعظه فقال رجل لا تألت أمير المؤمنين أي لا تغلظ عليه والظاهر أن الضمير في ألتناهم عائد على المؤمنين والمعنى انه تعالى يلحق المقصر بالمحسن ولا ينقص المحسن من أجره شيأ وهذا تأويل ابن عباس وابن جبير والجمهور * وقال ابن زيد الضمير عائد على الابناء * من عملهم أي الحسن والقبيح ويحسن هذا الاحتمال قوله كل امرئ بما كسب رهين أي مرتهن وفيه وأمددناهم أي يسرناهم شيأ فشيأ حتى يكثر ولا ينقطع * يتنازعون فيها أي يتعاطون قال الأخطل

نازعته طيب الراح الشمول وقد * صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

أو يتنازعون يتجاذبون تجاذب ملاعبة اذ اهل الدنيا لهم في ذلك لذة وكذلك في الجنة * وقرأ الجمهور لا لغو فيها ولا تأثيم برفعهما وابن كثير وأبو عمرو بفتحهما واللغو السقط من الكلام كما يجرى

(الدر)

(ش) والذين آمنوا معطوف على حور عين أي قرناهم بالحور العين وبالذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين ثم مضى الى آخر كلامه (ح) لا يتخيل أحد أن والذين آمنوا معطوف على حور عين غير هذا الرجل وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره

﴿ فذكر ﴾ الآية أمره بالتذكير انذار الكافر وتبشير المؤمن ونفى عنه ما كان الكفار ينسبونه اليه من الكهانة والجنون اذ كانا طريقين للاخبار ببعض المغيبات وكان للجن بهما ملابسة للانسان وممن كان ينسبه الى الكهانة شيبة بن ربيعة وممن كان ينسبه الى الجنون عقبة بن أبى معيط والمعنى أنه عليه السلام انتفت عنه صفات النقص من الكهانة والجنون بسبب ما أنعم الله به عليه من النبوة والرسالة ﴿ أم يقولون شاعر ﴾ روى أن قريشا اجتمعت فى دار الندوة وكثر آراؤهم فيه صلى الله عليه وسلم حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار قاله الضحاك ﴿ تربصوا به ريب المنون ﴾ فانه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الآية فى ذلك ﴿ أم تأمرهم أحلامهم ﴾ أى عقولهم بهذا أى بقولهم كاهن وشاعر ومجنون وهو قول متناقض وكانت قريش تدعى أهل الاحلام والنهى وقيل لعمرو بن العاص ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله تعالى أى لم يصحبها التوفيق والهمزة فى أم تأمرهم قيل أم بمعنى الهمزة أى أتأمرهم وقدرها مجاهد ببل والصحيح أنها تتقدر ببل والهمزة ﴿ أم هم قوم طاغون ﴾ أى مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم ﴿ تقوله ﴾ اختلقه من قبل نفسه كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ أى لكفرهم وعنادهم ثم عجزهم بقوله فليأتوا بحديث مثله أى مماثل للقرآن فى نظمه ورصفه ووصفه من البلاغة وصحة المعانى والأخبار بقصص الأمم السالفة والمغيبات والحكم ﴿ ان كانوا صادقين ﴾ فى أنه تقوله فليتقولوا هم مثله اذ هو واحد منهم فان كانوا صادقين فليكونوا مثله فى التقول ﴿ أم خلقوا من غير شئ ﴾ وقفهم على جهة التوبيخ على أنفسهم أهم [illegible] بن خلقوا الاشياء فهم لذلك يتكبرون ثم خصص من تلك الأشياء السموات والارض لعظمها وشرفها فى المخلوقات ثم [illegible] عليهم بانهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرا يؤديهم الى اليقين ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ أى خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة ﴿ أم هم المسيطرون ﴾ الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر النبوة ويبنوا الامر على ارادتهم ﴿ أم لهم سلم ﴾ منصوب الى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ أى عليه أو منه اذ حروف الجر قد يسد بعضها مسد بعض ﴿ بسلطان مبين ﴾ أى بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم ﴿ أم تسألهم أجرا ﴾ على الايمان بالله [illegible] ى وتوحيده واتباع شرعه فهم من ذلك المغرم الثقيل اللازم مثقلون فاقتضى زهدهم فى اتباعك ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أى اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لا نعذب ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ أى بك وبشرعك وهو كيدهم [illegible] فى دار الندوة ﴿ فالذين كفروا ﴾ أى فهم وأبرز الظاهر تنبيها على العلة أو الذين كفروا عام فيندرجون فيه ﴿ هم المكيدون ﴾ أى الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر وسمى غلبتهم كيدا اذ كانت عقوبة الكيد ﴿ أم لهم إله غير الله ﴾ يعصمهم ويدفع فى صدر اهلاكهم ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به من الاصنام

---

بين شراب الخمر فى الدنيا والتأثيم الاثم الذى يلحق شارب الخمر فى الدنيا * غلمان لهم أى مماليك * مكنون أى فى الصدف لم تنله الأيدى قاله ابن جبير وهو اذ ذاك رطب فهو أحسن وأصفى ويجوز أن يراد بمكنون مخزون لانه لا يخزن الا الغالى الثمن والظاهر أن التساؤل هو فى الجنة اذ هذه كلها معاطيف بعضها على بعض أى يتساءلون عن أحوالهم وما نال كل واحد منهم ويدل عليه فمن الله علينا أى بهذا النعيم الذى نحن فيه * وقال ابن عباس تساؤلهم اذا بعثوا فى النفخة الثانية حكاه الطبرى عنه * مشفقين رقيق القلوب خاشعين لله * وقرأ أبو حيوة ووقانا بتشديد القاف والسموم هنا النار وقال الحسن اسم من أسماء جهنم * من قبل أى من قبل لقاء الله والمصير اليه * ندعوه نعبده ونسأله الوقاية من عذابه انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب أو ندعوه من الدعاء وقرأ الحسن وأبو جعفر ونافع والكسائى أنه بفتح الهمزة أى لانه وباقى السبعة انه بكسر الهمزة وهى قراءة الأعرج وجماعة وفيهما معنى التعليل * قوله عز وجل ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فانى معكم من المتربصين * أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين * أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن رحمة ربك أم هم المسيطرون * أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين * أم له البنات ولكم البنون * أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * أم لهم إله غير الله

سبحان الله عما يشركون * وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم * فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون * يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون * وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون * واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ﴾ لما تقدم أقسام الله تعالى على وقوع العذاب وذكر أشياء من أحوال المعذبين والناجين أمره بالتذكير انذار الكافر وتبشير المؤمن ودعاء الى الله تعالى بنشر رسالته ثم نفى عنه ما كان الكفار ينسبونه اليه من الكهانة والجنون اذ كانا طريقين الى الاخبار ببعض المغيبات وكان للجن بهما ملابسة للانس وممن كان ينسبه الى الكهانة شيبة بن ربيعة وممن كان ينسبه الى الجنون عقبة بن أبي معيط * وقال الزمخشرى فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض فان الكاهن يحتاج فى كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما أنت بحمد الله تعالى وانعامه عليك بصدق النبوة ورصافة العقل أحد هذين انتهى * وقال الحوفى بنعمة ربك متعلق بما دل عليه الكلام وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما أنت فى حال اذ كارك بنعمة ربك بكاهن * قال أبو البقاء الباء فى موضع الحال والعامل فيه بكاهن أو مجنون والتقدير ما أنت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك انتهى وتكون حالا لازمة لا منتقلة لأنه عليه الصلاة والسلام ما زال ملتبسا بنعمة ربه * وقيل بنعمة ربك مقسم بها كأنه قيل ونعمة ربك ما أنت كاهن ولا مجنون فتوسط المقسم به بين الاسم والخبر كما تقول ما زيد والله بقائم ولما نفى عنه الكهانة والجنون اللذين كان بعض الكفار ينسبونهما اليه ذكر نوعا آخر مما كانوا يقولونه * روى أن قريشا اجتمعت فى دار الندوة وكثرت آراؤهم فيه صلى الله عليه وسلم حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار قاله الضحاك تربصوا به ريب المنون فانه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الآية فى ذلك وقول من قال ذلك هو من نقص الفطرة بحيث لا يدرك الشعر وهو الكلام الموزون على طريقة معروفة من النثر الذى ليس هو على ذلك المضمار ولا شك أن بعضهم كان يدرك ذلك اذ كان فيهم شعراء ولكنهم تمالؤا مع أولئك الناقصى الفطرة على قولهم هو شاعر حجدا الآيات الله بعد استيقانها * وقرأ زيد بن على يتربص بالياء مبنيا للمفعول به ريب مرفوع وريب المنون حوادث الدهر فانه لا يدوم على حال قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

* وقال الهذلى

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

قل تربصوا هو أمر تهديد من المتربصين هلاككم كما تتربصون هلاكى * أم تأمرهم أحلامهم عقولهم بهذا أى بقولهم كاهن وشاعر ومجنون وهو قول متناقض وكانت قريش تدعى أهل الاحلام والنهى * وقيل لعمرو بن العاصى ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقل فقال تلك عقول كادها الله أى لم يصحبها التوفيق * أم تأمرهم قيل أم بمعنى الهمزة أى أتأمرهم وقدرها مجاهد ببل والصحيح أنها تتقدر ببل والهمزة أم هم قوم طاغون أى مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق * وقرأ مجاهد بل هم مكان أم هم وكون الاحلام آمرة مجاز لما أدت الى ذلك جعلت آمرة كقوله أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا * وحكى الثعلبي عن الخليل أنه قال كل ما فى

والاوثان ﴿ وان يروا كسفا ﴾ كانت قريش قد اقترحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اقترحت قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فاخبر تعالى انهم لو رأوا ذلك عيانا حسب اقتراحهم لبلغ بهم عتوهم وجهلهم أن يغالطوا أنفسهم فيما عاينوه وقالوا هو سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا وليس بكسف ساقط للعذاب ﴿ فذرهم ﴾ أمر موادعة منسوخ بآية السيف ﴿ حتى يلاقوا يومهم ﴾ أى يوم موتهم واحدا واحدا والصعق العذاب ﴿ وأن الذين ظلموا ﴾ أى لهؤلاء الظلمة ﴿ عذابا دون ذلك ﴾ أى دون يوم القيامة وقبله وهو يوم بدر والفتح قاله ابن عباس ﴿ فانك باعيننا ﴾ عبارة عن الحفظ والكلاءة وجمع لأنه أضيف الى ضمير الجماعة وحين كان الضمير مفردا أفرد العين قال تعالى ولتصنع على عينى ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ وهو قول سبحان الله عند كل قيام ﴿ ومن الليل ﴾ فسبح قبل صلاة المغرب والعشاء ﴿ وادبار النجوم ﴾ صلاة الصبح

سورة والطور من أم فاستفهام وليس بعطف * تقوله اختلقه من قبل نفسه كما قال ولو تقول علينا
بعض الأقاويل * وقال ابن عطية تقوله معناه قال عن الغير أنه قاله فهو عبارة عن كذب مخصوص
انتهى * بل لا يؤمنون أي لكفرهم وعنادهم ثم عجزهم بقوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا
صادقين أي مماثل للقرآن في نظمه ووصفه من البلاغة وصحة المعاني والاخبار بقصص الأمم السالفة
والمغيبات والحكم ان كانوا صادقين في أنه تقوله فليقولوا مثله اذ هو واحد منهم فان كانوا
صادقين فليكونوا مثله في التقول * فقرأ الجحدري وأبو السمال بحديث مثله على الاضافة أي
بحديث رجل مثل الرسول في كونه أميا لم يصحب أهل العلم ولا رحل عن بلده أو مثله في كونه
واحدا منهم فلا يجوز أن يكون مثله في العرب فصاحة فليأت بمثل ما أتى به ولن يقدر على ذلك أبدا
* أم خلقوا من غير شئ أي من غير شئ حي كالجماد فهم لا يؤمرون ولا ينهون كما هي الجمادات عليه قاله
الطبري * وقيل من غير شئ أي من غير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون ولا
يتشرعون وهذا كما تقول فعلت كذا وكذا من غير علة أي لغير علة فمن للسبب وفي القول الأول
لابتداء الغاية * وقال الزمخشري أم خلقوا أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير
شئ من غير مقدر أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق بل لا يوقنون أي اذا سئلوا
من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون أم خلقوا من
غير رب ولا خالق أي أم أحدثوا وبرزوا للوجود من غير اله يبرزهم وينشئهم أم هم الخالقون
لانفسهم فلا يعبدون الله ولا يأتمرون بأوامره ولا ينتهون عن مناهيه والقسمان باطلان وهم يعترفون
بذلك فدل على بطلانهم * وقال ابن عطية ثم وقفهم على جهة التوبيخ على أنفسهم أهم الذين خلقوا
الأشياء فهم لذلك يتكبرون ثم خصص من تلك الأشياء السموات والأرض لعظمها وشرفها في
المخلوقات ثم حكم عليهم بأنهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرا يؤديهم الى اليقين * أم عندهم خزائن
ربك * قال الزمخشري خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علمه حتى
يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة أم هم المسيطرون الأرباب الغالبون حتى يدبرون أمر
الربوبية ويبنوا الأمور على ارادتهم * وقال ابن عطية أم عندهم الاستغناء عن الله تعالى في جميع
الأمور لأن المال والصحة والقوة وغير ذلك من الأشياء كلها من خزائن الله تعالى * وقال
الزهراوي وقيل يريد بالخزائن العلم وهذا قول حسن اذا تؤمل وبسط * وقال الرماني خزائنه
تعالى مقدوراته انتهى والمسيطر قال ابن عباس المسلط القاهر * وقرأ الجمهور المصيطرون بالصاد
وهشام وقنبل وحفص بخلاف عنه بالسين وهو الاصل ومن أبدلها صادا فلاجل حرف الاستعلاء
وهو الطاء وأشم خلف عن حمزة وخلاد عنه بخلاف عنه الزاي * أم لهم سلم منصوب الى السماء
يستمعون فيه أي عليه أو منه اذ حروف الجر قد يسد بعضها مسد بعض وقدره الزمخشري صاعدين
فيه ومفعول يستمعون محذوف تقديره الخبر بصحة ما يدعونه وقدره الزمخشري ما يوحى الى
الملائكة من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة
دونه كما يزعمون * بسلطان مبين أي بحجة واضحة بصدق استماعهم مستمعهم * أم تسألهم أجرا على
الايمان بالله وتوحيده واتباع شرعه فهم من ذلك المغرم الثقيل اللازم مثقلون فاقتضى زهدهم
في اتباعك * أم عندهم الغيب أي اللوح المحفوظ فهم يكتبون أي يثبتون ذلك للناس شرعا وذلك
عبادة الاوثان وتسييب السوائب وغير ذلك من سيرهم * وقيل المعنى فهم يعلمون متى يموت محمد

صلى الله عليه وسلم الذي يتربصون به ويكتبون بمعنى يحكمون * وقال ابن عباس يعني أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون * أم يريدون كيدا أي بك وبشرعك وهو كيدهم به في دار الندوة فالذين كفروا أي فهم وأبرز الظاهر تنبيها على العلة أو الذين كفروا عام فيندرجون فيه هم المكيدون أي الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر وسمى غلبتهم كيدا اذ كانت عقوبة الكيد أم لهم إله غير الله يعصمهم ويدفع عنهم في صدور اهلاكهم ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به من الأصنام والأوثان * وان يروا كسفا من السماء كانت قريش قد اقترحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اقترحت من قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فأخبر تعالى أنهم لو رأوا ذلك عيانا حسب اقتراحهم لبلغ بهم عتوهم وجهلهم أن يغالطوا أنفسهم فيما عاينوه وقالوا هو سحاب مركوم تراكم بعضه على بعض ممطرنا وليس بكسف ساقط للعذاب * فذرهم أمر موادعة منسوخ بآية السيف * وقرأ الجمهور حتى يلاقوا وأبو حيوة حتى يلقوا مضارع لقي يومهم أي يوم موتهم واحدا واحدا والصعق العذاب أو يوم بدر لأنهم عذبوا فيه أو يوم القيامة أقوال ثالثها قول الجمهور لأن صعقته تعم جميع الخلائق * وقرأ الجمهور يصعقون بفتح الياء * وقرأ عاصم وابن عامر وزيد بن علي وأهل مكة في قول شبل بن عبادة وقصها أهل مكة كالجمهور في قول اسماعيل * وقرأ السلمي بضم الياء وكسر العين من أصعق رباعيا * وإن للذين ظلموا أي لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك أي دون يوم القيامة وقبله وهو يوم بدر والفتح قاله ابن عباس وغيره * وقال البراء بن عازب وابن عباس أيضا هو عذاب القبر * وقال الحسن وابن زيد مصائبهم في الدنيا * وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين * فانك بأعيننا عبارة عن الحفظ والكلاءة وجمع لأنه أضيف الى ضمير الجماعة وحين كان الضمير مفردا أفرد العين قال تعالى ولتصنع على عيني * وقرأ أبو السمال بأعينا بنون واحدة مشددة * وسبح بحمد ربك قال أبو الأحوص عوف بن مالك هو التسبيح المعروف وهو قول سبحان الله عند كل قيام * وقال عطاء حين تقوم من كل مجلس وهو قول ابن جبير ومجاهد * وقال ابن عباس حين تقوم من منامك * وقيل هو صلاة التطوع * وقيل الفريضة * وقال الضحاك حين تقوم الى الصلاة تقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك * وقال زيد بن أسلم حين تقوم من القائلة والتسبيح إذ ذاك هو صلاة الظهر * وقال ابن السائب اذكر الله بلسانك حين تقوم من فراشك الى أن تدخل في الصلاة * ومن الليل فسبحه قبل صلاة المغرب والعشاء * وادبار النجوم صلاة الصبح * وعن عمر وعلي وأبي هريرة والحسن انها النوافل وادبار النجوم ركعتا الفجر * وقرأ سالم بن أبي الجعد والمنهال بن عمرو ويعقوب وأدبار بفتح الهمزة بمعنى وأعقاب النجوم

﴿ سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والنجم اذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى الى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على

ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * أم للإنسان ما تمنى * فلله الآخرة والأولى * وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى * وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيأ * فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى * ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأ كم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى * أفرأيت الذي تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما في صحف موسى * وابراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن الى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عادا الأولى * وثمودا فما أبقى * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى * والمؤتفكة أهوى * فغشاها ما غشى * فبأي آلاء ربك تتمارى * هذا نذير من النذر الأولى * أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة * أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ * المرة القوة من أمررت الحبل اذا أحكمت فتله * وقال قطرب تقول العرب لكل جزل الرأي خصيف العقل انه لذو مرة قال

وانى لذو مرة مرة * اذا ركبت خالة خالها

* تدلى العذق تدليا امتد من علو الى جهة السفل * فيستعمل في القرب من العلو قاله الفراء وابن الاعرابي * قال أسامة الهذلي

تدلى علينا وهو زرق حمامة * اذا طحلب في منتهى القيظ هامد

* القاب والقيب والقاد والقيد المقدار * القوس معروف وهو آلة لرمي السهام وتختلف أشكاله * السدرة شجرة النبق * الضيزى الجائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه * قال الشاعر

ضازت بنو أسد بحكمهم * إذ يجعلون الرأس كالذنب

وأصلها ضوزى على وزن فعلى نحو حبلى وأنثى وريا ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء ولا يوجد فعلى بكسر الفاء في الصفات كذا قال سيبويه * وحكى ثعلب مشية حيكى ورجل كيصى * وحكى غيره امرأة عزهى وامرأة سعلى والمعروف عزماة وسعلاة * وقال الكسائي ضاز يضيز ضيزى وضاز يضوز ضوزى وضأز يضأز ضأزا * اللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون وألم بالمكان قل لبثه فيه وألم بالطعام قل أكله منه * وقال المبرد أصل اللمم أن يلم بالشيء من غير أن يركبه يقال ألم

﴿ سورة والنجم ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لآخر ماقبلها ظاهرة لانه قال أم يقولون تقوله أى اختلق القرآن ونسبوه الى الشعر وقالوا هو كاهن هو مجنون فاقسم تعالى أنه عليه السلام ماضل وأن ماأتى به هو وحى من الله تعالى وهى أول سورة أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءتها فى الحرم والمشركون يسمعون وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبى لهب فانه رفع حفنة من التراب الى جبهته وقال يكفى هذا وسبب نزولها قول المشركين ان محمدا يختلق القرآن وأقسم تعالى بالنجم وهو هنا اسم جنس والمراد النجوم اذا هوت أى غربت وقيل النجم معين وهو الثريا وهويها سقوطها مع الفجر وهو علم عليها بالغلبة ولا تقول العرب النجم مطلقا الا للثريا واذا ظرف زمان والعامل فيه محذوف تقديره كائنا اذا هوى وكائنا منصوب على الحال أقسم تعالى بالنجم فى حال هويه ﴿ ما ضل ﴾ جواب القسم و﴿ صاحبكم ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وما ينطق ﴾ أى الرسول عليه السلام ﴿ عن الهوى ﴾ أى عن هوى نفسه ﴿ ان هو الا وحى ﴾ من عند الله ﴿ يوحى ﴾ اليه ﴿ علمه ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام فالمفعول الثانى محذوف أى علمه الوحى أو على القرآن فالمفعول الاول محذوف أى علمه الرسول ﴿ شديد القوى ﴾ هو جبريل عليه السلام وهو مناسب

بكذا اذا قاربه ولم يخالطه * وقال الأزهرى العرب تستعمل الالمام فى المقاربة والدنو يقال ألم يفعل كذا بمعنى كاد يفعل * قال جرير

بنفسى من تجنبه عزيز * علىّ ومن زيارته لمام

وقال آخر * لقاء أخلاء الصفا لمام * الأجنة جمع جنين وهو الولد فى البطن سمى بذلك لاستتاره والاجتنان الاستتار * أكدى أصله من الكدية يقال لمن حفر بئرا ثم وصل الى حجر لا يتهيأ له فيها حفر قد أكدى ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتم ولمن طلب شيأ فلم يبلغ آخره * قال الحطيئة

فأعطى قليلا ثم أكدى عطاءه * ومن يبذل المعروف فى الناس يحمد

* وقال الكسائى وغيره أكدى الحافر اذا بلغ كدية أو جبلا ولا يمكنه أن يحفر وحفر فأكدى اذا وصل الى الصلب ويقال كديت أصابعه اذا كلت من الحفر وكدا النبت قل ريعه * وقال أبو زيد أكدى الرجل قل خيره * أقنى قال الجوهرى قنى يقنى قنى كغنى يغنى غنى ويتعدى بتغيير الحركة فتقول قنيت المال أى كسبته نحو شترت عين الرجل وشترها الله ثم تعدى بعد ذلك بالهمزة أو التضعيف فتقول أقناه الله مالا وقناه الله مالا * وقال الشاعر

كم من غنى أصاب الدهر ثروته * ومن فقير تقنى بعد اقلال

أى تقنى المال ويقال أقناه الله مالا وأرضاه من القنية قال أبو زيد تقول العرب لمن أعطى مائة من المعز أعطى القنى ومن أعطى مائة من الضأن أعطى الغنى ومن أعطى مائة من الابل أعطى المنى * الشعرى هو الكوكب المضىء الذى يطلع بعد الجوزاء وطلوعه فى شدة الحر ويقال له مرزم الجوزاء وهما الشعريان العبور التى فى الجوزاء والشعرى الغميصاء التى فى الذراع وتزعم العرب انهما أختا سهيل * قال الزمخشرى وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور ومن كذب العرب أن سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل وصار يمانيا فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء لانها أخفى من الأخرى * أزف قرب قال كعب بن زهير

بان الشباب وهذا الشيب قد أزفا * ولا أرى لشباب بائن خلفا

﴿ وقال النابغة الذبيانى ﴾

أزف الترحل غير أن ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد

ويروى أفد الترحل * سمد لهى ولعب قال الشاعر

ألا أيها الانسان انك سامد * كأنك لا تفنى ولا أنت هالك

﴿ وقال آخر ﴾

قيل قم فانظر اليهم * ثم دع عنك السمودا

وقال أبو عبيدة * السمود الغناء بلغة حمير يقولون ياجارية اسمدى لنا أى غنى لنا ﴿ والنجم اذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى

للاوصاف التي بعده ﴿ذو مرة﴾ أي ذو قوة ومنه لاتحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ﴿فاستوى﴾ أي جبريل في الجو ﴿وهو بالافق الاعلى﴾ اذ رآه الرسول عليه السلام بحراء قد سد الافق له ستمائة جناح وحينئذ دنا من محمد صلى الله عليه وسلم حتى كان قاب قوسين وكذلك هو المرئي في النزلة الاخرى له ستمائة جناح عند سدرة المنتهى ﴿ثم دنى﴾ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فتدلى﴾ فتعلق عليه في الهوى ﴿فكان﴾ مقدار مسافة قربه منه مثل ﴿قاب قوسين﴾ أي قدر قوسين فحذفت هذه المضافات والظاهر أن الدنو والتدلي كان بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم ويدل على ذلك قوله ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ وسدرة المنتهى قيل هي شجرة نبق في السماء السابعة ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء كانه ينتهي اليها علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها صعدا الى الله تعالى وقال الشاعر في وصفه صلى الله عليه وسلم الى السدرة العليا تسامى حقيقة * فكان به المجد المؤثل للسدر ﴿عندها﴾ الضمير عائد على السدرة ﴿اذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ فيه إبهام الموصول وصلته لتعظيم الغاشي وتكثير الذي يغشاها اذ ذاك أشياء لا يعلم وصفها الا الله تعالى ﴿ما زاغ البصر﴾ أي ما مال لا هكذا ولا هكذا ﴿وما طغى﴾ أي ما جاوز المرئي الى غيره بل وقع عليه وقوعا صحيحا وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قيل الكبرى مفعول رأى أي رأى الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آيات ربه أي حين رقي الى السماء رأى عجائب الملكوت وتلك بعض آيات الله تعالى وقيل من آيات هو في موضع المفعول والكبرى صفة لآيات ربه ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة وحسن ذلك هنا كونها فاصلة ﴿أفرأيتم﴾ خطاب لقريش ولما (١٥٦) قرر الرسالة أولا واتبعه بما اتبعه من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته الباهرة بدأ بذكر التوحيد والمنع عن الاشراك بالله تعالى فوقفهم على حقارة معبوداتهم وهي الأوثان وانها ليست لها قدرة واللات صنم كانت العرب تعظمه قال قتاده كان بالطائف وقرئ اللات قال ابن عباس كان هذا رجلا بسوق عكاظ يلت السمن والسويق عند صخرة وقيل كان ذلك الرجل من بهز يلت السويق للحاج على حجر فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده اجلالا لذلك الرجل وسموه باسمه ﴿والعزى﴾ صنم وقيل صخرة كانت بغطفان وأصلها تأنيث الأعز بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يديها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك * اني رأيت الله قد أهانك ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا ﴿ومناة﴾ قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل غير ذلك والذي يظهر انها كانت ثلاثتها في الكعبة لان المخاطب بذلك في قوله أفرأيتم هم قريش والظاهر أن ﴿الثالثة الأخرى﴾ صفتان لمناة وهما يفيدان التوكيد قيل ولما كانت مناة هي أعظم هذه الأوثان أكدت بهذين الوصفين كما تقول أرأيت فلانا وفلانا ثم تذكر ثالثا أجل منهما فتقول وفلانا الآخر الذي من أمره وشأنه ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات وذلك نص في الآية واللات والعزى ومناة منصوبة بقوله أفرأيتم وهي بمعنى أخبرني والمفعول الثاني الذي لها هو قوله ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ على حسب ما تقرر في متعلق أرأيت اذا كانت بمعنى أخبرني ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على اللات والعزى ومناة لان قوله وله الانثى هو في معنى وله هذه الاناث فاغنى عن الضمير وكانوا يقولون في هذه الاصنام هي بنات الله تعالى فالمعنى ألكم النوع المستحسن المحبوب الموجود فيكم وله النوع المذموم بزعمكم وهو المستثقل وحسن ايراد الانثى كونه نصا في اعتقادهم انهن إناث وانهن بناته تعالى وان كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة وألف التأنيث في العزى ما يشعر بالتأنيث لكنه قد يسمى المذكر بالمؤنث فكان في قوله الانثى نص على اعتقاد التأنيث فيها وحسن ذلك أيضا كونه جاء فاصلة اذ لو أتى ضميرا فكان التركيب ألكم الذكر وله هن لم تقع فاصلة عندكم والاشارة بتلك الى قسمتهم وتقريرهم أن لهم الذكر وان لله البنات وكانوا يقولون ان هذه الاصنام والملائكة بنات الله تعالى و ﴿ضيزى﴾

* ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنى فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى الى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من

سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * أم للانسان ما تمنى * فلله الآخرة والاولى * هذه السورة مكية * ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة لانه قال أم يقولون تقوّله أي اختلق القرآن ونسبوه الى الشعر وقالوا هو كاهن ومجنون فأقسم تعالى انه صلى الله عليه وسلم ما ضل وأن ما يأتي به هو وحي من الله وهي أول سورة أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بها في الحرم والمشركون يستمعون وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير أبي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا وسبب نزولها قول المشركين ان محمدا صلى الله عليه وسلم يختلق القرآن وأقسم تعالى بالنجم فقال ابن عباس ومجاهد والفراء والقاضي منذر بن سعيد هو الجملة من القرآن اذا نزلت وقد نزل منجما في عشرين سنة * وقال الحسن ومعمر بن المثنى هو هنا اسم جنس والمراد النجوم اذا هوت أي غربت قال الشاعر

فباتت تعد النجم في مستجره * سريع بأيدي الآكلين جمودها

أي تعد النجوم * وقال الحسن وأبو حمزة الثمالي النجوم اذا انتثرت في القيامة * وقال ابن عباس أيضا هو انقض في أثر الشياطين وهذا تساعده اللغة * وقال الأخفش والنجم اذا طلع وهويه سقوطه على الارض * وقال ابن جبير الصادق هو النبي صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج * وقيل النجم معين * فقال مجاهد وسفيان هو الثريا وهويها سقوطها مع الفجر وهو علم عليها بالغلبة ولا تقول العرب النجم مطلقا الا للثريا ومنه قول العرب

طلع النجم عشاء * فابتغى الراعي كساء

طلع النجم غديه * فابتغى الراعي كسيه

* وقيل الشعرى واليها الاشارة بقوله وانه هو رب الشعرى والكهان والمنجمون يتكلمون على المغيبات عند طلوعها * وقيل الزهرة وكانت تعبد * وقيل والنجم هم الصحابة * وقيل العلماء مفرد أريد به الجمع وهو في اللغة خرق الهوى ومقصده السفل إذ مصيره اليه وان لم يقصد اليه * وقال الشاعر * هوى الدلو أسلمها الرشا * ومنه هوى العقاب صاحبكم هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي * وما ينطق أي الرسول عليه الصلاة والسلام عن الهوى أي عن هوى نفسه ورأيه إن هو الا وحي من عند الله يوحى اليه * وقيل وما ينطق أي القرآن عن هوى وشهوة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إن هو أي الذي ينطق به أو إن هو أي القرآن علمه الضمير عائد على الرسول صلى الله عليه وسلم فالمفعول الثاني محذوف أي علمه الوحي أو على القرآن فالمفعول الاول محذوف أي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم شديد القوى هو جبريل وهو مناسب للاوصاف التي بعده * وقاله ابن عباس وقتادة والربيع * وقال الحسن شديد القوى هو الله تعالى وهو بعيد * ذو مرة ذو قوة ومنه لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي * وقيل ذو هيئة حسنة * وقيل هو جسم طويل حسن ولا يناسب هذان القولان الا اذا كان شديد القوى هو جبريل عليه السلام فاستوى الضمير لله في قول الحسن وكذا وهو بالأفق الأعلى لله تعالى على معنى العظمة والقدرة والسلطان وعلى قول الجمهور فاستوى أي جبريل في الجو وهو بالأفق الأعلى إن رآه الرسول عليه الصلاة والسلام بحراء فسد الأفق له ستمائة جناح وحينئذ دنا من محمد حتى كان قاب قوسين وكذلك هو المرئي في النزلة الاخرى بستمائة جناح عند السدرة قاله الربيع والزجاج وقال الطبري

---

أي جائرة يقال ضاز يضوزه ويضيزه وضأزه يضأزه وقرئ ضيزى بغير همز وبالهمز ووزنها فعلى والالف فيها للتأنيث ﴿الا الظن﴾ وهو ترجيح أحد الجائزين ﴿وما تهوى الانفس﴾ أي تميل اليه بلذة وانما تهوى أبدا ما هو غير الافضل لانها مجبولة على حب الملاذ وانما يسوقها الى حسن العاقبة العقل ﴿ولقد جاءهم﴾ توبيخ لهم فالذي هم عليه فاصل واعتراض بين الجملتين أي يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم فكانوا أولى من يقبله ويترك عبادة من لا يجدي عبادته شيأ ﴿أم للانسان﴾ هو متصل بقوله وما تهوى الانفس أي بل للانسان والمراد به الجنس ﴿ما تمنى﴾ ما تعلقت به أمانيه أي ليست الأشياء والشهوات تحصل بالاماني بل الأمر لله تعالى فقولكم ان آلهتكم تشفع وتقرب زلفى ليس لكم ذلك ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أي هو مالكها فيعطي منها من يشاء ويمنع من يشاء وليس لأحد أن يبلغ منها الا ما شاء الله تعالى له وقدم الآخرة في الذكر لشرفها ودوامها وأخر الأولى لتأخيرها في ذلك ولكونها فاصلة فلم يراع الترتيب الوجودي كقوله وان لنا للآخرة والأولى

والفراء المعنى فاستوى جبريل وقوله وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفي هذا التأويل العطف على الضمير المرفوع من غير فصل وهو مذهب الكوفيين وقد يقال الضمير في استوى للرسول وهو لجبريل والاعلى لعمه الرأس وماجرى معه * وقال الحسن وقتادة هو أفق مشرق الشمس * وقال الزمخشري فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له بالأفق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الأفق * وقيل مارآه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرة في الأرض ومرة في السماء ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهوى وكان مقدار مسافة قربه منه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله

* وقد جعلتني من خزيمة أصبعا * أي ذا مسافة مقدار أصبع أو أدنى على تقديركم كقوله أو يزيدون الى عبده أي الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لايلبس كقوله ماترك على ظهرها ماأوحى تفخيم للوحي الذي أوحى اليه قبل انتهى * وقال ابن عطية ثم دنا * قال الجمهور أي جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام عند حراء * وقال ابن عباس وأنس في حديث الاسراء مايقتضي أن الدنو يستند الى الله تعالى * وقيل كان الدنو الى جبريل * وقيل الى الرسول صلى الله عليه وسلم أي دنا وحيه وسلطانه وقدرته والصحيح أن جميع مافي هذه الآيات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد رآه نزلة أخرى فانه يقتضي نزلة متقدمة وماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه قبل ليلة الاسراء ودنا أعم من تدلى فبين هيئة الدنو كيف كانت قاب قدر قال قتادة وغيره معناه من طرف العود الى طرفه الآخر * وقال الحسن ومجاهد من الوتر الى العود في وسط القوس عند المقبض * وقال أبو رزين ليست بهذه القوس ولكن قدر الذراعين وعن ابن عباس أن القوس هنا ذراع تقاس به الأطوال وذكر الثعلبي أنه من لغة الحجاز * فأوحى أي الله الى عبده أي الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس * وقيل الى عبده جبريل ماأوحى ابهام على جهة التعظيم والتفخيم والذي عرف من ذلك فرض الصلوات * وقال الحسن فأوحى جبريل الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ماأوحى كالأول في الابهام * وقال ابن زيد فأوحى جبريل الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ماأوحاه الله تعالى الى جبريل عليه السلام * وقال الزمخشري ماأوحى أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك * ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم مارآه ببصره من صورة جبريل أي ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في أن مارآه حق انتهى * وقرأ الجمهور ما كذب مخففا على معنى لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم الشيء الذي رآه بل صدقه وتحققه نظرا وكذب يتعدى * وقال ابن عباس وأبو صالح رأى محمد صلى الله عليه وسلم الله تعالى بفؤاده * وقيل مارأى بعينه لم يكذب ذلك قلبه بل صدقه وتحققه ويحتمل أن يكون التقدير فيما رأى وعن ابن عباس وعكرمة وكعب الأحبار أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه وأبت ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت أنا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات فقال لي هو جبريل عليه السلام فيها كلها * وقال الحسن المعنى مارأى من مقدورات الله تعالى وملكوته * وسأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور اني أراه وحديث عائشة قاطع لكل تأويل في اللفظ لان قول غيرها انما هو

منتزع من ألفاظ القرآن وليست نصا في الرؤية بالبصر بل ولا بغيره * وقرأ أبو رجاء وأبو جعفر وقتادة والجحدري وخالد بن الياس وهشام عن ابن عامر ما كذب مشددا * وقال كعب الأحبار ان الله قسم الرؤية والكلام بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام فكلم موسى مرتين ورآه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين * وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها لقد وقف شعري من سماع هذا وقرأت لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وذهبت هي وابن مسعود وقتادة والجمهور الى أن المرئي مرتين هو جبريل مرة في الأرض ومرة عند سدرة المنتهى * وقرأ الجمهور أفتمارونه أي أتجادلونه على شئ رآه ببصره وأبصره وعدى بعلى لما في الجدال من المغالبة وجاء يرى بصيغة المضارع وان كانت الرؤية قد مضت اشارة الى ما يمكن حدوثه بعد * وقرأ علي وعبد الله وابن عباس والجحدري ويعقوب وابن سعدان وحمزة والكسائي بفتح التاء وسكون الميم مضارع مريت أي جحدت يقال مريته حقه اذا جحدته قال الشاعر

لئن سخرت أخا صدق ومكرمة * لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وعدى بعلى على معنى التضمين وكانت قريش حين أخبرهم صلى الله عليه وسلم بأمره في الاسراء كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم بيت المقدس وأمر عيرهم وغير ذلك مما هو مستقصى في حديث الاسراء * وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه والشعبي فيما ذكر شعبة بضم التاء وسكون الميم مضارع أمريت * قال أبو حاتم وهو غلط * ولقد رآه الضمير المنصوب عائد على جبريل عليه السلام قال ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع نزلة أخرى أي مرة أخرى أي نزل عليه جبريل عليه السلام مرة أخرى في صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج وأخرى تقتضي نزلة سابقة وهي المفهومة من قوله ثم دنا جبريل فتدلى وهو الهبوط والنزول من علو * وقال ابن عباس وكعب الاحبار الضمير عائد على الله على ما سبق من قولهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين وانتصب نزلة قال الزمخشري نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل * وقال الحوفي وابن عطية مصدر في موضع الحال * وقال أبو البقاء مصدر أي مرة أخرى أو رؤية أخرى عند سدرة المنتهى * قيل هي شجرة نبق في السماء السابعة * وقيل في السماء السادسة ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء لانه ينتهي اليها علم كل عالم ولا يعلم ماوراءها صعدا الا الله تعالى عز وجل أو ينتهي اليها كل من مات على الايمان من كل جيل أو ينتهي اليها ما نزل من أمر الله تعالى ولا تتجاوزها ملائكة العلو وما صعد من الأرض ولا تتجاوزها ملائكة السفل أو تنتهي اليها أرواح الشهداء أو كأنها في منتهى الجنة وآخرها أو تنتهي اليها الملائكة والأنبياء ويقفون عندها أو ينتهي اليها علم الأنبياء ويعزب علمهم عن ماوراءها أو تنتهي اليها الأعمال أو لانتهاء من رفع اليها في الكرامة أقوال تسعة * عندها جنة المأوى أي عنده السدرة قيل ويحتمل عند النزلة * قال الحسن هي الجنة التي وعدها الله المؤمنين * وقال ابن عباس بخلاف عنه وقتادة هي جنة تأوي اليها أرواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون جنة النعيم * وقيل جنة مأوى الملائكة * وقرأ علي وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس وزر ومحمد بن كعب وقتادة جنه بهاء الضمير وجن فعل ماض والهاء ضمير النبي صلى الله عليه وسلم أي عندها ستره ايواء الله تعالى وجميل صنعه * وقيل المعنى ضمه المبيت والليل * وقيل جنه بظلاله ودخل فيه وردت عائشة وصحابة معها هذه القراءة

وقالوا أجن الله من قرأها واذا كانت قراءة قرأها أكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لأحد ردها * وقيل ان عائشة رضي الله تعالى عنها أجازتها وقراءة الجمهور جنة المأوى كقوله في آية أخرى فلهم جنات المأوى نزلا * إذ يغشى السدرة ما يغشى فيه إبهام الموصول وصلته تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاها اذ ذاك أشياء لا يعلم وصفها الا الله تعالى * وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها * وقيل ما يغشى من قدرة الله تعالى وأنواع الصفات التي يخترعها لها * وقال ابن مسعود وأنس ومسروق ومجاهد وابراهيم ذلك جراد من ذهب كان يغشاها * وقال مجاهد ذلك تبدل أغصانها درا أو ياقوتا * وروي في الحديث رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله تعالى وأيضا يغشاها رفرف أخضر وأيضا تغشاها ألوان لا أدري ما هي وعن أبي هريرة يغشاها نور الخلاق وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت وعن ابن عباس غشيها رب العزة أي أمره كما جاء في صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها من أمر الله ما غشي ونظير هذا الابهام للتعظيم فأوحى إلى عبده ما أوحى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى * ما زاغ البصر قال ابن عباس ما مال هكذا ولا هكذا * وقال الزمخشري أي أثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره أو يتجاوزه اذ ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته انتهى * وقال غيره وما طغى ولا تجاوز المرئي الى غيره بل وقع عليه وقوعا صحيحا وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * قيل الكبرى مفعول رأى أي رأى الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آيات ربه أي حين رقي الى السماء رأى عجائب الملكوت وتلك بعض آيات الله * وقيل من آيات هو في موضع المفعول والكبرى صفة لآيات ربه ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة وحسن ذلك هنا كونها فاصلة كما في قوله لنريك من آياتنا الكبرى عند من جعلها صفة لآياتنا * وقال ابن عباس وابن مسعود أي رفرف أخضر قد سد الأفق * وقال ابن زيد رأى جبريل في الصورة التي هو بها في السماء * أفرأيتم خطاب لقريش ولما قرر الرسالة أولا وأتبعه من ذكر عظمة الله وقدرته الباهرة بذكر التوحيد والمنع عن الاشراك بالله تعالى وقفهم على حقارة معبوداتهم وهي الأوثان وانها ليست لها قدرة واللات صنم كانت العرب تعظمه * قال قتادة كان بالطائف * وقال أبو عبيدة وغيره كان في الكعبة * وقال ابن زيد كان بنخلة عند سوق عكاظ * قال ابن عطية وقول قتادة أرجح ويؤيده قول الشاعر

وفرت ثقيف الى لاتها * بمنقلب الخائب الخاسر

انتهى ويمكن الجمع بان تكون أصناما سميت باسم اللات فاخبر كل عن صنم بمكانه والتاء في اللات قيل أصلية لام الكلمة كالباء من باب وألفه منقلبة فيما يظهر من ياء لان مادة ليت موجودة فان وجدت مادة من ل و ت جاز أن تكون منقلبة من واو * وقيل التاء للتأنيث ووزنها فعلة من لوى قيل لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أي يطوفون حذفت لامها * وقرأ الجمهور اللات خفيفة التاء وابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو صالح وطلحة وأبو الجوزاء ويعقوب وابن كثير في رواية بشدها * قال ابن عباس كان هذا رجلا بسوق عكاظ يلت السمن والسويق عند صخرة * وقيل كان ذلك الرجل من بهز يلت السويق للحجاج على حجر فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده اجلالا لذلك الرجل وسموه باسمه * وقيل سمي برجل كان يلت عنده السمن بالدبس ويطعمه الحجاج * وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا

يمكفون على قبره فجعلوه وثنا وفي التحرير انه كان صنما تعظمه العرب * وقيل حجر ذلك اللات وسموه باسمه وعن ابن جبير صخرة بيضاء كانت العرب تعبدها وتعظمها وعن مجاهد شجيرات تعبد بيلادها انتقل أمرها الى الصخرة انتهى ملخصا وتلخص في اللات أهو صنم أو حجر يلت عليه أو صخرة يلت عندها أو قبر اللات أو شجيرات ثم صخرة أو اللات نفسه أقوال والعزى صنم * وقيل سمرة لغطفان وأصلها تأنيث الأعز بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول

ياعز كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام تلك العزى ولن تعبد أبدا * وقال أبو عبيدة كانت العزى ومناة بالكعبة انتهى ويدل على هذا قول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين لنا عزى ولا عزى لكم * وقال ابن زيد كانت العزى بالطائف * وقال قتادة كانت بنخلة ويمكن الجمع فانه كان في كل مكان منها صنم يسمى بالعزى كما قلنا في اللات فاخبر كل واحد عن ذلك الصنم المسمى ومكانه * ومناة قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف * وقيل بالمشلل من قديد بين مكة والمدينة وكانت أعظم هذه الأوثان قدرا وأكثرها عددا وكانت الأوس والخزرج تهل لها هذا اضطراب كثير في هذه الأوثان ومواضعها والذي يظهر انها كانت ثلاثتها في الكعبة لان المخاطب بذلك في قوله أفرأيتم هم قريش * وقرأ الجمهور ومناة مقصورا * فقيل وزنها فعلة سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تراق * وقرأ ابن كثير ومناءة بالمد والهمز * فقيل ووزنها مفعلة فالألف منقلبة عن واو نحو مقالة والهمزة أصل مشتقة من النوء كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والقصر أشهر * قال جرير

أزيد مناة توعد بأس تيم * تأمل أين تاه بك الوعيد

وقال آخر في المد والهمز

ألا هل أتى تيم بن عبد مناءة * على النأى فيما بيننا ابن تميم

واللات والعزى ومناة منصوبة بقوله أفرأيتم وهي بمعنى أخبرني والمفعول الثاني الذي لها هو قوله ألكم الذكر وله الأنثى على حد ما تقرر في متعلق أرأيت اذا كانت بمعنى أخبرني ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على اللات والعزى ومناة لان قوله وله الأنثى هو في معنى وله هذه الاناث فاغنى عن الضمير وكانوا يقولون في هذه الاصنام هي بنات الله فالمعنى ألكم النوع المحبوب المستحسن الموجود فيكم وله النوع المذموم بزعمكم وهو المستثقل وحسن ابراز الأنثى كونه نصا في اعتقادهم انهن اناث وانهن بنات الله تعالى وان كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة وألف التأنيث في العزى ما يشعر بالتأنيث لكنه قد يسمى المذكر بالمؤنث فكان في قوله الانثى نص على اعتقاد التأنيث فيها وحسن ذلك أيضا كونه جاء فاصلة اذ لو أتى ضميرا فكان التركيب ألكم الذكر وله هن لم تقع فاصلة * وقال الزجاج وجه تلفيق هذه الآية مع ما قبلها فيقول أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السالفة انتهى فجعل المفعول الثاني لأفرأيتم جملة الاستفهام التي قدرها وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها وعلى تقديره يبقى قوله ألكم الذكر وله الانثى متعلقا بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الاعراب كما قلناه نحن ولا يعجبني قول

الزجاج وجه تلفيق هذه الآية مع ماقبلها ولو قال وجه اتصال هذه أو وجه انتظام هذه مع ماقبلها لكان الجيد في الادب وان كان يعني هذا المعنى * وقال ابن عطية أفرأيتم خطاب لقريش وهي من رؤية العين لانه أحال على أجرام مرئية ولو كانت أرأيت التي هي استفتاء لم تتعد انتهى ويعني بالاجرام اللات والعزى ومناة وأرأيت التي هي استفتاء تقع على الاجرام نحو أرأيت زيدا ماصنع وقوله ولو كانت أرأيت التي هي استفتاء يعني الذي تقول النحاة فيه انها بمعنى أخبرني لم تتعد والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدى الى اثنين أحدهما منصوب والآخر في الغالب جملة استفهامية وقد تكرر لنا الكلام في ذلك وأوله في سورة الانعام ودل كلام ابن عطية على أنه لم يطالع ماقاله الناس في أرأيت اذا كانت استفتاء على اصطلاحه وهي التي بمعنى أخبرني والظاهر ان الثالثة الاخرى صفتان لمناة وهما يفيدان التوكيد * قيل ولما كانت مناة هي أعظم هذه الاوثان أكدت بهذين الوصفين كما تقول رأيت فلانا وفلانا ثم تذكر ثالثا أجل منهما فتقول وفلانا الآخر الذي من شأنه ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات وذلك نص في الآية ومنه قول ربيعة بن مكرم * ولقد شفعتهما بآخر ثالث * انتهى وقول ربيعة مخالف للآية لان ثالثا جاء بعد آخر وعلى قول هذا القائل ان مناة هي أعظم هذه الاوثان يكون التأكيد لاجل عظمها ألا ترى الى قوله ثم تذكر ثالثا أجل منهما * وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم لاولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى انتهى ولفظ آخر ومؤنثه أخرى لم يوضعا للذم ولا للمدح انما يدلان على معنى غير الا ان من شرطهما أن يكونا من جنس ماقبلهما لو قلت مررت برجل وآخر لم يدل إلا على معنى غير لا على ذم ولا على مدح * وقال أبو البقاء والأخرى توكيد لان الثالثة لاتكون إلا أخرى انتهى * وقيل الأخرى صفة للعزى لانها ثانية اللات والثانية يقال لها الأخرى وأخرت لموافقة رؤس الآي * وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتأخير تقديره والعزى الأخرى ومناة الثالثة الذليلة وذلك لان الأولى كانت وثنا على صورة آدمي والعزى صورة نبات ومناة صورة صخرة فالآدمي أشرف من النبات والنبات أشرف من الجماد فالجماد متأخر ومناة جماد فهي في أخريات المراتب والاشارة بتلك الى قسمتهم وتقديرهم ان لهم الذكران ولله تعالى البنات وكانوا يقولون ان هذه الأصنام والملائكة بنات الله تعالى * قال ابن عباس وقتادة ضيزى جائرة وسفيان منقوصة وابن زيد مخالفة ومجاهد ومقاتل عوجاء والحسن غير معتدلة وابن سيرين غير مستوية وكلها أقوال متقاربة في المعنى * وقرأ الجمهور ضيزى من غير همز والظاهر أنه صفة على وزن فعلى بضم الفاء كسرت لتصح الياء ويجوز أن تكون مصدرا على وزن فعلى كذكرى ووصف به * وقرأ ابن كثير ضئزى بالهمز فوجه على انه مصدر كذكرى * وقرأ زيد بن علي ضيزى بفتح الضاد وسكون الياء ووجه على أنه مصدر كدعوى وصف به أو وصف كسكرى وناقة حرمى ويقال ضوزى بالواو وبالهمز وتقدم في المفردات حكاية لغة الهمز عن الكسائي * وأنشد الأخفش

فان تنأ عنها تقتنصك وان تغب * فسهمك مضؤوز وأنفك راغم

إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان تقدم تفسير نظيرها في سورة هود وفي سورة الأعراف * وقرأ الجمهور إن يتبعون بياء الغيبة وعبد الله وابن عباس وابن وثاب

لأنه أحال على اجرام مرئية ولو كانت أرأيت التي هي استفتاء لم يتعد (ح) يعني بالاجرام اللات والعزى ومناة وأرأيت هي استفتاء تقع على الاجرام نحو أرأيت زيدا ما صنع وقوله ولو كانت أرأيت استفتاء يعني الذي تقول النحاة فيه انها بمعنى أخبرني لم تتعد والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدى الى اثنين أحدهما منصوب والآخر في الغالب جملة استفهامية وقد تكرر لنا الكلام في ذلك وأوله في سورة الانعام ودل كلام (ع) على انه لم يطالع ماقاله الناس في أرأيت اذا كانت استفتاء على اصطلاحه وهي التي بمعنى أخبرني (ش) والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لأولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الأولية والبعدية عندهم للات والعزى انتهى (ح) لفظ آخر ومؤنثه أخرى لم يوضعا للذم ولا للمدح انما يدلان على معنى غير الا أن من شرطهما أن يكونا من جنس ماقبلهما لو قلت مررت برجل وآخر لم يدل الا على معنى غير لا على ذم ولا مدح

﴿ وكم من ملك فى السموات ﴾ الآية كم خبرية ومعناها هنا التكثير وهى فى موضع رفع بالابتداء والخبر لاتغنى والغنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الأمر الذى يكون فيه الغنى وكم لفظها مفرد ومعناها جمع ولذلك جاء ﴿ لاتغنى شفاعتهم ﴾ ومعنى ﴿ تسمية الأنثى ﴾ كونهم يقولون انهم بنات الله تعالى ﴿ والذين لايؤمنون ﴾ بالآخرة هم العرب منكرو البعث ﴿ وان الظن لايغنى ﴾ مايدركه العلم لاينفع فيه الظن وانما يدرك بالعلم والتيقن ﴿ فأعرض عمن تولى ﴾ موادعة منسوخة بآية السيف ﴿ ولم يرد ﴾ أى لم تتعلق ارادته بغيرها فليس له فكر فى سواها ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى تعلقهم بالدنيا وتحصيلها ﴿ مبلغهم ﴾ غايتهم منتهاهم ﴿ من العلم ﴾ وهو ماتعلقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنائع كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ولما ذكر ماهم عليه أخبر تعالى انه عالم بالضال والمهتدى وهو مجازيهما واللام فى ﴿ ليجزى ﴾ متعلقة بما دل عليه معنى الملك أى يضل ويهدى ليجزى بما عملوا أى بعقاب ما عملوا والحسنى الجنة والكبائر تقدم الكلام عليها ﴿ الا اللمم ﴾ استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت ماقبله وهو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة وغير ذلك ﴿ إن ربك واسع المغفرة ﴾ حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر ﴿ هو أعلم بكم ﴾ الظاهر انه خطاب عام وأعلم على بابها من التفضيل والظاهر أن المراد بأنشأكم أنشأ أصلكم وهو آدم عليه السلام من الارض ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ فلا تنسبوها الى زكاء العمل والطهارة من المعاصى ولاتثنوا عليها واهضموها فقد علم الله منكم الزكى والتقى والجنين ما كان فى البطن فاذا خرج سمى ولدا أو سقطا وقوله فى بطون أمهاتكم تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الأم فى غاية الظلمة ومن علم حاله وهو مجن لايخفى عليه حاله وهو ظاهر ﴿ بمن اتقى ﴾ قيل الشرك وقال على كرم الله وجهه عمل حسنة وارعوى عن معصية

---

وطلحة والأعمش وعيسى بن عمر بتاء الخطاب إلا الظن وهو ميل النفس الى أحد معتقدين من غير حجة وماتهوى أى تميل اليه بلذة وانما تهوى أبدا ماهو غير الأفضل لانها مجبولة على حب الملاذ وانما يسوقها الى حسن العاقبة العقل * ولقد جاءهم من ربهم الهدى توبيخ لهم والذى هم عليه باطل واعتراض بين الجملتين أى يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم فكانوا أولى من يقبله ويترك عبادة من لايجدى عبادته * أم للانسان ماتمنى هو متصل بقوله وماتهوى الأنفس بل للانسان والمراد به الجنس ماتمنى أى ماتعلقت به أمانيه أى ليست الأشياء والشهوات تحصل بالأمانى بل لله الأمر وقولكم ان آلهتكم تشفع وتقرب زلفى ليس لكم ذلك * وقيل أمنيتهم قولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى * وقيل قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا * وقيل تمنى بعضهم أن يكون النبى * فلله الآخرة والأولى أى هو مالكهما فيعطى منهما مايشاء ويمنع من يشاء وليس لأحد أن يبلغ منهما إلا ماشاء الله وقدم الآخرة على الأولى لتأخرها فى ذلك ولكونها فاصلة فلم يراع الترتيب الوجودى كقوله وان لنا للآخرة والاولى ﴿ وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى * ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغنى من الحق شيأ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى * ولله مافى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ وكم هى خبرية ومعناها هنا التكثير وهى فى موضع رفع بالابتداء والخبر لايغنى والغنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذى يكون فيه الغنى وكم لفظها مفرد ومعناها جمع * وقرأ الجمهور شفاعتهم بافراد الشفاعة وجمع الضمير وزيد بن على شفاعته بافراد الشفاعة والضمير وابن مقسم شفاعاتهم بجمعهما وهو اختيار صاحب الكامل أى القاسم الهذلى وأفردت الشفاعة فى قراءة الجمهور لانها مصدر ولانهم لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيأ فاذا كانت الملائكة المقربون لاتغنى شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه أى يرضاه أهلا للشفاعة فكيف تشفع الاصنام لمن يعبدها ومعنى تسمية الانثى كونهم يقولون انهم بنات الله والذين لايؤمنون بالآخرة هم العرب منكرو البعث * وان الظن لايغنى من الحق شيأ أى مايدركه العلم لاينفع فيه الظن وانما يدرك بالعلم واليقين * قيل ويحتمل أن يكون المراد بالحق هنا هو الله تعالى أى الاوصاف الالهية لاتستخرج بالظنون ويدل عليه ذلك بان الله هو الحق * فأعرض عن من تولى عن ذكرنا موادعة

منسوخة بآية السيف * ولم يرد الا الحياة الدنيا أى لم تتعلق ارادته بغيرها فليس له فكر فى سواها كالنضر بن الحرث والوليد بن المغيرة والذكر هنا القرآن أو الايمان أو الرسول صلى الله عليه وسلم أقوال * عن من تولى عن ذكرنا هو سبب الاعراض لان من لا يصغى الى قول كيف يفهم معناه وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعراض عن من هذه حاله ثم ذكر سبب التولى عن الذكر وهو حصر ارادته فى الحياة الدنيا فالتولى عن الذكر سبب للاعراض عنهم وايثار الدنيا سبب التولى عن الذكر وذلك اشارة الى تعلقهم بالدنيا وتحصيلها مبلغهم غايتهم ومنتهاهم من العلم وهو ما تعلقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنائع لقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ولما ذكر ماهم عليه أخبر تعالى بانه عالم بالضال والمهتدى وهو مجازيهما * وقال الزمخشرى وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض انتهى وكأنه يقول هو اعتراض بين فأعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذى يقوله من الاعتراض * وقيل ذلك اشارة الى جعلهم الملائكة بنات الله * وقال الفراء صغر رأيهم وسفه أحلامهم أى غاية عقولهم ونهاية علومهم أن آثروا الدنيا على الآخرة * وقيل ذلك اشارة الى الظن أى غاية ما يفعلون أن يأخذوا بالظن وقوله ان ربك هو أعلم فى معرض التسلية اذ كان من خلقه عليه الصلاة والسلام الحرص على ايمانهم وفى ذلك وعيد للكفار ووعد للمؤمنين * ولله ما فى السموات وما فى الارض أخبر أن من فى العالم العلوى والعالم السفلى ملكه تعالى يتصرف فيهما بما شاء واللام فى ليجزى متعلقة بما دل عليه معنى الملك أى يضل ويهدى ليجزى * وقيل بقوله بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة والمعنى ان عاقبة أمرهم جميعا للجزاء بما عملوا أى بعقاب ما عملوا والحسنى الجنة * وقيل التقدير بالأعمال الحسنى وحين ذكر جزاء المسىء قال بما عملوا وحين ذكر جزاء المحسن أتى بالصفة التى تقتضى التفضل وتدل على الكرم والزيادة للمحسن كقوله تعالى ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون والاحسن تأنيث الحسنى * وقرأ زيد بن على ليجزى ونجزى بالنون فيهما وتقدم الكلام فى الكبائر فى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فى سورة النساء والذنوب تنقسم الى كبائر وصغائر والفواحش معطوف على كبائر وهى ما فحش من الكبائر أفردها بالذكر لتدل على عظم مرتكبها * وقال الزمخشرى والكبائر الذنوب التى لا يسقط عقابها الا بالتوبة انتهى وهو على طريقة الاعتزال * الا اللمم استثناء منقطع لانه لم يدخل تحت ما قبله وهو صغار الذنوب أو صفة الى كبائر الاثم غير اللمم كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله أى غير الله لفسدتا * وقيل يصح أن يكون استثناء متصلا وهذا يظهر عند تفسير اللمم ما هو وقد اختلفوا فيه اختلافا * فقال الخدرى هو النظرة والغمزة والقبلة * وقال السدى الخطرة من الذنب * وقال أبو هريرة وابن عباس والشعبى والكلبى كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا ولا عذابا * وقال ابن عباس أيضا وابن زيد ما ألموا به من الشرك والمعاصى فى الجاهلية قبل الاسلام وعن ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن أسلم وابنه أن سبب الآية قول الكفار للمسلمين قد كنتم بالأمس تعملون أعمالنا فنزلت وهى مثل قوله وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف * وقيل نزلت فى نبهان التمار وحديثه مشهور * وقال ابن عباس وغيره العلقة والسقطة دون دوام ثم يتوب منه * وقال الحسن والزنا والسرقة والخمر ثم لا يعود * وقال ابن المسيب ما خطر على القلب * وقال نفطويه ما ليس بمعتاد * وقال الرمانى الهم بالذنب وحديث النفس دون أن يواقع * وقيل نظرة الفجأة * ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر * وقال الزمخشرى والكبائر بالتوبة انتهى

( الدر )

(ش) قوله وذلك مبلغهم من العلم اعتراض انتهى (ح) كانه يقول هو اعتراض بين فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذى يقوله من الاعتراض

﴿ أفرأيت الذى تولى ﴾ الآية قال مقاتل وغيره نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه جلس اليه ووعظه فقرب من الاسلام وطمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال أتترك ملة آبائك ارجع الى دينك واثبت عليه وأنا أتحمل عنك بكل شئ تخافه فى الآخرة لكن على أن تعطينى كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما هم به من الاسلام وضل ضلالا بعيدا وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم أمسك عنه وشح أكدى أصله من الكدية يقال لمن حفر بئرا ثم وصل الى حجر لا يتهيأ له فيه حفر قد أكدى ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمم ولمن طلب شيأ فلم يبلغ آخره وأفرأيت هنا بمعنى أخبرنى ومفعولها الأول الموصول والثانى الجملة الاستفهامية وهى أعنده علم الغيب وتولى أعرض عن الاسلام ﴿ أعنده ﴾ استفهام فيه تهكم به إذ ليس عنده



شئ من علم الغيب ﴿ فهو يرى ﴾ أى الاجزاء ﴿ أم لم ينبأ ﴾ أى بل ألم يخبر ﴿ بما فى صحف موسى ﴾ وهى التوراة ﴿ وابراهيم ﴾ أى وفى صحف ابراهيم التى نزلت عليه وخص هذين النبيين عليهما السلام قيل لانه ما بين نوح وابراهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وأبيه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم ابراهيم عليه السلام ومن شريعته عليه السلام الى شريعة موسى كانوا لا يأخذون الرجل بجريرة غيره وابراهيم ﴿ الذى وفى ﴾ بتبليغ الرسالة والاستقلال بأعبائها والصبر على ذبح ولده وعلى فراق اسماعيل وأمه وعلى نار نمروذ وقيامه باكرام أضيافه وخدمته إياهم بنفسه وكان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا ان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وان هى المخففة من الثقيلة وهى بدل من ما فى قوله بما فى صحف ﴿ وأن ليس للانسان ﴾ الظاهر أن الانسان يشمل المؤمن والكافر وأن الحصر فى السعى فليس له سعى غيره وسأل والى خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال ليس له بالعدل إلا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله فقبل عبد الله رأى الحسين والسعى التكسب ويرى مبنى للمفعول أى سوف يراه حاضرا يوم القيامة وفى عرض الاعمال تشريف للمحسنين وتوبيخ للمسيئين والضمير المرفوع فى يجزاه عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعى والجزاء مصدر قال الزمخشرى ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الأوفى أو أبدله منه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا انتهى وقوله ثم فسره بقوله الجزاء واذا كان تفسيرا للضمير المنصوب فى يجزاه فعلى ماذا انتصابه وأما اذا كان بدلا فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذى يفسره الظاهر وهى مسئلة خلاف والصحيح المنع ﴿ وأن الى ربك ﴾ أى الى اجزاء ربك ﴿ المنتهى وأنه هو أضحك

---

وفيه نزغة الاعتزال * هو أعلم بكم قيل نزلت فى قوم من اليهود عظموا أنفسهم واذا مات طفل لهم قالوا هذا صديق عند الله * وقيل فى قوم من المؤمنين فخروا بأعمالهم والظاهر انه خطاب عام وأعلم على بابها من التفضيل * وقال مكى بمعنى عالم بكم ولا ضرورة الى اخراجها عن أصل موضوعها كان مكيا راعى عمل أعلم فى الظرف الذى هو اذ أنشأكم من الارض والظاهر ان المراد بانشائكم أنشأ أصلكم وهو آدم ويجوز أن يراد من فضلة الاغذية التى منشؤها من الارض فلا تزكوا أنفسكم أى لا تنسبوها الى زكاء الاعمال والطهارة عن المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله منكم الزكى والتقى قبل اخراجكم من صلب آدم وقبل اخراجكم من بطون أمهاتكم وكثيرا ما ترى من المتصلحين اذا حدثوا كان وردنا البارحة كذا وفاتنا من وردنا البارحة أوفاتنا وردنا يوهمون الناس أنهم يقومون بالليل وترى لبعضهم فى جبينه سوادا يوهم انه من كثرة السجود ولبعضهم احتضار النية حالة الاحرام فيحرك يديه مرارا ويصعق حتى ينزعج من بجانبه وكأنه يختطف شيأ بيديه وقت الحركة الأخيرة يوهم أنه يحافظ على تحقيق النية وبعضهم يقول فى حلفه وحق البيت الذى زرت يعلم انه حاج واذا لاح له فلس يثب عليه وثوب الاسد على الفريسة ولا يلحقه شئ من الوسواس ولا من احضار النية فى أخذه وتراه يحب الثناء عليه بالأوصاف الجميلة التى هو عار منها * وقيل المعنى لا يزكى بعضكم بعضا تزكية السمعة أو المدح للدنيا أو تزكية بالقطع وأما التزكية لاثبات الحقوق فجائزة للضرورة والجنين ما كان فى البطن فاذا خرج سمى ولدا أو سقطا وقوله فى بطون أمهاتكم تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام فى غاية الظلمة ومن علم حاله وهو مجن لا يخفى عليه حاله وهو ظاهر * بمن اتقى قبل الشرك * وقال على عمل حسنة وارعوى عن معصية * قوله عز وجل ﴿ أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك

وأبكى ﴾ الظاهر حقيقة الضحك والبكاء ﴿ وأنه خلق الزوجين ﴾ أي المصطحبين من رجل وامرأة وغيرهما من الحيوان ﴿ من نطفة إذا تمنى ﴾ أي اذا تدفق وهو المني يقال أمنى الرجل ومنى ﴿ وأن عليه النشأة الأخرى ﴾ أي إعادة الأجسام الى الحشر بعد البلى وجاء بلفظ عليه المشعرة بالتحتم لوجود الشئ لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ بقوله عليه بوجودها لا محالة وكأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ أي أكسب القنية يقال قنيت المال أي كسبته وأقنيته اياه أي أكسبته اياه ولم يذكر متعلق أغنى وأقنى لان المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى والشعرى التي عبدت هي العبور قال السدى كانت تعبدها حمير وخزاعة وهي تقطع السماء طولا والنجوم كلها تقطعها عرضا ﴿ وانه أهلك عادا الاولى ﴾ جاء بين ان وخبرها لفظ هو وذلك في قوله وانه هو أضحك وأنه هو أمات وأنه هو أغنى وأنه هو رب الشعرى ففي الثلاثة الاول لما كان قد يدعى ذلك بعض الناس كقول نمروذ أنا أحيي وأميت احتيج الى تأكيد في أن ذلك هو الله لا غيره فهو الذي يضحك ويبكي وهو المميت المحيي والمغني والمقني حقيقة وان ادعى ذلك أحد فلا حقيقة له وأما وانه هو رب الشعرى فلانها لما عبدت من دون الله تعالى نص على انه تعالى هو ربها وموجدها ولما كان خلق (١٦٦) الزوجين والانشاء الاخير واهلاك عاد ومن ذكر لا يمكن أن يدعى ذلك أحد لم يحتج الى تأكيد ولا تنصيص أنه تعالى هو فاعل ذلك وعاد الاولى هم قوم هود وعاد الاخرى إرم ﴿ وقوم نوح ﴾ أي كانوا أكفر من قريش ﴿ وأطغى ﴾ وفي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يجوز أن يكون تأكيدا للضمير المنصوب ويجوز أن يكون فصلا لانه واقع بين معرفة وافعل التفضيل وحذف المفضول بعد الواقع خبر الكان لانه جار مجرى خبر المبتدأ وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان ﴿ والمؤتفكة أهوى ﴾ هي مدائن قوم لوط باجماع من المفسرين وسميت بذلك لأنها انقلبت ومنه الأفك لانه قلب الحق كذبا أفكه فائتفك والظاهر أن أهوى ناصب للمؤتفكة وأخر العامل لكونه فاصلة ﴿ فغشاها ما غشى ﴾ فيه تهويل للعذاب الذي حل بهم لما قلبها جبريل عليه السلام اتبعت حجارة غشيتهم والتضعيف في غشاها للتعدية فتكون ما مفعوله والفاعل ضمير عائد على الله تعالى ﴿ فبأى آلاء ربك ﴾ الباء ظرفية والخطاب للسامع و ﴿ تتمارى ﴾ تتشكك وهو استفهام في معنى الانكار أي آلاؤه وهي النعم لا يتشكك فيها سامع وقد سبق ذكر نعم ونقم وأطلق عليها كلها آلاء لما في النقم من الزجر والوعظ لمن اعتبر وقرأ يعقوب ربك تمارى بتاء واحدة مشددة ﴿ هذا نذير ﴾ الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح أول السورة به واختتم آخرها به ولما ذكر اهلاك من تقدم ذكره وذكر قوله هذا نذير ذكر أن الذي أنذر به قريب الوقوع فقال ﴿ أزفت الآزفة ﴾ أي قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة وهي القيامة ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أي نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه لا يعلم ذلك الا الله تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ هو القرآن تعجبون فتنكرون وتضحكون مستهزئين ﴿ ولا تبكون ﴾ جزعا من وعيده ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أي لاهون روى أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ضاحكا بعد نزولها ﴿ فاسجدوا لله ﴾ أي صلوا لله ﴿ واعبدوا ﴾ أفردوه بالعبادة ولا تعبدوا اللات والعزى ومناة والشعرى وغيرها من الاصنام

---

وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عادا الأولى * وثمودا فما أبقى وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى * والمؤتفكة أهوى * فغشاها ما غشى * فبأى آلاء ربك تتمارى * هذا نذير من النذر الاولى * أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة * أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ أفرأيت الآية قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس اليه ووعظه فقرب من الاسلام وطمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه عاتبه رجل من المشركين فقال له أتترك ملة آبائك ارجع الى دينك واثبت عليه وأنا أتحمل لك بكل شئ تخافه في الآخرة لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عن ما هم به من الاسلام وضل ضلالا بعيدا وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل ثم أمسك عنه وشح * وقال الضحاك هو النضر بن الحرث أعطى خمس فلايس لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن له أن يحمل عنه مأثمه رجوعه * وقال السدى نزلت في العاصي بن وائل السهمي كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور * وقال محمد بن كعب في أبي جهل بن هشام قال والله ما يأمر محمد الا بمكارم الاخلاق * وروى عن ابن عباس والسدى انها نزلت في عثمان بن

عفان رضي الله تعالى عنه كان يتصدق فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح
نحوا من كلام القائل للوليد بن المغيرة الذي بدأنا به وذكر القصة بتمامها الزمخشري ولم يذكر في
سبب النزول غيرها * قال ابن عطية وذلك كله عندي باطل وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله
انتهى وأفرأيت هنا بمعنى أخبرني ومفعولها الاول الموصول والثاني الجملة الاستفهامية وهي أعنده
علم الغيب وتولى أي أعرض عن الاسلام * وقال الزمخشري تولى ترك المركز يوم أحد انتهى لما
جعل الآية نزلت في عثمان فسر التولي بهذا واذا ذكر التولي غير مقيد في القرآن فأكثر استعماله انه
استعارة عن عدم الدخول في الايمان * وأعطى قليلا وأكدى * قال ابن عباس أطاع قليلا ثم
عصى * وقال مجاهد أعطى قليلا من نفسه بالاستماع ثم أكدى بالانقطاع * وقال الضحاك أعطى قليلا
من ماله ثم منع * وقال مقاتل أعطى قليلا من الخير بلسانه ثم قطع * أعنده علم الغيب أي أعلم من الغيب
ان من تحمل ذنوب آخر فان المتحمل عنه ينتفع بذلك فهو لهذا الذي علمه يرى الحق وله فيه بصيرة أم
هو جاهل * وقال الزمخشري فهو يرى فهو يعلم ان ماقاله أخوه من احتمال أوزاره حق * وقيل يعلم
حاله في الآخرة * وقال الزجاج يرى رفع مأثمه في الآخرة * وقيل فهو يرى ان ماسمعه من القرآن باطل
* وقال الكلبي أنزل عليه قرآن فرأى ماصنعه حق * وقيل فهو يرى أي الاجزاء واحتمل يرى أن
تكون بصرية أي فهو يبصر ماخفي عن غيره مما هو غيب واحتمل أن يكون بمعنى يعلم أي فهو يعلم
الغيب مثل الشهادة * أم لم ينبأ أي بل ألم يخبر بما في صحف موسى وهي التوراة وابراهيم أي وفي
صحف ابراهيم التي أنزلت عليه وخص هذين النبيين عليهما أفضل الصلاة والسلام قيل لانه مابين
نوح وابراهيم كانوا يأخذون الرجل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من
خالفهم ابراهيم ومن شريعة ابراهيم الى شريعة موسى صلى الله عليه وسلم عليهما كانوا لايأخذون
الرجل بجريرة غيره * الذي وفى * قرأ الجمهور وفى بتشديد الفاء * وقرأ أبو أمامة الباهلي وسعيد بن
جبير وأبو مالك الغفاري وابن السميقع وزيد بن علي بتخفيفها ولم يذكر متعلق وفى ليتناول كل
مايصلح أن يكون متعلقا له كتبليغ الرسالة والاستقلال بأعباء الرسالة والصبر على ذبح ولده وعلى فراق
اسمعيل وأمه وعلى نار نمروذ وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه وكان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد
ضيفا فان وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم * وعن الحسن ماأمره الله بشيء إلا وفى به * وعن عطاء بن
السائب عهد أن لايسأل مخلوقا * وقال ابن عباس والربيع وفى طاعة الله في أمر ذبح ابنه * وقال
الحسن وقتادة وفى بتبليغ الرسالة والمجاهدة في ذات الله * وقال عكرمة وفى هذه العشر الآيات أن
لاتزر فما بعدها * وقال ابن عباس أيضا وقتادة وفى ماافترض عليه من الطاعة على وجهها وكملت له
شعب الايمان والاسلام فأعطاه الله براءته من النار * وقال ابن عباس أيضا وفى شرائع الاسلام ثلاثين
سهما يعني عشرة في براءة التائبون الخ وعشرة في قد أفلح وعشرة في الأحزاب ان المسلمين
* وقال أبو امامة ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وفى أربع صلوات في كل يوم * وقال أبو بكر
الوراق قام بشرط مادعى وذلك ان الله تعالى قال له أسلم قال أسلمت لرب العالمين فطالبه بصحة
دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيا انتهى وللمفسرين أقوال غير هذه وينبغي أن
تكون هذه الأقوال أمثلة لما وفى لا على سبيل التعيين وأن هي المخففة من الثقيلة وهي بدل من ما في
قوله بما في صحف أو في موضع رفع كأن قائلا قال مافي صحفهما فقيل لاتزر وازرة وزر أخرى
وتقدم شرح لاتزر وازرة وزر أخرى * وان ليس للانسان إلا ماسعى الظاهر أن الانسان يشمل

(الدر)

(ش) تولى ترك المركز يوم أحد انتهى (ح) لما جعل الآية نزلت في عثمان فسر التولي بهذا وقال (ع) وذلك كله عندي باطل وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله

المؤمن والكافر وأن الحصر فى السعى فليس له سعى غيره * وقال عكرمة كان هذا الحكم فى قوم ابراهيم وموسى وأما هذه الأمة فلها سعى غيرها يدل عليه حديث سعد بن عبادة هل لأمى ان تطوعت عنها قال نعم * وقال الربيع الانسان هنا الكافر وأما المؤمن فله ماسعى وماسعى له غيره وسأل والى خراسان عبدالله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال ليس له بالعدل إلا ماسعى وله بالفضل ماشاء الله فقبل عبدالله رأس الحسين * وماروى عن ابن عباس انها منسوخة لايصح لانه خبر لم يتضمن تكليفا وعند الجمهور انها محكمة * قال ابن عطية والتحرير عندى فى هذه الآية ان ملاك المعنى هو اللام من قوله للانسان فاذا حققت الذى حق الانسان أن يقول فيه لى كذا لم تجده إلا سعيه ومانم بعد من رحمة بشفاعة أو رعاية أب صالح أو ابن صالح أو تضعيف حسنات أو تعمد بفضل ورحمة دون هذا كله فليس هو للانسان ولايسعه أن يقول لى كذا وكذا إلا على تجوز والحاق بما هو حقيقة واحتج بهذه الآية من يرى انه لايعمل أحد عن أحد بعد موته ببدن أو مال وفرق بعض العلماء بين البدن والمال انتهى والسعى التكسب ويرى مبنى للمفعول أى سوف يراه حاضرا يوم القيامة وفى عرض الأعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسىء والضمير المرفوع فى يجزاه عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعى والجزاء مصدر * قال الزمخشرى ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الأوفى واذا كان تفسيرا للضمير المنصوب فى يجزاه فعلى ماذا انتصابه وأما اذا كان بدلا فهو من باب بدل الظاهر من الضمير الذى يفسره الظاهر وهى مسألة خلاف والصحيح المنع * وقرأ الجمهور وأن الى ربك ومابعدها من وانه وان بفتح الهمزة عطفا على ماقبلها * وقرأ أبو السمال بالكسر فيهن وفى قوله الأوفى وعيد للكافر ووعد للمؤمن ومنتهى الشئ غايته ومايصل اليه أى الى حساب ربك والحشر لأجله كما قال والى الله المصير أى الى جزائه وحسابه أو الى ثوابه من الجنة وعقابه من النار وهذا التفسير المناسب لماقبله فى الآية وعن أبى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وأن الى ربك المنتهى لافكرة فى الرب * وروى أنس عنه صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الرب فانتهوا * وانه هو أضحك وأبكى الظاهر حقيقة الضحك والبكاء * قال مجاهد أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار * وقيل كنى بالضحك عن السرور وبالبكاء عن الحزن * وقيل أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر * وقيل أحيا بالايمان وأبكى بالكفر * وقال الزمخشرى أضحك وأبكى خلق قوتى الضحك والبكاء انتهى وفيه دسيسة الاعتزال إذ أفعال العباد من الضحك والبكاء وغيرهما مخلوقة للعبد عندهم لالله تعالى فلذلك قال خلق قوتى الضحك والبكاء وانه خلق الزوجين المصطحبين من رجل وامرأة وغيرهما من الحيوان من نطفة اذا تمنى أى اذا تدفق وهو المنى يقال أمنى الرجل ومنى * وقال الأخفش اذا تمنى أى يخلق ويقدر من منى المانى أى قدر المقدر * وان عليه النشأة الأخرى أى اعادة الأجسام أى الحشر بعد البلى وجاء بلفظ عليه المشعرة بالتحتم لوجود الشئ لما كانت هذه النشأة ينكرها الكفار بولغ بقوله عليه بوجودها لامحالة وكأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه وتقدم الخلاف فى قراءة النشأة فى سورة العنكبوت * وقال الزمخشرى وقال عليه لانها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الاحسان والاساءة انتهى وهو على طريق الاعتزال وانه هو أغنى وأقنى أى أكسب القنية يقال قنيت المال أى كسبته وأقنيته إياه أى أكسبته إياه ولم يذكر متعلق أغنى وأقنى لان المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى وقد تكلم المفسرون على ذلك فقالوا اثنى عشر قولا كقولهم

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الأوفى أو أبدله منه كقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا انتهى (ح) قوله ثم فسره بقوله الجزاء الأوفى واذا كان تفسيرا للضمير المنصوب فى يجزاه فعلى ماذا انتصابه وأما اذا كان بدلا فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذى يفسره الظاهر وهى مسألة اختلاف والصحيح المنع

أغنى نفسه وأفقر خلقه اليه وكل قول منها لا دليل على تعينه فينبغي أن تجعل أمثلة * والشعرى التى عبدت هي العبور * وقال السدي كانت تعبدها حمير وخزاعة * وقال غيره أول من عبدها أبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمهاته وكان اسمه عبد الشعرى ولذلك كان مشركو قريش يسمونه عليه السلام ابن أبي كبشة ومن ذلك كلام أبي سفيان لقد أمر أمر ابن أبي كبشة ومن العرب من كان يعظمها ولا يعبدها ويعتقد تأثيرها في العالم وانها من الكواكب الناطقة يزعم ذلك المنجمون ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها وهي تقطع السماء طولا والنجوم تقطعها عرضا * وقال مجاهد وابن زيد هو مرزم الجوزاء * وانه أهلك عادا الأولى جاء بين ان وخبرها لفظ هو وذلك في قوله وانه هو أضحك وانه هو أمات وانه هو أغنى وانه هو رب الشعرى ففي الثلاثة الأول لما كان قد يدعى ذلك بعض الناس كقول نمروذ أنا أحيي وأميت احتيج الى تأكيد في أن ذلك انما هو لله لا غيره فهو الذي يضحك ويبكى وهو المميت المحيي والمغني والمقني حقيقة وان ادعى ذلك أحد فلا حقيقة له وأما وانه هو رب الشعرى فلانها لما عبدت من دون الله تعالى نص على انه تعالى هو ربها وموجدها ولما كان خلق الزوجين والانشاء الآخر واهلاك عاد ومن ذكر لا يمكن أن يدعى ذلك أحد لم يحتج الى تأكيد ولا تنصيص انه تعالى هو فاعل ذلك وعاد الأولى هم قوم هود وعاد الأخرى إرم * وقيل الاولى القدماء لانهم أول الأمم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام * وقيل الاولى المتقدمون في الدنيا الاشراف قاله الزمخشري * وقال ابن زيد والجمهور لانها في وجه الدهر وقديمه فهي أولى بالاضافة الى الأمم المتأخرة * وقال الطبري وصفت بالاولى لان عادا الآخرة قبيلة كانت بمكة مع العماليق وهو بنو لقيم بن هزال * وقال المبرد عاد الاخيرة هي ثمود والدليل عليه قول زهير * كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم * ذكره الزهراوي * وقيل عاد الاخيرة الجبارون * وقيل قبل الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود * وقيل ثمود من قبل عاد * وقيل عاد الاولى هو عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح وعاد الثانية من ولد عاد الاولى * وقرأ الجمهور عادا الاولى بتنوين عادا وكسره لالتقائه ساكنا مع سكون لام الاولى وتحقيق الهمزة بعد اللام * وقرأ قوم كذلك غير انهم نقلوا حركة الهمزة الى اللام وحذفوا الهمزة * وقرأ نافع وأبو عمرو بادغام التنوين في اللام المنقول اليها حركة الهمزة المحذوفة وعاب هذه القراءة المازني والمبرد وقالت العرب في الابتداء بعد النقل الحمر ولحمر فهذه القراءة جاءت على لحمر فلا عيب فيها وهمز قالون عين الاولى بدل الواو الساكنة ولما لم يكن بين الضمة والواو حائل تخيل أن الضمة على الواو فهمزها كما قال * أحب المؤقدين الى مؤسى * وكا قرأ بعضهم على سؤقه وهو توجيه شذوذ وفي حرف أبي عاد غير مصروف جعله اسم قبيلة فمنعه الصرف للتأنيث والعلمية والدليل على التأنيث وصفه بالاولى * وقرأ الجمهور وثمودا مصروفا وقرأه غير مصروف الحسن وعاصم وعصمة * فما أبقى الظاهر ان متعلق أبقى يرجع الى عاد وثمود معا أي فما أبقى عليهم أي أخذهم بذنوبهم * وقيل فما أبقى أي فما أبقى منهم عينا تطرف * وقال ذلك الحجاج بن يوسف حين قيل له ان ثقيفا من نسل ثمود فقال قال الله تعالى وثمودا فما أبقى وهؤلاء يقولون بقيت منهم بقية والظاهر القول الاول لان ثمود كان قد آمن منهم جماعة بصالح عليه السلام فما أهلكهم الله مع الذين كفروا به * وقوم نوح من قبل أي من قبل عاد وثمود وكانوا أول أمة كذبت من أهل الارض ونوح عليه السلام أول الرسل والظاهر أن الضمير في إنهم عائد على قوم نوح وجعلهم أظلم وأطغى لانهم كانوا في غاية العتو والايذاء لنوح عليه

السلام يضربونه حتى لا يكاد يتحرك ولا يتأثرون لشيء مما يدعوهم اليه * وقال قتادة دعاهم ألف سنة الا خمسين عاما كلما هلك قرن نشأ قرن حتى كان الرجل يأخذ بيد ابنه يمشي به اليه يحذره منه ويقول يابني ان أبي مشى بي الى هذا وانا مثلك يومئذ فاياك أن تصدقه فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه * وقيل الضمير في انهم عائد على من تقدم عاد وثمود وقوم نوح أي كانوا أكفر من قريش وأطغى ففي ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يجوز أن يكون تأكيدا للضمير المنصوب ويجوز أن يكون فصلا لانه واقع بين معرفة وأفعل التفضيل وحذف المفضول بعد الواقع خبر الكان لانه جار مجرى خبر المبتدا وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان * والمؤتفكة هي مدائن قوم لوط باجماع من المفسرين وسميت بذلك لأنها انقلبت ومنه الافك لانه قلب الحق كذبا أفكه فائتفك * قيل ويحتمل أن يراد بالمؤتفكة كل ما انقلبت مساكنه ودبرت أماكنه أهوى أي خسف بهم بعد رفعهم الى السماء رفعها جبريل عليه السلام ثم أهوى بها الى الارض * وقال المبرد جعلها تهوى * وقرأ الحسن والمؤتفكات جمعا والظاهر أن أهوى ناصب للمؤتفكة وأخر العامل لكونه فاصلة ويجوز أن يكون والمؤتفكة معطوفا على ماقبله وأهوى جملة في موضع الحال بوضع كيفية اهلاكهم أي واهلاك المؤتفكة مهويا لها * فغشاها ماغشى فيه تهويل للعذاب الذي حل بهم لما قلبها جبريل عليه السلام اتبعت حجارة غشيتهم واحتمل أن يكون فعل المشدد بمعنى المجرد فيتعدى الى واحد فيكون الفاعل ما كقوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم * فبأي آلاء ربك تتمارى الباء ظرفية والخطاب للسامع وتمارى تتشكك وهو استفهام في معنى الانكار أي آلاؤه وهي النعم لايتشكك فيها سامع وقد سبق ذكر نعم ونقم وأطلق عليها كلها آلاء لما في النقم من الزجر والوعظ لمن اعتبر * وقرأ يعقوب وابن محيصن ربك تمارى بتاء واحدة مشددة * وقال أبو مالك الغفاري ان قوله ان لاتزر الى قوله تتمارى هو في صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام هذا نذير * قال قتادة ومحمد بن كعب وأبو جعفر الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح أول السورة به واختتم آخرها به * وقيل الاشارة الى القرآن * وقال أبو مالك الى ماسلف من الأخبار عن الأمم أي هذا انذار من الانذارات السابقة والنذير يكون مصدرا أو اسم فاعل وكلاهما من أنذر ولا يتقاسان بل القياس في المصدر انذار وفي اسم الفاعل منذر والنذر إما جمع للمصدر أو جمع لاسم الفاعل فان كان اسم فاعل فوصف النذر بالأولى على معنى الجماعة ولما ذكر اهلاك من تقدم ذكره وذكر قوله هذا نذير ذكر أن الذي أنذر به قريب الوقوع فقال أزفت الآزفة أي قربت الموصوفة بالقرب في قوله اقتربت الساعة وهي القيامة * ليس لها من دون الله كاشفة أي نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه قاله الطبري والزجاج * وقال القاضي منذر بن سعيد هو من كشف الضر ودفعه أي ليس لها من يكشف خطبها وهولها انتهى ويجوز أن تكون الهاء في كاشفة للمبالغة * وقال الرماني وجماعة ويحتمل أن يكون مصدرا كالعاقبة وخائنة الأعين أي ليس لها كشف من دون الله * وقيل يحتمل أن يكون التقدير حال كاشفة * أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون فتنكرون وتضحكون مستهزئين ولا تبكون جزعا من وعيده وأنتم سامدون قال مجاهد معرضون * وقال عكرمة لاهون * وقال قتادة غافلون * وقال السدي مستكبرون * وقال ابن عباس ساهون * وقال المبرد جامدون وكانوا اذا سمعوا القرآن غنوا تشاغلا عنه * وروى أنه عليه الصلاة والسلام لم ير ضاحكا بعد نزولها

فاسجدوا أي صلوا له واعبدوا أي أفردوه بالعبادة ولا تعبدوا اللات والعزى ومناة والشعرى وغيرها من الأصنام وخرّج البغوي باسناد متصل الى عبد الله قال أول سورة نزلت فيها السجدة النجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا والرجل أمية بن خلف * وروى أن المشركين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرف أبي وعبد الله تضحكون بغير واو * وقرأ الحسن تعجبون تضحكون بغير واو وبضم التاء وكسر الجيم والحاء وفي قوله ولا تبكون حض على البكاء عند سماع القرآن والسجود هنا عند كثير من أهل العلم منهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وردت به أحاديث صحاح وليس يراها مالك هنا * وعن زيد بن ثابت انه قرأها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسجد والله تعالى أعلم

## ﴿ سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر * ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغن النذر * فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر * خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر * كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر * أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر * إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت قوم لوط بالنذر * إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر * فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر * أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر * إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر * وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر * ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من

﴿ سورة القمر ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ هذه السورة مكية وقيل غير ذلك ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها ظاهرة قال أزفت الآزفة وقال اقتربت الساعة وسبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوه بالايمان ان فعل وكانت ليلة بدر فسأل ربه فانشق القمر نصفين نصف على الصفا ونصف على قيقعان فقال أهل مكة آية سماوية لا يعمل فيها السحر فقال أبو جهل اصبروا حتى يأتينا أهل البوادي فان أخبروا بانشقاقه فهو صحيح والا فقد سحر محمد أعيننا فجاء أهل البوادي وأخبروا بانشقاق القمر فاعرض أبو جهل وقال سحر مستمر ﴿ وكذبوا ﴾ أي بالآيات وبمن جاء بها أي قالوا هذا سحر مستمر سحرنا محمد ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أي شهوات أنفسهم وما يهوون ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ أي له غاية ينتهي اليها ﴿ ولقد جاءهم من الانباء ﴾ أي من الاخبار الواردة في القرآن في اهلاك من كذب الانبياء عليهم السلام وما يؤولون (١٧٢) اليه في الآخرة ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ أي ازدجار رادع لهم عن ما هم فيه و ﴿ حكمة ﴾ بدل من مزدجر ووصفت الحكمة ببالغة لانها تبلغ من مقصد الوعظ والبيان لمن له عقل ما لا يبلغ غيرها ﴿ فما تغني النذر ﴾ يجوز أن تكون ما نافية وأن تكون استفهاما يراد به التقرير أي فأي شيء تغني النذر مع هؤلاء الكفرة ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ فتول عنهم ﴾ أي أعرض عنهم فان الانذار لا يجدي فيهم ثم ذكر شيأ من أحوال الآخرة وما يؤولون اليه اذ ذاك المتعلق باقتراب الساعة فقال ﴿ يوم يدع الداع ﴾ والناصب ليوم اذكر مضمرة وانتصب خشعا وخاشعة وخاشعا على الحال من ضمير يخرجون والعامل فيه يخرجون لانه فعل متصرف وفي هذا دليل على بطلان مذهب الجرمي أنه لا يجوز تقدم الحال على الفعل وان كان متصرفا وقد قالت العرب شتى تؤب الحلبة فشتى حال وقد تقدمت على عاملها وهو تؤب لانه فعل متصرف ﴿ من الاجداث ﴾ أي من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ جملة حالية شبههم بالجراد في الكثرة والتموج ﴿ مهطعين ﴾ قال أبو عبيدة مسرعين ﴿ يوم عسر ﴾ لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه ﴿ كذبت قبلهم ﴾ أي قبل قريش ﴿ قوم نوح ﴾ وفيه وعيد لقريش وضرب مثل لهم ومفعول كذبت محذوف أي كذبت الرسل فكذبوا نوحا لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه عليه السلام من جملة الرسل وفي لفظ عبدنا تشريف وخصوصية بالعبودية كقوله وما أنزلنا على عبدنا ﴿ وقالوا مجنون ﴾ أي هو مجنون لما رأوا الآيات الدالة على صدقه قالوا هو مصاب الجن لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه الى الجنون والظاهر أن قوله وازدجر اخبار من الله تعالى أي انتهروه وازدجروه بالسب والتخويف ﴿ أني مغلوب ﴾

---

مدكر * وكل شيء فعلوه في الزبر * وكل صغير وكبير مستطر * ان المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ * الجدث القبر وتبدل ثاؤه فاء فيقال جدف كما أبدلوا في ثم فقالوا فم * انهمر الماء نزل بقوة غزيرا * قال الشاعر

راح تمريه الصبا ثم انتحى * فيه شؤبوب جنوب منهمر

* الدسر المسامير التي تشد بها السفينة واحدها دسار نحو كتاب وكتب ويقال دسرت السفينة اذا شددتها بالمسامير * وقال الليث وصاحب الصحاح الدسر خيوط تشد بها ألواح السفينة * الصرصر الشديدة الصوت أو البرد إما من صرير الباب وهو تصويته أو من الصر الذي هو البرد وهو بناء متأصل على وزن فعلل عند الجمهور * العجز مؤخر الشيء * المنقعر المنقلع من أصله قعرت الشجرة قعرا قلعتها من أصلها فانقعرت والبئر نزلت حتى انتهيت الى قعرها والاناء شربت ما فيه حتى انتهيت الى قعره وأقعرت البئر جعلت لها قعرا * الأشر البطر * وقرأ أشر بالكسر يأشر أشرا فهو أشر وآشر وأشران وقوم أشارى مثل سكران وسكارى * سقر علم لجهنم مشتق من سقرته النار بالسين وصقرته بالصاد اذا لوحته * قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بأفنان مربوع الصريمة معبل

وامتنعت سقر من الصرف للعلمية والتأنيث تنزلت حركة وسطه تنزل الحرف الرابع في زينب ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر * وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر * ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر * حكمة بالغة فما تغن النذر * فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر * خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر * كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر * فدعا ربه أني مغلوب

فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر * فكيف كان عذابى ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ هذه السورة مكية فى قول الجمهور * وقيل هى مما نزل يوم بدر * وقال مقاتل مكية الا ثلاث آيات أولها أم يقولون نحن وآخرها أدهى وأمر * وسبب نزولها أن مشركى قريش قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوه بالايمان ان فعل وكانت ليلة بدر فسأل ربه فانشق القمر نصف على الصفا ونصف على قيقعان * فقال أهل مكة آية سماوية لا يعمل فيها السحر فقال أبو جهل اصبروا حتى تأتينا أهل البوادى فان أخبروا بانشقاقه فهو صحيح والا فقد سحر محمد أعيننا فجاؤا فأخبروا بانشقاق القمر فاعرض أبو جهل وقال سحر مستمر وعن ابن عباس شق القمر باثنين شطرة على السويداء وشطرة على الحديبية * وعنه انشق القمر بمكة مرتين وعنه انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت * ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرة قال أزفت الآزفة * وقال اقتربت الساعة وممن عاين انشقاق القمر ابن مسعود وجبير بن مطعم وأخبر به ابن عمر وأنس وحذيفة وابن عباس وحين أرى الله الناس انشقاق القمر قال الرسول صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال المشركون اذ ذاك سحرنا محمد * وقال بعضهم سحر القمر والامة مجمعة على خلاف من زعم أن قوله وانشق القمر معناه انه ينشق يوم القيامة ويرده من الآية قوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فلا يناسب هذا الكلام ان يأتى الا بعد ظهور ما سألوه معاينا من انشقاق القمر * وقيل سألوا آية فى الجملة فأراهم هذه الآية السماوية وهى من أعظم الآيات وذلك التأثير فى العالم العلوى * وقرأ حذيفة وقد انشق القمر أى اقتربت وتقدم من آيات اقترابها انشقاق القمر كما تقول أقبل الأمير وقد جاء المبشر بقدومه وخطب حذيفة بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم ولا التفات الى قول الحسن ان المعنى اذا جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية ولا الى قول من قال ان انشقاقه عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه فى أثنائها فالمعنى ظهر الأمر فان العرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح كما يسمى الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق * قال النابغة

فلما أدبروا ولهم دوى * دعانا عند شق الصبح داعى

وهذه أقوال فاسدة ولولا أن المفسرين ذكروها لضربت عن ذكرها صفحا * وان يروا آية يعرضوا * وقرئ وان يروا مبنيا للمفعول أى من شأنهم وحالهم أنهم متى رأوا ما يدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة أعرضوا عن الايمان به وبتلك الآية وجاءت الجملة شرطية ليدل على أنهم فى الاستقبال على مثل حالهم فى الماضى ويقولوا سحر مستمر أى دائم ومنه قول الشاعر

أى غلبنى قومى فلم يسمعوا منى ويئست من اجابتهم لى ﴿ فانتصر ﴾ أى فانتقم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا عليهم بعدما يئس منهم وتفاقم أمرهم ﴿ ففتحنا ﴾ بيان أن الله تعالى انتصر منهم وانتقم ومن العجب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم ﴿ أبواب السماء ﴾ جعل الماء كأنه آلة يفتح بها ﴿ بماء منهمر ﴾ أى غزير شديد وانتصب عيونا على التمييز جعلت الأرض كلها كأنها عيون تنفجر وهو أبلغ من وفجرنا عيون الأرض ﴿ على أمر قد قدر ﴾ فى اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ولذلك ذكر نجاة نوح عليه السلام بعدها فى قوله ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴾ والدسر المسامير التى تشد بها السفينة وذات الالواح هى السفينة ﴿ بأعيننا ﴾ أى بمرأى منا ﴿ جزاء لمن كفر ﴾ أى لنوح عليه السلام اذ كان نعمة أهداها الله تعالى الى قومه لان يؤمنوا فكفروها المعنى أن حمله فى السفينة ومن آمن معه كان جزاء له على صبره على قومه المثين من السنين ومن كناية عن نوح عليه السلام ومعنى لمن كفر لمن جحدت نبوته والضمير فى تركناها عائد على الفعلة والقصة ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ تهويل لما حل بقوم نوح من العذاب واعظام له إذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسل منهم أحد أى فكيف كان عاقبة انذارى والنذر جمع نذير وهو الانذار وفيه توقيف لقريش على ما حل بالمكذبين أمثالهم ﴿ ولقد يسرنا ﴾ أى سهلنا ﴿ القرآن للذكر ﴾ أى للاذكار والاتعاظ لما تضمنه من المواعظ والوعد والوعيد ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى من متعظ

الا انما الدنيا ليال وأعصر * وليس على شئ قويم بمستمر

أي بدائم لسار أو الآيات متوالية لا تنقطع قالوا ذلك * وقال أبو العالية والضحاك والاخفش مستمر مشدود موثق من مرائر الحبل أي سحر قد أحكم * ومنه قول الشاعر

حتى استمرت على شزر مريرته * صدق العزيمة لا ريا ولا ضرعا

* وقال أنس و يمان ومجاهد والكسائي والفراء واختاره النحاس مستمر مار ذاهب زائل عن قريب عللوا بذلك أنفسهم * وقيل مستمر شديد المرارة أي مستبشع عندنا مر يقال مر الشئ وأمر اذا صار مرا وأمر غيره ومره يكون لازما ومتعديا * وقيل مستمر يشبه بعضه بعضا أي استمرت أفعاله على هذا الوجه من التخيلات وقيل مستمر مار من الارض الى السماء أي بلغ من سحره انه سحر القمر * وكذبوا أي بالآيات و بمن جاء بها أي قالوا هذا سحر مستمر سحر نا محمد * واتبعوا أهواءهم أي شهوات أنفسهم وما يهوون * وكل أمر مستقر بكسر القاف وضم الراء مبتدأ وخبر * قال مقاتل أي له غاية ينتهي إليها * وقال الكلبي مستقر له حقيقة فما كان في الدنيا فسيظهر وما كان في الآخرة فسيعرف * وقال قتادة معناه أن الخير يستقر بأهل الخير والشر بأهل الشر * وقيل يستقر الحق ظاهرا ثابتا والباطل زاهقا ذاهبا * وقيل كل أمر من أمرهم وأمره يستقر على خذلان أو نصرة في الدنيا وسعادة أو شقاوة في الآخرة * وقرأ شيبة مستقر بفتح القاف ورويت عن نافع وقال أبو حاتم لا وجه لفتح القاف انتهى وخرجت على حذف مضاف أي ذوا ستقرار وزمان استقرار وقرأ أبو جعفر وزيد بن علي مستقر بكسر القاف والراء معا صفة لأمر وخرجه الزمخشري على أن يكون وكل عطفا على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو أكلت خبزا وضربت زيدا وأن يجيء زيد أكرمه ورحل الى بني فلان ولحما فيكون ولحما عطفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب وخرجه صاحب اللوامح على انه خبر لكل فهو مرفوع في الأصل لكنه جر للمجاورة وهذا ليس بجيد لان الخفض على الجوار في غاية الشذوذ ولانه لم يعهد في خبر المبتدا انما عهد في الصفة على اختلاف النحاة في وجوده والأسهل أن يكون الخبر مضمر الدلالة المعنى عليه والتقدير وكل أمر مستقر بالغوه لان قبله وكذبوا واتبعوا أهواءهم أي وكل أمر مستقر لهم في القدر من خير أو شر بالغهم * وقيل الخبر حكمة بالغة أي وكل أمر مستقر حكمة بالغة ويكون ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر اعتراض بين المبتدا وخبره * ولقد جاءهم من الأنباء أي من الأخبار الواردة في القرآن في اهلاك من كذب الأنبياء وما يؤلون اليه في الآخرة ما فيه مزدجر أي ازدجار وردع لهم عن ماهم فيه أو موضع ازدجار وارتداع أي ذلك موضع ازدجار أو مظنة له * وقرئ مزجر بابدال تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها * وقرأ زيد بن علي مزجر اسم فاعل من أزجر أي صار ذا زجر كأعشب أي صار ذا عشب * وقرأ الجمهور حكمة بالغة برفعهما وجوزوا أن تكون حكمة بدلا من مزدجر أو من ما أو خبر مبتدأ محذوف وتقدم قول من جعله خبرا عن كل في قراءة من قرأ مستقر بالجر * وقرأ اليماني حكمة بالغة بالنصب فيهما حالا من ما سواء كانت ما موصولة أم موصوفة تخصصت بالصفة ووصفت الحكمة ببالغة لانها تبلغ غيرها * فما تغن النذر مع هؤلاء الكفرة ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال فتول عنهم أي أعرض عنهم فان الانذار لا يجدي فيهم ثم ذكر شيأ من أحوال الآخرة وما يؤلون اليه اذ ذاك متعلق باقتراب الساعة فقال يوم

(ح) قرأ أبو جعفر وزيد بن علي مستقر بكسر القاف والراء معا صفة لأمر وخرجه (ش) على أن يكون وكل عطفا على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله وهذا الذي ذكره بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث وبعيد أن يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو أكلت خبزا وضربت زيدا وان يجيء زيد أكرمه ورحل الى بني فلان ولحما فيكون ولحما عطفا على خبزا بل لا يوجد مثله في كلام العرب وخرجه صاحب اللوامح على أنه خبر لكل فهو مرفوع في الاصل لكنه جر للمجاورة وليس هذا بجيد لان الخفض على الجوار في غاية الشذوذ ولانه لم يعهد في خبر المبتدأ انما عهد في الصفة على اختلاف بين النحاة في وجوده والأسهل أن يكون الخبر مضمرا لدلالة المعنى عليه والتقدير كل أمر مستقر بالغوه لان قبله وكذبوا واتبعوا أهواءهم أي وكل أمر مستقر لهم في القدر من شر أو خير بالغه لهم وقيل الخبر حكمة بالغة ويكون ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر

بدع الداعى والناصب ليوم اذ كر مضمرة قاله الرمانى أو بخرجون * وقال الحسن المعنى فتول عنهم الى يوم وهذا ضعيف من جهة اللفظ ومن جهة المعنى أما من جهة اللفظ لحذف الى وأما من جهة المعنى فان توليه عنهم ليس مغيا بيوم يدع الداع وجوزوا أن يكون منصوبا بقوله فما تغنى النذر و يكون فتول عنهم اعتراضا وان يكون منصوبا بقوله يقول الكافرون ومنصوبا على اضمار انتظر ومنصوبا بقوله فتول وهذا ضعيف جدا ومنصوبا بمستقر وهو بعيد أيضا وحذفت الواو من يدع فى الرسم اتباعا للنطق والياء من الداع تخفيفا أجريت أل مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما تحذف معه حذفت معها والداع هو اسرافيل أو جبرائيل أو ملك غيرهما موكل بذلك أقوال * وقرأ الجمهور نكر بضم الكاف وهو صفة على فعل وهو قليل فى الصفات ومنه رجل شلل أى خفيف فى الحاجة وناقة أجد ومشية سجح وروضة أنف * وقرأ الحسن وابن كثير وشبل باسكان الكاف كما قالوا شغل وشغل وعسر وعسر * وقرأ مجاهد وأبو قلابة والجحدرى وزيد بن على نكر فعلا ماضيا مبنيا للمفعول أى جهل فنكر * وقال الخليل النكر نعت للامر الشديد والوجل الداهية أى تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو يوم القيامة * قال مالك بن عوف النضرى

أقدم محاج انه يوم نكر * مثلى على مثلك يحمى ويكر

وقرأ قتادة وأبو جعفر وشيبة والأعرج والجمهور خشعا جمع تكسير وابن عباس وابن جبير ومجاهد والجحدرى وأبو عمرو وحمزة والكسائى خاشعا بالافراد * وقرأ أبى وابن مسعود خاشعة وجمع التكسير أكثر فى كلام العرب * وقال الفراء وأبو عبيدة كله جائز انتهى ومثال جمع التكسير قول الشاعر

بمطرد لدن صحاح كعوبه * وذى رونق عضب يقد القوانسا

ومثال الافراد قوله

ورجال حسن أوجههم * من اياد بن نزار بن معد

﴿وقال آخر﴾

ترى الفجاج به الركبان معترضا * أعناق بزلها مرخى لها الجدل

وانتصب خشعا وخاشعا وخاشعة على الحال من ضمير يخرجون والعامل فيه يخرجون لانه فعل متصرف وفى هذا دليل على بطلان مذهب الجرمى لانه لا يجوز تقدم الحال على الفعل وان كان متصرفا وقد قالت العرب شتى تؤب الحلبة فشتى حال وقد تقدمت على عاملها وهو تؤب لانه فعل متصرف وقال الشاعر

سريعا يهون الصعب عند أولى النهى * اذا برجاء صادق قابلوا البأسا

فسريعا حال وقد تقدمت على عاملها وهو يهون * وقيل هو حال من الضمير المجرور فى عنهم من قوله فتول عنهم * وقيل هو مفعول بيدع أى قوما خشعا أو فريقا خشعا وفيه بعد ومن أفرد خاشعا وذكر فعلى تقدير تخشع أبصارهم ومن قرأ خاشعة وأنث فعلى تقدير تخشع ومن قرأ خشعا جمع تكسير فلان الجمع موافق لما بعده وهو أبصارهم وموافق للضمير الذى هو صاحب الحال فى يخرجون وهو نظير قولهم مررت برجال كرام آباؤهم * وقال الزمخشرى وخشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث وهم طئ انتهى ولا يجرى جمع التكسير مجرى جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة وقد نص سيبويه على أن جمع التكسير أكثر فى كلام العرب فكيف يكون

(الدر)

اعتراضا بين المبتدأ وخبره (ش) وخشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث وهم طيء انتهى (ح) لا يجرى جمع التكسير مجرى جمع السلامة فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة وقد نص سيبويه على أن جمع التكسير أكثر فى كلام العرب فكيف يكون أكثر ويكون على تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء حين ذكر الافراد مذكرا ومؤنثا وجمع التكسير قال لان الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان أشبه انتهى وانما يخرج على تلك اللغة اذا كان الجمع مجموعا بالواو والنون نحو مررت بقوم كريمين آباؤهم (ش) قاس جمع التكسير على هذا الجمع السالم وهو قياس فاسد يرده النقل عن العرب أن جمع التكسير أجود من الافراد كما ذكرنا عن سيبويه وكما دل عليه كلام الفراء

أكثر ويكون على تلك اللغة النادرة القليلة وكذا قال الفراء حين ذكر الافراد مذكرا ومؤنثا وجمع التكسير قال لان الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها فكان أشبه انتهى وانما يخرج على تلك اللغة اذا كان الجمع مجموعا بالواو والنون نحو مررت بقوم كريمين آباؤهم والزمخشري قاس جمع التكسير على هذا الجمع السالم وهو قياس فاسد ويرده النقل عن العرب أن جمع التكسير أجود من الافراد كما ذكرناه عن سيبويه وكما دل عليه كلام الفراء وجوز أن يكون في خشعا ضمير وأبصارهم بدل منه * وقرئ خشع أبصارهم وهي جملة في موضع الحال وخشع خبر مقدم وخشوع الابصار كناية عن الذلة وهي في العيون أظهر منها في سائر الجوارح وكذلك أفعال النفس من ذلة وعزة وحياء وصلف وخوف وغير ذلك كأنهم جراد منتشر جملة حالية أيضا شبههم بالجراد في الكثرة والتموج ويقال جاؤا كالجراد في الجيش الكثير المتموج ويقال كالذباب وجاء تشبيههم أيضا بالفراش المبثوث وكل من الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر شبه منهما * وقيل يكونون أولا كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون لان الفراش لا جهة له يقصدها ثم كالجراد المنتشر اذا توجهوا الى المحشر والداعي فهما تشبيهان باعتبار وقتين قال معناه مكي بن أبي طالب * مهطعين قال أبو عبيدة مسرعين ومنه قوله

بدجلة دارهم ولقد أراهم * بدجلة مهطعين الى السماع

زاد غيره مادي أعناقهم وزاد غيره مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما لخوف أو طمع ونحوه * وقال قتادة عامدين * وقال الضحاك مقبلين * وقال عكرمة فاتحين آذانهم الى الصوت * وقال ابن عباس ناظرين * ومنه قول الشاعر

تعبدني نمر بن سعد وقد أرى * ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

* وقيل خافضين ما بين أعينهم * وقال سفيان خاشعة أبصارهم الى السماء يوم عسر لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه * كذبت قبلهم أي قبل قريش قوم نوح وفيه وعيد لقريش وضرب مثل لهم ومفعول كذبت محذوف أي كذبت الرسل فكذبوا نوحا عليه السلام لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل ويجوز أن يكون المحذوف نوحا أول مجيئه اليهم فكذبوه تكذيبا يعقبه تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب وفي لفظ عبدنا تشريف وخصوصية بالعبودية كقوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان سبحان الذي أسرى بعبده * وقالوا مجنون أي هو مجنون لما رأوا الآيات الدالة على صدقه قالوا هو مصاب الجن لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه الى الجنون أي يقول ما لا يقبله عاقل وذلك مبالغة في تكذيبهم * وازدجر فدعا ربه أني مغلوب * الظاهر أن قوله وازدجر من أخبار الله تعالى أي انتهر وزجر بالسب والتخويف قاله ابن زيد وقرأ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين * قيل والمعنى انهم فعلوا به ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم الى الايمان وعدل الى الدعاء عليهم * وقال مجاهد وازدجر من تمام قولهم أي قالوا وازدجر أي استطير جنونا أي ازدجرته الجن وذهبت بلبه وتخبطته * وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى والأعمش وزيد بن علي ورويت عن عاصم إني بكسر الهمزة على اضمار القول على مذهب البصريين أو على اجراء الدعاء مجرى القول على مذهب الكوفيين * وقرأ الجمهور بفتحها أي بأني مغلوب أي غلبني قومي فلم يسمعوا مني ويئست من اجابتهم لي * فانتصر أي فانتقم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا عليهم بعد ما يئس منهم وتفاقم

أمرهم وكان الواحد من قومه يخنقه الى أن يخر مغشيا عليه وقد كان يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومتعلق فانتصر محذوف * وقيل التقدير فانتصر لي منهم بأن تهلكهم * وقيل فانتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك فوقعت الاجابة وللمتصوفة قول في مغلوب فانتصر حكاه ابن عطية يوقف عليه في كتابه * ففتحنا بيان ان الله تعالى انتصر منهم وانتقم * قيل ومن العجب انهم كانوا يطلبون المطر سنين فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم * أبواب السماء بماء جعل الماء كأنه آلة يفتح بها كما تقول فتحت الباب بالمفتاح وكأن الماء جاء وفتح الباب فجعل المقصود وهو الماء مقدما في الوجود على فتح الباب المغلق ويجوز أن تكون الباء للحال أي ملتبسة بماء منهمر * وقرأ ابن عامر وأبو جعفر والأعرج ويعقوب ففتحنا مشددا والجمهور مخففا أبواب السماء هذا عند الجمهور مجاز وتشبيه لان المطر كثر كأنه نازل من أبواب كما تقول فتحت أبواب القرب وجرت مزاريب السماء * وقال علي وتبعه النقاش يعني بالأبواب المجرة وهي سرع السماء كسرع العيبة وذهب قوم الى أنها حقيقة فتحت في السماء أبواب جرى منها الماء ومثله مروي عن ابن عباس قال أبواب السماء فتحت من غير سحاب لم تغلق أربعين يوما * قال السدي منهمر أي كثير * قال الشاعر

أعيني جودا بالدموع الهوامر * على خير باد من معد وحاضر

* وقرأ الجمهور وفجرنا بتشديد الجيم وعبد الله وأصحابه وأبو حيوة والمفضل عن عاصم بالتخفيف والمشهور أن العين لفظ مشترك * والظاهر انها حقيقة في العين الباصرة مجاز في غيرها وهو في غير الماء مجاز مشهور غالب وانتصب عيونا على التمييز جعلت الأرض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من وفجرنا عيون الأرض ومن منع مجيء التمييز من المفعول أعربه حالا ويكون حالا مقدرة وأعربه بعضهم مفعولا ثانيا كأنه ضمن وفجرنا صيرنا بالتفجير الأرض عيونا * وقيل وفجرت أربعين يوما * وقرأ الجمهور فالتقى الماء وهو اسم جنس والمعنى ماء السماء وماء الارض * وقرأ علي والحسن ومحمد بن كعب والجحدري الماآن * وقرأ الحسن أيضا الماوان * وقال الزمخشري وقرأ الحسن ماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان انتهى شبه الهمزة التي هي بدل من هاء في الماء بهمزة الالحاق في علباء وعن الحسن أيضا المايان بقلب الهمزة ياء وفي كلتا القراءتين شذوذ * على أمر قد قدر أي على حالة ورتبة قد فصلت في الأزل * وقيل على مقادير قد رتبت وقت التقائه فروي أن ماء الارض كان على سبعة عشر ذراعا ونزل ماء السماء على تكملة أربعين ذراعا * وقيل كان ماء الارض أكثر * وقيل كانا متساويين نزل من السماء قدر ما خرج من الارض * وقيل على أمر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح عليه السلام بالطوفان وهذا هو الراجح لان كل قصة ذكرت بعد هذه القصة ذكر الله هلاك مكذبي الرسل فيها فيكون هذا كناية عن هلاك قوم نوح ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله وحملناه على ذات ألواح ودسر * وقرأ أبو حيوة قدر بشد الدال والجمهور بتخفيفها وذات الألواح والدسر هي السفينة التي أنشأها نوح عليه السلام ويفهم من هذين الوصفين انها السفينة فهي صفة تقوم مقام الموصوف وتنوب عنه ونحوه قميصي مسرودة من حديد أي درع وهذا من فصيح الكلام وبديعه ولو جمعت بين الصفة والموصوف فيه لم يكن بالفصيح والدسر المسامير قاله الجمهور * وقال الحسن وابن عباس مقاديم السفينة لانها تدسر الماء أي تدفعه والدسر الدفع * وقال مجاهد وغيره بطن السفينة وعنه أيضا عوارض السفينة وعنه أيضا أضلاع السفينة تجري في ذلك الماء المتلقي بحفظ منا وكلاءة بحيث

نجا من كان فيها وغرق غيرهم * وقال مقاتل بن سليمان بأعيننا بوحينا * وقيل بأمرنا * وقيل بأوليائنا يقال فلان عين من عيون الله تعالى أي ولي من أوليائه * وقيل بأعين الماء التي أنبعناها * وقيل من حفظها من الملائكة سماهم أعينا * وقرأ زيد بن علي وأبو السمال بأعينا بالادغام والجمهور بالفك * جزاء أي مجازاة لمن كان كفر أي لنوح عليه السلام إذ كان نعمة أهداها الله الى قومه لان يؤمنوا فكفروها المعنى انه حمله في السفينة ومن آمن معه كان جزاء له على صبره على قومه المئين من السنين ومن كناية عن نوح * قيل يعني بن كفر لمن جحدت نبوته * وقال ابن عباس ومجاهد من براد به الله تعالى كأنه قال غضبا وانتصار الله تعالى أي انتصر لنفسه فأغرق الكافرين وأنجى المؤمنين وهذان التأويلان في من على قراءة الجمهور كفر مبنيا للمفعول * وقرأ مسلمة بن محارب باسكان الفاء خفف فعل كما قال الشاعر

* لو عصر منه البان والمسك انعصر * يريد لو عصر * وقرأ زيد بن رومان وقتادة وعيسى كفر مبنيا للفاعل فمن يراد به قوم نوح أي ان ما نشأ من تفتيح أبواب السماء بالماء وتفجر عيون الارض والتقاء الماءين من غرق قوم نوح عليه الصلاة والسلام كان جزاء لهم على كفرهم وكفر خبر لكان وفي ذلك دليل على وقوع الماضي بغير قد خبرا لكان وهو مذهب البصريين وغيرهم يقول لا بد من قد ظاهرة أو مقدرة على انه يجوز ان كان هنا زائدة أي لمن كفر والضمير في تركناها عائد على الفعلة والقصة * وقال قتادة والنقاش وغيرهما عائد على السفينة وانه تعالى أبقى خشبها حتى رآه بعض أوائل هذه الأمة * وقال قتادة وكم من سفينة بعدها صارت رمادا * وقرأ الجمهور مدكر بادغام الذال في الدال المبدلة من تاء الافتعال وقتادة فيما نقل ابن عطية بالذال أدغمه بعد قلب الثاني الى الاول * وقال صاحب كتاب اللوامح قتادة فهل من مذكر فاعل من التذكر أي من يذكر نفسه أو غيره بما مضى من القصص انتهى * وقرئ مدتكر على الاصل * فكيف كان عذابي ونذر تهويل لما حل بقوم نوح من العذاب واعظام له اذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسل منهم أحد أي كيف كان عاقبة انذاري والنذر جمع نذير وهو الانذار وفيه توقيف لقريش على ما حل بالمكذبين أمثالهم وكان ان كانت ناقصة كانت كيف في موضع خبر كان وان كانت تامة كانت في موضع نصب على الحال والاستفهام هنا لا يراد به حقيقته بل المعنى على التذكير بما حل بهم * ولقد يسرنا أي سهلنا القرآن للذكر أي للاذكار والاتعاظ لما تضمنه من الوعظ والوعد والوعيد * فهل من مدكر قال ابن زيد من متعظ * وقال قتادة فهل من طالب خير * وقال محمد بن كعب فهل من مزدجر عن المعاصي * وقيل للذكر للحفظ أي سهلناه للحفظ لما اشتمل عليه من حسن النظم وسلامة اللفظ وعروه عن الحشو وشرف المعاني وصحتها فله تعلق بالقلوب * فهل من مدكر أي من طالب لحفظه ليعان عليه وتكون زواجره وعلومه حاضرة في النفس * وقال ابن جبير لم يستظهر شيء من الكتب الالهية غير القرآن * وقيل يسرناه هيأناه القرآن للذكر كقولهم يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه قال الشاعر

وقمت اليه باللجام ميسرا * هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

* قوله عز وجل ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر * تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت ثمود بالنذر * فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه إنا إذا

﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ﴾ الآية الصرصر الريح الشديدة الصوت الباردة ﴿ تنزع الناس ﴾ يجوز أن تكون صفة للريح وان تكون حالا منها لانها وصفت فقربت من المعرفة وان تكون مستأنفة وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل ذكورهم وانائهم والجملة التشبيهية حال من الناس وهي حال مقدرة شبههم بأعجاز النخل المنقعر اذ تساقطوا على الأرض أمواتا وهم جثة عظام طوال والأعجاز الأصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها وقيل كانت الريح تقطع رؤسهم فتبقى أجساما بلا رؤس فأشبهت أعجاز النخل التي انقلعت من مغرسها وقرئ أبشرا بنصب بشرا على الاشتغال ونصب واحدا صفة له تقديره أنتبع بشرا ﴿ انا اذا ﴾ أي إن اتبعناه فنحن في ضلال أي بعد عن الصواب وحيرة

﴿ وسعر ﴾ أى عذاب ثم زادوا عليه فى الانكار والاستبعاد ﴿ فقالوا أألقى ﴾ أى أأنزل قيل وكأنه يتضمن العجلة فى الفعل والعرب تستعمل هذا الفعل فى العجلة والذكر هنا الوحى والرسالة وماجاءهم من الحكمة والموعظة ثم قالوا ليس الأمر كما يزعم ﴿ بل هو كذاب أشر ﴾ أى بطر يريد العلو علينا وفى قوله ﴿ سيعلمون غدا ﴾ تهديد ووعيد ببيان انكشاف الامر والمعنى أنهم هم الكذابون الأشرون وأورد ذلك مورد الابهام والاحتمال وان كانوا هم المعنيون ﴿ إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم ﴾ أى ابتلاء واختبارا وآنس بذلك صالحا ولما هددهم بقوله سيعلمون غدا وكانوا قد ادعوا أنه كاذب قالوا ما الدليل على صدقك قال الله تعالى انا مرسلوا الناقة أى مخرجوها من الهضبة التى سألوها ﴿ فارتقبهم ﴾ أى فانتظرهم وتبصر ماهم فاعلون ﴿ واصطبر ﴾ على أذاهم ولا تعجل حتى يأتى أمر الله تعالى ﴿ ونبئهم أن الماء ﴾ أى ماء البئر التى لهم ﴿ قسمة ﴾ لهم أى بين ثمود والناقة ﴿ كل شرب محتضر ﴾ أى محضر لهم وللناقة ﴿ فنادوا صاحبهم ﴾ وهو قدار ابن سالف ﴿ فتعاطى ﴾ هو مطاوع عاطى وكأن هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضا فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده ولما كانوا راضين نسب اليهم ذلك فى قوله فعقروا الناقة والصيحة التى أرسلت عليهم يروى أن جبريل عليه السلام صاح فى طرف منازلهم فتفتتوا وهمدوا وصاروا ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ وهو ماتفتت من الشجر وتهشم والمحتظر الذى يعمل الحظيرة فانه تتفتت منه حالة العمل وتتساقط أجزاء مما يعمل به

لفى ضلال وسعر * أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم إن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابى ونذر * إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ تقدمت قصة عاد مطولة ومتوسطة وهنا ذكرها تعالى موجزة كما ذكر قصة نوح عليه السلام موجزة ولما لم يكن لقوم نوح علم ذكر قوم مضافا الى نوح ولما كانت عاد علما لقوم هود ذكر العلم لانه أبلغ فى الذكر من التعريف بالاضافة وتكرر التهويل بالاستفهام قبل ذكر ماحل بهم وبعده لغرابة ماعذبوا به من الريح وانفرادهم بهذا النوع من العذاب ولان الاختصار داعية الاعتبار والتدبر والصرصر الباردة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة * وقيل المصوتة والجمهور على اضافة يوم الى نحس وسكون الحاء * وقرأ الحسن بتنوين يوم وكسر الحاء جعله صفة لليوم كقوله تعالى فى أيام نحسات * مستمر قال قتادة استمر بهم حتى بلغهم جهنم وعن الحسن والضحاك كان مرا عليهم * وروى انه كان يوم الاربعاء والذى يظهر انه ليس يوما معينا بل أريد به الزمان والوقت كأنه قيل فى وقت نحس ويدل على ذلك انه قال فى سورة فصلت فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات * وقال فى الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما الا أن يكون ابتداء الريح فى يوم الاربعاء فعبر بوقت الابتداء وهو يوم الاربعاء فيمكن الجمع بينهما * تنزع الناس يجوز أن يكون صفة للريح وأن يكون حالا منها لانها وصفت فقربت من المعرفة ويحتمل أن يكون تنزع مستأنفا وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل ذكورهم واناثهم اذ لو عاد بضمير المذكورين لتوهم انه خاص بهم أى تقلعهم من أماكنهم * قال مجاهد يلقى الرجل على رأسه فتفتت رأسه وعنقه ومايلى ذلك من بدنه * وقيل كانوا يصطفون آخذى بعضهم بأيدى بعض ويدخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتدق رقابهم والجملة التشبيهية حال من الناس وهى حال مقدرة * وقال الطبرى فى الكلام حذف تقديره فتتركهم كأنهم أعجاز نخل فالكاف فى موضع نصب بالمحذوف شبههم بأعجاز النخل المنقعر اذ تساقطوا على الارض أمواتا وهم جثث عظام طوال والاعجاز الأصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها * وقيل كانت الريح تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فأشبهت أعجاز النخل التى انقلعت من مغرسها * وقرأ أبو نهيك أعجز على وزن أفعل نحو ضبع واضبع والنخل اسم جنس يذكر ويؤنث وانما ذكر هنا لمناسبة الفواصل وأنث فى قوله أعجاز نخل خاوية فى الحاقة لمناسبة الفواصل أيضا * وقرأ أبو السمال فيما ذكر الهذلى فى كتابه الكامل وأبو عمرو الدانى برفعهما فأبشر مبتدأ وواحد صفته والخبر نتبعه ونقل ابن خالويه وصاحب اللوامح وابن عطية رفع أبشر ونصب واحدا عن أبى السمال * قال صاحب اللوامح فأما رفع أبشر فباضمار الخبر بتقدير أبشر منا يبعث الينا أو يرسل أو نحوهما وأما انتصاب واحدا فعلى الحال اما مما قبله بتقدير أبشر كائن منا فى الحال توحده واما مما بعده بمعنى

نتبعه فى توحده أوفى حال انفراده * وقال ابن عطية ورفعه اماعلى اضمار فعل مبنى للمفعول التقدير أينبأبشر واماعلى الابتداء والخبر فى قوله نتبعه وواحدا على هذه القراءة حال امامن الضمير فى نتبعه واما من المقدر معنا كأنه يقول أبشر كائن مناواحدا وفى هذا نظر وقولهم ذلك حسد منهم واستبعاد أن يكون نوع البشر يفضل بعضه بعضا هذا الفضل فقالوا انكون جماوتتبع واحدا ولم يعلموا أن الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء ويفيض نور الهدى على من رضيه انتهى * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف أنكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا (قلت) قالوا أبشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكونوا من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الأمة رجلا واحدا وأرادوا واحدا من أبنائهم ليس بأشرفهم ولا أفضلهم ويدل عليه أألقى الذكر عليه من بيننا أى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة انتهى وهو حسن على ان فيه تحميل اللفظ ما لا يحتمله * انا اذا أى ان اتبعناه فنحن فى ضلال أى بعد عن الصواب وحيرة * وقال الضحاك فى تيه * وقال وهب بعد عن الحق وسعر أى عذاب قاله ابن عباس وعنه وجنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت تفرط فى سيرها كأنها مجنونة وقال الشاعر

كأن بها سعرا اذا العيس هزها * زميل وازجاء من السير متعب

* وقال قتادة وسعر عناء * وقال ابن بحر وسعر جمع سعير وهو وقود النار أى فى خطر كمن هو فى النار انتهى * وروى انه كان يقول لهم ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول ثم زادوا فى الانكار والاستبعاد فقالوا أألقى أى أأنزل * قيل وكأنه يتضمن العجلة فى الفعل والعرب تستعمل هذا الفعل ومنه وألقيت عليك محبة منى * انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والذكر هنا الوحى والرسالة وماجاءهم من الحكمة والموعظة ثم قالوا ليس الأمر كما تزعم بل هو القرآن * أشر أى بطر يريد العلو علينا وان يقتادنا و يملك طاعتنا * وقرأ قتادة وأبو قلابة بل هو الكذاب الأشر بلام التعريف فيهما وبفتح الشين وشد الراء وكذا الاشر الحرف الثانى وقرأ الحرف الثانى مجاهد فيماذكر صاحب اللوامح وأبو قيس الأودى الاشر بثلاث ضمات وتخفيف الراء ويقال أشر وأشر كحذر وحذر فضمة الشين لغة وضم الهمزة تبع لضمة الشين وحكى الكسائى عن مجاهد ضم الشين * وقرأ أبو حيوة هذا الحرف الآخر الاشر أفعل تفضيل وأتمام خير وشر فى افعل التفضيل قليل * وحكى ابن الانبارى ان العرب تقول هو أخير وهو أشر قال الراجز * بلال خير الناس وابن الاخير * وقال أبو حاتم لاتكاد العرب تتكلم بالأخير والاشر الافى ضرورة الشعر وأنشد قول رؤبة بلال البيت * وقرأ على والجمهور سيعلمون بياء الغيبة وهو من اعلام الله تعالى لصالح عليه السلام وابن عامر وحمزة وطلحة وابن وثاب والأعمش بتاء الخطاب أى قل لهم ياصالح وعدا يراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذى يلى يوم خطابهم فاحتمل أن يكون يوم العذاب الحال بهم فى الدنيا وأن يكون يوم القيامة * وقال الطرماح

ألا عللانى قبل نوح النوائح * وقبل اضطراب النفس بين الجوانح

وقبل غد يالهف نفسى فى غد * اذا راح أصحابى ولست برائح

أراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه وفى قوله سيعلمون غدا تهديد ووعيد ببيان انكشاف الأمر والمعنى انهم هم الكذابون الأشرون وأورد ذلك مورد الابهام والاحتمال وان كانوا هم المعنيين

﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ الآية تقدمت قصة لوط عليه السلام والحاصب من الحصباء وهو المعنى بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل وبسحر هو بكرة فلذلك صرف وانتصب نعمة على انه مفعول من أجله أى أنجيناهم لانعامنا عليهم ﴿كذلك نجزى﴾ أى مثل ذلك الانعام والتنجية نجزى ﴿من شكر﴾ إنعامنا وآمن وأطاع ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾ أى أخذتنا لهم بالعذاب ﴿فتماروا﴾ أى تشككوا وتعاطوا ذلك ﴿بالنذر﴾ أى بالانذار ﴿فطمسنا﴾ الطمس حقيقة جر جبريل عليه السلام جناحه على ﴿أعينهم﴾ فاستوت مع وجوههم ﴿فذوقوا﴾ أى فقلت لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا ﴿ولقد صبحهم﴾ أى أول النهار وباكره كقوله تعالى مشرقين ومصبحين ﴿كذبوا بآياتنا﴾ هى التسع والتوكيد هنا كهو فى قوله ولقد أريناه آياتنا والظاهر أن الضمير فى كذبوا وفى فأخذناهم عائد على آل فرعون ﴿فأخذناهم أخذ عزيز﴾ لا يغالب ﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شئ وهو كناية عنه تعالى ﴿أكفاركم﴾ خطاب لأهل مكة ﴿خير من أولئكم﴾ وقفهم على توبيخهم أى ليس كفاركم خيرا من أولئكم بل هم مثلهم أو شر منهم ﴿أم لكم براءة فى الزبر﴾ أى ألكم فى الكتب الالهية براءة من عذاب الله ﴿أم يقولون﴾ الآية أى بجماعتنا وانقون منتصرون بقوتنا ﴿سيهزم الجمع﴾ خطاب للرسول عليه السلام والدبر هنا اسم جنس وحسن اسم جنس هنا كونه فاصلة ﴿بل الساعة موعدهم﴾ انتقل من تلك الاقوال الى أمر الساعة التى عذابها أشد عليهم من كل هزيمة وقتال ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أى أفظع وأشد والداهية الأمر المنكر الذى لا يهتدى

بقوله تعالى حكاية عن قول نوح عليه الصلاة والسلام فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه والمعنى به قومه وكذا قول شعيب عليه السلام سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وقول الشاعر

فلئن لقيتك خاليين لتعلمن * أيى وأيك فارس الأحزاب

وانما عنى انه فارس الاحزاب لا الذى خاطبه * انا مرسلوا الناقة فتنة لهم أى ابتلاء واختبارا وآنس بذلك صالحا لما هددهم بقوله سيعلمون غدا وكانوا قد ادعوا انه كاذب قالوا اما الدليل على صدقك قال الله تعالى انا مرسلوا الناقة أى مخرجوها من الهضبة التى سألوها * فارتقبهم أى فانتظرهم وتبصر ماهم فاعلون واصطبر على أذاهم ولا تعجل حتى يأتى أمر الله * ونبئهم أن الماء أى ماء البئر الذى لهم قسمة بينهم أى بين ثمود وبين الناقة غلب ثمود فالضمير فى بينهم لهم وللناقة أى لهم شرب يوم وللناقة شرب يوم * وقرأ الجمهور قسمة بكسر القاف ومعاذ عن أبى عمرو بفتحها كل شرب محتضر أى محضور لهم وللناقة وتقدمت قصة الناقة مستوفاة فاغنى عن اعادتها وهنا محذوف أى فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فملوا ذلك وعزموا على عقر الناقة * فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف فتعاطى هو مطاوع عاطى وكان هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضا فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده ولما كانوا راضين نسب ذلك اليهم فى قوله فعقروا الناقة وفى قوله فكذبوه فعقروها والصيحة التى أرسلت عليهم * روى ان جبريل عليه السلام صاح فى طرف منازلهم فتفتتوا وهمدوا وصاروا كهشيم المحتظر وهو ما تفتت وتهضم من الشجر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة فانه تتفتت منه حالة العمل وتتساقط أجزاء مما يعمل به أو يكون الهشيم ما يبس من الحظيرة بطول الزمان تطأه البهائم فيتهشم * وقرأ الجمهور بكسر الظاء وأبو حيوة وأبو السمال وأبو رجاء وأبو عمرو بن عبيد بفتحها وهو موضع الاحتظار * وقيل هو مصدر أى كهشيم الاحتظار وهو ما تفتت حالة الاحتظار والحظيرة تصنعها العرب وأهل البوادى للمواشى والسكنى من الاغصان والشجر المورق والقصب والحظر المنع وعن ابن عباس وقتادة ان المحتظر هو المحترق * قال قتادة كهشيم محترق وعن ابن جبير هو التراب الذى يسقط من الحائط البالى * وقيل المحتظر بفتح الظاء هو الهشيم نفسه فيكون من اضافة الموصوف الى صفته كمسجد الجامع على من تأوله كذلك وكان هنا قيل بمعنى صار * قوله عز وجل ﴿كذبت قوم لوط بالنذر * انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر * فذوقوا عذابى ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر * أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر * أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر *

ان المجرمين فى ضلال وسعر * يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شئ خلقناه بقدر * وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر * ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر * وكل شئ فعلوه فى الزبر * وكل صغير وكبير مستطر * إن المتقين فى جنات ونهر * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ تقدمت قصة لوط عليه السلام وقومه والحاصب من الحصباء وهو المعنى بقوله تعالى وأرسلنا عليهم حجارة من سجيل إلا آل لوط * قيل الابنتاه وبسحر هو بكرة فلذلك صرف وانتصب نعمة على انه مفعول من أجله أى نجيناهم لانعامنا عليهم أو على المصدر لان المعنى أنعمنا بالتنجية انعاما * كذلك نجزى أى مثل ذلك الانعام والتنجية نجزى من شكر انعامنا وأطاع وآمن * ولقد أنذرهم بطشتنا أى أخذتنا لهم بالعذاب فتماروا أى تشككوا وتعاطوا ذلك بالنذر أى بالانذار أو يكون جمع نذير * فطمسنا قال قتادة الطمس حقيقة جر جبريل عليه السلام على أعينهم جناحه فاستوت مع وجوههم * وقال أبو عبيدة مطموسة بجلد كالوجه * قيل لما صفقهم جبريل عليه السلام بجناحه تركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام * وقال ابن عباس والضحاك هذه استعارة وانما حجب ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيأ فجعل ذلك كالطمس * وقرأ الجمهور فطمسنا بتخفيف الميم وابن مقسم بتشديدها * فذوقوا أى فقلت لهم على ألسنة الملائكة ذوقوا * ولقد صبحهم بكرة أى أول النهار وباكره لقوله مشرقين ومصبحين * وقرأ الجمهور بكرة بالتنوين أراد بكرة من البكر فصرف * وقرأ زيد بن على بغير تنوين عذاب مستقر أى لم يكشفه عنهم كاشف بل اتصل بموتهم ثم بما بعد ذلك من عذاب القبر ثم عذاب جهنم فذوقوا عذابى ونذر توكيد وتوبيخ ذلك عند الطمس وهذا عند تصبيح العذاب * قيل وفائدة تكرار هذا وتكرار ولقد يسرنا القرآن للذكر عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين للاتعاظ واستئناف التيقظ اذا سمعوا الحث على ذلك لئلا تستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها فى سورة الرحمن * وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها فى سورة والمرسلات وكذلك تكرير القصص فى أنفسها لتكون العبرة حاضرة للقلوب مذكورة فى كل أوان * ولقد جاء آل فرعون النذر هم موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء لانهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو يكون جمع نذير المصدر بمعنى الانذار * كذبوا بآياتنا هى التسع والتوكيد هنا كهو فى قوله ولقد أريناه آياتنا كلها والظاهر أن الضمير فى كذبوا وفى فأخذناهم عائد على آل فرعون * وقيل هو عائد على جميع من تقدم من الأمم ذكره وتم الكلام عند قوله النذر فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شئ * أكفاركم خطاب لأهل مكة خير من أولئكم الاشارة الى قوم نوح وهود وصالح ولوط والى فرعون والمعنى أهم خير فى القوة وآلات الحروب والمكانة فى الدنيا أو أقل كفرا وعنادا فلأجل كونهم خيرا لا يعاقبون على الكفر بالله وقفهم على توبيخهم أى ليس كفاركم خيرا من أولئكم بل هم مثلهم أو شر منهم وقد علمتم ما حل أولئك من الهلاك المستأصل لما كذبوا الرسل * أم لكم براءة فى الزبر أى ألكم فى الكتب الالهية براءة من عذاب الله تعالى قاله الضحاك وعكرمة وابن زيد * أم يقولون نحن جميع أى واثقون بجماعتنا منتصرون بقوتنا يقولون ذلك على سبيل الاعجاب بأنفسكم * وقرأ الجمهور أم يقولون بياء الغيبة التفاتا وكذا ما بعده للغائب * وقرأ أبو حيوة وموسى الاسوارى وأبو

لدفعه وهى الرزية العظمى التى تحل بالشخص وأمر من المرارة استعارة لصعوبة الشئ على النفس ﴿ إن المجرمين فى ضلال ﴾ أى فى حيرة وتخبط فى الدنيا *( وسعر )* أى احتراق فى الآخرة جعلوا فيه من حيث أن مصيرهم اليه *( يوم يسحبون )* يجرون ﴿ فى النار على وجوههم ذوقوا ﴾ أى مقولا لهم ذوقوا *( مس سقر )* وسقر لا ينصرف للتأنيث المجازى والعلمية وهو اسم من أسماء جهنم ﴿ كل شئ ﴾ منصوب على الاشتغال أى خلقنا كل شئ بقدر أى مقدور لله تعالى كما جاء فى الحديث أن تؤمن بالقدر خيره وشره ﴿ وما أمرنا ﴾ الا كلمة ﴿ واحدة ﴾ وهى كن ﴿ كلمح بالبصر ﴾ تشبيه بأعجل ما يحس ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ أى الفرق المتشائعة فى مذهب ودين ﴿ وكل شئ فعلوه ﴾ أى فعلته الامم المكذبة محفوظ عليهم الى يوم القيامة قاله ابن عباس ومعنى فى الزبر فى دواوين الحفظة ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ من الاعمال ومن كل ما هو كائن ﴿ مستطر ﴾ أى مسطور فى اللوح يقال سطرت واستطرت بمعنى واحد وقرئ ونهر على الافراد والمراد به الجنس وحسنه كونه جاء فاصلة وقرئ فى مقعد على الافراد ويراد به اسم الجنس وقرئ فى مقاعد على الجمع وعند تدل على تقريب المكانة من تعالى

البرهشيم بتاء الخطاب للكفار اتباعا لما تقدم من خطابهم * وقرأوا ستهزم الجمع بفتح التاء وكسر الزاي وفتح العين خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وأبو حيوة أيضا و يعقوب بالنون مفتوحة وكسر الزاي وفتح العين والجمهور بالياء مبنيا للمفعول وضم العين * وعن أبي حيوة وابن أبي عبلة أيضا بفتح الياء مبنيا للفاعل ونصب العين أي سيهزم الله الجمع والجمهور و يولون بياء الغيبة وأبو حيوة وداود ابن أبي سالم عن أبي عمرو بتاء الخطاب * والدبر هنا اسم جنس وجاء في موضع آخر ليولن الأدبار وهو الأصل وحسن اسم الجنس هنا كونه فاصلة * وقال الزمخشري و يولون الدبر أي الأدبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا * وقرئ الأدبار انتهى وليس مثل بطنكم لان مجيء الدبر مفردا ليس بحسن ولا يحسن لافراد بطنكم وفي قوله تعالى سيهزم الجمع عدة من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بهزيمة جمع قريش والجمهور على أنها مكية وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشهدا بها * وقيل نزلت يوم بدر بل الساعة موعدهم انتقل من تلك الأقوال الى أمر الساعة التي عذابها أشد عليهم من كل هزيمة وقتال * والساعة أدهى أي أفظع وأشد والداهية الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدفعه وهي الرزية العظمى تحل بالشخص * وأمر من المرارة استعارة لصعوبة الشيء على النفس * ان المجرمين في ضلال أي في حيرة وتخبط في الدنيا * وسعر أي احتراق في الآخرة جعلوا فيه من حيث مصيرهم اليه * وقال ابن عباس وخسران وجنون والسعر الجنون وتقدم مثله في قصة صالح عليه السلام * يوم يسحبون يجرون في النار وفي قراءة عبد الله الى النار * على وجوههم ذوقوا أي مقولا لهم ذوقوا مس سقر * وقرأ محبوب عن أبي عمرو مسقر بادغام السين في السين * قال ابن مجاهد إدغامه خطأ لانه مشدد انتهى والظن بأبي عمرو أنه لم يدغم حتى حذف إحدى السينين لاجتماع الأمثال ثم أدغم * إنا كل شيء خلقناه بقدر قراءة الجمهور كل شيء بالنصب * وقرأ أبو السمال قال ابن عطية وقوم من أهل السنة بالرفع * قال أبو الفتح هو الوجه في العربية وقراءتنا بالنصب مع الجماعة * وقال قوم اذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف وان ما بعده يصلح للخبر وكان المعنى على أن يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الأول حتى يتضح أن الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لان في قراءة الرفع يتخيل أن الفعل وصف وأن الخبر بقدر فقد تنازع أهل السنة والقدرية الاستدلال بهذه الآية فأهل السنة يقولون كل شيء فهو مخلوق لله تعالى بقدرة دليله قراءة النصب لانه لا يفسر في مثل هذا التركيب إلا ما يصح أن يكون خبرا لو وقع الاول على الابتداء * وقالت القدرية القراءة برفع كل وخلقناه في موضع الصفة لكل أي ان أمرنا أو شأننا كل شيء خلقناه فهو بقدر أو بمقدار على حد ما في هيئته و زمنه وغير ذلك * وقال الزمخشري كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر * وقرئ كل شيء بالرفع والقدر والقدر هو التقدير * وقرئ بهما أي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله و زمانه انتهى * قيل والقدر فيه وجوه * أحدها أن يكون بمعنى المقدار في ذاته وصفاته * والثاني التقدير قال تعالى فقدرنا فنعم القادرون وقال الشاعر * وما قدر الرحمن ما هو قادر * أي ما هو مقدور * والثالث القدر الذي يقال مع القضاء يقال كان ذلك بقضاء الله وقدره والمعنى ان القضاء ما في العلم والقدر ما في الارادة فالمعنى في الآية خلقناه بقدر أي بقدرة مع ارادة انتهى * وما أمرنا إلا واحدة أي إلا كلمة واحدة وهي كن كلمح بالبصر تشبيه بأعجل ما يحس وفي أشياء أمر الله تعالى أوحى من ذلك والمعنى انه اذا أراد

( الدر )

(ش) و يولون الدبر أي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرئ الادبار انتهى (ح) ليس مثل كلوا في بعض بطنكم لان مجيء الدبر مفردا له محسن ولا محسن لافراد بطنكم

تكون بين شئ لم يتأخر عن ارادته * ولقد أهلكنا أشياعكم أي الفرق المتشابعة في مذهب ودين *وكل شئ فعلوه أي فعلته الأمم المكذبة محفوظ عليهم الى يوم القيامة قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد ومعنى في الزبر في دواوين الحفظة *وكل صغير وكبير من الأعمال ومن كل ماهو كائن مستطر أي مسطور في اللوح يقال سطرت واستطرت بمعنى * وقرأ الاعمش وعمران بن حدير وعصمة عن أبي بكر بشد راء مستطر * قال صاحب اللوامح يجوز أن يكون من طر النبات والشارب اذا ظهر وثبت بمعنى كل شئ ظاهر في اللوح مثبت فيه ويجوز أن يكون من الاستطار لكن شدد الراء للوقف على لغة من يقول جعفر ونفعل بالتشديد وقفا انتهى ووزنه على التوجيه الاول استفعل وعلى الثاني افتعل * وقرأ الجمهور ونهر على الافراد والهاء مفتوحة والاعرج ومجاهد وحميد وأبو السمال والفياض بن غزوان بسكونها والمراد به الجنس ان أريد به الأنهار أو يكون معنى ونهر وسعة في الارزاق والمنازل * ومنه قول قيس بن الحطيم

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها ماوراءها

أي أوسعت فتقها * وقرأ زهير العرقبي والاعمش وأبو نهيك وأبو مجلز واليماني بضم النون والهاء جمع نهر كرهن ورهن أو نهر كأسد وأسد وهو مناسب لجمع جنات * وقيل نهر جمع نهار ولا ليل في الجنة وهو بعيد * في مقعد صدق يجوز أن يكون ضد الكذب أي في المقعد الذي صدقوا في الخبر به وأن يكون من قولك رجل صدق أي خير وجود وصلاح * وقرأ الجمهور في مقعد على الافراد يراد به اسم الجنس وعثمان البتي في مقاعد على الجمع وعند تدل على قرب المكانة من الله تعالى والله تعالى أعلم

---

## ﴿ سورة الرحمن مكية وهي ثمان وسبعون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

---

الرحمن * علم القرآن * خلق الانسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان *وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان *فبأي آلاء ربكما تكذبان* خلق الانسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار *فبأي آلاء ربكما تكذبان *رب المشرقين ورب المغربين *فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان *يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * فبأي آلاء ربكما تكذبان يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن * فبأي آلاء ربكما تكذبان * سنفرغ لكم أيها الثقلان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام *فبأي آلاء ربكما

تكذبان * هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ذواتا أفنان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان تجريان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما من كل فاكهة زوجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * كأنهن الياقوت والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * هل جزاء الاحسان إلا الاحسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ومن دونهما جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * مدهامتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان نضاختان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما فاكهة ونخل ورمان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن خيرات حسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * حور مقصورات في الخيام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ﴾ * النجم النبات الذي لا ساق له من نجم أي ظهر وطلع * الأنام الحيوان * العصف ورق الزرع * الريحان كل مشموم طيب الريح من النبات * المرجان الخرز الأحمر * وقيل صغار الدر واللؤلؤ كباره واللؤلؤ بناء غريب * قيل لا يحفظ منه في كلام العرب أكثر من خمسة اللؤلؤ * والجؤجؤ * والدؤدؤ * واليؤيؤ طائر * والبؤبؤ * والنفوذ الخروج من الشئ بسرعة * الشواظ اللهب الخالص بغير دخان وقال حسان

هجوتك فاختضعت لها بذل * بقافية تأجج كالشواظ

وقال رؤبة * ونار حرب تسعر الشواظا * وتضم شينه وتكسر * النحاس قال الخليل والنحاس هو الدخان الذي لا لهب له وهو معروف في كلام العرب * قال نابغة بني جعدة

تضيء كضوء سراج السليط * لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال الكسائي النحاس هو النار الذي له ريح شديد * وقيل الصفر المذاب وتضم نونه وتكسر * الوردة الشديدة الحمرة يقال فرد وردو حجرة وردة * الدهان الجلد الأحمر * أنشد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله

تبعن الدهان الحمر كل عشية * بموسم بدر أو بسوق عكاظ

الناصية مقدم الرأس * آن نهاية في الحر * الأفنان جمع فنن وهو الغصن أو جمع فن وهو النوع * قال الشاعر

ومن كل أفنان اللذاذة والصبي * لهوت به والعيش أخضر ناضر

وقال نابغة بني ذبيان

بكاء حمامة تدعو هديلا * مفجعة على فنن تغني

الجني ما يقطف من الثمرة وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى مقبوض * قاصرات الطرف قصرت ألحاظهن على أزواجهن * قال الشاعر

من القاصرات الطرف لو دب محول * من الذر فوق الأتب منها لأثرا

الطمث دم الحيض ودم الافتضاض * الياقوت حجر معروف * وقيل لا تؤثر فيه النار قال الشاعر

﴿ سورة الرحمن ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ هذه السورة مكية فى قول الجمهور وسبب نزولها انه لما نزل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا ما نعرف الرحمن فنزلت * ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر مقر المجرمين فى ضلال وسعر ومقر المتقين فى جنات ونهر ذكر شيأ من آثار الملك والقدرة ثم ذكر مقر الفريقين على جهة الاسهاب اذ كان فى آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والايجاز ولما ذكر قوله عند مليك مقتدر فابرز هاتين الصفتين بصورة التنكير فكانه قيل من المتصف بذلك فقال الرحمن علم القرآن فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعليم القرآن الذى هو شفاء للقلوب والظاهر أن الرحمن مرفوع على الابتداء وعلم القرآن خبره ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم ذكره بعد فى قوله خلق الانسان ليعلم أنه هو المقصود بالتعليم ولما كان خلقه من أجل الدين  وتعليمه القرآن كان كالسبب فى خلقه فقدم على خلقه ثم ذكر تعالى الوصف الذى يميز به الانسان من المنطق المفصح عن الضمير والذى به يمكن قبول التعليم وهو البيان ألا ترى أن الأخرس لا يمكن أن يتعلم شيأ مما يدرك بالنطق المفصح عن الضمير والذى به يمكن قبول التعليم وهو البارى ولما ذكر تعالى ما أنعم به على الانسان من تعليمه البيان ذكر ما امتن به من وجود الشمس والقمر وما فيهما من المنافع العظيمة للانسان اذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير سوى فى بروجهما ومنازلهما والحسبان مصدر كالغفران وهو بمعنى الحساب وارتفع الشمس على الابتداء وخبره بحسبان فاما على حذف أى جرى الشمس والقمر كائن بحسبان ولما ذكر ما به حياة الارواح من تعليم القرآن ذكر ما به حياة الأشباح من النبات الذى لا ساق له والنبات الذى له ساق وكان تقديم النجم وهو ما لا ساق له لأنه أصل القوت والذى له ساق ثمره يتفكه به غالبا ولما أوردت هذه الجمل مورد تعديد النعم رد الكلام الى العطف فى وصل ما يناسب وصله والتناسب الذى بين هاتين الجملتين ظاهر لان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ﴿ والسماء رفعها ﴾ أى خلقها مرفوعة حيث جعلها مصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين ينزلون بالوحى على أنبيائه عليهم السلام ونبه بذلك على عظم شأنه وملكه والسماء نصب على الاشتغال روعى مشاكلة الجملة التى تليه وهى يسجدان ﴿ ووضع الميزان ﴾ الظاهر أنه كل ما توزن به الاشياء ويعرف مقاديرها وان اختلفت أشكال الآلات بدأ أولا بالعلم فذكر ما فيه أشرف أنواع العلوم وهو القرآن ثم ذكر ما به التعديل فى الأمور وهو الميزان كقوله وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ﴿ أن لا تطغوا فى الميزان ﴾ أى لأن لا تطغوا فتطغوا منصوب بان وقال الزمخشرى او هى ان المفسرة وقال ابن عطية

وطالما أصلى الياقوت جمر غضى * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

الادهمام السواد * النضخ فوران الماء * المقصورة المحبوسة ويقال قصيرة وقصورة أى مخدرة وقال كثير

وأنت التى حببت كل قصيرة * إلىّ ولم تشعر بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

الخيمة معروفة وهى بيت المرتحل من خشب وثمام وسائر الحشيش واذا كان من شعر فهو بيت ولا يقال له خيمة ويجمع على خيام وخيم * قال جرير

متى كان الخيام بذى طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

الرفرف ما تدلى من الأسرة من غالى الثياب * وقال الجوهرى ثياب خضر تتخذ منها المجالس الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر لتحريك جناحيه وارتفاعه فى الهواء وسمى الطائر رفرافا ورفرف جناحيه حركهما ليقع على الشئ ورفرف السحاب هدبه * العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب * قال زهير

بخيل عليها جنة عبقرية * جديرون يوما أن ينالوا فيستعلوا

﴿ وقال امرؤ القيس ﴾

كأن صليل المرء حين يسده * صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

﴿ وقال ذو الرمة ﴾

حتى كأن رياض العف ألبسها * من وشى عبقر تحليل وتنجيد

وقال الخليل العبقرى كل جليل نفيس من الرجال والنساء وغيرهم * الجلال العظمة * قال الشاعر

خبر ما قد جاءنا مستعمل * جل حتى دق فيه الأجل

﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الانسان * علمه البيان * الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان * والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا فى الميزان *

و يحتمل ان تكون ان مفسرة فيكون تطغوا جزما بالنهي انتهى ولا يجوز ما قالاه من أن أن مفسرة لانه فات أحد شرطيها وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول ووضع الميزان ليس جملة فيها معنى القول والطغيان في الميزان هو أن يكون بالتعمد وأما ما لا يقدر عليه من التحرير بالميزان فمعفو عنه ولما كانت التسوية مطلوبة جدا أمر تعالى فقال ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ وقرأ الجمهور ﴿ولا تخسروا﴾ من أخسر أي أفسد ونقص كقوله تعالى وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي ينقصون وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ولما ذكر السماء ذكر مقابلها فقال ﴿والارض وضعها للانام﴾ أي خفضها مدحوة على الماء لينتفع بها والانام الخلق ﴿فيها فاكهة﴾ ضروب مما يتفكه به وبدأ بقوله فاكهة اذ هو من باب الابتداء بالادنى والترقي الى الاعلى ونكر لفظها لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها ثم ثنى بالنخل فذكر الاصل ولم يذكر ثمرها وهو التمر لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجمار وثمر ثم أتى ثالثا بالحب الذي هو قوام عيش الانسان في أكثر الأقاليم وهو البر والشعير وكل ماله سنبل وأوراق متشعبة على ساقه ووصفه بقوله ذو العصف تنبيها على انعامه عليهم بما يقوتهم به من الحب ويقوت بهائمهم من ورقه وهو التبن وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب ليحصل ما به يتفكه وما به يتقوت وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعددة وشجرة الفاكهة بالنسبة الى ثمرتها حقيرة فنص على ما يعظم به الانتفاع (١٨٧) من شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرها

وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * والأرض وضعها للانام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * خلق الانسان من صلصال كالفخار * وخلق الجان من مارج من نار * فبأي آلاء ربكما تكذبان * رب المشرقين ورب المغربين * فبأي آلاء ربكما تكذبان * مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن * فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ هذه السورة مكية في قول الجمهور مدنية في قول ابن مسعود * وعن ابن عباس القولان وعنه سوى آية هي مدنية وهي يسأله من في السموات والأرض الآية * وسبب نزولها فيما قال مقاتل انه لما نزل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الآية قالوا وما نعرف الرحمن

﴿فبأي آلاء ربكما﴾ خطاب للثقلين والآلاء النعم ولما خاطب الثقلين ذكر أصلهما فقال خلق الانسان ﴿من صلصال﴾ وهو آدم عليه السلام ﴿وخلق الجان﴾ وهو ابليس والمارج المختلط ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية في من نار للتبعيض ﴿رب المشرقين﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره هو رب وعن ابن عباس للشمس مشرق في الصيف مصعد ومشرق في الشتاء منحدر تنتقل فيهما مصعدة ومنحدرة والمغربان مغرب الشفق ومغرب الشمس ﴿مرج البحرين﴾ تقدم في الفرقان والظاهر التقاؤهما أي يتجاوران بلا فصل بينهما في رؤية العين ﴿بينهما برزخ﴾ أي حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لا يبغيان﴾ لا يتجاوزان حدهما ولا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة ﴿يخرج منهما﴾ قال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع التي تقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين وقال ابن عباس وعكرمة تكون هذه الاشياء في البحر بنزول المطر لان الصدف وغيرها تفتح أفواهها للمطر فلذلك قال منهما اللؤلؤ وقيل هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان واللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان اسم أعجمي معرب والجواري السفن ﴿كالاعلام﴾ كالجبال شبهها بالجبال وعبر بمن في قوله ﴿كل من عليها فان﴾ تغليبا لمن يعقل والضمير في عليها قيل عائد على الأرض وقد تقدم ذكرها والفناء عبارة عن اعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره والوجه يعبر به عن حقيقة الشيء والجارحة منفية عن الله تعالى والظاهر أن الخطاب في قوله وجه ربك للرسول عليه السلام وفيه تشريف عظيم له عليه السلام فمعنى ذو الجلال الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم والاكرام للمخلصين من عباده ﴿يسئله من في السموات والارض﴾ حوائجهم وما يتعلق بمن في السموات من أمر الدين وما استعبدوا به ومن في الارض من أمر دينهم ودنياهم والظاهر أن قوله يسأله استئناف اخبار ﴿كل يوم﴾ أي كل ساعة ولحظة وذكر اليوم لأن الساعات واللحظات في ضمنه ﴿هو في شان﴾ قال ابن عباس في شان يمضيه من الخلق والرزق والاحياء والاماتة وانتصب كل يوم على الظرف

فنزلت الرحمن علم القرآن * وقيل لما قالوا انما يعلمه بشر أكذبهم الله تعالى وقال الرحمن علم القرآن * وقيل مدنية نزلت إذ أبى سهيل بن عمرو وغيره أن يكتب فى الصلح بسم الله الرحمن الرحيم * ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر مقر المتقين فى جنات ونهر عند مليك مقتدر ذكر شيأ من آيات الملك وآثار القدرة ثم ذكر مقر الفريقين على جهة الاسهاب إذ كان فى آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والايجاز ولما ذكر قوله عند مليك مقتدر فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير فكأنه قيل من المتصف بذلك فقال الرحمن علم القرآن فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعليم القرآن الذى هو شفاء للقلوب والظاهر أن الرحمن مرفوع على الابتداء وعلم القرآن خبره * وقيل الرحمن آية بمضمر أى الله الرحمن أو الرحمن ربنا وذلك آية وعلم القرآن استئناف اخبار ولما عدد نعمه تعالى بدأ من نعمه بما هو أعلى رتبها وهو تعليم القرآن إذ هو عماد الدين ونجاة من استمسك به ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم ذكره بعد فى قوله خلق الانسان ليعلم انه المقصود بالتعليم ولما كان خلقه من أجل الدين وتعليمه القرآن كان كالسبب فى خلقه تقدم على خلقه ثم ذكر تعالى الوصف الذى يتميز به الانسان من المنطق المفصح عن الضمير والذى به يمكن قبول التعليم وهو البيان ألا ترى ان الأخرس لا يمكن أن يتعلم شيأ مما يدرك بالنطق وعلم متعدية الى اثنين حذف أولهما لدلالة المعنى عليه وهو جبريل أو محمد عليهما الصلاة والسلام أو الانسان أقوال وتوهم أبو عبد الله الرازى أن المحذوف هو المفعول الثانى * قال فان قيل لم ترك المفعول الثانى * وأجاب بان النعمة فى التعليم لا فى تعليم شخص دون شخص كما يقال فلان يطعم الطعام اشارة الى كرمه ولا يبين من يطعمه انتهى والمفعول الأول هو الذى كان فاعلا قبل النقل بالتضعيف أو الهمزة فى علم وأطعم وأبعد من ذهب الى أن معنى علم القرآن جعله علامة وآية يعتبر بها وهذه جمل مترادفة أخبار كلها عن الرحمن جعلت مستقلة لم تعطف إذ هى تعداد لنعمه تعالى كما تقول زيد أحسن اليك خولك أشار بذكرك والانسان اسم جنس * وقال قتادة الانسان آدم عليه السلام * وقال ابن كيسان محمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن زيد والجمهور البيان المنطق والفهم الابانة وهو الذى فضل به الانسان على سائر الحيوان * وقال قتادة هو بيان الحلال والشرائع وهذا جزء من البيان العام * وقال محمد بن كعب ما يقول وما يقال له * وقال الضحاك الخير والشر * وقال ابن جريج الهدى * وقال يمان الكتابة ومن قال الانسان آدم فالبيان أسماء كل شئ أو التكلم بلغات كثيرة أفضلها العربية أو الكلام بعد أن خلقه أو علم الدنيا والآخرة أو الاسم الأعظم الذى علم به كل شئ أقوال آخرها منسوب لجعفر الصادق * ولما ذكر تعالى ما أنعم به على الانسان من تعليمه البيان ذكر ما امتن به من وجود الشمس والقمر وما فيهما من المنافع العظيمة للانسان إذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير سوى فى بروجهما ومنازلهما * والحسبان مصدر كالغفران وهو بمعنى الحساب قاله قتادة * وقال الضحاك وأبو عبيدة جمع حساب كشهاب وشهبان * قال ابن عباس وأبو مالك وقتادة لهما فى طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسبانات شتى * وقال ابن زيد لولا الليل والنهار لم يدر أحد كيف يحسب شيأ يريد من مقادير الزمان * وقال مجاهد الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحى وهو العود المستدير الذى باستدارته تستدير المطحنة وارتفع الشمس على الابتداء وخبره بحسبان فاما على حذف أى جرى الشمس والقمر كائن بحسبان * وقيل الخبر محذوف أى يجريان بحسبان وبحسبان متعلق بيجريان وعلى قول

والعامل فيه العامل فى قوله فى شأن وهو مستقر المحذوف نحو يوم الجمعة زيد قائم

مجاهد تكون الباء في بحسبان ظرفية لان الحسبان عنده الفلك * ولما ذكر تعالى ما أنعم به من منفعة الشمس والقمر وكان ذلك من الآيات العلوية ذكر في مقابلتهما من الآثار السفلية النجم والشجر اذ كانا رزقا للانسان وأخبر أنهما جاريان على ما أراد الله بهما من تسخيرهما وكينونتهما على ما اقتضته حكمته تعالى * ولما ذكر ما به حياة الأرواح من تعليم القرآن ذكر ما به حياة الاشباح من النبات الذي له ساق وكان تقديم النجم وهو ما لا ساق له لانه أصل القوت والذي له ساق ثمره يتفكه به غالبا والظاهر أن النجم هو الذي شرحناه ويدل عليه اقترانه بالشجر * وقال مجاهد وقتادة والحسن النجم اسم الجنس من نجوم السماء * وسجودهما قال مجاهد والحسن ذلك في النجم بالغروب ونحوه وفي الشجر بالظل واستدارته * وقال مجاهد أيضا والسجود تجوز وهو عبارة عن الخضوع والتذلل والجمل الأول فيها ضمير يربطها بالمبتدا وأما في هاتين الجملتين فاكتفى بالوصل المعنوي عن الوصل اللفظي إذ معلوم أن الحسبان هو حسبانه وأن السجود له لا لغيره فكأنه قيل بحسبانه ويسجدان له ولما أوردت هذه الجمل مورد تعديد النعم رد الكلام الى العطف في وصل ما يناسب وصله والتناسب الذي بين هاتين الجملتين ظاهر لان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان * والسماء رفعها أي خلقها مرفوعة حيث جعلها مصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين ينزلون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على عظم شأنه وملكه * وقرأ الجمهور والسماء بالنصب على الاشتغال روعي مشاكلة الجملة التي تليه وهي يسجدان * وقرأ أبو السمال والسماء بالرفع راعى مشاكلة الجملة الابتدائية * وقرأ الجمهور ووضع الميزان فعلا ماضيا ناصبا الميزان أي أقره وأثبته * وقرأ ابراهيم ووضع الميزان بالخفض واسكان الضاد والظاهر انه كل ما يوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها وان اختلفت الآلات قال معناه ابن عباس والحسن وقتادة جعله تعالى حاكما بالسوية في الأخذ والاعطاء * وقال مجاهد والطبري والأكثرون الميزان العدل وتكون الآلات من بعض ما يندرج في العدل بدأ أولا بالعلم فذكر ما فيه أشرف أنواع العلوم وهو القرآن ثم ذكر ما به التعديل في الأمور وهو الميزان كقوله وأنزل معهم الكتاب والميزان ليعلموا الكتاب ويفعلوا ما يأمرهم به الكتاب * أن لا تطغوا في الميزان أي لان لا تطغوا فتطغوا منصوب بان * وقال الزمخشري أو هي ان المفسرة * وقال ابن عطية ويحتمل أن تكون أن مفسرة فيكون تطغوا جزما بالنهي انتهى ولا يجوز ما قالاه من أن أن مفسرة لانه فات أحد شرطيها وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول ووضع الميزان جملة ليس فيها معنى القول والطغيان في الميزان هو أن يكون بالتعمد وأما ما لا يقدر عليه من التحرير بالميزان فمعفو عنه ولما كانت التسوية مطلوبة جدا أمر الله تعالى فقال وأقيموا الوزن * وقرأ الجمهور ولا تخسروا من أخسر أي أفسد ونقص كقوله واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي ينقصون وبلال بن أبي بردة وزيد بن علي تخسر بفتح التاء يقال خسر يخسر وأخسر يخسر بمعنى واحد كجبر وأجبر * وحكى ابن جني وصاحب اللوامح عن بلال فتح التاء والسين مضارع خسر بكسر السين وخرجها الزمخشري على أن يكون التقدير في الميزان فحذف الجار ونصب ولا يحتاج الى هذا التخريج ألا ترى ان خسر جاء متعديا كقوله تعالى خسروا أنفسهم وخسر الدنيا والآخرة * وقرئ أيضا تخسروا بفتح التاء وضم السين لما منع من الزيادة وهي الطغيان نهى عن الخسران الذي هو نقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ولما ذكر السماء ذكر مقابلتها * فقال والارض وضعها للانام أي خفضها

(الدر)

﴿سورة الرحمن﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) أو هي أن المفسرة (ع) ويحتمل أن تكون أن مفسرة فيكون تطغوا جزما بالنهي انتهى (ح) لا يجوز ما قالاه من أن أن مفسرة لانه فات أحد شرطيها وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول ووضع الميزان ليس جملة فيها معنى القول

(ش) ولا تخسروا الميزان قرئ بفتح التاء والسين والتقدير في الميزان فحذف الجار ونصب انتهى (ح) لا يحتاج الى هذا التخريج ألا ترى أن خسر جاء متعديا كقوله تعالى خسروا أنفسهم وخسر الدنيا والآخرة

مدحوة على الماء لينتفع بها * وقرأ الجمهور والارض بالنصب وأبو السمال بالرفع والأنام * قال ابن عباس بنو آدم فقط * وقال أيضا هو وقتادة وابن زيد والشعبي الحيوان كله * وقال الحسن الثقلان الجن والانس * فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به وبدأ بقوله فاكهة اذ هو من باب الابتداء بالأدنى والترقي الى الأعلى ونكر لفظها لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها ثم ثنى بالنخل فذكر الأصل ولم يذكر ثمرتها وهو الثمر لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجمار وثمر ثم أتى ثالثا بالحب الذي هو قوام عيش الانسان في أكثر الأقاليم وهو البر والشعير وكل ماله سنبل وأوراق متشعبة على ساقه ووصفه بقوله ذو العصف تنبيها على انعامه عليهم بما يقوتهم من الحب ويقوت بهائمهم من ورقه الذي هو التبن وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب ليحصل ما به يتفكه وما به يتقوت وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعددة وشجرة الفاكهة بالنسبة الى ثمرتها حقيرة فنص على ما يعظم به الانتفاع من شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرتها * وقرأ الجمهور والحب ذو العصف والريحان برفع الثلاثة عطفا على المرفوع قبله وابن عامر وأبو حيوة وابن أبي عبلة بنصب الثلاثة أي وخلق الحب وجوزوا أن يكون والريحان حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف أي وذو الريحان حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وحمزة والكسائي والأصمعي عن أبي عمرو والريحان بالجر والمعنى والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم والريحان الذي هو مطعم الناس ويبعد دخول المشموم في قراءة الجر وريحان من ذوات الواو وأجاز أبو علي أن يكون اسما وضع موضع المصدر وأن يكون مصدرا على وزن فعلان كاللبان وأبدلت الواو ياء كما أبدلوا الياء واوا في أشاوي أو مصدرا شاذا في المعتل كما شذ كينونة وبينونة فأصله ريوحان قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فصار ريحان ثم حذفت عين الكلمة كما قالوا ميت وهين * ولما عدد تعالى نعمه خاطب الثقلين بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان أي ان نعمه كثيرة لا تحصى فبأيها تكذبان أي من هذه نعمه لا يمكن أن يكذب بها وكان هذا الخطاب للثقلين لانهما داخلان في الأنام على أصح الأقوال ولقوله خلق الانسان وخلق الجان ولقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان وقد أبعد من جعله خطابا للذكر والأنثى من بني آدم وأبعد من هذا قول من قال انه خطاب على حد قوله ألقيا في جهنم ويا حرسي اضربا عنقه يعني انه خطاب للواحد بصورة الاثنين فبأي منونا في جميع السورة كأنه حذف منه المضاف اليه وأبدل منه آلاء ربكما بدل معرفة من نكرة وآلاء تقدم في الأعراف انها النعم واحدها الى وألاو إلى وألى * خلق الانسان لما ذكر العالم الاكبر من السماء والارض وما أوجد فيهما من النعم ذكر مبدأ من خلقت له هذه النعم والانسان هو آدم وهو قول الجمهور * وقيل للجنس وساغ ذلك لان أباهم مخلوق من الصلصال واذا أريد بالانسان آدم فقد جاءت غايات له مختلفة وذلك بتنقل أصله فكان أولا ترابا ثم طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فناسب أن ينسب خلقه لكل واحد منها والجان هو أبو الجن وهو ابليس قاله الحسن * وقال مجاهد هو أبو الجن وليس بابليس وقيل الجان اسم جنس والمارج ما اختلط من أصفر وأحمر وأخضر أو اللهب أو الخالص أو الحمرة في طرف النار أو المختلط بسواد أو المضطرب بلا دخان أقوال ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية في من نار للتبعيض * وقيل للبيان والتكرار في هذه الفواصل للتأكيد والتنبيه والتحريك وهي موجودة في مواضع من القرآن وذهب قوم منهم ابن قتيبة الى أن هذا التكرار انما هو لاختلاف النعم فكرر

التوقيف فى كل واحد منها * وقرأ الجمهور رب ورب بالرفع أى هو رب وأبو حيوة وابن أبى عبلة بالخفض بدلا من ربكما وثنى المضاف اليه لانهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما قاله مجاهد * وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما وعن ابن عباس للشمس مشرق فى الصيف مصعد ومشرق فى الشتاء منحدر تنتقل فيهما مصعدة ومنحدرة انتهى فالمشرقان والمغربان للشمس * وقيل المشرقان مطلع الفجر ومطلع الشمس والمغربان مغرب الشفق ومغرب الشمس ولسهل التسترى كلام فى المشرقين والمغربين شبيه بكلام الباطنية المحرفين مدلول كلام الله ضربنا عن ذكره صفحا وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين ينسبون للصوفية لانا لا نستحل نقل شئ منه وقد أولع صاحب كتاب التحرير والتحبير بحسب ما قاله هؤلاء الغلاة فى كل آية آية ويسمى ذلك الحقائق وارباب القلوب وما ادعوا فهمه فى القرآن فاغلوا فيه لم يفهمه عربى قط ولا أراده الله تعالى بتلك الألفاظ نعوذ بالله من ذلك * مرج البحرين تقدم الكلام على ذلك فى الفرقان * قال ابن عطية وذكر الثعلبى فى مرج البحرين ألغازا وأقوالا باطنة لا يلتفت الى شئ منها انتهى والظاهر التقاؤهما أى يتجاوران فلا فصل بين الماءين فى رؤية العين * وقيل يلتقيان فى كل سنة مرة * وقيل معدان للالتقاء فحقهما أن يلتقيا لولا البرزخ بينهما * برزخ أى حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان حدهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة * وقيل البرزخ أجرام الأرض قاله قتادة وقيل لا يبغيان أى على الناس والعمران وعلى هذا والذى قبله يكون من البغى * وقيل هو من بغى أى طلب فالمعنى لا يبغيان حالا غير الحال التى خلقا عليها وسخرا لها * وقيل ماء الأنهار لا يختلط بالماء الملح بل هو بذاته باق فيه * وقال ابن عطية والعيان لا يقتضيه انتهى يعنى انه يشاهد الماء العذب يختلط بالملح فيبقى كله ملحا وقد يقال انه بالاختلاط تتغير أجرام العذب حتى لا تظهر فاذا ذاق الانسان من الملح المنبث فيه تلك الاجزاء الدقيقة لم يحس الا الملوحة والمعقول يشهد بذلك لان تداخل الاجسام غير ممكن لكن التفرق والالتقاء ممكن وأنشد القاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمه الله تعالى

وممزوجة الأمواه لا العذب غالب * على الملح طيبا ولا الملح يعذب

وقرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل ونافع وأبو عمرو وأهل المدينة مبنيا للمفعول والجعفى عن أبى عمرو بالياء مضمومة وكسر الراء أى يخرج الله وعنه وعن أبى عمرو وعن ابن مقسم بالنون واللؤلؤ والمرجان نصب فى هاتين القراءتين والظاهر فى منهما أن ذلك يخرج من الملح والعذب * وقال بذلك قوم حكاه الأخفش ورد الناس هذا القول قالوا والحس يخالفه إذ لا يخرج الا من الملح وعابوا قول الشاعر

فجاء بها ماشئت من لطمية * على وجهها ماء الفرات يموج

وقال الجمهور انما يخرج من الاجاج فى المواضع التى تقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب إسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين * وقال ابن عباس وعكرمة تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر لان الصدف وغيرها تفتح أفواهها للمطر فلذلك قال منهما * وقال أبو عبيدة انما يخرج من الملح لكنه قال منهما تجوزا * وقال الرمانى العذب فيها كاللقاح للملح فهو كما يقال الولد يخرج من الذكر والانثى * وقال ابن عطية وتبع الزجاج من حيث هما نوع واحد فخروج هذه الاشياء انما هى منهما وان كانت تختص عند التفصيل المبالغ بأحدهما كما قال سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن

نورا وانما هو فى احداهن وهى الدنيا الى الارض * وقال الزمخشرى نحوا من قول ابن عطية قال (فان قلت) لم قال منهما وانما يخرجان من الملح (قلت) لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره * وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب انتهى * وقال أبو على الفارسى هذا من باب حذف المضاف والتقدير يخرج من أحدهما كقوله تعالى على رجل من القريتين عظيم أى من احدى القريتين وقيل هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان * وقال أبو عبد الله الرازى كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس ومن أعلم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب أن الغواصين ما أخرجوه الا من المالح ولكن لم قلتم ان الصدف لا يخرج بأمر الله من الماء العذب الى الماء الملح وكيف يمكن الجزم به والامور الارضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما فى قعر البحر عليهم * واللؤلؤ قال ابن عباس والضحاك وقتادة كبار الجوهر والمرجان صغاره وعن ابن عباس أيضا وعلى ومرة الهمدانى عكس هذا وقال أبو عبد الله وأبو مالك المرجان الحجر الاحمر * وقال الزجاج حجر شديد البياض * وحكى القاضى أبو يعلى انه ضرب من اللؤلؤ كالقضبان والمرجان اسم أعجمى معرب * قال ابن دريد لم أسمع فيه نقل متصرف وقال الأعشى

من كل مرجانة فى البحر أحرزها * تيارها ووقاها طينها الصدف

قيل أراد اللؤلؤة الكبيرة * وقرأ طلحة اللؤلؤ بكسر اللام الثالثة وهى لغة وعبد اللؤلى تقلب الهمزة المتطرفة ياء ساكنة بعد كسرة ما قبلها وهى لغة قاله أبو الفضل الرازى * وله الجوار خص تعالى الجوارى بأنها له وهو تعالى له ملك السموات والارض وما فيهن لانهم لما كانوا هم منشئها أسندها تعالى اليه إذ كان تمام منفعتها انما هو منه تعالى فهو فى الحقيقة مالكها والجوارى السفن وقرأ عبد الله والحسن وعبد الوارث عن أبى عمرو بضم الراء كما قالوا فى شاك شاك * وقرأ الجمهور المنشآت بفتح الشين اسم مفعول أى أنشأها الله أو الناس أو المرفوعات الشراع * وقال مجاهد ماله شراع من المنشآت وما لم يرفع له شراع فليس من المنشآت والشراع القلع والاعمش وحمزة وزيد ابن على وطلحة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين أى الرافعات الشراع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن أو التى تنشئ السفر إقبالا وإدبارا وشدد الشين ابن أبى عبلة والحسن المنشأة وحد الصفة ودل على الجمع الموصوف كقوله أزواج مطهرة وقلب الهمزة ألفا على حد قوله

* ان السباع لتهدى فى مرابضها * يريد لتهدأ التاء لتأنيث الصفة كتبت تاء على لفظها فى الوصل * كالاعلام أى كالجبال والآكام وهذا يدل على كبر السفن حيث شبهها بالجبال وان كانت المنشآت تنطلق على السفينة الكبيرة والصغيرة وعبر بمن فى قوله كل من عليها تغليبا لمن يعقل والضمير فى عليها قيل عائد على الارض فى قوله والارض وضعها للأنام فعاد الضمير عليها وان كان بعد لفظها والفناء عبارة عن اعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره والوجه يعبر به عن حقيقة الشئ والجارحة منتفية عن الله تعالى ونحو كل شئ هالك الا وجهه وتقول صعاليك مكة أين وجه عربى كريم يجود على * وقرأ الجمهور ذو بالواو صفة للوجه وأبى وعبد الله ذى بالياء صفة للرب والظاهر أن الخطاب فى قوله وجه ربك للرسول وفيه تشريف عظيم له صلى الله عليه وسلم * وقيل

﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ أي ننظر في أموركم يوم القيامة لانه تعالى كان له شغل فهو يفرغ منه وجرى هذا على كلام العرب في أن المعنى سنقصد لحسابكم فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك أي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على الانتقام منه والظاهر أن قوله يامعشر الآية خطاب من الله اياهم يوم القيامة وقوله يامعشر كالترجمة لقوله أيه الثقلان ﴿ان استطعتم﴾ أن تهربوا من قضائي وتخرجوا عن ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ ﴿الا بسلطان﴾ يعني بقوة وغلبة (١٩٣) وأنى لكم ذلك ونحو وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وفانفذوا أمر تعجيز ﴿يرسل عليكما﴾ قال ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر والشواظ لهب النار والنحاس الصفر المعروف ﴿فاذا انشقت السماء﴾ جواب اذا محذوف تقديره فما أعظم الهول وانشقاقها انفطارها يوم القيامة ﴿فكانت وردة﴾ أي محمرة كالوردة وقال ابن عباس كالدهان كالاديم الاحمر ﴿فيومئذ﴾ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة والتقدير فيوم اذا انشقت والناصب ليومئذ لا يسأل ودل هذا على انتفاء السؤال ووقفوهم انهم مسؤولون وغيرها من الآيات على وقوع السؤال وقيل هي مواطن يسأل في بعضها وسيماهم سواد الوجوه وزرقة العيون والبكم والعمى والصمم ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ قال ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيطوى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك في النار ويؤخذ مبني للمفعول والجار والمجرور في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله ﴿ هذه جهنم ﴾ أي يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع ﴿يطوفون بينها ﴾ أي يترددون بين نارها وبين ما غلا منها من مائع عذابها وآن أي منتهى الحر والنضج فيعاقب بينهم بين تصلية النار وبين شرب الحميم ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ مقام مصدر فاحتمل أن يكون مضافا الى الفاعل أي قيام ربه عليه والظاهر أن لكل فرد فرد من الخائفين جنتان ﴿ ذواتا أفنان﴾ أي صاحبتا أغصان وهي الغصون التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد



الخطاب لكل سامع ومعنى ذو الجلال الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذي يتعجب من جلاله أو الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده * يسأله من في السموات والارض أي حوائجهم وهو ما يتعلق بمن في السموات من أمر الدين وما استعبدوا به ومن في الارض من أمر دينهم ودنياهم * وقال أبو صالح من في السموات الرحمة ومن في الارض المغفرة والرزق وقال ابن جريج الملائكة الرزق لاهل الارض والمغفرة وأهل الارض يسألونهما جميعا والظاهر أن قوله يسأله استئناف اخبار * وقيل حال من الوجه والعامل فيه يبقى أي هو دائم في هذه الحال انتهى وفيه بعد ومن لا يسأل بحاله تقتضي السؤال فيصح اسناد السؤال الى الجميع باعتبار القدر المشترك وهو الافتقار اليه تعالى * كل يوم أي كل ساعة ولحظة وذكر اليوم لان الساعات واللحظات في ضمنه * هو في شأن قال ابن عباس في شأن يمضيه من الخلق والرزق والاحياء والامانة * وقال عبيد بن عمير يجيب داعيا ويفك عانيا ويتوب على قوم ويغفر لقوم * وقال سويد بن غفلة يعتق رقابا ويعطي رغابا ويقحم عقابا * وقال ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشأنه فيه الأمر والنهي والامانة والاحياء والثاني الذي هو يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وعن مقاتل نزلت في اليهود قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيأ * وقال الحسين بن الفضل وقد سأله عبد الله بن طاهر عن قوله كل يوم هو في شأن وقد صح أن القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة فقال شؤون يبديها لا شؤون يبتديها * وقال ابن بحر هو في يوم الدنيا في الابتلاء وفي يوم القيامة في الجزاء وانتصب كل يوم على الظرف والعامل فيه العامل في قوله في شأن وهو مستقر المحذوف نحو يوم الجمعة زيد قائم * قوله عز وجل ﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ذواتا أفنان * فبأي آلاء ربكما

تكذبان * فيهما عينان تجريان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهما من كل فاكهة زوجان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * متكئين على فرش بطائنها من استبرق ﴾ لما ذكر تعالى ما أنعم به من تعليم العلم وخلق الانسان والسماء والأرض وما أودع فيهما وفناء ما على الأرض ذكر ما يتعلق بأحوال الآخرة والجزاء. وقال سنفرغ لكم أى ننظر فى أموركم يوم القيامة لا أنه تعالى كان له شغل فيفرغ منه وجرى على هذا كلام العرب فى أن المعنى سيقصد لحسابكم فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك أى سأتجرد للايقاع بك من كل ما شغلنى عنه حتى لا يكون لى شغل سواه والمراد التوفر على الانتقام منه * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون التوعد بعذاب فى الدنيا والأول أبين انتهى يعنى أن يكون ذلك يوم القيامة * وقال الزمخشرى ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا ويبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤون الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل انتهى والذى عليه أئمة اللغة ان فرغ تستعمل عند انقضاء الشغل الذى كان الانسان مشتغلا به فلذلك احتاج قوله الى التأويل على أنه قد قيل ان فرغ يكون بمعنى قصد واهتم واستدل على ذلك بما أنشده ابن الانبارى لجرير

الآن وقد فرغت الى نمير * فهذا حين كنت لهم عذابا

أى قصدت * وأنشد النحاس * فرغت الى العبد المقيد فى الحجل * وفى الحديث فرغ ربك من أربع وفيه لأتفرغن اليك يا خبيث يخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم إرب العقبة يوم بيعتها أى لأقصدن ابطال أمرك نقل هذا عن الخليل والكسائى والفراء * وقرأ الجمهور سنفرغ بنون العظمة وضم الراء من فرغ بفتح الراء وهى لغة الحجاز وحمزة والكسائى وأبو حيوة وزيد بن على بياء الغيبة وقتادة والأعرج بالنون وفتح الراء مضارع فرغ بكسرها وهى تميمية وأبو السمال وعيسى بكسر النون وفتح الراء * قال أبو حاتم هى لغة سفلى مضر والأعمش وأبو حيوة بخلاف عنهما وابن أبى عبلة والزعفرانى بضم الياء وفتح الراء مبنيا للمفعول وعيسى أيضا بفتح النون وكسر الراء والأعرج أيضا بفتح الياء والراء وهى رواية يونس والجعفى وعبد الوارث عن أبى عمرو والثقلان الانس والجن سميا بذلك لكونهما ثقيلين على وجه الأرض أو لكونهما مثقلين بالذنوب أو لثقل الانس وسمى الجن ثقلا لمجاورة الانس والثقل الامر العظيم وفى الحديث انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى سميا بذلك لعظمهما وشرفهما والظاهر أن قوله يا معشر الآية من خطاب الله اياهم يوم القيامة يوم التناد * وقيل يقال لهم ذلك * قال الضحاك يفرون فى أقطار الارض لما يرون من الهول فيجدون الملائكة قد أحاطت بالارض فيرجعون من حيث جاؤا فحينئذ يقال لهم ذلك * وقيل هو خطاب فى الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت * وقال ابن عباس إن استطعتم باذهانكم وفكركم أن تنفذوا فتعلمون علم أقطار أى جهات السموات والارض * قال الزمخشرى يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله أيها الثقلان ان استطعتم أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وأرضى فافعلوا ثم قال لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعنى بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء انتهى فانفذوا أمر تعجيز * وقال قتادة السلطان هنا الملك وليس لهم ملك * وقال الضحاك أيضا بينما الناس فى أسواقهم انفتحت السماء ونزلت الملائكة فهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة * وقرأ زيد بن على ان استطعتما على خطاب تثنية الثقلين ومراعاة الجن والانس والجمهور على خطاب

الظلال ومنها تجنى الثمار وذات مؤنث ذا بمعنى صاحب فكان القياس أن يقال ذاتا أفنان فردت عين الكلمة وهى الواو فقيل ذواتا أفنان وهو أفصح من ذاتا ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾ قيل بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل ﴿ من كل فاكهة زوجان ﴾ قال ابن عباس ما فى الدنيا من شجرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى شجر الحنظل الا أنه حلو ﴿ متكئين ﴾ نصب على الحال والعامل فيه محذوف تقديره يتنعمون والاتكاء من صفات المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب والمعنى متكئين فى منازلهم ﴿ على فرش ﴾ واستبرق تقدم الكلام عليه

الجماعة ان استطعتم لان كلا منهما تحته أفراد كثيرة كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * يرسل عليكما شواظ قال ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر والشواظ لهب النار * وقال مجاهد اللهب الأحمر المنقطع * وقال الضحاك الدخان الذي يخرج من اللهب * وقرأ الجمهور شواظ بضم الشين وعيسى وابن كثير وشبل بكسرها والجمهور ونحاس بالرفع وابن أبي اسحق والنخعي وابن كثير وأبو عمرو بالجر والكلبي وطلحة ومجاهد بكسر نون نحاس والسين * وقرأ ابن جبير ونحس كما تقول يوم نحس * وقرأ عبد الرحمن بن أبي بكرة وابن أبي اسحق أيضا ونحس مضارعا وماضيه حسه أي قتله أي ويحس بالعذاب وعن ابن أبي اسحق أيضا ونحس بالحركات الثلاث في الحاء على التخيير وحنظلة بن نعمان ونحس بفتح النون وكسر السين والحسن واسماعيل ونحس بضمتين والكسر * وقرأ زيد بن علي نرسل بالنون عليكما شواظا بالنصب من نار ونحاسا بالنصب عطفا على شواظا * قال ابن عباس وابن جبير والنحاس الدخان وعن ابن عباس أيضا ومجاهد هو الصفر المعروف والمعنى يعجز الجن والانس أي أنما يحال من يرسل عليه هذا فلا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه * فاذا انشقت السماء جواب اذا محذوف أي فما أعظم الهول وانشقاقها انفطارها يوم القيامة * فكانت وردة أي محمرة كالورد * قال ابن عباس وأبو صالح هي من لون الفرس الورد فأنث لكون السماء مؤنثة * وقال قتادة هي اليوم زرقاء ويومئذ تغلب عليها الحمرة كلون الورد وهي النوار المعروف قاله الزجاج ويريد كلون الورد وقال الشاعر

فلو كنت وردا لونه لعشقتني * ولكن ربي شانني بسواديا

* وقال أبو الجوزاء وردة صفراء * وقال أما سمعت العرب تسمي الخيل الورد * قال الفراء أراد لون الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وهذا قول الكلبي * كالدهان قال ابن عباس الاديم الاحمر ومنه قول الأعشى

وأجرد من كرام الخيل طرف * كأن على شواكله دهانا

* وقال الشاعر * كالدهان المختلفة * لانها تتلون ألوانا * وقال الضحاك كالدهان خالصة جمع دهن كقرط وقراط * وقيل تصير حمراء من حرارة جهنم ومثل الدهن لذوبها ودورانها * وقيل شبهت بالدهان في لمعانها * وقال الزمخشري كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال الشاعر

كأنهما مزادتا متعجل * فريان لما سلعا بدهان

* وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة * نحو المغانم أو يموت كريم

انتهى فيومئذ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة والتقدير فيوم اذ انشقت السماء والناصب ليومئذ لا يسأل ودل هذا على انتفاء السؤال ووقفوهم انهم مسئولون وغيره من الآيات على وقوع السؤال * فقال عكرمة وقتادة هي مواطن يسأل في بعضها * وقال ابن عباس حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير وحيث نفي فهو استخبار محض عن الذنب والله تعالى أعلم بكل شيء * وقال قتادة أيضا كانت مسألة ثم ختم على الافواه وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يعملون * وقال أبو العالية وقتادة لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم * وقرأ الحسن وعمرو بن

عبيد ولا جأن بالهمز فرارا من التقاء الساكنين وان كان التقاؤهما على حده * وقرأ حماد بن أبي سليمان بسيماءتهم والجمهور بسيماهم وسيما المجرمين سواد الوجوه وزرقة العيون قاله الحسن ويجوز أن يكون غير هذا من التشويهات كالعمى والبكم والصمم * فيؤخذ بالنواصي والاقدام * قال ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيوطأ ويجمع كالحطب ويلقى كذلك في النار * وقال الضحاك يجمع بينهما في سلسلة من وراء ظهره * وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام * وقيل بعضهم سحبا بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم ويؤخذ متعد الى مفعول بنفسه وحذف هذا الفاعل والمفعول وأقيم الجار والمجرور مقام الفاعل مضمنا معنى ما يعدى بالباء أي فيسحب بالنواصي والاقدام وأل فيهما على مذهب الكوفيين عوض من الضمير أي بنواصيهم وأقدامهم وعلى مذهب البصريين الضمير محذوف أي بالنواصي والاقدام منهم * هذه جهنم أي يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع * يطوفون بينها أي يترددون بين نارها وبين ما غلى فيها من مائع عذابها * وقال قتادة الحميم يغلى منذ خلق الله جهنم وآن أي منتهى الحر والنضج فيعاقب بينهم وبين تصلية النار وبين شرب الحميم * وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم * وقيل يغمسون في واد في جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فتنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا * وقرأ علي والسلمي يطافون والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوفون بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشددة * وقرئ يطوفون أي يتطوفون والجمهور يطوفون مضارع طاف * قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال ابن الزبير نزلت في أبي بكر مقام ربه مصدر فاحتمل أن يكون مضافا الى الفاعل أي قيام ربه عليه وهو مروي عن مجاهد قال من قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي حافظ مهيمن فالعبد يراقب ذلك فلا يجسر على المعصية * وقيل الاضافة تكون بأدنى ملابسة فالمعنى انه يخاف مقامه الذي يقف فيه العباد للحساب من قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وفي هذه الاضافة تنبيه على صعوبة الموقف * وقيل مقام مقحم والمعنى ولمن خاف ربه كما تقول أخاف جانب فلان يعني فلانا والظاهر أن لكل فرد فرد من الخائفين جنتان * قيل احداهما منزله والأخرى لأزواجه وخدمه * وقال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم * وقيل منزلان ينتقل من أحدهما الى الآخر لتتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته * وقيل هما للخائفين والخطاب للثقلين فجنة للخائف الجني وجنة للخائف الانسي * وقال أبو موسى الأشعري جنة من ذهب للسابقين وجنة من فضة للتابعين * وقال الزمخشري ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم اليها على وجه التفضل لقوله وزيادة وخص الافنان بالذكر جمع فنن وهي الغصون التي تتشعب عن فروع الشجر لانها التي تورق وتثمر ومنها تمتد الظلال ومنها تجنى الثمار * وقيل الافنان جمع فن وهي ألوان النعم وأنواعها وهو قول ابن عباس والاول قال قريبا منه مجاهد وعكرمة وهو أولى لان أفعالا في فعل أكثر منه في فعل بسكون العين وفن يجمع على فنون * فيهما عينان تجريان * قال ابن عباس هما عينان مثل الدنيا أضعافا مضاعفة * وقال تجريان بالزيادة والكرامة على أهل الجنة * وقال الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والأخرى السلسبيل * وقال ابن عطية احداهما من ماء والأخرى من خمر * وقيل تجريان في الأعالي والاسافل من جبل من مسك * زوجان قال ابن عباس ما في الدنيا من شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة

﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ قال ابن عباس يجتنيه قائما وقاعدا ومضطجعا لا يرد يده بعد ولا شوك والضمير في فيهن عائد على الجنان الدال عليهن جنتان اذ كل فرد فرد له جنتان فصح أنها جنان كثيرة والظاهر أن قاصرات الطرف هن اللواتي يقصرن أنفسهن وأعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ﴿ لم يطمثهن ﴾ قال ابن عباس أي لم يفتضهن قبل أزواجهن أحد والضمير في قبلهم عائد على مادل عليه الضمير في متكئين ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ وهي من الاشياء التي برع حسنها فشبههن بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت في املاسه وشفوفه والمرجان في املاسه وجمال منظره ونعت العرب بذلك ﴿ ومن دونهما ﴾ أي من دون تينك الجنتين في المنزلة والقدر ﴿ جنتان ﴾ لاصحاب اليمين والاوليان هما للسابقين والآخريان للتابعين ﴿ مدهامتان ﴾ أي كثيرة الاخضرار والكثرة ذلك أشبهتا الدهمة وهي السواد ﴿ نضاختان ﴾ أي يسيلان قليلا قليلا بخلاف الجري ﴿ فيهما فاكهة ﴾ تشمل سائر الفواكه وهي نكرة في سياق الاثبات لا يراد بها واحدة من الفواكه ﴿ ونخل ورمان ﴾ تجريد من الفاكهة لشرفهما كما قال تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴿ فيهن خيرات حسان ﴾ جمع خيرة وهي المنهية في الخير ﴿ حور ﴾ جمع حوراء والحور شدة سواد العين وشدة البياض فيه و ﴿ مقصورات ﴾ ممتنعات غير مبتذلة ﴿ في الخيام ﴾ جمع خيمة وهي بيوت اللؤلؤ في الجنة ﴿ على رفرف ﴾ قال ابن عباس وغيره فضول المجالس والبسط ﴿ وعبقري ﴾ قال الحسن بسط حسان فيها صور وغير ذلك تصنع بعبقر بلده ولما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ختم نعم الآخرة بقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وناسب هنالك ذكر البقاء والديمومة تعالى اذ ذكر فناء العالم وناسب هنا ذكر ما اشتق من البركة وهي النمو والزيادة اذ جاء ذلك عقب ما امتن به على المؤمنين وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته وياذا الجلال والاكرام من الصفات التي جاء في الحديث أن يدعى الله تعالى بها قال صلى الله عليه وسلم ألظوا



حتى شجر الحنظل الا انه حلو انتهى ومعنى زوجان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذاك في الطيب واللذة * وقيل صنفان صنف معروف وصنف غريب وجاء الفصل بين قوله ذواتا أفنان وبين قوله فيهما من كل فاكهة بقوله فيهما عينان تجريان والافنان عليها الفواكه لان الداخل الى البستان لا يقدم الا التفرج بلذة مافيه بالنظر الى خضرة الشجر وجري الانهار ثم بعد يأخذ في اجتناء الثمار للاكل وانتصب متكئين على الحال من قوله ولمن خاف وحمل جمعا على معنى من * وقيل العامل محذوف أي يتنعمون متكئين * وقال الزمخشري أي نصب على المدح والاتكاء من صفات المتنعم الدالة على صحة الجسم وفراغ القلب والمعنى متكئين في منازلهم على فرش * وقرأ الجمهور وفرش بضمتين وأبو حيوة بسكون الراء وفي الحديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق كيف الظهائر قال هي من نور يتلألأ ولو صح هذا لم يجز أن يفسر بغيره * وقيل من سندس * قال الحسن والفراء البطائن هي الظهائر * وروى عن قتادة وقال الفراء قد تكون البطانة الظهارة والظهارة البطانة لان كلا منهما يكون وجها والعرب تقول هذا وجه السماء وهذا بطن السماء * قوله عز وجل ﴿ وجنى الجنتين دان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * كأنهن الياقوت والمرجان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * هل جزاء الاحسان الا الاحسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * ومن دونهما جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * مدهامتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان نضاختان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما فاكهة ونخل ورمان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن خيرات حسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * حور مقصورات في الخيام * فبأي آلاء ربكما تكذبان * لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ﴾ قال ابن عباس تجتنيه قائما وقاعدا ومضطجعا لا يرد يده بعد ولا شوك * وقرأ عيسى بفتح الجيم وكسر النون كأنه أمال النون وان كانت الألف قد حذفت في اللفظ كما أمال أبو عمرو وحتى نرى الله * وقرئ وجنى بكسر الجيم والضمير في فيهن عائد على الجنان الدال عليهن جنتان اذ كل فرد فرد له جنتان فصح انها جنان كثيرة وان كان الجنتان أريد بهما حقيقة التثنية وان لكل جنس من الجن والانس جنة واحدة فالضمير يعود على ما اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل * وقيل يعود على الفرش أي فيهن معدات للاستمتاع وهو قول

حسن قريب المأخذ * وقال الزمخشري فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والجنى انتهى وفيه بعد * وقال الفراء كل موضع من الجنة جنة فلذلك قال فيهن والطرف أصله مصدر فلذلك وحد والظاهر انهن اللواتي يقصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم * قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك * وقيل الطرف طرف غيرهن أي قصرن عيني من ينظر اليهن عن النظر الى غيرهن * لم يطمثهن قال ابن عباس لم يفتضهن قبل أزواجهن * وقيل لم يطأهن على أي وجه كان الوطء من افتضاض أوغيره وهو قول عكرمة والضمير في قبلهم عائد على من عاد عليه الضمير في متكئين * وقرأ الجمهور بكسر ميم يطمثهن في الموضعين وطلحة وعيسى وأصحاب عبد الله وعلي بالضم * وقرأ ناس بضم الاول وكسر الثاني وناس بالعكس وناس بالتخيير والجحدري بفتح الميم فيهما ونفي وطثهن عن الانس ظاهر واما عن الجن * فقال مجاهد والحسن قد تجامع نساء البشر مع أزواجهن اذلم يذكر الزوج الله تعالى فنفى هنا جميع المجامعين * وقال ضمرة بن حبيب الجن في الجنة لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم فنفي الافتضاض عن البشريات والجنيات * قال قتادة كأنهن على صفاء الياقوت وحمرة المرجان لو أدخلت في الياقوت سلكا ثم نظرت اليه لرأيته من ورائه انتهى وفي الترمذي ان المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة مخها * وقال ابن عطية الياقوت والمرجان من الاشياء التي برتاح بحسنها فشبه بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت في املاسه وشفوفه والمرجان في املاسه وجمال منظره وبهذا النحو من النظر سمت العرب النساء بذلك كدرة بنت أبي لهب ومرجانة أم سعيد انتهى * هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب * وقيل هل جزاء التوحيد الا الجنة * وقرأ ابن أبي اسحق الا الحسان يعني بالحسان الحور العين * ومن دونهما أي من دون تينك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان لاصحاب اليمين والأوليان هما للسابقين قاله ابن زيد والأكثرون وقال الحسن الاوليان للسابقين والاخريان للتابعين * وقال ابن عباس ومن دونهما في القرب للمنعمين والمؤخرتا الذكر أفضل من الاوليين يدل على ذلك انه وصف عيني هاتين بالنضخ وتينك بالجري فقط وهاتين بالدهمة من شدة النعمة وتينك بالافنان وكل جنة ذات أفنان ورجح الزمخشري هذا القول فقال للمقربين جنتان من دونهم من أصحاب اليمين ادهامتا من شدة الخضرة ورجح غيره القول الاول بذكر جري العينين والنضخ دون الجري وبقوله فيهما من كل فاكهة وفي المتأخرتين فيهما فاكهة وبالاتكاء على ما بطائنه من ديباج وهو الفرش وفي المتأخرتين الاتكاء على الرفرف وهو كسر الخباء والفرش المعدة للاتكاء أفضل والعبقري الوشي والديباج أعلى منه والمشبه بالياقوت والمرجان أفضل في الوصف من خيرات حسان والظاهر النضخ بالماء * وقال ابن جبير بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما ينضخ رش المطر وعنه أيضا بأنواع الفواكه والماء ونخل ورمان عطف على فاكهة فاقتضى العطف أن لا يندرجا في الفاكهة قاله بعضهم * وقال يونس بن حبيب وغيره كررهما وهما من أفضل الفاكهة تشريفا لهما واشارة بهما كما قال تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال * وقيل لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه * فيهن خيرات جمع خيرة وصف بني على فعلة من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شرة * وقيل مخفف من خيرة وبه قرأ بكر بن حبيب وأبو عثمان النهدي وابن مقسم أي بشد الياء * وروي عن أبي عمرو بفتح الياء كأنه جمع خايرة جمع على فعلة وفسر الرسول صلى الله عليه وسلم

يا ذا الجلال والاكرام وقرئ ذو الجلال صفة لاسم وذي الجلال صفة لربك

لأم سلمة ذلك فقال خيرات الاخلاق حسان الوجوه * حور مقصورات أي قصرن في أماكنهن والنساء تمدح بذلك اذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن كما قال قيس بن الاسلت

وتكسل عن جاراتها فيزرنها * وتغفل عن أبياتهن فتعذر

قال الحسن لسن بطوافات في الطرق وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ * وقال عمر بن الخطاب هي در مجوف ورواه عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم * لم يطمثهن انس قبلهم أي قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين * متكئين قال الزمخشري نصب على الاختصاص * على رفرف قال ابن عباس وغيره فضول المجلس والبسط * وقال ابن جبير رياض الجنة من رف البيت تنعم وحسن وقال ابن عيينة الزرابي * وقال الحسن وابن كيسان المرافق * وقرأ الفراء وابن قتيبة المجالس وعبقري قال الحسن بسط حسان فيها صور وغير ذلك يصنع بعبقر * وقال ابن عباس الزرابي * وقال مجاهد الديباج الغليظ * وقال ابن زيد الطنافس * قال الفراء الثخان منها * وقرأ الجمهور على رفرف ووصف بالجمع لانه اسم جنس الواحد منها رفرفة واسم الجنس يجوز فيه أن يفرد نعته وأن يجمع لقوله والنخل باسقات وحسن جمعه هنا مقابلته لحسان الذي هو فاصلة * وقال صاحب اللوامح * وقرأ عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن وزهير العرقي وغيره رفارف جمع لا ينصرف خضر بسكون الضاد وعباقري بكسر القاف وفتح الياء مشددة وعنهم أيضا ضم الضاد وعنهم أيضا فتح القاف * قال فأما منع الصرف من عباقري وهي الثياب المنسوبة الى عبقر وهو موضع تجلب منه الثياب على قديم الازمان فان لم يكن بمجاورتها والافلا يكون بمنع النصرف من ياءى النسب وجه الا في ضرورة الشعر انتهى * وقال ابن خالويه على رفارف خضر وعباقري النبي صلى الله عليه وسلم والجحدري وابن محيصن وقد روي عمن ذكرنا على رفارف خضر وعباقري بالصرف وكذلك روي عن مالك بن دينار * وقرأ أبو محمد المروزي وكان نحويا على رفارف خضار يعني على وزن فعال * وقال صاحب الكامل رفارف جمع عن ابن مصرف وابن مقسم وابن محيصن واختاره شبل وأبو حيوة والجحدري والزعفراني وهو الاختيار لقوله خضر وعباقري بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين ابن مقسم وابن محيصن وروي عنهما التنوين * وقال ابن عطية وقرأ زهير العرقي رفارف بالجمع والصرف وعنه عباقري بفتح القاف والياء على ان اسم الموضع عباقر بفتح القاف والصحيح في اسم الموضع عبقر انتهى * وقال الزمخشري وروى أبو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لاوجه لصحته انتهى وقد يقال لمانع الصرف رفارف شاكله في عباقري كما قد ينون ما لا ينصرف للشاكلة يمنع من الصرف للشاكلة * وقرأ ابن هرمز خضر بضم الضاد * قال صاحب اللوامح وهي لغة قليلة انتهى ومنه قول طرفة

أيها الفتيان في مجلسنا * جردوا منها ورادا وشقر

﴿ وقال آخر ﴾

وما انتميت الى خور ولا كسف * ولا لئام غداة الروع أوزاع

فشقر جمع أشقر وكسف جمع أكسف * وقرأ الجمهور ذي الجلال صفة لربك وابن عامر وأهل الشام ذو صفة للاسم وفي حرف أبي عبد الله وأبي ذي الجلال كقراءتهما في الموضع الأول والمراد هنا بالاسم المسمى * وقيل اسم مقحم كالوجه في ويبقى وجه ربك ويدل عليه اسناد تبارك لغير

( الدر )

( ش ) وروى أبو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لاوجه لصحته انتهى ( ح ) قد يقال لمانع صرف رفارف شاكله في عباقري كما قد ينون ما لا ينصرف للشاكلة يمنع من الصرف للشاكلة

الاسم في مواضع كقوله تبارك الله أحسن الخالقين تبارك الذي ان شاء تبارك الذي بيده الملك وقد صح الاسناد الى الاسم لانه بمعنى العلو فاذا علا الاسم فاظنك بالمسمى ولما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ختم نعم الآخرة بقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وناسب هنالك ذكر البقاء والديمومة له تعالى إذ ذكر فناء العالم وناسب هنا ذكر ما اشتق من البركة وهي النمو والزيادة إذ جاء ذلك عقب ما امتن به على المؤمنين وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته وياذا الجلال والاكرام من الصفات التي جاء في الحديث أن يدعى الله بها قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام

﴿ سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * اذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا * وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة * والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين * على سرر موضونة * متكئين عليها متقابلين * يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون * جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما * وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا * عربا أترابا * لأصحاب اليمين * ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين ﴾ * رجت الأرض زلزلت وحركت تحريكا شديدا بحيث تنهدم الأبنية وتخر الجبال * بست الجبال فتتت * وقيل سيرت من قولهم بس الغنم ساقها ويقال رجت الأرض وبست الجبال لازمين * المشأمة من الشؤم أو من اليد الشؤمى وهي الشمال * الثلاثة الجماعة كثرت أو قلت * وقال الزمخشري الأمة من الناس الكثيرة * وقال الشاعر

وجاءت اليهم ثلاثة خندقية * بجيش كتيار من السيل مزبد

* الموضونة المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحلق الدرع * قال الأعشى

ومن نسج داود موضونة * تسير مع الحي عيرا فعيرا

ومنه وضين الناقة وهو حزامها لانه موضون أي مفتول * قال الراجز

اليك تعدو قلقا وضينها * معترضا في بطنها جنينها

* مخالفا دين النصارى دينها *

* الابريق افعيل من البريق وهو إناء للشرب له خرطوم * قيل وأذن وهو من أواني الخمر عند العرب * قال الشاعر

كأن ابريقهم ظبي على شرف * مقدم فسبا الكتان ملثوم

﴿ وقال عدي بن زيد ﴾

﴿ سورة الواقعة ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ اذا وقعت الواقعة ﴾ الآية هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ما آل اليه الثقلان من عذاب ونعيم ذكر ذلك هنا مفصلا السابقين المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين الضالين والواقعة والآزفة والصاخة والطامة من أسماء الساعة فقوله وقعت الواقعة أى وقعت التى لابد من وقوعها كما تقول حدثت الحادثة وكانت الكائنة ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله والعامل فى اذا الفعل بعدها على ماقررناه فى كتب النحو فهى فى موضع نصب بوقعت كسائر أسماء الشرط قال الزمخشرى (فان قلت) بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لى شغل أو بمحذوف يعنى اذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر انتهى أما نصبها بليس فلا يذهب نحوى ولا من شدا شيأ من صناعة الاعراب الى مثل هذا لان ليس فى النفى كما وما لا تعمل فكذلك ليس وذلك أن ليس مساوية للدلالة على الحدث والزمن والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز لان حد الفعل لا ينطبق عليها والعامل فى الظرف انما هو ما يقع فيه من الحدث فاذا قلت يوم الجمعة أقوم فالقيام فى يوم الجمعة واقع وليس لا حدث لها فكيف يكون لها عمل فى الظرف والمثال الذى شبه به وهو يوم الجمعة ليس لى شغل لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس بل هو منصوب بالعامل فى خبر ليس وهو الجار والمجرور فهو من تقديم معمول الخبر على ليس وتقديم ذلك مبنى على جواز تقدم الخبر الذى لليس عليها وهو مختلف فيه ولم يسمع من العرب قائما ليس زيد وليس انما تدل على نفى الحكم الخبرى عن المحكوم عليه فقط فهى كما لكنها لما اتصلت بها ضمائر الرفع جعلها ناس فعلا وهى فى الحقيقة حرف نفى كما النافية ويظهر من تمثيل الزمخشرى اذا بقوله يوم الجمعة انه سلبها الدلالة على الشرط الذى هو غالب فيها ولو كانت شرطا وكان الجواب الجملة المصدرة بليس لزمت الفاء الا ان حذفت فى شعر ان ورد ذلك





فتقول اذا أحسن اليك زيد فلست تترك مكافاته ولا يجوز لست بغير فاء الى ان اضطر الى ذلك وأما تقديره اذا وقعت كان كيت كيت فيدل على أن اذا عنده شرطية ولذلك قدر لها جوابا عاملا فيها وأما قوله أو باضمار اذكر فانه سلبها الظرفية وجعلها مفعولا بها منصوبة باذكر و ﴿ كاذبة ﴾ ظاهره انه اسم فاعل من كذب وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشرى نفس كاذبة والذى يظهر انها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وقرئ ﴿ خافضة رافعة ﴾ برفعهما على تقدير هى ونصبهما على الحال ﴿ إذا رجت ﴾ قال ابن عباس زلزلت وحركت بعنف ﴿ وبست ﴾ فتتت واذا رجت بدل من اذا وقعت وجواب الشرط عندى ملفوظ به وهو قوله فأصحاب الميمنة والمعنى اذا كان كذا كذا فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يجازون به أى ان سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تعالى تظهر فى ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم وقال الزمخشرى ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى ولا يجوز أن ينتصب بهما معا بل بأحدهما لانه لا يجتمع مؤثران على أثر واحد وقال ابن جنى وأبو الفضل الرازى اذا رجت فى موضع رفع على انه خبر للمبتدا الذى هو اذا وقعت وليست واحدة منهما شرطية بل جعلت بمعنى وقت وما بعد اذا أحوال ثلاثة والمعنى وقت وقوع الواقعة صادقة الوقوع خافضة قوم رافعة آخرين وقت رج الأرض وهكذا ادعى ابن مالك أن اذا تكون مبتدأ واستدل بهذا وقواه وقد ذكرنا فى شرح التسهيل ما تبقى به اذا على مدلولها من الشرط ﴿ وكنتم ﴾ خطاب للعالم ﴿ أزواجا ﴾ أصنافا ﴿ ثلاثة ﴾ وهذه رتب الناس يوم القيامة ﴿ فأصحاب ﴾ مبتدأ وما مبتدأ ثان استفهام فى معنى التعظيم وأصحاب الميمنة خبر عن ما وما بعدها خبر عن أصحاب وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدا بلفظه وأكثر ما يكون ذلك فى موضع التهويل والتعظيم واعراب أصحاب المشأمة كذلك ﴿ والسابقون ﴾ فى أعمال الخيرات ﴿ السابقون ﴾ الى الجنة

---

وندعو الى الصباح فجاءت ٭ قينة فى يمينها إبريق

٭ صدع القوم بالخمر لحقهم الصداع فى رؤسهم منها ٭ وقيل صدعوا افرقوا ٭ السدر تقدم الكلام عليه فى سورة سبأ ٭ المخضود المقطوع شوكه ٭ قال أمية بن أبى الصلت

ان الحدائق فى الجنان ظليلة ٭ فيها الكواعب سدرها مخضود

٭ الطلح شجر الموز ٭ وقيل شجر من العضاة كثير الشوك ٭ المسكوب المصبوب ٭ العروب المتحببة الى زوجها ٭ الترب اللدة وهو من يولد هو وآخر فى وقت واحد ٭ سميا بذلك لمسهما التراب فى وقت واحد والله تعالى أعلم ﴿ اذا وقعت الواقعة ٭ ليس لوقعتها كاذبة ٭ خافضة رافعة ٭ إذا رجت الأرض رجا ٭ وبست الجبال بسا ٭ فكانت هباء منبثا ٭ وكنتم أزواجا ثلاثة ٭ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ٭ وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ٭ والسابقون السابقون ٭

والجملة مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون السابقون توكيدا للاول ويكون خبر المبتدا الجملة التى هى اسم الاشارة ومابعدها وهو قوله ﴿ أولئك المقربون ﴾ والثلة الجماعات قلت أو كثرت والمراد بها فى الآية الجماعة الكثيرة لمقابلها فى قوله ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ وارتفع ثلة على اضمارهم وفى الحديث الفرقتان فى أمتى فسابق فى أول الأمة ثلة وسابق سائرها الى يوم القيامة قليل ﴿ موضونة ﴾ والموضونة المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحلق الدرع وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت ﴿ متكئين عليها ﴾ أى على السرر ومتكئين حال من الضمير المستكن فى على سرر ﴿ متقابلين ﴾ ينظر بعضهم الى بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء بواطنهم ﴿ ولدان ﴾ صغار الخدم ﴿ مخلدون ﴾ وصفوا بالخلد وهو البقاء على حالهم من الصغر لا يكبرون وقيل مقرطون بالخلدات وهى ضروب من الاقراط ﴿ معين ﴾ قال ابن عباس من خمر سائلة جارية معينة ﴿ لا يصدعون عنها ﴾ لا يلحق رؤسهم الصداع الذى يلحق من خمر الدنيا ﴿ ولا ينزفون ﴾ أى لا يفرغ خمرهم من نزف البئر استفرغ ماءها وقرئ ﴿ وحور ﴾ بالرفع على تقدير ولهم حور وبالجر  عطفا على المجرورات قبله والمعنى أن الولدان يطوفون عليهم

أولئك المقربون * فى جنات النعيم * ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين * على سرر موضونة * متكئين عليها متقابلين * يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون * جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما * وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * فى سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة * إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا * عربا أترابا لأصحاب اليمين * ثلة من الأولين * وثلة من الآخرين ﴾ هذه السورة مكية * ومناسبتها لما قبلها ان ما قبلها تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين وفاضل بين جنتى بعض المؤمنين وجنتى بعض بقوله ومن دونهما جنتان فانقسم العالم بذلك الى كافر ومؤمن مفضول ومؤمن فاضل وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسباق وهم المقربون وأصحاب اليمين والمكذبون المختتم بهم آخر هذه السورة * وقال ابن عباس الواقعة من أسماء القيامة كالصاخة والطامة والآزفة وهذه الاسماء تقتضى عظم شأنها ومعنى وقعت الواقعة أى وقعت التى لابد من وقوعها كما تقول حدثت الحادثة وكانت الكائنة ووقوع الأمر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله * وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهى النفخة فى الصور * وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة والعامل فى اذا الفعل بعدها على ما قررناه فى كتب النحو فهو فى موضع خفض

بالحور العين ووصف اللؤلؤ بالمكنون لانه أصفى وأبعد من التغير وفى الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذى لا تمسه الأيدى ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ روى أن المنازل تقسم فى الجنة على قدر الاعمال ونفس دخول الجنة هو بفضل الله ورحمته لا بعمل عامل وفى النص الصحيح الصريح لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى منه بفضل ورحمة * واللغو سقط القول وفحشه والتأثيم ما يؤثم به أى لا يؤثم فيها أحد والظاهر أن الا قيلا سلاما سلاما استثناء منقطع لانه لم يندرج فى اللغو ولا التأثيم ﴿ فى سدر ﴾ فى الجنة شجر على خلقة السدر له ثمر كقلال هجر طيب الطعم والريح ﴿ مخضود ﴾ عار من الشوك ﴿ وطلح ﴾ قال مجاهد هو الموز والمنضود الذى نضد من أسفله الى أعلاه فليست له ساق تظهر ﴿ وظل ممدود ﴾ أى منبسط لا يتقلص ولا ينسخه شئ ﴿ وماء مسكوب ﴾ جار فى غير أخاديد ﴿ لا مقطوعة ﴾ أى هى دائمة لا تنقطع فى بعض الأوقات كفاكهة الدنيا ﴿ ولا ممنوعة ﴾ أى لا تمنع من تناولها بوجه ولا يحظر عليها كالتى فى الدنيا ﴿ وفرش ﴾ جمع فراش ﴿ مرفوعة ﴾ نضدت حتى ارتفعت أو رفعت على الاسرة والظاهر أن الفراش هو ما يفترش للجلوس عليه والنوم والضمير فى أنشأناهن عائد على الفرش فى قول أبى عبيدة اذ هن النساء عنده وعلى ما دل عليه الفرش اذا كان المراد بالفرش ظاهر ما يدل عليه من الملابس التى تفترش ويضطجع عليها أى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة والظاهر أن الانشاء هو الاختراع الذى لم يسبق بخلق مثله ويكون ذلك مخصوصا بالحور اللاتى لسن من نسل آدم عليه السلام ﴿ أبكارا ﴾ قيل دائمات البكارة كلما وطئن وجدن أبكارا والعروب قال ابن عباس المتحببة الى زوجها ﴿ أترابا ﴾ فى الشكل والقد والسن ﴿ ثلة من الأولين ﴾ أى من الأمم الماضية ﴿ وثلة من الآخرين ﴾ أى من أمة محمد صلى الله

عليه وسلم ولا تنافي بين قوله وثلة من الآخرين وقوله قبل  وقليل من الآخرين لان قوله وقليل من الآخرين هو في السابقين وقوله وثلة من الآخرين هو في أصحاب اليمين

باضافة اذا اليها احتاج الى تقدير عامل اذ الظاهر انه ليس ثم جواب ملفوظ به يعمل بها * فقال الزمخشري (فان قلت) بم انتصب اذا (قلت) بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل أو بمحذوف يعني اذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر انتهى أما نصبها بليس فلا يذهب نحوي ولا من شدا شيأ من صناعة الاعراب الى مثل هذا لان ليس في النفي كما وما لا تعمل فكذلك ليس وذلك أن ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزمان والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز لان حد الفعل لا ينطبق عليها والعامل في الظرف انما هو ما يقع فيه من الحدث فاذا قلت يوم الجمعة أقوم فالقيام واقع في يوم الجمعة وليس لا حدث لها فكيف يكون لها عمل في الظرف والمثال الذي شبه به وهو يوم القيامة ليس لي شغل لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس وهو الجار والمجرور فهو من تقديم معمول الخبر على ليس وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر الذي لليس عليها وهو مختلف فيه ولم يسمع من لسان العرب قائما ليس زيد وليس انما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط فهي كما ولكنه لما اتصلت بها ضمائر الرفع جعلها ناس فعلا وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية ويظهر من تمثيل الزمخشري اذا بقوله يوم الجمعة أنه سلبها الدلالة على الشرط الذي هو غالب فيها ولو كانت شرطا وكان الجواب الجملة المصدرة بليس لزمت الفاء الا ان حذفت في شعر اذ ورد ذلك فنقول اذا أحسن اليك زيد فلست تترك مكافأته ولا يجوز لست بغير فاء الا ان اضطر الى ذلك وأما تقديره اذا وقعت كان كيت وكيت فيدل على أن اذا عنده شرطية ولذلك قدر لها جوابا عاملا فيها وأما قوله باضمار اذكر فانه سلبها الظرفية وجعلها مفعولا بها منصوبة باذكر وكاذبة ظاهره أنه اسم فاعل من كذب وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشري نفس كاذبة أي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة واللام مثلها في قوله يا ليتني قدمت لحياتي اذ ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكذبي كما لها اليوم نفوس كثيرة يقلن لها لم تكذبي أو هي من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال على معنى انها وقعة لا تطاق بشدة وفظاعة وأن لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل في الضعف انتهى وهو تكثير واسهاب وقدره ابن عطية حال كاذبة قال ويحتمل الكلام على هذا معنيين أحدهما كاذبة أي مكذوب فيما أخبر به عنها فسماها كاذبة لهذا كما تقول هذه قصة كاذبة أي مكذوب فيها والثاني حال كاذبة أي لا يمضي وقوعها كما تقول فلان اذا حمل لم يكذب * وقال قتادة والحسن المعنى ليس لها تكذيب ولا رد ولا مثنوية فكاذبة على هذا مصدر كالعاقبة والعافية وخائنة الاعين والجملة من قوله ليس لوقعتها كاذبة على ما قدره الزمخشري من أن اذا معمولة لليس يكون ابتداء السورة الا ان اعتقد أنها جواب لاذا أو منصوبة باذكر فلا يكون ابتداء كلام * وقال ابن عطية في موضع الحال والذي يظهر لي أنها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه * وقرأ الجمهور خافضة رافعة برفعهما على تقدير هي وزيد بن علي والحسن وعيسى وأبو حيوة وابن أبي عبلة وابن مقسم والزعفراني

( الدر )

﴿ سورة الواقعة ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) فان قلت بم انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل أو بمحذوف بمعنى اذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر انتهى (ح) أما نصبها بليس فلا يذهب نحوي ولا من شدا شيأ من صناعة الاعراب الى مثل هذا لان ليس في النفي كما وما لا تعمل فكذلك ليس وذلك أن ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزمن والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز لان حد الفعل لا ينطبق عليها والعامل في الظرف انما هو ما يقع فيه من الحدث فاذا قلت يوم الجمعة أقوم فالقيام واقع في يوم الجمعة وليس لا حدث لها فكيف يكون لها عمل في الظرف والمثال الذي شبه به وهو يوم الجمعة ليس لي شغل لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس وهو الجار والمجرور فهو من تقديم معمول الخبر على ليس وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر

والزيدي في اختياره بنصبهما * قال ابن خالويه قال الكسائي لولا أن اليزيدي سبقني اليه لقرأت به ونصبهما على الحال * قال ابن عطية بعد الحال التي هي ليس لوقعتها كاذبة ولك أن تتابع الأحوال كالك أن تتابع أخبار المبتدأ والقراءة الأولى أشهر وأبدع معنى وذلك أن موقع الحال من الكلام موقع مالو لم يذكر لاستغنى عنه وموقع الجمل التي يجزم الخبر بها موقع ما يتهمم به انتهى وهذا الذي قاله سبقه اليه أبو الفضل الرازي * قال في كتاب اللوامح وذو الحال الواقعة والعامل وقعت ويجوز أن يكون ليس لوقعتها كاذبة حال أخرى من الواقعة بتقدير اذا وقعت صادقة الواقعة فهذه ثلاثة أحوال من ذي حال وجازت أحوال مختلفة عن واحد كما جازت عنه نعوت متضادة وأخبار كثيرة عن مبتدأ واحد واذا جعلت هذه كلها أحوالا كان العامل في اذا وقعت محذوفا يدل عليه الفحوى بتقدير يحاسبون ونحوه انتهى وتعداد الاحوال والاخبار فيه خلاف وتفصيل ذكر في النحو فليس ذلك مما أجمع عليه النحاة * قال الجمهور القيامة تنفطر له السماء والارض والجبال وتنهد له هذه البنية برفع طائفة من الاجرام وبخفض أخرى فكأنها عبارة عن شدة الهول والاضطراب * وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك الصيحة تخفض قوتها لتسمع الادنى وترفعها لتسمع الاقصى * وقال قتادة وعثمان بن عبد الله بن سراقة القيامة تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وأخذ الزمخشري هذه الاقوال على عادته وكساها بعض ألفاظ رائعة * فقال ترفع أقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما أن الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يحطون الى الدرجات وأما أنها تزلزل الأشياء عن مقارها لتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب انتهى * اذا رجت قال ابن عباس زلزلت وحركت بجذب * وقال أيضا هو وعكرمة ومجاهد بست فتتت * وقيل سيرت * وقرأ زيد بن علي رجت وبست مبنيا للفاعل واذا رجت بدل من اذا وقعت وجواب الشرط عندي ملفوظ به وهو قوله فأصحاب الميمنة والمعنى اذا كان كذا وكذا فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يجازون به أي ان سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم * وقال الزمخشري ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى ولا يجوز ان ينتصب بهما معا بل بأحدهما لانه لا يجوز أن يجتمع مؤثران على أثر واحد * وقال ابن جني وأبو الفضل الرازي اذا رجت في موضع رفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو اذا وقعت وليست واحدة منهما شرطية بل جعلت بمعنى وقت وما بعد اذا أحوال ثلاثة والمعنى وقت وقوع الواقعة صادقة الوقوع خافضة قوم رافعة آخرين وقت رج الارض وهكذا ادعى ابن مالك أن اذا تكون مبتدأ واستدل بهذا وقد ذكرنا في شرح التسهيل ما تبقى به اذا على مدلولها من الشرط وتقدم شرح الهباء في سورة الفرقان * منبثا منتشرا منبتا بنقطتين بدل الثاء المثلثة * قراءة الجمهور أي منقطعا * وكنتم خطاب للعالم أزواجا ثلاثة أصنافا ثلاثة وهذه رتب الناس يوم القيامة * فأصحاب الميمنة قال الحسن والربيع هم الميامين على أنفسهم * وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم * وقيل أصحاب المنزلة السنية كما تقول هو مني باليمين * وقيل المأخوذ بهم ذات اليمين أو ميمنة آدم المذكورة في حديث الاسراء في الاسودة * وأصحاب المشأمة هم من قابل أصحاب الميمنة في هذه الاقوال فأصحاب مبتدأ وما مبتدأ ثان استفهام

(الدر) الذي ليس عليها وهو مختلف فيه ولم يسمع من لسان العرب قائما ليس زيد وليس انما تدل على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط فهي كالكنه لما اتصلت بها ضمائر الرفع جعلها ناس فعلا وهي في الحقيقة حرف نفي كالنافية ويظهر من تمثيل (ش) اذا بقوله يوم الجمعة انه سلبها الدلالة على الشرط الذي هو غالب فيها ولو كانت شرطا وكان الجواب الجملة المصدرة بليس لزمت الفاء الا ان حذفت في شعر ان ورد ذلك فيقول اذا أحسن اليك زيد فلست تترك مكافأته ولا يجوز لست بغير فاء الا ان اضطر الى ذلك وأما تقديره اذا وقعت كان كيت وكيت فيدل على أن اذا عنده شرطية ولذلك قدر لها جوابا عاملا فيها وأما قوله أو باضمار اذكر فانه سلبها الظرفية وجعلها مفعولا بها منصوبا باذكر (ش) ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي بخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى (ح) لا يجوز أن ينتصب بهما معا بل بأحدهما لأنه لا يجوز أن يجتمع مؤثران على أثر واحد

في معنى التعظيم وأصحاب الميمنة خبر عن ما وما بعدها خبر عن أصحاب وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه وأكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم وما تعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى أي شيء هم * والسابقون السابقون جوزوا أن يكون مبتدأ وخبرا نحو قولهم أنت أنت وقوله أنا أبو النجم وشعري شعري أي الذين انتهوا في السبق أي الطاعات وبرعوا فيها وعرفت حالهم وأن يكون السابقون تأكيدا لفظيا والخبر فيما بعد ذلك وأن يكون السابقون مبتدأ والخبر فيما بعده وتقف على قوله والسابقون وأن يكون متعلق السبق الاول مخالفا للسبق الثاني والسابقون الى الايمان السابقون الى الجنة فعلى هذا جوزوا أن يكون السابقون خبرا لقوله والسابقون وأن يكون صفة والخبر فيما بعده والوجه الاول قال ابن عطية ومذهب سيبويه أنه يعني السابقون خبر الابتداء يعني خبر والسابقون وهذا كما تقول الناس الناس وأنت أنت وهذا على تفخيم الامر وتعظيمه انتهى ويرجح هذا القول أنه ذكر أصحاب الميمنة متعجبا منهم في سعادتهم وأصحاب المشأمة متعجبا منهم في شقاوتهم فناسب أن يذكر السابقون مثبتا حالهم معظما وذلك بالاخبار انهم نهاية في العظمة والسعادة والسابقون عموم في السبق الى اعمال الطاعات والى ترك المعاصي * وقال عثمان بن أبي سودة السابقون الى المساجد * وقال ابن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين * وقال كعب هم أهل القرآن وفي الحديث سئل عن السابقين فقال هم الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم * أولئك اشارة الى السابقين المقربين الذين علت منازلهم وقربت درجاتهم في الجنة من العرش * وقرأ الجمهور في جنات جمعا وطلحة في جنات مفردا وقسم السابقين المقربين الى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين * وقال الحسن السابقون من الأمم والسابقون من هذه الامة وقالت عائشة الفرقتان في كل أمة نبي في صدرها ثلة وفي آخرها قليل * وقيل هما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا في صدر الدنيا وفي آخرها أقل وفي الحديث الفرقتان في أمتي فسابق في أول الامة ثلة وسابق سائرها الى يوم القيامة قليل وارتفع ثلة على إضمارهم * وقرأ الجمهور على سرر بضم الراء وزيد ابن علي وأبو السمال بفتحها وهي لغة لبعض بني تميم وكلب يفتحون عين فعل جمع فعيل المضعف نحو سرير وتقدم ذلك في والصافات * موضونة قال ابن عباس مرمولة بالذهب * وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت * متكئين عليها أي على السرر ومتكئين حال من الضمير المستكن في على سرر متقابلين ينظر بعضهم الى بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء بطائنهم من غل إخوانا * يطوف عليهم ولدان مخلدون وصفوا بالخلد وان كان من في الجنة مخلدا ليدل على أنهم يبقون دائما في سن الولدان لا يكبرون ولا يتحولون عن شكل الوصافة * وقال مجاهد لا يموتون * وقال الفراء مقرطون بالخلدات وهي ضروب من الاقراط * وكأس من معين قال من خمر سائلة جارية معينة * لا يصدعون عنها قال الأكثرون لا يلحق رؤسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا وقرأت على أستاذنا العلامة أبي جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى قول علقمة في صفة الخمر

تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها * ولا يخالطها في الرأس تدويم

فقال هذه صفة أهل الجنة * وقيل لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الاسباب كما تفرق أهل خمر الدنيا بأنواع من التفريق كما جاء فتصدع السحاب عن المدينة أي فتفرق * وقرأ مجاهد لا يصدعون بفتح الياء وشد الصاد أصله يتصدعون أدغم التاء في الصاد أي لا يتفرقون كقوله

يومئذ يصدعون * والجمهور بضم الياء وخفة الصاد والجمهور بجر وفاكهة ولحم وزيد بن علي برفعهما أي ولهم والجمهور ولا ينزفون مبنيا للفعول * قال مجاهد وقتادة وجبير والضحاك لا تذهب عقولهم سكرا وابن أبي اسحق بفتح الياء وكسر الزاي نزف البئر استفرغ ماءها فالمعنى لا تفرغ خمرهم وابن أبي اسحق أيضا وعبد الله والسلمي والجحدري والأعمش وطلحة وعيسى بضم الياء وكسر الزاي أي لا يفنى لهم شراب مما يتخيرون يأخذون خيره وأفضله مما يشتهون أي يتمنون * وقرأ الجمهور وحور عين برفعهما وخرج على أن يكون معطوفا على ولدان أو على الضمير المستكن في متكئين أو على مبتدا محذوف هو وخبره تقديره لهم هذا كله وحور عين أو على حذف خبر فقط أي ولهم حور أو فيهما حور * وقرأ السلمي والحسن وعمرو بن عبيد وأبو جعفر وشيبة والاعمش وطلحة والمفضل وأبان وعصمة والكسائي بجرهما والنخعي وحير عين بقلب الواو ياء وجرهما والجر عطف على المجرور أي يطوف عليهم ولدان بكذا وكذا وحور عين * وقيل هو على معنى وينعمون بهذا كله وبحور عين * وقال الزمخشري عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور انتهى وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم أعجمي * وقرأ أبي وعبد الله وحورا عينا بنصبهما قالوا على معنى ويعطون هذا كله وحورا عينا * وقرأ قتادة وحور عين بالرفع مضافا الى عين وابن مقسم بالنصب مضافا الى عين وعكرمة وحوراء عيناء على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما فاحتمل أن يكون مجرورا عطفا على المجرور السابق واحتمل أن يكون منصوبا كقراءة أبي وعبد الله وحورا عينا ووصف اللؤلؤ بالمكنون لانه أصفى وأبعد من التغير وفي الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذي لا تمسه الأيدي * وقال تعالى كأنهن بيض مكنون وقال الشاعر يصف امرأة بالصون وعدم الابتذال فشبهها بالدرة المكنونة في صدفتها فقال

قامت تراأى بين سجفي كلة * كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
أو درة صدفية غواصها * بهج متى يرها يهل ويسجد

جزاء بما كانوا يعملون * روي ان المنازل والقسم في الجنة على قدر الأعمال ونفس دخول الجنة برحمة الله تعالى وفضله لا بعمل عامل وفيه النص الصحيح الصريح لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني بفضل منه ورحمة * لغوا اسقط القول وفحشه ولا تأثيما مايؤثم أحدا والظاهر أن الا قيلا سلاما سلاما استثناء منقطع لانه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم ويبعد قول من قال استثناء متصل * وسلاما قال الزجاج هو مصدر نصبه قيلا أي يقول بعضهم لبعض سلاما سلاما * وقيل نصب بفعل محذوف وهو معمول قيلا أي قيلا اسلموا اسلاما * وقيل سلاما بدل من قيلا * وقيل نعت لقيلا بالمصدر كأنه قيل إلا قيلا سالما من هذه العيوب في سدر في الجنة شجر على خلقة له ثمر كقلال هجر طيب الطعم والريح * مخضود عار من الشوك * وقال مجاهد المخضود الموقر الذي تثني أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا أثناه * وقرأ الجمهور وطلح بالحاء وعلي وجعفر بن محمد وعبد الله بالعين قرأها على المنبر * وقال علي وابن عباس وعطاء ومجاهد الطلح الموز * وقال الحسن ليس بالموز ولكنه شجر ظله بارد رطب * وقيل شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة * وقال السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل * والمنضود الذي نضد من أسفله الى أعلاه فليست له ساق تظهر * وظل ممدود لا يتقلص بل منبسط لا ينسخه شيء

(ش) عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات وفاكهة ولحم وحور انتهى (ح) هذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم أعجمي

* قال مجاهد هذا الظل من سدرها وطلحها * وماء مسكوب قال سفيان وغيره جار فى غير أخاديد * وقيل منساب لايتعب فيه بساقية ولا رشاء * لامقطوعة أى هى دائمة لاتنقطع فى بعض الأوقات كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة أى لايمنع من تناولها بوجه ولا يحظر عليها كالتى فى الدنيا * وقرئ وفاكهة كثيرة برفعهما أى وهناك فاكهة وفرش جمع فراش * وقرأ الجمهور بضم الراء وأبو حيوة بسكونها مرفوعة نضدت حتى ارتفعت أو رفعت على الأسرة والظاهر أن الفراش هو مايفترش للجلوس عليه والنوم * وقال أبو عبيدة وغيره المراد بالفرش النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش ورفعهن فى الأقدار والمنازل والضمير فى أنشأناهن عائد على الفرش فى قول أبى عبيدة إذ هن النساء عنده وعلى مادل عليه الفرش اذا كان المراد بالفرش ظاهر مايدل عليه من الملابس التى تفرش ويضطجع عليها أى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة والظاهر أن الانشاء هو الاختراع الذى لم يسبق بخلق ويكون ذلك مخصوصا بالحور اللاتى لسن من نسل آدم ويحتمل أن يريد انشاء الاعادة فيكون ذلك لبنات آدم * فجعلناهن أبكارا عربا والعرب قال ابن عباس العروب المتحببة الى زوجها وقاله الحسن وعبر ابن عباس أيضا عنهن بالعواشق * ومنه قول لبيد

وفى الخدور عروب غير فاحشة * ريا الروادف يغشى دونها البصر

وقال ابن زيد العروب المحسنة للكلام * وقرأ حمزة وناس منهم شجاع وعباس والأصمعى عن أبى عمرو وناس منهم خارجة وكردم وأبو حليد عن نافع وناس منهم أبو بكر وحماد وابان عن عاصم بسكون الراء وهى لغة تميم وباقى السبعة بضمها أترابا فى الشكل والقد وأبعد من ذهب الى أن الضمير فى أنشأناهن عائد على الحور العين المذكورة قبل لان تلك قصة قد انقطعت وهى قصة السابقين وهذه قصة أصحاب اليمين واللام فى أصحاب متعلقة بأنشأناهن * ثلة من الأولين أى من الأمم الماضية وثلة من الآخرين أى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولاتنافى بين قوله وثلة من الآخرين وقوله قبل وقليل من الآخرين لان قوله من الآخرين هو فى السابقين وقوله وثلة من الآخرين هو فى أصحاب اليمين * ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * فى سموم وحميم * وظل من يحموم * لابارد ولا كريم * انهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أوآباؤنا الأولون * قل ان الأولين والآخرين * لمجموعون الى ميقات يوم معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالؤن منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين * نحن خلقناكم فلولا تصدقون * أفرأيتم ماتمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى مالا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون * أفرأيتم ماتحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون * أفرأيتم النار التى تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن * نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم * فلا أقسم بمواقع النجوم * وانه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * فى كتاب مكنون * لايمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين * أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون *

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ فى هذا الاستفهام تعظيم مصابهم ﴿فى سموم﴾ فى أشد حر ﴿وحميم﴾ ماء شديد السخونة ﴿وظل من يحموم﴾ اليحموم الاسود البهيم ﴿لا بارد ولا كريم﴾ صفتان للظل نفيتا سمى ظلا وان كان ليس كالظلال ونفى عنه برد الظل ونفعه لمن يأوى اليه ﴿ولا كريم﴾ تفيم (٢٠٨) لنفى صفة المدح عنه وتمحيق لما يتوهم فى الظل من الاستروح اليه عنده شدة الحر أو نفيا لكرامة من يستروح اليه ﴿ثم انكم﴾ خطاب لكفار قريش ﴿أيها الضالون﴾ عن الهدى ﴿المكذبون﴾ للبعث ﴿لآكلون﴾ من الأولى لابتداء الغاية أو للتبعيض والثانية ان كان من زقوم بدلا فمن تحتمل الوجهين وان لم يكن بدلا فهى لبيان الجنس أى من شجر الذى هو زقوم ﴿فمالئون﴾ الضمير فى ﴿منها﴾ عائد على شجر اذ هو اسم جنس يؤنث ويذكر ﴿فشاربون عليه﴾ ذكر على لفظ الشجر كما أنث على المعنى فى منها ﴿الهيم﴾ جمع أهيم وهيماء وهيام والهيام داء معطش يصيب الابل تشرب حتى تموت أو تسقم سقما شديدا ﴿يوم الدين﴾ أى يوم الجزاء ﴿نحن خلقناكم﴾ حض على التصديق أشار الى النشأة الأولى وهى خلقهم ثم قال ﴿فلولا تصدقون﴾ بالاعادة وتقرون بها كما أقررتم بالنشأة الأولى ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ هو من المنى الذى يخرج من الانسان اذ ليس له فى خلقه عمل ولا ارادة ولا قدرة ومفعول أرأيتم هو ما يليه والثانى جملة الاستفهام بعده وأم معادلة للهمزة وكان ما جاء من الخبر بعد نحن جىء به على سبيل التوكيد اذ لو قال أم نحن لوقع الاكتفاء به دون ذكر الخبر ونظير ذلك جواب من قال من فى الدار زيد فى الدار أو زيد فيها ولو اقتصر فى الجواب على زيد لاكتفى به ﴿نحن قدرنا﴾ أى قضينا وأثبتنا أو رتبنا فى التقدم والتأخر فليس موت

فلولا اذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا ان كنتم غير مدينين * ترجعونها ان كنتم صادقين * فأما ان كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما ان كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما ان كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ * اليحموم الأسود البهيم * الحنث قال الخطابى هو فى كلام العرب العدل الثقيل شبه الاثم به * الهيم جمع أهيم وهيماء والهيام داء معطش يصيب الابل فتشرب حتى تموت أو تسقم سقما شديدا قال

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها

والهيم جمع هيام وهو الرمل بفتح الهاء وهو المشهور * وقال ثعلب بضمها قال هو الرمل الذى لا يتماسك فبالفتح كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أهيم من قلب ضمته كسرة لتصح الياء أو بالضم يكون قد جمع على فعل كقراد وقرد ثم سكنت ضمة الراء فصار فعلا ثم فعل به ما فعل ببيض * أمنى الرجل النطفة ومناها قذفها من احليله * المزن السحاب * قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

أوريت النار من الزناد قدحتها وورى الزند نفسه والزناد حجرين أو من حجر وحديدة ومن شجر لا سيما فى الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما بالآخر ويسمون الأعلى الزند والأسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة * أقوى الرجل دخل فى الأرض القواء وهى القفر كأصحر دخل فى الصحراء وأقوى من أقام أياما لم يأكل شيأ وأقوت الدار صارت قفراء * قال الشاعر

يا دار مية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الأمد

ادهن لاين وهاود فيما لا يحمل عند المدهن * وقال الشاعر

الحزم والقوة خير من الـ * ـادهان والفهه والهاع

الحلقوم مجرى الطعام * الروح الاستراحة * الريحان تقدم فى سورة الرحمن ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * فى سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * انهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل ان الأولين والآخرين * لمجموعون الى ميقات يوم معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين * نحن خلقناكم فلولا تصدقون * أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما

نحن بمسبوقين * على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فى مالا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون * أفرأيتم ماتحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لونشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذى تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لونشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون * أفرأيتم النار التى تورون * أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾

العالم دفعة واحدة بل بترتيب لا يتعدى ﴿ بمسبوقين ﴾ يقال سبقته على الشئ أعجزته عنه وغلبته عليه ﴿ وننشئكم فيما لا تعلمون ﴾ من الصفات أى نحن قادرون على أن نعدمكم وننشئ أمثالكم وعلى تغيير أوصافكم مما لا يحيط به فكركم ولقد علمتم أنه هو الذى أنشأكم أولا انسانا انسانا وانه خلق آدم عليه السلام من طين ولا ينكرها أحد من ولده ﴿ فلولا تذكرون ﴾ حض على التذكر المؤدى الى الايمان والاقرار بالنشأة الآخرة ﴿ أفرأيتم ماتحرثون ﴾ ماتذرونه وتبذرونه فى الأرض ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ أى زرعا ينم وينبت حتى ينتفع به والحطام اليابس المفتت الذى لم يكن له حب ينتفع به ﴿ فظلتم ﴾ أصله فظللتم حذفت عين الكلمة ﴿ تفكهون ﴾ قال ابن عباس معناه تعجبون ﴿ لمغرمون ﴾ أى معذبون من الغرام الذى هو أشد العذاب ﴿ بل نحن محرومون ﴾ أى محدودون لاحظ لنا فى الخير ﴿ الماء الذى تشربون ﴾ هذا الوصف يغنى عن وصفه بالعذب ألا ترى مقابله وهو الاجاج ودخلت اللام فى لجعلناه حطاما وسقطت فى جعلناه أجاجا وكلاهما فصيح والظاهر أن قوله ﴿ شجرتها ﴾ المراد منه الشجر الذى يقدح منه النار كما قال تعالى الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا الآية ﴿ تذكرة ﴾ أى لنار جهنم ﴿ ومتاعا للمقوين ﴾ أى النازلين الأرض القواوهى القفر وقدم من فوائد النار ماهو أهم وآكد من تذكيرها بنار جهنم ثم أتبعه بفائدتها فى الدنيا وهى الأربعة التى ذكرها الله تعالى ووقفهم عليها من أمر خلقهم ومابه قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من أعظم الدلائل على البعث اذ فيها انتقال من شئ الى شئ واحداث شئ من شئ ولذلك أمر فى آخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون ووصف تعالى نفسه بالعظم اذ من هذه أفعاله تدل على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والانشاء

لما ذكر حال السابقين وأتبعهم بأصحاب الميمنة ذكر حال أصحاب المشئمة فقال وأصحاب الشمال وتقدم اعراب نظير هذه الجملة وفى هذا الاستفهام تعظيم مصابهم ﴿ فى سموم ﴾ فى أشد حر وحميم ماء شديد السخونة وظل من يحموم قال ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وابن زيد والجمهور دخان وقال ابن عباس أيضا هو سرادق النار المحيط بأهلها يرتفع من كل ناحية حتى يظلهم وقال ابن كيسان اليحموم من أسماء جهنم وقال ابن زيد أيضا وابن بريدة هو جبل فى النار أسود يفزع أهل النار الى دراه فيجدونه أشد شئ وأمر لا بارد ولا كريم صفتان للظل نفتا سمى ظلا وان كان ليس كالظلال ونفى عنه برد الظل ونفعه لمن يأوى اليه ولا كريم تتميم لنفى صفة المدح فيه وتحقيق لما يتوهم فى الظل من الاستروح اليه عند شدة الحر أو نفى لكرامة من يستروح اليه ونسب اليه مجازا والمراد هم أى يستظلون اليه وهم مهانون وقد يحمل المجلس الردئ لنيل الكرامة وبدئ أولا بالوصف الأصلى الذى هو الظل وهو كونه من يحموم فهو بعض اليحموم ثم نفى عنه الوصف الذى يبغى له الظل وهو كونه لا باردا ولا كريما وقد يجوز أن يكون لا بارد ولا كريم صفة ليحموم ويلزم منه أن يكون الظل موصوفا بذلك * وقرأ الجمهور لا بارد ولا كريم بجرهما وابن أبى عبلة برفعهما أى لا هو بارد ولا كريم على حد قوله * فأبيت لا حرج ولا محروم * أى لا أنا حرج * انهم كانوا قبل ذلك أى فى الدنيا مترفين فيه ذم الترف والتنعم فى الدنيا والترف طريق الى البطالة وترك التفكر فى العاقبة وكانوا يصرون أى يداومون ويواظبون على الحنث العظيم * قال قتادة والضحاك وابن زيد الشرك وهو الظاهر * وقيل ماتضمنه قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم الآية من التكذيب بالبعث ويبعده وكانوا يقولون فانه معطوف على ماقبله والعطف يقتضى التغاير فالحنث العظيم الشرك فقولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون تقدم الكلام عليه فى والصافات وكرر الزمخشرى هنا وهمه فقال ( فان قلت ) كيف حسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير تأكيد بنحن ( قلت ) حسن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله ما أشركنا ولا آباؤنا الفصل لا المؤكدة للنفى انتهى ورددنا عليه هنا وهناك الى مذهب الجماعة فى انهم لا يقدرون بين همزة الاستفهام وحرف العطف فعلا فى نحو أفلم يسيروا

ولاسيما في نحو أو آباؤنا بل الواو والفاء لعطف مابعدهما على ماقبلهما والهمزة في التقدير متأخرة عن حرف العطف لكنه لما كان الاستفهام له صدر الكلام قدمت ولماذكر تعالى استفهامهم عن البعث على طريق الاستبعاد والانكار أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم ببعث العالم أولهم وآخرهم للحساب وبما يصل اليه المكذبون للبعث من العذاب والميقات ماوقت به الشئ أي حده أي الى ماوقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم حديد * ثم انكم خطاب لكفار قريش أيها الضالون عن الهدى المكذبون للبعث وخطاب أيضا لمن جرى مجراهم في ذلك * لآكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية أو للتبعيض والثانية ان كان من زقوم بدلا فمن تحتمل الوجهين وان لم تكن بدلا فهي لبيان الجنس أي من شجر الذى هو زقوم * وقرأ الجمهور من شجر وعبدالله من شجرة * فالئون منها الضمير في منها عائد على شجر اذ هو اسم جنس يؤنث ويذكر وعلى قراءة عبدالله فهو واضح * فشاربون عليه * قال الزمخشري ذكر على لفظ الشجر كما أنث على المعنى في منها * قال ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضمير ين للشجرة وانما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه يفسرها وهي في معناه * وقال ابن عطية والضمير في عليه عائد على المأكول أو على الاكل انتهى فلم يجعله عائدا على شجر * وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين وهو مصدر * وقيل اسم للمشروب ومجاهد وأبو عثمان النهدي بكسرها وهو بمعنى المشروب اسم لامصدر كالطحن والرعي والأعرج وابن المسيب وشعيب بن الحبحاب ومالك بن دينار وابن جريج وباقي السبعة بفتحها وهو مصدر مقيس * والهيم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك جمع أهيم وهو الجمل الذي أصابه الهيام وقد فسرناه في المفردات * وقيل جمع هيماء * وقيل جمع هائم وهائمة وجمع فاعل على فعل شاذ كبازل وبزل وعائذ وعوذ والهائم أيضا من الهيام الاترى أن الجمل اذا أصابه ذلك هام على وجهه وذهب * وقال ابن عباس وسفيان الهيم الرمال التي لاتروى من الماء وتقدم الخلاف في مفرده أهو الهيام بفتح الهاء أم بالضم والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع مايضطرهم الى أكل الزقوم الذي كالمهل فاذا ملأوا منه البطون سلط عليهم من العطش مايضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم قاله الزمخشري * وقال أيضا (فان قلت) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشئ على نفسه ( قلت ) ليستا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى والفاء تقتضي التعقيب في الشربين وأنهم أولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا أنه يسكن عطشهم فازداد العطش بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لايقع به ري أبدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لاشرب واحد اختلفت صفتاه فعطف والمقصود الصفة والمشروب منه في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه شرب الهيم * وقرأ الجمهور نزلهم بضم الزاي * وقرأ ابن محيصن وخارجة عن نافع ونعيم ومحبوب وأبو زيد وهارون وعصمة وعباس كلهم عن أبي عمرو بالسكون وهو أول مايأكله الضيف وفيه تهكم بالكفار * وقال الشاعر

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

يوم الدين أي يوم الجزاء * نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما أقررتم بالنشأة

( الدر )

( ش ) فان قلت كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان وكان عطفا للشئ على نفسه قلت ليسا بمتفقتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما شرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى

( ح ) الفاء تقتضي التعقيب في الشربين وأنهم أولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا أنه يسكن عطشهم فازداد العطش بحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لايقع بعده ري أبدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان من الحميم لاشرب واحد اختلفت صفتاه فعطف والمقصود الصفة

الأولى وهي خلقهم ثم قال فلولا تصدقون بالاعادة وتقرون بها كما أقررتم فهو حض على التصديق ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله أوفلولا تصدقون به ثم حض على التصديق على وجه تقريعهم بسياق الحجج الموجبة للتصديق وكان كافرا قال ولم أصدق فقيل له أفرأيت كذا انما الانسان مفطور على الاقرار به فقال أفرأيتم ماتمنون وهو المني الذي يخرج من الانسان اذ ليس له في خلقه عمل ولا ارادة ولا قدرة * وقال الزمخشري تخلقونه تقدرونه وتصورونه انتهى فحمل الخلق على التقدير والتصوير لا على الانشاء ويجوز في أأنتم أن يكون مبتدأ وخبره تخلقونه والأولى أن يكون فاعلا بفعل محذوف كأنه قال أتخلقونه فلما حذف الفعل انفصل الضمير وجاء أفرأيتم هنا مصرحا بمفعولها الأول ومجيء جملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ماهو المقرر فيها اذا كانت بمعنى أخبرني وجاء بعد أم جملة فقيل أم منقطعة وليست المعادلة للهمزة وذلك في أربعة مواضع هنا ليكون ذلك على استفهامين فجواب الأول لا وجواب الثاني نعم فتقدر أم على هذا بل أنحن الخالقون فجوابه نعم * وقال قوم من النحاة أم هنا معادلة للهمزة وكان ماجاء من الخبر بعد نحن جيء به على سبيل التوكيد اذ لو قال أم نحن لوقع الاكتفاء به دون ذكر الخبر ونظير ذلك جواب من قال من في الدار زيد في الدار أو زيد فيها ولو اقتصر في الجواب على زيد لاكتفى به * وقرأ الجمهور ماتمنون بضم التاء وابن عباس وأبو السمال بفتحها والجمهور قدرنا بشد الدال وابن كثير يخففها أي قضينا وأثبتنا أو رتبنا في التقدم والتأخر فليس موت العالم دفعة واحدة بل بترتيب لا يتعدى ويقال سبقته على الشيء أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه والمعنى ومانحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم أي نحن قادرون على ذلك لاتغلبوننا عليه ان أردنا ذلك وقال الطبري المعنى نحن قادرون قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم أي بموت طائفة ونبدلها بطائفة هكذا قرنا بعد قرن انتهى فعلى أن نبدل متعلق بقوله نحن قدرنا وعلى القول الأول متعلق بمسبوقين أي لانسبق على أن نبدل أمثالكم وأمثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لاتعلمون من الصفات أي نحن قادرون على أن نعدمكم وننشئ أمثالكم وعلى تغيير أوصافكم مما لايحيط به فكركم * وقال الحسن من كونكم قردة وخنازير قال ذلك لأن الآية تنحو الى الوعيد ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل بمعنى الصفة أي نحن قادرون على أن نغير صفاتكم التي أنتم عليها خلقا وخلقا وننشئكم في صفات لاتعلمونها * ولقد علمتم النشأة الأولى أي علمتم أنه هو الذي أنشأكم أولا أنشأنا انسانا * وقيل نشأة آدم وأنه خلق من طين ولا ينكرها أحد من ولده * فلولا تذكرون حض على التذكير المؤدي الى الايمان والاقرار بالنشأة الآخرة * وقرأ الجمهور تذكرون بشد الذال وطلحة يخففها وضم الكاف قالوا وهذه الآية دالة على استعمال القياس والحض عليه انتهى ولا تدل الا على قياس الأولى لا على جميع أنواع القياس * أفرأيتم ماتحرثون ماتذرونه في الأرض وتبذرونه أأنتم تزرعونه أي زرعا تم وينبت حتى ينتفع به والحطام اليابس المتفتت الذي لم يكن له حب ينتفع به * فظلتم تفكهون * قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تعجبون * وقال عكرمة تلاومون * وقال الحسن تندمون * وقال ابن زيد تتفجعون وهذا كله تفسير باللازم ومعنى تفكهون تطرحون الفكاهة عن أنفسكم وهي المسرة ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث بشيء وتفكه من أخوات تخرج وتحوب * وقرأ الجمهور فظلتم بفتح الظاء ولام واحدة وأبو حيوة وأبو بكر في رواية العيكي عنه بكسرها كما قالوا مست بفتح الميم وكسرها وحكاها الثوري عن ابن مسعود

﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ قرأ الجمهور فلا أقسم فقيل لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فأقسم وقيل المنفي محذوف أي فلا صحة لما يقول الكفار ثم ابتدأ أقسم بمواقع النجوم قال ابن عباس هي نجوم القرآن التي أنزلت على الرسول عليه السلام ويؤيد هذا القول قوله انه لقرآن فعاد الضمير على ما يفهم من قوله بمواقع النجوم أي نجوم القرآن وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سر في تعظيم ذلك لانه نحن وقد أعظمه تعالى فقال ﴿وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ والجملة المقسم عليها قوله ﴿إنه لقرآن كريم﴾ وفصل بين القسم وجوابه والظاهر أنه اعتراض بينهما وفيه اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله لو تعلمون وكريم وصف مدح ينفي عنه ما لا يليق والظاهر أن قوله ﴿لا يمسه الا المطهرون﴾ صفة لقرآن كريم فالمطهرون هم الملائكة وقيل لا يمسه صفة لكتاب مكنون فان كان الكتاب الذي هو في السماء فالمطهرون هم الملائكة أيضا أي لا يطلع عليه من سواهم والاشارة في ﴿أفبهذا الحديث﴾ للقرآن ﴿وأنتم﴾ خطاب للكفار ﴿مدهنون﴾ قال ابن عباس مهاودون فيما لا يحل ﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي شكر ما رزقكم الله تعالى من انزال القرآن عليكم تكذيبكم به أي تضعون مكان الشكر التكذيب ﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم﴾ ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس ﴿فأما ان كان﴾ أي المتوفى ﴿من المقربين﴾ وهم السابقون ﴿فروح﴾ وهو الراحة والرحمة والريحان الرزق

وجاءت عن الأعمش * وقرأ عبد الله والجحدري فظلتم على الأصل بكسر اللام * وقرأ الجحدري أيضا بفتحها والمشهور ظلت بالكسر * وقرأ الجمهور تفكهون وأبو حرام بالنون بدل الهاء * قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن تندم * انا لمغرمون قبله محذوف أي يقولون * وقرأ الجمهور انا والاعمش والجحدري وأبو بكر أئنا بهمزتين لمغرمون أي معذبون من الغرام وهو أشد العذاب قال

ان يعذب يكن غراما وان * يعط جزيلا فانه لا يبالي

أو لمحملون الغرم في النفقة اذ ذهب عنا غرم الرجل وأغرمته * بل نحن محرومون محدودون لا حظ لنا في الخير الماء الذي تشربون هذا الوصف يغني عن وصفه بالعذاب ألا ترى مقابله وهو الاجاج ودخلت اللام في لجعلناه حطاما وسقطت في قوله جعلناه أجاجا وكلاهما فصيح وطول الزمخشري في مسوغ ذلك وملخصه ان الحرف اذا كان في مكان وعرف واشتهر في ذلك المكان جاز حذفه لشهرة أمره فان اللام علم لارتباط الجملة الثانية بالاولى فجاز حذفه استغناء بمعرفة السامع وذكر في كلامه أن الثاني امتنع لامتناع الاول وليس كما ذكر انما هذا قول ضعفاء المعربين والذي ذكره سيبويه انها حرف لما كان سيقع لوقوع الاول ويفسد قول أولئك الضعفاء قولهم لو كان انسانا لكان حيوانا فالحيوانية لا تمتنع لامتناع الانسانية ثم قال ويجوز أن يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة وأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب والظاهر ان شجرتها المراد منه الشجر الذي يقدح منه النار * وقيل المراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك وهذا قول متكلف نحن جعلناها تذكرة أي لنار جهنم ومتاعا للمقوين أي النازلين الارض القواء وهي القفر * وقيل للمسافرين وهو قريب مما قبله وقول ابن زيد الجائعين ضعيف جدا وقدم من فوائد النار ما هو أهم وآكد من تذكيرها بنار جهنم ثم أتبعه بفائدتها في الدنيا وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى وقفهم عليها من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من أعظم الدلائل على البعث وفيها انتقال من شيء الى شيء واحداث شيء من شيء ولذلك أمر في آخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون ووصف تعالى نفسه بالعظيم إذ من هذه أفعاله تدل على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والانشاء * قوله عز وجل ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم * وانه لقسم لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين * أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون * فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما

﴿ فسلام لك ﴾ ياصاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك ﴿فنزل﴾ النزل مايعد للضيف والفاء فى المواضع الثلاثة جواب لاما وأغنى عن جواب الشرط الذى هوان واذا اجتمع شرطان فالجواب للاول ويغنى عن جواب الثانى ولما انقضى الاخبار بتقسيم أحوالهم وما آل اليه كل قسم منهم أكد ذلك بقوله ﴿ ان هـذا ﴾ أى ان هذا الخبر المذكور فى هذه السورة ﴿ لهو حق اليقين ﴾ فقيـل هو من اضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول هـذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى أنه نهاية فى ذلك فهما بمعنى واحـد أضيف على سبيل المبالغة ولما تقـدم ذكر الاقسام الثلاثة مسببا الـكلام فيهم أمره تعالى بتنزيهه عمالايليق به من الصفات ولما أعاد التقسيم موجزا الـكلام فيه أمره أيضا بتنزيهه وتسبيحه والاقبال على عبادة ربه والاعراض عن أقـوال الـكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء ويظهر أن سبح يتعـدى بنفسه تارة كقوله سـبح اسم ربك الأعلى وتسبحوه وتارة بحرف الجر كقوله فسـبح باسم ربك العظيم يجوز أن يكون صفة لاسم ويجوز أن يكون صفة لربك

إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما ان كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصـلية جحيم * إن هـذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قرأ الجمهور فلا أقسم فقيل لا زائدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الـكتاب والمعنى فأقسم * وقيل المنفى المحذوف أى فلا صحة لما يقول الـكفار ثم ابتدأ أقسم قاله سعيد بن جبـير وبعض النحاة ولا يجوز لان فى ذلك حذف اسم لا وخبرها وليس جوابا لسائل سأل فيحتمل ذلك نحو قوله لا لمن قال هل من رجل فى الدار * وقيل توكيد مبالغة ما وهى كاستفتاح كلام شبه فى القسم الا فى شائع الـكلام القسم وغيره ومنه * فلا وأبى أعـدائها لا أخونها * والاولى عندى انها لام أشبعت فتحتها فتولدت منها ألف كقوله * أعوذ بالله من العقراب * وهـذا وان كان قليلا فقد جاء نظيره فى قوله فاجعـل أفئيدة من الناس بياء بعـد الهمزة وذلك فى قراءة هشام فالمعنى فلأقسم كقراءة الحسن وعيسى وخرج قراءة الحسن أبو الفتح على تقـدير مبتدأ محذوف أى فلأنا أقسم وتبعه على ذلك الزمخشرى وانما ذهبا الى ذلك لانه فعل حال وفى القسم عليه خلاف فالذى اختاره ابن عصفور وغيره ان فعل الحال لا يجوز ان يقسم عليه فاحتاجوا الى ان يصوروا المضارع خبر المبتدأ محذوف فتصير الجملة اسمية فيقسم عليها وذهب بعض النحويين الى ان جواز القسم على فعـل الحال وهذا الذى اختاره فتقول والله ليخرج زيد وعليـه قول الشاعر * ليعلم ربى ان بيتى واسع * وقال الزمخشرى فى قراءة الحسن ولا يصح أن تـكون اللام لام قسم لأمرين أحدهما أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى أن لأفعلن فى جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال انتهى أما الأمر الاول ففيـه خـلاف فالذى قاله قول البصريين واما الـكوفيون فيختارون ذلك ولـكن يجيزون تعاقبهما فيجيزون لأضربن زيدا واضرب عمرا واما الثانى فصحيح لـكنه هو الذى رجح عندنا ان تـكون اللام فى لأقسم لام القسم واقسم فعـل حال والقسم قد يـكون جوابا للقسم كما قال تعالى وليحلفن ان أردنا الا الحسنى فاللام فى وليحلفن جواب قسم وهو قسم لـكنه لما لم يكن حلفهم حالا بل مسـتقبلا لزمت النون وهى مخلصة المضارع للاستقبال * وقرأ الجمهور بمواقع جمعا وعمر وعبدالله وابن عباس وأهل المدينة وحمزة والـكسائى

( الدر )

(ش) قرأ الحسن فلأقسم وهو عـلى تقـدير مبتدأ محـذوف أى فلأنا أقسم انتهى (ح) تبع فى هـذا التخريج أبا الفتح ابن جنى وانما ذهبا الى ذلك لانه فعل حال وفى القسم على خـلاف والذى اختاره ابن عصفور وغـيره ان فعل الحال لا يجوز أن يقسم عليـه فاحتاجوا الى أن يصوروا المضارع خبرا لمبتدأ محذوف فتصير الجملة اسمية فيقسم عليها وذهب بعض النحويين الى جواز القسم على فعل الحال وهذا الذى أختاره فتقول والله ليخرج زيد وعليه قوله * ليعلم ربى أن بيتى واسع * (ش) ولا يصح أن تـكون اللام لام قسم يعنى فى قراءة الحسن لأمرين أحـدهما أن حقها يقرن بها النون المؤكدة والاخـلال بها ضعيف قبيح والثانى ان لأفعلن فى جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال انتهى (ح) أما الأمر الاول ففيه خلاف فالذى قاله قول البصريين وأما الـكوفيون فيختارون ذلك ولـكن يجيزون تعاقبهما فيجيزون لأضربن زيدا وأضرب عمرا وأما الثانى فصحيح لـكنه هو الذى رجح عندنا أن تـكون اللام فى لأقسم وأقسم فعل حال والقسم قد يكون جوابا للقسم كما قال تعالى وليحلفن ان أردنا الا الحسنى فاللام فى وليحلفن جواب قسم وهو قسم لـكنه لما لم يكن حلفهم حالا بل مستقبلا لزمت النون وهى مخلصة المضارع للاستقبال

بموقع مفرد امراد به الجمع * قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم هى نجوم القرآن التى أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد هذا القول قوله انه لقرآن فعاد الضمير على ما يفهم من قوله بمواقع النجوم أى نجوم القرآن * وقيل النجوم الكواكب ومواقعها * قال مجاهد وأبو عبيدة عند طلوعها وغروبها * وقال قتادة مواقعها مواضعها من السماء * وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيامة * وقيل عند الانقضاض أثر العفارى ومن تأول النجوم على انها الكواكب جعل الضمير فى انه يفسره سياق الكلام كقوله حتى توارت بالحجاب وفى إقسامه تعالى بمواقع النجوم سر فى تعظيم ذلك لا نعلمه نحن وقد أعظم ذلك تعالى فقال وانه لقسم لو تعلمون عظيم والجملة المقسم عليها قوله انه لقرآن كريم وفصل بين القسم وجوابه فالظاهر انه اعتراض بينهما وفيه اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله لو تعلمون * وقال ابن عطية وانه لقسم تأكيد للامر وتنبيه من المقسم به وليس هذا باعتراض بين الكلامين بل هذا معنى قصد التهمم به وانما الاعتراض قوله لو تعلمون انتهى وكريم وصف مدح ينفى عنه ما لا يليق به * وقال الزمخشرى كريم حسن مرضى فى جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله تعالى فى كتاب مكنون أى مصون * قال ابن عباس ومجاهد الكتاب الذى فى السماء * وقال عكرمة التوراة والانجيل كأنه قال ذكر فى كتاب مكنون كرمه وشرفه فالمعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة * وقيل فى كتاب مكنون أى فى مصاحف للمسلمين مصونة من التبديل والتغيير ولم تكن اذ ذاك مصاحف فهو اخبار بغيب والظاهر أن قوله لا يمسه الا المطهرون وصف لقرآن كريم فالمطهرون هم الملائكة * وقيل لا يمسه صفة لكتاب مكنون فان كان الكتاب هو الذى فى السماء فالمطهرون هم الملائكة أيضا أى لا يطلع عليه من سواهم وكذا على قول عكرمة هم الملائكة وان أريد بكتاب مكنون الصحف فالمعنى انه لا ينبغى أن يمسه الا من هو على طهارة من الناس واذا كان المطهرون هم الملائكة فلا يمسه نفى ويؤيد النفى ما يمسه على قراءة عبد الله واذا عنى بهم المطهرون من الكفر والجنابة فاحتمل أن يكون نفيا محضا ويكون حكمه انه لا يمسه الا المطهرون وان كان يمسه غير المطهر كما جاء لا يعضد شجرها أى الحكم هذا وان كان قد يقع العضد واحتمل أن يكون نفيا أريد به النهى فالضمة فى السين اعراب واحتمل ان يكون نهيا فلو فك ظهر الجزم ولكنه لما أدغم كان مجزوما فى التقدير والضمة فيه لأجل ضمة الهاء كما جاء فى الحديث انا لم نرده عليك إلا انا حرم وهو مجزوم ولم يحفظ سيبويه فى نحو هذا من المجزوم المدغم المتصل بالهاء ضمير المذكر إلا الضم * قال ابن عطية والقول بان لا يمسه نهى قول فيه ضعف وذلك انه اذا كان خبرا فهو فى موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا جاء معناه أجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن فى وصف الكلام فتدبره وفى حرف ابن مسعود ما يمسه وهذا يقوى ما رجحته من الخبر الذى معناه حقه وقدره أن لا يمسه إلا طاهر انتهى ولا يتعين أن يكون تنزيل صفة بل يجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف فيحسن إذ ذاك أن يكون لا يمسه نهيا وذكروا هنا حكم مس المصحف وذلك مذكور فى الفقه وليس فى الآية دليل على منع ذلك * وقرأ الجمهور المطهرون اسم مفعول من طهر مشددا وعيسى كذلك مخففا من أطهر ورويت عن نافع وأبى عمرو * وقرأ سلمان الفارسى المطهرون بخف الطاء وشد الهاء وكسرها اسم فاعل من طهر أى المطهرين أنفسهم وعنه أيضا المطهرون بشدهما أصله المتطهرون فأدغم التاء فى الطاء ورويت عن الحسن وعبد الله بن عوف

( الدر )

( ع ) والقول بأن لا يمسه نهى قول فيه ضعف وذلك انه اذا كان خبرا فهو فى موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا جاء معناه أجنبيا معترضا بين الصفات وذلك لا يحسن فى وصف الكلام فتدبره وفى حرف ابن مسعود ما يمسه وهذا يقوى ما رجحه من الخبر الذى معناه حقه وقدره أن لا يمسه الا طاهر انتهى (ح) لا يتعين أن يكون تنزيل صفة بل يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف فيحسن اذ ذاك أن يكون لا يمسه نهيا

* وقرئ المتطهرون * وقرئ تنزيلا بالنصب أي نزل تنزيلا والاشارة في أفبهذا الحديث للقرآن وأنتم خطاب للكفار مدهنون * قال ابن عباس مهاودون فيما لا يحل * وقال أيضا مكذبون وتجعلون رزقكم أي شكر ما رزقكم الله من انزال القرآن عليكم تكذيبكم به أي تضعون مكان الشكر التكذيب ومن هذا المعنى قول الراجز

مكان شكر القوم عند المنن * كي الصحيحات وفقء الأعين

* وقرأ علي وابن عباس وتجعلون شكركم وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد * وحكى الهيثم بن عدي أن من لغة أزدشنوءة ما رزق فلان فلانا بمعنى ما شكره * قيل نزلت في الانواء ونسبة السقيا اليها والرزق المطر فالمعنى ما يرزقكم الله من الغيث * وقال ابن عطية أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر هذا بنوء كذا وكذا وهذا بنوء الأسد وهذا بنوء الجوزاء وغير ذلك * وقرأ الجمهور تكذبون من التكذيب وعلي والمفضل عن عاصم من الكذب فالمعنى من التكذيب انه ليس من عند الله أي القرآن أو المطر حيث ينسبون ذلك الى النجوم ومن الكذب قولهم في القرآن سحر وافتراء وفي المطر من الانواء * فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون * قال الزمخشري ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين فلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس * وقال ابن عطية توقيف على موضع عجز يقتضي النظر فيه ان الله مالك كل شئ وأنتم اشارة الى جميع البشر حينئذ حين اذ بلغت الحلقوم تنظرون أي الى النازع في الموت * وقرأ عيسى حينئذ بكسر النون اتباعا لحركة الهمزة في إذ ونحن أقرب اليه منكم بالعلم والقدرة ولكن لا تبصرون من البصيرة بالقلب أو أقرب أي ملائكتنا ورسلنا ولكن لا تبصرون من البصر بالعين ثم عاد التوقيف والتقدير ثانية بلفظ التحضيض والمدين المملوك * قال الأخطل * ربت وربا في حجرها ابن مدينة * قيل ابن مملوكة يصف عبدا ابن أمة وآخر البيت * تراه على مسحاته يتوكل * والمعنى فلولا ترجعون النفس البالغة الى الحلقوم ان كنتم غير مملوكين وغير مقهورين ان كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد إذ كانوا فيما ذهبوا اليه من ان القرآن سحر وافتراء وان ما نزل من المطر هو بنوء كذا تعطيل للصانع وتعجيزله * وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد جوابها والبيانات التي تقتضيها التحضيضات واذا من قوله فلولا اذا وان المتكررة وحمل بعض القول بعضا ايجازا واقتصارا انتهى وتقول اذا ليست شرطية فتسد ترجعونها مسد جوابها بل هي ظرف غير شرط معمول لترجعونها المحذوف بعد فلولا لدلالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه فجاء التحضيض الأول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم وجاء التحضيض الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجوعها إذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة لهم فأما ان كان أي المتوفى من المقربين وهم السابقون * وقرأ الجمهور فروح بفتح الراء وعائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وابن عباس والحسن وقتادة ونوح القارئ والضحاك والأشهب وشعيب بن الحبحاب وسليمان التيمي والربيع ابن خيثم ومحمد بن علي وأبو عمران الجوني والكلبي وفياض وعبيد وعبد الوارث عن أبي عمرو ويعقوب بن حيان وزيد ورويس عنه بضمها * قال الحسن الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم * وقال أيضا روحه تخرج في ريحان * وقيل الروح البقاء أي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق * وقال مجاهد الريحان الرزق * وقال الضحاك الاستراحة * وقال أبو العالية وقتادة والحسن

( الدر )

(ع) وقوله ترجعونها سد مسد الأجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضان واذا من قوله فلولا اذا وان المتكررة وحمل بعض القول بعضا ايجازا واقتضاء انتهى (ح) اذا ليست شرطية فيسد ترجعونها مسد جوابها بل هي ظرف غير شرط معمول لترجعونها المحذوف بعد فلولا لدلالة ترجعونها في التحضيض الثاني عليه فجاء التحضيض الاول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم وجاء التحضيض الثاني معلقا على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجعها اذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة لهم

أيضا الريحان هذا الشجر المعروف فى الدنيا يلقى المقرب ريحانا من الجنة * وقال الخليل هو طرف كل بقلة طيبة فيها أوائل النور * وقال صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما هما ريحانتاى من الدنيا * وقال ابن عطية الريحان مما تنبسط به النفوس فروح فسلام فنزل الفاء جواب أما تقدم أما وهى فى تقدير الشرط وان كان من المقربين وان كان من أصحاب اليمين وان كان من المكذبين الضالين شرط واذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق منهما وجواب الثانى محذوف ولذلك كان فعل الشرط ماضى اللفظ أو مصحوبا بلم وأغنى عنه جواب أما هذا مذهب سيبويه وذهب أبو على الفارسى الى أن الفاء جواب ان وجواب أما محذوف وله قول موافق لمذهب سيبويه وذهب الأخفش الى أن الفاء جواب لأما والشرط معا وقد أبطلنا هذين المذهبين فى كتابنا المسمى بالتذييل والتكميل فى شرح التسهيل والخطاب فى ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم أى لا ترى فيهم يا محمد إلا السلامة من العذاب ثم لكل معتبر من أمته صلى الله عليه وسلم قيل لمن يخاطبه من أصحاب اليمين * فقال الطبرى المعنى فسلام لك أنت من أصحاب اليمين * وقال قوم المعنى فيقال لهم مسلم لك انك من أصحاب اليمين * وقيل فسلام لك يا صاحب اليمين من أخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله إلا قيلا سلاما سلاما والمكذبون الضالون هم أصحاب المشأمة أصحاب الشمال * وقرأ الجمهور وتصلية رفعا عطفا على فنزل وأحمد بن موسى والمنقرى واللؤلؤى عن أبى عمرو بجر التاء عطفا على من حميم ولما انقضى الاخبار بتقسيم أحوالهم وما آل اليه كل قسم منهم أكد ذلك بقوله إن هذا أى ان هذا الخبر المذكور فى هذه السورة هو حق اليقين * فقيل هو من اضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انه نهاية فى ذلك فهما بمعنى واحد أضيف على سبيل المبالغة * وقيل هو من اضافة الموصوف الى صفته جعل الحق مباينا لليقين أى الثابت المتيقن ولما تقدم ذكر الأقسام الثلاثة مسهبا الكلام فيهم أمره تعالى بتنزيهه عن مالا يليق به من الصفات ولما أعاد التقسيم موجزا الكلام فيه أمره أيضا بتنزيهه وتسبيحه والاقبال على عبادة ربه والاعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء ويظهر ان سبح يتعدى تارة بنفسه كقوله سبح اسم ربك الأعلى ويسبحوه وتارة بحرف الجر كقوله فسبح باسم ربك العظيم والعظيم يجوز أن يكون صفة لاسم ويجوز أن يكون صفة لربك

﴿ سورة الحديد مدنية وهى تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والأرض والى الله ترجع الأمور * يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور ﴾ قال النقاش وغيره هذه السورة مدنية باجماع من المفسرين * وقال غيره كالزمخشرى هى مكية * وقال ابن عطية لا خلاف ان فيها قرآنا مدنيا لكن يشبه صدرها أن

﴿ سورة الحديد ﴾
( بسم الله الرحمن الرحيم )
﴿ سبح لله ما فى السموات والأرض ﴾ الآية هذه السورة مدنية باجماع المفسرين قاله النقاش وقال غيره كالزمخشرى هى مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها واضحة لأنه تعالى أمر بالتسبيح ثم أخبر أن التسبيح المأمور به قد فعله والتزمه كل من فى السموات والارض وأتى سبح بلفظ الماضى ويسبح بلفظ المضارع وكله يدل على الديمومة والاستمرار

( الدر )

﴿ سورة الحديد ﴾
( بسم الله الرحمن الرحيم )
(ش) هى مكية (ح) قال النقاش وغيره هى مدنية باجماع وقال (ع) لا خلاف ان فيها قرآنا مدنيا لكن يشبه صدرها أن يكون مكيا

يكون مكيا * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة لانه تعالى أمر بالتسبيح ثم أخبر أن التسبيح المأمور به قد فعله والتزمه كل من فى السموات والأرض وأتى سبح بلفظ الماضى ويسبح بلفظ المضارع وكله يدل على الديمومة والاستمرار وان ذلك دبدن من فى السموات والأرض والتسبيح هنا عند الأكثرين بمعنى التنزيه المعروف فى قولهم سبحان الله * فقيل هو حقيقة فى الجميع * وقيل فيمن يمكن التسبيح منهم * وقيل مجاز بمعنى ان أثر الصنعة فيها ينبه الرائى على التسبيح * وقيل التسبيح هنا الصلاة فى الجماد بعيد وفى الكافر سجود ظله صلاته وفى المؤمن ذلك سائغ واللام فى لله إما أن تكون بمنزلة اللام فى نصحت لزيد يقال سبح الله كما يقال نصحت زيدا فجىء باللام لتقوية وصول الفعل الى المفعول وإما أن تكون لام التعليل أى أحدث التسبيح لأجل الله أى لوجهه خالصا * يحيي ويميت جملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب لقوله له ملك السموات والأرض لما أخبر بانه له الملك أخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين اللذين بهما تمام التصرف فى الملك وهو ايجاد ما شاء واعدام ما شاء ولذلك أعقب بالقدرة التى بها الاحياء والامانة وجوز أن يكون خبر مبتدا أى هو يحيي ويميت وأن يكون حالا وذو الحال الضمير فى له والعامل فيها العامل فى الجار والمجرور * هو الأول الذى ليس لوجوده بداية مفتتحة والآخر أى الدائم الذى ليس له نهاية منقضية * وقيل الأول الذى كان قبل كل شئ والآخر الذى يبقى بعد هلاك كل شئ والظاهر بالأدلة ونظر العقول فى صفته والباطن لكونه غير مدرك بالحواس * وقال أبو بكر الوراق الأول بالأزلية والآخر بالأبدية * وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه * وقال الزمخشرى (فان قلت) فما معنى الواو (قلت) الواو الأولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية والثانية على انه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الأوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالأدلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * يعلم ما يلج فى الأرض من المطر والأموات وغير ذلك وما يخرج منها من النبات والمعادن وغيرها وما ينزل من السماء من الملائكة والرحمة والعذاب وغيره وما يعرج فيها من الملائكة وصالح الأعمال وسيئها وهو معكم أين ما كنتم أى بالعلم والقدرة * قال الثورى المعنى علمه معكم وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها وانها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات وهى حجة على من منع التأويل فى غيرها مما يجرى مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها * وقال بعض العلماء فيمن يمتنع من تأويل ما لا يمكن حمله على ظاهره وقد تأول هذه الآية وتأول الحجر الأسود يمين الله فى الارض لو اتسع عقله لتأول غير هذا مما هو فى معناه * وقرأ الجمهور ترجع مبنيا للمفعول والحسن وابن أبى اسحق والأعرج مبنيا للفاعل والأمور عام فى جميع الموجودات أعراضها وجواهرها وتقدم شرح ما قبل هذا وما بعده فأغنى عن اعادته ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين * هو الذى ينزل على

﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ لما ذكر تعالى تسبيح العالم له وما احتوى عليه من الملك والتصرف وما وصف به نفسه من الصفات العلا وختمها بالعلم بخفيات الصدور أمر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الايمان وادامته والنفقة فى سبيل الله تعالى قال الضحاك نزلت فى غزوة العمرة غزوة تبوك ﴿مستخلفين فيه﴾ أى ليست لكم بالحقيقة وانما انتقلت اليكم من غيركم وكما وصلت اليكم تتركونها لغيركم وفيه تزهيد فيما بيد الانسان اذ مصيره الى غيره وليس له منه الا ما فى الحديث يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وفى لفظ فأمضيت ﴿ومالكم﴾ استفهام على سبيل التأنيب والانكار وهو مبتدأ ولكم الخبر ﴿لا تؤمنون﴾ جملة حالية والواو فى والرسول واو الحال وفى وقد أخذوا واو الحال وقرئ أخذ مبنيا للفاعل والمفعول والمعنى أن من اتصف بهذه الاحوال يجب أن يؤمن ويديم الايمان والميثاق الذى أخذ قيل انه أخذه الله تعالى حين استخرج من ظهر آدم عليه السلام ذريته وأشهدهم على أنفسهم وجواب ان كنتم محذوف أى فدوموا على الايمان

﴿ ومالكم ألا تنفقوا ﴾ استفهام ثان على معنى الانكار وأن لا تنفقوا مصدر على اسقاط حرف الجر تقديره فى عدم الانفاق والواو فى ولله واو الحال ومقابل قوله لا يستوى منكم من أنفق محذوف يدل عليه مابعده تقديره ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل ثم أثنى على من فعل ذلك قبل الفتح ثم قال ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ أى كلا من المنفقين وهو منصوب على أنه مفعول أول بقوله وعد والحسنى مفعول ثان وهى قراءة الجمهور بالنصب وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الجملة بعده حذف منه المفعول وهو الضمير العائد على كل تقديره وعده الله تعالى ونظير ذلك قول الشاعر

وخالد تحمد ساداتنا بالحق لا تحمد بالباطل *

تقديره تحمده سادتنا فحذف الضمير العائد على المبتدأ والظاهر أن قوله وله أجر كريم هو زيادة على التضعيف المترتب على القرض أى وله مع التضعيف أجر كريم

عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وإن الله بكم لرؤف رحيم * ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير * من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ لما ذكر تعالى تسبيح العالم له وما احتوى عليه من الملك والتصرف وما وصف به نفسه من الصفات العلا وختمها بالعلم بخفيات الصدور أمر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الايمان وادامته والنفقة فى سبيل الله تعالى * قال الضحاك نزلت فى غزوة تبوك * مستخلفين فيه أى ليست لكم بالحقيقة وانما انتقلت اليكم من غيركم وكما وصلت اليكم تتركونها لغيركم وفيه تزهيد فيما بيد الناس إذ مصيره الى غيره وليس له منه إلا ما جاء فى الحديث يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت * وقيل لاعرابى لمن هذه الابل فقال هى لله تعالى عندى أو يكون المعنى انه تعالى أنشأ هذه الأموال شتمكم بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء فأنفقوا منها فى حقوق الله تعالى ثم ذكر تعالى ماللمؤمن المنفق من الأجر ووصفه بالكريم إبصرعه فى أنواع الثواب * قيل وفيه اشارة الى عثمان بن عفان حيث بذل تلك النفقة العظيمة فى جيش العسرة ثم قال وما لكم لا تؤمنون بالله وهو استفهام على سبيل التأنيب والانكار أى كيف لا تثبتون على الايمان ودواعى ذلك موجودة وذلك ركزه فيكم من دلائل العقل وموجب ذلك من السمع فى قوله والرسول يدعوكم لهذا الوصف الجليل وقد تقدم أخذ الميثاق عليكم بالايمان فدواعى الايمان موجودة وأسبابه حاصلة فلا مانع منه ولا عذر فى تركه ولا تؤمنون حال كما تقول مالك لا تقوم تنكر عليه انتفاء قيامه والرسول الواو واو الحال فالجملة بعده حال وقد أخذ حال ثالثة وهذا الميثاق قيل هو الذى أخذ عليهم حين الاخراج من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام * وقيل ما نصب من الأدلة وركز فى العقول من النظر فيها ان كنتم مؤمنين شرط وجوابه محذوف أى ان كنتم مؤمنين لموجب ما فهذا هو الموجب لايمانكم أو ان كنتم ممن يؤمن فما لكم لا تؤمنون والحالة هذه وهى دعاء الرسول وأخذ الميثاق * وقال الطبرى ان كنتم مؤمنين فى حال من الأحوال فالآن * وقرأ الجمهور وقد أخذ مبنيا للفاعل ميثاقكم بالنصب وأبو عمرو مبنيا للمفعول ميثاقكم رفعا * وقال ابن عطية فى قوله ان كنتم مؤمنين وانما المعنى أن قوله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين يقتضى أن يقدر بأثره فأنتم فى رتب شريفة وأقدار رفيعة إن كنتم مؤمنين أى ان دمتم على ما بدأتم به ولما ذكر توطئة ما يوجب الايمان دعاء الرسول اياهم للايمان ذكر أنه تعالى هو المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم ما دعا به الى الايمان وذلك الآيات لبينات المعجزات ليخرجكم من ظلمات الكفر الى نور الايمان أى الله تعالى اذ هو المخبر عنه أو الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب * وقرئ فى السبعة ينزل مضارعا فبعض ثقل وبعض خفف وقراءة الحسن بالوجهين وزيد بن على والأعمش أنزل ماضيا ووصف نفسه تعالى بالرأفة والرحمة تأنيسا لهم ولما كان قد أمرهم بالايمان والانفاق ثم ترك تأنيبهم على ترك الايمان مع حصول موجبه أنبهم على ترك الانفاق فى سبيل الله مع قيام الداعى لذلك وهو أنهم يموتون فيخلفونه ونبه على هذا الموجب بقوله ولله ميراث السموات والأرض وهذا من أبلغ البعث على الانفاق وأن لا تنفقوا تقديره فى أن لا تنفقوا فهو في موضع جر أو نصب على الخلاف وأن ليست زائدة بل مصدرية * وقال

الأخفش في قوله وما لنا أن لا نقاتل انها زائدة عاملة تقديره عنده وما لنا لا نقاتل فلذلك على مذهبه في تلك هنا تكون أن وتقديره وما لكم لا تنفقون وقدره مذهبه في كتب النحو * لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل * قيل نزلت في أبي بكر رضي الله تعالى عنه اذ كان أول من أسلم وهاجر وأنفق رضي الله تعالى عنه وكذا من تابعه في السبق في ذلك ولذلك قال أولئك أعظم درجة * وقيل نزلت بسبب أن ناسا من الصحابة أنفقوا انفقات جليلة حتى قيل ان هؤلاء أعظم أجرا من كل من أنفق وهذه الجملة تضمنت تباين ما بين المنفقين * وقرأ الجمهور من قبل الفتح وزيد بن علي قبل بغير من والفتح فتح مكة وهو المشهور وقول قتادة وزيد بن أسلم ومجاهد * وقال أبو سعيد الخدري والشعبي هو فتح الحديبية وقد تقدم في أول سورة الفتح كونه فتحا ورفعه أبو سعيد الى النبي صلى الله عليه وسلم ان أفضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية والظاهر أن من فاعل لا يستوي وحذف مقابله وهو ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل لوضوح المعنى * أولئك أي الذين أنفقوا قبل الفتح وقبل انتشار الاسلام وفشوه واستيلاء المسلمين على أم القرى وهم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين جاء في حقهم قوله صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وأبعد من ذهب الى أن الفاعل بلا يستوي ضمير يعود على الانفاق أي لا يستوي هو الانفاق أي جنسه اذ منه ما هو قبل الفتح وبعده ومن أنفق مبتدأ وأولئك مبتدأ خبره ما بعده والجملة في موضع خبر من وهذا فيه تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر لغير موجب وحذف المعطوف لدلالة المقابل كثير فأنفق لا سيما المعطوف الذي يقتضيه وضع الفعل وهو يستوي * وقرأ الجمهور وكلا بالنصب وهو المفعول الاول لوعد * وقرأ ابن عامر وعبد الوارث من طريق المادرائي وكل بالرفع والظاهر أنه مبتدأ والجملة بعده في موضع الخبر وقد أجاز ذلك الفراء وهشام وورد في السبعة فوجب قبوله وان كان غيرهما من النحاة قد خص حذف الضمير الذي حذف من مثل وعد بالضرورة * وقال الشاعر

وخالد تحمد ساداتنا * بالحق لا تحمد بالباطل

يريد تحمده ساداتنا وفر بعضهم من جعل وعد خبرا فقال كل خبر مبتدأ تقديره وأولئك كل وعد صفة وحذف الضمير المنصوب من الجملة الواقعة صفة أكثر من حذفه منها اذا كانت خبرا نحو قوله

وما أدري أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا

يريد أصابوه فأصابوه صفة لمال وقد حذف الضمير العائد على الموصوف والحسنى تأنيث الاحسن وفسره مجاهد وقتادة بالجنة والوعد يتضمن ذلك في الآخرة والنصر والغنيمة في الدنيا * والله بما تعملون خبير فيه وعد ووعيد وتقدم الكلام على مثل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اعرابا وقراءة وتفسيرا في سورة البقرة * وقال ابن عطية هنا الرفع يعني في فيضاعفه على العطف أو على القطع والاستئناف * وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك قلق * قال أبو علي يعني الفارسي لان السؤال لم يقع على القرض وانما وقع السؤال على فاعل القرض وانما تنصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه لكن هذه الفرقة يعني من القراء حلت ذلك على المعنى كان قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة أن لو قال أيقرض الله أحد فيضاعفه

أبو علي الفارسي لأن السؤال لم يقع على القرض وانما وقع السؤال على فاعل القرض وانما تنصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه لكن هذه الفرقة يعني من القراء حملت ذلك على المعنى كان قوله من ذا الذي يقرض بمنزلة ان لو قال أيقرض الله أحد فيضاعفه انتهى (ح) هذا الذي ذهب اليه أبو علي من أنه انما تنصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه ليس بصحيح بل يجوز اذا كان الاستفهام بأدواته الاسمية نحو من يدعوني فاستجيب له وأين بيتك فأزورك ومتى تسير فارافقك وكيف تكون فأصحبك فالاستفهام هنا واقع عن ذات الداعي وعن ظرف المكان وظرف الزمان والحال لا عن الفعل وحكى ابن كيسان عن العرب أين ذهب زيد فنتبعه وكذلك كم مالك فنعرفه ومن أبوك فنكرمه بالنصب بعد الفاء وقراءة فيضاعفه بالنصب قراءة متواترة والفعل وقع صلة للذي والذي صفة لذا وذا خبر لمن واذا جاز النصب في نحو هذا لجوازه في المثل السابقة أحرى مع أن سماع ابن كيسان ذلك محكيا عن العرب يؤيد ذلك

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الآية كثر المزاح في شباب الصحابة فنزلت يأن مضارع أنى كرمى يرمى
كالذين أوتوا الكتاب قيل هم معاصر و موسى عليه السلام من بنى اسرائيل حذر المؤمنون أن يكونوا مثلهم في قساوة القلوب
اذ كانوا اذا سمعوا التوراة رقوا وخشعوا فطال عليهم الأمد أي انتظار الفتح وانتظار القيامة والأمد الغاية من الزمن فقست
قلوبهم أي صلبت بحيث لا تنفعل للطاعات والخير ﴿ يحيي الارض بعد موتها ﴾ يظهر أنه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها ولتأثير
ذكر الله تعالى فيها كما يؤثر الغيث في الارض فتعود بعد اجدابها مخصبة كذلك تعود القلوب النافرة مقبلة يظهر فيها أثر
الطاعات والخشوع * قال الزمخشري فان قلت علام عطف قوله وأقرضوا قلت على معنى الفعل من المصدقين
لان اللام بمعنى الذين
واسم الفاعل بمعنى اصدقوا
كانه قيل ان الذين
اصدقوا وأقرضوا انتهى
واتبع في ذلك أبا علي
الفارسي ولا يصح أن يكون
معطوفا على المصدقين لأن
المعطوف على الصلة
صلة وقد فصل بينهما
بمعطوف وهو قوله
والمصدقات ولا يصح أيضا
أن يكون معطوفا على صلة
أل في المصدقات لاختلاف
الضمائر اذ ضمير المصدقات
مؤنث وضمير وأقرضوا
مذكر فيتخرج هذا على
حذف الموصول لدلالة
ما قبله عليه كانه قيل
والذين أقرضوا فيكون
مثل قول الشاعر
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء *
يريد ومن يمدحه ﴿ كمثل ﴾
في موضع رفع صفة لما
تقدم * وصورة المثال أن الانسان ينشأ في حجر مملكة فدون ذلك فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم
يأخذ بعد ذلك في انحطاط فينشف ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في ماله وذريته ويموت ويضمحل أمره ويصير ماله لغيره
فأمره مثل مطر أصاب أرضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق ثم هاج أي يبس واصفر ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل
قيل الكفار الزراع من كفر الحب أي ستره في الارض وخصوا بالذكر لانهم أهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم الا المعجب
حقيقة وقيل من الكفر بالله لانهم من أشد الناس تعظيما للدنيا واعجابا بمحاسنها وحطاما بناء مبالغة كعجاب وقرئ مصفارا ولما
ذكر ما يؤول اليه أمر الدنيا من الفناء ذكر ما هو ثابت دائم من أمر الآخرة من العذاب الشديد ومن رضاه الذي هو سبب النعيم

قولهم سيهلك محمد هذا العام تهزمه قبيلة قريش مستأخرة الاحزاب الى غير ذلك أو طول الآمال
في امتداد الاعمار حتى جاء أمر الله وهو الموت على النفاق والغرور الشيطان باجماع * وقرأ سماك
ابن حرب الغرور وتقدم ذلك * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية أيها المنافقون والناصب لليوم الفعل
المنفي بلا وفيه حجة على من منع ذلك ولا من الذين كفروا وفي الحديث ان الله تعالى يعزر الكافر
فيقول له أرأيتك لو كان لك اضعاف الدنيا أكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار فيقول نعم
يارب فيقول الله تبارك وتعالى قد سألتك ما هو أيسر من ذلك وأنت في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك
بي فأبيت الا الشرك * وقرأ الجمهور لا يؤخذ وأبو جعفر والحسن وابن أبي اسحق والأعرج وابن
عامر وهرون عن أبي عمرو بالتاء لتأنيث الفدية * هي مولاكم قيل أولى بكم وهذا تفسير معنى
وكانت مولاهم من حيث انها تضمهم وتباشرهم وهي تكون لكم مكان المولى ونحوه قوله
* تحية بينهم ضرب وجيع * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لا ناصر لكم غيرها
والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى
يغاثوا بماء كالمهل * وقيل تتولاكم كما توليتم في الدنيا اعمال أهل النار * قوله عز وجل ﴿ ألم يأن
للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من
قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون * إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف
لهم ولهم أجر كريم * والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم
ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم * إعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا
ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد * ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع
الغرور ﴾ عن عبد الله ملت الصحابة ملة فنزلت ألم يأن وعن ابن عباس عوتبوا بعد ثلاث
عشرة سنة * وقيل كثر المزاح في بعض شباب الصحابة فنزلت * وقرأ الجمهور ألم والحسن وأبو
السمال ألما * والجمهور يأن مضارع أنى حان والحسن يئن مضارع أن حان أيضا والمعنى قرب وقت
الشئ أن تخشع تطمئن وتخبت وهو من عمل القلب ويظهر في الجوارح وفي الحديث أول

مارفع من الناس الخشوع لذكر الله أى لاجل ذكر الله كقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم * قيل أولئك كبرالله اياهم * وقرأ الجمهور وما نزل مشددا ونافع وحفص مخففا والجحدرى وأبو جعفر والأعمش وأبو عمرو فى رواية يونس وعباس عنه مبنيا للمفعول مشددا وعبدالله أنزل بهمزة النقل مبنيا للفاعل والجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة عطفا على أن تخشع وأبو حيوة وابن أبى عبلة واسمعيل عن أبى جعفر وعن شيبة ويعقوب وحمزة فى رواية عن سليم عنه ولاتكونوا على سبيل الالتفات امانهيا واما عطفا على ان تخشع كالذين أوتوا الكتاب من قبل وهم معاصر وموسى عليه السلام من بنى اسرائيل حذر المؤمنون ان يكونوا مثلهم فى قساوة القلوب اذ كانوا اذا سمعوا التوراة رقوا وخشعوا فطال عليهم الأمد أى انتظار الفتح أو انتظار القيامة * وقيل أمد الحياة * وقرأ الجمهور الأمد مخفف الدال وهى الغاية من الزمان وابن كثير بشدها وهو الزمن بعينه الاطول فقست قلوبهم صلبت بحيث لاتنفعل للخير والطاعة * يحيى الارض بعد موتها يظهر أنه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها ولتأثير ذكر الله فيها كما يؤثر الغيث فى الارض فتعود بعد اجدابها مخصبة كذلك تعود القلوب النافرة مقبلة يظهر فيها أثر الطاعات والخشوع * وقرأ الجمهور المصدّقين والمصدّقات بشدّ صادهما وابن كثير وأبو بكر والمفضل وابان وأبو عمرو فى رواية هارون بخفهما وأبىّ بتاء قبل الصاد فيهما فهذه وقراءة الجمهور من الصدقة والخف من التصديق صدّقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن الله تعالى * قال الزمخشرى (فان قلت) علام عطف قوله وأقرضوا (قلت) على معنى الفعل فى المصدّقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدّقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا انتهى واتبع فى ذلك أبا على الفارسى ولا يصح أن يكون معطوفا على المصدقين لان المعطوف على الصلة صلة وقد فصل بينهما بمعطوف وهو قوله والمصدقات ولا يصح أيضا أن يكون معطوفا على صلة أل فى المصدقات لاختلاف الضمائر إذ ضمير المتصدّقات مؤنث وضمير وأقرضوا مذكر فيتخرج هنا على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه لانه قيل والذين أقرضوا فيكون مثل قوله

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

يريد ومن يمدحه وصديق من أبنية المبالغة قال الزجاج ولا يكون فيما أحفظ الا من ثلاثى * وقيل يجىء من غير الثلاثى كمسيك وليس بشئ لانه يقال مسك وأمسك فمسيك من مسك والشهداء الظاهر انه مبتدأ خبره ما بعده فيقف على الصديقون وان شئت فهو من عطف الجمل وهذا قول ابن عباس ومسروق والضحاك ان الكلام تام فى قوله الصديقون واختلف هؤلاء فبعض قال الشهداء هم الانبياء يشهدون للمؤمنين بالصدّيقية لقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية وبعض قال هم الشهداء فى سبيل الله تعالى استأنف الخبر عنهم فكأنه جعلهم صنفا مذكورا وحده لعظم أجرهم وقال ابن مسعود ومجاهد وجماعة والشهداء معطوف على الصديقون والكلام متصل يعنون من عطف المفردات فبعض قال جعل الله كل مؤمن صديقا وشهيدا قاله مجاهد وفى الحديث من رواية البراء مؤمنو أمتى شهداء وانما ذكر الشهداء السبعة تشريفا لهم لانهم فى أعلى رتب الشهادة كما خص المقتول فى سبيل الله من السبعة بتشريف تفرد به وبعض قال وصفهم بالصديقية والشهادة من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس لهم أجرهم خبر عن الشهداء فقط أو عن من جمع بين الوصفين على اختلاف القولين والظاهر فى نورهم انه حقيقة * وقال مجاهد وغيره عبارة عن

( الدر )

(ش) فان قلت علام عطف قوله وأقرضوا قلت على معنى الفعل من المصدّقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا انتهى (ح) اتبع فى ذلك أبا على الفارسى ولا يصح أن يكون معطوفا على المصدّقين لان المعطوف على الصلة صلة وقد فصل بينهما بمعطوف وهو قوله والمصدقات ولا يصح أيضا أن يكون معطوفا على صلة أل فى المصدقات لاختلاف الضمائر اذ ضمير المصدقات مؤنث وضمير وأقرضوا مذكر فيتخرج هذا على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه كانه قيل والذين أقرضوا فيكون مثل قول الشاعر

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء *

يريد ومن يمدحه

﴿ سابقوا الى مغفرة من ربكم ﴾ الآية لما ذكر تعالى ما فى الآخرة من المغفرة أمر بالمسابقة اليها والمعنى سابقوا الى سبب مغفرة وهو الايمان وعمل الطاعات ﴿ عرضها ﴾ أى مساحتها فى السعة والعرض خلاف الطول فاذا وصف العرض بالبسطة عرف أن الطول أبسط وأمد ﴿ أعدت ﴾ يدل على انها مخلوقة وتكرر ذلك فى القرآن ﴿ فضل الله ﴾ عطاؤه ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ وهم المؤمنون ﴿ ما أصاب من مصيبة ﴾ أى مصيبة وذكر فعلها وهو جائز التذكير والتأنيث ومن التأنيث ما تسبق من أمة أجلها ولفظة مصيبة تدل على الشر لأن عرفها ذلك وخصها بالذكر لانها أهم على البشر والمصيبة فى الارض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزرع وفى الانفس الاسقام والموت ﴿ الا (٢٢٤) فى كتاب ﴾ هو اللوح المحفوظ أى مكتوبة فيه ﴿ من قبل أن نبرأها ﴾ أى نخلقها ولا خلق والضمير فى نبرأها الظاهر أنه يعود على المصيبة لانها هى المحدث عنها وذكر الأرض والانفس هو على سبيل ذكر محل المصيبة ﴿ على الله يسير ﴾ أى سهل وان كان عسيرا على العباد ثم ذكر تعالى الحكمة فى اعلامنا بذلك الذى فعله من تقدير ذلك وسبق قضائه به فقال ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ أى تحزنوا على ما فاتكم لان العبد اذا علم ذلك سلم وعلم أن ما فاته لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه فلذلك لا يحزن على فائت لأنه ليس بصدد أن يناله ويظهر أن المراد بقوله لكيلا تحزنوا أن يلحق الحزن الشديد على ما فات من الخير فيحدث عنه السخط وعدم الرضاء بالمقدور ﴿ ولا تفرحوا ﴾ الفرح المؤدى الى البطر المنهى عنه فى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين فان الحزن قد ينشأ عنه السخط والفرح قد ينشأ عنه البطر ولذلك ختم بقوله ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ فالفرح بما ناله من حطام الدنيا يلحقه فى نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس فمثل هذا هو المنهى عنه وأما الحزن على ما فات من طاعة الله تعالى والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع فهو مندوب اليه ﴿ الذين يبخلون ﴾ بدل من كل مختال أو على اضمارهم أو اضمار أذم ﴿ ومن يتولى ﴾ أى عن ما أمر الله به ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ أى بالحجج والمعجزات ﴿ معهم الكتاب ﴾ اسم جنس ومعهم حال مقدرة أى وأنزلنا الكتاب صائرا معهم ﴿ من ينصره ﴾ قال ابن عباس يترتب على معنى الآية بان الله تعالى أخبر بأنه أرسل رسلا وأنزل

---

الهدى والكرامة والبشرى * إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب أخبر تعالى بغالب أمرها من اشتمالها على أشياء لا تدوم ولا تجدى وأما ما كان من الطاعات وضرورى ما يقوم به الأود فليس مندرجا فى هذه الآية * لعب ولهو كحالة المترفين من الملوك * وزينة تحسين لما هو خارج عن ذات الشئ * وتفاخر بينكم قراءة الجمهور بالتنوين ونصب بينكم والسلمى بالاضافة * وتكاثر بالعدد والعدد على عادة الجاهلية وهذه كلها محقرات بخلاف أمر الآخرة فانها مشتملة على أمور حقيقية عظام * قال الزمخشرى وشبه تعالى حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليهم العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين انتهى * وقال ابن عطية كمثل فى موضع رفع صفة لما تقدم وصورة هذا المثال ان الانسان ينشأ فى حجر مملكة فما دون ذلك فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس ثم يأخذ بعد ذلك فى انحطاط فينشف ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب فى ماله ودينه ويموت ويضمحل أمره وتصير أمواله لغيره وتغير رسومه فأمره مثل مطر أصاب أرضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق ثم هاج أى يبس واصفر ثم تحطم ثم تفرق بالرياح واضمحل انتهى * قيل الكفار الزراع من كفر الحب أى ستره فى الأرض وخصوا بالذكر لانهم أهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم الا المعجب حقيقة * وقيل من الكفر بالله لانهم أشد تعظيما للدنيا وإعجابا بمحاسنها وحطاما بناء مبالغة كعجاب * وقرئ مصفارا ولما ذكر ما يؤول اليه أمر الدنيا من الفناء ذكر ما هو ثابت دائم من أمر الآخرة من العذاب الشديد ومن رضاه الذى هو سبب النعيم * قوله عز وجل ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد * لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى

عزيز ﴾ ولما ذكر تعالى ما في الآخرة من المغفرة أمر بالمسابقة اليها والمعنى سابقوا الى سبب
مغفرة وهو الايمان وعمل الطاعات وقد مثل بعضهم المسابقة في أنواع * فقال عبد الله كونوا في أول
صف في القتال * وقال أنس اشهدوا تكبيرة الاحرام مع الامام * وقال علي كن أول داخل في
المسجد وآخر خارج واستدل بهذا السبق على أن أول أوقات الصلوات أفضل وجاء لفظ سابقوا
كأنهم في مضمار يجرون الى غاية مسابقين اليها * عرضها أي مساحتها في السعة كما قال فذو دعاء
عريض أو العرض خلاف الطول فاذا وصف العرض بالبسطة عرف أن الطول أبسط وأمد
* أعدت يدل على أنها مخلوقة وتكرر ذلك في القرآن يقوي ذلك والسنة ناصة على ذلك وذلك يرد
على المعتزلة في قولهم انها الآن غير مخلوقة وستخلق * ذلك أي الموعود من المغفرة والجنة فضل الله
عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون * ما أصاب من مصيبة أي مصيبة وذكر فعلها وهو جائز التذكير
والتأنيث ومن التأنيث ما تسبق من أمة أجلها ولفظ مصيبة يدل على الشر لان عرفها ذلك * قال ابن
عباس ما معناه انه أراد عرف المصيبة وهو استعمالها في الشر وخصصها بالذكر لانها أهم على البشر
والمصيبة في الأرض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزرع وفي الأنفس الاسقام والموت * وقيل المراد
بالمصيبة الحوادث كلها من خير وشر الا في كتاب هو اللوح المحفوظ أي مكتوبة فيه من قبل أن
نبرأها أي نخلقها برأ خلق والضمير في نبرأها الظاهر انه يعود على المصيبة لانها هي المحدث عنها
وذكر الأرض والأنفس هو على سبيل محل المصيبة * وقيل يعود على الأرض * وقيل على الأنفس
قاله ابن عباس وقتادة وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر * قال ابن عطية
وهي كلها معان صحاح لان الكتاب السابق أزلي قبل هذه كلها انتهى * ان ذلك أي تحصيل كل
ما ذكر في كتاب وتقديره على الله يسير أي سهل وان كان عسيرا على العباد ثم بين تعالى الحكمة
في اعلامنا بذلك الذي فعله من تقدير ذلك وسبق قضائه به فقال لكيلا تأسوا أي تحزنوا على
ما فاتكم لان العبد ان أعلم ذلك سلم وعلم أن ما فاته لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه فلذلك
لا يحزن على فائت لانه ليس بصدد أن يفوته فهون عليه أمر حوادث الدنيا بذلك إذ قد وطن نفسه
على هذه العقيدة ويظهر أن المراد بقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أن يلحق الحزن الشديد على
ما فات من الخير فيحدث عنه التسخط وعدم الرضا بالمقدور ولا تفرحوا بما آتاكم أن يفرح الفرح
المؤدي الى البطر المنهي عنه في قوله تعالى لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين فان الحزن قد ينشأ عنه
البطر ولذلك ختم بقوله والله لا يحب كل مختال فخور فالفرح بما ناله من حطام الدنيا يلحقه في
نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس فمثل هذا هو المنهي عنه وأما الحزن على ما فات من
طاعة الله والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع فهو مندوب اليه * وقال ابن عباس ليس أحد
لا يحزن ويفرح ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا ومن أصاب خيرا جعله شكرا انتهى يعني
هو المحمود * وقال الزمخشري ( فان قلت ) فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة
ينالها أن لا يحزن ولا يفرح ( قلت ) المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم
لامر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغي الملهي عن الشكر فأما الحزن الذي لا يكاد
الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس به انتهى
* وقرأ الجمهور بما آتاكم أي أعطاكم وعبد الله أوتيتم مبنيا للمفعول أي أعطيتم وأبو عمرو أتاكم
أي جاءكم * الذين يبخلون أي هم الذين يبخلون أو يكون الذين مبتدأ محذوف الخبر على جهة

كتبا وعدلا مشروعا
وسلاحا يحارب به من عاند
ولم يهتد بهدى الله تعالى فلم
يبق عذر وفي الآية على هذا
التأويل حض على القتال

الابهام تقديره مذمومون أو موعودون بالعذاب أو مستغنى عنهم أو على اضمار أعني فهو في موضع نصب أو في موضع نصب صفة لكل مختال وان كان نكرة فهو مخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفة * قال ابن عطية هذا مذهب الأخفش انتهى عظمت الدنيا في أعينهم فضلوا أن يؤدوا منها حقوق الله تعالى وما كفاهم ذلك حتى أمروا الناس بالبخل ورغبوهم في الامساك والظاهر أنهم أمروا الناس حقيقة * وقيل كانوا قدوة فيه فكأنهم يأمرون به ومن يتول عن ما أمر الله به * وقرأ الجمهور فان الله هو وقرأ نافع وابن عامر باسقاط هو وكذا في مصاحف المدينة والشام وكلتا القراءتين متواترة فمن أثبت هو فقال أبو علي الفارسي يحسن أن يكون فصلا قال ولا يحسن أن يكون ابتداء لأن حذف الابتداء غير سائغ انتهى يعني أنه في القراءة الاخرى حذف ولو كان مبتدأ لم يجز حذفه لأنك اذا قلت ان زيدا هو الفاضل فأعربت هو مبتدأ لم يجز حذفه لأن ما بعده من قولك الفاضل صالح أن يكون خبرا لان فلا يبقى دليل على حذف هو الرابط ونظيره الذين هم يراؤن لا يجوز حذف هم لأن ما بعده يصلح أن يكون صلة فلا يبقى دليل على المحذوف وما ذهب اليه أبو علي ليس بشئ لأنه بنى ذلك على توافق القراءتين وتركيب احداهما على الأخرى وليس كذلك ألا ترى أنه يكون قراءتان في لفظ واحد ولكل منهما توجيه يخالف الآخر كقراءة من قرأ والله أعلم بما وضعت بضم التاء والقراءة الأخرى بما وضعت بتاء التأنيث فضم التاء يقتضي أن الجملة من كلام أم مريم وتاء التأنيث تقتضي أنها من كلام الله تعالى وهذا كثير في القرآت المتواترة فكذلك هذا يجوز أن يكون هو مبتدأ في قراءة من أثبته وان كان لم يرد في القراءة الاخرى ولكل من التركيبين في الاعراب حكم يخصه * لقد أرسلنا رسلنا بالبينات الظاهر أن الرسل هنا هم من بني آدم والبينات الحجج والمعجزات * وأنزلنا معهم الكتاب الكتاب اسم جنس ومعهم حال مقدرة أي وأنزلنا الكتاب صائرا معهم أي مقدرا صحبته لهم لأن الرسل منزلين هم والكتاب ولما أشكل لفظ معهم على الزمخشري فسر الرسل بغير ما فسرناه * فقال لقد أرسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الأنبياء بالحجج والمعجزات وأنزلنا معهم الكتاب أي الوحي والميزان * وروي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به * وأنزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة * وروي ومعه المسن والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح انتهى وأكثر المتأولين على أن المراد بالميزان العدل فقال ابن زيد وغيره أراد بالموازين المعرفة بين الناس وهذا جزء من العدل ليقوم الناس بالقسط الظاهر أنه علة لانزال الميزان فقط ويجوز أن يكون علة لانزال الكتاب والميزان معا لان القسط هو العدل في جميع الاشياء من سائر التكاليف فانه لا جور في شئ منها ولذلك جاء شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط * وأنزلنا الحديد عبر عن ايجاده بالانزال كما قال وأنزل لكم من الانعام وأيضا فان الاوامر وجميع القضايا والأحكام لما كانت تلقى من السماء جعل الكل نزولا منها قاله ابن عطية * وقال الجمهور أراد بالحديد جنسه من المعادن * وقال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه السندان والكلبتان والميقعة فيه بأس شديد أي السلاح الذي

( الدر ) ( ح ) قرأ الجمهور فان الله هو وقرأ نافع وابن عامر بحذف هو وكذا في مصاحف المدينة والشأم وكلتا القراءتين متواترة فمن أثبت هو فقال أبو علي الفارسي يحسن أن يكون فصلا قال ولا يحسن أن يكون ابتداء لأن حذف الابتداء غير سائغ انتهى يعني أنه في القراءة الاخرى حذف ولو كان مبتدأ لم يجز حذفه لانك اذا قلت ان زيدا هو الفاضل فأعربت هو مبتدأ لم يجز حذفه لان ما بعده من قولك الفاضل صالح أن يكون خبرا لان فلا يبقى دليل على حذف هو الرابط ونظيره الذين هم يراؤن لا يجوز حذف هم لان ما بعده يصلح أن يكون صلة فلا يبقى على المحذوف دليل وما ذهب اليه أبو علي ليس بشئ لانه بنى ذلك على توافق القراءتين وتركيب احداهما على الأخرى وليس كذلك ألا ترى أنه يكون قراءتان في لفظ واحد ولكل منهما توجيه يخالف الآخر كقراءة من قرأ والله أعلم بما وضعت بضم التاء والقراءة الأخرى بما وضعت بتاء التأنيث فضم التاء يقتضي أن الجملة من كلام أم مريم وتاء التأنيث تقتضي انها من كلام الله تعالى وهذا كثير في القرآت المتواترة فكذلك هذا يجوز أن يكون هو مبتدأ في قراءة من أثبته وان كان لم يرد في القراءة الاخرى ولكل من التركيبين في الاعراب حكم يخصه

﴿ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم ﴾ الآية لما ذكر تعالى ارسال الرسل جملة أفرد منهم فى هذه الآية نوحا وابراهيم تشريفا لهما بالذكر والظاهر أن الضمير فى منهم عائد على الذرية ﴿ ثم قفينا ﴾ أى اتبعنا وجعلناهم يقفون من تقدم ﴿ على آثارهم ﴾ أى آثار الذرية ﴿ برسلنا ﴾ وهم الذين جاؤا بعد الذرية ﴿ وقفينا بعيسى ﴾ ذكره تشريفا له ولانتشار أمته ونسبه لامه على العادة فى الاخبار عنه ﴿ وجعلنا ﴾ يحتمل أن يكون المعنى وخلقنا ويحتمل أن يكون بمعنى صيرنا فيكون ﴿ فى قلوب ﴾ فى موضع المفعول الثانى لجعلنا ﴿ ورهبانية ﴾ معطوف على ماقبله فهى داخلة فى الجعل ﴿ ابتدعوها ﴾ جملة فى موضع الصفة لرهبانية وخصت الرهبانية بالابتداع لأن الرأفة والرحمة فى القلب لا تكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها أفعال بدن مع شئ فى القلب ففيها موضع للتكسب وجعل أبو على الفارسى ورهبانية منقطعة من العطف على ماقبلها من رأفة ورحمة فانتصب عنده ورهبانية على اضمار فعل يفسره مابعده فهو من باب الاشتغال أى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واتبعه الزمخشرى فقال وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر وتقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعنى وأحدثوها من عند أنفسهم انتهى وهذا اعراب المعتزلة وكان أبو على الفارسى معتزليا وهم يقولون ما كان مخلوقا لله تعالى لا يكون مخلوقا للعبد فالرأفة والرحمة من خلق الله تعالى والرهبانية من ابتداع الانسان فهى مخلوقة له وهذا الاعراب الذى لهم ليس بجيد من جهة صناعة العربية لأن مثل هذا هو مما لا يجوز فيه الرفع بالابتداء ولا يجوز الابتداء هنا بقوله ورهبانية لانها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة والظاهر أن ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴾ استثناء متصل من ماهو مفعول من أجله وصار المعنى أنه تعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته والضمير فى ﴿ رعوها ﴾ عائد على ماعاد عليه فى ابتدعوها وهو ضمير الذين اتبعوه أى لم يرعوها كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله تعالى لا يحل نكثه ﴿ فآتينا الذين امنوا ﴾ وهم أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ وهم الذين لم يحافظوا على نذورهم ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ نداء لمن آمن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمعنى آمنوا دوموا واثبتوا ﴿ يؤتكم كفلين ﴾ أى نصيبين فى ايمانه بنبيه وايمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴿ لئلا يعلم ﴾ لا زائدة وان واجبة الذكر وان كانت ناصبة للفعل كراهة اجتماع لام الجر ولا الزائدة وتتعلق اللام بيؤتكم أو على اضمار فعل تقديره فعلنا ذلك أى إيتاء الكفلين وجعل النور والغفران والمعنى أن هذا كله من فضل الله تعالى وأن المؤتون ذلك لا يقدرون على ذلك بل ذلك كله من فضل الله

---

يباشر به القتال ومنافع للناس فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها * وليعلم الله علة لانزال الكتاب والميزان والحديد * من ينصره ورسله بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتاب المنزل وباقامة العدل وبما يعمل من آلة الحرب للجهاد فى سبيل الله * قال ابن عطية أى ليعلمه موجودا فالتغير ليس فى علم الله بل فى هذا الحدث الذى خرج من العدم الى الوجود وقوله بالغيب معناه بما سمع من الاوصاف الغائبة عنه فآمن بها لقيام الادلة عليها ولما قال تعالى من ينصره ورسله وذكر تعالى أنه غنى عن نصرته بقدرته وعزته وأنه انما كلفهم الجهاد لمنفعة أنفسهم وتحصيل مايترتب لهم من الثواب * وقال ابن عطية ويترتب معنى الآية بأن الله تعالى أخبر بأنه أرسل رسله وأنزل كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به من عاند ولم يهتد بهدى الله فلم يبق عذر وفى الآية على هذا التأويل حث على القتال * قوله عز وجل ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون * ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ لما ذكر تعالى ارسال الرسل جملة أفرد منهم فى هذه الآية نوحا وابراهيم عليهما السلام تشريفا لهما بالذكر أما نوح فلأنه أول الرسل الى من فى الارض وأما ابراهيم فلأنه انتسب اليه أكثر الأنبياء عليهم السلام وهو معظم فى كل الشرائع ثم ذكر أشرف ماحصل لذريتهما وذلك النبوة وهى التى بها هدى الناس من الضلال والكتاب وهى الكتب الاربعة التوراة والزبور والانجيل والقرآن وهى جميعها فى ذرية ابراهيم عليه السلام وابراهيم من ذرية نوح فصدق أنها فى ذريتهما وفى مصحف عبد الله والنبية مكتوبة

بالياء عوض الواو * وقال ابن عباس والكتاب الخط بالقلم والظاهر أن الضمير في منهم عائد على الذرية * وقيل يعود على المرسل اليهم لدلالة ذكر الارسال والمرسلين عليهم ومع ارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العلل بذلك انقسموا الى مهتد وفاسق وأخبر بالفسق عن الكثير منهم * ثم قفينا أي اتبعنا وجعلناهم يقفون من تقدم على آثارهم أي آثار الذرية برسلنا وهم الرسل الذين جاؤا بعد الذرية وقفينا بعيسى ذكر دنشر بغلبة انتشار أمته ونسبه لأمه على العادة في الاخبار عنه وتقدمت قراءة الحسن الانجيل بفتح الهمزة في أول سورة آل عمران * قال أبو الفتح وهو مثال لا نظير له انتهى وهي لفظة أعجمية فلا يلزم فيها أن تكون على أبنية كلام العرب * وقال الزمخشري أمره أهون من أمر البرطيل يعني انه بفتح الباء وكأنه عربي وأما الانجيل فأعجمي * وقرئ رآفة على وزن فعالة وجعلنا يحتمل أن يكون بمعنى وخلقنا كقوله وجعل الظلمات والنور ويحتمل أن يكون بمعنى صيرنا فيكون في قلوب في موضع المفعول الثاني لجعلنا ورهبانية معطوف على ما قبله فهي داخلة في الجعل * ابتدعوها جملة في موضع الصفة لرهبانية وخصت الرهبانية بالابتداع لان الرأفة والرحمة في القلب لا تكسب للانسان فيها بخلاف الرهبانية فانها أفعال بدن مع شيء في القلب ففيها موضع للتكسب * قال قتادة الرأفة والرحمة من الله والرهبانية هم ابتدعوها والرهبانية رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن واتخاذ الصوامع وجعل أبو علي الفارسي ورهبانية منقطعة من العطف على ما قبلها من رأفة ورحمة فانتصب عنده رهبانية على اضمار فعل يفسره ما بعده فهو من باب الاشتغال أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واتبعه الزمخشري فقال وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها انتهى وهذا اعراب المعتزلة وكان أبو علي معتزليا وهم يقولون ما كان مخلوقا لله لا يكون مخلوقا للعبد فالرأفة والرحمة من خلق الله والرهبانية من ابتداع الانسان فهي مخلوقة له وهذا الاعراب الذي لهم ليس بجيد من جهة صناعة العربية لان مثل هذا هو مما يجوز فيه الرفع بالابتداء ولا يجوز الابتداء هنا بقوله ورهبانية لانها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة * وروي في ابتداعهم الرهبانية انهم افترقوا ثلاث فرق * ففرقة قاتلت الملوك على الدين فغلبت وقتلت * وفرقة قعدت في المدن يدعون الى الدين ويبينونه ولم تقاتل فأخذها الملوك ينشرونهم بالمناشير فقتلوا * وفرقة خرجت الى الفيافي وبنت الصوامع والديارات وطلبت أن تسلم على أن تعتزل فتركت والرهبانية الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف بني فعلان من رهب كالخشيان من خشي * وقرئ ورهبانية بالضم * قال الزمخشري كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان انتهى والأولى أن يكون منسوبا الى رهبان وغير بضم الراء لان النسب باب تغيير ولو كان منسوبا الى رهبان الجمع لرد الى مفرده فكان يقال راهبية الا ان كان قد صار كالعلم فانه ينسب اليه على لفظه كالانصار والظاهر أن الا ابتغاء رضوان الله استثناء متصل مما هو مفعول من أجله وصار المعنى انه تعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته وهذا قول مجاهد ويكون كتب بمعنى قضى * وقال قتادة وجماعة المعنى لم يفرضها عليهم ولكنهم فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله تعالى فالاستثناء على هذا منقطع أي لكن ابتدعوها لابتغاء رضوان الله تعالى والظاهر أن الضمير في رعوها عائد على ما عاد عليه في ابتدعوها وهو ضمير الذين اتبعوه أي لم يرعوها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه * وقال نحوه ابن زيد قال لم يدوموا على ذلك ولا وفوه حقه بل غيروا

تعالى و بيد الله كناية عن القدرة عن ما يؤتيه من الفضل لمن يشاء

( الدر )

(ش) أمره يعني الانجيل في قراءة الفتح في الهمزة أهون من أمر البرطيل (ح) يعني انه بفتح الباء وكأنه عربي وأما الانجيل فأعجمي (ش) كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان انتهى (ح) الأولى أن يكون منسوبا الى رهبان وغير بالضم في الراء لان النسب باب تغيير ولو كان منسوبا الى الرهبان الجمع لرد الى مفرده فكان يقال راهبية الا ان كان قد صار كالعلم فانه ينسب اليه على لفظه كالانصار

وبدلوا وعلى تقدير أن فيهم من رعى يكون المعنى فما رعوها بأجمعهم * وقال ابن عباس وغيره الضمير للملوك الذين حاربوهم وأجلوهم * وقال الضحاك وغيره الضمير للأخلاف الذين جاؤا بعد المبتدعين لها * فآتينا الذين آمنوا وهم أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام * وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها * يا أيها الذين آمنوا الظاهر أنه نداء لمن آمن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمعنى آمنوا دوموا واثبتوا وهكذا المعنى في كل أمر يكون المأمور ملتبساً بما أمر به يؤتكم كفلين قال أبو موسى الأشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة انتهى والمعنى نصيبين من رحمته مثل من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا لأنهم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله * وروى أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت * وقيل النداء متوجه لمن آمن من أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم الله كفلين أي نصيبين من رحمته وذلك لإيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن قبله من الرسل * ويجعل لكم نوراً تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم * ويغفر لكم ما اقترفتم من الكفر والمعاصي ويؤيد هذا المعنى ما ثبت في الصحيح ثلاثة يؤتيهم الله أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي الحديث * ولما أعلم أهل الكتاب الذين لم يسلموا أنهم لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلاً قط وإذا كان لقدمائهم فضل لا مدوا أنهم ثم فرحوا أنه لما نزل هذا الوعد لهم حسدهم أهل الكتاب وكانت اليهود تعظم دينها وأنفسها وتزعم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه فنزلت هذه الآية معلمة أن الله تعالى فعل ذلك وأعلم به ليعلم أهل الكتاب أنهم ليسوا كما يزعمون * وقرأ الجمهور لئلا يعلم ولا زائدة كهي في قوله ما منعك أن لا تسجد وفي قوله أنهم لا يرجعون في بعض التأويلات * وقرأ خطاب بن عبد الله لأن لا يعلم وعبد الله وابن عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة على اختلاف ليعلم والجحدري لينعلم أصله لأن يعلم قلب الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وأدغم النون في الياء بغير غنة كقراءة خلف أن يضرب بغير غنة * وروى ابن مجاهد عن الحسن ليلا مثل ليلى اسم المرأة يعلم برفع الميم وأصله لأن لا بفتح لام الجر وهي لغة فحذفت الهمزة اعتباطاً وأدغمت النون في اللام فاجتمعت الأمثال وثقل النطق بها فابدلوا من الساكنة ياء فصار ليلا ورفع الميم لأن أن هي المخففة من الثقيلة لا الناصبة للمضارع إذ الأصل لأنه لا يعلم * وقطرب عن الحسن أيضاً لئلا بكسر اللام وتوجيهه كالذي قبله إلا أنه كسر اللام على اللغة الشهيرة في لام الجر وعن ابن عباس كي يعلم وعنه لكيلا يعلم وعن عبد الله وابن جبير وعكرمة لكي يعلم * وقرأ الجمهور أن لا يقدرون بالنون فأن هي المخففة من الثقيلة وعبد الله بحذفها فأن الناصبة للمضارع والله تعالى أعلم

## ﴿ سورة المجادلة مدنية وهي اثنان وعشرون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير * الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون

﴿ سورة المجادلة ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك ﴾ الآية هذه السورة مكية وقيل غير ذلك والتي تجادلك خولة بنت ثعلبة وقيل غير ذلك وأكثر الرواية على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة ابن الصامت ظاهر من امرأته قال أبو قلابة وغيره كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة ولما ظاهر أوس بن أسامة قالت زوجته يا رسول الله أكل أوس شبابي ونثرت له بطني فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني فقال لها ما أراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي أهل سواه فراجعها بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت تقول في خلال ذلك اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله تعالى فنزل الوحي عند جدالها قالت عائشة رضي الله عنها سبحان من وسع سمعه الاصوات كان بعض كلام خولة يخفى علي وسمع الله جدالها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف أوس وعرض عليه كفارة الظهار العتق فقال ما أملك والصوم قال ما أقدر والاطعام فقال لا أجد الا أن تعينني فاعانه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ودعا له فكفر بالاطعام وأمسك أهله وكان عمر يكرم خولة اذا دخلت عليه ويقول قد سمع الله تعالى لها والظهار قول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي يريد في التحريم وقوله منكم اشارة الى توبيخ العرب وتهجين عادتهم في الظهار لانه كان من أيمان الجاهلية خاصة دون سائر الأمم والظاهر أن قوله من نسائهم يشمل المدخول بها وغير المدخول بها من الزوجات لا من ظاهر منها قبل عقد نكاحها

منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور * والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم * ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين * يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد * ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم * ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير * يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون * انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير * يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم * أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون * ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون * أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين * لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون * استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون * ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين * كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ * فسح في المجلس وسع لغيره * قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع

﴿ماهن﴾ أجرى ما مجرى ليس في رفع الاسم ونصب الخبر كما في قوله تعالى ما هذا بشرا وقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين وقرأ المفضل عن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وابن مسعود بأمهاتهم بزيادة الباء قال الزمخشري في لغة من ينصب انتهى يعني أنه لا تزاد الباء الا في لغة تميم وهذا ليس بشيء وقد رد ذلك على الزمخشري وزيادة الباء في مثل ما زيد بقائم كثير في لغة تميم والزمخشري تبع في ذلك أبا علي الفارسي ولما كان معنى كظهر أمي أي كأمي في التحريم ولا يراد خصوصية الظهر الذي هو من الجسد جاء النفي بقوله ماهن أمهاتهم ثم أكد ذلك بقوله ﴿ان أمهاتهم﴾ أي حقيقة ﴿الا اللائي ولدنهم﴾ وألحق بهن في التحريم أمهات الرضاع وأمهات المؤمنين أزواج الرسول عليه السلام وان نافية واللائي أحد جموع التي وقول المظاهر منكر من القول تنكره الحقيقة وينكره الشرع وزور كذب وباطل منحرف عن الحق وهو محرم تحريم المنكر وهات جدا واذا وقع لزم وقد رجى تعالى بعده بأنه عفو غفور مع الكفارة والظاهر أن الظهار لا يكون الا بالأم وحدها فلو قال أنت علي كظهر أختي أو ابنتي لم يكن ظهارا والظاهر أن قوله ثم يعودون لما قالوا أن يعودوا اللفظ الذي سبق منهم وهو قول الرجل ثانيا أنت علي كظهر أمي فلا تلزم الكفارة بالقول الاول وانما تلزم بالثاني وهو قول أهل الظاهر وروي أيضا عن بكير بن عبد الله بن الاشج وأبي العالية وأبي حنيفة وهو قول الفراء وقال طاوس وقتادة والزهري والحسن ومالك وجماعة لما قالوا أي للوطء والمعنى لما قالوا أنهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ثم وطئ فحينئذ تلزمه الكفارة وان طلق أو ماتت وقال أبو حنيفة ومالك أيضا والشافعي وجماعة معناه يعودون لما قالوا بالعزم على الامساك والوطء فمتى عزم على ذلك لزمته الكفارة طلق أو ماتت وقال ( ٢٣١ ) الشافعي العود الموجب للكفارة أن يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضي بعده زمان يمكن أن يطلقها فيه فلا يطلق ﴿والذين﴾ مبتدأ ضمن معنى اسم الشرط فلذلك دخلت الفاء في خبره وتحرير خبر مبتدأ محذوف تقديره فالواجب تحرير رقبة والظاهر في التماس الحقيقة فلا يجوز تماسهما بقبلة أو مضاجعة أو غير ذلك من وجوه الاستمتاع وهو أحد قولي الشافعي وقول مالك وقال الأكثرون هو الوطء فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير وهو الصحيح من مذهب الشافعي والضمير في يتماسا عائد على ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ﴿ذلكم توعظون به﴾ اشارة الى التحرير ﴿فمن لم يجد﴾ أي الرقبة ولا ثمنها أو وجدها أو ثمنها وكان محتاجا الى ذلك فقال أبو حنيفة يلزمه العتق ولو كان محتاجا الى ذلك ولا ينتقل الى الصوم وهو الظاهر وقال الشافعي ينتقل الى الصوم والظاهر وجوب التتابع ﴿فمن لم يستطع﴾ أي الصوم لزمنه أو كونه يضعف به ضعفا شديدا والظاهر مطلق الاطعام ويخصصه ما كانت العادة في الاطعام وقت النزول وهو ما يشبع من غير تحديد بمد ﴿ذلك لتؤمنوا﴾ اشارة الى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شدد بقوله وتلك حدود الله تعالى أي فالتزموها وقفوا عندها ثم توعد الكافرين بهذا الحكم الشرعي ﴿إن الذين يحادون الله﴾ نزلت في مشركي قريش أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي من قاتل الرسل من قبلهم ولما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة المخالفة والمعاداة في الحدود ﴿كبتوا﴾ أي أخزوا ولعنوا والذين من قبلهم منافقو الأمم وهي بشارة للمؤمنين بالنصر وعبر بالماضي لتحقق وجوده ووقوعه ﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ أي على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به ﴿وللكافرين﴾ أي الذين يحادونه ﴿عذاب مهين﴾ أي يهينهم ويذلهم والناصب ليوم يبعثهم العامل في للكافرين أو مهين أو اذكر أو يكون على أنه جواب لمن سأل متى يكون عذاب هؤلاء فقيل له يوم يبعثهم أي يكون يوم يبعثهم وانتصب جميعا على الحال أي مجتمعين في صعيد واحد ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ تخجيلا لهم وتوبيخا ﴿أحصاه الله﴾ تعالى بجميع تفاصيله من كميته وكيفيته وزمانه ومكانه ﴿ونسوه﴾ هم لاستحقارهم اياه واعتقادهم أنه لا يقع عليه حساب ﴿شهيد﴾ لا يخفى عليه شيء

بصير * الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور * والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم * إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين * يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد * ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما

في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ هذه السورة مدنية * قال الكلبي إلا قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم * وعن عطاء العشر الأول منها مدني وباقيها مكي * قرأ الجمهور قد سمع بالبيان وأبو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن بالادغام * قال خلف بن هشام البزار سمعت الكسائي يقول من قرأ قد سمع فبين الدال عند السين فلسانه أعجمي ليس بعربي ولا يلتفت الى هذا القول فالجمهور على البيان والتي تجادل خولة بنت ثعلبة ويقال بالتصغير أو خولة بنت خويلد أو خولة بنت حكيم أو خولة بنت دليج أو جميلة أو خولة بنت الصامت أقوال للسلف وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة * وقيل سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امرأته قالت زوجته يا رسول الله أكل أوس شبابي ونثرت له بطني فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني فقال لها ما أراك إلا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي أهل سواه فراجعها بمثل مقالته فراجعته فهذا هو جدالها وكانت في خلال ذلك تقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فهذا هو اشتكاؤها الى الله فنزل الوحي عند جدالها * قالت عائشة رضي الله تعالى عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات * كان بعض كلام خولة يخفى علي وسمع الله جدالها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أوس وعرض عليه كفارة الظهار العتق فقال ما أملك والصوم فقال ما أقدر والاطعام فقال لا أجد إلا أن تعينني فأعانه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ودعا له فكفر بالاطعام وأمسك أهله وكان عمر رضي الله تعالى عنه يكرم خولة اذا دخلت عليه ويقول قد سمع الله لها * وقال الزمخشري معنى قد التوقع لانه صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها انتهى * وقرأ الحرميان وأبو عمرو يظهرون بشدهما والاخوان وابن عامر يظاهرون مضارع ظاهر وأبي يتظاهرون مضارع تظاهر وعنه يتظهرون مضارع تظهر والمراد به كله الظهار وهو قول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي يريد في التحريم كأنه اشارة الى الركوب إذ عرفه في ظهور الحيوان والمعنى أنه لا يعلوها كما لا يعلو أمه ولذلك تقول العرب في مقابلة ذلك نزلت عن امرأتي أي طلقتها وقوله منكم اشارة الى توبيخ العرب وتهجين عادتهم في الظهار لانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم * وقرأ الجمهور أمهاتهم بالنصب على لغة الحجاز والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم وابن مسعود بأمهاتهم بزيادة الباء * قال الزمخشري في لغة من ينصب انتهى يعني أنه لا تزاد الباء في لغة تميم وهذا ليس بشيء وقد رد ذلك على الزمخشري وزيادة الباء في مثل ما زيد بقائم كثير في لغة تميم والزمخشري تبع في ذلك أبا علي الفارسي رحمه الله ولما كان معنى كظهر أمي كأمي في التحريم ولا يراد خصوصية الظهر الذي هو من الجسد جاء النفي بقوله ما هن أمهاتهم ثم أكد ذلك بقوله إن أمهاتهم أي حقيقة إلا اللائي ولدنهم وألحق بهن في التحريم أمهات الرضاع وأمهات المؤمنين أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم والزوجات لسن بأمهات حقيقة ولا ملحقات بهن * فقول المظاهر منكر من القول تنكره الحقيقة وينكره الشرع وزور كذب باطل منحرف عن الحق وهو محرم تحريم المكروهات جدا فاذا وقع لزم وقد رجى تعالى بعده بقوله وان الله لعفو غفور مع الكفارة * وقال الزمخشري وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تاب عنه ولم

﴿ رابعهم ﴾ رابع اسم فاعل من ربعت القوم ومعنى رابع ثلاثة الذي صير الثلاثة أربعة وكذلك سادسهم ﴿ ولا أدنى من ذلك ﴾ اشارة الى الثلاثة والخمسة والادنى من الثلاثة الاثنان ومن الخمسة الاربعة ﴿ ولا أكثر ﴾ يدل على ما يلي الستة فصاعدا

( الدر )

﴿ سورة المجادلة ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) قرأ ابن مسعود بأمهاتهم بزيادة الباء في لغة من ينصب انتهى (ح) يعني انه لا تزاد الباء في لغة تميم وهذا ليس بشيء وقد رد ذلك على (ش) وزيادة الباء في مثل ما زيد بقائم كثير في لغة تميم و (ش) تبع في ذلك أبا علي الفارسي رحمه الله

بعد اليه انتهى وهى نزعة ظاهرية والظاهر أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها فلو قال أنت على كظهر أختى أو ابنتى لم يكن ظهارا وهو قول قتادة والشعبى وداود ورواية أبى ثور عن الشافعى * وقال الجمهور الحسن والنخعى والزهرى والأوزاعى والثورى وأبو حنيفة ومالك والشافعى فى قول هو ظهار والظاهر أن الذمى لا يلزمه ظهار لقوله منكم أى من المؤمنين وبه قال أبو حنيفة والشافعى لكونها ليست من نسائه * وقال مالك يلزمه ظهاره اذا نكحها ويصح من المطلقة الرجعية * وقال المزنى لا يصح * وقال بعض العلماء لا يصح ظهار غير المدخول بها ولو ظاهر من أمته التى يجوز له وطؤها لزمه عند مالك * وقال أبو حنيفة والشافعى لا يلزم وسبب الخلاف هو هل تندرج فى نسائهم أم لا والظاهر صحة ظهار العبد لدخوله فى يظهرون منكم لانه من جملة المسلمين وان تعذر منه العتق والاطعام فهو قادر على الصوم * وحكى الثعلبى عن مالك انه لا يصح ظهاره وليست المرأة مندرجة فى الذين يظهرون فلو ظاهرت من زوجها لم يكن شيأ * وقال الحسن بن زياد تكون مظاهرة * وقال الأوزاعى وعطاء واسحق وأبو يوسف اذا قالت لزوجها أنت على كظهر فلانة فهى يمين تكفرها * وقال الزهرى أرى أن تكفر كفارة الظهار ولا يحول قولها هذا بينها وبين زوجها أن يصيبها والظاهر أن قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا أن يعودوا اللفظ الذى سبق منهم وهو قول الرجل ثانيا أنت منى كظهر أمى فلا تلزم الكفارة بالقول وانما تلزم الثانى وهذا مذهب أهل الظاهر وروى أيضا عن بكير بن عبد الله بن الأشج وأبى العالية وأبى حنيفة وهو قول الفراء * وقال طاوس وقتادة والزهرى والحسن ومالك وجماعة لما قالوا أى للوطء والمعنى لما قالوا انهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ثم وطئ فحينئذ يلزمه الكفارة وان طلق أو ماتت * وقال أبو حنيفة ومالك أيضا والشافعى وجماعة معناه يعودون لما قالوا بالعزم على الامساك والوطء فمتى عزم على ذلك لزمته الكفارة طلق أو ماتت * قال الشافعى العود الموجب للكفارة أن يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضى بعده زمان يمكن أن يطلقها فيه فلا يطلق * وقال قوم المعنى والذين يظهرون من نسائهم فى الجاهلية أى كان الظهار عادتهم ثم يعودون الى ذلك فى الاسلام وقاله القتبى * وقال الأخفش فيه تقديم وتأخير والتقدير فتحرير رقبة لما قالوا وهذا قول ليس بشئ لانه يفسد نظم الآية فتحرير رقبة والظاهر انه يجزئ مطلق رقبة فتجزئ الكافرة * وقال مالك والشافعى شرطها الاسلام كالرقبة فى كفارة القتل والظاهر اجزاء المكاتب لانه عبد ما بقى عليه درهم وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وان عتق نصفى عبدين لا يجزئ * وقال الشافعى يجزئ * من قبل أن يتماسا لا يجوز للمظاهر أن يطأ حتى يكفر فان فعل عصى ولا يسقط عنه التكفير * وقال مجاهد يلزمه كفارة أخرى * وقيل تسقط الكفارة الواجبة عليه ولا يلزمه شئ * وحديث أوس بن الصامت يرد على هذا القول وسواء كانت الكفارة بالعتق أم الصوم أم الاطعام * وقال أبو حنيفة اذا كانت بالاطعام جاز له أن يطأ ثم يطعم وهو ظاهر قوله فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا إذ لم يقل فيه من قبل أن يتماسا وقيد ذلك فى العتق والصوم والظاهر فى التماس الحقيقة فلا يجوز تماسهما قبلة أو مضاجعة أو غير ذلك من وجوه الاستمتاع وهو قول مالك وأحد قولى الشافعى * وقال الأكثرون هو الوطء فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير وقاله الحسن والثورى وهو الصحيح من مذهب الشافعى والضمير فى يتماسا عائد على ما عاد عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها * ذلكم توعظون به اشارة الى التحرير أى فعل عظة لكم لتنتهوا عن الظهار فمن لم يجد أى الرقبة

ولا ثمنها أو وجدها أو ثمنها وكان محتاجا الى ذلك فقال أبو حنيفة يلزمه العتق ولو كان محتاجا الى ذلك ولا ينتقل الى الصوم وهو الظاهر * وقال الشافعي ينتقل الى الصوم والشهران بالاهلة وان جاء أحدهما ناقصا أو بالعدد لا بالأهلة فيصوم الى الهلال ثم شهرا بالهلال ثم يتم الأول بالعدد والظاهر وجوب التتابع فان أفطر بغير عذر استأنف أو بعذر من سفر ونحوه فقال ابن المسيب وعطاء ابن أبي رباح وعمرو بن دينار والشعبي ومالك والشافعي في أحد قوليه يبني * وقال النخعي وابن جبير والحكم بن عيينة والثوري وأصحاب الرأي والشافعي في أحد قوليه والظاهر أنه ان وجد الرقبة بعد أن شرع في الصوم انه يصوم ويجزئه وهو مذهب مالك والشافعي * وقال أبو حنيفة وأصحابه يلزمه العتق ولو وطئ في خلال الصوم بطل التتابع ويستأنف وبه قال مالك وأبو حنيفة * وقال الشافعي يبطل ان جامع نهارا لا ليلا * فمن لم يستطع لصوم لزمانة به أو كونه يضعف به ضعفا شديدا كما جاء في حديث أوس لما قال هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال والله يارسول الله إني اذا لم آكل في اليوم والليلة ثلاث مرات كل بصري وخشيت أن تعشو عيني والظاهر مطلق الاطعام وتخصيصه ما كانت العادة في الاطعام وقت النزول وهو مايشبع من غير تحديد بمدّ ومذهب مالك انه بمد ثلث بالمد النبوي ويجب استيعاب العدد ستين عند مالك والشافعي وهو الظاهر * وقال أبو حنيفة وأصحابه لو أطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد أجزأه * ذلك لتؤمنوا قال ابن عطية اشارة الى الرجعة والتسهيل في الفعل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شدد تعالى بقوله وتلك حدود الله أي فالزموها وقفوا عندها ثم توعد الكافرين بهذا الحكم الشرعي * وقال الزمخشري ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها في الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه من جاهليتكم وتلك حدود الله التي لايجوز تعديها وللكافرين الذين لايتبعونها ولا يعملون عليها عذاب أليم انتهى * ان الذين يحادّون الله ورسوله نزلت في مشركي قريش أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي من قاتل الرسل من قبلهم ولما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدود ذكر المحادّين المخالفين لها والمحادة المعاداة والمخالفة في الحدود * كبتوا قال قتادة أخزوا * وقال السدي لعنوا * قيل وهي لغة مذحج * وقال ابن زيد وأبو روق ردّوا مخذولين * وقال الفراء غيظوا يوم الخندق * كما كبت الذين من قبلهم أي من قاتل الأنبياء * وقيل يوم بدر * وقال أبو عبيدة والاخفش أهلكوا وعن أبي عبيدة التاء بدل من الدال أي كبدوا أصابهم داء في أكبادهم * قيل والذين من قبلهم منافقو الأمم * قيل وكبتوا بمعنى سيكبتون وهي بشارة للمؤمنين بالنصر وعبر بالماضي لتحقق وقوعه وتقدم الكلام في مادة كبت في آل عمران * وقد أنزلنا آيات بينات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ماجاء به * وللكافرين أي الذين يحادونه عذاب مهين أي يهينهم ويذلهم والناصب ليوم يبعثهم العامل في للكافرين أو مهين أو اذكر أو يكون على انه جواب لمن سأل متى يكون عذاب هؤلاء فقيل له يوم يبعثهم الله أي يكون يوم يبعثهم الله وانتصب جميعا على الحال أي مجتمعين في صعيد واحد أو معناه كلهم إذ جميع يحتمل ذينك المعنيين فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا * أحصاه بجميع تفاصيله وكميته وكيفيته وزمانه ومكانه * ونسوه لاستحقارهم إياه واحتقارهم انه لا يقع عليه حساب * شهيد لا يخفى عليه شئ * وقرأ الجمهور ما يكون بالياء وأبو جعفر وأبو حيوة وشيبة بالتاء لتأنيث النجوى * قال صاحب اللوامح وان شغلت بالجار فهي بمنزلة ماجاءتني من امرأة

﴿ ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون اليهم ويتغامزون بأعينهم عليهم موهمين المؤمنين عن أقربائهم أنهم أصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى تقدم أقرباؤهم فلما كثر ذلك منهم شكا المؤمنون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فنزلت قاله ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ بما لم يحيك به الله ﴾ كانوا يقولون السام عليك وهو الموت فيرد عليهم وعليكم وتحية الله تعالى لأنبيائه وسلام على عباد الله الذين اصطفى ﴿ لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ أى ان كان نبيا فاله لا يدعو علينا حتى نعذب بما نقول فقال تعالى ﴿ حسبهم جهنم ﴾ ثم نهى المؤمنين أن يكون تناجيهم مثل تناجى الكفار وبدأ بالاثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته فى النفوس اذ هى ظلامات العباد ثم ترقى الى ما هو أعظم وهو معصية الرسول عليه السلام وفى هذا طعن على المنافقين اذ كان تناجيهم فى ذلك ﴿ إنما النجوى من الشيطان ﴾ أى هو الذى يزينها لهم فكأنها منه ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ كانوا يوهمون المؤمنين أن غزاتهم غلبوا ﴿ بضارهم ﴾ أى المؤمنين ﴿ الا باذن الله ﴾ أى بمشيئته فيقضى بالقتل والغلبة ولما نهى تعالى المؤمنين عما هو سبب للتباغض والتنافر أمرهم بما هو سبب للتواد والتقارب فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ الآية كانوا يتنافسون فى مجلس الرسول عليه السلام فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض ﴿ واذا قيل انشزوا ﴾ أى انهضوا فى المجلس للتفسح لان مريد التوسعة على الوارد يرتفع الى فوق أمروا أولا بالتفسح ثم ثانيا بامتثال الأمر فيه اذا أمروا والظاهر أن قوله والذين أوتوا العلم معطوف على الذين آمنوا والعطف مشعر بالتغاير وهو من عطف الخاص على العام وقيل والذين أوتوا من عطف الصفات والمعنى يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فالوصفان لذات واحدة وقال

الا أن الأكثر فى هذا الباب التذكير على ما فى العامة يعنى القراءة العامة قال لانه مسند إلى من نجوى وهو يقتضى الجنس وذلك مذكر انتهى وليس الأكثر فى هذا الباب التذكير لان من زائدة فالفعل مسند الى مؤنث فالأكثر التأنيث وهو القياس قال تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ما تسبق من أمة أجلها ويكون هنا تامة ونجوى احتمل أن تكون مصدرا مضافا الى ثلاثة أى من تناجى ثلاثة أو مصدرا على حذف مضاف أى من ذوى نجوى أو مصدرا أطلق على الجماعة المتناجين فثلاثة على هذين التقديرين * قال ابن عطية بدل أو صفة * وقال الزمخشرى صفة * وقرأ ابن أبى عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال والعامل يتناجون مضمرة يدل عليه نجوى * وقال الزمخشرى أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه * وقال ابن عيسى كل سرار نجوى * وقال ابن سراقة السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين أكثر * قيل نزلت فى المنافقين واختص الثلاثة والخمسة لان المنافقين كانوا يتناجون على هذين العددين مغايظة لأهل الايمان والجملة بعد الا فى المواضع الثلاثة فى موضع الحال وكونه تعالى رابعهم وسادسهم ومعهم بالعلم وإدراك ما يتناجون به * وقال ابن عباس نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن أمية تحدثوا فقال أحدهم أترى الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا فقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله * ولا أدنى من ذلك اشارة الى الثلاثة والخمسة والأدنى من الثلاثة الاثنين ومن الخمسة الأربعة ولا أكثر يدل على ما يلى الستة فصاعدا * وقرأ الجمهور ولا أكثر عطفا على لفظ المخفوض والحسن وابن أبى اسحاق والأعمش وأبو حيوة وسلام ويعقوب بالرفع عطفا على موضع نجوى ان أريد به المتناجون ومن جعله مصدرا محضا على حذف مضاف أى ولا نجوى أدنى ثم حذف وأقيم المضاف اليه مقامه فأعرب باعرابه ويجوز أن يكون ولا أدنى مبتدأ والخبر الا هو معهم فهو من عطف الجمل وقرأ الحسن أيضا ومجاهد والخليل ابن أحمد ويعقوب أيضا ولا أكبر بالباء بواحدة والرفع واحتمل الاعرابين العطف على الموضع والرفع بالابتداء * وقرئ ينبئهم بالتخفيف والهمز وزيد بن على بالتخفيف وترك الهمز وكسر الهاء والجمهور بالتشديد والهمز وضم الهاء * قوله عز وجل ﴿ ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير * يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون * إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون * يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل لكم انشزوا فانشزوا يرفع الله

الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ نزلت ألم تر فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون اليهم ويتغامزون بأعينهم عليهم موهمين المؤمنين من أقربائهم أنهم أصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى يقدم أقرباؤهم فلما كثر ذلك منهم شكا المؤمنون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فنزلت قاله ابن عباس * وقال مجاهد نزلت فى اليهود * وقال ابن السائب فى المنافقين * وقرأ الجمهور ويتناجون وحمزة وطلحة والأعمش ويحيى بن وثاب ورويس وينتجون مضارع انتجى بما لم يحيك به الله كانوا يقولون السام عليك وهو الموت فيرد عليهم وعليكم وتحية الله لأنبيائه وسلام على عباده الذين اصطفى * لولا يعذبنا الله بما نقول أى ان كان نبيا فما له لا يدعو علينا حتى نعذب بما نقول فقال تعالى حسبهم جهنم ثم نهى المؤمنين أن يكون تناجيهم مثل تناجى الكفار وبدأ بالاثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته فى النفوس اذ هى ظلامات العباد ثم ترقى الى ما هو أعظم وهو معصية الرسول عليه الصلاة والسلام وفى هذا طعن على المنافقين اذ كان تناجيهم فى ذلك * وقرأ الجمهور فلا تتناجوا وأدغم ابن محيصن التاء فى التاء * وقرأ الكوفيون والأعمش وأبو حيوة ورويس فلا تنتجوا مضارع انتجى والجمهور بضم عين العدوان وأبو حيوة بكسرها حيث وقع والضحاك ومعصيات الرسول على الجمع * والجمهور على الافراد * وقرأ عبد الله اذا انتجيتم فلا تنتجوا وأل فى انما النجوى للعهد فى نجوى الكفار بالاثم والعدوان وكونها من الشيطان لأنه هو الذى يزينها لهم فكأنها منه * ليحزن الذين آمنوا كانوا يوهمون المؤمنين أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا * وليس أى التناجى أو الشيطان أو الحزن بضارهم أى المؤمنين الا باذن الله أى بمشيئته فيقضى بالقتل أو الغلبة * وقال ابن زيد هى نجوى قوم من المسلمين يقصدون مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس لهم حاجة ولا ضرورة يريدون التبجح بذلك فيظن المسلمون أن ذلك فى اخبار بعدو وقاصدا نحوه * وقال عطية العوفى نزلت فى المناجاة التى يراها المؤمن فى النوم تسوءه فكأنه نجوى يناجى بها انتهى ولا يناسب هذا القول ما قبل الآية ولا ما بعدها وتقدمت القراءتان فى نحو ليحزن * وقرئ بفتح الياء والزاى فيكون الذين فاعلا وفى القراءتين مفعولا ولما نهى تعالى المؤمنين عن ما هو سبب التباغض والتنافر أمرهم بما هو سبب التواد والتقارب فقال يا أيها الذين آمنوا الآية * قال مجاهد وقتادة والضحاك كانوا يتنافسون فى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض * وقال ابن عباس المراد مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب * وقال الحسن ويزيد بن أبى حبيب كان الصحابة يتشاحون على الصف الأول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة فى الشهادة فنزلت * وقرأ الجمهور تفسحوا وداود بن أبى هند وقتادة وعيسى تفاسحوا والجمهور فى المجلس وعاصم وقتادة وعيسى فى المجالس * وقرئ فى المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه والظاهر أن الحكم مطرد فى المجالس التى للطاعات وان كان السبب مجلس الرسول * وقيل الآية مخصوصة بمجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكذا مجالس العلم ويؤيده قراءة من قرأ فى المجالس ويتأول الجمع على أن لكل أحد مجلسا فى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وانجزم يفسح الله على جواب الامر فى رحمته أو فى منازلكم فى الجنة أو فى قبوركم أو فى قلوبكم أو فى الدنيا والآخرة أقوال * واذا قيل انشزوا أى انهضوا فى المجلس للتفسح لان مريد التوسعة على الوارد يرتفع الى فوق فيتسع الموضع أمروا أولا

ابن مسعود وغيره ثم الكلام عند قوله منكم وانتصب والذين أوتوا العلم بفعل مضمر تقديره ويخص الذين أوتوا العلم درجات فللمؤمنين رفع وللعلماء درجات

﴿ بين يدى نجواكم ﴾ استعارة والمعنى قبل نجواكم وعن ابن عباس أن قوما من المؤمنين وأغفالهم كثرت مناجاتهم للرسول عليه السلام فى غير حاجة الا لتظهر منزلتهم وكان صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد أحدا فنزلت مشددة عليهم أمر المناجاة وهذا الحكم قيل نسخ قبل العمل به فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قال على كرم الله وجهه ما عمل به أحد غيرى أردت المناجاة ولى دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت عشر مرار أتصدق فى كل مرة بدرهم ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس فنزلت الرخصة فى ترك الصدقة ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ الذين تولوا هم المنافقون والقوم المغضوب عليهم هم اليهود قال السدى ومقاتل انه عليه السلام قال لأصحابه يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله ابن أبى بن سلول وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية فقال عليه السلام علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له فعلت فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت والضمير فى ماهم عائد على الذين تولوا وهم المنافقون أى ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا منهم أى وليسوا من الذين تولوا وهم اليهود وما هم استئناف إخبار بأنهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما قال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين لانه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾ أى أحاط بهم من كل جهة وغلب على نفوسهم واستولى عليها ﴿ فأنساهم ذكر الله ﴾ فهم لا يذكرونه لا بقلوبهم ولا بألسنتهم وحزب الشيطان جنده ﴿ أولئك فى الأذلين ﴾ هى أفعل التفضيل أى فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم ﴿ كتب الله لأغلبن ﴾ أى كتب فى اللوح المحفوظ ﴿ ورسلى ﴾ أى من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة ﴿ إن الله قوى ﴾ ينصر حزبه ﴿ عزيز ﴾ يمنعه من أن يذل و بدأ فى قوله

---

بالتفسح ثم ثانيا بامتثال الامر فيه اذا انفروا * وقال الحسن وقتادة والضحاك معناه اذا دعوا الى قتال وصلاة أو طاعة نهضوا * وقيل اذا دعوا الى القيام عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم نهضوا اذ كان عليه الصلاة والسلام أحيانا يؤثر الانفراد فى أمر الاسلام * وقرأ أبو جعفر وشيبة والاعرج وابن عامر ونافع وحفص بضم الشين فى اللفظين والحسن والأعمش وطلحة وبقى السبعة بكسرها والظاهر أن قوله والذين أوتوا العلم معطوف على الذين آمنوا والعطف مشعر بالتغاير وهو من عطف الصفات والمعنى يرفع الله المؤمنين العلماء درجات فالوصفان لذات واحدة * وقال ابن مسعود وغيره تم الكلام عند قوله منكم وانتصب والذين أوتوا العلم بفعل مضمر تقديره ويخص الذين أوتوا العلم درجات فللمؤمنين رفع وللعلماء درجات بين يدى نجواكم استعارة والمعنى قبل نجواكم وعن ابن عباس وقتادة أن قوما من المؤمنين وأغفالهم كثرت مناجاتهم للرسول عليه الصلاة والسلام فى غير حاجة الا لتظهر منزلتهم وكان صلى الله عليه وسلم سمحا لا يرد أحدا فنزلت مشددة عليهم أمر المناجاة وهذا الحكم قيل نسخ قبل العمل به * وقال قتادة عمل به ساعة من نهار * وقال مقاتل عشرة أيام * وقال على كرم الله وجهه ما عمل به أحد غيرى أردت المناجاة ولى دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت عشر مرار أتصدق فى كل مرة بدرهم ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس فنزلت الرخصة فى ترك الصدقة * وقرئ صدقات بالجمع * وقال ابن عباس هى منسوخة بالآية التى بعدها * وقيل بآية الزكاة * أأشفقتم أخفتم من ذهاب المال فى الصدقة أو من العجز عن وجودها تتصدقون به * فاذ لم تفعلوا ما أمرتم به وتاب الله عليكم عذركم ورخص لكم فى أن لا تفعلوا فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وأفعال الطاعات * وقرأ عباس عن أبى عمرو خبير بما يعملون بالياء من تحت والجمهور بالتاء * قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم * أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون * أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين * لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون * استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون * إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز * لا تجد

قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ الذين تولوا هم المنافقون والمغضوب عليهم هم اليهود عن السدى ومقاتل أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن أبى بن سلول وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية فقال عليه الصلاة والسلام علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام له فعلت فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت والضمير فى ما هم عائد على الذين تولوا وهم المنافقون أى ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا منهم أى ليسوا من الذين تولوهم وهم اليهود وما هم استئناف اخبار بأنهم مذبذبون لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال عليه الصلاة والسلام مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين لأنه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه * وقال ابن عطية يحتمل تأويلا آخر وهو أن يكون قوله ما هم يريد به اليهود وقوله ولا منهم يريد به المنافقين فيجىء فعل المنافقين على هذا التأويل أحسن لانهم تولوا مغضوبا عليهم ليسوا من أنفسهم فيلزمهم ذمامهم ولا من القوم المحقين فتكون الموالاة صوابا انتهى والظاهر التأويل الاول لان الذين تولوا هم المحدث عنهم والضمير فى ويحلفون عائد عليهم فتتناسق الضمائر لهم ولا تختلف وعلى هذا التأويل يكون ما هم استئنافا وجاز أن يكون حالا من ضمير تولوا وعلى احتمال ابن عطية يكون ما هم صفة لقوم ويحلفون على الكذب إما انهم ما سبوا كما روى فى سبب النزول أو على أنهم مسلمون والكذب هو ما ادعوه من الاسلام وهم يعلمون جملة حالية يقبح عليهم اذ حلفوا على خلاف ما أبطنوا فالمعنى وهم عالمون متعمدون له والعذاب الشديد المعد لهم فى الآخرة * وقرأ الجمهور أيمانهم جمع يمين والحسن إيمانهم بكسر الهمزة أى ما يظهرون من الايمان جنة أى ما يستترون به ويتقون المحذور وهو الترس فصدوا أى أعرضوا أو صدوا الناس عن الاسلام اذ كانوا يثبطون من لقوا عن الاسلام ويضعفون أمر الايمان وأهله أو صدوا المسلمين عن قتلهم باظهار الايمان وقتلهم هو سبيل الله فيهم لكن ما أظهروه من الاسلام صدوا به المسلمين عن قتلهم * لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ تقدم الكلام على هذه الجملة فى أوائل آل عمران * فيحلفون له أى لله تعالى ألا ترى الى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين كما يحلفون لكم انهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين والعجب منهم كيف يعتقدون ان كفرهم يخفى على عالم الغيب والشهادة ويجرونه مجرى المؤمنين فى عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم والمقصود انهم مقيمون على الكذب قد تعودوه حتى كان على ألسنتهم فى الآخرة كما كان فى الدنيا ويحسبون انهم على شئ أى شئ نافع لهم * استحوذ عليهم الشيطان أى أحاط بهم من كل جهة وغلب على نفوسهم واستولى عليها وتقدمت هذه المادة فى قوله تعالى ألم نستحوذ عليكم فى النساء وانها من حاذ الحمار العانة اذا ساقها وجمعها غالبا لها ومنه كان احوذيا نسيج وحده * وقرأ عمر استحاذ أخرجه على الأصل والقياس واستحوذ شاذ فى القياس فصيح فى الاستعمال فأنساهم ذكر الله فهم لا يذكرونه لا بقلوبهم ولا بألسنتهم وحزب الشيطان جنده قاله ابو عبيدة * أولئك فى الأذلين هى أفعل التفضيل أى فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لا ترى أحدا أذل منهم وعن مقاتل لما فتح الله مكة للمؤمنين والطائف وخيبر وما حولها قالوا نرجو أن يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله بن أبى

﴿ ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ﴾ أولا بالآباء لان الواجب على الأولاد طاعتهم فنهاهم عن توادهم ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلوب ثم أتى ثالثا باخوان لان بهم التعاضد ثم أتى رابعا بالعشيرة لان بها التناصر وبهم المقاتلة والتغلب والتسرع اذا ما دعوا ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ تعالى وهو الهدى والنور واللطف والاشارة بأولئك كتب الى الذين لا يوادون من حادّ الله ورسوله قيل والآية نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وقيل وهو الظاهر انها متصلة بالآى التى قبلها فى المنافقين الموالين لليهود وقيل غير ذلك

أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لأكثر عددا وأشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت كتب الله لأغلبن أنا ورسلي كتب أي في اللوح المحفوظ أو قضى * وقال قتادة بمعنى قال ورسلي أي من بعثت منهم بالحرب ومن بعثت منهم بالحجة * ان الله قوي ينصر حزبه عزيز يمنعه من أن يذل * لا تجد قوما قال الزمخشري من باب التخييل خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين والغرض منه أنه لا ينبغي أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتصلب في مجانبة أعداء الله وزاد ذلك تأكيدا بقوله ولو كانوا آباءهم انتهى وبدأ بالآباء لانهم الواجب على الأولاد طاعتهم فنهاهم عن موادتهم وقال تعالى وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلوب ثم أتى ثالثا بالاخوان لانهم بهم التعاضد كما قيل

أخاك أخاك ان من لا أخا له * كساع الى الهيجا بغير سلاح

ثم رابعا بالعشيرة لان بها التناصر وبهم المقاتلة والتغلب والتسرع الى ما دعوا اليه كما قال

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

* وقرأ الجمهور كتب مبنيا للفاعل في قلوبهم الايمان نصبا أي كتب الله وأبو حيوة والمفضل عن عاصم كتب مبنيا للمفعول والايمان رفع * والجمهور أو عشيرتهم على الافراد وأبو رجاء على الجمع والمعنى أثبت الايمان في قلوبهم وأيدهم بروح منه تعالى وهو الهدى والنور واللطف * وقيل الروح القرآن * وقيل جبريل يوم بدر * وقيل الضمير في منه عائد على الايمان والايمان في نفسه روح بحيا به المؤمن والاشارة بأولئك كتب الى الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله * قيل والآية نزلت في أبي حاطب بن أبي بلتعة * وقيل الظاهر انها متصلة بالآى التي في المنافقين الموالين لليهود * وقيل نزلت في ابن أبي وأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان منه سب للرسول صلى الله عليه وسلم فصكه أبو بكر صكة سقط منها فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام أو فعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته * وقيل في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله ابن الجراح يوم أحد وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وفي مصعب بن عمير قتل أخاه بن عمير يوم أحد * وقال ابن شوذب يوم بدر وفي عمر قتل خاله العاصي بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيد بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر * وقال الواقدي في قصة أبي عبيدة انه قتل أباه قال كذلك يقول أهل الشام وقد سألت رجالا من بني فهر فقالوا توفي أبوه قبل الاسلام انتهى يعنون في الجاهلية قبل ظهور الاسلام * وقد رتب المفسرون ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم على قصة أبي عبيدة وأبي بكر ومصعب وعمر وعلي وحمزة وعبيد مع أقربائهم والله تعالى أعلم

## ﴿ سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي

المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار * ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب * ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين * وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب * للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم * ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون * لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون * لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون * كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون * لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ * اللينة قال الأخفش كأنه لون من النخيل أي ضرب منه وأصلها لونة قلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وأنشد

قد شجاني الأصحاب لما تغنوا * بفراق الأحباب من فوق لينه

انتهى وجمعها لين كتمرة وتمر وقد كسر وه على ليان وتكسير ما بينه وبين واحده هاء التأنيث شاذ كرطبة ورطب شذوا فيه فقالوا أرطاب * وقال الشاعر

وسالفة كسحوق الليان * أضرم فيها الغوي السعر

وقال أبو الحجاج الأعلم الليان جمع لينة وهي النخلة انتهى وتأتي أقوال المفسرين في اللينة * أوجف البعير حمله على الوجيف وهو السير السريع تقول وجف البعير يجف وجفا ووجيفا ووجفانا قال العجاج * ناج طواه الأين مما وجفا * وقال نصيب

ألا رب ركب قد قطعت وجيفهم * إليك ولولا أنت لم يوجف الركب

﴿ سورة الحشر ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ سبح لله مافى السموات ﴾ الآية هذه السورة مدنية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر حال المنافقين واليهود وتولى بعضهم بعضا ذكر أيضا ما حل باليهود من غضب الله تعالى عليهم وجلائهم وامكان الله تعالى رسوله ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول وأظهر العداوة بحلفهم مع قريش وقيل نزلت فى بنى النضير وتعد من المدينة لتدانيهما منها وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة فأخبر جبريل عليه السلام الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وكان أخاه من الرضاع ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ وأيسوا من نصر المنافقين اياهم فطلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من المتاع فجلوا الى الشام الى أريحاء وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فلحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة وقبض أموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا ﴿ ماقطعتم من لينة ﴾ اللينة قال الأخفش لون من النخل أى ضرب منه وأصلها لونة وقال أبو عبيدة اللينة ماثمرها لون وهى نوع من التمر يقال له اللون وقال الاصمعى هى الدقل وما شرطية منصوبة بقطعتم ومن لينة تبيين لابهام ما وجواب الشرط ﴿ فباذن الله ﴾ أى قطعها أو تركها باذن الله والضمير فى ﴿ تركتموها ﴾ عائد على معنى ما وقرئ قائما اسم فاعل مذكر على لفظ ما وأنث فى على أصولها وما فى قوله ﴿ وما أفاء الله ﴾ شرطية أو موصولة وأفاء  بمعنى يفئ ولا يكون ماضيا فى اللفظ والمعنى لان فعل الشرط لا يكون ماضيا فى المعنى وكذلك صلة ما الموصولة اذا كانت الفاء فى خبرها لانها اذ ذاك شبهت باسم الشرط فان كانت الآية نزلت قبل جلائهم كانت مخبرة بغيب فوقع كما أخبرت وان كانت نزلت بعد حصول أموالهم له صلى الله عليه

وسلم كان ذلك بيانا لما يستقبل وحكم الماضى المتقدم حكمه ومن فى ﴿ من خيل ﴾ زائدة لان المفعول يدل على الاستغراق ﴿ والركاب ﴾ الابل سلط الله تعالى رسوله عليهم وعلى ما فى أيديهم ولما جلا بنو النضير عن أوطانهم وتركوا رباعهم وأموالهم طلب المسلمون تخميسا كغنائم بدر فنزل وما أفاء الله على رسوله بين أن أموالهم فىء لم يوجف عليها خيل ولا ركاب ولا قطعت مسافة انما كانوا ميلين من المدينة مشوا مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب كانت أموال بنى النضير لرسول الله خاصة ينفق منها على أهله نفقة سنة ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة للمسلمين فى سبيل الله تعالى ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ أهل القرى المذكورون فى هذه الآية هم أهل الصفراء وينبع ووادى القرى وماهنالك من قرى العرب التى تسمى قرى عرينة وحكمها مخالف لبنى النضير ولم يحبس من هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيأ بل أمضاها لغيره وذلك انها فتحت فى ذلك الوقت وقيل الآية الاولى خاصة فى بنى النضير وهذه الآية عامة والضمير فى تكون بالتأنيث عائد على معنى ما اذ المراد به الاموال والمغانم وذلك الضمير هو اسم تكون وكذلك من قرأ بالياء أعاد الضمير على لفظ ما أى يكون الفىء وانتصب ﴿ دولة ﴾ على الخبر ومن رفع دولة فتكون تامة ودولة فاعل وكيلا يكون تعليل لقوله لله وللرسول أى فالفىء وحكمه لله وللرسول يقسمه على ما أمره الله تعالى ﴿ كيلا يكون ﴾ أى الفىء الذى حقه أن يعطى للفقراء بلغة يعيشون به متداولا بين الاغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم كما كان رؤساؤهم يستأثرون بالغنائم ويقولون من عزبز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية روى أن قوما من الأنصار تكلموا فى هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا منها سهمنا فنزل ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾

﴿ سبح لله مافى السموات ومافى الأرض وهو العزيز الحكيم * هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار * ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب * ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين * وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد

العقاب ﴾ هذه السورة مدنية * وقيل نزلت في بني النضير وتعدمن المدينة لتدانيهامنها وكان بنو النضير صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأخبر جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فأمر بقتل كعب فقتله محمد بن مسلمة غيلة وكان أخاه من الرضاعة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين أتاهم في دية المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله تعالى فلما قتل كعب أمر عليه الصلاة والسلام بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها الزهرة فسار وا وهو عليه الصلاة والسلام على حمار مخطوم بليف فوجدهم ينوحون على كعب وقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم مر أمرك فقال اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب لنا من ذلك وتنادوا بالحرب * وقيل استمهلوه عشرة أيام ليتجهزوا للخروج ودس المنافق عبد الله بن أبي وأصحابه أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم وان أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخرج في ثلاثين من أصحابك ويخرج منا ثلاثون ليسمعوا منك فان صدقوا آمنا كلنا ففعل فقالوا كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا ففعلوا فاشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك فأرسلت امرأة منهم ناصحة الى أخيها وكان مسلما فأخبرته بما أرادوا فأسرع الى الرسول عليه الصلاة والسلام فساره بخبرهم قبل أن يصل الرسول اليهم فلما كان من الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فطلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاؤا من المتاع فجلوا الى الشام الى أريحاء وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فلحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وقبض أموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا وكان ابن أبي قد قال لهم معي ألفان من قومي وغيرهم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فلما نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان * ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر حال المنافقين واليهود وتولى بعضهم بعضا ذكر أيضا ما حل باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم وامكان الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول عليه الصلاة والسلام وأظهر العداوة بحلفهم مع قريش وتقدم الكلام في تسبيح الجمادات التي يشملها العموم المدلول عليه بما من أهل الكتاب هم قريظة وكانت قبيلة عظيمة توازن في القدر والمنزلة بني النضير ويقال لهما الكاهنان لانهما من ولد الكاهن بن هرون نزلوا قريبا من المدينة في فتن بني اسرائيل انتظار المحمد صلى الله عليه وسلم فكان من أمرهم ما قصه الله تعالى في كتابه من ديارهم يتعلق باخرج ومن أهل الكتاب يتعلق بمحذوف أي كائنين من أهل الكتاب وصحت الاضافة اليهم لانهم كانوا برية لا عمران فيها فبنوا فيها وأنشأوا واللام في لاول الحشر تتعلق باخرج وهي لام التوقيت كقوله لدلوك الشمس والمعنى عند أول الحشر والحشر الجمع للتوجيه الى ناحية ناوا الجمهور الى ان هؤلاء الذين أخرجواهم بنو النضير * وقال الحسن هم بنو قريظة ورد هذا بان بني قريظة ماحشروا ولا أجلوا وانما قتلوا وهذا الحشر هو بالنسبة لاخراج بني النضير * وقيل

الحشر هو حشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتائب لقتالهم وهو أول حشر منه لهم وأول قتال قاتلهم وأول يقتضي ثانيا * فقيل الأول حشرهم للجلاء والثاني حشر عمر لأهل خيبر وجلاؤهم وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بجلاء أهل خيبر بقوله صلى الله عليه وسلم لا يبقين دينان في جزيرة * وقال الحسن أراد حشر القيامة أي هذا أوله والقيام من القبور آخره * وقال عكرمة والزهري المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال لبني النضير اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر * وقيل الثاني نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وهذا الجلاء كان في ابتداء الاسلام وأما الآن فقد نسخ فلا بد من القتل والسبي أو ضرب الجزية * ماظننتم أن يخرجوا لعظم أمرهم ومنعتهم وقوتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم * وظنوا أنهم تمنعهم حصونهم من حرب الله وبأسه ولما كان ظن المؤمنين منفيا هنا أجرى مجرى نفي الرجاء والطمع فتسلط على أن الناصبة للفعل كما يتسلط الرجاء والطمع ولما كان ظن اليهود قويا جدا يكاد أن يلحق بالعلم تسلط على أن المشددة وهي التي يصحبها غالبا فعل التحقيق كعلمت وتحققت وأيقنت وحصونهم الوصم والمبضاة والسلاليم والكتيبة * وقال الزمخشري (فان قلت) أي فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه (قلت) في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم انتهى يعني أن حصونهم هو المبتدأ ومانعتهم الخبر ولا يتعين هذا بل الراجح أن يكون حصونهم فاعلة بمانعتهم لأن في توجيهه تقديما وتأخيرا وفي اجازة مثله من نحو قائم زيد على الابتداء والخبر خلاف ومذهب أهل الكوفة منعه فأتاهم الله أي بأسه من حيث لم يحتسبوا أي لم يكن في حسابهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف قاله السدي وأبو صالح وابن جريج وذلك مما أضعف قوتهم وقذف في قلوب الرعب فسلب قلوبهم الامن والطمأنينة حتى نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين * قال قتادة خرب المؤمنون من خارج ليدخلوا وخربوا هم من داخل ونحوه * قال الضحاك والزجاج وغيرهما كانوا كلما خرب المسلمون من حصونهم هدموا هم من البيوت خربوا الحصن * وقال الزهري وغيره كانوا لما أبيح لهم ما تستقل به الابل لا يدعون خشبة حسنة ولا سارية الا قلعوها وخربوا البيوت عنها فيكون قوله وأيدي المؤمنين اسناد التخريب اليها من حيث كان المؤمنون محاصرتهم اياهم داعية الى ذلك * وقيل شحوا على بقائها سليمة فخربوها افسادا * وقرأ قتادة والجحدري ومجاهد وأبو حيوة وعيسى وأبو عمرو يخربون مشددا وباقي السبعة مخففا والقراءتان بمعنى واحد عدي خرب اللازم بالتضعيف وبالهمزة * وقال صاحب الكامل في القراآت التشديد الاختيار على التكثير * وقال أبو عمرو بن العلاء خرب بمعنى هدم وأفسد وأخرب ترك الموضع خرابا وذهب عنه * فاعتبروا تفطنوا لما دبر الله من اخراجهم بتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال * وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فقال فكان كما قال ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي لولا أنه تعالى قضى أنه سيجليهم من ديارهم ويبقون مدة يؤمن بعضهم ويولد لبعضهم من يؤمن لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل بأخوانهم بني قريظة وكان بنو النضير من الجيش الذين عصوا موسى في كونهم لم يقتلوا

( الدر )

* سورة الحشر *

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) فان قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه * قلت تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم انتهى (ح) يعني أن حصونهم هو المبتدأ ومانعتهم الخبر ولا يتعين هذا بل يترجح أن تكون حصونهم فاعلة بمانعتهم لان في توجيهه تقديما وتأخيرا وفي إجازة مثله من نحو قائم زيد على الابتداء والخبر خلاف ومذهب أهل الكوفة منعه

الغلام ابن ملك العماليق تركوه لجماله وعقله * وقال موسى عليه السلام لاتستحيوا منهم أحدا فلما رجعوا الى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد مات * فقال لهم بنو اسرائيل أنتم عصاة والله لادخلتم علينا بلادنا فانصرفوا الى الحجاز فكانوا فيه فلم يجر عليهم الجلاء الذى أجلاه بخت نصر على أهل الشام وكان الله قد كتب على بنى اسرائيل جلاء فنالهم هذا الجلاء على يد محمد صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا بالسيف والقتل كأهل بدر وغيرهم ويقال جلا القوم عن منازلهم وأجلاهم غيرهم * قيل والفرق بين الجلاء والاخراج أن الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد * وقال الماوردى الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج قد يكون لواحد ولجماعة * وقرأ الجمهور الجلاء ممدودا والحسن بن صالح وأخوه على بن صالح مقصورا وطلحة مهموزا من غير ألف كالنبأ ولهم فى الآخرة عذاب النار أى ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا فى الآخرة * وقرأ طلحة ومن يشاقق بالاظهار كالمتفق عليه فى الانفال والجمهور بالادغام كان بعض الصحابة قد شرع فى بعض نخل بنى النضير يقطع ويحرق وذلك فى صدر الحرب فقالوا ماهذا الافساد يا محمد وأنت تنهى عن الافساد فكفوا عن ذلك ونزل ما قطعتم من لينة الآية ردا على بنى النضير واخبارا أن ذلك بتسويغ الله وتمكينه ليخزيكم به ويذلكم واللينة والنخلة اسمان بمعنى واحد قاله الحسن ومجاهد وابن زيد وعمرو بن ميمون * وقال الشاعر

كأن قيودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

﴿ وقال آخر ﴾

طراق الخوافى واقع فوق لينة * ندى ليلة فى ريشه يترقرق

* وقال ابن عباس وجماعة من أهل اللغة هى النخلة مالم تكن عجوة * وقال الثورى الكريمة من النخل * وقال أبو عبيدة وسفيان ماتمرها لون وهو نوع من التمر يقال له اللون * قال سفيان هو شديد الصفرة يشف عن نواه فيرى من خارج * وقال أيضا أبو عبيدة اللين ألوان النخل المختلطة التى ليس فيها عجوة ولا برنى * وقال جعفر بن محمد هى العجوة * وقيل هى السيلان وأنشد فيه

غرسوا لينة بمجرى معين * ثم حف النخيل بالآجام

* وقيل هى أغصان الاشجار للينها فعلى هذا لا يكون أصل الياء الواو * وقيل هى النخلة القصيرة * وقال الأصمعى هى الدقل وما شرطية منصوبة بقطعتم ومن لينة تبيين لابهام ما وجواب الشرط فباذن الله أى فقطعها أو تركها باذن الله * وقرأ الجمهور قائمة أنث قائمة والضمير فى تركتموها على معنى ما * وقرأ عبد الله والأعمش وزيد بن على قوما على وزن فعل كضرب جمع قائم * وقرئ قائما اسم فاعل فذكر على لفظ ما وأنث فى على أصولها * وقرئ أصلها بغير واو ولما جلا بنو النضير عن أوطانهم وتركوا رباعهم وأموالهم طلب المسلمون تخميسها كغنائم بدر فنزلت ما أفاء الله على رسوله بين أن أموالهم فىء لم يوجف عليها خيل ولا ركاب ولا قطعت مسافة انما كانوا ميلين من المدينة مشوا مشيا ولم يركب الارسول الله صلى الله عليه وسلم * قال عمر بن الخطاب كانت أموال بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق منها على أهله نفقة سنته ثم يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله تعالى * وقال الضحاك كانت له عليه الصلاة والسلام فآثر بها المهاجرين وقسمها عليهم ولم يعط الانصار منها شيأ الا أبادجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة أعطاهم لفقرهم وما فى قوله وما آفاء الله على رسوله شرطية أو موصولة وأفاء

بمعنى بني ، ولا يكون ماضيا في اللفظ والمعنى ولذلك صلة ما الموصولة اذا كانت الباء في خبرها لانها
اذ ذاك شبهت باسم الشرط فان كانت الآية نزلت قبل جلائهم كانت مخبرة بغيب فوقع كما أخبرت وان
كانت نزلت بعد حصول أموالهم للرسول صلى الله عليه وسلم كان ذلك بيانا لما يستقبل وحكم الماضي
المتقدم حكمه ومن في من خيل زائدة في المفعول يدل عليه الاستغراق والركاب الابل سلط الله
رسوله عليهم وعلى ما في أيديهم كما كان يسلط رسله على من يشاء من أعدائهم * وقال بعض العلماء
كل ما وقع على الائمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة * ما آ فاء الله على رسوله من أهل القرى * قال
الزمخشري لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير أجنبية عنها بين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوم
على الأقسام الخمسة انتهى * وقال ابن عطية أهل القرى المذكورون في هذه الآية هم أهل الصفراء
و ينبع و وادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عرينة وحكمها مخالف لبني
النضير ولم يحبس من هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيأ بل أمضاها لغيره وذلك انها في ذلك
الوقت فتحت انتهى * وقيل ان الآية الاولى خاصة في بني النضير وهذه الآية عامة * وقرأ الجمهور كي
لا يكون بالياء وعبد الله وأبو جعفر وهشام بالتاء * والجمهور دولة بضم الدال ونصب التاء وأبو
جعفر وأبو حيوة وهشام بضمها وعلي والسلمي بفتحها * قال عيسى بن عمر هما بمعنى واحد * وقال
الكسائي وحذاق البصرة الفتح في الملك بضم الميم لانها الفعلة في الدهر والضم في الملك بكسر الميم
والضمير في تكون بالتأنيث عائد على معنى ما اذ المراد به الأموال والمغانم وذلك الضمير هو اسم
يكون وكذلك من قرأ بالياء أعاد الضمير على لفظ ما أي يكون الفيء وانتصب دولة على الخبر ومن
رفع دولة فتكون تامة ودولة فاعل وكيلا يكون تعليل لقوله فلله وللرسول أي فالفيء وحكمه لله
وللرسول يقسمه على ما أمره الله تعالى كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى للفقراء بلغة يعيشون
بها متداولا بين الأغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم كما كان رؤساؤهم يستأثرون
بالغنائم ويقولون من عز بز والمعنى كي لا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية * وروي ان قوما من
الانصار تكلموا في هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا منها سهمنا فنزل وما آ تاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا * وعن الكلبي ان رؤساء من المسلمين قالوا له يارسول الله خذ صفيك والربع
ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية فنزل وما آ تاكم الرسول فخذوه الآية وهذا عام يدخل
فيه قسمة ما أفاء الله والغنائم وغيرها حتى انه قد استدل بهذا العموم على تحريم الخمر وحكم الواشمة
والمستوشمة وتحريم المخيط للمحرم (ومن غريب الحكايات في الاستنباط) ان الشافعي رحمه الله
تعالى قال سلوني عما شئتم أخبركم به من كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد
الله بن محمد بن هرون ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال قال الله تعالى وما آ تاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا * وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش
عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر
* وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن
الخطاب انه أمر بقتل الزنبور انتهى ويعني في الاحرام بين انه يقتدى بعمر وان الرسول صلى الله
عليه وسلم أمر بالاقتداء به وان الله تعالى أمر بقبول ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم * قوله
عز وجل ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا

القربى الغني انما يستحق ذو القربى الفقير فالفقر شرط فيه والشافعي يرى أن الاستحقاق بسبب القرابة فيأخذ ذو القربى الغني بقرابته ثم وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم ويوجب الاشفاق عليهم

( الدر )

(ح) من غريب الحكايات في الاستنباط أن الشافعي قال سلوني عما شئتم أخبركم به من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن محمد بن هرون ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال قال الله تعالى وما آ تاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة ابن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر ابن الخطاب انه أمر بقتل الزنبور انتهى يعني في الاحرام بين انه يقتدى بعمر وأن الرسول أمر بالاقتداء به وأن الله أمر بقبول ما يقوله رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿أولئك هم الصادقون﴾ في إيمانهم وجهادهم قولا وفعلا والظاهر أن قوله والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فيكون قد وقع منهم الاشتراك فيما يقسم من الأموال وقيل هو مستأنف مرفوع بالابتداء والخبر يحبون أثنى تعالى عليهم بهذه الخصال الجليلة كما أثنى على المهاجرين بقوله يبتغون الخ والايمان معطوف على الدار وهي المدينة والايمان ليس مكانا فيتبوأ فقيل هو من عطف الجمل أي واعتقدوا الايمان وأخلصوا فيه قاله أبو علي وقيل تبوؤا ضمن معنى آثر واقتصر على اثنين ﴿والذين جاؤا من بعدهم﴾ الظاهر أنه معطوف على ماقبله من المعطوف على المهاجرين فقال الفراء هم الفرقة الثالثة من الصحابة وهي من آمن أو كبر في آخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل والذين جاؤا من بعدهم مقطوع مما قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات فاعراب والذين مبتدأ ندبوا بالدعاء للاولين والثناء عليهم وهم من يجيء بعد الصحابة الى يوم القيامة والخبر يقولون أخبر تعالى عنهم بأنهم لايمانهم ومحبة أسلافهم ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا﴾ وعلى القول الاول يكون يقولون استئناف اخبار قيل أو حال ﴿ألم تر الى الذين نافقوا﴾ نزلت في عبد الله بن أبي ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقي الأنصار كانوا بعثوا الى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله يقولون واللام في لاخوانهم للتبليغ والأخوة بينهم الكفر وموالاتهم ﴿ولا نطيع فيكم﴾ أي في قتالكم أحدا من الرسول والمؤمنين واخلاف ماوعدناكم من النصرة ﴿ولننصرنكم﴾ جواب قسم محذوف قبل ان الشرطية وجواب إن محذوف والكثير في كلام العرب  اثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل أداة الشرط ومن حذفها قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن التقدير ولئن لم ينتهوا لكاذبون أي في مواعيدهم لليهود وفي ذلك دليل على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم لانه إخبار بالغيب ﴿ولئن قوتلوا لاينصرونهم﴾ قد أخبر أنهم لاينصرونهم فلا يمكن نصرهم اياهم بعد إخباره تعالى أنه لايقع واذا كانت الضمائر متفقة فقال ابن عطية معناه ولئن حاولوا ذلك فانهم منهزمون انتهى والظاهر أن الضمير في ليولن الأدبار وفي ثم لاينصرون عائد على المفروض أنهم ينصرونهم أولا أي ولئن نصرهم المنافقون ليولن المنافقون الادبار ثم لاينصر المنافقون ورهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل أشد مرهوبية فالرهبة واقعة منهم لا من المخاطبين والمخاطبون مرهوبون فالمخبر عنه مخوف لا خائف والضمير في صدورهم قيل لليهود والمعنى رهبتهم منكم أشد من رهبتهم من الله ﴿لايقاتلونكم﴾ أي بنو النضير وجميع اليهود ﴿جميعا﴾ أي مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضا ﴿الا في قرى محصنة﴾ لا في صحراء لخوفهم منكم وتحصينها بالدروب والخنادق ﴿أو من وراء جدر﴾ يتسترون به من أن تصيبوهم ﴿بأسهم بينهم﴾ أي اذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان بأسهم شديدا أما اذا قاتلوكم فلا يبقى لهم بأس لان من حارب أولياء الله خذل ﴿تحسبهم جميعا﴾ أي مجتمعين ذوي ألفة واتحاد ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي وأهواؤهم متفرقة وكذا حال المخذولين لايستقر أهواؤهم على شيء واحد وموجب ذلك الشتات وهو انتفاء عقولهم فهم كالبهائم لاتتفق على حالة

ويبنصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون * لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون * لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون * لايقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون ﴾ للفقراء قال الزمخشري بدل من قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول

---

(الدر) (ش) للفقراء بدل من قوله ولذي القربى والمعطوف عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا انتهى (ح) انما جعله (ش) بدلا من قوله ولذي القربى لان مذهب أبي حنيفة لايستحق ذو القربى الغني انما يستحق ذو القربى الفقير فالفقر شرط فيه على مذهب أبي حنيفة ففسره (ش) على مذهبه وأما الشافعي فيرى أن سبب الاستحقاق هو القرابة فيأخذ ذو القربى الغني لقرابته

والمعطوف عليهما وان كان المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وعلا انتهى وانما جعله الزمخشري بدلا من قوله ولذى القربى لانه مذهب أبي حنيفة والمعنى انما يستحق ذو القربى الفقير فالفقر شرط فيه على مذهب أبي حنيفة ففسره الزمخشري على مذهبه واما الشافعي فيرى ان سبب الاستحقاق هو القرابة فيأخذ ذو القربى الغنى لقرابته * وقال ابن عطية للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الاولى مجرورة باللام ليبين بين الأغنياء منكم أي ولكن يكون للفقراء انتهى ثم وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم ويوجب الاشفاق عليهم * أولئك هم الصادقون أي في ايمانهم وجهادهم قولا وفعلا والظاهر ان قوله والذين تبوؤا معطوف على المهاجرين وهم الانصار فيكون قد وقع بينهم الاشتراك فيما يقسم من الأموال * وقيل هو مستأنف مرفوع بالابتداء والخبر يحبون أثنى الله تعالى بهذه الخصال الجليلة كما أثنى على المهاجرين بقوله يبتغون فضلا الخ والايمان معطوف على الدار وهي المدينة والايمان ليس مكانا فيتبوأ * فقيل هو من عطف الجمل أي واعتقدوا الايمان وأخلصوا فيه قاله أبو علي فيكون كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أو يكون ضمن تبوؤا معنى لزموا واللزوم قدر مشترك في الدار والايمان فيصح العطف أو لما كان الايمان قد شملهم صار كالمكان الذي يقيمون فيه لكن يكون ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز * قال الزمخشري أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه أو سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان * وقال ابن عطية والمعنى تبوؤا الدار مع الايمان معا وبهذا الاقتران يصح معنى قوله من قبلهم فتأمله انتهى ومعنى من قبلهم من قبل هجرتهم حاجة أي حسدا مما أوتوا أي مما أعطى المهاجرون ونعم الحاجة ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم في اعطاء المهاجرين من أموال بني النضير والقرى * ويؤثرون على أنفسهم من ذلك قصة الانصاري مع ضيف الرسول صلى الله عليه وسلم حيث لم يكن لهم الا ما يأكل الصبية فأوهمهم انه يأكل حتى أكل الضيف فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام عجب الله من فعلكما البارحة فالآية مشيرة الى ذلك * وروى غير ذلك في ايثارهم والخصاصة الفاقة مأخوذة من خصاص البيت وهو ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتوح فكان حال الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج * وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة شح بكسر الشين * والجمهور باسكان الواو وتخفيف القاف وضم الشين والشح اللؤم وهو كزازة النفس على ما عندها والحرص على المنع * قال الشاعر

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وأضيف الشح الى النفس لانه غريزة فيها * وقال تعالى وأحضرت الأنفس الشح وفي الحديث من أدى الزكاة المفروضة وقرى الضيف وأعطى في النائبة فقد برئ من الشح * والذين جاؤا من بعدهم الظاهر انه معطوف على ما قبله من المعطوف على المهاجرين * فقال الفراء هم الفرقة الثالثة من الصحابة وهو من آمن أو كفر في آخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم * وقال الجمهور أراد من يجيء من التابعين فعلى القول الأول يكون معنى من بعدهم أي من بعد المهاجرين والأنصار السابقين بالايمان وهؤلاء تأخر ايمانهم أو سبق ايمانه وتأخرت وفاته حتى انقرض معظم المهاجرين والأنصار وعلى

القول الثاني يكون معنى من بعدهم أي من بعد ممات المهاجرين مهاجريهم وأنصارهم واذا كان والذين معطوفا على المجرور قبله فالظاهر انهم مشاركون من تقدم في حكم الفيء * وقال مالك بن أوس قرأ عمر وانما الصدقات للفقراء الآية فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم فقال وهذه لهؤلاء ثم قرأ ما أفاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى والذين جاؤا من بعدهم ثم قال لئن عشت لنؤتين الراعي وهو بسير نصيبه منها * وعنه أيضا انه استشار المهاجرين والأنصار فيما فتح الله عليه من ذلك في كلام كثير آخره انه تلا ما أفاء الله على رسوله الآية فلما بلغ أولئك هم الصادقون قال هي لهؤلاء فقط وتلا والذين جاؤا من بعدهم الآية الى قوله رؤف رحيم ثم قال ما بقي أحد من أهل الاسلام إلا وقد دخل في ذلك * وقال عمر رضي الله تعالى عنه لولا من يأتي من آخر الناس ما فتحت قرية إلا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر * وقيل والذين جاؤا من بعدهم مقطوع مما قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات فاعرابه والذين مبتدا ندبوا بالدعاء للأولين والثناء عليهم وهم من يجيء بعد الصحابة الى يوم القيامة والخبر يقولون أخبر تعالى عنهم بأنهم لايمانهم ومحبة أسلافهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا وعلى القول الأول يكون يقولون استئناف اخبار قيل أو حال * ألم تر الى الذين نافقوا الآية نزلت في عبد الله بن أبي ورفاعة بن التابوت وقوم من منافقي الأنصار كانوا بعثوا الى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله يقولون واللام في لاخوانهم للتبليغ والاخوة بينهم اخوة الكفر وموالاتهم ولا نطيع فيكم أي في قتالكم أحدا من الرسول والمؤمنين أو لا نطيع فيكم أي في خذلانكم واخلاف ما وعدنا كم من النصرة ولننصرنكم جواب قسم محذوف قبل ان الشرطية وجواب ان محذوف والكثير في كلام العرب اثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل أداة الشرط ومن حذفها قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين التقدير ولئن لم ينتهوا لكاذبون أي في مواعيدهم لليهود وفي ذلك دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب وانه لم يخرجوا حين أخرج بنو النضير بل أقاموا في ديارهم وهذا اذا كان قوله لاخوانهم انهم بنو النضير * وقيل هم يهود المدينة والضمائر على هذين القولين * وقيل فيها اختلاف أي لئن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون ولئن قوتل اليهود لا ينصرهم المنافقون ولئن نصر اليهود المنافقين ليولي اليهود الادبار وكأن صاحب هذا القول نظر الى قوله ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فقد أخبر انهم لا ينصرونهم فكيف يأتي ولئن نصروهم فأخرجه في حيز الامكان وقد أخبر انهم لا ينصرونهم فلا يمكن نصرهم اياهم بعد اخباره تعالى انه لا يقع واذا كانت الضمائر متفقة فقال الزمخشري معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون * وقال ابن عطية معناه ولئن خالفوا ذلك فانهم ينهزمون انتهى والظاهر ان الضمير في ليولن الادبار وفي ثم لا ينصرون عائد على المفروض انهم ينصرونهم أي ولئن نصرهم المنافقون ليولن المنافقون الادبار ثم لا ينصر المنافقون * وقيل الضمير في التولي عائد على اليهود وكذا في لا ينصرون * قال ابن عطية وجاءت الأفعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر انتهى وأي نظر في هذا وهذا جاء على القاعدة المتفق عليها من انه اذا تقدم القسم على الشرط كان الجواب للقسم وحذف جواب الشرط وكان فعله بصيغة المضي أو مجزوما بلم وله شرط وهو أن لا يتقدمه طالب خبر واللام في لئن مؤذنة بقسم محذوف قبله فالجواب له * وقد أجاز الفراء أن يجاب الشرط

( الدر )

(ع) وجاءت الأفعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة على حكم القسم لا على حكم الشرط وفي هذا نظر انتهى (ح) أي نظر في هذا وهذا جاء على القاعدة المتفق عليها من انه اذا تقدم القسم على الشرط كان الجواب للقسم وحذف جواب الشرط وكان فعله بصيغة المضي أو مجزوما بلم وله شرط وهو انه لا يتقدمه طالب خبر واللام في لئن مؤذنة بقسم محذوف قبله فالجواب له وقد أجاز الفراء أن يجاب الشرط وان تقدم القسم ورده عليه البصريون

﴿ كمثل الذين ﴾ كمثل خبر مبتدأ محذوف أى مثل بنى النضير مثل الذين من قبلهم قريبا وهم بنو قينقاع أجلاهم الرسول عليه السلام من المدينة قبل بنى النضير فكانوا مثلا لهم قاله ابن عباس ذاقوا وبال أمرهم قريبا من عصيانهم أى لم تتأخر عقوبتهم فى الدنيا كما لم تتأخر عقوبة هؤلاء ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾  فى الآخرة ﴿ كمثل الشيطان ﴾ لما مثلهم بمن قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين والمنافقون كالشيطان وبنو النضير كالانسان والجمهور على أن الشيطان والانسان اسما جنس يورطه فى المعصية ثم يفر منه كذلك أغوى المنافقون بنى النضير وحرضوهم على الثبات ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير خذلهم المنافقون وتركوهم فى أسوأ حال ولما انقضى فى هذه السورة وصف المنافقين واليهود وعظ المؤمنين لأن الموعظة بعد المصيبة لها موقع فى النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العقاب وكرر الامر بالتقوى على سبيل التوكيد أو لاختلاف متعلق التقوى فالاولى فى أداء الفرائض لانه مقترن بالعمل والثانية فى ترك المعاصى لانه مقترن بالتهديد والوعيد ولما كان أمر القيامة واقعا لامحالة عبر عنه بالغد وهو اليوم الذى يلى يومك على سبيل التقريب ﴿ كالذين نسوا الله ﴾ هم الكفار تركوا عبادة الله تعالى وامتثال ما أمر واجتناب مانهى وهذا تنبيه على فرط غفلتهم واتباع شهواتهم ﴿ فأنساهم أنفسهم ﴾ حيث لم يسعوا لها فى الخلاص من العذاب وهذا من المجازاة بالذنب على الذنب عوقبوا على نسيان رحمة الله تعالى بان أنساهم أنفسهم ثم ذكر مباينة الفريقين أصحاب النار فى الجحيم وأصحاب الجنة فى النعيم ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن ﴾ من باب التخييل والتمثيل كما مر فى قوله إنا



وان تقدم القسم ورده عليه البصريون ثم خاطب المؤمنين بان هؤلاء يخافونكم أشد خيفة من الله تعالى لانهم يتوقعون عاجل شركم ولعدم ايمانهم لايتوقعون أجل عذاب الله وذلك لقلة فهمهم ورهبة مصدر رهب المبنى للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية فالرهبة واقعة منهم لامن المخاطبين والمخاطبون مرهوبون وهذا كما قال

فلهو أخوف عندى اذ أكلمه * وقيل انك مأسور ومقتول

من ضيغم بثراء الارض مخدره * ببطن عثر غيل دونه غيل

فالمخبر عنه مخوف لاخائف والضمير فى صدورهم * قيل لليهود * وقيل للمنافقين * وقيل للفريقين وجعل الصدر مقر الرهبة دليل على تمكنها منهم بحيث صارت الصدور مقرا لها والمعنى رهبتهم منكم أشد من رهبتهم من الله عز وجل * لا يقاتلونكم أى بنو النضير وجميع اليهود * وقيل اليهود والمنافقون جميعا أى مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضا الا فى قرى محصنة لا فى الصحراء لخوفهم منكم وتحصينها بالدروب والخنادق أومن وراء جدار يتسترون به من أن تصيبوهم * وقرأ الجمهور جدر بضمتين جمع جدار وأبو رجاء والحسن وابن وثاب باسكان الدال تخفيفا ورويت عن ابن كثير وعاصم والأعمش * وقرأ أبو عمرو وابن كثير وكثير من المكيين جدار بالألف وكسر الجيم * وقرأ كثير من المكيين وهرون عن ابن كثير جدر بفتح الجيم وسكون الدال * قال صاحب اللوامح وهو واحد بلغة اليمن * وقال ابن عطية ومعناه أصل بنيان كالسور ونحوه * قال ويحتمل أن يكون من جدر النخل أى من وراء نخلهم اذ هى مما يتقى به عند المصافة * بأسهم بينهم شديد أى اذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان بأسهم شديدا أما اذا قاتلوكم فلا يبقى لهم بأس لان من حارب أولياء الله خذل تحسبهم جميعا أى مجتمعين ذوى ألفة واتحاد * وقلوبهم شتى أى وأهواؤهم متفرقة وكذا حال المخذولين لاتستقر أهواؤهم على شئ واحد وموجب ذلك الشتات هو انتفاء عقولهم فهم كالبهائم لاتتفق على حالة * وقرأ الجمهور شتى بألف التأنيث ومبشر بن عبيد منونا جعلها ألف الالحاق وعبد الله وقلوبهم أشت أى أشد تفرقا ومن كلام العرب شتى تؤوب الحلبة * قال الشاعر

الى الله أشكو فتية شقت العصا * هى اليوم شتى وهى أمس جميع

* قوله عز وجل ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين * فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس

لعلهم يتفكرون * هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذى لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ كمثل خبر مبتدا محذوف أى مثلهم أى بنى النضير كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم بنو قينقاع أجلاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة قبل بنى النضير فكانوا امثالهم قاله ابن عباس أو أهل بدر الكفار فانه عليه الصلاة والسلام قتلهم فهم مثلهم فى أن غلبوا وقهروا * وقيل الضمير فى من قبلهم للمنافقين والذين من قبلهم منافقو الأمم الماضية غلبوا وذلوا على وجه الدهر فهؤلاء مثلهم ويبعد هذا التأويل لفظة قريبا ان جعلته متعلقا بما قبله وقريبا ظرف زمان وان جعلته معمولا لذاقوا أى ذاقوا وبال أمرهم قريبا من عصيانهم أى لم تتأخر عقوبتهم فى الدنيا كما لم تتأخر عقوبة هؤلاء * ولهم عذاب أليم فى الآخرة كمثل الشيطان لما مثلهم بمن قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين فالمنافقون كالشيطان وبنو النضير كالانسان والجمهور على ان الشيطان والانسان اسما جنس يورطه فى المعصية ثم يفر منه كذلك أغوى المنافقون بنى النضير وحرضوهم على الثبات ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير خذلهم المنافقون وتركوهم فى أسوأ حال * وقيل المراد استغواء الشيطان قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برئ منكم * وقيل التمثيل بشيطان مخصوص مع عابد مخصوص استودع امرأة فوقع عليها فحملت فخشى الفضيحة فقتلها ودفنها سول له الشيطان ذلك ثم شهره فاستخرجت فوجدت مقتولة وكان قال انها ماتت ودفنتها فعلموا بذلك فتعرض له الشيطان وقال اكفر واسجد لى وأنا أنجيك ففعل وتركه عند ذلك وقال أنا برئ منك وقول الشيطان انى أخاف الله رياء ولا يمنعه الخوف عن سوء يوقع ابن آدم فيه * وقرأ الجمهور عاقبتهما بنصب التاء والحسن وعمرو بن عبيد وسليم بن أرقم برفعهما * والجمهور خالدين بالياء حالا وفى النار خبر ان وعبد الله وزيد بن على والأعمش وابن أبى عبلة بالألف فجاز أن يكون خبر ان والظرف ملغى وان كان قد أكد بقوله فيها وذلك جائز على مذهب سيبويه ومنع ذلك أهل الكوفة لانه اذا أكد عندهم لا يلغى ويجوز أن يكون فى النار خبرا لان وخالدين خبر ثان فلا يكون فيه حجة على مذهب سيبويه ولما انقضى فى هذه السورة وصف المنافقين واليهود وعظ المؤمنين لان الموعظة بعد ذكر المصيبة لها موقع فى النفس لرقة القلوب والحذر مما يوجب العذاب وكرر الأمر بالتقوى على سبيل التوكيد أو لاختلاف متعلق التقوى فالأولى فى أداء الفرائض لانه مقترن بالعمل والثانية فى ترك المعاصى لانه مقترن بالتهديد والوعيد * وقرأ الجمهور ولتنظر أمرا واللام ساكنة وأبو حيوة ويحيى بن الحرث بكسرها * وروى ذلك عن حفص عن عاصم والحسن بكسرها وفتح الراء جعلها لام كى ولما كان أمر القيامة كائنا لا محالة عبر عنه بالغد وهو اليوم الذى يلى يومك على سبيل التقريب * وقال الحسن وقتادة لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى * وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد * قال ابن عطية ويحتمل أن يريد بقوله لغد ليوم الموت لانه لكل انسان كغده * وقال مجاهد وابن زيد بالامس الدنيا وغد الآخرة * وقال الزمخشرى أما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه انتهى * وقرأ الجمهور لا تكونوا بتاء الخطاب وأبو حيوة بياء الغيبة على سبيل الالتفات

عرضنا الأمانة ودل على ذلك وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تأثره لهذا الذى لو أنزل على الجبل لتخشع وتصدع واذا كان الجبل على عظمته وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدع فابن آدم كان أولى بذلك لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر وتقدم شرح المهيمن والجبار القاهر الذى جبر خلقه على ما أراد ﴿ المتكبر ﴾ المبالغ فى الكبرياء والعظمة ﴿ الخالق ﴾ المقدر لما يوجده ﴿ البارئ ﴾ المميز بعضه من بعض بأشكال مختلفة ﴿ المصور ﴾ الممثل

* وقال ابن عطية كناية عن نفس التي هي اسم الجنس كالذين نسوا هم الكفار وتركوا عبادة الله وامتثال ما أمر واجتناب ما نهى وهذا تنبيه على فرط غفلتهم واتباع شهواتهم فأنساهم أنفسهم حيث لم يسعوا اليها في الخلاص من العذاب وهذا من المجاز اذ على الذنب بالذنب عوقبوا على نسيان جهة الله تعالى بان أنساهم أنفسهم * قال سفيان المعنى حظ أنفسهم ثم ذكر مباينة الفريقين أصحاب النار في الجحيم وأصحاب الجنة في النعيم كما قال أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقال تعالى أم نجعل المتقين كالفجار * لو أنزلنا هذا القرآن على جبل هذا من باب التخييل والتمثيل كما مر في قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات ودل على ذلك وتلك الأمثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تأثره لهذا الذي لو أنزل على الجبل لتخشع وتصدع واذا كان الجبل على عظمه وتصلبه يعرض له الخشوع والتصدع فابن آدم كان أولى بذلك لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر * وقرأ طلحة مصدعا بادغام التاء في الصاد وأبو السمال وأبو دينار الاعرابي القدوس بفتح القاف والجمهور بالفتح والضم * وقرأ الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم فاعل من آمن بمعنى أمن * وقال ثعلب المصدق المؤمنين في أنهم آمنوا * وقال النحاس أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة * وقيل المصدق نفسه في أقواله الازلية * وقرأ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين * وقيل أبو جعفر المدني المؤمن بفتح الميم * قال أبو حاتم لا يجوز ذلك لانه لو كان كذلك لكان المؤمن به وكان جائزا لكن المؤمن المطلق بلا حرف جر يكون من كان خائفا فأومن * وقال الزمخشري يعني المؤمن به على حذف حرف الجر كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المختارون * المهيمن تقدم شرحه * الجبار القهار الذي جبر خلقه على ما أراد * وقيل الجبار الذي لا يدانيه شئ ولا يلحق ومنه نخلة جبارة اذا لم تلحق * وقال امرؤ القيس

سوابق جبار أثيث فروعه * وعالين قنوانا من البسر أحمرا

* وقال ابن عباس هو العظيم وجبروته عظمته * وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح جبرت العظم أصلحته بعد الكسر * وقال الفراء من أجبره على الأمر قهره قال ولم أسمع فعالا من أفعل الا في جبار ودراك انتهى وسمع أسار فهو أسار * المتكبر المبالغ في الكبرياء والعظمة * وقيل المتكبر عن ظلم عباده الخالق المقدر لما يوجده * البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل * وقرأ علي وحاطب بن أبي بلتعة والحسن وابن السميقع المصور بفتح الواو والراء وانتصب مفعولا بالبارئ وأراد به جنس المصور * وعن علي فتح الواو وكسر الراء على اضافة اسم الفاعل الى المفعول نحو الضارب الغلام

## ﴿سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية﴾

## ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل

هذه السورة مدنية ونزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة كان وجه كتابا مع امرأة الى أهل مكة يخبرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها اليهم لغزوهم فأطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ووجه الى المرأة من أخذ الكتاب منها والقصة مشهورة في كتب الحديث والتفسير * ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفار افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودد اليهم وأضاف تعالى في قوله عدوي تغليظا لجرمهم واعلاما بحلول عقاب الله تعالى بهم والعدو ينطلق على الواحد وعلى الجمع وأولياء مفعول ثان لتتخذوا ﴿تلقون﴾ بيان لموالاتهم فلا موضع لها من الاعراب أو استئناف اخبار ﴿وقد كفروا﴾ جملة حالية وذو الحال الضمير في تلقون أي توادونهم وهذه حالهم وهي الكفر بالله تعالى ولا يناسب الكافر بالله أن يود ﴿وإياكم﴾ معطوف على الرسول ﴿تسرون﴾ استئناف أي تسرون وقد علمتم أني أعلم الاخفاء والاعلان وأطلع الرسول عليه السلام على ذلك والضمير في ﴿ومن يفعله﴾ عائد على أقرب مذكور أي ومن يفعل الاسرار وانتصب سواء على المفعول به على تقدير تعدي ضل أو على الظرف على تقدير اللزوم

والسواء الوسط ولما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء وشرح ما به الولاية من الالقاء بالمودة اليهم وذكر ما صنع الكفار بهم أولا من اخراج الرسول والمؤمنين ذكر صنيعهم آخرا لو قدروا عليه من أنه ان يتمكنوا منكم تظهر عداوتهم لكم و يبسطوا أيديهم بالقتل والتعذيب وألسنتهم بالسب و ودوا لو ارتددتم عن دينكم الذى هو أحب الأشياء اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم ولما كان حاطب قد اعتذر بان له بمكة قرابة فكتب الى أهلها ما كتب ليرعوه فى قرابته قال تعالى ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ﴾ و يوم مفعول لتنفعكم أو ليفصل ولما نهى  عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه السلام وان من سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به فى ذلك و يتأسوا به والظاهر أنه مستثنى من مضاف لابراهيم تقديره أسوة حسنة فى مقالات ابراهيم ومحاوراته مع قومه ﴿ الاقول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ فليس فيه أسوة حسنة فيكون على هذا استثناء متصلا واما أن يكون قول ابراهيم مندرجا فى أسوة حسنة لأن معنى الاسوة هو الاقتداء و لتأسى فالقول ليس مندرجا تحته لكنه مندرج تحت مقالات ابراهيم والضمير فى فيهم عائد على ابراهيم والذين آمنوا معه وكررت الاسوة توكيدا وأكد ذلك بالقسم أيضا ولمن يرجوا بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كل وروى أنه لما نزلت هذه الآيات عزم المسلمون على اظهار عداوات أقربائهم الكفرة ولحقهم هم لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادوا فنزل ﴿ عسى الله ﴾ الآية مؤنسة ومرجئة فاسلم الجميع عام الفتح وصاروا اخوانا ﴿ والله قدير ﴾ على تقليب القلوب وتيسير العسير ﴿ والله غفور ﴾ لمن أسلم من المشركين ﴿ لا ينهاكم الله ﴾ نزلت فى قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا فكانوا فى رتبة سوء لتركهم فرض الهجرة قيل قدمت على أسماء بنت أبى بكر أمها نفيلة بنت عبد العزى وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت الآية فأمرها صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وأن تبروهم وأن تولوهم بدلان مما قبلهما بدل اشتمال

﴿ ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء و يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء و ودوا لو تكفرون ﴾ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم و بدا بيننا و بينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ﴾ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴿ لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ﴾ عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ هذه السورة مدنية ونزلت بسبب حاطب بن أبى بلتعة كان قد وجه كتابا مع امرأة الى أهل مكة يخبرهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجه اليهم لغزوهم فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك و وجه الى المرأة من أخذ الكتاب منها والقصة مشهورة فى كتب الحديث والسير ﴿ ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفار افتتح هذه بالنهى عن موالاة الكفار والتودد اليهم وأضاف فى قوله عدوى تغليظا لجرمهم واعلاما بحلول عقاب الله بهم والعدو ينطلق على الواحد وعلى الجمع وأولياء مفعول ثان لتتخذوا ﴿ تلقون بيان لموالاتهم فلا موضع له من الاعراب أو استئناف اخبار ﴿ وقال الحوفى والزمخشرى حال من الضمير فى لا تتخذوا أو صفة لأولياء وهذا تقدمه اليه الفراء قال تلقون اليهم بالمودة من صلة أولياء انتهى وعندهم أن النكرة توصل وعند البصريين لا توصل بل توصف والحال والصفة قيد وهم قد نهوا عن اتخاذهم أولياء مطلقا والتقييد يدل على أنه يجوز أن يتخذوا أولياء اذا لم يكونوا فى حال إلقاء المودة أو اذا لم يكن الاولياء متصفين بهذا الوصف وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فدل على أنه لا يقتصر على تلك الحال ولا ذلك الوصف والأولياء عبارة عن الافضاء بالمودة ومفعول تلقون محذوف أى تلقون اليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسراره والباء فى بالمودة للسبب أى بسبب المودة التى بينهم ﴿ وقال الكوفيون الباء زائدة كما قيل فى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أى أيديكم ﴿ قال الحوفى وقال البصريون هى متعلقة بالمصدر

الذي دل عليه الفعل وكذلك قوله بالحاد بظلم أي ارادته بالحاد انتهى فعلى هذا يكون بالمودة متعلقا بالمصدر أي إلقاؤهم بالمودة وهذا ليس بجيد لان فيه حذف المصدر وهو موصول وحذف الخبر اذ إلقاؤهم مبتدأ أو بما يتعلق به وقد كفروا جملة حالية وذو الحال الضمير في تلقون أي توادونهم وهذه حالهم وهي الكفر بالله ولا يناسب الكافر بالله أن يود وأجاز الزمخشري أن يكون حالا من فاعل لاتتخذوا * وقرأ الجمهور بما جاءكم والجحدري والمعلى عن عاصم لما باللام مكان الباء أي لأجل ماجاءكم * يخرجون الرسول استئناف كالتفسير لكفرهم أو حال من ضمير كفروا واياكم معطوف على الرسول وقدم على اياكم الرسول لشرفه ولانه الأصل للمؤمنين به ولو تقدم الضمير لكان جائزا في العربية خلافا لمن خص ذلك بالضرورة قال لانك قادر على أن تأتي به متصلا فلا تفصل الا في الضرورة وهو محجوج بهذه الآية وبقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وقدم الموصول هنا على المخاطبين للسبق في الزمان وبغير ذلك من كلام العرب وأن تؤمنوا مفعول من أجله أي يخرجون لايمانكم أو كراهة ايمانكم ان كنتم خرجتم شرط جوابه محذوف لدلالة ماتقدم عليه وهو قوله لاتتخذوا عدوي ونصب جهادا وابتغاء على المصدر في موضع الحال أي مجاهدين ومبتغين أو على أنه مفعول من أجله * تسرون استئناف أي تسرون وقد علمتم انى أعلم الاخفاء والاعلان وأطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فلا طائل في فعلكم هذا * وقال ابن عطية تسرون بدل من تلقون انتهى وهو شبيه ببدل الاشتمال لان الالقاء يكون سرا وجهرا فهو ينقسم الى هذين النوعين وأجاز أيضا أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أنتم تسرون والظاهر أن أعلم افعل تفضيل ولذلك عداه بالباء وأجاز ابن عطية أن يكون مضارعا تعدى بالباء قال لانك تقول علمت بكذا وأنا أعلم جملة حالية والضمير في ومن يفعله منكم الظاهر انه الى أقرب مذكور أي ومن يفعل الاسرار * وقال ابن عطية يعود على الاتخاذ وانتصب سواء على المفعول به على تقدير تعدى ضل أو على الظرف على تقدير اللزوم والسواء الوسط * ولما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء وشرح مابه الولاية من الالقاء بالمودة بينهم وذكر ماصنع الكفار بهم أولا من اخراج الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ذكر صنيعهم آخرا لو قدروا عليه من انهم ان تمكنوا منكم تظهر عداوتهم لكم ويبسطوا أيديهم بالقتل والتعذيب وألسنتهم بالسب وودوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو أحب الأشياء اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم * قال الزمخشري (فان قلت) كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي (قلت) الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا انتهى وكأن الزمخشري فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط فجعل ذلك سؤالا وجوابا والذي يظهر أن قوله وودوا ليس على جواب الشرط لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسلط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء أظفروا بهم أم لم يظفروا وانما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء أخبر تعالى بخبرين أحدهما اتضاح عداوتهم والبسط اليهم ماذكر على تقدير الظفر بهم والآخر ودادتهم كفرهم لا على تقدير الظفر بهم * ولما كان حاطب قد اعتذر بأن له بمكة قرابة فكتب إلى أهلها بما كتب ليرعوه في قرابته قال تعالى لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم أي قراباتكم الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ويوم معمول لينفعكم أو



﴿ سورة الممتحنة ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) فان قلت كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا انتهى (ح) كان (ش) فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط فجعل ذلك سؤالا وجوابا والذي يظهر أن قوله وودوا ليس معطوفا على جواب الشرط لان ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسلط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء أظفروا بهم أم لم يظفروا وانما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء أخبر تعالى بخبرين أحدهما اتضاح عداوتهم والبسط اليهم ماذكر على تقدير الظفر بهم والآخر ودادتهم كفرهم لا على تقدير الظفر بهم

ليفصل * وقرأ الجمهور يفصل بالياء مخففا مبنيا للمفعول * وقرأ الأعرج وعيسى وابن عامر كذلك الا انه مشدد والمرفوع إما بينكم وهو مبنى على الفتح لاضافته الى مبنى وإما ضمير المصدر المفهوم من يفصل أى يفصل هو أى الفصل * وقرأ عاصم والحسن والأعمش يفصل بالياء مخففا مبنيا للفاعل وحمزة والكسائى وابن وثاب مبنيا للفاعل بالياء مضمومة مشددا وأبو حيوة وابن أبى عبلة كذلك الا انه بالنون مشددا وهما أيضا وزيد بن على بالنون مفتوحة مخففا مبنيا للفاعل وأبو حيوة أيضا بالنون مضمومة فهذا ثمانى قراآت ولما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان من سيرته التبرؤ من الكفار ليقتدوا به فى ذلك ويتأسوا * وقرأ الجمهور اسوة بكسر الهمزة وعاصم بضمها وهما لغتان * والذين معه قيل من آمن به * وقال الطبرى وغيره الأنبياء معاصروه أو كانوا قريبا من عصره لانه لم يرو انه كان له أتباع مؤمنون فى مكافحته لهم ولنمروذ ألا تراه قال لسارة حين رحل الى الشام مهاجرا من بلد نمروذ ما على الأرض من يعبد الله غيرى وغيرك والتأسى بابراهيم عليه السلام هو فى التبرؤ من الشرك وهو فى كل ملة وبرسولنا عليه الصلاة والسلام على الاطلاق فى العقائد وأحكام الشرع * وقرأ الجمهور برآء جمع برىء كظريف وظرفاء وعيسى براء جمع برىء أيضا كظريف وظراف وأبو جعفر بضم الباء كتؤام وظؤار وهم اسم جمع الواحد برىء وتوأم وظئر وروىت عن عيسى * قال أبو حاتم زعموا أن عيسى الهمدانى رووا عنه براء على فعال كالذى فى قوله تعالى اننى براء مما تعبدون فى الزخرف وهو مصدر على فعال يوصف به المفرد والجمع * وقال الزمخشرى وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب انتهى فالضمة فى ذلك ليست بدلا من كسرة بل هى ضمة أصلية وهو قريب من أوزان أسماء الجموع وليس جمع تكسير فتكون الضمة بدلا من الكسرة الا قول ابراهيم استثناء من قوله أسوة حسنة قاله قتادة والزمخشرى * قال مجاهد وقتادة وعطاء الخراسانى وغيرهم المعنى أن الاسوة لكم فى هذا الوجه لا فى الوجه الآخر لانه كان لعلة ليست فى نازلتكم * وقال الزمخشرى (فان قلت) فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول الذى هو أسوة حسنة فما بال قوله وما أملك لك من الله من شئ وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى إلى قوله فمن يملك لكم من الله شيأ (قلت) أراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبنى عليه وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما فى طاقتى إلا الاستغفار انتهى * وقال الزمخشرى أولا بعد أن ذكر أن الاستثناء هو من قوله أسوة حسنة فى مقالات قال لانه أراد بالاسوة الحسنة قولهم الذى حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها انتهى والذى يظهر انه مستثنى من مضاف لابراهيم تقديره أسوة حسنة فى مقالات ابراهيم ومحاوراته لقومه الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فليس فيه أسوة حسنة فيكون على هذا استثناء متصلا واما أن يكون قول ابراهيم مندرجا فى أسوة حسنة لان معنى الاسوة هو الاقتداء والتأسى فالقول ليس مندرجا تحته لكنه مندرج تحت مقالات ابراهيم عليه السلام * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون الاستثناء من التبرى والقطيعة التى ذكرت لم تبق جملة الا كذا انتهى * وقيل هو استثناء منقطع المعنى لكن قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك فلا تأسوا به فيه فتستغفروا وتفدوا آباءكم الكفار بالاستغفار ربنا عليك توكلنا وما بعده الظاهر انه من تمام قول ابراهيم متصلا بما قبل الاستثناء وهو من جملة ما يتأسى به فيه وفصل بينهما بالاستثناء اعتناء بالاستثناء ولقربه من المستثنى منه ويجوز أن يكون أمرا من الله للمؤمنين أى قولوا ربنا عليك

( الدر )

(ش) وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب انتهى (ح) الضمة فى ذلك ليست بدلا من كسرة بل هى ضمة أصلية وهو قريب من أوزان أسماء الجموع وليس جمع تكسير فتكون الضمة بدلا من الكسرة (ش) بعد أن ذكر أن الاستثناء هو من قوله اسوة حسنة قال لانه أراد بالاسوة الحسنة قولهم الذى حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها انتهى (ح) الذى يظهر انه مستثنى من مضاف لابراهيم تقديره أسوة حسنة فى مقالات ابراهيم ومحاوراته لقومه إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فليس فيه اسوة حسنة فيكون على هذا استثناء متصلا واما أن يكون قول ابراهيم مندرجا فى اسوة حسنة لان معنى الاسوة هو الاقتداء والتأسى فالقول ليس مندرجا تحته لكنه مندرج تحت مقالات ابراهيم

﴿ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ سماهن تعالى مؤمنات قبل أن يمتحن وامتحانهن قالت عائشة بآية المبايعة وقيل بان تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن عباس بالحلف أنها ما خرجت الا حبا لله ورسوله ورغبة فى دين الاسلام ﴿فان علمتموهن مؤمنات﴾ أطلق العلم على الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات بالخروج من الوطن والحلول فى قوم ليسوا من قومها وبين علة انتفاء رجعهن الى الكفار أزواجهن وذلك هو التحريم بين المسلمة والكافر وانعقد التحريم بهذه الجملة وجاء قوله ﴿ولاهم يحلون لهن﴾ على سبيل التأكيد وتشديد الحرمة لانه اذا لم تحل المؤمنة للكافر علم أنه لا حل بينهما البتة ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ أمر أن يعطى الزوج الكافر ما أنفق على زوجه اذا أسلمت فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية قال ابن عباس أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد امتحانها زوجها الكافر ما أنفق عليها فتزوجها عمر وكان اذا امتحنهن أعطى أزواجهن مهورهن ثم نفى الحرج فى نكاح المؤمنين اياهن اذا آتوهن مهورهن ثم أمر تعالى المؤمنين بفراق نسائهم الكوافر عوابد الاوثان ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ أى واسألوا الكافرين ما أنفقتم على أزواجكم اذا فروا اليهم ﴿وليسألوا﴾ الكفار ﴿ما أنفقوا﴾ على أزواجهم اذا فروا الى المؤمنين ولما تقرر هذا الحكم قالت قريش لا نرضى هذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الأخرى ﴿وان فاتكم﴾ فأمر تعالى المؤمنين أن يدفعوا الى من فرت زوجته من المسلمين ففاتت بنفسها الى الكفار وانفلتت

توكلنا عليهم بذلك قطع العلائق التى بينهم وبين الكفار * ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا * قال ابن عباس لا تسلطهم علينا فيسبوننا ويعذبوننا * وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم أو بعذاب من عندك فيظنوا أنهم محقون وانا مبطلون فيفتنوا لذلك * وقال قريبا منه قتادة وأبو مجاز وقول ابن عباس أرجح لأنه دعاء لانفسهم وعلى قول غيره دعاء للكافرين والضمير فى فيهم عائد على ابراهيم والذين معه وكررت الاسوة تأكيدا وأكد ذلك بالقسم أيضا ولمن يرجو بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كل * وروى أنه لما نزلت هذه الآية عزم المسلمون على اظهار عداوات أقربائهم الكفار ولحقهم هم لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادوا فنزل عسى الله الآية مؤنسة ومرجئة فأسلم الجميع عام الفتح وصاروا اخوانا ومن ذكر أن هذه المودة هى تزويج النبى صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان وأنها كانت بعد الفتح فقد أخطأ لأن تزويجها كان وقت هجرة الحبشة وهذه الآيات سنة ست من الهجرة ولا يصح ذلك عن ابن عباس الا أن يسوقه مثالا وان كان متقدما لهذه الآية لأنه استمر بعد الفتح كسائر ما نشأ من المودات قاله ابن عطية وعسى من الله تعالى واجبة الوقوع والله قدير على تقليب القلوب وتيسير العسير والله غفور لمن أسلم من المشركين * لا ينهاكم الله الآية قال مجاهد نزلت فى قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا فكانوا فى رتبة سوء لتركهم فرض الهجرة * وقيل فى مؤمنين من أهل مكة وغيرها تركوا الهجرة * وقال الحسن وأبو صالح فى خزاعة وبنى الحرث بن كعب وكنانة ومزينة وقبائل من العرب كانوا مظاهرين للرسول محبين فيه وفى ظهوره * وقيل فيمن لم يقاتل ولا أخرج ولا أظهر سوأ من كفار قريش * وقال مرة الهمدانى وعطية العوفى فى قوم من بنى هاشم منهم العباس * وقال عبد الله بن الزبير فى النساء والصبيان من الكفرة * وقال النحاس والثعلبى أراد المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة * وقيل قدمت على أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنه أمها نفيلة بنت عبد العزى وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها * قال ابن عطية وكانت المرأة فيما روى خالتها فسمتها أما وفى التحرير ان أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه طلق امرأته نفيلة فى الجاهلية وهى أم أسماء بنت أبى بكر فقدمت فى المدة التى فيها المهادنة وأهدت الى أسماء قرطا وأشياء فكرهت أن تقبل منها فنزلت الآية وأن تبروهم وأن تولوهم بدلان مما قبلهما بدل اشتمال * قوله عز وجل ﴿ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم * وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به

من الاسلام ما كان أمهرها ﴿ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعد مافرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره صلى الله عليه وسلم ويبلغهن عنه وما مست يده الكريمة يد امرأة أجنبية قط وقالت أسماء بنت يزيد بن السكن كنت في النسوة المبايعات فقلت يارسول الله ابسط يدك نبايعك فقال لي عليه السلام اني لا أصافح النساء ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن وكانت هند بنت عتبة في النساء فقرأ عليهن الآية فلما قررهن على أن لا يشركن بالله شيأ قالت هند وكيف تطمع أن يقبل منا مالم تقبله من الرجال تعني أن هذا بين لزومه فلما وقف على السرقة قالت والله اني لأصيب الهنة من مال أبي سفيان لا أدري



أيحل لي ذلك فقال أبو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها انك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يانبي الله عفا الله عنك فقال ﴿ولا يزنين﴾ فقالت أوتزني الحرة فقال ﴿ولا يقتلن أولادهن﴾ فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وكان حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ولا يأتين ببهتان﴾ فقالت والله ان البهتان لأمر قبيح ولا تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء والبهتان قال الاكثرون أن تنسب الى زوجها ولدا ليس منه وكانت المرأة تلتقط المولود وتقول لزوجها هذا ولدي منك ﴿بين أيديهن﴾ لان بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذي تلده منه بين الرجلين والمعروف الذي نهى عن العصيان فيه قال ابن عباس هو النوح وشق الجيوب ووشم الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك من أوامر الشريعة فرضها وندبها روى أن قوما من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ قال ابن عباس من خيرها وثوابها والظاهر أن من في ﴿من أصحاب القبور﴾ لابتداء الغاية أي من لقاء أصحاب القبور فمن الثانية كالاولى في من الآخرة فالمعنى أنهم لا يلقونهم في دار الدنيا بعد موتهم ولما افتتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء ختمها بمثل ذلك تأكيدا لترك موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عن توليهم وإلقاء المودة اليهم

---

مؤمنون * ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم * ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ كان صلح الحديبية قد تضمن أن من أتى أهل مكة من المسلمين لم يرد اليهم ومن أتى المسلمين من أهل مكة رد اليهم فجاءت أم كلثوم وهي بنت عقبة ابن أبي معيط وهي أول امرأة هاجرت بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية فخرج في أثرها أخواها عمارة والوليد فقالا يامحمد أوف لنا بشرطنا فقالت يارسول الله حال النساء الى الضعف كما قد علمت فتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي فنقض الله العهد في النساء وأنزل فيهن الآية وحكم بحكم رضوه كلهم * وقيل سبب نزولها سبيعة بنت الحرث الاسلمية جاءت الحديبية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومي * وقيل صيفي بن الراهب فقال يامحمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا أن الشرط انما كان في الرجال دون النساء وذكر أبو نعيم الاصبهاني أن سبب نزولها أميمة بنت بشر ابن عمرو بن عوف امرأة حسان بن الدحداحة وسماهن تعالى مؤمنات قبل أن يمتحن وذلك لنطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك أو لانهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان * وقرئ مهاجرات بالرفع على البدل من المؤمنات وامتحانهن قالت عائشة بآية المبايعة * وقيل بأن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله * وقال ابن عباس بالحلف أنها ما خرجت الا حبا لله ورسوله ورغبة في دين الاسلام وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وقتادة وعكرمة كانت تستحلف أنها ما هاجرت لبغض في زوجها ولا لجريرة جرتها ولا لسبب من أغراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة * الله أعلم بايمانهن لأنه تعالى هو المطلع على أسرار القلوب ومخبآت العقائد فان علمتموهن أطلق العلم على الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات بالخروج من الوطن والحلول في قوم ليسوا من قومها وبين انتفاء رجعهن الى الكفار أزواجهن وذلك هو التحريم بين المسلمة والكافر * وقرأ طلحة لاهن يحللن لهم وانعقد التحريم بهذه الجملة وجاء قوله ولاهم يحلون

لهن على سبيل التأكيد وتشديد الحرمة لأنه اذا لم تحل المؤمنة للكافر علم أنه لاحل بينهما البتة * وقيل أفاد قوله ولاهم يحلون لهن استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو فى الحال ماداموا على الاشراك وهن على الايمان وآتوهم ما أنفقوا أمر ان يعطى الزوج الكافر ما أنفق على زوجته اذا أسلمت فلا يجمع عليه خسران الزوجة والمالية * قال ابن عباس أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد امتحانها زوجها الكافر ما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان اذا امتحنهن أعطى أزواجهن مهورهن * وقال قتادة الحكم فى رد الصداق انما كان فى نساء أهل العهد فأما من لاعهد بينه وبين المسلمين فلا رد عليه الصداق والامر كما قال قتادة ثم نفى الحرج فى نكاح المؤمنين اياهن اذا آتوهن مهورهن ثم أمر تعالى المؤمنين بفراق نسائهن الكوافر عوابد الأوثان * وقرأ الجمهور تمسكوا مضارع أمسك كأكرم وأبو عمرو ومجاهد بخلاف عنه وابن جبير والحسن والأعرج مضارع مسك مشددا والحسن أيضا وابن أبى ليلى وابن عامر فى رواية عبد الحميد وأبو عمرو فى رواية معاذ تمسكوا بفتح الثلاثة مضارع تمسك محذوف الثانى بتمسكوا والحسن أيضا تمسكوا بكسر السين مضارع مسك ثلاثيا * وقال الكرخى الكوافر يشمل الرجال والنساء فقال له أبو على الفارسى النحويون لايرون هذا الا فى النساء جمع كافرة وقال أليس يقال طائفة كافرة وفرقة كافرة قال أبو على فبهت فقلت هذا تأييد انتهى وهذا الكرخى معتزلى فقيه وأبو على معتزلى فأعجبه هذا التخريج وليس بشئ لانه لايقال كافرة فى وصف الرجال الا تابعا لموصوفها أو يكون محذوفا مرادا أما بغير ذلك فلا يجمع فاعلة على فواعل إلا ويكون للمؤنث والعصم جمع عصمة وهى سبب البقاء فى الزوجية واسألوا ما أنفقتم أى واسألوا الكافرين ما أنفقتم على أزواجكم اذا فروا اليهم وليسألوا أى الكفار ما أنفقوا على أزواجهم اذا فروا الى المؤمنين * ولما تقرر هذا الحكم قالت قريش فيما روى لانرضى هذا الحكم ولانلتزمه ولاندفع لاحد صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الأخرى وان فاتكم فأمر تعالى المؤمنين أن يدفعوا من فرت زوجته من المسلمين ففاتت بنفسها الى الكفار وانقلبت من الاسلام ما كان مهرها * قال الزمخشرى ( فان قلت ) هل لايقاع شئ فى هذا الموضع فائدة ( قلت ) نعم الفائدة فيه أن لايغادر شئ من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا فى هذا الحكم وتشديدا فيه انتهى واللاتى ارتددن من نساء المهاجرين ولحقن بالكفار أم الحكم بنت أبى سفيان زوج عياض بن شداد الفهرى وأخت أم سلمة فاطمة بنت أبى أمية زوج عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعبدة بنت عبد العزى زوج هشام بن العاصى وأم كلثوم بنت جرول زوج عمر أيضا * وذكر الزمخشرى انهن ست فذكر أم الحكم وفاطمة بنت أبى أمية زوج عمر بن الخطاب وعبدة وذكر ان زوجها عمرو بن ود وكلثوم وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاصى أعطى أزواجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهورهن من الغنيمة * وقرأ الجمهور فعاقبتم بألف ومجاهد والزهرى والأعرج وعكرمة وحميد وأبو حيوة والزعفرانى بشد القاف والنخعى والأعرج أيضا وأبو حيوة أيضا والزهرى أيضا وابن وثاب بخلاف عنه بخف القاف مفتوحة ومسروق والنخعى أيضا والزهرى أيضا بكسرها ومجاهد أيضا فاعقبتم على وزن افعل يقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا أى جاء فعل كل واحد منهما يعقب فعل الآخر ويقال أعقب * قال

( الدر )

( ح ) قال الكرخى الكوافر يشمل الرجال والنساء فقال له الفارسى النحويون لايرون هذا الا فى النساء جمع كافرة فقال أليس يقال طائفة كافرة وفرقة كافرة فقال أبو على فبهت وقلت هذا تأييد انتهى والكرخى هذا معتزلى فقيه وأبو على معتزلى أيضا فأعجبه هذا التخريج وليس بشئ لانه لايقال كافرة فى وصف الرجال الا تابعا لموصوفها أو يكون محذوفا مرادا أما بغير ذلك فلا يجمع فاعلة على فواعل الا ويكون للمؤنثة

وحادرت البلد الحلاد ولم يكن * لعقبة قدر المستعير بن يعقب

وعقب أصاب عقبى والتعقيب غزو اثر غزو وعقب بفتح القاف وكسرها مخففا * وقال الزمخشرى فعاقبتم من العقبة وهى النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا يؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى يعطى من صداق من لحق بهم ومعنى أعقبتم دخلتم فى العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه انتهى * وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم وفسر غيرها من القراآت لكانت العقبى لكم أى كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والكفار من قوله الى الكفار ظاهره العموم فى جميع الكفار قاله قتادة ومجاهد * قال قتادة ثم نسخ هذا الحكم * وقال ابن عباس يعطى من الغنيمة قبل أن تخمس * وقال الزهرى من مال الفئ وعنه من صداق من لحق بنا * وقيل الكفار مخصوص بأهل العهد * وقال الزهرى انقطع هذا يوم الفتح * وقال الثورى لا يعمل به اليوم * وقال مقاتل كان فى عهد الرسول فنسخ * وقال ابن عطية هذه الآية كلها قد ارتفع حكمها * وقال أبو بكر بن العربى القاضى كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان فى تلك النازلة خاصة باجماع الأمة * وقال القشيرى قال قوم هو ثابت الحكم الى الآن * يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك كانت بيعة النساء فى ثانى يوم الفتح على جبل الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وما مست يده عليه الصلاة والسلام يد امرأة أجنبية قط * وقالت أسماء بنت يزيد بن السكن كنت فى النسوة المبايعات فقلت يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال لى عليه الصلاة والسلام انى لا أصافح النساء لكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن وكانت هند بنت عتبة فى النساء فقرأ عليهن الآية فلما قررهن على أن لا يشركن بالله شيأ قالت هند وكيف نطمع أن تقبل منا ما لم تقبله من الرجال تعنى ان هذا بين لزومه فلما وقف على السرقة قالت والله انى لأصيب الهنة من مال أبى سفيان لا أدرى أيحل لى ذلك فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك * فقال ولا يزنين فقالت أو تزنى الحرة * قال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر رضى الله تعالى عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لأمر قبيح ولا يأمر الله الا بالرشد ومكارم الأخلاق * فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شئ ومعنى قول هند أو تزنى الحرة انه كان فى قريش فى الاماء غالبا والا فالبغايا ذوات الرايات قد كن حرائر * وقرأ على والحسن والسلمى ولا يقتلن مشددا وقتلهن من أجل الفقر والفاقة وكانت العرب تفعل ذلك والبهتان قال الأكثرون ان تنسب الى زوجها ولدا ليس منه وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك * بين أيديهن وأرجلهن لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين * وروى الضحاك البهتان العضه لانها اذا قذفت المرأة غيرها فقد بهتت ما بين يدى المقذوفة ورجليها اذ نفت عنها ولدا قد ولدته أو ألحقت بها ولدا لم تلده * وقيل البهتان السحر

* وقيل بين أيديهن ألسنتهن بالنميمة وأرجلهن فروجهن * وقيل بين أيديهن قبلة أو جسة وأرجلهن الجماع ومن البهتان الفرية بالقول على أحد من الناس والكذب فيما اؤتمن عليه من حمل وحيض والمعروف الذي نهى عن العصيان فيه قال ابن عباس وأنس وزيد بن أسلم هو النوح وشق الجيوب ووشم الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك من أوامر الشريعة فرضها وندبها * وروى ان قوما من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وعلى انهم اليهود فسرهم الحسن وابن زيد ومنذر بن سعيد لان غضب الله قد صار عرفا لهم * وقال ابن عباس كفار قريش لان كل كافر عليه غضب من الله * وقيل اليهود والنصارى قد يئسوا من الآخرة * قال ابن عباس من خيرها وثوابها والظاهر ان من في من أصحاب القبور لابتداء الغاية أي من لقاء أصحاب القبور فمن الثانية كالاولى من الآخرة فالمعنى انهم لا يلقونهم في دار الدنيا بعد موتهم * وقال ابن عرفة هم الذين قالوا ما يهلكنا الا الدهر انتهى والكفار على هذا كفار مكة لانهم اذا مات لهم حيم قالوا هذا آخر العهد به لن يبعث أبدا وهذا تأويل ابن عباس وقتادة والحسن * وقيل من لبيان الجنس أي الكفار الذين هم أصحاب القبور والمأيوس منه محذوف أي كما يئس الكفار المقبورون من رحمة الله لانه اذا كان حيا لم يقبر كان يرجى له أن لا ييأس من رحمة الله اذ هو متوقع ايمانه وهذا تأويل مجاهد وابن جبير وابن زيد * وقال ابن عطية وبيان الجنس أظهر انتهى وقد ذكرنا أن الظاهر كون من لابتداء الغاية إذ لا يحتاج الكلام الى تقدير محذوف * وقرأ ابن أبي الزناد كما يئس الكافر على الافراد * والجمهور على الجمع * ولما فتح هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء ختمها بمثل ذلك تأكيدا لترك موالاتهم وتنفير المسلمين عن توليهم والقاء المودة اليهم

---

## ﴿ سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

---

﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص * وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين * وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين * يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

﴿ سورة الصف ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ سبح لله ما فى السموات ﴾ الآية هذه السورة مدنية فى قول الجمهور وسبب نزولها قول المنافقين للمؤمنين نحن منكم ومعكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك ومناسبتها لآخر ما قبلها ان ثم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فاقتضى ذلك اثبات العداوة بينهم فحض تعالى على الثبات اذا لقى المؤمنون فى الحرب أعداءهم والنداء بيا أيها ان كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به التلطف فى العتب وان كان للمنافقين فالمعنى يا أيها الذين آمنوا أى بألسنتهم والاستفهام يراد به الانكار والتوبيخ وتهكم بهم فى اسناد الايمان اليهم ولم يتعلق بالفعل بعده واذا وقف عليه فبالهاء أو بسكون الميم ومن سكن فى الوصل فلانه جرى مجرى الوقف والظاهر انتصاب مقتا على التمييز وفاعل كبر أن تقولوا وهو من التمييز المنقول من الفاعل والتقدير كبر مقت قولكم ما لا تفعلون وانتصب صفا على الحال أى صافين أنفسهم أو مصفوفين ﴿ كأنهم ﴾ فى تراصهم من غير فرجة ولا خلل ﴿ بنيان مرصوص ﴾ بعضه الى بعض والظاهر تشبيه الذوات فى التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص ولما كان فى المؤمنين من يقول ما لا يفعل وهو راجع الى الكذب كان ذلك فى معنى الاذاية للرسول عليه الصلاة والسلام اذ كان فى أتباعه من عانى الكذب فناسب ذكر قصة ( ٢٦٠ ) موسى عليه الصلاة والسلام وقوله لقومه لم تؤذونني واذايتهم له كان فى انتقاصه فى نفسه وجحود آيات الله تعالى واقتراحهم عليه ما ليس لهم اقتراحه ﴿ وقد تعلمون ﴾ جملة حالية تقتضى تعظيمه وتكريمه فرتبوا على علمهم أنه رسول الله اليهم ما لا يناسب العلم وهو الاذاية وقد تدل على التحقق فى الماضى والتوقع فى المستقبل والمضارع هنا معناه المضى أى وقد علمتم وعبر عنه بالمضارع ليدل على استصحاب الفعل ﴿ فلما زاغوا ﴾ عن الحق ﴿ أزاغ الله قلوبهم ﴾ أسند الزيغ اليهم ثم قال أزاغ الله قلوبهم كقوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم وهو من العقوبة على الذنب بالذنب ولما ذكر شيأ من قصة موسى عليه السلام مع بنى اسرائيل ذكر شيأ من قصة عيسى عليه السلام وهناك قال يا قوم لانه من بنى اسرائيل وهنا قال عيسى يا بنى اسرائيل من حيث لم يكن له فيهم أب وان كانت أمه منهم ومصدقا ومبشرا حالان والعامل رسول أى مرسل ويأتى ومعه جملتان فى موضع الصفة لرسول أخبر أنه مصدق لما تقدم من الكتب الالهية ولمن تأخر من النبى المذكور لان التبشير بأنه رسول تصديق برسالته وروى أن الحواريين قالوا يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد علماء حكماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم بالقليل من العمل والله تعالى أفرد عيسى بالذكر فى هذا الموضع لانه آخر نبى قبل نبينا عليه السلام فبين أن البشارة به عمت جميع الأنبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى عليه السلام والظاهر أن الضمير المرفوع فى جاءهم يعود على عيسى عليه السلام لانه المحدث عنه وقرأ الجمهور تؤمنون وتجاهدون وقرأ عبد الله آمنوا وجاهدوا أمرين وزيد بن على بالياء فيهما محذوف النون فيهما فأما قراءة الجمهور فصورتهما صورة الخبر فهما خبران بمعنى الأمر بين ذلك قراءة عبد الله ونظير ذلك قول العرب اتقى الله امرؤ وفعل خيرا يثب عليه معناه ليتق الله امرؤ فانجزم قوله يغفر على تقدير هذا الأمر فلذلك انجزم يغفر على تقدير آمنوا وجاهدوا وأما قراءة زيد فهو على

عليه منذ طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾
* المرصوص قال الفراء والقاضى منذر بن سعيد هو المعقود بالرصاص * وقال المبرد رصصت البناء لاءمت بين أجزائه وقاربته حتى يصير كقطعة واحدة * قال الراعى

مالقى البيض من الحرقوص * يفتح باب المغلق المرصوص

* الحرقوص دويبة تولع بالنساء الأبكار * وقيل هو من التراصيص وهو انضمام الاسنان
﴿ سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص * وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين * وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين * يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله

ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ﴾ هذه السورة مدنية في قول الجمهور ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة * وقال ابن يسار مكية وروى ذلك أيضا عن ابن عباس ومجاهد * وسبب نزولها قول المنافقين للمؤمنين نحن منكم ومعكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك أو قول شباب من المسلمين فعلنا في الغزو كذا ولم يفعلوا أو قول ناس وددنا أن نعرف أحب الأعمال الى ربنا حتى نفني فيه ففرض الجهاد وأعلم تعالى بحب المجاهدين فكرهه قوم وفر بعضهم يوم أحد فنزلت أقوال * الأول لابن زيد * والثاني لقتادة * والثالث لابن عباس وأبي صالح * ومناسبتها لآخر السورة قبلها أن في آخر تلك يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فاقتضى ذلك اثبات العداوة بينهم فحض تعالى على الثبات اذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم والنداء بيا أيها الذين آمنوا ان كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به التلطف في العتب وان كان للمنافقين فالمعنى يا أيها الذين آمنوا أي بألسنتهم والاستفهام يراد به الانكار والتوبيخ وتهكم بهم في اسناد الايمان اليهم ولم يتعلق بالفعل وحده ووقف عليه بالهاء أو بسكون الميم ومن سكن في الوقف فلاجرائه مجرى الوقف والظاهر انتصاب مقتا على التمييز وفاعل كبر أن تقولوا وهو من التمييز المنقول من الفاعل والتقدير كبر مقت قولكم ما لا تفعلون ويجوز أن يكون من باب نعم وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالتمييز وأن تقولوا هو المخصوص بالذم أي بئس مقتا قولكم كذا والخلاف الجاري في المرفوع في بئس رجلا زيد جار في أن تقولوا هنا ويجوز أن يكون في كبر ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله لم تقولون أي كبر هو أي القول مقتا ومثله كبرت كلمة أي ما أكبرها كلمة وأن تقولوا بدل من المضمر أو خبر ابتداء مضمر * وقيل هو من أبنية التعجب أي ما أكبره مقتا * وقال الزمخشري قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غالت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون إلا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه أشد البغض ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه وعند الله أبلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته انتهى * وقال ابن عطية والمقت البغض من أجل ذنب أو ريبة أو دناءة يصنعها الممقوت انتهى * وقال المبرد رجل ممقوت ومقيت اذا كان يبغضه كل أحد انتهى * وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء * وقيل قرئ يقتلون وانتصب صفا على الحال أي صافين أنفسهم أو مصفوفين كأنهم في تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض والظاهر تشبيه الذوات في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص * وقيل المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص * قيل وفيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وصفا وكأنهم قال الزمخشري حالان متداخلان * وقال الحوفي كأنهم في موضع النعت لصفا انتهى ويجوز أن يكونا

لتفد ﴿وأخرى﴾ لما تقدم الغفران وادخال الجنات أتبع ذلك بقوله وأخرى جاز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ولكم نعمة أومثوبة أخرى وجاز أن يكون منصوبا على اضمار فعل تقديره ويعطكم أخرى وتحبونها في موضع الصفة على التقديرين ومن قرأ نصر وما بعده بالرفع فهو بدل من أخرى المقدر رفعها ومن قرأ نصرا وما بعده بالنصب فدل على تقدير نصب أخرى ولما ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب في الآخرة ذكر ما يسرهم في العاجلة وهي ما يفتح عليهم من البلاد ﴿وبشر المؤمنين﴾ جملة أمر عطف على ما قبلها ولا يشترط التناسب في عطف الجمل ﴿كونوا أنصار الله﴾ ندب المؤمنين الى النصرة ووضع لهم هذا الاسم وان كان قد صار عرفا للاوس والخزرج وسماهم الله تعالى به والظاهر أن كما في موضع نصب على اضمار أي قلنا لكم ذلك كما قال عيسى ﴿فأيدنا الذين آمنوا﴾ بعيسى ﴿على عدوهم﴾ وهم الذين كفروا بعيسى ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ أي قاهرين لهم مستولين عليهم

حالين من ضمير يتناتاون ولما كان فى المؤمنين من يقول مالا يفعل وهو راجع الى الكذب فان ذلك فى معنى الاذاية للرسول عليه الصلاة والسلام اذ كان فى اتباعه من عانى الكذب فناسب ذكر قصة موسى وقوله لقومه لم تؤذوننى واذايتهم له كان بانتقاصه فى نفسه وجحود آيات الله تعالى واقتراحاتهم عليه ماليس لهم اقتراحه وقد تعلمون جملة حالية تقتضى تعظيمه وتكريمه فرتبوا على علمهم انه رسول الله مالا يناسب العلم وهو الاذاية وقد تدل على التحقق فى الماضى والتوقع فى المضارع والمضارع هنا معناه المضى أى وقد علمتم كقوله قد يعلم ما أنتم عليه أى قد علم قد نرى تقلب وعبر عنه بالمضارع ليدل على استصحاب الفعل فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم * قال الزمخشرى بان منع ألطافه والله لا يهدى القوم الفاسقين لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف وقال غيره أسند الزيغ اليهم ثم قال أزاغ الله كقوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم وهو من العقوبة على الذنب بالذنب بخلاف قوله ثم تاب الله عليهم ليتوبوا ولما ذكر شيأ من قصة موسى عليه السلام مع بنى اسرائيل ذكر أيضا شيأ من قصة عيسى عليه السلام وهنالك قال ياقوم لانه من بنى اسرائيل وهنا قال عيسى يابنى اسرائيل من حيث لم يكن له فيهم أب وان كانت أمه منهم ومصدقا ومبشرا حالان والعامل رسول أى مرسل وبأتى واسمه جملتان فى موضع الصفة لرسول أخبر انه مصدق لما تقدم من كتب الله الالهية ولمن تأخر من النبى المذكور لان التبشير بانه رسول تصديق لرسالته * وروى ان الحواريين قالوا يارسول الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد صلى الله عليه وسلم حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم بالقليل من العمل وأحمد علم منقول من المضارع للمتكلم أو من أحمد افعل التفضيل وقال حسان

صلى الاله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أحمد

* وقال القشيرى بشر كل نبى قومه بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أفرد عيسى بالذكر فى هذا الموضع لانه آخر نبى قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فبين ان البشارة به عمت جميع الأنبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى عليه السلام والظاهر أن الضمير المرفوع فى جاءهم يعود على عيسى لانه المحدث عنه * وقيل يعود على احمد لما فرغ من كلام عيسى تطرق الى الاخبار عن احمد صلى الله عليه وسلم وذلك على سبيل الاخبار للمؤمنين أى فلما جاء المبشر به هؤلاء الكفار بالمعجزات الواضحة قالوا هذا سحر مبين * وقرأ الجمهور سحر أى ماجاء به من البينات * وقرأ عبد الله وطلحة والأعمش وابن وثاب ساحر أى هذا الحال ساحر * وقرأ الجمهور يدعى مبنيا للمفعول وطلحة يدعى مضارع ادعى مبنيا للفاعل وادعى يتعدى بنفسه الى المفعول به لكنه لما ضمن معنى الانتماء والانتساب عدى بالى * وقال الزمخشرى أيضا وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بشد الدال بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه * يريدون الآية تقدم تفسير نظيرها فى سورة التوبة * وقال الزمخشرى أصله يريدون أن يطفؤا كما جاء فى سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيدا له لما فيها من معنى الارادة فى قولك جئتك لأكرمك كما زيدت اللام فى لا أبالك تأكيدا لمعنى الاضافة فى لا أبالك انتهى وقال نحوه ابن عطية قال واللام فى قوله ليطفؤا لام مؤكدة دخلت على المفعول لان التقدير يريدون أن يطفؤا وأكثر ما تلزم هذه اللام المفعول اذا تقدم تقول لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت انتهى وماذكره ابن عطية من ان هذه اللام أكثر ما تلزم المفعول اذا تقدم ليس بأكثر بل الأكثر زيدا ضربت من لزيد ضربت واما قولهما ان اللام للتأكيد وان التقدير أن يطفؤا فالاطفاء

مفعول يريدون فليس بمذهب سيبويه والجمهور * وقال ابن عباس وابن زيد هنا يريدون ابطال القرآن وتكذيبه بالقول * وقال السدى يريدون دفع الاسلام بالكلام * وقال الضحاك هلاك الرسول صلى الله عليه وسلم بالأراجيف * وقال ابن بحر ابطال حجج الله بتكذيبهم وعن ابن عباس سبب نزولها أن الوحي أبطأ أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف يامعشر يهود ابشروا اطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم نوره فحزن الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت واتصل الوحي * وقرأ العربيان ونافع وأبو بكر والحسن وطلحة والأعرج وابن محيصن متم بالتنوين نوره بالنصب وباقي السبعة والأعمش بالاضافة * وقرأ الجمهور تنجيكم مخففا والحسن وابن أبى اسحق والأعرج وابن عامر مشددا * والجمهور تؤمنون وتجاهدون وعبد الله آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا أمرين وزيد بن على بالتاء فيهما محذوف النون فيهما فاما توجيه قراءة الجمهور فقال المبرد هو بمعنى آمنوا على الأمر ولذلك جاء يغفر مجزوما انتهى فصورته صورة الخبر ومعناه الأمر ويدل عليه قراءة عبد الله ونظيره قوله اتقى الله امرؤ وفعل خيرا يثب عليه أى ليتق الله وجيء به على صورة الخبر * قال الزمخشرى للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعى غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت انتهى * وقال الأخفش هو عطف بيان على تجارة وهذا لايتخيل الا على تقدير ان يكون الأصل ان تؤمنوا حتى يتقدر بمصدر ثم حذف ان فارتفع الفعل كقوله

* ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغا * يريد أن احضر فلما حذف ان ارتفع الفعل فكان تقدير الآية هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ايمان بالله ورسوله وجهاد * وقال ابن عطية تؤمنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تؤمنون انتهى وهذا ليس بشئ لان فيه حذف المبتدا وحذف انه وابقاء الخبر وذلك لايجوز * وقال الزمخشرى وتؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون ثم اتبع المبرد فقال هو خبر فى معنى الأمر وبهذا أجيب بقوله يغفر لكم انتهى وأما قراءة عبد الله فظاهرة المعنى وجواب الأمر يغفر وأما قراءة زيد فتتوجه على حذف لام الأمر التقدير لتؤمنوا كقول الشاعر

قلت لبواب على بابها * تأذن لى انى من احمائها

يريد لتأذن ويغفر مجزوم على جواب الامر فى قراءة عبد الله وقراءة زيد وعلى تقدير المبرد * وقال الفراء هو مجزوم على جواب الاستفهام وهو قوله هل أدلكم واستبعد هذا التخريج * قال الزجاج ليسوا اذا دلهم على ماينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا آمنوا وجاهدوا * وقال المهدوى انما يصح حملا على المعنى وهو أن يكون تؤمنون وتجاهدون عطف بيان على قوله هل أدلكم كان التجارة لم يدر ماهى فبينت بالايمان والجهاد فهى هى فى المعنى فكأنه قال هل تؤمنون وتجاهدون قال فان لم تقدر هذا التقدير لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما يجب بالقبول والايمان لا بالدلالة * وقال الزمخشرى نحوه قال وجهه ان متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكأنه قال هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم انتهى وتقدم شرح بقية الآية ولما ذكر تعالى ماينعمهم من الثواب فى الآخرة ذكر مايسرهم فى العاجلة وهى مايفتح عليهم من البلاد وأخرى صفة لمحذوف أى ولكم مثوبة أخرى أو نعمة أخرى عاجلة الى هذه النعمة الآجلة فأخرى مبتدأ وخبره المقدر لكم وهو قول الفراء ويرجحه البدل منه بقوله نصر من الله وتحبونها صفة أى محبوبة اليكم * وقال

(الدر)

﴿سورة الصف﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ع) تؤمنون فعل مرفوع تقديره ذلك انه تؤمنون انتهى (ح) هذا ليس بشئ لانه فيه حذف المبتدا وحذف انه وابقاء الخبر وذلك لايجوز

قوم وأخرى في موضع نصب باضمار فعل أي ويمنحكم أخرى ونصر خبر مبتدا أي ذلك أو هو نصر * وقال الأخفش وأخرى في موضع جر عطفا على تجارة وضعف هذا القول لان هذه الاخرى ليست مما دل عليه انما هي من الثواب الذي يعطيهم الله على الايمان والجهاد بالنفس والمال * وقرأ الجمهور نصر بالرفع وكذا وفتح قريب وابن أبي عبلة بالنصب فيهما لانتهاء وصف أخرى بتحبونها لان النفس قد وكلت بحب العاجل وفي ذلك تحريض على ما يحصل ذلك وهو الايمان والجهاد * وقال الزمخشري وفي تحبونها شئ من التوبيخ على محبة العاجل قال (فان قلت) لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا (قلت) يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على ينصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرا وفتحا قريبا (فان قلت) علام عطف قوله وبشر المؤمنين (قلت) على تؤمنون لانه في معنى الأمر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك انتهى * كونوا أنصار الله ندب المؤمنين الى النصرة ووضع لهم هذا الاسم وان كان قد صار عرفا للأوس والخزرج وسماهم الله به * وقرأ الأعرج وعيسى وأبو عمرو والحرميان أنصارا لله بالتنوين والحسن والجحدري وباقي السبعة بالاضافة الى الله والظاهر أن كما في موضع نصب على اضمار أي قلنا لكم ذلك كما قال عيسى * وقال مكي نعت لمصدر محذوف والتقدير كونوا كونا * وقيل نعت لأنصارا أي كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال من أنصاري الى الله انتهى والحواريون اثناعشر رجلا وهم أول من آمن بعيسى بثهم عيسى في الآفاق بعث بطرس وبولس الى رومية واندارس ومتى الى الأرض التي يأكل أهلها الناس وبوقاس الى أرض بابل وفيليس الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس الى افسوس قرية أصحاب الكهف ويعقوبين الى بيت المقدس وابن بلمين الى أرض الحجاز وتسمقر الى أرض البربر وما حولها وفي بعض أسمائهم اشكال من جهة الضبط فليلتمس ذلك من مظانه * فأيدنا الذين آمنوا بعيسى على عدوهم وهم الذين كفروا بعيسى فأصبحوا ظاهرين أي قاهرين لهم مستولين عليهم * وقال زيد بن علي وقتادة ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان * وقيل أيدنا المسلمين على الفرقتين الضالتين والله أعلم

## ﴿ سورة الجمعة مدنية وهي إحدى عشرة آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم * هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين * قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض

﴿سورة الجمعة﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿يسبح لله مافى السموات ومافى الارض﴾ الآية هذه السورة مدنية ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم اتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه وذكر ما أنعم به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعثته اليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم فصارت أمته غالبة سائر الامم قاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت دعوة الحواريين فى زمانهم ﴿وآخرين﴾ الظاهر أنه معطوف على فى الاميين أى وفى آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وذلك اشارة الى بعثته عليه السلام ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ هم اليهود المعاصرون له عليه السلام كلفوا القيام بأوامرها ونواهيها فلم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول وهى ناطقة بنبوته عليه السلام شبه صفتهم بصفة الحمار الذى يحمل كتبا فهو مايدرى ماعليه أكتب هى أم صخر أوغير ذلك وانما يدرك من ذلك مايلحقه من التعب ﴿بئس مثل القوم﴾ قال الزمخشرى بئس مثلا مثل القوم انتهى فخرجه على أن يكون التمييز محذوفا وفى بئس ضمير يفسره مثلا الذى ادعى حذفه وقد نص سيبويه على أن التمييز الذى يفسر المضمر المستكن فى نعم وبئس وماأجرى مجراهما لايجوز حذفه والمخصوص بالذم محذوف التقدير بئس مثل القوم المكذبين مثلهم روى أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب يهود المدينة ليهود خيبر ان اتبعتموه أطعنا كم وان خالفتموه خالفناه فقالوا لهم نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزير ابن الله والأنبياء ومتى كانت النبوة فى العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت قل ياأيها الذين هادوا وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أى ان كان قولكم حقا فتمنوا أن تنقلوا سريعا الى دار كرامته المعدة لأوليائه وتقدم تفسير بقية الآية فى البقرة ﴿اذا نودى﴾ أى أذن وكان الأذان عند قعود الامام على المنبر وكذلك كان فى زمان الرسول عليه السلام كان اذا صعد على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة وكذا كان فى زمن أبى بكر وعمر الى زمن عثمان كثر الناس وتباعدت المنازل فزاد مؤذنا آخر على داره التى تسمى الزوراء فاذا جلس على المنبر أذن الثانى فاذا نزل من المنبر أقيمت الصلاة ولم يعب أحد ذلك على عثمان رضى الله عنه والظاهر وجوب السعى لقوله فاسعوا الى ذكر الله وأنه يكون فى المشى خفة والظاهر أن الخطاب بالأمر بالسعى للمؤمنين عموما وأنها فرض على الاعيان وعن بعض الشافعية أنها فرض كفاية وعن مالك رواية شاذة انها سنة وانما ذكر البيع من بين سائر المحرمات لانه أكثر مايشتغل به أصحاب الاسواق اذ يكثر الوافدون الامصار من القرى ويجتمعون للتجارة اذا تعالى النهار فأمروا بالبدار الى تجارة الآخرة ونهوا عن تجارة الدنيا ووقت التحريم من الزوال الى الفراغ من الصلاة والاشارة بذلكم اشارة الى السعى وترك البيع والامر بالانتشار والابتغاء أمر اباحة وفضل الله هو مايهيئه من حالة حسنة كعيادة مريض وصلة صديق واتباع جنازة وأخذ فى بيع وشراء وتصرفات دينية ودنيوية وأمر مع ذلك باكثار ذكر الله تعالى ﴿واذا رأوا تجارة أو لهوا﴾ الآية روى أنه كان أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بعير تحمل ميرة قال مجاهد وكان من عرفهم أن يدخل بالطبل والمعازف والصياح فدخلت بها سر ورابها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فانفضوا الى رؤية ذلك وسماعه وتركوه عليه

وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ * السفر الكتاب المجمع الأوراق منضدة ﴿ يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم * هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين * وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدى القوم الظالمين * قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله

خير الرازقين﴾ هذه السورة مدنية * وقيل مكية وهو خطأ لان أمر اليهود وانفضاض الناس فى الجمعة لم يكن إلا بالمدينة * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه وذكر ما أنعم به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعثته اليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم فصارت أمته غالبة سائر الأمم قاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت دعوة الحواريين فى زمانهم * وقرأ الجمهور الملك بجره وجر ما بعده وأبو وائل ومسلمة ابن محارب ورؤبة وأبو الدينار الاعرابى بالرفع على اضمار هو وحسنه الفصل الذى فيه طول بين الموصوف والصفة وكذلك جاء عن يعقوب * وقرأ أبو الدينار وزيد بن على القدوس بفتح القاف والجمهور بالضم * هو الذى بعث الآية تقدم الكلام فى نظيرها فى آل عمران وفى نسبة الأمى * وآخرين الظاهر انه معطوف على الأميين أى وفى آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون * وقيل وآخرين منصوب معطوف على الضمير فى ويعلمهم أسند تعليم الآخرين اليه عليه الصلاة والسلام مجازا لما تناسق التعليم الى آخر الزمان وتلا بعضه بعضا فكأنه عليه الصلاة والسلام وجد منه * وقال أبو هريرة وغيره وآخرين هم فارس وجاء نصا عنه فى صحيح البخارى ومسلم ولو فهم منه الحصر فى فارس لم يجز أن يفسر به الآية ولكن فهم المفسرون منه انه تمثيل * فقال مجاهد وابن جبير الروم والعجم * وقال مجاهد أيضا وعكرمة ومقاتل التابعين من أبناء العرب لقوله منهم أى فى النسب * وقال مجاهد أيضا والضحاك وابن حبان طوائف من الناس * وقال ابن عمر أهل اليمن وعن مجاهد أيضا أبناء الأعاجم وعن ابن زيد أيضا هم التابعون وعن الضحاك أيضا العجم وعن أبى روق الصغار بعد الكبار وينبغى أن تحمل هذه الأقوال على التمثيل كما حملوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى فارس وهو العزيز الحكيم فى تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده واختياره من سائر البشر * ذلك فضل الله أى إيتاء النبوة وجعله خير خلقه واسطة بينه وبين خلقه * مثل الذين حملوا التوراة هم اليهود المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم كلفوا القيام بأوامرها ونواهيها ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهى ناطقة بنبوته * وقرأ الجمهور حملوا مشددا مبنيا للمفعول ويحيى بن يعمر وزيد بن على مخففا مبنيا للفاعل شبه صفتهم بصفة الحمار الذى يحمل كتبا فهو لا يدرى ما عليه أكتب هى أم صخر وغير ذلك وانما يدرك من ذلك ما يلحقه من التعب بحملها * وقال الشاعر فى نحو ذلك

زوامل للأشعار لا علم عندهم * بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدى * بأوساقه أو راح ما فى الغرائر

* وقرأ عبد الله حمار منكرا والمأمون بن هارون يحمل بشد الميم مبنيا للمفعول * والجمهور الحمار معرفا ويحمل مخففا مبنيا للفاعل ويحمل فى موضع نصب على الحال * قال الزمخشرى أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * انتهى وهذا الذى قاله قد ذهب اليه بعض النحويين وهو أن مثل هذا من المعارف يوصف بالجمل وحملوا عليه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وهذا وأمثاله عند المحققين فى موضع الحال لا فى موضع الصفة ووصفه بالمعرفة ذى اللام دليل على تعريفه مع ما فى ذلك المذهب من هدم ما ذكره المتقدمون من أن المعرفة لا تنعت

السلام قائما على المنبر فى اثنى عشر رجلا قال جابر أنا أحدهم وقال أبو بكر غالب بن عطية هم العشرة المشهود لهم بالجنة فنزلت وإذا رأوا تجارة وقال ابن عطية قال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ كانت هى سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتأمل أن قدمت التجارة على اللهو فى الرؤية لانها أهم وأخرت مع التفضيل لتقع النفس أولا على الابين انتهى وقوله وقال اليها ولم يقل اليهما ليس بشئ لان العطف بأو لا يثنى فيه الضمير بل يفرد وفى قوله قائما دلالة على مشروعية القيام فى الخطبة وأول من استراح فى الخطبة عثمان وأول من خطب جالسا معاوية وناسب ختمها بقوله ﴿خير الرازقين﴾ لانهم كانوا قد مسهم شئ من غلاء الأسعار كما تقدم فى سبب النزول وما مبتدأ وخبره خير

(الدر)

﴿سورة الجمعة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) أو الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * انتهى (ح) هذا الذى قاله قد ذهب اليه بعض النحويين وهو أن مثل هذا من المعارف يوصف بالجمل وحملوا عليه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وهذا وأمثاله عند المحققين فى موضع الحال لا فى موضع الصفة ووصفه بالمعرفة ذى اللام دليل على تعريفه مع ما فى ذلك المذهب من هدم ما ذكره المتقدمون من

الابالمعرفة والجمل نكرات * بئس مثل القوم * قال الزمخشري بئس مثلا مثل القوم انتهى وخرجه على أن يكون التمييز محذوفا وفي بئس ضمير يفسره مثلا الذي ادعى حذفه وقد نص سيبويه على أن التمييز الذي يفسره الضمير المستكن في نعم وبئس وما أجرى مجراهما لا يجوز حذفه * وقال ابن عطية والتقدير بئس المثل مثل القوم انتهى وهذا ليس بشئ لأن فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز والظاهر أن مثل القوم فاعل بئس والذين كفروا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف أي مثل الذين كذبوا بآيات الله وهم اليهود أو يكون الذين كذبوا صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف التقدير بئس مثل القوم المكذبين مثلهم أي مثل هؤلاء الذين حملوا التوراة * روى أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر ان اتبعتموه أطعنا كم وان خالفتموه خالفناه فقالوا لهم نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزير بن الله والأنبياء ومتى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه فنزلت قل يا أيها الذين هادوا وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه وان كان قولكم حقا فتمنوا أن تنقلوا سريعا الى دار كرامته المعدة لأوليائه وتقدم تفسير نظير بقية الآية في سورة البقرة * وقرأ الجمهور فتمنوا الموت بضم الواو وابن يعمر وابن أبي اسحق وابن السميقع بكسرها وعن ابن السميقع أيضا فتحها * وحكى الكسائي عن بعض الاعراب أنه قرأ بالهمز مضمومة بدل الواو وهذا كقراءة من قرأ تلؤون بالهمز بدل الواو * قال الزمخشري ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل الا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه وهذا منه رجوع عن مذهبه في أن لن تقتضي النفي على التأبيد الى مذهب الجماعة في أنها لا تقتضيه وأما قوله الا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فيحتاج ذلك الى نقل عن مستقري اللسان * وقرأ الجمهور فانه والفاء دخلت في خبر ان اذا جرى مجرى صفته فكان ان باشرت الذي وفي الذي معنى الشرط فدخلت الفاء في الخبر وقد منع هذا قوم منهم الفراء وجعلوا الفاء زائدة * وقرأ زيد بن علي انه بغير فاء وخرجه الزمخشري على الاستئناف وخبر ان هو الذي كأنه قال قل ان الموت هو الذي تفرون منه انتهى ويحتمل أن يكون خبر ان هو قوله انه ملاقيكم فالجملة خبر ان ويحتمل أن يكون انه توكيدا لان الموت وملاقيكم خبر ان لما طال الكلام أكد الحرف مصحوبا بضمير الاسم الذي لان * اذا نودي أي اذا أذن وكان الاذان عند قعود الامام على المنبر وكذا كان في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة وكذا كان في عهد أبي بكر وعمر الى زمان عثمان كثر الناس وتباعدت المنازل فزاد مؤذنا آخر على داره التي تسمى الزوراء فاذا جلس على المنبر أذن الثاني فاذا نزل من المنبر أقيمت الصلاة ولم يعب ذلك أحد على عثمان رضي الله عنه ( فان قلت ) من في قوله من يوم الجمعة ما هي ( قلت ) هي بيان لاذا وتفسير له انتهى * وقرأ الجمهور الجمعة بضم الميم وابن الزبير وأبو حيوة وابن أبي عبلة ورواية عن أبي عمرو وزيد بن علي والأعمش بسكونها وهي لغة تميم ولغة بفتحها لم يقرأ بها وكان هذا اليوم يسمى عروبة ويقال العروبة * قيل أول من سماه الجمعة كعب بن لؤي وأول جمعة صليت جمعة سعد بن أبي زرارة صلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة جمعت في الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة نزل بقباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس

( الدر )

أن المعرفة لا تنعت الا بالمعرفة والجمل نكرات ( ش ) بئس مثل القوم أي بئس مثلا مثل القوم انتهى ( ح ) خرجه على أن يكون التمييز محذوفا وفي بئس ضمير يفسره مثلا الذي ادعى حذفه وقد نص سيبويه على أن التمييز الذي يفسر المضمر المستكن في نعم وبئس وما جرى مجراهما لا يجوز حذفه ( ع ) والتقدير بئس المثل مثل القوم انتهى ( ح ) هذا ليس بشئ لان فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز ( ش ) ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل الا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه انتهى ( ح ) هذا منه رجوع عن مذهبه في أن لن يقتضي النفي على التأبيد الى مذهب الجماعة في أنها لا تقتضيه وأما قوله الا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فيحتاج ذلك الى نقل عن مستقري اللسان

مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدرك صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة والظاهر وجوب السعي لقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وأنه يكون في المشي خفة و بدار * وقال الحسن وقتادة ومالك وغيرهم انما تؤتى الصلاة بالسكينة والسعي هو بالنية والارادة والعمل وليس الاسراع في المشي كالسعي بين الصفا والمروة وانما هو بمعنى قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشي كله سعي والظاهر أن الخطاب بالامر بالسعي للمؤمنين عموما وأنها فرض على الاعيان وعن بعض الشافعية أنها فرض كفاية وعن مالك رواية شاذة أنها سنة * وقال القاضي أبو بكر بن العربي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم وقالوا المأمور بالسعي المؤمن الصحيح الحر الذكر المقيم فلو حضر غيره أجزأهم انتهى والمسافة التي يسعى منها الى صلاة الجمعة لم تتعرض الآية لها واختلف الفقهاء في ذلك * فقال ابن عمر و أبو هريرة وأنس والزهري ستة أميال * وقيل خمسة * وقال ربيعة أربعة أميال * و روى ذلك عن الزهري وابن المنكدر * وقال مالك والليث ثلاثة * وقال أبو حنيفة وأصحابه على من في المصر سمع النداء أو لم يسمع لا على من هو خارج المصر وان سمع النداء وعن ابن عمر وابن المسيب والزهري وأحمد واسحق على من سمع النداء * وعن ربيعة على من اذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيا أدرك الصلاة * وقرأ كبراء من الصحابة والتابعين فامضوا بدل فاسعوا وينبغي أن يحمل على التفسير من حيث انه لا يراد بالسعي هنا الاسراع في المشي ففسروه بالمضي ولا يكون قرآنا لمخالفته سواد ما أجمع عليه المسلمون وذكر الله هنا الخطبة قاله ابن المسيب وهي شرط في انعقاد الجمعة عند الجمهور * وقال الحسن هي مستحبة والظاهر أنه يجزئ من ذكر الله تعالى ما يسمى ذكرا * قال أبو حنيفة لو قال الحمد لله أو سبحان الله واقتصر عليه جاز وقال غيره لا بد من كلام يسمى خطبة وهو قول الشافعي وأبي سفيان ومحمد بن الحسن والظاهر تحريم البيع وأنه لا يصح * وقال ابن العربي يفسخ وهو الصحيح * وقال الشافعي ينعقد ولا يفسخ وكل ما يشغل من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ ورعا انتهى وانما ذكر البيع من بين سائر المحرمات لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الاسواق اذ يكثر الوافدون الامصار من القرى و يجتمعون للتجارة اذا تعالى النهار فأمروا بالبدار الى تجارة الآخرة ونهوا عن تجارة الدنيا و وقت التحريم من الزوال الى الفراغ من الصلاة قاله الضحاك والحسن وعطاء * وقال ناس غيرهم من وقت أذان الخطبة الى الفراغ والاشارة بذلكم الى السعي وترك البيع والأمر بالانتشار والابتغاء أمر إباحة وفضل الله هو ما يلبسه في حالة حسنة كعيادة المريض وصلة صديق واتباع جنازة وأخذ في بيع وشراء وتصرفات دينية ودنيوية فأمر مع ذلك باكثار ذكر الله * وقال مكحول والحسن وابن المسيب الفضل المأمور بابتغائه هو العلم * وقال جعفر الصادق ينبغي أن يكون لجر صبيح يوم السبت و يعني أن يكون بقية يوم الجمعة في عبادة * و روى انه كان أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بعير تحمل ميرة * قال مجاهد وكان من عرفهم أن يدخل بالطبل والمعازف من دراتها فدخلت بها فانفضوا الى رؤية ذلك وسماعه وتركوه صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر في اثني عشر رجلا * قال جابر أنا أحدهم * قال أبو بكر غالب بن عطية هم العشرة المشهود لهم بالجنة والحادي عشر قيل عمار * وقيل ابن مسعود * وقيل ثمانية قالوا فنزلت واذا رأوا تجارة * وقرأ الجمهور اليها بضمير التجارة وابن أبي عبلة اليه بضمير اللهو

﴿سورة المنافقون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿اذا جاءك المنافقون﴾ الآية هذه السورة مدنية نزلت في غزوة بني المصطلق وكانت من عبد الله بن أبي بن سلول وأتباعه وسبب نزولها مذكور في قصة طويلة مضمونها أن اثنين من الصحابة ازدحما على ماء وذلك في غزوة بني المصطلق فشج أحدهما الآخر فدعا المشجوج بالانصار والشاج بالمهاجرين فقال عبد الله ابن أبي ما حكى الله عنه من قوله لاتنفقوا على من عند (٢٦٩) رسول الله حتى ينفضوا وقوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل وعنى بالاعز نفسه وكلاما قبيحا فسمعه زيد ابن أرقم فنقل ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلام رسول الله عبد الله فحلف ما قال شيأ من ذلك فاتهم زيد فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله لايعلمون تصديقا لزيد وتكذيبا لعبد الله ومناسبتها لما قبلها أنه لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلا عن المنافقين واتبعهم ناس من المؤمنين في ذلك وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة اذ كان وقت مجاعة جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الايمان وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم لاتنفقوا كانوا هم أصحاب أموال والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى ﴿قالوا نشهد﴾ يجري مجرى اليمين ولذلك تلقى بما تلقى به القسم وكذا فعل اليقين والعلم يجري مجرى القسم بقوله إنك لرسول الله وأصل الشهادة أن يواطئ اللسان القلب هذا بالنطق وذاك بالاعتقاد فأكذبهم الله تعالى وفضحهم بقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون أي لم تواطئ قلوبهم ألسنتهم على تصديقك واعتقادهم انك غير رسول الله فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم أو كاذبون عند أنفسهم اذ كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله والله يعلم انك لرسوله ايذانا أن الأمر كما نطقوا به من كونه رسول الله حقا ولو لم تأت هذه الجملة لتوهم أن قولهم هذا كذب فوسطت الجملة بينهما ليزول ذلك التوهم

وكلاهما جائز نص عليه الأخفش عن العرب * وقال ابن عطية وقال اليها ولم يقل اليهما تهمما بالأهم إذ كانت سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتأمل أن قدمت التجارة على اللهو في الرؤية لانها أهم وأخرت مع التفضيل لتقع النفس أولا على الأبين انتهى وفي قوله قائما دلالة على مشروعية القيام في الخطبة وأول من استراح في الخطبة عثمان وأول من خطب جالسا معاوية وقرئ اليهما بالتثنية للضمير كقوله تعالى ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما وتخريجه على أن يتجوز بأو فتكون بمعنى الواو وقد تقدم غير هذا التخريج في قوله فالله أولى بهما في موضعه في سورة النساء * وناسب ختمها بقوله والله خير الرازقين لانهم كانوا قد مسهم شئ من غلاء الأسعار كما تقدم في سبب النزول وقد ملأ المفسرون كثيرا من أوراقهم بأحكام وخلاف في مسائل الجمعة مما لاتعلق له بلفظ القرآن

## ﴿سورة المنافقون مدنية وهي إحدى عشرة آية﴾

## ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون * واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون * سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لايهدي القوم الفاسقين * هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون * يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون * يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ * الجسم والخشب معروفان أسندت ظهري الى الحائط أملته وأضفته اليه وتساند القوم اصطفوا وتقابلوا للقتال ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ *

﴿اتخذوا أيمانهم﴾ سمى شهاداتهم تلك ايمانا ولما ذكر أنهم كاذبون أتبعه بموجب كذبهم وهو اتخاذ أيمانهم جنة يستترون بها ويذبون بها عن أنفسهم وأموالهم ﴿فصدوا﴾ أى أعرضوا وصدوا اليهود والمشركين عن الدخول فى الاسلام ﴿ذلك﴾ أى الحلف الكاذب والصد المقتضيان لهم سوء العمل بسبب إيمانهم ثم كفرهم ﴿فطبع﴾ أى ختم على قلوبهم ومعنى آمنوا انطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل المسلمون ثم كفروا أى ظهر كفرهم بما نطقوا به بعد ﴿تعجبك أجسامهم﴾ الخطاب للرسول أو للسامع أى لحسنها ونضارتها وجمالها وهم رؤساء المنافقين ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ وذلك لفصاحة ألسنتهم وجهارة أصواتهم فكان منظرهم يروق ومنطقهم يخلب شبهوا بالخشب لعزوب أفهامهم وفراغ قلوبهم من الايمان والجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخور ويدل عليه يحسبون كل صيحة عليهم وعليهم فى موضع المفعول الثانى ليحسبون أى واقعة عليهم وذلك لجبنهم وما فى قلوبهم من الرعب ﴿واذا قيل لهم تعالوا﴾ لما صدق الله زيد بن أرقم فيما أخبر به عن ابن سلول مقت الناس ابن سلول ولامه المؤمنون من قومه وقال بعضهم امض الى رسول الله واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه انكارا لهذا الرأى وقال لهم لقد أشرتم على بالايمان فآمنت وأشرتم على بأن أعطى زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمرونى بالسجود لمحمد ويستغفر مجزوم على جواب الامر ورسول الله يطلبه عاملا لان أحدهما يستغفر والآخر تعالوا فأعمل الثانى على المختار عند أهل البصرة ولو أعمل الاول لكان التركيب تعالوا يستغفر لكم الى رسول الله ولوا (٢٧٠) رؤسهم هو على سبيل الاستهزاء واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق فيستغفر لهم اذ كان استغفاره متسببا عن استتابتهم فيتوبون ﴿وهم يصدون﴾ عن المجىء ويصدون جملة حالية وهم مستكبرون جملة حالية أيضا ولما سبق فى علمه تعالى أنهم لا يؤمنون البتة سوى بين استغفاره لهم وعدمه ﴿يقولون لئن رجعنا الى المدينة﴾ لما سمع عبد الله ولد عبد الله بن أبى وكان رجلا صالحا هذه الآية جاء الى أبيه فقال يا أبت أنت والله الذليل ورسول الله العزيز فلما دنا الى المدينة جرد السيف عليه ومنعه الدخول حتى يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما قال له وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى أذن له الرسول عليه السلام بتخليته وفى هذا الحديث أنه قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك قال أفاعل أنت قال نعم فقال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ﴿لا تلهكم﴾ لا تشغلكم ﴿أموالكم﴾ بالسعى فى نمائها ﴿ولا أولادكم﴾ بالسرور بهم والنظر فى مصالحهم فى حياتكم وبعد مماتكم ﴿عن ذكر الله﴾ هو عام فى الصلاة والثناء على الله بالتسبيح والتحميد وغير ذلك ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أى الشغل عن ذكر الله بالمال والولد ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ حيث آثروا العاجل على الآجل والفانى على الباقى ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ المراد الزكاة وقيل عام فى كل مفروض ومندوب ﴿لولا أخرتنى﴾ أى هلا أخرت موتى الى زمان قليل ﴿فأصدق﴾ هو منصوب على جواب الرغبة وقرأ الجمهور ﴿وأكن﴾ مجزوما قال الزمخشرى عطفا على محل فاصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان تؤخرنى أصدق وأكن هذا مذهب أبى على الفارسى وأما ما حكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو أنه جزم أكن على توهم الشرط الذى يدل عليه التمنى ولا موضع هنا لأن الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فمن قرأ بالجزم عطف على موضع فلا هادى له لأنه لو وقع هنالك فعل كان مجزوما انتهى والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل فى العطف على الموضع موجود دون

اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون * واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون * سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين * هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون * يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين *

ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ هذه السورة مدنية نزلت فى غزوة بنى المصطلق كانت من عبد الله بن أبى بن سلول وأتباعه فيها أقوال فنزلت * وسبب نزولها مذكور فى قصة طويلة من مضمونها أن اثنين من الصحابة ازدحما على ماء وذلك فى غزوة بنى المصطلق فشج أحدهما الآخر فدعا المشجوج بالأنصار والشاج بالمهاجرين فقال عبد الله بن أبى بن سلول ما حكى الله تعالى عنه من قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الأعز منها الأذل وعنى الأعز نفسه وكلاما قبيحا فسمعه زيد بن أرقم ونقل ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فحلف ما قال شيأ من ذلك فاتهم زيد فأنزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله لا يعلمون تصديقا لزيد وتكذيبا لعبد الله بن أبى * ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلا عن المنافقين واتبعهم ناس كثير من المؤمنين فى ذلك وذلك لسرورهم بالعير التى قدمت بالميرة اذ كان وقت مجاعة جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الايمان وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا إذ كانوا هم أصحاب أموال والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى * قالوا نشهد يجرى مجرى اليمين ولذلك تلقى بما يتلقى به القسم وكذا فعل اليقين والعلم يجرى مجرى القسم بقوله إنك لرسول الله وأصل الشهادة أن يواطئ اللسان القلب هذا بالنطق وذلك بالاعتقاد فأكذبهم الله وفضحهم بقوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون أى لم تواطئ قلوبهم ألسنتهم على تصديقك واعتقادهم أنك غير رسول فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم أو كاذبون عند أنفسهم إذ كانوا يعتقدون أن قولهم إنك لرسول الله كذب وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله تعالى والله يعلم إنك لرسوله ايذانا أن الأمر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقا ولم تأت هذه الجملة لتوهم أن قولهم هذا كذب فوسطت الأمر بينهما ليزول ذلك التوهم * اتخذوا أيمانهم سمى شهادتهم تلك أيمانا * وقرأ الجمهور أيمانهم بفتح الهمزة جمع يمين والحسن بكسرها مصدر آمن ولما ذكر انهم كاذبون أتبعهم بموجب كفرهم وهو اتخاذ أيمانهم جنة يستترون بها ويذبون بها عن أنفسهم وأموالهم كما قال بعض الشعراء

وما انتسبوا الى الاسلام إلا * لصون دمائهم أن لا تسالا

ومن أيمانهم أيمان عبد الله ومن حلف معه من قومه انه ما قال ما نقله زيد بن أرقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلوا تلك الأيمان جنة تقى من القتل * وقال أعشى همدان

اذا أنت لم تجعل لعرضك جنة * من المال سار القوم كل مسير

* وقال الضحاك اتخذوا حلفهم بالله انهم لمنكم * وقال قتادة كلما ظهر شئ منهم يوجب مؤاخذتهم حلفوا كاذبين عصمة لأموالهم ودمائهم * وقال السدى جنة من ترك الصلاة عليهم اذا ماتوا فصدوا أى أعرضوا وصدوا اليهود والمشركين عن الدخول فى الاسلام ذلك أى ذلك الحلف الكاذب والصد المقتضيان لهم سوء العمل بسبب ايمانهم ثم كفرهم * وقال ابن عطية ذلك اشارة الى فعل الله بهم فى فضيحتهم وتوبيخهم ويحتمل أن تكون الاشارة الى سوء ما عملوا فالمعنى ساء عملهم بان كفروا * وقال الزمخشرى ذلك القول الشاهد عليهم بانهم أسوأ الناس أعمالا بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا أو الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستخفاف بالايمان أى ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا * وقرأ الجمهور فطبع مبنيا للمفعول وزيد بن على مبنيا للفاعل أى فطبع الله وكذا قراءة

مؤثر والعامل فى العطف على التوهم مفقود وأثره موجود ﴿ ولن يؤخر الله ﴾ فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذرا أن يجئ الأجل وقد فرط ولم يستعد للقاء الله تعالى وقرأ الجمهور تعملون بتاء الخطاب للناس كلهم وأبو بكر بالياء خص الكفار بالوعيد ويحتمل العموم

الأعمش و زيد في رواية مصرحا بالله و يحتمل على قراءة زيد الاولى أن يكون الفاعل ضميرا يعود على المصدر المفهوم من ماقبله أي فطبع هو أي بلعبهم بالدين ومعنى آمنوا انطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل المسلمون ثم كفروا أي ظهر كفرهم بما نطقوا به من قولهم لئن كان محمد مايقوله حقا فنحن شر من الحمير وقولهم أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين و بالكفر عند شياطينهم أو ذلك فيمن آمن ثم ارتد * واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو للسامع أي لحسنها ونضارتها وجهارة أصواتهم فكان منظرهم يروق ومنطقهم يحلو * وقرأ الجمهور تسمع بتاء الخطاب وعكرمة وعطية العوفي يسمع بالياء مبنيا للمفعول ولقولهم الجار والمجرور هو المفعول الذي لم يسم فاعله وليست اللام زائدة بل ضمن يسمع معنى يصغ و يميل تعدى باللام وليست زائدة فيكون قولهم هو المسموع وشبهوا بالخشب لعزوب افهامهم وفراغ قلوبهم من الايمان ولم يكف حتى جعلها مسندة الى الحائط لا انتفاع بها الا اذا كانت في سقف أو مكان ينتفع بها وأما اذا كانت غير منتفع بها فانها تكون مهملة مسندة الى الحيطان أو ملقاة على الارض قد صففت أو شبهوا بالخشب التي هي الاصنام وقد أسندت الى الحيطان والجملة التشبيهية مستأنفة أو على اضمارهم * وقرأ الجمهور خشب بضم الخاء والشين والبراء بن عازب والنحويان وابن كثير باسكان الشين تخفيف خشب المضموم * وقيل جمع خشباء كحمر جمع حمراء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في فساد بواطنهم * وقرأ ابن المسيب وابن جبير خشب بفتحتين اسم جنس الواحد خشبة وأنث وصفه كقوله أعجاز نخل خاوية أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام وذكر ممن كان ذا بهاء وفصاحة عبد الله بن أبي والجد بن قيس ومعتب بن قشير * قال الشاعر في مثل هؤلاء

لا تخدعنك اللحى ولا الصور * تسعة اعشار من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشرا * وليس فيها الطالب مطر

في شجر السرو منهم شبه * له رواء وماله ثمر

* وقيل الجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخور و يدل عليه يحسبون كل صيحة عليهم في موضع المفعول الثاني ليحسبون أي واقعة عليهم وذلك لجبنهم ومافي قلوبهم من الرعب * قال مقاتل كانوا متى سمعوا بنشدان ضالة أو صياحا بأي وجه كان أو أخبر وابنزول وحي طارت عقولهم حتى يسكن ذلك و يكون في غير شأنهم وكانوا يخافون أن ينزل الله تعالى فيهم ماتباح به دماؤهم وأموالهم ونحو هذا قول الشاعر

يروعه السرار بكل أرض * مخافة أن يكون به السرار

﴿ وقال جرير ﴾

مازلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

أنشده ابن عطية لجرير ونسب هذا البيت الزمخشري للاخطل * قال ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير (فان قلت) لحقه أن يقول هي العدو (قلت) منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة انتهى وتخريج هم العدو على انه مفعول ثان ليحسبون تخريج متكلف بعيد عن الفصاحة بل المتبادر الى الذهن السليم ان يكون هم العدو اخبار امنه تعالى بانهم وان أظهروا الاسلام وأتباعهم هم المبالغون في عداوتك

(الدر)

﴿ سورة المنافقون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت لحقه أن يقول هي العدو * قلت منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة انتهى (ح) وتخريج هم العدو على انه مفعول ثان ليحسبون تخريج متكلف بعيد عن الفصاحة بل المتبادر الى الذهن السليم أن يكون هم العدو اخبارا منه تعالى بأنهم وان أظهروا الاسلام واتباعهم هم المبالغون في عداوتك ولذلك جاء بعده أمره تعالى اياهم بحذرهم فقال فاحذرهم فالأمر بالحذر متسبب عن اخباره بأنهم هم العدو

ولذلك جاء بعده أمره تعالى اياه بحذرهم فقال فاحذرهم فالأمر بالحذر متسبب عن اخباره بأنهم هم العدو وقاتلهم الله دعاء يتضمن ابعادهم وأن يدعو عليهم المؤمنون بذلك * أنى يؤفكون أي كيف يصرفون عن الحق وفيه تعجب من ضلالهم وجهلهم ولما أخبره تعالى بعداوتهم أمره بحذرهم فلا يثق باظهار مودتهم ولا بلين كلامهم وقاتلهم الله كلمة ذم وتوبيخ وقالت العرب قاتله الله ما أشعره يضعونه موضع التعجب ومن قاتله الله فهو مغلوب لانه تعالى هو القاهر لكل معاند وكيف استفهام أي كيف يصرفون عن الحق ولا يرون رشد أنفسهم * قال ابن عطية و يحتمل أن يكون أنى ظرفا لقاتلهم كأنه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا أو صرفوا فلا يكون في هذا القول استفهام على هذا انتهى ولا يصح أن يكون أنى لمجرد الظرف بل لابد أن يكون ظرفا استفهاما اما بمعنى أين أو بمعنى متى أو بمعنى كيف أو شرطا بمعنى أين وعلى هذه التقادير لا يعمل فيها ما قبلها ولا تتجرد لمطلق الظرفية بحال من غير اعتبار ما ذكرناه فالقول بذلك باطل * ولما صدق الله زيد بن أرقم فيما أخبر به عن ابن سلول مقت الناس ابن سلول ولامه المؤمنون من قومه وقال له بعضهم امض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه انكارا لهذا الرأي وقال لهم لقد أشرتم علي بالايمان فآمنت وأشرتم علي بأن أعطي زكاة مالي ففعلت ولم يبق لكم الا أن تأمروني بالسجود لمحمد ويستغفر مجزوم على جواب الأمر ورسول الله يطلب عاملان أحدهما يستغفر والآخر تعالوا فاعمل الثاني على المختار عند أهل البصرة ولو أعمل الاول لكان التركيب تعالوا يستغفر لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقرأ مجاهد ونافع وأهل المدينة وأبو حيوة وابن أبي عبلة والمفضل وابان عن عاصم والحسن ويعقوب بخلاف عنهما لووا بفتح الواو وأبو جعفر والأعمش وطلحة وعيسى وأبو رجاء والأعرج وباقي السبعة بشدها للتكثير ولي رؤسهم على سبيل الاستهزاء واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق فيستغفر لهم اذ كان استغفاره متسببا عن استتابتهم فينوبون وهم يصدون عن المجيء واستغفار الرسول * وقرئ يصدون و يصدون جملة حالية وأتى بالمضارع ليدل على استمرارهم وهم مستكبرون جملة حالية أيضا ولما سبق في علمه تعالى انهم لا يؤمنون البتة سوى بين استغفاره لهم وعدمه * وحكى مكي انه عليه الصلاة والسلام كان استغفر لهم لانهم أظهروا له الاسلام * وقال ابن عباس نزلت هذه بعد قوله تعالى في براءة ان تستغفر لهم سبعين مرة وقوله عليه الصلاة والسلام سوف أستغفر لهم زيادة على السبعين فنزلت هذه الآية فلم يبق للاستغفار وجه * وقرأ الجمهور أستغفرت بهمزة التسوية التي أصلها همزة الاستفهام وطرح ألف الوصل وأبو جعفر بمدة على الهمزة * قيل هي عوض من همزة الوصل وهي مثل المدة في قوله قل آلذكرين حرم لكن هذه المدة في الاسم لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولا يحتاج ذلك في الفعل لأن همزة الوصل فيه مكسورة وعن أبي جعفر أيضا ضم ميم عليهم اذ أصلها الضم و وصل الهمزة * وروى معاذ بن معاذ العنبري عن أبي عمرو كسر الميم على أصل التقاء الساكنين ووصل الهمزة فتسقط في القراءتين واللفظ خبر والمعنى على الاستفهام والمراد التسوية وجاز حذف الهمزة لدلالة أم عليها كما دلت على حذفها في قوله

* بسبع رمينا الجمر أم بثمان * يريد أبسبع * وقال الزمخشري وقرأ أبو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلب همزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله * وقال ابن عطية وقرأ أبو جعفر بن القعقاع آستغفرت بمدة على الهمزة وهي ألف التسوية * وقرأ

( الدر )

( ع ) و يحتمل أن يكون أنى ظرفا لقاتلهم كأنه قال قاتلهم الله كيف انصرفوا أو صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى ( ح ) لا يصح أن يكون أنى لمجرد الظرف بل لابد أن يكون ظرفا استفهاما إما بمعنى أين أو بمعنى متى أو بمعنى كيف أو شرطا بمعنى أين وعلى هذه التقادير لا يعمل فيها ما قبلها ولا يتجرد لمطلق الظرفية بحال من غير اعتبار ما ذكرناه فالقول بذلك باطل

أيضا بوصل الألف دون همـز على الخبر وفى هذا كله ضعف لأنه فى الأولى أثبت همزة الوصل وقـد
أغنت عنها همـزة الاستفهام وفى الثانية حذف همزة الاستفهام وهو يريدها وهذا مما لا يستعمل الا
فى الشعر * هم الذين يقولون اشارة الى ابن سلول ومن وافقه من قومه سفه أحلامهم فى أنهم ظنوا
أن رزق المهاجرين بأيديهم وما علموا أن ذلك بيد الله تعالى لا تنفقوا على من عند رسول الله ان كان
الله تعالى حكى نص كلامهم فقولهم على من عند رسول الله هو على سبيل الهزء كقولهم يا أيها الذى
نزل عليه الذكر انك لمجنون أو لكونه جرى عندهم مجـرى اللعب أى هو معروف باطلاق هـذا
اللفظ عليه اذ لو كانوا مقرين برسالته ما صدر منهم ما صدر فالظاهر أنهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللفظ
ولكنه تعالى عبر بذلك عن رسوله صلى الله عليه وسلم اكراما له واجلالا * وقرأ الجمهور ينفضوا
أى يتفرقوا عن الرسول والفضل بن عيسى ينفضوا من انفض القوم فنى طعامهم فنفض الرجـل
وعاءه والفعل من باب ما يعدى بغير الهمزة وبالهمزة لا يتعدى * قال الزمخشرى وحقيقته حان لهم
أن ينفضوا مزاودهم * وقـرأ الجمهور ليخرجن الاعز منها الأذل فالأعز فاعـل والأذل مفعول
وهو من كلام ابن سـلول كما تقدم ويعنى بالأعز نفسه وأصحابه وبالأذل المؤمنين والحسن وابن
أبى عبـلة والسبى فى اختياره لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل فالأعز مفـعول والأذل حال
* وقرأ الحسن فيما ذكر أبو عمرو والدانى لنخرجن بنون الجماعة مفتوحة وضم الراء ونصب الاعز
على الاختصاص كما قال نحن العـرب أقرى الناس للضيف ونصب الأذل على الحـال وحكى هـذه
القراءة أبو حاتم وحكى الكسائى والفـراء أن قوما قـرأوا ليخرجن بالياء مفتوحـة وضم الراء
فالفاعل الأعز ونصب الاذل على الحال * وقرئ مبنيا للمفعول وبالياء الأعز مرفوع به الاذل نصبا
على الحال ومجىء الحال بصورة المعـرفة متأول عند البصريين فما كان منها بأل فعلى زيادتها الا أنها
معرفة * ولما سمع عبد الله ولد عبد الله بن أبى هذه الآية جاء الى أبيـه فقال أنت والله يا أبت الذليـل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز فلما دنا من المدينة جرد السيف عليه ومنعه الدخول حتى يأذن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما قال له وراءك لا تدخلها حتى تقول رسـول الله صلى الله عليه
وسلم الاعز وأنا الاذل فلم يزل حبيسا فى يده حتى أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وفى هذا
الحديث أنه قال لأبيه لئن لم تشهد لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك قال أفاعـل أنت قال نعم فقال
أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين * وقيـل للحسن بن على رضى الله تعالى عنهما أن فيك تيها
فقال ليس بتيه ولكنه عزة وتـلا هـذه الآية * لا تلهكم أموالكم بالسعى فى نمائها والتلذذ بجمعها ولا
أولادكم بسروركم بهم وبالنظر فى مصالحهم فى حياتكم وبعـد مماتكم عن ذكر الله هو عام فى
الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء * وقال نحوا منه الحسن وجماعة
* وقال الضحاك وعطاء أكدهنا الصلاة المكتوبة * وقال الحسن أيضا جميـع الفرائض * وقال
الكلبى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل القرآن * ومن يفعل ذلك أى الشغل عن
ذكر الله بالمال والولد فأولئك هم الخاسرون حيث آثروا العاجل على الآجل والفانى على الباقى
وأنفقوا مما رزقناكم قال الجمهور المراد الزكاة * وقيـل عام فى المفروض والمنـدوب وعن
ابن عباس نزلت فى مانعى الزكاة والله لو رأى خـيرا ما سأل الرجعة فقيـل له أما تتقى الله يسئل
المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعنى انها نزلت فى المؤمنـين وهم المخاطبون بها
* لولا أخرتنى أى هلا أخرت موتى الى زمان قليـل * وقرأ الجمهور فأصدق وهو منصوب على

جواب الرغبة وأبي وعبد الله وابن جبير فأتصدق على الأصل * وقرأ جمهور السبعة وأكن مجزوما * قال الزمخشري وأكن بالجزم عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتني أصدق وأكن انتهى * وقال ابن عطية عطفا على الموضع لأن التقدير ان تؤخرني أصدق وأكن هذا مذهب أبي علي الفارسي فأما ماحكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو أنه جزم وأكن على توهم الشرط الذي يدل عليه بالتمني ولا موضع هنا لأن الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فمن قرأ بالجزم عطف على موضع فلا هادي له لأنه لو وقع هنالك فعل كان مجزوما انتهى والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثره والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود * وقرأ الحسن وابن جبير وأبو رجاء وابن أبي اسحق ومالك ابن دينار والأعمش وابن محيصن وعبد الله بن الحسن العنبري وأبو عمرو وأكون بالنصب عطفا على فأصدق وكذا في مصحف عبد الله وأبي * وقرأ عبيد بن عمير وأكون بضم النون على الاستئناف أي وأنا أكون وهو وعد الصلاح * ولن يؤخر الله نفسا فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذارا أن يجيء الأجل وقد فرط ولم يستعد للقاء الله * وقرأ الجمهور تعملون بتاء الخطاب للناس كلهم وأبو بكر بالياء خص الكفار بالوعيد ويحتمل العموم

﴿ سورة التغابن مدنية وهي ثماني عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير * خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير * يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور * ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد * زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير * فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير * يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير * ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين * الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون * يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم * إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم * عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ * التغابن تفاعل من الغبن وليس من اثنين بل هو من واحد كتواضع وتحامل والغبن أخذ الشيء بدون قيمته أو بيعه كذلك * وقيل الغبن الاخفاء

(ش) وأكن بالجزم عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخذتني أصدق وأكن انتهى (ع) عطفا على الموضع لان التقدير ان تؤخرني أصدق وأكن هذا مذهب أبي علي الفارسي فأما ماحكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا وهو انه جزم لكن على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لان الشرط ليس بظاهر وانما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط لقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له ونذرهم فمن قرأ بالجزم عطف على موضع فلا هادي له لانه لو وقع هنالك فعل كان مجزوما انتهى (ح) الفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثره والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره موجود

﴿ سورة التغابن ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الارض ﴾ الآية هذه السورة مدنية في قول الأكثرين ومناسبتها لما قبلها أن ما قبلها مشتمل على حال المنافقين وفي آخرها خطاب المؤمنين فأتبعه بما يناسبه من قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وهذا تقسيم في الايمان والكفر بالنظر الى الاكتساب عند جماعة من المتأولين ﴿ وصوركم ﴾ هذا تعديد للنعمة في حسن الخلق لأن أعضاء بني آدم متصرفة بجميع ما يتصرف به أعضاء الحيوان وبزيادات كثيرة فضل بها ثم هو مفضل بحسن الوجه وجمال الجوارح كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ونبه تعالى بعلمه بما في السموات والارض ثم بعلمه بما يسر العباد وما يعلنونه ثم بعلمه بما أكنته الصدور على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شئ لا من الكليات ولا من الجزئيات ﴿ ألم يأتكم ﴾ الخطاب لقريش ذكروا بما حل بالكفار قبلهم عاد وثمود وقوم ابراهيم وغيرهم ممن صرح بذكرهم في سورة براءة وغيرها وقد  سمعت قريش أخبارهم ﴿ فذاقوا وبال أمرهم ﴾ أي مكروهه وما يسوؤهم منه ﴿ ذلك ﴾ أي الوبال ﴿ بأنه ﴾ أي بأن الشأن والحديث استبعدوا أن يبعث الله تعالى من البشر رسولا كما استبعدت قريش ﴿ فقالوا ﴾ على سبيل الاستغراب ﴿ أبشر يهدوننا ﴾ وذلك انهم يقولون نحن متساوون في البشرية فاني يكون لهؤلاء تميز علينا بحيث يصيرون هداة لنا وارتفع أبشر عند الحوفي وابن عطية على الابتداء والخبر يهدوننا والاحسن أن يكون مرفوعا على الفاعلية لأن همزة الاستفهام تطلب الفعل فالمسئلة من باب الاشتغال ﴿ فكفروا ﴾ والعطف بالفاء يدل على تعقب كفرهم مجيء الرسل بالبينات أي لم ينظروا في تلك البينات ولا تأملوها بل عقبوا مجيئها بالكفر ﴿ واستغنى الله ﴾ استفعل بمعنى الفعل المجرد وغناه تعالى أزلي فالمعنى أنه ظهر غناه عنهم اذ أهلكهم وليست استفعل هنا للطلب وتقدم تفسير الزعم والذين كفروا أهل مكة وبلى اثبات لما بعد حرف النفي ﴿ وذلك على الله يسير ﴾ أي لا يصرفه عنه صارف ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والنور الذي أنزلنا ﴾ هو القرآن وانتصب يوم بقوله لتنبؤن أو بخبير بما فيه من معنى الوعيد والجزاء أو باذكر مضمرة ﴿ ليوم الجمع ﴾ يجمع فيه الأولون والآخرون وذلك أن كل واحد يبعث طامعا في الخلاص ورفع المنزلة ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لان السعداء نزلوا منازل الاشقياء وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وذلك معنى يوم التغابن ﴿ ومن يؤمن ﴾ من شرطية حمل ما بعدها على اللفظ فأفرد الضمير وخالدين نصبا على الحال على معنى من لا على لفظه

ومنه غبن البيع لاستخفائه ويقال غبنت الثوب وخبنته اذا أخذت ما طال منه عن مقدارك فمعناه النقص ﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير * خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير * يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور * ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم * ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد * زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير * فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير * يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ هذه السورة مدنية في قول الأكثرين * وقال ابن عباس وغيره مكية إلا آيات من آخرها يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم الخ نزلت بالمدينة * وقال الكلبي مدنية ومكية * ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن ما قبلها مشتمل على حال المنافقين وفي آخرها خطاب المؤمنين فأتبعه بما يناسبه من قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وهذا تقسيم في الايمان والكفر بالنظر الى الاكتساب عند جماعة من المتأولين لقوله كل مولود يولد على الفطرة وقوله تعالى فطرت الله التي فطر الناس عليها * وقيل ذلك في أصل الخلقة بدليل ما في حديث النطفة من قول الملك أشقي أم سعيد والغلام الذي قتله الخضر عليه السلام انه طبع يوم طبع كافرا * وما روى ابن مسعود أنه عليه الصلاة والسلام قال خلق الله فرعون في البطن كافرا * وخلق يحيي بن زكريا في البطن مؤمنا * وعن عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر

بالله مؤمن بالكوكب ومؤمن بالله وكافر بالكوكب وقدم الكافر لكثرته ألا ترى الى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور وحين ذكر الصالحين قال وقليل ماهم * وقال الزمخشرى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى والله بما تعملون بصير أى عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من قبلكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقال أيضا وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخالق هم الدهرية ومنكم مؤمن به وعن الحسن فى الكلام حذف دل عليه تقديره ومنكم فاسق وكأنه من كذب المعتزلة على الحسن وتقدم الجار والمجرور فى قوله له الملك وله الحمد قال الزمخشرى ليدل بتقدمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به المهيمن عليه وكذلك الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه وحده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده * وقرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وزيد بن على وأبو رزين بكسرها والقياس الضم وهذا تعديد للنعمة فى حسن الخلقة لان أعضاء بنى آدم متصرفة بجميع ماتتصرف فيه أعضاء الحيوان وبزيادة كثيرة فضل بها ثم هو مفضل بحسن الوجه وجمال الجوارح كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم * وقيل النعمة هنا انما هى صورة الانسان من حيث هو انسان مدرك عاقل فهذا هو الذى حسن له حتى لحقته كمالات كثيرة وتكاد العرب لاتعرف الصورة إلا الشكل لا المعنى القائم بالصورة ونبه تعالى بعلمه بما فى السموات والأرض ثم بعلمه بما يسر العباد وما يعلنونه ثم بعلمه بما أكنته الصدور على أنه تعالى لايغيب عن علمه شئ لا من الكليات ولا من الجزئيات فابتدأ بالعلم الشامل للعالم كله ثم بخاص العباد من سرهم واعلانهم ثم ماخص منه وهو ماتنطوى عليه صدورهم من خفى الأشياء وكامنها وهذا كله فى معنى الوعيد إذ هو تعالى المجازى على جميع ذلك بالثواب والعقاب * وقرأ الجمهور ماتسرون وماتعلنون بتاء الخطاب وعبيد عن أبى عمرو وابان عن عاصم بالياء ألم يأتكم الخطاب لقريش ذكروا بما حل بالكفار قبلهم عاد وثمود وقوم ابراهيم وغيرهم ممن صرح بذكرهم فى سورة براءة وغيرها وقد سمعت قريش أخبارهم فذاقوا وبال أمرهم أى مكروههم ومايسوؤهم منه * ذلك أى الوبال بانه أى بان الشأن والحديث استبعدوا أن يبعث الله تعالى من البشر رسولا كما استبعدت قريش فقالوا على سبيل الاستغراب أبشر يهدوننا وذلك انهم يقولون نحن متساوون فى البشرية فأنى يكون لهؤلاء تميز علينا بحيث يصيرون هداة لنا وارتفع أبشر عند الحوفى وابن عطية على الابتداء والخبر يهدوننا والأحسن أن يكون مرفوعا على الفاعلية لان همزة الاستفهام تطلب الفعل فالمسألة من باب الاشتغال فكفروا العطف بالفاء يدل على تعقب كفرهم مجئ الرسل بالبينات أى لم ينظروا فى تلك البينات ولا تأملوها بل عقبوا مجيئها بالكفر واستغنى الله استفعل بمعنى الفعل المجرد وغناه تعالى أزلى فالمعنى انه ظهر تعالى غناه عنهم اذ أهلكهم وليست استفعل هنا للطلب * وقال الزمخشرى معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك انتهى وفيه دسيسة الاعتزال والزعم تقدم تفسيره والذين كفروا أهل مكة وبلى اثبات لما بعد حرف النفى وذلك على الله يسير أى لايصرفه عنه صارف * فآمنوا بالله ورسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذى أنزلنا هو

﴿ ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ﴾ الظاهر اطلاق المصيبة على الرزية وما يصيب العبد من سوء فى نفس ومال وولد وأن جميع الحوادث لا تصيبه الا باذن الله ولما قال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ثم أمر بطاعة الله ورسوله حذر مما يلحق الرجل من زوجه وولده بسبب ما يصدر من أحدهم من العداوة فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ﴾ الآية وعن عطاء بن أبى رباح أن عوف بن مالك الأشجعى أراد الغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم فاجتمع أهله وأولاده فثبطوه وشكوا اليه فراقه فرق فلم يغز ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية ولا أعدى على الرجل من زوجه وولده اذا كانا عدوين وذلك فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فباذهاب ماله وعرضه وأما فى الآخرة فبما يسعى من اكتسابه من الحرام لهما أو بما يكسبانه منه بسبب جاهه ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ أى بلاء ومحنة لأنهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما وفى باب العداوة جاء بمن التى تقتضى التبعيض وفى الفتنة حكم بها على الأموال والاولاد لا على بعضها وذلك لغلبة الفتنة بهما وكفى بالمال فتنة قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه ومنهم من عاهد الله الآية ﴿ والله عنده أجر عظيم ﴾ تزهيد فى الدنيا وترغيب فى الآخرة والأجر العظيم الجنة ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ أى جهدكم ﴿ واسمعوا ﴾ ما توعظون به ﴿ وأطيعوا ﴾ فيما أمرتم به ونهيتم عنه ﴿ وأنفقوا ﴾ فيما وجب عليكم وخيرا منصوب بفعل محذوف تقديره وأتوا خيرا أو على اضمار يكن فيكون خبرا أو على أنه نعت لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا أو على أنه حال أو على أنه مفعول بأنفقوا خيرا أى مالا أقوال الاول عن سيبويه ولما أمر بالانفاق أكده بقوله ﴿ إن تقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ ورتب عليه تضعيف القرض وغفران الذنب وفى لفظ القرض تلطف فى الاستدعاء وفى لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى ثم أتبع جوابى الشرط بوصفين أحدهما عائد الى المضاعفة اذ شكره تعالى مقابل للمضاعفة وحلمه مقابل للغفران قيل وهذا الحض هو فى الزكاة المفروضة وقيل فى المندوب اليه وتقدم الخلاف فى القراءة فى يوق وفى شح وفى يضاعفه

---

القرآن وانتصب يوم بجمعكم بقوله لتنبؤن أو بخبير بما فيه من معنى الوعيد والجزاء أو باذكر مضمرة قاله الزمخشرى والاول عن النحاس والثانى عن الحوفى * وقرأ الجمهور يجمعكم بالياء وضم العين وروى عنه سكونها واشمامها الضم وسلام ويعقوب وزيد بن على والشعبى بالنون ليوم الجمع يجمع فيه الاولون والآخرون وذلك ان كل واحد يبعث طامعا فى الخلاص ورفع المنزلة * ذلك يوم التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لان السعداء نزلوا منازل الأشقياء لو كانوا سعداء ونزل الأشقياء منازل السعداء لو كانوا أشقياء وفى الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وذلك معنى يوم التغابن وعن مجاهد وغيره اذا وقع الجزاء غبن المؤمنون الكافرين لانهم يجوزون الجنة وتحصل الكفار فى النار * وقرأ الأعرج وشيبة وأبو جعفر وطلحة ونافع وابن عامر والمفضل عن عاصم وزيد بن على والحسن بخلاف عنه نكفر وندخله بالنون فيهما والأعمش وعيسى والحسن وباقى السبعة بالياء فيهما قوله عز وجل ﴿ ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين * الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون * يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم * إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم * عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ الظاهر اطلاق المصيبة على الرزية وما يسوء العبد أى فى نفس أو مال أو ولد أو قول أو فعل وخصت بالذكر وان كان جميع الحوادث لا تصيب الا باذن الله * وقيل ويحتمل أن يريد بالمصيبة الحادثة من خير وشر اذ الحكمة فى كونها باذن الله وما نافية ومفعول أصاب محذوف أى ما أصاب أحدا والفاعل من مصيبة ومن زائدة ولم تلحق التاء أصاب وان كان الفاعل مؤنثا وهو فصيح والتأنيث لقوله تعالى ما تسبق من أمة أجلها وقوله وما تأتيهم من آية الا باذن الله أى بارادته وعلمه وتمكينه ومن يؤمن بالله أى يصدق بوجوده ويعلم ان كل حادثة بقضائه وقدره يهد قلبه على طريق الخير والهداية * وقرأ الجمهور يهد بالياء مضارعا لهدى مجزوما على جواب الشرط * وقرأ ابن جبير وطلحة وابن هرمز والأزرق عن حمزة

بالنون والسلمي والضحاك وأبو جعفر يهد مبنيا للمفعول قلبه رفع وعكرمة وعمرو بن دينار ومالك بن دينار يهدأ بهمزة ساكنة قلبه بالرفع يطمئن قلبه ويسكن بإيمانه ولا يكون فيه اضطراب وعمرو بن فايد يهدا بألف بدلا من الهمزة الساكنة وعكرمة ومالك بن دينار أيضا يهد بحذف الألف بعد ابدالها من الهمزة الساكنة وابدال الهمزة ألفا في مثل يهدأ ويقرأ ليس بقياس خلافا لمن أجاز ذلك قياسا وبنى عليه جواز حذف تلك الألف للجازم وخرج عليه قول زهير بن أبي سلمى

جزى متى يظلم يعاقب بظلمه * سريعا وان لا يبد بالظلم يظلم

أصله يبدأ ثم أبدل من الهمزة ألفا ثم حذفها للجازم تشبيها بألف يخشى اذا دخل الجازم ولما قال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ثم أمر بطاعة الله وطاعة رسوله وحذر مما يلحق الرجل من امرأته وولده بسبب ما يصدر من بعضهم من العداوة ولا أعدى على الرجل من زوجته وولده اذا كانا عدوين وذلك في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فباذهاب ماله وعرضه وأما في الآخرة فبما يسعى في اكتسابه من الحرام لهما أو بما يكسبانه منه بسبب جاهه وكم من امرأة قتلت زوجها وجذمت وأفسدت عقله وكم من ولد قتل أباه وفي التواريخ وفيما شاهدناه من ذلك كثير وعن عطاء بن أبي رباح أن عوف بن مالك الأشجعي أراد الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع أهله وولده فثبطوه وشكوا اليه فراقه فرق ولم يغز ثم انه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية * وقيل آمن قوم بالله وثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة ولم يهاجروا الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقه في الدين فندموا وأسفوا وهموا بمعاقبة أزواجهم وأولادهم فنزلت * وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة ومن في من أزواجكم وأولادكم للتبعيض وقد توجد زوجة تسر زوجها وتعينه على مقاصده في دينه ودنياه وكذلك الولد * وقال الشعب العبسي يمدح ولده رباطا

اذا كان أولاد الرجال حزازة * فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه دميث وجانب * اذا رامه الأعداء مركبه صعب
وتأخذه عند المكارم هزة * كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

* وقال قرمان بن الاعرف في ابنه منازل وكان عاقاله قصيدة فيها بعض طول منها

وربيته حتى اذا ما تركته * أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
فلما رآني أحسب الشخص أشخصا * بعيدا وذا الشخص البعيد أقاربه
تعمد حقي ظالما ولوى يدي * لوى يده الله الذي هو غالبه

انما أموالكم وأولادكم فتنة أي بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما وفي باب العداوة جاء بمن التي تقتضي التبعيض وفي الفتنة حكم بها على الأموال والأولاد على بعضها وذلك لغلبة الفتنة بهما وكفى بالمال فتنة قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآيات وقد شاهدنا من ذكرانه يشغله الكسب والتجارة في أمواله حتى يصلي كثيرا من الصلوات الخمس فائتة وقد شاهدنا من كان موصوفا عند الناس بالديانة والورع فحين لاح له منصب وتولاه استناب من يلوذ به من أولاده وأقاربه وان كان بعض من استنابه صغير السن قليل العلم سيء الطريقة ونعوذ بالله من الفتن وقدمت الأموال على الأولاد لانها أعظم فتنة كلا ان الانسان ليطغى

﴿ سورة الطلاق ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ ياأيها النبي اذا طلقتم النساء ﴾ الآية هذه السورة مدنية قيل وسبب نزولها طلاق عبدالله بن عمر وغير ذلك ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر الفتنة بالمال والولد أشار الى الفتنة بالنساء وانهن قد يعرضن الرجال للفتنة حتى لايجد منها مخلصا الا بالطلاق و ياأيها النبي نداء للنبي عليه السلام وخطاب على سبيل التكريم والتنبيه إذا طلقتم هو على اضمار القول أى قل لامتك اذا طلقتم وقال الزمخشري خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لانه إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يافلان افعلوا كيت وكيت اظهار التقدمه واعتبار الترأسه وأنه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولايستبدون بأمر دونه فكان هو وحده في حكمهم كلهم وسادا مسد جميعهم انتهى وهو كلام حسن ومعنى واذا طلقتم اذا أردتم تطليقهن والنساء يعني المدخول بهن ﴿فطلقوهن﴾ أى أوقعوا الطلاق ﴿لعدتهن﴾ هو على حذف مضاف أى لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو كتبته لليلة بقيت من شهر كذا وتقدير الزمخشري هنا حالا محذوفة يدل عليها المعنى يتعلق بها المجرور أى مستقبلات لعدتهن ليس بجيد لأنه قدر عاملا خاصا ولايحذف العامل في الظرف والجار والمجرور اذا كان خاصا بل اذا كان كونا مطلقا لو قلت زيد عندك أو في الدار تريد ضاحك عندك أو ضاحك في الدار لم يجز فتعليق اللام بقوله فطلقوهن و يجعل على حذف مضاف هو الصحيح والظاهر أن الخطاب في وأحصوا العدة للازواج أى اضبطوها بالحفظ وفي الاحصاء فوائد مراعاة الرجعة وزمان النفقة والسكنى وتوزيع الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا والعلم بأنها قد بانت فيتزوج باختها وبأربع سواها ونهى تعالى عن اخراجهن من مساكنهن حتى تنقضي العدة ونهاهن أيضا عن خروجهن وأضاف البيوت اليهن لما كان سكناهن فيها ونهيهن عن الخروج لايبيحه إذن الزوج اذ لا أثر لاذنه والاسكان على الزوج فان كان ملكه أو بكراء فذاك أو ملكها فلها عليه أجرته وسواء في ذلك الرجعية والمبتوتة وسنة ذلك أن لاتبيت عن بيتها ولايخرج عنه نهارا الا لضرورة وذلك لحفظ النسب والاحتفاظ بالنساء ﴿ الا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ وهي الزنا ﴿ لاتدري ﴾ أى أيها السامع ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ قال المفسرون الامر هنا الرغبة في ارتجاعها أو الميل اليها بعد انحرافه عنها أو ظهور رجل فيراجعها من أجله ونصب لاتدري على جملة الترجي فلاتدري معلقة عن العمل ﴿فاذا بلغن أجلهن﴾ أى أشرفن على انقضاء عدتهن ﴿فأمسكوهن﴾ أى راجعوهن ﴿بمعروف﴾ أى بغير ضرار ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ أى سرحوهن باحسان والمعنى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن والامساك بمعروف هو حسن العشرة فيما للزوجة على الزوج والمفارقة بمعروف هو أداء المهر والتمتع والحقوق الواجبة والوفاء بالشرط والظاهر وجوب الاشهاد على مايقع من الامساك وهو الرجعة أو المفارقة وهي الطلاق وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كقوله تعالى وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة

---

أن رآه استغنى شغلتنا أموالنا وأهلونا * والله عنده أجر عظيم تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة والأجر العظيم الجنة * فاتقوا الله مااستطعتم قال أبو العالية جهدكم * وقال مجاهد هو أن يطاع فلا يعصى واسمعوا ماتوعظون به وأطيعوا فيما أمرتم به ونهيتم عنه وأنفقوا فيما وجب عليكم وخيرا منصوب بفعل محذوف تقديره وأتوا خيرا أو على اضمار يكن فيكون خبرا أو على انه نعت لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا أو على انه حال أو على انه مفعول بوأنفقوا خيرا أى مالا أقوال الاول عن سيبويه ولما أمر بالانفاق أكده بقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا ورتب عليه تضعيف القرض وغفران الذنوب وفي لفظ القرض تلطف في الاستدعاء وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى ثم اتبع جوابي الشرط بوصفين أحدهما عائد الى المضاعفة اذ شكره تعالى مقابل للمضاعفة وحلمه مقابل للغفران * قيل وهذا الحض هو في الزكاة المفروضة * وقيل هو في المندوب اليه وتقدم الخلاف في القراءة في يوق وفي شح وفي يضاعفه

﴿ سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ياأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف

﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ هذا أمر للشهود أى لوجه الله تعالى خالصا لا لمراعاة مشهود له ولا مشهود عليه لا يلحظ سوى اقامة الحق
﴿ذلكم﴾ اشارة الى اقامة الشهادة إذ نوازل الاشياء  تدور عليها وبها يتميز المبطل من المحق ﴿ومن يتق الله﴾

وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ هذه السورة مدنية * قيل وسبب نزولها طلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة قاله قتادة عن أنس * وقال السدى طلاق عبد الله بن عمر و * وقيل فعل ناس مثل فعله منهم عبد الله بن عمرو بن العاصى وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة ابن غزوان فنزلت * وقال القاضى أبو بكر بن العربى وهذا وان لم يصح فالقول الأول أمثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا * ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر الفتنة بالمال والولد أشار الى الفتنة بالنساء وانهن قد يعرضن الرجال للفتنة حتى لا يجد مخلصا منها الا بالطلاق فذكر انه ينفصل منهن بالوجه الجميل بأن لا يكون بينهن اتصال لا بطلب ولد ولا حمل * يا أيها النبى نداء للنبى صلى الله عليه وسلم وخطاب على سبيل التكريم والتنبيه اذا طلقتم خطاب له عليه الصلاة والسلام مخاطبة الجمع على سبيل التعظيم أو لأمته على سبيل تلوين الخطاب أقبل عليه السلام أولا ثم رجع اليهم بالخطاب أو على اضمار القول أى قل لأمتك اذا طلقتم أوله ولأمته وكأنه ثم محذوف تقديره يا أيها النبى وأمة النبى اذا طلقتم فالخطاب له ولهم أى أنت وأمتك أقوال * وقال الزمخشرى خص النبى صلى الله عليه وسلم وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا التقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم انتهى وهو كلام حسن ومعنى اذا طلقتم أى اذا أردتم تطليقهن والنساء يعنى المدخول بهن وطلقوهن أى أوقعوا الطلاق لعدتهن هو على حذف مضاف أى لاستقبال عدتهن واللام للتوقيت نحو كتبته لليلة بقيت من شهر كذا وتقدير الزمخشرى هنا حالا محذوفة يدل عليها المعنى يتعلق بها المجرور أى مستقبلات لعدتهن ليس بجيد لانه قدر عاملا خاصا ولا يحذف العامل فى الظرف والجار والمجرور واذا كان خاصا بل اذا كان كونا مطلقا لو قلت زيد عندك أو فى الدار تريد ضاحكا عندك أو ضاحكا فى الدار لم يجز فتعليق اللام بقوله فطلقوهن ويجعل على حذف مضاف هو الصحيح ومارووى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم من انهم قرؤا فطلقوهن فى قبل عدتهن وعن بعضهم فى قبل عدتهن وعن عبد الله لقبل طهرهن هو على سبيل التفسير لا على انه قرآن لخلافه سواد المصحف الذى أجمع عليه المسلمون شرقا وغربا وهل تعتبر العدة بالنسبة الى الاطهار أو الحيض تقدم ذلك فى البقرة فى قوله ثلاثة قروء والمراد أن يطلقهن فى طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن فان شاء ردها وان شاء أعرض عنها لتكون مهيأة للزوج وهذا الطلاق أدخل فى السنة وقال مالك لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكره الثلاث مجموعة أو مفرقة وأبو حنيفة كره ما زاد على الواحدة فى طهر واحد فأما مفرقا فى الاطهار فلا * وقال الشافعى لا بأس بارسال الطلاق الثلاث ولا أعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح راعى فى السنة الوقت فقط وأبو حنيفة التفريق

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه هى فى معنى الطلاق أى ومن لا يتعد فى طلاق السنة الى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعل الله له مخرجا ﴿ومن يتوكل على الله﴾ أى يفوض أمره اليه ﴿فهو حسبه﴾ أى كافيه ﴿ان الله بالغ أمره﴾ لا بد من نفوذ أمر الله تعالى توكلت أو لم تتوكل وقرئ بالغ بالتنوين أمره بالنصب وقرئ بالغ أمره بالاضافة ﴿قد جعل الله لكل شئ قدرا﴾ أى تقديرا وميقاتا لا يتعداه

( الدر )

﴿سورة الطلاق﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ح ) لعدتهن هو ظرف مضاف أى لاستقبال عدتهن واللام فى للتوقيت نحو كتبته لليلة بقيت من شهر كذا وتقدير ( ش ) هنا حالا محذوفة يدل عليها المعنى يتعلق بها المجرور أى مستقبلات لعدتهن ليس بجيد لانه قدر عاملا خاصا ولا يحذف العامل فى الظرف والجار والمجرور اذا كان خاصا بل اذا كان كونا مطلقا لو قلت زيد عندك أو فى الدار تريد ضاحكا فى الدار لم يجز فتعليق اللام بقوله فطلقوهن ويجعل على حذف مضاف هو الصحيح

والوقت وقوله فطلقوهن مطلق لاتعرض فيه لعدد ولا لوصف من تفريق أو جمع والجمهور على انه لو طلق لغير السنة وقع وعن ابن المسيب وجماعة من التابعين انه لو طلق فى حيض أو ثلاثا لم يقع والظاهر أن الخطاب فى وأحصوا العدة للازواج أى اضبطوا بالحفظ وفى الاحصاء فوائد مراعاة الرجعة وزمان النفقة والسكنى وتوزيع الطلاق على الأقراء واذا أراد أن يطلق ثلاثا والعلم بأنها قد بانت فيتزوج بأختها وبأربع سواها ونهى تعالى عن اخراجهن من مساكنهن حتى تنقضى العدة ونهاهن أيضا عن خروجهن وأضاف البيوت اليهن لما كان سكناهن فيها ونهيهن عن الخروج لا يبيحه اذن الأزواج اذ لا أثر لاذنهم والاسكان على الزوج فان كان ملكه أو بكراء فذاك أو ملكها فلها عليه أجرته وسواء فى ذلك الرجعية والمبتوتة وسنة ذلك ان لا تبيت عن بيتها ولا تخرج عنه نهارا الا لضرورة وذلك لحفظ النسب والاحتفاظ بالنساء * الا أن يأتين بفاحشة مبينة وهى الزنا عند قتادة ومجاهد والحسن والشعبى وزيد بن أسلم والضحاك وعكرمة وحماد والليث ورواه مجاهد عن ابن عباس فيخرجن للحد وعن ابن عباس البذاء على الاحماء فتخرج ويسقط حقها فى السكنى وتلزم الاقامة فى مسكن تتخذه حفظا للنسب وعنده أيضا جميع المعاصى من سرقة أو قذف أو زنا أو غير ذلك واختاره الطبرى فيسقط حقها فى السكنى وعند ابن عمر والسدى وابن السائب هى خروجها من بيتها خروج انتقال فيسقط حقها فى السكنى وعند قتادة أيضا نشوزها عن الزوج فتطلق بسبب ذلك فلا يكون عليه سكنى واذا سقط حقها من السكنى أتمت العدة * لا تدرى أيها السامع لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * قال المفسرون الأمر هنا الرغبة فى ارتجاعها والميل اليها بعد انحرافه عنها أو ظهور حمل فيراجعها من أجله ونصب لا تدرى على جملة الترجى فلا تدرى معلقة عن العمل وقد تقدم لنا الكلام على قوله وان أدرى لعله فتنة لكم وذكرنا انه ينبغى أن يزاد فى المعلقات لعل فالجملة المترجاة فى موضع نصب بلا تدرى * فاذا بلغن أجلهن أى أشرفن على انقضاء العدة فامسكوهن أى راجعوهن بمعروف أى بغير ضرار أو فارقوهن بمعروف أى سرحوهن باحسان والمعنى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيملكن أنفسهن * وقرأ الجمهور أجلهن على الافراد والضحاك وابن سيرين آجالهن على الجمع والامساك بمعروف هو حسن العشرة فيما للزوجة على الزوج والمفارقة بمعروف هو أداء المهر والتمتيع والحقوق الواجبة والوفاء بالشرط وأشهدوا الظاهر وجوب الاشهاد على ما يقع من الامساك وهو الرجعة أو المفارقة وهى الطلاق وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبى حنيفة كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعية واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة * وقيل وأشهدوا يريد على الرجعة فقط والاشهاد شرط فى صحتها فلها منفعة من نفسها حتى يشهد * وقال ابن عباس الاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق يرفع عن النوازل اشكالا كثيرة ويفسد تاريخ الاشهاد من الاشهاد * قيل وفائدة الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم فى إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعى الثانى ثبوت الزوجية ليرث انتهى ومعنى منكم قال الحسن من المسلمين * وقال قتادة من الاحرار * وأقيموا الشهادة لله هذا أمر للشهود أى لوجه الله خالصا لا لمراعاة مشهود له ولا مشهود عليه لا يلحظ سوى اقامة الحق * ذلكم اشارة الى اقامة الشهادة إذ نوازل الأشياء تدور عليها وما يتميز المبطل من المحق * ومن يتق الله قال على بن أبى طالب وجماعة هى فى معنى الطلاق أى ومن لا يتعدى طلاق السنة الى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعل الله له مخرجا ان ندم بالرجعة ويرزقه ما يطعم أهله انتهى ومفهوم الشرط أنه ان لم يتق الله فبت

﴿ واللائى يئسن من المحيض ﴾ الآية روى أن قوما منهم أبى بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية فقال قائل منهم فما عدة الحامل فنزلت ﴿ وأولات الأحمال ﴾ الآية ومعنى ان ارتبتم فى أنها يئست أم لا لأجل امكان ظهور حمل وان كان انقطع دمها فان ارتبتم هو للمخاطبين أى ان لم تعلموا عدة الآيسة واللائى لم يحضن فالعدة هذه فتلخص فى قوله ان ارتبتم قولان أحدهما أنه على ظاهر مفهوم اللغة فيه وهو حصول الشك والآخر ان معناه التيقن للاياس والظاهر أن قوله (٢٨٣) واللائى لم يحضن يشمل من لم تحض لصغر ومن لا يكون لها حيض البتة وهذا موجود فى النساء وهو أنها تعيش الى أن تموت ولا تحيض ومن أتى عليها زمان الحيض وما بلغت ولم تحض وأولات الاحمال عام فى المطلقة والمتوفى عنها زوجها ومن فى من حيث سكنتم للتبعيض أى بعض مكان سكناكم ومن وجدكم قال الزمخشرى فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل أسكنوهن مكانا من مساكنكم مما تطيقونه والوجد الطاقة والوسع انتهى ولا يعرف عطف بيان يعاد فيه العامل انما هذا طريقة البدل مع حرف الجر ولذلك أعربه أبو البقاء بدلا من قوله من حيث سكنتم ﴿ ولا تضاروهن ﴾ ولا تستعملوا معهن الضرار ﴿ لتضيقوا عليهن ﴾ فى المسكن ببعض الأسباب من انزال من لا يوافقهن أو شغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج ﴿ وان كن أولات حمل ﴾ لا خلاف فى وجوب سكناها ونفقتها بتت أو لم تبت فان كانت متوفى عنها فأكثر العلماء على أنها لا نفقة لها وعن على وابن مسعود رضى الله عنهما تجب نفقتها فى التركة ﴿ فان أرضعن لكم ﴾ أى ان ولدن وأرضعن المولود وجب لها النفقة وهى الاجر والكسوة وسائر المؤن على ما قرر فى كتب الفقه ﴿ وان تعاسرتم ﴾ أى تضايقتم وتشاكستم فلم ترض الام بما ترضى به الأجنبية وأبى الزوج الزيادة أو أبى الزوج الارضاع الا مجانا وأبت هى الا بعوض ﴿ فسترضع له أخرى ﴾ أى يستأجر غيرها

---

الطلاق وندم لم يكن له مخرج وزال عنه رزق زوجته * وقال ابن عباس للمطلق ثلاثا انك لم تتق الله بانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجا * وقال يجعل له مخرجا يخلصه من كذب الدنيا والآخرة والظاهر أن قوله ومن يتق الله متعلق بأمر ما سبق من أحكام الطلاق * وروى أنها فى غير هذا المعنى وهو أن أسر ابن يسمى سالما لعوف بن مالك الأشجعى فشكا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم وأمره بالتقوى فقبل ثم لم يلبث ان تفلت ولده واستاق مائة من الابل كذا فى الكشاف وفى الوجيز قطيعا من الغنم كانت للذين أسروه وجاء أباه فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيطيب له فقال نعم فنزلت الآية * وقال الضحاك من حيث لا يحتسب امرأة أخرى * وقيل ومن يتق الحرام يجعل له مخرجا الى الحلال * وقيل مخرجا من الشدة الى الرخاء * وقيل من النار الى الجنة * وقيل من العقوبة ويرزقه من حيث لا يحتسب من الثواب * وقال الكلبى ومن يتق الله عند المصيبة يجعل له مخرجا الى الجنة ومن يتوكل على الله أى يفوض أمره اليه فهو حسبه أى كافيه * ان الله بالغ أمره قال مسروق أى لا بد من نفوذ أمر الله توكلت أم لم تتوكل * وقرأ الجمهور بالغ بالتنوين أمره بالنصب وحفص والمفضل وابان وجبلة وابن أبى عبلة وجماعة عن أبى عمرو ويعقوب وابن مصرف وزيد بن على بالاضافة وابن أبى عبلة أيضا وداود بن أبى هند وعصمة عن أبى عمرو بالغ أمره رفع أى نافذ أمره والمفضل أيضا بالغا بالنصب أمره بالرفع فخرجه الزمخشرى على أن بالغا حال وخبر ان هو قوله تعالى قد جعل الله ويجوز أن تخرج هذه القراءة على قول من ينصب بأن الجزأين كقوله

اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن * خطاك خفافا أن حراسنا أسدا

ومن رفع أمره فمفعول بالغ محذوف تقديره بالغ أمره ما شاء * قد جعل الله لكل شئ قدرا أى تقديرا وميقاتا لا يتعداه وهذه الجمل تحض على التوكل * وقرأ جناح بن حبيش قدرا بفتح الدال والجمهور باسكانها * قوله عز وجل ﴿ واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا * ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا * أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى * لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله

نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ وروى أن قوما منهم أبي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية فقال قائل فما عدة الحامل فنزلت أولات الأحمال * وقرأ الجمهور يئسن فعلا ماضيا * وقرئ بياء بن مضارعا ومعنى ان ارتبتم فى أنها يئست أم لا لأجل مكان ظهور الحمل وان كان انقطع دمها وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس أهو دم حيض أو استحاضة واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك وقدر بعضهم مبلغ اليأس بستين سنة وبعضهم بخمس وخمسين * وقيل غالب سن يأس عشيرة المرأة * وقيل أقصى عادة امرأة فى العالم * وقال مجاهد الآية واردة فى المستحاضة أطبق بها الدم لا تدرى أهو دم حيض أو دم علة * وقيل ان ارتبتم شككتم فى حالهن وحكمهن فلم تدروا ما حكمهن فالحكم أن عدتهن ثلاثة أشهر واختار الطبرى أن معنى ان ارتبتم شككتم فلم تدروا ما الحكم فقيل ان ارتبتم أى ان تيقنتم اياسهن وهو من الاضداد * وقال الزجاج المعنى ان ارتبتم فى حيضها وقد انقطع عنها الدم وكانت ممن يحيض مثلها * وقال مجاهد أيضا ان ارتبتم هو للمخاطبين أى ان لم تعلموا عدة الآيسة واللائى لم يحضن فالعدة هذه فتلخص فى قوله ان ارتبتم قولان أحدهما أنه على ظاهر مفهوم اللغة فيه وهو حصول الشك والآخر أن معناه التيقن للاياس والقول الأول معناه ان ارتبتم فى دمها أهو دم حيض أو دم علة أو ان ارتبتم فى علوق بحمل أم لا أو ان ارتبتم أى جهلتم عدتهن أقوال والظاهر أن قوله واللائى لم يحضن يشمل من لم يحض لصغر ومن لا يكون لها حيض البتة وهو موجود فى النساء وهو أنها تعيش الى أن تموت ولا تحيض ومن أتى عليها زمان الحيض وما بلغت به ولم تحض فقيل هذه تعتد سنة واللائى لم يحضن معطوف على واللائى يئسن فاعرابه مبتدأ كاعراب واللائى يئسن وقدر واخبره جملة من جنس خبر الأول أى عدتهن ثلاثة أشهر والأولى أن يقدر مثل أولئك أو كذلك فيكون المقدر مفردا جملة وأولات الأحمال عام فى المطلقة وفى المتوفى عنها زوجها وهو قول عمر وابن مسعود وأبى مسعود البدرى وأبى هريرة وفقهاء الامصار * وقال على وابن عباس وأولات الأحمال فى المطلقات وأما المتوفى عنها فعدتها أقصى الأجلين فلو وضعت قبل أربعة أشهر وعشر صبرت الى آخرها والحجة عليها حديث سبيعة * وقال ابن مسعود من شاء لاعنته ما نزلت وأولات الأحمال الا بعد آية المتوفى عنها زوجها * وقرأ الجمهور حملهن مفردا والضحاك أحمالهن جمعا * ذلك أمر الله يريد ما علم من حكم المعتدات * وقرأ الجمهور ويعظم بالياء مضارع أعظم والأعمش نعظم بالنون خروجا من الغيبة للتكلم وابن مقسم بالياء والتشديد مضارع عظم مشددا ولما كان الكلام فى أمر المطلقات وأحكامهن من العدد وغيرها وكن لا يطلقهن أزواجهن الا عن بغض لهن وكراهة جاء عقيب بعض الجمل الامر بالتقوى من حيث المعنى مبرزا فى صورة شرط وجزاء فى قوله ومن يتق الله اذ الزوج المطلق قد ينسب الى مطلقته بعض ما يشينها به وينفر الخطاب عنها ويوهم أنه انما فارقها لأمر ظهر له منها فلذلك تكرر قوله ومن يتق الله فى العمل بما أنزله من هذه الأحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه من ترك الضرار والنفقة على المعتدات وغير ذلك مما يلزمه يرتب له تكفير السيئات واعظام الاجر ومن فى من حيث سكنتم للتبعيض أى بعض مكان سكناكم * وقال قتادة ان لم يكن له الا بيت واحد أسكنها فى بعض جوانبه قاله الزمخشرى * وقال الحوفى من لابتداء الغاية وكذا قال أبو البقاء ومن وجدكم * قال الزمخشرى ( فان قلت ) فقوله من وجدكم ( قلت )

---

وليس له اكراهها فان لم يقبل الثدى أمه أجبرت على الارضاع بأجرة مثلها ولا يختص هذا الحكم من وجوب أجرة الرضاع بالمطلقة بل المنكوحة فى معناها

( الدر )

( ش ) فان قلت فقوله من وجدكم * قلت هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة انتهى ( ح ) لا نعرف عطف بيان يعاد فيه العامل انما هذا طريقه البدل مع حرف الجر ولذلك أعرب به أبو البقاء بدلا من قوله من حيث سكنتم

هو عطف بيان كقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة انتهى ولا نعرف عطف بيان يعاد فيه العامل إنما هذا طريقة البدل مع حرف الجر ولذلك أعربه أبو البقاء بدلا من قوله من حيث سكنتم * وقرأ الجمهور من وجدكم بضم الواو والحسن والأعرج وابن أبي عبلة وأبو حيوة بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وذكرها المهدوي عن الأعرج وهي لغات ثلاث بمعنى الوسع والوجد بالفتح يستعمل في الحزن والغضب والحب ويقال وجدت في المال ووجدت على الرجل وجدا وموجدة ووجدت الضالة وجدانا والوجد بالضم الغنى والقدرة يقال افتقر الرجل بعد وجد وأمر تعالى بإسكان المطلقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت وأما المبتوتة فقال ابن المسيب وسليمان بن يسار وعطاء والشعبي والحسن ومالك والأوزاعي وابن أبي ليلى والشافعي وأبو عبيد لها السكنى ولا نفقة لها * وقال الثوري وأبو حنيفة لها السكنى والنفقة * وقال الحسن وحماد وأحمد وإسحق وأبو ثور لا سكنى لها ولا نفقة * ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن في المسكن ببعض الأسباب من انزال من لا يوافقهن أو بشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج * وقيل هذه المضارة مراجعتها اذا بقي من عدتها قليل ثم يطلقها فيطول حبسها في عدته الثانية * وقيل إلجاؤها الى ان تفتدي منه * وان كن أولات حمل لا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بتت أو لم تبت فان كان متوفى عنها فأكثر العلماء على انها لا نفقة لها وعن علي وابن مسعود تجب نفقتها في التركة * فان أرضعن لكم أي ولدن وأرضعن المولود وجب لها النفقة وهي الأجر والكسوة وسائر المؤن على ما قرر في كتب الفقه ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وفي تعميم المطلقات بالسكنى وتخصيص أولات الاحمال بالنفقة دليل على أن غيرها من المطلقات لا يشاركها في النفقة وتشاركهن في السكنى وائتمروا افتعلوا من الأمر يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا والخطاب للآباء والأمهات أي وليأمر بعضكم بعضا بمعروف أي في الأجرة والارضاع والمعروف الجميل بان تسامح الأم ولا يماكس الاب لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه * وقال الكسائي وائتمروا وتشاوروا ومنه قوله تعالى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وقول امرئ القيس * ويعدو على المرء ما يأتمر * وقيل المعروف الكسوة والدثار * وان تعاسرتم أي تضايقتم وتشاكستم فلم ترض الام بما ترضى به الاجنبية وأبى الزوج الزيادة أو ان أبى الزوج الارضاع الا مجانا وأبت هي الا بعوض فسترضع له أخرى أي يستأجر غيرها وليس له اكراهها فان لم يقبل الا ثدي أمه أجبرت على الارضاع بأجرة مثلها ولا يختص هذا الحكم من وجوب أجرة الرضاع بالمطلقة بل المنكوحة في معناها * وقيل فسترضع خبر في معنى الامر أي فلترضع له أخرى وفي قوله فسترضع له أخرى يسير معاتبة للام اذا تعاسرت كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم والضمير في له عائد على الاب كما تعدى في قوله فان أرضعن لكم أي للازواج * لينفق الموسر والمقدور عليه ما بلغه وسعه أي على المطلقات والمرضعات ولا يكلف ما لا يطيقه والظاهر ان المأمور بالانفاق الازواج وهذا أصل في وجوب نفقة الولد على الوالد دون الام * وقال محمد بن المواز انها على الابوين على قدر الميراث وفي الحديث يقول لك ابنك انفق علي إلى من تكلني ذكره في صحيح البخاري * وقرأ الجمهور لينفق بلام الامر وحكى أبو معاذ لينفق

بلام كى ونصب القاف و يتعلق بمحذوف تقديره شرع ذلك لينفق * وقرأ الجمهور قدر مخففا وابن
أبى عبلة مشددا الدال سيجعل الله وعد لمن قدر عليه رزقه يفتح له أبواب الرزق ولا يختص هذا الوعد
بفقراء ذلك الوقت ولا بفقراء الازواج مطلقا بل من أنفق ما قدر عليه ولم يقصر ولو عجز عن نفقة
امرأته فقال أبو هريرة والحسن وابن المسيب ومالك والشافعى واحمد واسحق يفرق بينهما
* وقال عمر بن عبد العزيز وجماعة لا يفرق بينهما * قوله عز وجل ﴿ وكأين من قرية عتت
عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا * فذاقت وبال أمرها
وكان عاقبة أمرها خسرا * أعد الله لهم عذابا شديدا * فاتقوا الله ياأولى الألباب * الذين آمنوا
قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا * الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما ﴾ تقدم الكلام على كأين
فى آل عمران وعلى نكرا فى الكهف عتت أعرضت عن أمر ربها على سبيل العناد والتكبر
والظاهر فى فحاسبناها الجمل الاربعة ان ذلك فى الدنيا لقوله بعدها أعد الله لهم عذابا شديدا وظاهره
ان المعد عذاب الآخرة والحساب الشديد هو الاستقصاء والمناقشة فلم تغتفر لهم زلة بل أخذوا بالدقائق
من الذنوب * وقيل الجمل الاربعة من الحساب والعذاب والذوق والخسر فى الآخرة وجىء به على
لفظ الماضى كقوله ونادى أصحاب الجنة و يكون قوله أعد الله لهم تكريرا للوعيد و بيانا لكونه
مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب * وقال الكلبى الحساب فى الآخرة والعذاب النكير فى
الدنيا بالجوع والقحط والسيف ولما ذكر ما حل بهذه القرية العاتية أمر المؤمنين بتقوى الله
تحذيرا من عقابه ونبه على ما يحض على التقوى وهو انزال الذكر والظاهر أن الذكر هو القرآن
وان الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فاما أن يجعل نفس الذكر مجاز الكثرة يقدر منه الذكر
فكأنه هو الذكر أو يكون بدلا على حذف مضاف أى ذكر رسول * وقيل رسولا نعت على
حذف مضاف أى ذكرا ذا رسول * وقيل المضاف محذوف من الاول أى ذا ذكر رسولا فيكون
رسولا نعتا لذلك المحذوف أو بدلا * وقيل رسول بمعنى رسالة فيكون بدلا من ذكر او ببعده قوله
بعده يتلو عليكم والرسالة لا تسند التلاوة اليها الا مجازا * وقيل الذكر أساس أسماء النبى صلى الله
عليه وسلم * وقيل الذكر الشرف لقوله وانه لذكر لك ولقومك فيكون رسولا بدلا منه و بيانا له
* وقال الكلبى الرسول هنا جبريل عليه السلام وتبعه الزمخشرى فقال رسولا هو جبريل صلوات
الله وسلامه عليه أبدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله فى معنى انزال الذكر فصح
ابداله منه انتهى ولا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال وهذه
الاعاريب على أن يكون ذكرا و رسولا لشئ واحد * وقيل رسولا منصوب بفعل محذوف أى
بعث رسولا أو أرسل رسولا وحذف لدلالة أنزل عليه ونحا الى هذا السدى واختاره ابن عطية
* وقال الزجاج وأبو على الفارسى يجوز أن يكون رسولا معمولا للمصدر الذى هو الذكر انتهى

﴿ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ﴾ عتت اعرضت عن أمر ربها على سبيل العناد والتكبر والظاهر فى فحاسبناها الجمل
الاربعة من الحساب والعذاب والذوق والخسران فى الآخرة وجىء به على لفظ الماضى لتحقق وقوعه ولما ذكر
تعالى ما حل بهذه القرية
العاتية أمر المؤمنين
بتقوى الله تعالى تحذيرا
من عقابه ونبه على ما يحض
على التقوى وهو انزال
الذكر والظاهر أن
الذكر هو القرآن وأن
الرسول هو محمد صلى الله
عليه وسلم و يكون بدلا على
حذف مضاف أى ذكر
رسول والضمير فى
ليخرج عائد على الله تعالى
﴿ ومن يؤمن ﴾ راعى
اللفظ أولا فى من الشرطية
فأفرد الضمير فى يؤمن
و يعمل و يدخله ثم راعى
المعنى فى خالدين فجمع ثم
راعى اللفظ فى قد أحسن
الله له فأفرد واستدل
النحويون بهذه الآية على
مراعاة اللفظ أولا ثم مراعاة
المعنى ثم مراعاة اللفظ ﴿ الله
الذى خلق سبع سموات ﴾
لا خلاف أن السموات سبع
بنص القرآن والحديث
والمثلية فى العدد أى سبع
أرضين ﴿ يتنزل الامر بينهن ﴾
من السموات السبع
الى الارضين السبع وعلما
تمييز منقول من الفاعل
تقديره أحاط علمه بكل شئ

---

(الدر) (ش) رسولا هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله فى معنى انزال الذكر
فصح ابداله منه انتهى (ح) لا يصح لتباين المدلولين بالحقيقة ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال و (ش) تبع فى ذلك الكلبى

فيكون المصدر مقدرا بان والقول تقديره ان ذكر رسولا وعمل منونا كما عمل أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وكما قال الشاعر

بضرب بالسيوف رؤس قوم * أزلنا هامهن عن المقيل

* وقرئ رسول بالرفع على اضمار هو ليخرج يصح أن يتعلق بيتلو وبانزل الذين آمنوا أي الذين قضى وقدر وأراد ايمانهم أو أطلق عليهم آمنوا باعتبار ما آل أمرهم اليه * وقال الزمخشري ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ انتهى والضمير في ليخرج عائد على الله تعالى أو على الرسول صلى الله عليه وسلم أو على الذكر * ومن يؤمن راعى اللفظ أولا في من الشرطية فأفرد الضمير في يؤمن ويعمل ويدخله ثم راعى المعنى في خالدين ثم راعى اللفظ في قد أحسن الله له فأفرد واستدل النحويون بهذه الآية على مراعاة اللفظ أولا ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ وأورد بعضهم ان هذا ليس كما ذكروا لان الضمير في خالدين ليس عائدا على من بخلاف الضمير في يؤمن ويعمل ويدخله وانما هو عائد على مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط * الله الذي خلق سبع سموات لا خلاف أن السموات سبع بنص القرآن والحديث كما جاء في حديث الاسراء وقوله صلى الله عليه وسلم لسعد حكمت بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة وغيره من نصوص الشريعة * وقرأ الجمهور مثلهن بالنصب والمفضل عن عاصم وعصمة عن أبي بكر مثلهن بالرفع فالنصب قال الزمخشري عطفا على سبع سموات انتهى وفيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف وهو الواو والمعطوف وهو مختص بالضرورة عند أبي علي الفارسي وأضمر بعضهم العامل بعد الواو لدلالة ما قبله عليه أي وخلق من الأرض مثلهن فمثلهن مفعول للفعل المضمر لا معطوف وصار ذلك من عطف الجمل والرفع على الابتداء ومن الأرض الخبر والمثلية تصدق بالاشتراك في بعض الأوصاف * فقال الجمهور المثلية في العدد أي مثلهن في كونها سبع أرضين * وفي الحديث طوقه من سبع أرضين ورب الأرضين السبع وما أقللن * فقيل سبع طباق من غير فتوق * وقيل بين كل طبقة وطبقة مسافة * قيل وفيها سكان من خلق الله * قيل ملائكة وجن * وعن ابن عباس من رواية الواقدي الكذاب قال في كل أرض آدم كآدم ونوح كنوح ونبي كنبيكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى وهذا حديث لاشك في وضعه * وقال أبو صالح انها سبع أرضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء * يتنزل الأمر بينهن من السموات السبع الى الأرضين السبع * وقال مقاتل وغيره الأمر هنا الوحي فبينهن اشارة الى بين هذه الأرض التي هي أدناها وبين السماء السابعة * وقال الأكثرون الأمر القضاء فبينهن اشارة الى بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها * وقيل يتنزل الأمر بينهن بحياة وموت وغنى وفقر * وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره * وقرأ الجمهور يتنزل مضارع تنزل * وقرأ عيسى وأبو عمرو في رواية ينزل مضارع نزل مشددا الأمر بالنصب والجمهور لتعلموا بتاء الخطاب * وقرئ بياء الغيبة والله تعالى أعلم

---

( الدر )

(ح) استدل النحويون بهذه الآية وهي ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا الآية على مراعاة اللفظ أولا ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ وأورد بعضهم أن هذا ليس كما ذكروا لان الضمير في خالدين ليس عائدا على من بخلاف الضمير في يؤمن ويعمل ويدخله وانما هو عائد على مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط (ش) فالنصب يعني في مثلهن عطفا على سبع سموات انتهى (ح) فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف وهو الواو والمعطوف وهو يختص بالضرورة عند أبي علي الفارسي

﴿ سورة التحريم ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ الآية هذه السورة مدنية وسبب نزولها ما يأتي ذكره في تفسير أوائلها ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر جملة من أحكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ويا أيها النبي نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم لم تحرم سؤال تلطف ولذلك قدم قبله يا أيها النبي ومعنى تحرم تمنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله تعالى وإنما هو امتناع لتطييب خاطر بعض من تحسن معه العشرة ﴿ ما أحل الله ﴾ هو مباشرة مارية جاريته وكان ألم بها في بيت بعض نسائه فغارت من ذلك صاحبة البيت فطيب خاطرها بامتناعه منها واستكتمها ذلك فأفشته الى بعض نسائه وقيل هو عسل كان شربه عند بعض نسائه فكان يتناها بذلك فغار بعضهن من دخوله بيت التي عندها العسل وتواصين على أن يذكرن له أن رائحة ذلك العسل ليس بطيبة فقال لا أشربه وتبتغي في موضع الحال أو استئناف اخبار ﴿ تحلة أيمانكم ﴾ مصدر حلل كتكرم تكرمة ﴿ الى بعض أزواجه ﴾ هي حفصة والحديث هو بسبب مارية ﴿ فلما نبأت به ﴾ أي أخبرت عائشة وقيل الحديث إنما هو شرب العسل ﴿ وأظهره الله ﴾ أي أطلعه عليه أي على افشائه وكان قد تكوتم فيه وذلك باخبار جبريل عليه السلام وجاءت الكناية هنا عن المفشية والحذف للمفشي اليها بالسر حياطة وصونا عن التصريح بالاسم اذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض وقرئ عرف بالتشديد والتخفيف ﴿ وأعرض عن بعض ﴾ أي تكرما  وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام ومفعول عرف المشدد محذوف أي عرفها بعضه أي أعلم ببعض الحديث وقيل المعرف حديث العسل والذي أعرض عنه حديث مارية ولما أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتمتها اياه ونبأها الرسول صلى الله عليه وسلم به ظنت حفصة أن عائشة فضحتها فقالت من أنبأك هذا على سبيل التثبت فأخبرها أن الله هو الذي نبأه به فسكنت وسلمت ﴿ ان تتوبا الى الله ﴾ انتقال من غيبة الى خطاب ويسمى الالتفات والخطاب لحفصة وعائشة ﴿ فقد صغت ﴾ أي مالت عن الصواب وأتى بالجمع في قوله ﴿ قلوبكما ﴾ وحسن ذلك اضافته الى مثنى وهو ضميرهما والجمع في مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى والتثنية دون الجمع وقرئ تظاهرا بالتشديد وأصله تتظاهرا وبالتخفيف والاصل تتظاهرا والمعنى وان تتعاونا عليه أي في إفشاء سره والافراط في الغيرة ﴿ فان الله هو مولاه ﴾ أي مظاهره ومعينه ﴿ وجبريل ﴾ مبتدأ وما بعده معطوف عليه والخبر ظهير فيكون ابتداء الجملة بجبريل وهو أمين وحي الله تعالى واختتامها بالملائكة وبدئ بجبريل وأفرد بالذكر تعظيما له واظهارا لمكانته عند الله تعالى ويكون قد ذكر مرتين مرة بالنص ومرة في العموم واكتنف صالح المؤمنين جبريل والملائكة تشريفا لهم واعتناء بهم اذ جعلهم بين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فعلى هذا جبريل داخل في الظهراء لا في الولاية ويختص الرسول بان الله هو مولاه وفصل بين عسى وخبرها الشرط وهو ان طلقكن ودل ذلك على أنه عليه السلام لم يقع منه طلاق والمبدل به محذوف تقديره أن يبدله بكن وخيرا صفة وهي أفعل التفضيل ولذلك عديت بمن و ﴿ مسلمات ﴾ وما بعدها صفة لقوله أزواجا وأبكارا معطوف على ثيبات وهما تقسيم للازواج ولما وعظ أزواج الرسول موعظة خاصة اتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم وعطف وأهليكم على أنفسكم لأن رب المنزل راع وهو مسؤول عن رعيته ومعنى وقايتهم حملهم على الطاعة والزامهم أداء ما فرض الله عليهم قال عمر يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا قال تنهونهن عما نهاكم الله عنه وتأمرونهن بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار ودخل الأولاد في وأهليكم وانتصب ما أمرهم على البدل أي لا يعصون أمره تعالى كقوله

﴿ سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم * وإذ أسرّ النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير * إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا * يا أيها الذين آمنوا قوا

أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون * يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ هذه السورة مدنية وسبب نزولها يأتي ذكره في تفسير أوائلها والمناسبة بينها وبين السورة قبلها انه لما ذكر جملة من أحكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي نداء اقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم لم تحرم سؤال تلطف ولذلك قدم قبله يا أيها النبي كما جاء في قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم ومعنى تحرم تمنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله وانما هو امتناع لتطييب خاطر بعض من يحسن معه العشرة مما أحل الله لك هو مباشرة مارية جاريته وكان صلى الله عليه وسلم ألم بها في بيت بعض نسائه فغارت من ذلك صاحبة البيت فطيب خاطرها بامتناعه منها واستكتمها ذلك فأفشته الى بعض نسائه * وقيل هو عسل كان يشربه عند بعض نسائه فكان يتناوبنها لذلك فغار بعضهن من دخوله بيت التي عندها العسل وتواصين على أن يذكرن له على أن رائحة ذلك العسل ليس بطيب فقال لا أشربه * وللزمخشري هنا كلام أضربت عنه صفحا كما ضربت عن كلامه في قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم وكلامه هذا ونحوه محقق قوي فيه ويعزو الى المعصوم ما ليس لائقا فلو حرم الانسان على نفسه شيأ أحله الله كشرب عسل أو وطء سرية واختلفوا اذا قال لزوجته أنت علي حرام أو الحلال علي حرام ولا يستثني زوجته فقال جماعة منهم الشعبي ومسروق وربيعة وأبو سلمة وأصبغ هو كتحريم الماء والطعام * وقال تعالى لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما أحله الله * وقال أبو بكر وعمر وزيد وابن عباس وابن مسعود وعائشة وابن المسيب وعطاء وطاووس وسليمان بن يسار وابن جبير وقتادة والحسن والأوزاعي وأبو ثور وجماعة هو يمين يكفرها * وقال ابن مسعود وابن عباس أيضا في احدى روايتيه والشافعي في أحد قوليه فيه تكفير يمين وليس بيمين * وقال أبو حنيفة وسفيان والكوفيون هذا ما أراده من الطلاق فان لم يرد طلاقها فهو لا شئ * وقال آخرون كذلك فان لم يرد فهو يمين * وفي التحرير قال أبو حنيفة وأصحابه ان نوى الطلاق فواحدة بائنة أو اثنين فواحدة أو ثلاثا فثلاث أو لم ينو شيأ فيمين وهو مول أو الظهار فظهار * وقال ابن القاسم لا تنفعه نية الظهار ويكون طلاقا * وقال يحيى بن عمر يكون فان ارتجعها فلا يجوز له وطؤها حتى يكفر كفارة الظهار فاز اد من اعداده فان نوى واحدة فرجعية وهو قول الشافعي * وقال الأوزاعي وسفيان وأبو ثور أي شئ نوى به من الطلاق وقع وان لم ينو شيأ فقال سفيان لا شئ عليه * وقال الأوزاعي وأبو ثور تقع واحدة * وقال الزهري له نيته ولا يكون أقل من واحدة فان لم ينو فلا شئ * وقال ابن جبير عليه عتق رقبة وان لم يكن ظهارا * وقال أبو قلابة وعثمان وأحمد واسحق التحريم ظهار ففيه كفارة * وقال الشافعي ان نوى انها محرمة كظهر أمه فظهار أو تحريم عينها بغير طلاق أو لم ينو فكفارة يمين * وقال مالك هي ثلاث في المدخول بها وينوي في غير المدخول بها فهو ما أراد من واحدة أو اثنتين أو ثلاث * وقاله علي وزيد وأبو هريرة * وقيل في المدخول بها ثلاث قاله علي أيضا وزيد بن أسلم والحكم * وقال ابن أبي ليلى وعبد الملك بن الماجشون هي ثلاث في الوجهين ولا ينوي في شئ * وروى ابن خويزمنداد عن مالك وقاله زيد وحماد بن أبي سليمان انها واحدة بائنة في المدخول بها وغير المدخول بها * وقال الزهري وعبد العزيز بن الماجشون هي واحدة رجعية * وقال أبو مصعب ومحمد بن الحكم هي في

أفعصيت أمري أو على اسقاط حرف الجر أي فيما أمرهم ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ قيل كرر المعنى توكيدا ﴿ لا تعتذروا اليوم ﴾ خطاب لهم عند دخولهم النار أي لانه لا ينفعكم الاعتذار ولا فائدة فيه

التي لم يدخل بها واحدة وفي المدخول بها ثلاث وفي الكشاف لا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي ثلاث وعن زيد واحدة وعن عثمان ظهار انتهى * وقال أيضا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما أحله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحو قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أي منعناه منها انتهى وتبتغي في موضع الحال * وقال الزمخشري تفسير لتحرم أو استئناف مرضاة رضا أزواجك أي بالامتناع مما أحله الله لك * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم الظاهر انه كان حلف على انه يمتنع من وطء مارية أو من شرب ذلك العسل على الخلاف في السبب وفرض احالة على آية العقود ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان وتحلة مصدر حلل كتكرمة من كرم وليس مصدرا مقيسا والمقيس التحليل والتكريم لان قياس فعل الصحيح العين غير المهموز هو التفعيل وأصل هذا تحللة فأدغم * وعن مقاتل أعتق رقبة في تحريم مارية * وعن الحسن لم يكفر انتهى فدل على انه لم يكن ثم يمين و بعض أزواجه حفصة والحديث هو بسبب مارية فلما نبأت به أي أخبرت عائشة * وقيل الحديث انما هو شربت عسلا * وقال ميمون بن مهران هو اسراره الى حفصة ان أبا بكر وعمر يملكان أمري من بعدي خلافة * وقرأ الجمهور فلما نبأت به وطلحة أنبأت والعامل في اذا اذكر وذكر ذلك على سبيل التأنيب لمن أسر اليه فأفشاه ونبأ وأنبأ الأصل أن يتعديا الى واحد بأنفسهما والى ثان بحرف الجر و يجوز حذفه فتقول نبأت به المفعول الاول محذوف أي غيرها ومن أنبأك هذا أي بهذا قال نبأني أي نبأني به أو نبأنيه فاذا ضمنت معنى أعلم تعدت الى ثلاثة مفاعيل نحو قول الشاعر

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها * تهدي الى غرائب الاشعار

وأظهره الله عليه أي أطلعه أي على افشائه وكان قد تكوتم فيه وذلك باخبار جبريل عليه السلام وجاءت الكناية هنا عن التفشية والحذف للفشي اليها بالسر حياطة وصونا عن التصريح بالاسم إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض * وقرأ الجمهور عرف بشد الراء والمعنى أعلم به وأنب عليه * وقرأ السلمي والحسن وقتادة وطلحة والكسائي وأبو عمرو في رواية هارون عنه بخف الراء أي جازى بالعتب واللوم كما تقول لمن يؤذيك لأعرفن لك ذلك أي لأجازينك * وقيل انه طلق حفصة وأمر بمراجعتها * وقيل عاتبها ولم يطلقها * وقرأ ابن المسيب وعكرمة عراف بألف بعد الراء وهي إشباع * وقال ابن خالويه ويقال انها لغة يمانية ومثالها قوله

أعوذ بالله من العقراب * الشائلات عقد الأذناب

يريد من العقرب * وأعرض عن بعض أي تكرما وحياء وحسن عشرة * قال الحسن ما استقصى كريم قط * وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام ومفعول عرف المشدد محذوف أي عرفها بعضه أي أعلم ببعض الحديث * وقيل المعرف خلافة الشيخين والذي أعرض عنه حديث مارية ولما أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتمتها إياه ونبأها الرسول صلى الله عليه وسلم به ظنت أن عائشة فضحتها فقالت من أنبأك هذا على سبيل التثبت فأخبرها ان الله هو الذي نبأه به فسكتت وسلمت * ان تتوبا الى الله انتقال من غيبة الى خطاب و يسمى الالتفات والخطاب لحفصة وعائشة فقد صغت مالت عن الصواب وفي حرف عبد الله راغت وأتى بالجمع في قوله قلوبكما وحسن ذلك

اضافته الى مثنى وهو ضميراهما والجمع فى مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى والتثنية دون الجمع كما قال الشاعر

فتخالسا نفسيهما بنوافذ ✻ كنوافذ العبط التى لاترفع

وهذا كان القياس وذلك أن يعبر بالمثنى عن المثنى لكن كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا الى الجمع لان التثنية جمع فى المعنى والافراد لا يجوز عند أصحابنا الا فى الشعر كقوله

✻ حمامة بطن الواديين ترنمى ✻ يريد بطنى وغلط ابن مالك فقال فى كتاب التسهيل ونختار لفظ الافراد على لفظ التثنية ✻ وقرأ الجمهور تظاهرا بشد الظاء وأصله تتظاهرا وأدغمت التاء فى الظاء وبالاصل قرأ عكرمة وبتخفيف الظاء قرأ أبو رجاء والحسن وطلحة وعاصم ونافع فى رواية وبشد الظاء والهاء دون ألف قرأ أبو عمرو فى رواية والمعنى وان تتعاونا عليه فى افشاء سره والافراط فى الغيرة فان الله هو مولاه أى مظاهره ومعينه والاحسن الوقف على قوله مولاه ويكون وجبريل مبتدأ ومابعده معطوف عليه والخبر ظهير فيكون ابتداء الجملة بجبريل وهو أمين وحى الله واختتامه بالملائكة وبدىء بجبريل وأفرد بالذكر تعظيما له واظهار المكانته عند الله ويكون قد ذكر مرتين مرة بالنص ومرة فى العموم واكتنف صالح المؤمنين جبريل تشريفا لهم واعتناء بهم اذ جعلهم بين الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فعلى هذا جبريل داخل فى الظهراء لا فى الولاية ويختص الرسول بان الله هو مولاه وجوزوا أن يكون وجبريل وصالح المؤمنين عطفا على اسم الله فيدخلان فى الولاية ويكون والملائكة مبتدأ والخبر ظهير فيكون جبريل داخلا فى الولاية بالنص وفى الظهراء بالعموم والظاهر عموم وصالح المؤمنين فيشمل كل صالح ✻ وقال قتادة والعلاء بن العلاء بن زيد هم الانبياء وتكون مظاهرتهم له كونهم قدوة فهم ظهراء بهذا المعنى ✻ وقال عكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد المراد أبو بكر وعمر وزاد مجاهد وعلى بن أبى طالب ✻ وقيل الصحابة ✻ وقيل الخلفاء وعن ابن جبير من برىء من النفاق وصالح يحتمل أن يراد به الجمع وان كان مفردا فيكون كالسامر فى قوله مستكبرين به سامرا أى سمارا ويحتمل أن يكون جمعا حذفت منه الواو خطا لحذفها لفظا كقوله سندع الزبانية وأفرد الظهير لان المراد فوج ظهير وكثيرا ما يأتى فعيل نحو هذا للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المفرد كأنهم فى المظاهرة يد واحدة على من يعاديه فما قدر تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وذلك اشارة الى تظاهرهما أو الى الولاية وفى الحديث أن عمر قال يارسول الله لاتكترث بأمر نسائك والله معك وجبريل معك وأبو بكر وأنا معك فنزلت ✻ وروى عنه أنه قال لزوجات النبى صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكن الآية فنزلت ✻ وقرأ الجمهور طلقكن بفتح القاف وأبو عمرو فى رواية ابن عباس بادغامها فى الكاف وتقدم ذكر الخلاف فى أن يبدله فى سورة الكهف والمتبدل به محذوف لدلالة المعنى عليه تقديره أن يبدله خيرا منكن لأنهن اذا طلقهن كان طلاقهن لسوء عشرتهن واللواتى يبدلهن بهذه الأوصاف يكن خيرا منهن وبدأ فى وصفهن بالاسلام وهو الانقياد ثم بالايمان وهو التصديق ثم بالقنوت وهو الطواعية ثم بالتوبة وهى الاقلاع عن الذنب ثم بالعبادة وهى التلذذ ثم بالسياحة وهى كناية عن الصوم قاله أبو هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك ✻ وقيل ان الرسول صلى الله عليه وسلم فسره بذلك قاله أيضا الحسن وابن جبير وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ✻ قال الفراء والقتبى سمى الصائم سائحا لان السائح لازاد معه وانما يأكل من حيث يجد الطعام ✻ وقال زيد بن

﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴾ قرئ نصوحا بفتح النون صفة للتوبة وبضمها وهو مصدر وصف به التوبة على سبيل المبالغة وروى عن عمر وعبد الله أنها التى لاعودة بعدها كما لايعود اللبن للضرع ورفعه معاذ للنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ يوم لايخزى ﴾ منصوب بيدخلكم ولايخزى تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والنبى هو محمد صلى الله عليه وسلم وفى الحديث أنه عليه السلام تضرع فى أمر أمته فأوحى الله تعالى اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال يارب أنت أرحم بهم منى فقال تعالى اذا لاأخزيك فيهم ﴿ ضرب الله مثلا ﴾ ضرب تعالى المثل لهم بامرأة نوح وامرأة لوط فى أنهم لاينفعهم مع كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر والكفر قاطع العلائق بين الكافر والمؤمن وان كان المؤمن فى أقصى درجات الصلاح ألاترى الى قوله تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح

( الدر )

﴿ سورة التحريم ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ش ) فان قلت أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم * قلت لا ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسهم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب انتهى ( ح ) ناقض فى قوله هذا لانه قدر وليق أهلوكم فجعله من عطف الجمل لان أهلوكم اسم ظاهر لا يمكن عنده أن يرتفع بفعل الأمر الذى للمخاطب وكذا فى قوله أسكن أنت وزوجك الجنة ثم قال ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو فناقض لانه فى هذا جعله مقارنا فى التقدير للواو وفيما قبله رفعه بفعل آخر غير الرافع للواو وهو وليق

أسلم وبيان مهاجرات * وقال ابن زيد ليس فى الاسلام سياحة الا الهجرة * وقيل ذاهبات فى طاعة الله * وقرأ الجمهور سائحات وعمرو بن فائد سيحات وهذه الصفات تجتمع وأما الثيوبة والبكارة فلا يجتمعان فلذلك عطف أحدهما على الآخر ولولم يأت بالواو لاختل المعنى وذكر الجنسين لان فى أزواجه صلى الله عليه وسلم من تزوجها بكرا والثيب الراجع بعد زوال العذرة يقال ثابت تثوب ثوبا ووزنه فعيل كسيد ولما وعظ أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعظة خاصة أتبع ذلك بوعظة عامة للمؤمنين وأهليهم وعطف وأهليكم على أنفسكم لأن رب المنزل راع وهو مسؤل عن أهله ومعنى وقايتهم حملهم على طاعته والزامهم أداء مافرض عليهم * قال عمر يارسول الله نقى أنفسنا فكيف لنا بأهلينا قال تنهونهن عمانها كم الله تعالى عنه وتأمرونهن بما أمركم الله به فتكون ذلك وقاية بينهن وبين النار ودخل الأولاد فى وأهليكم * وقيل دخلوا فى أنفسكم لأن الولد بعض من أبيه فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصى * وقرئ وأهلوكم بالواو وهو معطوف على الضمير فى قوا وحسن العطف الفصل بالمفعول * وقال الزمخشرى ( فان قلت ) أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم ( قلت ) لا ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب انتهى وناقض فى قوله هذا لأنه قدر وليق أهلوكم فجعله من عطف الجمل لأن أهلوكم اسم ظاهر لا يمكن عنده أن يرتفع بفعل الأمر الذى للمخاطب وكذا فى قوله أسكن أنت وزوجك الجنة ثم قال ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو فناقض لأنه فى هذا جعله مقارنا فى التقدير للواو وفيما قبله رفعه بفعل آخر غير الرافع للواو وهو وليق وتقدم الخلاف فى فتح الواو فى قوله وقودها وضمها فى البقرة وتفسير وقودها الناس والحجارة فى البقرة عليها ملائكة هى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم ووصفهم بالغلظ إما الشدة أجسامهم وقوتها وإما الفظاظتهم لقوله ولو كنت فظا غليظ القلب أى ليس فيهم رقة ولا حنة على العصاة وانتصب ما أمرهم على البدل أى لايعصون أمره لقوله تعالى أفعصيت أمرى أو على اسقاط حرف الجر أى فيما أمرهم ويفعلون مايؤمرون * قيل كرر المعنى توكيدا * وقال الزمخشرى ( فان قلت ) أليس الجملتان فى معنى واحد ( قلت ) لا فان معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون مايؤمرون لايتثاقلون عنه ولايتوانون فيه * لاتعتذروا خطاب لهم عند دخولهم النار لأنهم لاينفعهم الاعتذار فلافائدة فيه * قوله عز وجل ﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير * يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

كما لم ينفع تينك المرأتين مع كونهما زوجتي نبيين وجاءت الكناية عن اسميهما العامين بقوله ﴿عبدين من عبادنا﴾ لما في ذلك من التشريف بالاضافة الى الله تعالى ولم يأت التركيب بالضمير عنهما فيكون تحتهما لما قصد من ذكر وصفهما بقوله صالحين لان الصلاح هو الذي يمتاز به من اصطفاه تعالى كقوله في حق ابراهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴿فخانتاهما﴾ وذلك بكفرهما وقول امرأة نوح عليه السلام هو مجنون ونميمة امرأة لوط عليه السلام بمن ورد عليه من الاضياف قاله ابن عباس وقال لم تزن امرأة نبي قط ولا ابتلي في نسائه بالزنا ﴿فلم يغنيا﴾ أي لوط ونوح ﴿عنهما﴾ عن امرأتيهما ﴿من الله﴾ أي من عذاب الله تعالى ﴿وقيل ادخلا﴾ أي وقت موتهما أو يوم القيامة ﴿مع الداخلين﴾ الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ مثل تعالى حال المؤمنين في ان وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقص من ثوابهم بحال امرأة فرعون واسمها آسية بنت مزاحم ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون بل نجاها منه ايمانها وبحال مريم اذ أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا ﴿عندك بيتا في الجنة﴾ هذا يدل على ايمانها وتصديقها بالبعث قيل كانت عمة موسى عليه السلام وآمنت حين سمعت بتلقف عصاه ما أفك السحر طلبت من ربها القرب من رحمته وكان ذلك أهم عندها فقدمت الظرف وهو عندك بيتا ثم بينت مكان القرب فقالت في الجنة ﴿ونجني﴾ قيل دعت بهذه الدعوات فنجاها الله تعالى أحسن نجاة والقوم الظالمين هم القبط ﴿ومريم﴾ معطوف على امرأة فرعون وجمع تعالى في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لأنفسهن وقرئ كلماته جمعا فاحتمل أن تكون الصحف المنزلة على ادريس عليه السلام وسماها كلمات لقصرها وقرئ وكتبه على الجمع وكتابه على الافراد والكتاب هو الانجيل ﴿وكانت من القانتين﴾ غلب الذكورية على التأنيث القانتين شامل للذكور والاناث ومن للتبعيض

كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ ذكروا في النصوح أربعة وعشرين قولا * وروي عن عمر وعبد الله وأبي ومعاذ انها التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع ورفعه معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم * وقرأ الجمهور نصوحا بفتح النون وصفا للتوبة وهو من أمثلة المبالغة كضروب وقتول * وقرأ الحسن والأعرج وعيسى وأبو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع بضمها هو مصدر وصف به ووصفها بالنصح على سبيل المجاز اذ النصح صفة التائب وهو أن ينصح نفسه بالتوبة فيأتي بها على طريقها وهي خلوصها من جميع الشوائب المفسدة لها من قولهم عسل ناصح أي خالص من الشمع أو من النصاحة وهي الخياطة أي قد أحكمها وأوثقها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه وسمع علي اعرابيا يقول اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وعلى الفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن يعزم على أن لا يعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما أذبتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه انتهى ونصوحا من نصح فاحتمل وهو الظاهر أن تكون التوبة تنصح نفس التائب واحتمل أن يكون متعلق النصح الناس أي يدعوهم الى مثلها لظهور أمرها على صاحبها * وقرأ زيد بن علي توبا بغير تاء ومن قرأ بالضم جاز أن يكون مصدرا أو وصفا كما قدمناه وجاز أن يكون مفعولا له أي توبوا لنصح أنفسكم * وقرأ الجمهور ويدخلكم عطفا على أن يكفر * وقال الزمخشري عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم انتهى والاولى أن يكون حذف الحركة تخفيفا وتشبيها لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة تقول في قمع ونطع قمع ونطع * يوم لا يخزي منصوب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والنبي هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم تضرع الى الله عز وجل في أمر أمته فأوحى الله تعالى اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال

(الدر) (ح) قرأ الجمهور ويدخلكم عطفا على أن يكفر (ش) عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب

يارب أنت أرحم بهم فقال تعالى اذا لا أخزيك فيهم وجاز أن يكون والذين معطوفا على النبي
فيدخلون في انتفاء الخزي وجاز أن يكون مبتدأ والخبر نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم * وقرأ
سهل بن شعيب وأبو حيوة وبإيمانهم بكسر الهمزة وتقدم في الحديث يقولون ربنا أتمم لنا نورنا
* قال ابن عباس والحسن يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين * وقال الحسن أيضا يدعونه
تقربا اليه كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له * وقيل يقوله من يمر على الصراط زحفا وحبوا
* وقيل يقوله من يعطى من النور مقدار ما يبصر به موضع قدميه * يا أيها النبي جاهد الكفار
والمنافقين تقدم نظير هذه الآية في التوبة * ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب تعالى المثل لهم بامرأة
نوح وامرأة لوط في أنهم لا ينفعهم في كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر اذ الكفر قاطع العلائق
بين الكافر والمؤمن وان كان المؤمن في أقصى درجات العلا ألا ترى الى قوله تعالى انه ليس من
أهلك انه عمل غير صالح كما لم ينفع تينك المرأتين كونهما زوجتي نبيين وجاءت الكناية عن اسمهما
العلمين بقوله عبدين من عبادنا لما في ذلك من التشريف بالاضافة اليه تعالى ولم يأت التركيب
بالضمير عنهما فيكون تحتهما لما قصد من ذكر وصفهما بقوله صالحين لان الصلاح هو الوصف
الذي يمتاز به من اصطفاه الله تعالى بقوله في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانه في الآخرة لمن
الصالحين وفي قول يوسف عليه السلام وألحقني بالصالحين وقول سليمان عليه الصلاة والسلام
وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين * فخانتاهما وذلك بكفرهما وقول امرأة نوح عليه السلام هو
مجنون ونميمة امرأة لوط عليه السلام بمن ورد عليه من الأضياف قاله ابن عباس * وقال لم تزن
امرأة نبي قط ولا ابتلي في نسائه بالزنا * قال في التحرير وهذا اجماع من المفسرين وفي كتاب ابن
عطية * وقال الحسن في كتاب النقاش فخانتاهما بالكفر والزنا وغيره * وقال الزمخشري ولا
يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لانه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فان الكفر
يستسمجونه ويسمونه حقا * وقال الضحاك خانتاهما بالنميمة كان اذا أوحى اليه بشئ أفشتاه
للمشركين * وقيل خانتاهما بنفاقهما * قال مقاتل اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة
فلم يغنيا بياء الغيبة والالف ضمير نوح ولوط أي على قربهما منهما فرق بينهما الخيانة وقيل ادخلا
النار أي وقت موتهما أو يوم القيامة مع الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام أو مع من دخلها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط * وقرأ مبشر بن عبيد تغنيا بالتاء
والألف ضمير المرأتين ومعنى عنهما عن أنفسهما ولا بد من هذا المضاف الا أن يجعل عن اسما كهي
في دع عنك لانها ان كانت حرفا كان في ذلك تعدية الفعل الرافع للضمير المتصل الى ضمير المجرور
وهو يجري مجرى المنصوب المتصل وذلك لا يجوز * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون
مثل تعالى حال المؤمنين في أن وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقص من ثوابهم بحال امرأة فرعون
واسمها آسية بنت مزاحم ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون عدو الله تعالى والمدعي الالهية
بل نجاها منه ايمانها وبحال مريم اذ أوتيت من كرامة الله تعالى في الدنيا والآخرة والاصطفاء على
نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا * اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة هذا يدل على ايمانها
وتصديقها بالبعث * قيل كانت عمة موسى عليه السلام وآمنت حين سمعت بتلقف عصاه ما أفك
السحرة طلبت من ربها القرب من رحمته وكان ذلك أهم عندها فقدمت الظرف وهو عندك بيتا
ثم بينت مكان القرب فقالت في الجنة * وقال بعض الظرفاء وقد سئل ابن في القرآن مثل قولهم

( الدر )
تكفير سيآتكم ويدخلكم انتهى ( ح ) الأولى أن يكون حذف الحركة تخفيفا وتشبيها لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة تقول في قمع قمع ونطع نطع

الجار قبل الدار قال قوله تعالى ابن لي عندك بيتا في الجنة فعندك هو المجاورة و بيتا في الجنة هو الدار وقد تقدم عندك على قوله بيتا ونجني من فرعون * قيل دعت بهذه الدعوات حين أمر فرعون بتعذيبها لما عرف ايمانها بموسى عليه السلام وذكر المفسرون أنواعا مضطربة في تعذيبها وليس في القرآن نصا انها عذبت * وقال الحسن لما دعت بالنجاة نجاها الله تعالى أكرم نجاة فرفعها الى الجنة تأكل وتشرب وتتنعم * وقيل لما قالت ابن لي عندك بيتا في الجنة أريت بيتها في الجنة يبنى وعمله قيل كفره * وقيل عذابه وظلمه وشماتته * وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين قال أهل مصر وقال مقاتل القبط وفي هذا دليل على الالتجاء الى الله تعالى عند المحن وسؤال الخلاص منها وان ذلك من سنن الصالحين والانبياء * ومريم معطوف على امرأة فرعون ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا تقدم تفسير نظير هذه في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام * وقرأ الجمهور ابنت بفتح التاء وأيوب السختياني ابنه بسكون الهاء وصلا أجراه مجرى الوقف * وقرأ الجمهور فنفخنا فيه أي في الفرج وعبد الله فيها كما في سورة الأنبياء أي في الجملة وجمع تعالى في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لقلوبهن * وقرأ الجمهور وصدقت بشد الدال و يعقوب وأبو مجلز وقتادة وعصمة عن عاصم بخفها أي كانت صادقة بما أخبرت به من أمر عيسى عليه السلام وما أظهر الله له من الكرامات * وقرأ الجمهور وكلماته جمعا فاحتمل أن تكون الصحف المنزلة على ادريس عليه السلام وغيره وسماها كلمات لقصرها ويكون المراد بكتبه الكتب الأربعة واحتمل أن تكون الكلمات ما كلم الله تعالى به ملائكته وغيرهم و بكتبه جميع ما يكتب في اللوح وغيره واحتمل أن تكون الكلمات ماصدر في أمر عيسى عليه السلام * وقرأ الحسن ومجاهد والجحدري بكلمة على التوحيد فاحتمل أن يكون اسم جنس واحتمل أن يكون كناية عن عيسى لانه قد أطلق عليه انه كلمة الله ألقاها الى مريم * وقرأ أبو عمرو وحفص وكتبه جمعا ورواه كذلك خارجة عن نافع * وقرأ باقي السبعة وكتابه على الافراد فاحتمل أن يراد به الجنس وأن يراد به الانجيل لاسيما ان فسرت الكلمة بعيسى * وقرأ أبو رجاء وكتبه * قال ابن عطية بسكون التاء وكتبه وذلك كله مراد به التوراة والانجيل * وقال صاحب اللوامح أبو رجاء وكتبه بفتح الكاف وهو مصدر أقيم مقام الاسم * قال سهل وكتبه أجمع من كتابه لان فيه وضع المضاف موضع الجنس فالكتب عام والكتاب هو الانجيل فقط انتهى * وكانت من القانتين غلب الذكورية على التأنيث والقانتين شامل للذكور والاناث ومن للتبعيض * وقال الزمخشري و يجوز أن تكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هارون أخي موسى صلوات الله وسلامه عليهما * وقال يحيى بن سلام مثل ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة من المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامرأة فرعون ومريم ابنت عمران ترغيبا في التمسك بالطاعات والثبات على الدين انتهى وأخذ الزمخشري كلام ابن سلام هذا وحسنه وزمكه بفصاحة فقال وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه ومن التغليظ قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين واشارة الى أن من حقهما أن يكونا في الاخلاص والكتمان فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا يتكلا على أنهما زوجتا رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة الملك ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ الآية هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أنه لما ضرب للكفار مثلا بتنبيك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وان كانتا تحت نبيين ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتوم لهما بالسعادة وان كان قومهما كافرين كان ذلك تصرفا في ملكه على ما سبق به قضاؤه فقال تعالى تبارك أى تعالى وتعاظم الذي بيده الملك وهو كناية عن الاحاطة والقهر وكثيرا ما جاء نسبة اليد اليه تعالى كقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ والملك هنا هو على الاطلاق لا يبيد ولا يختل ومعنى ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر وفى الحديث أنه فسر ﴿ أيكم أحسن عملا ﴾ أى أيكم أحسن عقلا وأشدكم لله خوفا وأحسنكم فى أمره ونهيه نظرا وان كان أقلكم تطوعا وانتصب ﴿ طباقا ﴾ على الوصف لسبع فاما أن يكون مصدر طابق مطابقة وطباقا كقولهم طابق النعل خصفها طبقا على طبق وصف به على سبيل المبالغة والتفاوت تجاوز الحد الذي يجب له زيادة أو نقصانا والخطاب فى ترى لكل مخاطب أو للرسول عليه السلام ولما أخبر تعالى أنه لا تفاوت فى خلقه أمر بترديد البصر فى الخلق  المناسب فقال ﴿ فارجع البصر ﴾ ففى الفاء معنى التسبب والمعنى أن العيان يطابق الخبر * والفطور الشقوق يقال فطر ناب البعير أى شق اللحم وظهر وقرئ تفاوت وتفوت والجملة من قوله هل ترى من فطور فى موضع نصب بفعل معلق محذوف أى فانظر هل ترى أو ضمن فارجع البصر معنى فانظر ببصرك هل ترى فيكون معلقا ﴿ ثم ارجع ﴾ أى ردده ﴿ كرتين ﴾ هى تثنية لا تشفع الواحد بل يراد به التكرار كأنه قال كرة بعد كرة أى كرات كثيرة ﴿ وهو حسير ﴾ أى كليل ﴿ السماء الدنيا ﴾ هى التى نشاهدها ﴿ بمصابيح ﴾ أى بنجوم مضيئة ﴿ وجعلناها رجوما ﴾ أى جعلنا منها لان السماء ذاتها ليست الرجوم والظاهر عوده على مصابيح ونسب الرجم اليها لان الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها والكوكب باق فى فلكه على حاله فالشهاب كقبس يؤخذ من النار والنار باقية لا تنقص والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع وأن الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب كما تقدم فى الحجر وغيرها والضمير فى لهم عائد على الشياطين وقرئ ﴿ عذاب ﴾ بالرفع مبتدأ خبره فى الجار والمجرور قبله وبالنصب على اضمار أعتدنا ﴿ اذا ألقوا فيها ﴾ أى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به ومثله حصب جهنم ﴿ سمعوا لها ﴾ أى لجهنم ﴿ شهيقا ﴾ أى صوتا منكرا كصوت الحمار تصوت مثل ذلك لشدة توقدها وغليانها ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أى سمعوا لأهلها كما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق ﴿ وهى تفور ﴾ تغلى بهم غلى المرجل ﴿ تكاد تميز ﴾ أى ينفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها ﴿ كلما ألقى فيها فوج ﴾ أى فريق من الكفار ﴿ سألهم خزنتها ﴾ سؤال توبيخ وتقريع وهو مما يزيدهم عذابا الى عذابهم وخزنتها مالك وأعوانه ﴿ ألم يأتكم نذير ﴾ ينذركم بهذا اليوم ﴿ قالوا بلى ﴾ اعتراف بمجيء النذر اليهم والظاهر أن قوله ان أنتم من قول الكفار للرسل الذين جاؤا نذرا لهم انكروا أولا أن الله تعالى نزل شيأ واستجهلوا ثانيا من أخبر أنه تعالى أرسل اليهم الرسل وان قائل ذلك فى حيرة

فان ذلك الفضل لا ينقصهما إلا مع كونهما مخلصين والتعريض بحفصة أرجح لان امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرار التنزيل ورموزه فى كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره انتهى * وقال ابن عطية وقال بعض الناس ان فى المثلين عبرة لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم حين تقدم عتابهن وفى هذا بعد لان النص انه للكفار يبعد هذا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور * الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير * ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير * وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور * تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من

عظيمة فان كان الخطاب فى ان أنتم للرسل فنذير أريد به الجنس ولذلك جاء الخطاب بالجمع ﴿وقالوا﴾ أى الخزنة حين حاوروهم ﴿لو كنا نسمع﴾ سماع طالب للحق ﴿أو نعقل﴾ عقل متأمل له لم نستوجب الخلود فى النار ﴿فاعترفوا﴾ حين لم ينتفعوا بالاعتراف ﴿بذنبهم﴾ أى بتكذيب الرسل ﴿فسحقا﴾ أى فبعدا لهم وهو دعاء عليهم والسحق البعد وانتصابه على المصدر أى سحقهم الله سحقا ﴿وأسروا قولكم﴾ خطاب لجميع الخلق قال ابن عباس ان بعض المشركين قالوا لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد ﴿ألا يعلم﴾ الهمزة  للاستفهام ولا للنفى والظاهر أن من مفعول والمعنى أينتفى علمه بمن خلق وهو الذى لطف علمه ودق وأحاط بخفيات الامور وجلياتها ﴿هو الذى جعل لكم﴾ منة منه تعالى بذلك والذلول فعول للمبالغة ﴿فامشوا فى مناكبها﴾ أمر بالتصرف فيها والاكتساب ومناكبها قال ابن عباس هى الجبال ﴿واليه النشور﴾ أى البعث فيسألكم عن شكر هذه النعم

شئ إن أنتم إلا فى ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير * ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير * وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ضرب للكفار بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وان كانتا تحت نبيين ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتوم لهما بالجنة وان كان قوماهما كافرين كان ذلك تصرفا فى ملكه على ما سبق قضاؤه فقال تبارك أى تعالى وتعاظم الذى بيده الملك وهو كناية عن الاحاطة والقهر وكثيرا ما جاء نسبة اليد اليه تعالى كقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ بيدك الخير وذلك فى حقه تعالى استعارة لتحقيق الملك إذ كانت فى عرف الآدميين آلة للتملك والملك هنا هو على الاطلاق لا يبيد ولا يختل * وعن ابن عباس ملك الملوك لقوله تعالى قل اللهم مالك الملك وناسب الملك ذكر وصف القدرة والحياة ما يصح بوجوده الاحساس ومعنى خلق الموت إيجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر * وفى الحديث انه فسر أيكم أحسن عملا أى أحسن عقلا وأشدكم خوفا وأحسنكم فى أمره ونهيه نظرا وان كان أقلكم تطوعا * وعن ابن عباس والحسن والثورى أزهدكم فى الدنيا * وقيل كنى بالموت عن الدنيا إذ هو واقع فيها وعن الآخرة بالحياة من حيث لا موت فيها فكأنه قال هو الذى خلق الدنيا والآخرة وصفهما بالمصدرين وقدم الموت لانه أهيب فى النفوس وليبلوكم متعلق بخلق وأيكم أحسن عملا مبتدأ وخبر فقدر الحوفى قبلها فعلا تكون الجملة فى موضع معموله وهو معلق عنها تقديره فينظر وقدر ابن عطية فينظر أو فيعلم * وقال الزمخشرى (فان قلت) من أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى (قلت) من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا واذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا (فان قلت) أيسمى هذا تعليقا (قلت) لا انما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى انه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا انتهى وأصحابنا يسمون ما منعه الزمخشرى تعليقا فيقولون فى الفعل اذا عدى الى اثنين

( الدر )

﴿ سورة الملك ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) فان قلت من أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى * قلت من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قال ليعلمكم أيكم أحسن عملا واذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا * فان قلت أيسمى



هذا تعليقا * قلت لا انما التعليق أن توقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى انه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا انتهى (ح) أصحابنا يسمون ما منعه (ش) تعليقا فيقولون فى الفعل اذا عدى الى اثنين ونصب الأول وجاء بعده جملة استفهامية أو بلام الابتداء أو بحرف نفى كانت الجملة معلقا عنها الفعل وكانت فى موضع نصب كما لو وقعت فى موضع المفعولين وفيها

وصب الأول وجاءت بعده جملة استفهامية أو بلام الابتداء أو بحرف نفي كانت الجملة معلقاعنها الفعل وكانت في موضع نصب كالو وقعت في موضع المفعولين وفيها مايعلق الفعل عن العمل وقد تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الكهف في قوله تعالى لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانتصب طباقا على الوصف لسبع فاما أن يكون مصدر طابق مطابقة وطباقا لقولهم النعل خصفها طبقا على طبق وصف به على سبيل المبالغة أو على حذف مضاف أي ذا طباق و إما جمع طبق كجمل وجمال أو جمع طبقة كرحبة ورحاب والمعنى بعضها فوق بعض وماذكر من موادهذه السموات * فالأولى من موج مكفوف * والثانية من درة بيضاء * والثالثة من حديد * والرابعة من نحاس * والخامسة من فضة * والسادسة من ذهب * والسابعة من زمردة بيضاء يحتاج الى نقل صحيح وقد كان بعض من ينتمي الى الصلاح وكان أعمى لايبصر موضع قدمه يخبر أنه يشاهد السموات على بعض أوصاف مماذكرنا * من تفاوت * قال ابن عباس من تفرق * وقال السدي من عيب * وقال عطاء بن يسار من عدم استواء * وقال ثعلب أصله من الفوت وهو أن يفوت شئ شيأ من الخلل * وقيل من اضطراب * وقيل من اعوجاج * وقيل من تناقض * وقيل من اختلاف * وقيل من عدم التناسب والتفاوت تجاوز الحد الذي تجب له زيادة أو نقص * قال بعض الأدباء

تناسبت الأعضاء فيه فلاترى * بهن اختلافا بل أتين على قدر

وقرأ الجمهور من تفاوت بألف مصدر تفاوت وعبد الله وعلقمة والاسود وابن جبير وطلحة والأعمش بشد الواو مصدر تفوت * وحكى أبو زيد عن العرب تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها والفتح والكسر شاذان والظاهر عموم خلق الرحمن من الأفلاك وغيرها فانه لاتفوت فيه ولافطور بل كل جار على الاتقان * وقيل المراد في خلق الرحمن السموات فقط والظاهر أن قوله تعالى ماترى استئناف انه لايدرك في خلقه تعالى تفاوت وجعل الزمخشري هذه الجملة صفة متابعة لقوله طباقا أصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المناسب انتهى والخطاب في ترى لكل مخاطب أو للرسول صلى الله عليه وسلم ولما أخبر تعالى انه لاتفاوت في خلقه أمر بترديد البصر في الخلق المناسب فقال فارجع ففي الفاء معنى التسبب والمعنى أن العيان يطابق الخبر * والفطور قال مجاهد الشقوق فطر ناب البعير شق اللحم وظهر قال الشاعر

بنى لكم بلا عمد سماء * وسواها فما فيها فطور

وقال أبو عبيدة صدوع وأنشد قول عبيد بن مسعود

شققت القلب ثم رددت فيه * هواك فليط فالتأم الفطور

وقال السدي خروق * وقال قتادة خلل ومنه التفطير والانفطار * وقال ابن عباس وهن وهذه تفاسير متقاربة والجملة من قوله هل ترى من فطور في موضع نصب بفعل معلق محذوف أي فانظر هل ترى أو ضمن معنى فارجع البصر معنى فانظر ببصرك هل ترى فيكون معلقا ثم ارجع البصر أي ردده كرتين هي تثنية لاشفع الواحد بل يراد بها التكرار كأنه قال كرة بعد كرة أي كرات كثيرة كقوله لبيك يريد اجابات كثيرة بعضها في اثر بعض وأريد بالتثنية التكثير كما أريد بما هو أصل لها التكثير وهو مفرد عطف على مفرد نحو قوله

لو عد قبر وقبر كان أكرمهم * بيتا وأبعدهم عن منزل الزام

( الدر )

مايعلق الفعل عن العمل وقد تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الكهف في قوله لنبلوهم أيهم أحسن عملا

يريد لو عدت قبور كثيرة * وقال ابن عطية وغيره كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر * وقيل أمر برجع البصر الى السماء مرتين غلط فى الأولى فيستدرك بالثانية * وقيل الأولى ليرى حسنها واستواءها والثانية ليبصر كواكبها فى سيرها وانتهائها * وقرأ الجمهور ينقلب جزما على جواب الأمر والخوارزمى عن الكسائى برفع الباء أى فينقلب على حذف الفاء أو على انه موضع حال مقدرة أى ان رجعت البصر وكررت النظر لتطلب فطور شقوق أو خللا أو عيبا رجع اليك مبعدا عما طلبته لانتفاء ذلك عنها وهو كال من كثرة النظر وكلاله يدل على أن المراد بالكرتين ليس شفع الواحد لانه لا يكل البصر بالنظر مرتين اثنتين والحسير الكال قال الشاعر

(٢) لهن الوجى لم كن عونا على النوى * ولا زال منها ظالع وحسير

يقال حسر بعيره يحسر حسورا أى كل وانقطع فهو حسير ومحسور قال الشاعر يصف ناقة

* فشطرها نظر العينين محسور * أى ونحرها وقد جمع حسير بمعنى أعيا وكل قال الشاعر

* بها جيف الحسرى فأما عظامها * البيت * السماء الدنيا هى التى نشاهدها والدنو أمر نسبى والا فليست قريبة بمصابيح أى بنجوم مضيئة كالمصابيح ومصابيح مطلق الأعلام فلا يدل على أن غير سماء الدنيا ليست فيها مصابيح * وجعلناها رجوما للشياطين أى جعلنا منها لان السماء ذاتها ليست يرجم بها الرجوم هذا ان عاد الضمير فى قوله وجعلناها على السماء والظاهر عوده على مصابيح ونسب الرجم اليها لان الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها والكوكب قار فى ملكه على حاله فالشهاب كقبس يؤخذ من النار والنار باقية لا تنقص والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع وان الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب كما تقدم فى سورة الحجر وسورة والصافات * وقيل معنى رجوما ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون ينسبون الى النجوم أشياء على جهة الظن من جهالهم والتمويه والاختلاق من أزكيائهم ولهم فى ذلك تصانيف تشتمل على خرافات يموهون بها على الملوك وضعفاء العقول ويعملون مواليد يحكمون فيها بالأشياء لا يصح منها شئ وقد وقفنا على أشياء من كذبهم فى تلك المواليد وما يحكونه عن أبى معشر وغيره من شيوخ السوء كذب يغرون به الناس الجهال * وقال قتادة خلق الله تعالى النجوم زينة للسماء ورجوما للشياطين وليهتدى بها فى فى البر والبحر فمن قال غير هذه الخصال الثلاث فقد تكلف وأذهب حظه من الآخرة والضمير فى لهم عائد على الشياطين * وقرأ الجمهور عذاب جهنم برفع الباء والضحاك والأعرج وأسيد بن أسيد المزنى والحسن فى رواية هارون عنه بالنصب عطفا على عذاب السعير أى وأعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم إذا ألقوا فيها أى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به ومثله حصب جهنم سمعوا لها أى لجهنم شهيقا أى صوتا منكرا كصوت الحمار تصوت مثل ذلك لشدة توقدها وغليانها ويحتمل أن يكون على حذف مضاف أى سمعوا لأهلها كما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق وهى تفور تغلى بهم غلى المرجل * تكاد تميز أى ينفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها ويقال فلان يتميز من الغيظ اذا وصفوه بالافراط فى الغضب * وقرأ الجمهور تميز بتاء واحدة خفيفة والبزى يشددها وطلحة بتاءين وأبو عمرو بادغام الدال فى التاء والضحاك تمايز على وزن تفاعل وأصله تتمايز بتاءين وزيد بن على وابن أبى عبلة تميز من ماز من الغيظ على الكفرة جعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ومثل هذا فى التجوز قول الشاعر

فى كلب (١) يشتد فى جريه * يكاد أن يخرج من اهابه

وقولهم غضب فلان فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء اذا أفرط في الغضب ويجوز أن يراد من غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج أي فريق من الكفار سألهم خزنتها سؤال توبيخ وتقريع وهو مما يزيدهم عذابا إلى عذابهم وخزنتها مالك وأعوانه ألم يأتكم نذير ينذركم بهذا اليوم قالوا بلى اعتراف بمجيء النذر اليهم * قال الزمخشري اعتراف منهم بعدل الله واقرار بأنه عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده انتهى وهو على طريق المعتزلة والظاهر أن قوله ان أنتم إلا في ضلال كبير من قول الكفار للرسل الذين جاؤا نذرا اليهم أنكروا أولا أن الله نزل شيأ واستجهلوا ثانيا من أخبر بأنه تعالى أرسل اليهم الرسل وان قائل ذلك في حيرة عظيمة ويجوز أن يكون من قول الخزنة للكفار اخبارا لهم وتقريعا بما كانوا عليه في الدنيا أرادوا بالضلال الهلاك الذي هم فيه أو سموا عقاب الضلال ضلالا لما كان ناشئا عن الضلال * وقال الزمخشري أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله انتهى فان كان الخطاب في إن أنتم للرسل فقد يراد به الجنس ولذلك جاء الخطاب بالجمع وقالوا أي للخزنة حين حاوروهم لو كنا نسمع سماع طالب للحق أو نعقل عقل متأمل له لم نستوجب الخلود في النار فاعترفوا بذنبهم أي بتكذيب الرسل فسحقا أي فبعدا لهم وهو دعاء عليهم والسحق البعد وانتصابه على المصدر أي سحقهم الله سحقا قال الشاعر

يجول بأطراف البلاد مغربا * وتسحقه ريح الصبا كل مسحق

والفعل منه ثلاثي * وقال الزجاج أي أسحقهم الله سحقا أي باعدهم بعدا * وقال أبو علي الفارسي القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف كما قيل * وان أهلك فذلك كان قدري * أي تقديري انتهى ولا يحتاج الى ادعاء الحذف في المصدر لأن فعله قد جاء ثلاثيا كما أنشد * وتسحقه ريح الصبا كل مسحق * وقرأ الجمهور بسكون الحاء وعلي وأبو جعفر والكسائي بخلاف عن أبي الحرث عنه بضمها * قال ابن عطية فسحقا نصبا على جهة الدعاء عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث هذا القول فيهم مستقر أولا ووجوده لم يقع الا في الآخرة فكأنه لذلك في حيز المتوقع الذي يدعى به كما تقول سحقا لزيد وبعدا والنصب في هذا كله باضمار فعل وان وقع وثبت فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير هذا من الأمثلة انتهى يخشون ربهم بالغيب أي الذي أخبروا به من أمر المعاد وأحواله أو غائبين عن أعين الناس أي في خلواتهم كقوله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه * وأسروا قولكم خطاب لجميع الخلق * قال ابن عباس وسببه أن بعض المشركين قال لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد * ألا يعلم من خلق الهمزة للاستفهام ولا للنفي والظاهر أن من مفعول والمعنى أينتفي علمه بمن خلق وهو الذي لطف علمه ودق وأحاط بخفيات الأمور وجلياتها وأجاز بعض النحاة أن يكون من فاعلا والمفعول محذوف كأنه قال ألا يعلم الخالق سركم وجهركم وهو استفهام معناه الانكار أي كيف لا يعلم ما تكلم به من خلق الاشياء وأوجدها من العدم الصرف وحاله أنه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن * هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا منة منه تعالى بذلك والذلول فعول للمبالغة من ذلك تقول دابة ذلول بينة الذل ورجل ذليل بين الذل * وقال ابن عطية والذلول فعول بمعنى مفعول أي مذلولة فهي كركوب وحلوب انتهى وليس بمعنى مفعول لأن فعله قاصر وانما تعدى

(الدر)

(ع) والذلول فعول بمعنى مفعول أي مذلولة فهي كركوب وحلوب انتهى

(ح) ليس بمعنى مفعول لأن فعله قاصر وانما يعدى بالهمزة كقوله وتذل من تشاء وأما بالتضعيف كقوله وذللناها لهم وقوله أي مذلولة يظهر أنه خطأ

﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ هذا مجاز وقد قام البرهان العقلى على انه تعالى ليس بمتحيز فى جهة ومجازه أن ملكوته فى السماء لان فى السماء هو صلة من ففيه الضمير الذى كان فى العامل فيه وهو استقر أى من فى السماء هو أى ملكوته فهو على حذف مضاف وملكوته فى كل شئ لكن خص السماء بالذكر لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأمره ونهيه أو جاء هذا على طريق اعتقادهم اذ كانوا مشبهة فيكون المعنى أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو المتعالى عن المكان ﴿ أن يخسف بكم الأرض ﴾ هو ذهابها سفلى ﴿ فاذا هى تمور ﴾ أى تموج وتذهب كما يذهب التراب فى الريح والنذير والنكير مصدران بمعنى الانذار والانكار ولما حذرهم ما يمكن احلاله بهم من الخسف وارسال الحاصب نبههم على الاعتبار بالطير وما أحكم من خلقها وعلى عجز آلهتهم عن شئ من ذلك وناسب ذكر الاعتبار بالطير اذ قد تقدمه الحاصب وقد أهلك الله أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذى رمتهم به ففيه اذكار قريش بهذه الصفة وانه تعالى لو شاء أهلكهم بحاصب ترمى به الطير كما فعل باصحاب الفيل ﴿ صافات ﴾ باسطة أجنحتها صافتها كأنها ساكنة ﴿ ويقبضن ﴾ يضممن الاجنحة الى جوانبها وهاتان حالتان للطائر يستريح من احداهما الى الأخرى وعطف الفعل على الاسم لما كان فى معناه ﴿ ما يمسكهن إلا الرحمن ﴾ بقدرته ﴿ بل لجوا ﴾ تمادوا ﴿ فى عتو ﴾ فى تكبر وعناد ﴿ ونفور ﴾ شراد عن الحق لثقله عليهم ﴿ مكبا على وجهه ﴾ قال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وان الكفار يمشون فيها على وجوههم والمؤمنون يمشون على استقامة وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم كيف يمشى الكافر على وجهه فقال ان الذى أمشاه فى الدنيا على رجليه قادر أن يمشيه فى الآخرة على وجهه ومكبا حال من أكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم فى النار والهمزة فيه للدخول فى الشئ أو للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف وما زائدة وتشكرون مستأنف أو حال مقدرة أى تشكرون شكرا قليلا والحشر البعث والوعد المشار اليه هو وعد يوم القيامة أى متى انجاز هذا الوعد ﴿ فلما رأوه ﴾ أى العذاب وهو الموعود به ﴿ زلفة ﴾ أى قربا أى ذا قرب ﴿ سيئت ﴾ أى ساءت رؤيته وجوههم وظهر فيها السوء والكآبة وغشيها السواد كمن يساق الى القتل ﴿ وقيل ﴾ لهم أى تقول لهم الزبانية ومن يوبخهم ﴿ تدعون ﴾ أنه لا جنة ولا نار وقيل تطلبون وتستعجلون وهو من الدعاء روى أن الكفار كانوا يدعون على الرسول عليه السلام وأصحابه بالهلاك ﴿ ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا ﴾ بالنصر عليكم فمن يحميكم من العذاب الذى سببه كفركم ولما قال أو رحمنا قال هو الرحمن ثم ذكر ما به النجاة وهو الايمان والتفويض الى الله تعالى ولما ذكر العذاب وهو مطلق ذكر فقدما به حياة الأنفس وهو الماء وهو [illegible] وجواب ان أصبح فمن يأتيكم

بالهمز كقوله وتذل من تشاء واما بالتضعيف لقوله وذللناها لهم وقوله أى مذللة يظهر أنه خطأ * فامشوا فى مناكبها أمر بالتصرف فيها والاكتساب ومناكبها قال ابن عباس وقتادة وبشر بن كعب أطرافها وهى الجبال * وقال الفراء والكلبى ومنذر بن سعيد جوانبها ومنكبا الرجل جانباه * وقال الحسن والسدى طرقها وفجاجها * قال الزمخشرى والمشى فى مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شئ من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك انتهى * وقال الزجاج سهل لكم السلوك فى جبالها فهو أبلغ التذليل واليه النشور أى البعث فيسألكم عن شكر هذه النعمة عليكم * قوله عز وجل ﴿ أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور * أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير * ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير * أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير * أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون الا فى غرور * أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور * أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم * قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون * قل هو الذى ذرأكم فى الأرض واليه تحشرون * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين * فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون * قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم * قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال

مبين * قل أرأيتم ان أصبح ماؤ كم غـو را فمن يأتيكم بماء معين ﴾ قرأنافع وأبو عمرو والبزى
أأمنتم بتحقيق الأولى وتسهيل الثانيـة وأدخل أبو عمر و وقالون بينهما ألفا وقنبل بابدال الأولى واوا
لضمة ماقبلها وعنه وعن ورش أوجه غير هذه والـكوفيون وابن عامر بتحقيقهما من فى السماء هذا
مجاز وقد قام البرهان العـقلى على أنه تعالى ليس بمتحيز فى جهة ومجازه أن ملـكوته فى السماء لان فى
السماء هو صلة من ففيه الضمير الذى كان فى العامل فيه وهو استقر أى من فى السماء هو أى ملـكوته
فهو على حذف مضاف وملكوته فى كل شئ لـكن خص السماء بالذكر لأنها مسكن ملائـكته وثم
عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأمره ونهيه أو جاء هـذا على طريق
اعتقادهم اذ كانوا مشبهة فيكون المعـنى أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو المتعالى عن المـكان
* وقيل من على حذف مضاف أى خالق من فى السماء * وقيـل من هم الملائـكة * وقيل جبريل
وهو الملك الموكل بالخسف وغـيره * وقيل من بمعنى على ويراد بالعلو القهر والقدرة لا بالمـكان وفى
التحرير الاجماع منعقد على أنه ليس فى السماء بمعـنى الاستقرار لان من قال من المشبهة والمجسمة انه
على العرش لا يقول بأنه فى السماء ان يخسف بكم الارض وهو ذهابها سفلا فاذا هى تمور أى تذهب
أو تموج كما يذهب التراب فى الريح وقد تقدم شرح الحاصب فى سورة الاسراء والنذير والنـكير
مصدران بمعنى الانذار والانـكار * وقال حسان بن ثابت

فأنذر مثلها نصحا قريشا * من الرحمن ان قبلت نذير

وأثبت ورش ياء نذيرى ونـكيرى وحذفها باقى السبعة ولما حذرهم ما يمكن احلاله بهم من الخسف
وارسال الحاصب نبههـم على الاعتبار بالطير وما أحكم من خلقها وعن عجز آلهتهم عن شئ من ذلك
وناسب ذلك الاعتبار بالطـير اذ قد تقـدمه ذكر الحاصب وقد أهلك الله أصحاب الفيـل بالطير
والحاصب الذى رمتهم به ففيه اذكار قريش بهذه القصة وانه تعالى لو شاء لأهلـكهم بحاصب ترمى به
الطير كما فعل بأصحاب الفيل صافات باسطة أجنحتها صافنها حتى كأنها ساكنة ويقبضن ويضممن
الأجنحـة الى جوانبهن وهاتان حالتان للطائر يستريح من احداهما الى الأخرى وعطف الفعل على
الاسم لما كان فى معناه ومثـله قوله تعالى فالمغـيرات صبحا فأثرن عطف الفعل على الاسم لما كان
المعنى فاللاتى أغرن صبحا فأثرن ومثل هذا العطف فصيح وعكسه أيضا جائز الا عند السهيلى فانه قبيح
نحو قوله

بات يغشيها بعضب باتر * يقصد فى اسوقها وجائر

أى قاصد فى أسوقها وجائر * وقال الزمخشرى صافات باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن
اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قيل
ويقبضن ولم يقـل وقابضات (قلت) أصـل الطيران هو صف الأجنحـة لان الطـيران فى الهواء
كالسـباحة فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجئ بما هو طارئ غير أصـل بلفظ الفـعل على معنى انهن صافات
ويكون منهن القبض تارة بعـد تارة كما يكون من السابح انتهى وملخصـه ان الغـالب هو البسط
فكأنه هو الثابت فعبر عنه بالاسم والقبض متجدد فعبر عنه بالفعل ما يمسكهن الا الرحمن أى بقدرته
* قال الزمخشرى وبما دبر لهن من القوادم والخوافى وبنى الأجسام على شكل وخصائص قد يأتى
منها الجرى فى الجو انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب انتهى وفيه نزوع الى قول

( الدر )

(ش) وبما دبر لهن من القوادم والخوافى وبنى الاجسـام على شـكل وخصائص قد يأتى منها الجرى فى الجو انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب انتهى
(ح) فيه نزوع الى قول أهل الطبيعة ونحن نقول ان أثقل الأشـياء اذا أراد إمساكها فى الهواء واستعلاءها الى العرش كان ذلك واذا أراد انزال ماهو أخف سـفلا الى منتهى ما نزل كان وليس ذلك معذوقا بشكل لا من ثقل ولا خفة

أهل الطبيعة ونحن نقول ان أثقل الأشياء اذا أراد امسا كها في الهواء واستعلاءها الى العرش كان ذلك واذا أراد انزال ما هو أخف سفلا الى منتهى ما ينزل كان وليس ذلك مذوقا بشكل لا من ثقل ولا خفة * وقرأ الجمهور ربما يمسكهن مخففا والزهري مشددا * وقرأ الجمهور أمن بادغام ميم أم في ميم من اذ الاصل أم من وأم هنا بمعنى بل خاصة لان الذي بعدها هو اسم استفهام في موضع رفع على الابتداء وهذا خبر والمعنى من هو ناصركم ان ابتلاكم بعذابه وكذلك من هو رازقكم ان أمسك رزقه والمعنى لا أحد ينصركم ولا يرزقكم * وقرأ طلحة أمن بتخفيف الميم ونقلها الى الثانية كالجماعة * قال صاحب اللوامح ومعناه أهذا الذي هو جند لكم ينصركم أم الذي يرزقكم فلفظه لفظ الاستفهام ومعناه التقريع والتوبيخ انتهى بل لجوا تمادوا في عتو في تكبر وعناد ونفور شرادا عن الحق لثقله عليهم * وقيل هذا اشارة الى أصنامهم * أفمن يمشي مكبا على وجهه * قال قتادة نزلت مخبرة عن حال القيامة وأن الكفار يمشون فيها على وجوههم والمؤمنون يمشون على استقامة * وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يمشي الكافر على وجهه فقال ان الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادر أن يمشيه في الآخرة على وجهه فالمشي على قول قتادة حقيقة * وقيل هو مجاز ضرب مثلا الكافر والمؤمن في الدنيا * فقيل عام وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك نزلت فيهما * وقال ابن عباس أيضا نزلت في أبي جهل والرسول عليه الصلاة والسلام * وقيل في أبي جهل وحمزة والمعنى ان الكافر في اضطرابه وتعسفه في عقيدته وتشابه الأمر عليه كالماضي في انخفاض وارتفاع كالأعمى يتعثر كل ساعة فيخر لوجهه وأما المؤمن فانه لطمأنينة قلبه بالايمان وكونه قد وضح له الحق كالماشي صحيح البصر مستويا لا ينحرف على طريق واضح الاستقامة لا حزون فيها فآلة نظره صحيحة ومسلكه لا صعوبة فيه * ومكبا حال من أكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار والهمزة فيه للدخول في الشيء أو للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب * وقال الزمخشري ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وهذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته حتى ان الامام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا ذكر فيه ما غلط فيه الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب سيبويه وأهدى أفعل تفضيل من الهدى في الظاهر وهو نظير العسل أحلى أم الخل وهذا الاستفهام لا يراد حقيقته بل المراد منه ان كل سامع يجيب بأن الماشي سويا على صراط مستقيم أهدى وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف وما زائدة وتشكرون مستأنف أو حال مقدرة أي تشكرون شكرا قليلا * وقال ابن عطية ظاهره انهم يشكرون قليلا وما عسى أن يكون للكافر من شكر وهو قليل غير نافع وأما ان يريد به نفي الشكر جملة فعبر بالقلة كما تقول العرب هذه أرض قل ما تنبت كذا وهي لا تنبته البتة انتهى وتقدم نظير قوله والرد عليه في ذلك ذرأكم بثكم والحشر البعث والوعد المشار اليه هو وعد يوم القيامة أي متى انجاز هذا الوعد * فلما رأوه زلفة أي رأوا العذاب وهو الموعود به زلفة أي قربا أي ذا قرب * وقال الحسن عيانا * وقال ابن زيد حاضرا * وقيل التقدير مكانا ذا زلفة فانتصب على الظرف سيئت أي ساءت رؤيته وجوههم وظهر فيها السوء والكآبة وغشيها السواد كمن يساق الى القتل وأخلص الجمهور كسرة السين وأشمها الضم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة وابن عامر ونافع والكسائي وقيل لهم أي تقول لهم الزبانية ومن يوبخهم * وقرأ الجمهور تدعون بشد الدال مفتوحة * فقيل من

(الدر)

(ش) ولا شيء من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه انتهى (ح) هذا الرجل كثير التبجح بكتاب سيبويه وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه حتى أن الامام أبا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا ذكر فيه ما غلط فيه (ش) وما جهله من نصوص كتاب سيبويه

الدعوى * قال الحسن تدعون انه لاجنة ولانار * وقيل تطلبون وتستعجلون وهو من الدعاء ويقوى هذا القول قراءة أبى رجاء والضحاك والحسن وقتادة وابن يسار عبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب تدعون بسكون الدال وهى قراءة ابن أبى عبلة وأبى زيد وعصمة عن أبى بكر والاصمعى عن نافع روى ان الكفار كانوا يدعون على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالهلاك * وقيل كانوا يتآمرون بينهم بان يهلكوهم بالقتل ونحوه فأمر أن يقول ان أهلكنى الله كما تريدون أو رحمنا بالنصر عليكم فمن يحميكم من العذاب الذى سببه كفركم ولما قال أو رحمنا قال هو الرحمن ثم ذكر مابه النجاة وهو الايمان والتفويض الى الله تعالى * وقرأ الجمهور فستعلمون بتاء الخطاب والكسائى بياء الغيبة نظرا الى قوله فمن يجير الكافرين ولما ذكر العذاب وهو مطلق ذكر فقد مابه حياة النفوس وهو الماء وهو عذاب مخصوص والغور مشروح فى الكهف والمعين فى قد أفلح وجواب ان أهلكنى فمن يجير وجواب ان أصبح فمن يأتيكم وتليت هذه الآية عند بعض المستهزئين فقال تجىء به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينيه

﴿ سورة القلم مكية وهى اثنتان وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرا غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون * ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * سنسمه على الخرطوم * إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا الى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون * سلهم أيهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين * يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون * فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملى لهم إن كيدى متين * أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين * وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون * وما هو إلا ذكر

﴿سورة ن﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ هذه السورة مكية ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل ومناسبتها لما قبلها انه تعالى فيما قبلها ذكر



أشياء من أحوال السعداء والأشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وانه تعالى لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصبا وكان ما أخبر به هو مما تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي وكان الكفار ينسبونه مرة الى السحر ومرة الى الشعر ومرة الى الجنون فبدأ تعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه * ن حرف من حروف المعجم نحو * ص * وق وهو غير معرب كبعض الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل فالحكم على موضعها بالاعراب تخرص والقلم هو المعهود الذي للكتابة وجعل الضمير في يسطرون للناس فجاء القسم على هذا المجموع أمر الكتاب الذي هو قوام للعلوم وأمور الدنيا والآخرة فان القلم أخو اللسان ومطية الفطنة ونعمة من الله تعالى عامة وجواب القسم ﴿ما أنت بنعمة ربك﴾ ويظهر أن



بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام ﴿وان لك لأجرا﴾ أي على ما تحملت من أثقال النبوة ومن أذاهم بما ينسبون اليك مما أنت لا تتلبس به من المعايب ﴿غير ممنون﴾ أي غير مقطوع مننت الحبل قطعته ﴿وإنك

العالمين﴾ * المهين قال الرماني الوضيع لاكثاره من القبائح من المهانة وهي القلة * الهمز أصله في اللغة الضرب طعنا باليد أو بالعصا أو نحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه * قال القاضي منذر بن سعيد وبعينه واشارته * النميم والنميمة مصدران لنمّ وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويحرش النفوس * وقيل النميم جمع نميمة يريدون به اسم الجنس * العتل قال الكلبي والفراء الشديد الخصومة بالباطل * وقال معمر هو الفاحش اللئيم * قال الشاعر

بعتل من الرجال زنيم * غير ذي نجدة وغير كريم

* وقيل الذي يعتل الناس أي يجرهم الى حبس أو عذاب ومنه خذوه فاعتلوه * قال ابن السكيت عتلته وعتنته باللام والنون * الزنيم الدعي * قال حسان

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد في عرض الأديم الأكارع

﴿وقال أيضا﴾

وأنت زنيم نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة في حلقه سمي الدعي بذلك لانه زيادة معلقة بغير أهله * وسمه جعل له سمة وهي العلامة تدل على شيء * قال جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي * وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

* الخرطوم الأنف والخرطوم من صفات الخمر * قال الشاعر

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم * والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

قال الشمنتري الخرطوم أول خروجها من الدن ويقال لها الأنف أيضا وذلك أصفى لها وأرق * وقال النضر بن شميل الخرطوم الخمر * وأنشد للأعرج المعني

تظل يومك في لهو وفي لعب * وأنت بالليل شراب الخراطيم

* الصرام جداد النخل * الحرد المنع من قولهم حاردت الابل اذا قلت ألبانها وحاردت السنة قل مطرها وخيرها * قاله أبو عبيد والقتبي والحرد الغضب * قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي وهو مخفف وأنشد

اذا جياد الخيل جاءت تردى * مملوءة من غضب وحرد

﴿وقال الأشهب بن رميلة﴾

أسود شرى لاقت أسود خفية * تساقوا على حرد دماء الأساود

* وقال ابن السكيت وقد يحرك تقول حرد بالكسر حردا فهو حردان * ومنه قيل أسد حارد وليوث حوارد والحرد الانفراد حرد يحرد حرودا تنحى عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم وكوكب حرود معتزل عن الكواكب * وقال الأصمعي المنحرد المنفرد في لغة هذيل انتهى والحرد القصد حرد يحرد بالكسر قصد ومنه حردت حردك أي قصدت قصدك * ومنه قول الشاعر

وجاء سيل كان من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

﴿ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجرا غير ممنون * وإنك

لعلى خلق عظيم ﴾ أى دين عظيم وهو من الثناء عليه ﴿ بأيكم المفتون ﴾ الباء ظرفية تقديره فى أيكم والمفتون مصدر على وزن مفعول كالمعقول والمجلود بمعنى العقل والجلد وقيل الباء زائدة وأيكم مبتدأ زيدت الباء فيه كما زادوها فى قوله بحسبك درهم أى حسبك والمفتون فى هذا الوجه اسم مفعول والجملة فى موضع نصب بالفعل الذى قبله وهو ويبصرون لانه بمعنى يعلمون ﴿ ان ربك ﴾ وعيد للضال وهم المجانين على الحقيقة حيث كانت لهم عقول فلم ينتفعوا بها ولا استعملوها فى اتباع ماجاءت به الرسل أو يكون أعلم كناية عن جزاء الفريقين ﴿ فلا تطع ﴾ أى الذين كذبوا ماأنزل الله عليك من الوحى وهذا نهى عن طواعيتهم فى شئ مما دعوه اليه من تعظيم آلهتهم ﴿ ودوا لو تدهن ﴾ لو هنا على رأى بعض النحويين مصدرية بمعنى أن أى ودوا ادهانكم ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ تقدم تفسير مهين ومابعده فى المفردات وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة ونوسب فيها فجاء حلاف وبعده مهين لان النون فيها مع الميم تواخ ثم جاء هماز مشاء بنميم بصفتى المبالغة ثم جاء مناع للخير فناع وأثيم صفتا مبالغة والظاهر أن الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير والزنيم قال ابن عباس الذى له زنمة فى عنقه كزنمة الغنمة والظاهر أن هذه الاوصاف ليست لمعين ألا ترى الى قوله كل حلاف وقوله انا بلوناهم فانما وقع النهى عن طواعية من هو بهذه الصفات ولما ذكر قبائح أفعاله وأقواله ذكر مايفعل به على سبيل التوعد فقال ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ والسمة العلامة ولما كان الوجه أشرف مافى الانسان والأنف أكرم مافى الوجه لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة قالوا حمى الأنف شامخ العرنين وقالوا فى الذليل جدع أنفه ورغم أنفه ولما ذكر المتصف بتلك (٣٠٦) الأوصاف الذميمة وهم كفار قريش أخبر عن ماحل بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف الحديث ﴿ كما بلونا أصحاب الجنة ﴾ المعروف من خبرها عندهم انها كانت بصوران على فراسخ من صنعاء لناس بعد رفع عيسى عليه السلام وكان يترك للمساكين ماأخطأه المنجل وما فى أسفل الاكراس وماأخطأه القطاف من العنب ومابقى على البساط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فيبكروا فى الغد وخيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم بقولهم ان شاء الله والكاف فى كما بلونا فى موضع نصب وما مصدرية ﴿ فطاف عليها طائف ﴾ والطائف الأمر الذى قال الفراء يأتى بالليل ورد عليه بقوله اذا مسهم طائف من الشيطان فلم يخصص بالليل وطائف مبهم فقيل هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول الكعبة ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس فى أرض الحجاز بلدة فيها الشجر والماء والعنب وغير ذلك غيرها ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ قال ابن عباس كالرماد الأسود بلغة خزيمة ﴿ فتنادوا مصبحين ﴾ دعا بعضهم بعضا الى المضى الى ميعادهم ﴿ أن اغدوا على حرثكم ﴾ قال الزمخشرى (فان قلت) هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على ﴿ قلت لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح أى فاقبلوا على حرثكم باكرين انتهى واستسلف الزمخشرى أن غدا يتعدى بالى ويحتاج ذلك الى نقل بحيث يكثر ذلك فيصير أصلا فيه ويتأول ماخالفه والذى نحفظه أنه معدى بعلى كقول الشاعر وقد أغدوا على ثبة كرام * نشاوى واجدين كما نشاء * وكذا عدى مرادفه قال بكرت عليه غدوة فرأيته * قعودا لديه بالصريم عواذله ﴿ ان كنتم صارمين ﴾ هو من صرام النخل ﴿ يتخافتون ﴾ يخفون كلامهم خوفا من أن يشعر بهم المساكين ﴿ أن لا يدخلنها ﴾ أى يتخافتون بهذا الكلام ﴿ قادرين ﴾ أى على قصد وقدرة فى أنفسهم يظنون أنهم ملكوا مرادهم والحرد المنع ﴿ قال أوسطهم ﴾ أى أرجحهم عقلا ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾

لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون * إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون * ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * سنسمه على الخرطوم * إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادوا مصبحين * أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد قادرين * فلما رأوها قالوا إنا لضالون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا

سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا الى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ هذه السورة مكية * قال ابن عطية ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل انتهى ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل * ومناسبتها لما قبلها انه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وانه تعالى لو شاء لخسف بهم أو لأرسل عليهم حاصبا وكان ما أخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي وكان الكفار ينسبونه مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه العظيم * ن حرف من حروف المعجم نحو ص و ق وهو غير معرب كبعض الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل والحكم على موضعها بالاعراب تخرص * وما روى عن ابن عباس ومجاهد أنه اسم الحوت الاعظم الذي عليه الارضون السبع * وعن ابن عباس أيضا والحسن وقتادة والضحاك أنه اسم الدواة * وعن معاوية بن قرة يرفعه أنه لوح من نور * وعن ابن عباس أيضا أنه آخر حرف من حروف الرحمن وعن جعفر الصادق أنه نهر من أنهار الجنة لعله لا يصح شئ من ذلك * وقال أبو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره ن حرف من حروف المعجم فلو كان كلمة تامة أعرب كما أعرب القلم فهو اذن حرف هجاء كما في سائر مفاتيح السور انتهى ومن قال انه اسم الدواة أو الحوت وزعم أنه مقسم به كالقلم فان كان علما فينبغي أن يجر فان كان مؤنثا منع الصرف أو مذكرا صرف وان كان جنسا أعرب ونون وليس فيه شئ من ذلك فضعف القول به * وقال ابن عطية اذا كان اسما للدواة فاما أن يكون لغة لبعض العرب أو لفظة أعجمية عربت قال الشاعر

اذا ما الشوق برّح بي اليهم * ألقت النون بالدمع السجوم

فمن جعله الحوت جعل القلم هو الذي خلقه الله وأمره بكتب الكائنات وجعل الضمير في يسطرون للملائكة ومن قال هو اسم جعله القلم المتعارف بأيدي الناس نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير في يسطرون للناس فجاء القسم على هذا المجموع أمر الكتاب الذي هو قوام للعلوم وأمور الدنيا والآخرة فان القلم أخو اللسان ونعمة من الله عامة انتهى * وقرأ الجمهور ن بسكون النون وادغامها في واو والقلم بغنة وقوم بغير غنة وأظهرها حمزة وأبو عمرو وابن كثير وقالون وحفص * وقرأ ابن عباس وابن أبي اسحق والحسن وأبو السمال بكسر النون لالتقاء الساكنين وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها فاحتمل أن تكون حركة اعراب وهو اسم للسورة أقسم به وحذف حرف الجر فانتصب ومنع الصرف للعلمية والتأنيث ويكون والقلم معطوفا عليه واحتمل أن يكون لالتقاء الساكنين وأوثر الفتح تخفيفا كأين وما يحتمل أن تكون موصولة ومصدرية والضمير في يسطرون عائد على الكتاب لدلالة القلم عليهم فاما ان يراد بهم الحفظة واما أن يراد كل كاتب * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وتسطيرهم انتهى فيكون كقوله كظلمات في بحر لجي أي وكذي ظلمات ولهذا اعاد عليه الضمير في قوله يغشاه موج وجواب القسم ما أنت بنعمة ربك بمجنون ويظهر أن بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عطية بنعمة ربك

---

أنهم وبخهم على تركهم ما حضهم عليه وهو تسبيح الله تعالى ولما غفلوا عن ذكر الله وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله تعالى ولما أنهم رجعوا الى ذكر الله تعالى واعترفوا على أنفسهم بالظلم وبادروا الى تسبيح الله تعالى فقالوا ﴿سبحان ربنا﴾ قال ابن عباس أي نستغفر الله من ذنبنا ولما أقروا على أنفسهم بظلمهم لام بعضهم بعضا اذ كان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت على رضا منه ثم اعترفوا بانهم طغوا ﴿عسى ربنا أن يبدلنا﴾ أي بهذه الجنة ﴿خيرا منها﴾ ﴿راغبون﴾ أي طالبون ايصال الخير الينا منه والظاهر أن أصحاب هذه الجنة كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا والاشارة بذلك الى العذاب الذي نزل بالجنة أي كذلك العذاب الذي ينزل بقريش بغتة ثم عذاب الآخرة بعد ذلك أشد عليهم من عذاب الدنيا

---

(الدر)

﴿ سورة ن ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ع) بنعمة ربك اعتراض

اعتراض كما تقول للانسان أنت بحمد الله فاضل انتهى ولم يبين ما تتعلق به الباء فى بنعمة * وقال الزمخشرى يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا فى قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا فى ذلك النفى والاثبات استواء هما فى قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفى والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من انعام الله تعالى عليه بحصافة العقل والشهامة التى يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزلة انتهى وما ذهب اليه الزمخشرى من أن بنعمة ربك متعلق بمجنون وأنه فى موضع الحال يحتاج الى تأمل وذلك أنه اذا تسلط النفى على محكوم به وذلك له معمول ففى ذلك طريقان أحدهما أن النفى يتسلط على ذلك المعمول فقط والآخر أن يتسلط النفى على المحكوم به فينتفى معموله لانتفائه بيان ذلك تقول ما زيد قائم مسرعا فالمتبادر الى الذهن أنه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه الآخر أنه انتفى قيامه فانتفى اسراعه أى لا قيام فلا اسراع وهذا الذى قررناه لا يتأتى معه قول الزمخشرى بوجه بل يؤدى الى ما لا يجوز أن ينطق به فى حق المعصوم صلى الله عليه وسلم * وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة بربك لقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أى والحمد لله ومنه قول لبيد

وأفردت فى الدنيا بفقد عشيرتى * وفارقنى جار بأربد نافع

أى وهو أربد انتهى وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وفى المنتخب ما ملخصه المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك أى حصول الصفة المحمودة وزال عنك الصفة المذمومة بواسطة انعام ربك ثم قرر بهذه الدعوى ما هو كالدليل القاطع على صحتها لأن نعمه كانت ظاهرة فى حقه من كمال الفصاحة والعقل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة لحصول ذلك وظهوره جار مجرى اليقين فى كونهم كاذبين فى قولهم انه مجنون * وان لك لاجرا فى احتمال طعنهم وفى دعاء الخلق الى الله فلا يمنعك ما قالوا عن الدعاء الى الله * وانك لعلى خلق عظيم هذا كالتفسير لما تقدم من قوله بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون أنه كذب وأخطأ وأن من كان بتلك الأخلاق المرضية لا يضاف الجنون اليه ولفظه يدل على الاستعلاء والاستيلاء انتهى وان لك لاجرا أى على ما تحملت من أثقال النبوة ومن أذاهم مما ينسبون اليك مما أنت لا تلتبس به من المعائب غير ممنون أى غير مقطوع منت الحبل قطعته * وقال الشاعر

* عبسا كواسب لا يمن طعامها * أى لا يقطع * وقال مجاهد غير محسوب * وقال الحسن غير مكدر بالمن * وقال الضحاك بغير عمل * وقيل غير مقدر وهو معنى قول مجاهد * وقال الزمخشرى أو غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواصل لا الأجور على الاعمال انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد بن عظيم ليس دين أحب الى الله تعالى منه * وقالت عائشة ان خلقه كان القرآن * وقال على هو أدب القرآن * وقال قتادة ما كان يأتمر به من أمر الله تعالى * وقيل سمى عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه من كرم السجية ونزاهة القريحة والملكة الجميلة وجودة الضرائب ما دعاه أحد الا قال لبيك وقال ان الله بعثنى لأتمم مكارم الاخلاق ووصى أبا ذر فقال وخالق الناس بخلق

بمجنون منفيا كما تعلق بعاقل مثبتا فى قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا فى ذلك الاثبات والنفى استواءهما فى قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا إعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قيل ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفى والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التى يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزلة انتهى (ح) ما ذهب اليه (ش) من أن بنعمة ربك متعلق بمجنون وانه فى موضع الحال يحتاج الى تأمل وذلك انه اذا تسلط النفى على محكوم به وذلك معمول ففى ذلك طريقان أحدهما أن النفى يتسلط على ذلك المعمول فقط والآخر أن يتسلط على المحكوم به فينتفى معموله لانتفائه بيان ذلك تقول ما زيد قائم مسرعا فالمتبادر الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه الآخر انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه أى لا قيام فلا اسراع وهذا الذى قررناه لا يتأتى معه قول (ش) بوجه بل يؤدى الى ما لا يجوز أن ينطق به فى حق المعصوم عليه السلام

حسن * وعنه صلى الله عليه وسلم ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن * وقال أحبكم
الى الله تعالى أحسنكم أخلاقا والظاهر تعلق بأيكم المفتون بما قبله * وقال عثمان المازني تم
الكلام في قوله ويبصرون ثم استأنف قوله بأيكم المفتون انتهى فيكون قوله بأيكم المفتون
استفهاما يراد به الترداد بين أمرين ومعلوم نفي الحكم عن أحدهما بعينه الوجود وهو المؤمن
ليس بمفتون ولا به فتون واذا كان متعلقا بما قبله وهو قول الجمهور فقال قتادة وأبو عبيدة
معمر الباء زائدة والمعنى أيكم المفتون وزيدت الباء في المبتدأ كما زيدت فيه في قوله بحسبك
درهم أي حسبك * وقال الحسن والضحاك والأخفش الباء ليست بزائدة والمفتون بمعنى الفتنة
أي بأيكم هي الفتنة والفساد الذي سموه جنونا * وقال الأخفش أيضا بأيكم فتن المفتون حذف
المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ففي قوله الاول جعل المفتون مصدرا وهنا أبقاه اسم مفعول وتأوله
على حذف مضاف * وقال مجاهد والفراء الباء بمعنى في أي في أي فريق منكم النوع المفتون
انتهى فالباء ظرفية نحو زيد بالبصرة أي في البصرة فيظهر من هذا القول ان الباء في القول قبله
ليست ظرفية بل هي سببية * وقال الزمخشري المفتون المجنون لانه فتن أي محن بالجنون أولان
العرب يزعمون انه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم انتهى * وقرأ ابن أبي عبلة في أيكم
المفتون * إن ربك هو أعلم وعيد للضال وهم المجانين على الحقيقة حيث كانت لهم عقول لم ينتفعوا
بها ولا استعملوها فيما جاءت به الرسل أو يكون أعلم كناية عن جزاء الفريقين فلا تطع المكذبين أي
الذين كذبوا بما أنزل الله عليك من الوحي وهذا نهي عن طواعيتهم في شيء مما دعوه اليه من تعظيم
آلهتهم * ودوا لو تدهن لو هنا على رأي البصريين مصدرية بمعنى أن أي ودوا ادهانكم وتقدم
الكلام في ذلك في قوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ومذهب الجمهور ان معمول ود محذوف
أي ودوا ادهانكم وحذف لدلالة ما بعده عليه ولو باقية على بابها من كونها حرفا لما كان سيقع لوقوع
غيره وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك * وقال ابن عباس والضحاك وعطية والسدي لو تدهن
لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس أيضا لو ترخص لهم فيرخصون لك * وقال قتادة
لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك * وقال الحسن لو تصانعهم في دينك فيصانعوك في دينهم
* وقال زيد بن أسلم لو تنافق وترائي فينافقونك ويراؤونك * وقال الربيع بن أنس لو تكذب
فيكذبون * وقال أبو جعفر لو تضعف فيضعفون * وقال الكلبي والفراء لو تلين فيلينون
* وقال ابان بن ثعلب لو تحابي فيحابون وقالوا غير هذه الأقوال * وقال الفراء الدهان التليين
* وقال المفضل النفاق وترك المناصحة وهذا نقل أهل اللغة وما قالوه لا يخرج عن ذلك لان ما خالف
ذلك هو تفسير باللازم وفيدهنون عطف على تدهن * وقال الزمخشري عدل به الى طريق آخر
وهو أن جعل خبر مبتدا محذوف أي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بمعنى ودوا
لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك انتهى وجمهور
المصاحف على اثبات النون * وقال هرون انه في بعض المصاحف فيدهنوا ولنصبه وجهان أحدهما
انه جواب ودوا لتضمنه معنى ليت والثاني أنه على توهم انه نطق بأن أي ودوا أن تدهن فيدهنوا
فيكون عطفا على التوهم ولا يجيء هذا الوجه الا على قول من جعل لو مصدرية بمعنى أن ولا تطع
كل حلاف مهين تقدم تفسير مهين وما بعده في المفردات وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة
ونوسب فيها فجاء حلاف وبعده مهين لان النون فيها مع الميم تواخ ثم جاء هماز مشاء بنميم بصفتي

المبالغة ثم جاء مناع للخير معتد أثيم فناع وأثيم صفتا مبالغة والظاهر ان الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير * وقيل الخير هنا المال يريد مناع للمال عبر به عن الشح معناه متجاوز الحد في الظلم وفي حديث شداد بن أوس قلت يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما العتل الزنيم قال الرحيب الجوف الوتير الخلق الأكول الشروب الغشوم الظلوم * وقرأ الحسن عتل برفع اللام والجمهور بجرها بعد ذلك * وقال الزمخشري جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده و بعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين آمنوا * وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك انتهى * وقال ابن عطية بعد ذلك أي بعد أن وصفناه به فهذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والافكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه انتهى والزنيم الملصق في القوم وليس منهم قاله ابن عباس وغيره * وقيل الزنيم المريب القبيح الأفعال وعن ابن عباس أيضا الزنيم الذي له زنمة في عنقه كزنمة الشاة وما كنا نعرف المشار اليه حتى نزلت فعرفناه بزنمته انتهى * وروى أن الأخفش بن شريق كان بهذه الصفة كان له زنمة * وروى ابن جبير عن ابن عباس ان الزنيم هو الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمة * وعنه أيضا انه المعروف بالابنة * وعنه أيضا انه الظلوم * وعن عكرمة هو اللئيم * وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيب انه ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده * وقال مجاهد كانت له ستة أصابع في يده في كل ابهام أصبع زائدة والذي يظهر أن هذه الأوصاف ليست لمعين ألا ترى الى قوله كل حلاف وقوله انا بلوناهم فانما وقع النهي عن طواعية من هو بهذه الصفات * قال ابن عطية ما ملخصه * قرأ النحويان والحرميان وحفص وأهل المدينة ان كان على الخبر وباقي السبعة والحسن وابن أبي اسحق وأبو جعفر على الاستفهام وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية باقيهم فاما على الخبر فقال أبو علي الفارسي يجوز أن يعمل فيها عتل وان كان قد وصف انتهى وهذا قول كوفي ولا يجوز ذلك عند البصريين * وقيل زنيم لا سيما على قول من فسره بالقبيح الأفعال * وقال الزمخشري متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن مادلت عليه الجملة من معنى التكذيب انتهى واما على الاستفهام فيحتمل أن يفسر عامل يدل عليه ماقبله أي أيكون طواعية لان كان وقدره الزمخشري أتطيعه لان كان أو عامل يدل عليه ماقبله أي أكذب أو جحد لان كان * وقرأ نافع في رواية اليزيدي عنه ان كان بكسر الهمزة * قال الزمخشري والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الرجاء اليه في قوله لعله يتذكر انتهى وأقول ان كان شرط واذا تلي شرط فهو مما اجتمع فيه شرطان وليسا من الشروط المترتبة الوقوع فالمتأخر لفظا هو المتقدم والمتقدم لفظا هو شرط في الثاني كقوله

(١) فان عثرت بعدها ان والت * نفسي من هاتا فقولا لها لها

لان الحامل على ترك تدبر آيات الله كونه ذا مال و بنين فهو مشغول القلب فذلك غافل عن النظر

والفكر قد استولت عليه الدنيا وأبطرته * وقرأ الحسن أئذا على الاستفهام وهو استفهام تقريع وتوبيخ على قوله القرآن أساطير الاولين لما تليت عليه آيات الله * ولما ذكر قبائح أفعاله وأقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعد فقال سنسمه على الخرطوم والسمة العلامة ولما كان الوجه أشرف ما في الانسان والأنف أكرم ما في الوجه لتقدمه ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا حمي الأنف شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه وكان أيضا مما تظهر السمات فيه لعلوه قال سنسمه على الخرطوم وهو غاية الاذلال والاهانة والاستبلاد اذ صار كالبهيمة لا يملك الدفع عن وسمه في الأنف واذا كان الوسم في الوجه شينا فكيف به على أكرم عضو فيه * وقد قيل الجمال في الأنف * وقال بعض الأدباء

وحسن الفتى في الأنف والأنف عاطل * فكيف اذا ما الخال كان له حليا

وسنسمه فعل مستقبل لم يتعين زمانه * وقال ابن عباس هو الضرب بالسيف أي يضرب به وجهه وعلى أنفه فيجيء ذلك كالوسم على الأنف وحل به ذلك يوم بدر * وقال المبرد ذلك في عذاب الآخرة في جهنم وهو تعذيب بنار على أنوفهم * وقال آخرون ذلك يوم القيامة أي نوسم على أنفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره * وقال قتادة وغيره معناه سنفعل به في الدنيا من الذم والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به فيكون ذلك كالوسم على الأنف ثابتا بينا كما تقول سأطوقك طوق الحمامة أي أثبت لك الأمر بينا فيك ونحو هذا أراد جرير بقوله

* لما وضعت على الفرزدق ميسمي * وفي الوسم على الأنف تشويه فجاءت استعارته في المذمات بليغة جدا * قال ابن عطية واذا تأملت حال أبي جهل ونظرائه وما ثبت لهم في الدنيا من سوء الأحدوثة رأيت أنهم قد وسموا على الخراطيم انتهى * وقال أبو العالية ومقاتل واختاره الفراء يسود وجهه قبل دخول النار وذكر الخرطوم والمراد الوجه لان بعض الوجه يؤدي عن بعض * وقال أبو عبد الله الرازي انما بالغ الكافر في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب الأنفة والحمية فلما كان شاهد الانكار هو الأنفة والحمية عبر عن هذا الاختصاص بقوله سنسمه على الخرطوم انتهى كلامه وفي استعارة الخرطوم مكان الانف استهانة واستخفاف لان حقيقة الخرطوم هو للسباع وتلخص من هذا أن قوله سنسمه على الخرطوم أهو حقيقة أم مجاز واذا كان حقيقة فهل ذلك في الدنيا أو في الآخرة وأبعد النضر بن شميل في تفسيره الخرطوم بالخمر وان معناه سنحده على شربها ولما ذكر المتصف بتلك الأوصاف الذميمة وهم كفار قريش أخبر تعالى بما حل بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف الحديث كما بلونا أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم كانت بأرض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان يؤدي حق الله منها فمات فصارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله تعالى فأهلكها الله تعالى من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بهم * وقيل كانت بصوران على فراسخ من صنعاء لناس بعد رفع عيسى عليه السلام وكان صاحبها ينزل للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الاكراس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين في السدف خفية من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم والكاف في كما بلونا في موضع نصب وما مصدرية * وقيل بمعنى

الذي واذ معمول لبلوناهم ليصرمنها جواب القسم لا على منطوقهم اذ لو كان على منطوقهم لكان لنصرمنها بنون المتكلمين والمعنى ليجدن ثمرها اذا دخلوا في الصباح قبل خروج المساكين الى عادتهم مع أبيهم * ولا يستثنون أي ولا ينثنون عن ما عزموا عليه من منع المساكين * وقال مجاهد معناه لا يقولون ان شاء الله بل عزموا على ذلك عزم من يملك أمره * وقال الزمخشري متبعا قول مجاهد ولا يقولون ان شاء الله (فان قلت) لم سمى استثناء وانما هو شرط (قلت) لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لأخرجن ان شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد انتهى فطاف عليها طائف قرأ النخعي طيف * قال الفراء والطائف الأمر الذي يأتي بالليل ورد عليه بقوله إذا مسهم طائف من الشيطان فلم يتخصص بالليل وطائف مبهم * فقيل هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والأعناب غيرها * وقال ابن عباس طائف من أمر ربك * وقال قتادة عذاب من ربك * وقال ابن جريج عنق خرج من وادي جهنم فأصبحت كالصريم * قال ابن عباس كالرماد الاسود والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة وعنه أيضا الصريم رملة باليمن معروفة لا تنبت فشبه جنتهم بها * وقال الحسن صرم عنها الخير أي قطع فالصريم بمعنى مصروم * وقال الثوري كالصبح من حيث ابيضت كالزرع المحصود * وقال مورج كالرملة انصرمت من معظم الرمل والرملة لا تنبت شيأ ينفع * وقال الأخفش كالصبح انصرم من الليل * وقال المبرد كالنهار فلا شيء فيها * وقال شمر الصريم الليل والصريم النهار أي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا * وقال الفراء والقاضي منذر بن سعيد وجماعة الصريم الليل من حيث اسودت جنتهم * فتنادوا دعا بعضهم بعضا الى المضي الى ميعادهم أن اغدوا على حرثكم * قال الزمخشري (فان قلت) هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت) لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فاقبلوا على حرثكم باكرين انتهى واستلف الزمخشري ان غدا يتعدى بالى ويحتاج ذلك الى نقل بحيث يكثر ذلك فيصير أصلا فيه ويتأول ما خالفه والذي في حفظي انه معدى بعلى كقول الشاعر

بكرت عليه غدوة فرأيته * قعودا عليه بالصريم عواذله

ان كنتم صارمين الظاهر انه من صرام النخل * قيل ويحتمل أن يريد ان كنتم أهل عزم واقدام على رأيكم من قولك سيف صارم * يتخافتون يخفون كلامهم خوفا من أن يشعر بهم المساكين أن لا يدخلنها أي يتخافتون بهذا الكلام وهو لا يدخلنها وان مصدرية ويجوز أن تكون تفسيرية وقرأ عبد الله وابن أبي عبلة لا يدخلنها باسقاط أن على اضمار يقولون أو على إجراء يتخافتون مجرى القول اذ معناه يسارون القول والنهي عن الدخول نهي عن التمكين منه أي لا تمكنوهم من الدخول فيدخلوا وغدوا على حرد قادرين أي على قصد وقدرة في أنفسهم يظنون انهم تمكنوا من مرادهم * قال معناه ابن عباس أي قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها قال أبو عبيدة والقتبي على حرد على منع أي قادرين في أنفسهم على منع المساكين من خيرها لجزاهم الله بأن منعهم خيرا * وقال الحسن على حرد أي حاجة وفاقة * وقال السدي وسفيان على حرد على غضب أي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض * وقيل على حرد على انفراد

أي انفرد وادون المساكين * وقال الأزهري حرد اسم قريتهم * وقال السدي اسم جنتهم أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام قيل ويحتمل أن يكون من التقدير بمعنى التضييق لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه أي مضيقين على المساكين اذ حرموهم ما كان أبوهم ينيلهم منها فلما رأوها أي على الحالة التي كانوا غدوها عليها من هلاكها وذهاب مافيها من الخير قالوا انا لضالون أي عن الطريق اليها قاله قتادة وذلك في أول وصولهم أنكروا أنها هي واعتقدوا أنهم أخطأوا الطريق اليها ثم وضح لهم أنها هي وأنه أصابها من عذاب الله ما أذهب خيرها * وقيل لضالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين فقالوا بل نحن محرومون خيرها بجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم أي أفضلهم وأرجحهم عقلا ألم أقل لكم لولا تسبحون أنبهم و يحثهم على تركهم ما حضهم عليه من تسبيح الله أي ذكره وتنزيهه عن السوء ولو ذكروا الله واحسانه اليهم لامتثلوا ما أمر به من مواساة المساكين واقتفوا سنة أبيهم في ذلك فلما غفلوا عن ذكر الله تعالى وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله وهذا يدل على أن أوسطهم كان قد تقدم اليهم وحرضهم على ذكر الله تعالى * وقال مجاهد وأبو صالح كان استثناؤهم سبحان الله * قال النحاس جعل مجاهد التسبيح موضع إن شاء الله لان المعنى تنزيه الله أن يكون شئ الا بمشيئته * وقال الزمخشري لالتقائهما في معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم له * وقيل لولا تسبحون تستغفرون ولما أنبهم رجعوا الى ذكر الله تعالى واعترفوا على أنفسهم بالظلم وبادروا الى تسبيح الله تعالى فقالوا سبحان ربنا * قال ابن عباس أي نستغفر الله من ذنبنا ولما أقروا بظلمهم لام بعضهم بعضا وجعل اللوم في حيز غيره اذ كان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف ومنهم من عصى الأمر ومنهم من سكت على رضا منه ثم اعترفوا بأنهم طغوا وترجوا انتظار الفرج في أن يبدلهم خيرا من تلك الجنة عسى ربنا أن يبدلنا أي بهذه الجنة خيرا منها وتقدم الكلام في الكهف والخلاف في تخفيف يبدلنا وتثقيلها منسوبا الى القراء * إنا الى ربنا راغبون أي طالبون ايصال الخير اليناء منه والظاهر أن أصحاب هذه الجنة كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا * وقيل كانوا من أهل الكتاب * وقال عبد الله بن مسعود بلغني أن القوم دعوا الله وأخلصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة وكل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها * وقال القشيري المعظم يقولون انهم تابوا وأخلصوا انتهى وتوقف الحسن في كونهم مؤمنين وقال أكان قولهم إنا الى الله راغبون ايمانا أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة * كذلك العذاب هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم في أمر قريش * قال ابن عطية والاشارة بذلك الى العذاب الذي نزل بالجنة أي كذلك العذاب أي الذي نزل بقريش بغتة ثم عذاب الآخرة بعد ذلك أشد عليهم من عذاب الدنيا * وقال كثير من المفسرين العذاب النازل بقريش المماثل لامر الجنة هو الجدب الذي أصابهم سبع سنين حتى رأوا الدخان وأكلوا الجلود انتهى * وقال الزمخشري مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم منه انتهى وتشبيه بلاء قريش ببلاء أصحاب الجنة هو أن أصحاب الجنة عزموا على الانتفاع بثمرها وحرمان المساكين فقلب الله تعالى عليهم وحرمهم وأن قريشا حين خرجوا الى بدر حلفوا على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاذا فعلوا

﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ لانه لما ذكر تعالى أنه بلا كفار قريش وشبه بلاءهم ببلاء أصحاب الجنة أخبر بحال أضدادهم وهم المتقون فقال ان للمتقين أى الكفر جنات النعيم أضافها الى النعيم لأن النعيم لايفارقها اذ ليس فيها الاهو ولايشوبه كدر كما يشوب جنات الدنيا وروى أنه لما نزلت هذه قالت قريش ان كان ثم جنة فلنا فيها أكبر الحظ فنزلت ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ أى لايستوى المطيع والعاصى وهو استفهام فيه توقيف على خطأ ماقالوا وتوبيخ ثم التفت اليهم فقال ﴿مالكم﴾ أى أى شئ لكم فيما تزعمون وهو استفهام انكار عليهم ثم قال ﴿كيف تحكمون﴾ وهو استفهام ثالث على سبيل الانكار عليهم استفهم عن هيئة حكمهم ففى قوله مالكم استفهام عن كينونة مبهمة وفى كيف تحكمون استفهام عن هيئة حكمهم ثم أضرب عن هذا اضراب انتقال لشئ آخر لا ابطال لما قبله فقال ﴿أم لكم﴾ أى بل ألكم ﴿كتاب﴾ أى من عند الله ﴿فيه تدرسون﴾ أن ماتختارونه يكون لكم وما فى قوله لما موصولة بمعنى الذى وهى اسم ان والجار والمجرور قبله فى موضع الخبر و ﴿تخيرون﴾ حذفت منه التاء أصله تتخيرون ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أى ضامن بما يقولونه ويدعون صحته وسل معلقة عن مطلوبها الثانى لما كان السؤال سببا لحصول العلم جاز تعليقه كالعلم ومطلوبها الثانى أصله أن يعدى بعن أو بالباء كما قال يسألونك عن الشهر الحرام ولو كان غير اسم استفهام لتعدى اليه بعن أو بالباء كما تقول سل زيدا عمن ينظر فى كذا لكنه علق سلهم فالجملة فى موضع نصب ﴿فليأتوا﴾ المراد الأصنام أوناس (٣١٤) يشاركونهم فى قولهم ويوافقونهم فيه أى لا أحد يقول بقولهم كما أنه لا كتاب لهم ولا عهد من الله ولا زعيم بذلك فليأتوا هذا استدعاء وتوقيف قيل فى الدنيا أى ليحضروهم حتى ترى هل هم بحال من يضر وينفع أم لا وقيل فى الآخرة على أن يأتوا بهم ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ كناية عن شدة الأمر وتفاقمه فى ذلك اليوم والناصب له محذوف تقديره يكون كيت وكيت من الامور الصعبة الشاقة ﴿ويدعون الى السجود﴾ ظاهره أنهم يدعون وتقدم ان ذلك على سبيل التوبيخ لا على سبيل التكليف وخاشعة حال ﴿وقد كانوا يدعون الى السجود﴾ أى فى الدنيا ﴿وهم سالمون﴾ أى الاعضاء قادرين على السجود ﴿ترهقهم﴾ وتغشاهم ﴿ذلة﴾ فذرنى المعنى خل بينى وبينه فانى سأجازيه وليس ثم مانع منه وهذا وعيد شديد لمن يكذب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الآخرة وغيره وكان تعالى قد قدم أشياء من أحوال السعداء والأشقياء ومن فى موضع نصب اما عطفا على الضمير فى ذرنى واما على أنه مفعول معه ﴿سنستدرجهم﴾ تقدم الكلام عليه ﴿أم تسألهم﴾ تقدم أيضا روى أنه عليه السلام أراد أن يدعو على الذين انهزموا بأحد حين اشتد بالمسلمين الامر وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف فنزلت ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ وهو امهالهم وتأخير نصرك عليهم وامض لما أمرت به من التبليغ واحتمال الأذى ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ هو يونس عليه السلام ﴿اذ نادى﴾ أى فى بطن الحوت وليس النهى منصبا على الذوات انما المعنى لا يكن حالك مثل حاله اذ نادى فالعامل فى اذ هو المحذوف المضاف أى كحال أو قصة صاحب الحوت اذ نادى ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا لما دعاهم الى الايمان وأحوجوه الى استعجال مفارقته اياهم ﴿لولا أن تداركه﴾ معناه لولا هذه الحال المرجوة كانت له من نعمة الله تعالى ﴿لنبذ بالعراء﴾ وجواب لولا لنبذ بالعراء والمعتمد فيه على الحال لا على النبذ لما أمره تعالى بالصبر لما أراده تعالى ونهاه عن مانهاه فقال ﴿وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك﴾ أى ليزلقون قومك بنظرهم الحاد الدال على العداوة المفرطة ﴿لما سمعوا الذكر﴾ أى القرآن ﴿ويقولون انه لمجنون﴾

ذلك رجعوا الى مكة وطافوا بالكعبة وشربوا الخمور فقلب الله عليهم بأن قتلوا وأسروا ولما عندهم بذلك فى الدنيا قال والعذاب الآخرة أكبر * قوله عز وجل ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون * سلهم أيهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين * يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون * فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون * وأملى لهم إن كيدى متين * أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون * فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم * لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربه فجعله من الصالحين * وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون *

وماهو الاذكر للعالمين ﴾ لما ذكر تعالى أنه بلا كفار قريش وشبه بلاءهم ببلاء أصحاب الجنة أخبر بحال أضدادهم وهم المتقون * فقال إن للمتقين أى الكفر جنات النعيم أضافها الى النعيم لأن النعيم لايفارقها اذليس فيها الاهو فلايشوبه كدر كما يشوب جنات الدنيا * وروى أنه لما نزلت هذه الآية قالت قريش ان كان ثم جنة فلنا فيها أكثر الحظ فنزلت أفنجعل المسلمين كالمجرمين * وقال مقاتل قالوا فضلنا الله عليكم فى الدنيا فهو يفضلنا عليكم فى الآخرة والافالمشاركة فأجاب تعالى أفنجعل أى لايتساوى المطيع والعاصى وهو استفهام فيه توقيف على خطأ ماقالوا وتوبيخ ثم التفت اليهم فقال مالكم أى أى شئ لكم فيما تزعمون وهو استفهام انكار عليهم ثم قال كيف تحكمون وهو استفهام ثالث على سبيل الانكار عليهم استفهم عن هيئة حكمهم ففى قوله مالكم استفهام عن كينونة مبهمة وفى كيف تحكمون استفهام عن هيئة حكمهم ثم أضرب عن هذا اضراب انتقال لشئ آخر لا ابطال لما قبله فقال أم لكم أى بل ألكم كتاب أى من عند الله تدرسون أن ماتختارونه يكون لكم * وقرأ الجمهور ان لكم بكسر الهمزة فقيل هو استئناف قول على معنى ان لكم كتاب فلكم فيه متخير * وقيل أن معمولة لتدرسون أى تدرسون فى الكتاب أن لكم لما تخيرون أى تختارون من النعيم وكسرت الهمزة من أن لدخول اللام فى الخبر وهى بمعنى أن بفتح الهمزة قاله الزمخشرى وبدأ به وقال ويجوز أن تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح انتهى * وقرأ طلحة والضحاك ان لكم بفتح الهمزة واللام فى لما زائدة كهى فى قراءة من قرأ الا أنهم ليأكلون الطعام بفتح همزة أنهم * وقرأ الأعرج أإن لكم على الاستفهام * أم لكم أيمان أى أقسام علينا بالغة أى متناهية فى التوكيد يقال لفلان على يمين اذا حلفت له على الوفاء بما حلفت عليه والى يوم القيامة متعلق بما تعلق به الخبر وهو لكم أى ثابتة لكم الى يوم القيامة أو ببالغة أى تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهى اليه * وقرأ الجمهور بالغة بالرفع على الصفة والحسن وزيد بن على بالنصب على الحال من الضمير المستكن فى علينا * وقال ابن عطية حال من نكرة لانها مخصصة تغليبا * ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم قاله الزمخشرى * وقرأ الأعرج أإن لكم على كالتى قبلها على الاستفهام * سلهم أيهم بذلك زعيم أى ضامن بما يقولونه ويدعون صحته وسل معلقة عن مطلوبها الثانى لما كان السؤال سببا لحصول العلم جاز تعليقه كالعلم ومطلوبها الثانى أصله أن يعدى بعن أو بالباء كما قال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام * وقال الشاعر

فان تسألونى بالنساء فاننى * عليم بادواء النساء طبيب

ولو كان غير اسم استفهام لتعدى اليه بعن أو بالباء كما تقول سل زيدا عن من ينظر فى كذا ولكنه علق سلهم فالجملة فى موضع نصب * وقرأ الجمهور أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم وعبد الله وابن أبى عبلة فليأتوا بشركهم قيل والمراد فى القراءتين الأصنام أو ناس يشاركونهم فى قولهم ويوافقونهم فيه أى لا أحد يقول بقولهم كما انه لا كتاب لهم ولا عهد من الله ولا زعيم بذلك فليأتوا بشركائهم هذا استدعاء وتوقيف * قيل فى الدنيا أى ليحضروهم حتى نرى هل هم بحال من يضر وينفع أم لا * وقيل فى الآخرة على أن يأتوا بهم * يوم يكشف عن ساق وعلى هذا القول الناصب ليوم فليأتوا * وقيل اذكر وقيل التقدير يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت وحذف للتهويل العظيم بما يكون فيه من الحوادث والظاهر وقول الجمهور ان هذا اليوم هو يوم القيامة * وقال

تنفير اعنه وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أكملهم فضلا وأرجحهم عقلا ﴿ وماهو ﴾ أى القرآن ﴿ الاذكر ﴾ عظة وعبرة ﴿ للعالمين ﴾ أى للجن والانس فكيف ينسبون الى الجن من جاء به

أبو مسلم هـذا اليوم هو فى الدنيا لانه قال و يدعون الى السجود و يوم القيامة ليس فيـه تعبـد ولا تكليف بل المراد منه اما آخر أيام الرجل فى دنياه لقوله يوم يرون الملائكة لابشرى ثم يرى الناس يدعون الى الصلاة اذا حضرت أوقاتها فلا يستطيع الصلاة لانه الوقت الذى لاينفع فيه نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والمعجزة وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم الآن فذلك اما الشـدة النازلة بهم من هول ماعاينوا عند الموت واما من العجز والهرم * وأجيب بان الدعاء الى السجود ليس على سـبيل التـكليف بل على سـبيل التقريع والتخجيـل وعنـد مايدعون الى السجود سلبوا القدرة عليه وحيل بينهم و بين الاستطاعة حتى يزداد حزنهم وندامتهم على مافرطوا فيه حـين دعوا اليه وهم سالمون الأطراف والمفاصل * وقرأ الجمهور يكشف بالياء مبنيا للمفعول * وقرأ عبد الله بن أبى عبلة بفتح الياء مبنيا للفاعل وابن عباس وابن مسعود أيضا وابن هرمز بالنون وابن عباس يكشف بفتح الياء مبنيا للفاعل وعنـه أيضا بالياء مضمومة مبنيا للمفـعول * وقرئ يكشف بالياء المضمومة وكسر الشين من أكشف اذا دخل فى الكشف ومنه أكشف الرجل انقلبت شفته العليا وكشف الساق كناية عن شدة الأمر وتفاقمه * قال مجاهد هى أول ساعة من يوم القيامة وهى أفظعها ومما جاء فى الحـديث من قوله فيكشف لهم عن ساق محمول أيضا على الشدة فى ذلك اليوم وهو مجاز شائع فى لسان العرب * قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

﴿ وقال الراجز ﴾

عجبت من نفسى ومن اشـفاقها * ومن طرادى الخيل عن أرزاقها
فى سـنة قد كشفت عن سـاقها * حمراء تبرى اللحم عن عـراقها

﴿ وقال الراجز ﴾

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدّت الحرب بكم فجدوا

﴿ وقال آخر ﴾

صـبرا امام ان شر باق * وقامت الحرب بنا على ساق

وقال الشاعر

كشفت لهم عن ساقها * وبدا من الشر البوارح

ويروى الصداح * وقال ابن عباس يوم يكشف عن شدة * وقال أبو عبيدة هـذه كلمة تستعمل فى الشدة يقال كشف عن ساقه اذا تشمر * قال ومن هـذا تقول العرب لسنة الجدب كشفت ساقها ونكر ساق للدلالة على انه أمر مبهم فى الشـدة خارج عن المألوف كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شئ نكر فكأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل و يدعون الى السجود فلا يستطيعون ظاهره انهـم يدعون وتقدم ان ذلك على سبيل التوبيخ لا على سبيل التـكليف * وقيل الداعى ما يرونه من سجود المؤمنين فيريدون هم السجود فلا يسـتطيعونه كما ورد فى الحديث الذى حاورهم فيه الله تعالى انهم يقولون أنت ربنا و يخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وتصير أصلاب المنافقين والكفار كصياصى البقر عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا انتهى ونفى الاستطاعة للسجود فى الآخرة لا يدل على ان لهم استطاعة فى الدنيا كما ذهب اليـه الجبائى وخاشعة حال وذو الحال الضمير فى يدعون وخص الأبصار بالخشـوع وان كانت الجوارح كلها خاشعة لانه أبين فيه منه فى كل جارحة ترهقهم تغشاهم

ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود * قيل هو عبارة عن جميع الطاعات وخص بالذكر من حيث هو أعظم الطاعات ومن حيث امتحنوا به فى الآخرة * وقال النخعى والشعبى أراد بالسجود الصلوات المكتوبة * وقال ابن جبير كانوا يسمعون النداء للصلاة وحى على الفلاح فلا يجيبون * فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث المعنى خل بينى وبينه فانى سأجازيه وليس ثم مانع وهذا وعيد شديد لمن يكذب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الآخرة وغيره وكان تعالى قدم أشياء من أحوال السعداء والأشقياء ومن فى موضع نصب اما عطفا على الضمير فى ذرنى واما على انه مفعول معه سنستدرجهم الى قوله متين تكلم عليه فى الاعراف * أم تسألهم أجرا الى يكتبون تكلم عليه فى الطور * روى انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو على الذين انهزموا باحد حين اشتد بالمسلمين الأمر * وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف فنزلت فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرك عليهم وامض لما أمرت به من التبليغ واحتمال الأذى ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس عليه السلام اذ نادى أى فى بطن الحوت وهو قوله أن لا اله الا أنت سبحانك وليس النهى منصبا على الذوات انما المعنى لا يكن حالك مثل حاله اذ نادى فالعامل فى اذ هو المحذوف المضاف أى كحال أو كقصة صاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم مملوء غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا لما دعاهم الى الايمان وأحوجوه الى استعجال مفارقته اياهم * وقال ذو الرمة

وأنت من حب مى مضمر حزنا * عانى الفؤاد قريح القلب مكظوم

وتقدمت مادة كظم فى قوله والكاظمين الغيظ * وقرأ الجمهور تداركه ماضيا ولم تلحقه علامة التأنيث لتحسين الفصل * وقرأ عبد الله وابن عباس تداركته بتاء التأنيث وابن هرمز والحسن والأعمش بشد الدال * قال أبو حاتم ولا يجوز ذلك والاصل فى ذلك تتداركه لانه مستقبل انتصب بان الخفيفة قبله * وقال بعض المتأخرين هذا لا يجوز على حكاية الحال الماضية المقتضية أى لولا ان كان يقال تتداركه ومعناه لولا هذه الحال الموجودة كانت له من نعم الله لنبذ بالعراء ونحوه قوله فوجد فيها رجلين يقتتلان وجواب لولا قوله لنبذ بالعراء وهو مذموم أى لكنه نبذ وهو غير مذموم كما قال فنبذناه بالعراء والمعتمد فيه على الحال لا على النبذ مطابقا بقيد الحال * وقيل لنبذ بعراء القيامة مذموما ويدل عليه فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ثم أخبر تعالى انه اجتباه أى اصطفاه وجعله من الصالحين أى الأنبياء * عن ابن عباس رد الله اليه الوحى وشفعه فى قومه ولما أمره تعالى بالصبر لما أراده تعالى ونهاه عن ما نهاه أخبر بشدة عداوتهم ليتلقى ذلك بالصبر لما أراده تعالى ونهاه عن ما نهاه أخبره فقال وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك أى ليزلقون قومك بنظرهم الحاد الدال على العداوة المفرطة أو ليهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظره الصرع والاكل لفعله * وقال الشاعر

يتعارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزل مواطن الاقدام

* وقال الكلبى ليزلقونك ليصرفونك * وقرأ الجمهور ليزلقونك بضم الياء من أزلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل عدى بالفتحة من زلق الرجل بالكسر نحو شترت عينه بالكسر وشترها الله بالفتح * وقرأ عبد الله وابن عباس والأعمش وعيسى ليزهقونك * وقيل معنى ليزلقونك بأبصارهم ليأخذونك بالعين وذكر أن اللقع بالعين كان فى بنى أسد * قال ابن الكلبى كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن

من هذه فما نذهب الا قليلا ثم تسقط طائفة أو عدة منها قال الكفار لهذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابهم * وأنشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا * واخال انك سيد معيون

أي مصاب بالعين فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه هذه الآية * قال قتادة نزلت لدفع العين حين أرادوا أن يعينوه عليه الصلاة والسلام * وقال الحسن دواء من أصابته العين أن يقرأ هذه الآية * وقال القشيري الاصابة بالعين انما تكون مع الاستحسان لا مع الكراهة والبغض وقال ويقولون انه لمجنون * وقال القرطبي ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة له حتى يهلك انتهى وقد يكون في المعين وان كان مبغضا عند العائن صفة يستحسنها العائن فيعينه من تلك الصفة لاسيما من تكون فيه صفات كمال * لما سمعوا الذكر من يقول لما ظرف يكون العامل فيه ليزلقونك وان كان حرف وجوب لوجوب وهو الصحيح كان الجواب محذوفا لدلالة ماقبله عليه أي لما سمعوا الذكر كادوا يزلقونك والذكر القرآن ويقولون انه لمجنون تنفيرا عنه وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أتمهم فضلا وأرجحهم عقلا * وماهو أي القرآن الاذكر عظة وعبرة للعالمين أي للجن والانس فكيف ينسبون الى الجن من جاء به

﴿ سورة الحاقة مكية وهي اثنتان وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحاقة * ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة * كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية * وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية * إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية * فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية * فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية * وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين * فليس له اليوم ههنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون * فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ * الحسوم قال الفراء من حسم الداء أي تابع

فيها لأهل السعادة والشقاوة وأدرج بينهما شيأ من أحوال الذين كفروا وكذبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم الكفار الذين عاصروا الرسول عليه السلام وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمود وفرعون فنص عليهم لذلك والحاقة المراد بها القيامة والبعث قاله ابن عباس والحاقة اسم فاعل من حق الشئ اذا ثبت ولم يشك في صحته والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبر عن الحاقة والرابط تكرار المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد وما استفهام لا يراد به حقيقته بل التعظيم وأكثر ما يربط بتكرار المبتدأ اذا أريد معنى التعظيم والتهويل ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ مبالغة في التهويل والمعنى أن فيها مالم يدر ولم يحط به وصف من أمورها الشاقة وتفصيل أوصافها وما استفهام أيضا مبتدأ وأدراك الخبر والعائد على ما ضمير الرفع في أدراك

بالمكواة عليه * قال الشاعر

ففرق بين جمعهم زمان * تتابع فيه أعوام حسوم

* وقال المبرد حسمت الشئ فصلته عن غيره ومنه الحسام * قال الشاعر

فأرسلت ريحا دبورا عقيما * فدارت عليهم فكانت حسوما

* وقال الليث الحسوم الشؤم يقال هذه ليالي الحسوم أي تحسم الخير عن أهلها وقاله في الصحاح صرعى هلكى الواحد صريع وهى الشئ ضعف وتداعى للسقوط * قال ابن شجرة من قولهم وهى السقاء اذا انخرق ومن أمثالهم قول الراجز

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالفلاة ماؤه

الارجاء الجوانب واحدها رجا أي جانب من حائط أو بئر ونحوه وهو من ذوات الواو ولذلك برزت في التثنية * قال الشاعر

كأن لم ترا قبلي أسيرا مقيدا * ولا رجلا يرمى به الرجوان

﴿وقال الآخر﴾

فلا يرمى به الرجوان انى * أقل اليوم من يغني مكاني

هاء بمعنى خذ فيها لغات ذكرناها في شرح التسهيل * وقال الكسائي وابن السكيت العرب تقول هاء يا رجل وللاثنين رجلين أو امرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاء بهمزة مكسورة من غير ياء وللنساء هاؤن * قيل ومعنى هاؤم خذوا ومنه الخبر في الربا الاهاء وهاء أي يقول كل واحد لصاحبه خذ * وقيل تعالوا وزعم القتبي أن الهمزة بدل من الكاف وهذا ضعيف الا ان كان عنى أنها تحل محلها في لغة من قال هاك وهاك وها كاوها كم وها كن فيمكن أنه بدل صناعي لأن الكاف لا تبدل من الهمزة ولا الهمزة منها * وقيل هاؤم كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام ناداه أعرابي بصوت عال فجاوبه عليه الصلاة والسلام هاؤم بصولة صوته وزعم قوم أنها مركبة في الاصل والاصل هاء أموا ثم نقله التخفيف والاستعمال وزعم قوم أن هذه الميم ضمير جماعة الذكور * القطوف جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمر ويقطف * السلسلة معروفة وهى حلق يدخل في حلق على سبيل الطول * الذراع مؤنث وهو معروف * وقال الشاعر

أرمى عليها وهى فرع أجمع * وهى ثلاث أذرع وأصبع

حض على الشئ حمل على فعله بتوكيد * الغسلين قال اللغويون ما يجرى من الجراح اذا غسلت * الوتين عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه * وقال الكلبي عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق * وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر * ومنه قول الشماخ

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

﴿ الحاقة ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة * كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فأما ثمود فأهلكوا

وما مبتدأ والحاقة خبر والجملة في موضع نصب بادراك وادراك معلقة وأصل درى يتعدى بالباء وقد تحذف على قلة فاذا دخلت همزة النقل تعدى الى واحد بنفسه والى الآخر بحرف الجر فقوله ما الحاقة بعد أدراك في موضع نصب بعد اسقاط

حرف الجر والقارعة من أسماء القيامة لانها تقرع القلوب بصدمتها والطاغية الصيحة ﴿عاتية﴾ عتت على خزانها فخرجت بغير مقدار ومعنى سخرها أي أقامها عليهم وأدامها ﴿سبع ليال﴾ بدت عليهم صبح الاربعاء لثمان بقين من شوال الى آخر الاربعاء تمام الشهر ﴿حسوما﴾ قال ابن عباس تباعا لم يتخللها انقطاع ﴿فترى القوم فيها﴾ أي في الليالي والايام ﴿صرعى﴾ أي هلكى ﴿خاوية﴾ خلت أعجازها بلى وفسادا وقال ابن شجرة كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ﴿ومن قبله﴾ ظرف زمان أي الامم الكافرة التي كانت قبله كقوم نوح وقد أشار الى شيء من حديثه بعد هذا ﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ أي بالفعلة أو الفعلات ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ رسول جنس وهو من جاءهم من عند الله تعالى كموسى ولوط عليهما السلام ﴿رابية﴾ أي نامية ﴿انا لما طغى الماء﴾ أي زاد وعلا على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا قال ابن جبير طغى على الخزان كما طغت الريح على خزانها ﴿حملناكم﴾ أي في أصلاب آبائكم أو حملنا آباءكم ﴿في الجارية﴾ هي سفينة نوح عليه السلام ﴿لنجعلها﴾ أي سفينة نوح ﴿لكم تذكرة﴾ بما جرى لقومه الهالكين وقومه الناجين فيها وعظة أدركها أوائل هذه الامة ﴿وتعيها﴾ أي تحفظ قصتها ﴿أذن﴾ من شأنها أن تعي المواعظ وتعتبر بها يقال وعيت لما حفظ في النفس وأوعيت لما حفظ في غير النفس من الاوعية ثنى الضمير في ﴿فدكتا﴾ لأن المراد جملة الارض وجملة الجبال أي ضرب بعضها ببعض حتى تفتتت والدك فيه تفرق الاجزاء والدق فيه اختلاط الاجزاء ﴿فيومئذ﴾ معطوف على فاذا نفخ في الصور وهو منصوب بوقعت كما أن اذا منصوب بنفخ على ما اخترناه والتنوين في اذ للعوض من الجملة المحذوفة تقديره فيومئذ نفخ في الصور وجرى كيت وكيت ﴿وانشقت السماء﴾ أي انفطرت وتميز بعضها من بعض ﴿فهي﴾ يوم اذ انشقت ﴿واهية﴾ ضعيفة لتشققها بعد ان كانت شديدة ﴿والملك على أرجائها﴾ أي على حافاتها حين تنشق والضمير في فوقهم عائد على الملك ضمير جمع على المعنى لأنه يراد به الجنس والظاهر أن التمييز المحذوف في قوله ثمانية أملاك أي ثمانية أشخاص من الملائكة ﴿يومئذ﴾ أي يوم اذ كان ما ذكر ﴿تعرضون﴾ أي للحساب وتعرضون هو جواب قوله فاذا نفخ ويومئذ تعرضون بدل من فيومئذ والخطاب في تعرضون لجميع العالم المحاسبين ﴿خافية﴾ أي سريرة

---

بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية * وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية * إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية * فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾

هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر شيأ من أحوال السعداء والأشقياء * وقال ذرني ومن يكذب بهذا الحديث ذكر حديث القيامة وما أعد الله تعالى لأهل السعادة وأهل الشقاوة وأدرج بينهما شيأ من أحوال الذين كذبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم الكفار الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمود وفرعون فقص عليهم ذلك * الحاقة المراد بها القيامة والبعث قاله ابن عباس وغيره لانها حقت لكل عامل عمله * وقال ابن عباس وغيره لانها تبدي حقائق الأشياء * وقيل سميت بذلك لان الأمر يحق فيها فهي من باب ليل نائم والحاقة اسم فاعل من حق الشيء اذا ثبت ولم يشك في صحته * وقال الأزهري حاققته فحققته أحقه أي غالبته فغلبته فالقيامة حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل أي كل مخاصم فتغلبه * وقيل الحاقة مصدر كالعاقبة والعافية والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر عن الحاقة والرابط تكرار المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد وما استفهام لا يراد حقيقته بل التعظيم وأكثر ما يربط بتكرار المبتدأ اذا أريد معنى التعظيم والتهويل * وما أدراك ما الحاقة مبالغة في التهويل والمعنى ان فيها ما لم يدر ولم يحط به وصف من أمورها الشاقة وتفصيل أوصافها وما استفهام أيضا مبتدأ وأدراك الخبر والعائد على ما ضمير الرفع في أدراك وما مبتدأ والحاقة خبر والجملة في موضع نصب بأدراك وأدراك معلقة وأصل درى أن يعدى بالباء وقد تحذف على قلة فاذا دخلت همزة النقل تعدى الى واحد بنفسه والى الآخر بحرف الجر فقوله

ما الحاقة بعد أدراك في موضع نصب بعد اسقاط حرف الجر والقارعة من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بصدمتها * وقال الزمخشري تقرع الناس بالافزاع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار فوضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها أتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم انتهى * وقرأ الجمهور فأهلكوا رباعيا مبنيا للمفعول وزيد بن علي فهلكوا مبنيا للفاعل * قال قتادة بالطاغية بالصيحة التي خرجت عن حد كل صيحة * وقال مجاهد وابن زيد بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها * وقال ابن عباس وابن زيد أيضا وأبو عبيدة ما معناه الطاغية مصدر كالعاقبة فكأنه قال بطغيانهم ويدل عليه كذبت ثمود بطغواها * وقيل الطاغية عاقر الناقة والهاء فيه للمبالغة كرجل راوية وأهلكوا كلهم لرضاهم بفعله * وقيل بسبب الفئة الطاغية واختار الطبري وغيره ان الطاغية هي الصيحة وترجيح ذلك مقابلة سبب الهلاك في ثمود بسبب الهلاك في عاد وهو قوله بريح صرصر وتقدم القول في صرصر في سورة القمر عاتية عتت على خزانها فخرجت بغير مقدار أو على عاد فما قدروا على أن يتستروا منها أو وصفت بذلك استعارة لشدة عصفها والتسخير هو استعمال الشيء باقتدار عليه فمعنى سخرها عليهم أي أقامها وأدامها سبع ليال بدت عليهم صبح الأربعاء لثمان بقين من شوال الى آخر الأربعاء تمام الشهر حسوما * قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأبو عبيدة تباعا لم يتخللها انقطاع * وقال الخليل شؤما ونحسا * وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم أي تلك الأيام قطعتهم بالاهلاك ومنه حسم العلل والحسام * وقال الزمخشري وان كان مصدرا فاما أن ينتصب بفعل مضمر أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو تكون صفة كقولك ذات حسوم أو تكون مفعولا له أي سخرها عليهم للاستئصال * وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح أي سخرها عليهم مستأصلة * وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء * وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر * وقيل مكفئ الظعن * فترى القوم فيها أي في الليالي والأيام أو في ديارهم أو في مهاب الريح احتمالات أظهرها الأول لانه أقرب ومصرح به * وقرأ أبو نهيك أعجز على وزن أفعل كضبع وأضبع * وحكى الأخفش انه قرئ نخيل خاوية خلت أعجازها بلى وفسادا * وقال ابن شجرة كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية * وقال يحيى بن سلام خلت أبدانهم من أرواحهم * وقال ابن جريج كانوا في سبعة أيام في عذاب ثم في الثامن ماتوا وألقتهم الريح في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية * وقال ابن الانباري من باقية أي من باق والهاء للمبالغة * وقال أيضا من فئة باقية * وقيل من باقية من بقاء مصدر جاء على فاعلة كالعاقبة * وقرأ أبو رجاء وطلحة والجحدري والحسن بخلاف عنه وعاصم في رواية أبان والنحويان ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء أي أجناده وأهل طاعته وتقول زيد قبلك أي فيما يليك من المكان وكثر استعمال قبلك حتى صار بمنزلة عندك وفي جهتك وما يليك بأي وجه ولي * وقرأ باقي السبعة وأبو جعفر وشيبة والسلمي ومن قبله ظرف زمان أي الأمم الكافرة التي كانت قبله كقوم نوح وقد أشار الى شيء من حديثه بعد هذا والمؤتفكات قرى قوم لوط * وقرأ الحسن هنا والمؤتفكة على الافراد بالخاطئة أي بالفعلة أو الفعلات الخاطئة قاله مجاهد أو بالخطأ فيكون مصدرا جاء على فاعلة كالعاقبة قاله الجرجاني فعصوا رسول ربهم

رسول جنس وهو من جاءهم من عند الله تعالى كموسى ولوط عليهما السلام * وقيل لوط عليه السلام أعاده على أقرب مذكور وهو رسول المؤتفكات * وقال الكلبي موسى عليه السلام أعاده على الأسبق وهو رسول فرعون * وقيل رسول بمعنى رسالة رابية أى نامية * قال مجاهد شديدة يريد انها زادت على غيرها من الاخذات وهى الغرق وقلب المدائن * انا لما طغى الماء أى زاد وعلا على أعلى جبل فى الدنيا خمس عشرة ذراعا * قال ابن جبير طغى على الخزان كما طغت الريح على خزانها حملناكم أى فى أصلاب آبائكم فى الجارية هى سفينة نوح عليه السلام وكثر استعمال الجارية فى السفينة ومنه قوله تعالى ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام وقال الشاعر

* تسعون جارية فى بطن جارية * وقال المهدوى المعنى فى السفن الجارية يعنى ان ذلك هو على سبيل الامتنان والمحمولون هم المخاطبون * لنجعلها أى سفينة نوح عليه السلام لكم تذكرة بما جرى لقومه الهالكين وقومه الناجين فيها وعظة * قال قتادة أدركها أوائل هذه الأمة * وقال ابن جريج كانت ألواحها على الجودى * وقيل لنجعل تلك الجملة فى سفينة نوح عليه السلام لكم موعظة تذكرون بها نجاة آبائكم واغراق مكذبى نوح عليه السلام وتعيها أى تحفظ قصتها أذن من شأنها ان تعى المواعظ يقال وعيت لما حفظ فى النفس وأوعيت لما حفظ فى غير النفس من الأوعية * وقال قتادة الواعية هى التى عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب الله وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى انى دعوت الله تعالى أن يجعلها اذنك يا على * قال على رضى الله تعالى عنه فما سمعت بعد ذلك شيأ فنسيته وقرأ وتعيها بكسر العين وتخفيف الياء العامة وابن مصرف وأبو عمرو فى رواية هرون وخارجة عنه وقنبل بخلاف عنه باسكانها وحمزة باخفاء الحركة ووجه الاسكان التشبيه فى الفعل بما كان على وزن فعل فى الاسم والفعل نحو كبد وعلم وتعى ليس على وزن فعل بل هو مضارع وعى فصار الى فعل وأصله يفعل حذفت واوه * وروى عن عاصم عصمة وحمزة الأزرق وتعيها بتشديد الياء قيل وهو خطأ وينبغى أن يتأول على انه أريد به شدة بيان الياء احترازا ممن سكنها لا ادغام حرف فى حرف ولا ينبغى أن يجعل ذلك من باب التضعيف فى الوقف ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وان كان قد ذهب الى ذلك بعضهم * وروى عن حمزة وعن موسى بن عبد الله العنسى وتعيها باسكان الياء فاحتمل الاستئناف وهو الظاهر واحتمل أن يكون مثل قراءة من أوسط ما تطعمون أهاليكم بسكون الياء * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير ( قلت ) للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله تعالى فهى السواد الأعظم عند الله تعالى وان ماسواها لا يبالى بالة وان ملؤا ما بين الخافقين انتهى وفيه تكثير ولما ذكر تعالى ما فعل بمكذبى الرسل من العذاب فى الدنيا ذكر أمر الآخرة وما يعرض فيها لأهل السعادة وأهل الشقاوة وبدأ باعلام يوم القيامة فقال فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وهذه النفخة نفخة الفزع * قال ابن عباس وهى النفخة الاولى التى يحصل عنها خراب العالم ويؤيد ذلك قوله وحملت الأرض والجبال * وقال ابن المسيب ومقاتل هى النفخة الآخرة وعلى هذا لا يكون الدك بعد النفخ والواو لا ترتب * وروى ذلك عن ابن عباس أيضا ولما كانت مرة أكدت بقوله واحدة * وقرأ الجمهور نفخة واحدة برفعهما ولم تلحق التاء نفخ لان تأنيث النفخة مجازى ووقع الفصل * وقال ابن عطية لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت لصح لان نفخة مصدر محدود ونعته ليس بنعت تخصيص انما هو نعت توكيد *

( الدر )

﴿ سورة الحاقة ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ع ) لما نعت صح رفعه انتهى

( ح ) ولو لم ينعت لصح لان نفخة مصدر محدود ونعته ليس بنعت تخصيص انما هو نعت توكيد

وقرأ أبو السمال بنصبهما أقام الجار والمجرور مقام الفاعل * وقرأ الجمهور وحملت بتخفيف الميم وابن أبي عبلة وابن مقسم والأعمش وابن عامر في رواية يحيي بتشديدها فالتخفيف على أن تكون الأرض والجبال حملتها الريح العاصف أو الملائكة أو القدرة من غير واسطة مخلوق ويبعد قول من قال انها الزلزلة لان الزلزلة ليس فيها حمل انما هي اضطراب والتشديد على أن تكون للتكثير أو يكون التضعيف للنقل فجاز أن تكون الارض والجبال المفعول الأول أقيم مقام الفاعل والثاني محذوف أي ريحا عاصفة أو ملائكة أو قدرة وجاز أن يكون الثاني أقيم مقام الفاعل والاول محذوف وهو واحد من الثلاثة المقدرة وثنى الضمير في فدكتا وان كان قد تقدمه مايعود عليه ضمير الجمع لان المراد جملة الأرض وجملة الجبال أي ضرب بعضها ببعض حتى تفتتت وترجع كما قال تعالى كثيبا مهيلا والدك فيه تفرق الأجزاء لقوله هباء والدق فيه اختلاف الاجزاء * وقيل تبسط فتصير أرضا لاترى فيها عوجا ولا أمتا وهو من قولهم بعير أدك وناقة دكاء اذا ضعفا فلم يرتفع سنامهما واستوت عراجينهما مع ظهريهما * فيومئذ معطوف على فاذا نفخ في الصور وهو منصوب بوقعت كما ان اذا منصوب بنفخ على ما اخترناه وقررناه واستدللناه في أن العامل في اذا هو الفعل الذي يليها لا الجواب وان كان مخالفا لقول الجمهور والتنوين في اذ للعوض من الجملة المحذوفة وهي في التقدير فيوم اذ نفخ في الصور وجرى كيت وكيت والواقعة هي القيامة وقد تقدم في اذا وقعت الواقعة ان بعضهم قال هي صخرة بيت المقدس * وانشقت السماء أي انفطرت وتميز بعضها من بعض فهي يومئذ انشقت واهية ضعيفة لتشققها بعد أن كانت شديدة أأنتم أشد خلقا أم السماء أو متخرقة كما قال وهي السقاء انخرق * وقيل انشقاقها لنزول الملائكة قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا * وقيل انشقاقها لهول يوم القيامة والملك على أرجائها * قال ابن عباس على حافاتها حين تنشق والظاهر ان الضمير في حافاتها عائد على السماء * وقال ابن جبير والضحاك على حافات الارض ينزلون اليها يحفظون أطرافها وان لم يجر لها ذكر قريب كما روى ان الله تعالى يأمر ملائكة سماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض ثم ملائكة الثانية فيصفون حولهم ثم ملائكة كل سماء فكلما ند أحد من الجن والانس وجد الارض أحيط بها * والملك اسم جنس يراد به الملائكة * وقال الزمخشري ( فان قلت ) ما الفرق بين قولك والملك وبين أن يقال والملائكة ( قلت ) الملك أعم من الملائكة ألا ترى ان قولك مامن ملك الا وهو شاهد أعم من قولك مامن ملائكة انتهى ولا يظهر أن الملك أعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالألف واللام الجنسية قصاراه أن يراد به الجمع المحلى بهما ولذلك صح الاستثناء منه فقصاراه أن يكون كالجمع المحلى بهما وأما دعواه انه أعم منه بقوله ألا ترى الخ فليس دليلا على دعواه لان من ملك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فان من دخلت على جمع منكر فعم كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال جاز أن يكون فيها واحد لان النفي انما انسحب على جمع ولا يلزم من انتفاء الجمع أن ينتفي المفرد والملك في الآية ليس في سياق نفي دخلت عليه من فيكون

(ش) فان قلت ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة * قلت الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك مامن ملك الا وهو شاهد أعم من قولك مامن ملائكة انتهى (ح) لا يظهر أن الملك أعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف واللام الجنسية قصاراه أن يراد به الجمع المحلى بهما ولذلك صح الاستثناء منه فقصاراه أن يكون كالجمع المحلى بهما وأما دعواه أنه أعم منه بقوله ألا ترى الى آخره فليس دليلا على دعواه انه أعم منه لان من ملك نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها من المخلصة للاستغراق فشملت كل ملك فاندرج تحتها الجمع لوجود الفرد فيه فانتفى كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فان من دخلت على جمع منكر فعم في كل جمع جمع من الملائكة ولا يلزم من ذلك انتفاء كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال جاز أن يكون فيها واحد لان النفي انما انسحب على جمع ولا يلزم من انتفاء الجمع أن ينتفي المفرد والملك في الآية ليس في سياق نفي دخلت عليه من فيكون أعم من جميع دخلت عليه من وانما جيء به مفردا لانه أخف ولان قوله على أرجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن أن يكون على أرجائها في وقت واحد بل في اوقات والمراد والله أعلم أن الملائكة على أرجائها الا أنه ملك واحد ينتقل على أرجائها في أوقات

﴿ فأمامن أوتى كتابه بيمينه ﴾ الآية هاؤم قال الكسائى وابن السكيت العرب تقول هاء يارجل وللاثنين رجلين أوامرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاء بهمزة مكسورة بغير ياء وللنساء هاؤن ومعنى هاؤم خذوا وقد ذكرنا فى شرح التسهيل فيها لغات وهاؤم ان كان مدلولها خذوا فهى متسلطة على كتابيه بغير واسطة وان كان مدلولها تعالوا فهى متعدية اليه بواسطة الى وكتابيه يطلبه هاؤم واقرؤا فالبصريون يعملون اقرأوا والكوفيون يعملون هاؤم وفى ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم الفعل والفعل ﴿ أنى ظننت ﴾ أى أيقنت ﴿ راضية ﴾ أى ذات رضا ﴿ عالية ﴾ أى مكانا وقدرا ﴿ قطوفها ﴾ أى مايجنى منها ﴿ دانية ﴾ قريبة التناول يدركها القائم والقاعد ﴿ كلوا ﴾ أى  يقال لهم كلوا وتقدم شرح ﴿ هنيئا بما أسلفتم ﴾ أى قدمتم من العمل الصالح ﴿ فى الأيام الخالية ﴾ يعنى أيام الدنيا ﴿ ياليتنى لم أوت كتابية ﴾ لما رأى فيه قبائح أفعاله ومايصير أمره اليه تمنى أنه لم يعطه وتمنى أنه لم يدر حسابه فانه انجلى عنه حسابه عن ما يسوؤه فيه اذ كان عليه لاله ﴿ ياليتها ﴾ أى الموتة التى متها فى الدنيا ﴿ كانت القاضية ﴾ القاطعة لأمرى فلم أبعث ولم أعذب ﴿ ماأغنى عنى ماليه ﴾ يجوز أن يكون نفيا محضا أخبر بذلك متأسفا على ماله حيث لم ينفعه ويجوز أن يكون استفهاما وبخ نفسه به وقررها عليه ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ أى حجتى ﴿ خذوه ﴾ أى يقال للزبانية خذوه ﴿ فغلوه ﴾ أى اجعلوا فى عنقه غلا ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ الجحيم مفعول ثان لصلوه والمفعول الأول الهاء فى صلوه وأخر هذا لأجل الفاصلة و ﴿ فى سلسلة ﴾ متعلق بقوله فاسلكوه وذرعها صفة للسلسلة ﴿ إنه كان لايؤمن ﴾ بدأ بأقوى اسباب تعذيبه وهو كفره بالله تعالى وانه تعليل مستأنف كان قائلا قال لم يعذب هذا العذاب البليغ فقيل انه كان لايؤمن وعطف ولايحض على لايؤمن وهو داخل فى العلة وذلك يدل على عظم ذنب من لايحض على اطعام المساكين اذ جعل قرين الكفر وهذا حكم ترك الحض فكيف ترك الاطعام والتقدير على اطعام طعام المسكين وأضاف الطعام الى المسكين من حيث له نسبة اليه اذ يستحق المسكين حقا فى مال الغنى الموسر ولو بادنى يسار ﴿ حميم ﴾ أى صديق ملاطف ﴿ من غسلين ﴾ هو صديد أهل النار والخاطئون اسم فاعل من خطئ وهو الذى يفعل ضد

أعم من جمع دخلت عليه من وانما جىء به مفردا لانه أخف ولان قوله على أرجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لايمكن أن يكون على أرجائها فى وقت واحد بل فى أوقات والمراد والله تعالى أعلم أن الملائكة على أرجائها الا انه ملك واحد ينتقل على أرجائها فى أوقات * وقال الزمخشرى يعنى انها تنشق وهى مسكن الملائكة فينضوون الى أطرافها وما حولها من حافاتها انتهى والضمير فى فوقهم عائد على الملك ضمير جمع على المعنى لانه يراد به الجنس قال معناه الزمخشرى * وقيل يعود على الملائكة الحاملين أى فوق رؤسهم * وقيل على العالم كلهم والظاهر ان التميز المحذوف فى قوله ثمانية أملاك أى ثمانية أشخاص من الملائكة وعن الضحاك ثمانية صفوف وعن الحسن الله أعلم كم هم أثمانية صفوف أم ثمانية أشخاص وذكروا فى صفات هؤلاء الثمانية أشكالا متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحا يومئذ أى يوم اذ كان ماذكر تعرضون أى للحساب وتعرضون هو جواب قوله فاذا نفخ فان كانت النفخة هى الأولى فجاز ذلك لانه اتسع فى اليوم فجعل ظرفا للنفخ ووقوع الواقعة وجميع الكائنات بعدها وان كانت النفخة هى الثانية فلا يحتاج الى اتساع لان قوله فيومئذ معطوف على فاذا ويومئذ تعرضون بدل من فيومئذ ومابعد هذه الظروف واقع فى يوم القيامة والخطاب فى تعرضون لجميع العالم المحاسبين وعن عبد الله رأى موسى فى القيامة عرضتان فيهما معاذير وتوقيف وخصومات وثالثة تتطاير فيها الصحف للايمان والشمائل وقرأ الجمهور لاتخفى بتاء التأنيث وعلى وابن وثاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائى وابن مقسم عن عاصم وابن سعدان بالياء خافية سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا * قوله عز وجل ﴿ فأمامن أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه * إنى ظننت أنى ملاق حسابيه * فهو فى عيشة راضية * فى جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية * وأمامن أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه * ولم أدر ماحسابيه * ياليتها كانت القاضية * ماأغنى عنى ماليه * هلك عنى سلطانيه * خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه * ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه * انه كان لايؤمن بالله العظيم * ولايحض على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حميم * ولاطعام الامن غسلين * لايأكله الا الخاطئون ﴾ أما حرف تفصيل فصل بها ماوقع فى يوم العرض ويظهر أن من قضى عليه دخول النار من الموحدين أنه فى يوم العرض يأخذ

كتابه بيمينه مع الناجين من النار ويكون ذلك يأنس به مدة العذاب وقيل لا يأخذه حتى يخرج من النار وإنما أنيسه مدة العذاب قيل وهذا يظهر لأن من يسار به الى النار كيف يقول هاؤم اقرؤا كتابيه وهل هذا الا استبشار وسرور فلا يناسب دخول النار وهاؤم ان كان مدلولها خذ فهى متسلطة على كتابيه بغير واسطة وان كان مدلولها تعالوا فهى متعدية اليه بواسطة الى وكتابيه يطلبه هاؤم واقرؤا فالبصريون يعملون اقرؤا والكوفيون يعملون هاؤم وفى ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم الفعل والفعل ❊ وقرأ الجمهور كتابيه وحسابيه فى موضعيهما وماليه وسلطانيه وفى القارعة ماهيه باثبات هاء السكت وقفا ووصلا لمراعاة خط المصحف ❊ وقرأ ابن محيصن بحذفها وصلا ووقفا واسكان الياء وذلك كتابى وحسابى ومالى وسلطانى ولم ينقل ذلك فيما وقفت عليه فى ماهيه فى القارعة وابن أبى اسحق والأعمش بطرح الهاء فيهما فى الوصل لا فى الوقف وطرحها حمزة فى مالى وسلطانى وماهى فى الوصل لا فى الوقف وفتح الياء فيهن وما قاله الزهراوى من أن اثبات الهاء فى الوصل لحن لا يجوز عند أحد علمته ليس كما قال بل ذلك منقول نقل التواتر فوجب قبوله ❊ انى ظننت أى أيقنت ولو كان ظنا فيه تجويز لكان كفرا ❊ فهو فى عيشة راضية ذات رضا ❊ وقال أبو عبيدة والفراء راضية مرضية كقوله من ماء دافق أى مدفوق ❊ فى جنة عالية أى مكانا وقدرا ❊ قطوفها أى ما يجنى منها دانية أى قريبة التناول يدركها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها ❊ كلوا واشربوا أى يقال وهنيئا تقدم الكلام عليه فى أول النساء ❊ وقال الزمخشرى هنيأ أكلا وشربا هنيأ أو هنيتم هنيأ على المصدر انتهى فقوله أكلا وشربا هنيأ يظهر منه جعل هنيأ صفة لمصدرين ولا يجوز ذلك الا على تقدير الاضمار عند من يجيز ذلك أى أكلا هنيأ وشربا هنيأ بما أسلفتم أى قدمتم من العمل الصالح فى الأيام الخالية يعنى أيام الدنيا ❊ وقال مجاهد وابن جبير ووكيع وعبد العزيز بن رفيع أيام الصوم أى بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى والظاهر العموم فى قوله بما أسلفتم أى من الأعمال الصالحة ❊ ياليتنى لم أوت كتابيه لما رأى فيه قبائح أفعاله وما يصير أمره اليه تمنى أنه لم يعطه وتمنى أنه لم يدر حسابه فانه انجلى عنه حسابه عن ما يسوءه فيه اذ كان عليه لا له ياليتها أى الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية أى القاطعة لامرى فلم أبعث ولم أعذب أو ياليت الحالة التى انتهيت اليها الآن كانت الموتة التى متها فى الدنيا حيث رأى ان حالته التى هو فيها أمر مما ذاقه من الموتة وكيف لا وأمره آل الى عذاب لا ينقطع ❊ ما أغنى عنى ماليه يجوز أن يكون نفيا محضا أخبر بذلك متأسفا على ماله حيث لم ينفعه ويجوز أن يكون استفهاما وبخ به نفسه وقررها عليه ❊ هلك عنى سلطانيه أى حجتى قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وعكرمة والسدى ❊ وقال ابن زيد يقول ذلك ملوك الدنيا وكان عضد الدولة ابن بويه لما تسمى بملك الاملاك غلاب القدر لم يفلح وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بقوله هلك عنى سلطانيه خذوه أى يقال للزبانية خذوه فغلوه أى اجعلوا فى عنقه غلا ثم الجحيم صلوه ❊ قال الزمخشرى ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار انتهى وانما قدره لا تصلوه الا الجحيم لانه يزعم أن تقديم المفعول يدل على الحصر وقد تكلمنا معه فى ذلك عند قوله إياك نعبد وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة وأما قوله لانه كان سلطانا يتعظم على الناس فهذا قول ابن زيد وهو مرجوح والراجح قول ابن عباس ومن ذكر معه أن السلطان هنا هو الحجة التى كان يحتج بها فى الدنيا لان من أوتى كتابه بشماله

---

الصواب متعمدا لذلك والمخطئ الذى يفعله غير متعمد

( الدر )

(ش) هنيئا أكلا وشربا أو هنيتم هنيئا على المصدر انتهى (ح) قوله أكلا وشربا هنيئا يظهر منه أنه جعل هنيئا صفة لمصدرين ولا يجوز ذلك الا على تقدير الاضمار عند من يجيز ذلك أى أكلا هنيئا وشربا هنيئا (ش) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار انتهى (ح) انما قدر ثم لا تصلوه الا الجحيم لانه يزعم أن تقديم المعمول يدل على الحصر وقد تكلمنا معه فى ذلك فى إياك نعبد وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة وأما قوله لانه كان سلطانا يتعظم على الناس فهذا قول ابن زيد وهو مرجوح والراجح قول ابن عباس ومن ذكر معه أن السلطان ههنا هو الحجة التى كان يحتج بها فى الدنيا لان من أوتى كتابه بشماله ليس مختصا بالملوك بل هو عام فى جميع أهل الشقاوة

ليس مختصا بالملوك بل هو عام فى جميع أهل الشقاوة * ثم فى سلسلة ذرعها أى قياسها ومقدار طولها سبعون ذراعا يجوز أن يراد ظاهره من العدد و يجوز أن يراد المبالغة فى طولها وان لم يبلغ هذا العدد * قال ابن عباس وابن جريج ومحمد بن المنكدر بذراع الملك * وقال نوف البكالى وغيره الذراع سبعون باعا فى كل باع كما بين مكة والكوفة وهذا يحتاج الى نقل صحيح * وقال الحسن الله أعلم بأى ذراع هى * وقيل بالذراع المعروف وانما خاطبنا تعالى بما نعرفه ونحصله * وقال ابن عباس لو وضع منها حلقة على جبل لذاب كالرصاص فاسلكوه أى ادخلوه كقوله فسلكه ينابيع والظاهر أنه يدخله فى السلسلة ولطولها تلتوى عليه من جميع جهاته فيبقى داخلا فيها مضغوطا حتى تعمه * وقيل فى الكلام قلب والسلسلة تدخل فى فيه وتخرج من دبره فهى فى الحقيقة التى تسلك فيه ولا ضرورة تدعو الى اخراج الكلام عن ظاهره الا ان دل الدليل الصحيح على خلافه * وقال الزمخشرى والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها و بين السلك فى السلسلة لا على تراخى المدة انتهى وقد تقدم أن من مذهبه الحصر فى تقديم المعمول وأما ثم فيمكن بقاؤها على موضوعها من المهلة الزمانية وأنه أولا يؤخذ فيغل ولما لم يعذب بالعجلة صارت له استراحة ثم جاء تصلية الجحيم فكان ذلك أبلغ فى عذابه اذ جاءه ذلك وقد سكنت نفسه قليلا ثم جاء سلكه بعد ذلك بعد كونه مغلولا معذبا فى النار لكنه كان له انتقال من مكان الى مكان فيجد بذلك بعض تنفس فلما سلك فى السلسلة كان ذلك أشد ما عليه من العذاب حيث صار لا حراك له ولا انتقال وأنه يضيق عليه غاية فهذا يصح فيه أن تكون ثم على موضوعها من المهلة الزمانية * انه كان لا يؤمن بدأ بأقوى أسباب تعذيبه وهو كفره بالله وانه تعليل مستأنف كأن قائلا قال لم يعذب هذا العذاب البليغ وقيل انه كان لا يؤمن وعطف ولا يحض على لا يؤمن داخل فى العلة وذلك يدل على عظم ذنب من لا يحض على اطعام المسكين اذ جعل قرين الكفر وهذا حكم ترك الحض فكيف يكون ترك الاطعام والتقدير على اطعام طعام المسكين وأضاف الطعام الى المسكين من حيث لم ينسبه اليه إذ يستحق المسكين حقا فى مال الغنى الموسر ولو بأدنى يسار وللعرب فى مكارمهم وايثارهم آثار عجيبة غريبة بحيث لا توجد فى غيرهم * وما أحسن ما قيل فيهم

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

وكان أبو الدرداء يحض امرأته على تكثير الرزق لأجل المساكين و يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الآخر * وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه يعنى انه اذا انتفى الحض انتفى الاطعام بجهة الأولى كما صرح به فى قوله تعالى لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم أى صديق ملاطف وادّ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو * وقيل قريب يدفع عنه ولا طعام إلا من غسلين * قال ابن عباس هو صديد أهل النار * وقال قتادة وابن زيد هو والزقوم أخبث شئ وأبشعه * وقال الضحاك والربيع هو شجر يأكله أهل النار * وقيل هو شئ يجرى من أهل النار يدل على هذا قوله فى الغاشية ليس لهم طعام إلا من ضريع فهما شئ واحد أو متداخلان * قيل و يجوز أن يكونا متباينين وأخبر بكل واحد منهما عن طائفة غير الطائفة التى الآخر طعامها وله خبر ليس * وقال المهدوى ولا يصح أن يكون هاهنا ولم يبين ما المانع

( ش ) والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها و بين السلك فى السلسلة لا على تراخى المدة انتهى ( ح ) قد تقدم أن من مذهبه الحصر فى تقديم المعمول وأما ثم فيمكن بقاؤها على موضوعها من المهلة وانه أولا يؤخذ فيغل ولما لم يعذب بالعجلة صارت له استراحة ثم جاءه تصلية الجحيم فكان ذلك أبلغ فى عذابه اذ جاءه ذلك وقد سكنت نفسه قليلا ثم جاءه سلكه بعد ذلك بعد كونه مغلولا معذبا فى النار ولكنه كان له انتقال من مكان الى مكان فيجد بذلك بعض تنفس فلما سلك فى السلسلة كان ذلك أشد ما عليه من العذاب حيث صار لا حراك له ولا انتقال وانه يضيق عليه غاية فهذا يصح فيه أن تكون ثم على موضوعها من المهلة الزمانية ( ح ) له خبر ليس وقال المهدوى ولا يصح أن

﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾ عام في جميع مخلوقاته ﴿ انه ﴾ أي القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده قوله وما هو بقول شاعر وما بعده ونسب القول اليه لأنه هو مبلغه والعامل به ونفى تعالى أن يكون قول شاعر لمباينته لضروب الشعر ﴿ ولا بقول كاهن ﴾ لانه ورد بسب الشياطين وانتصب ﴿ قليلا ﴾ على انه صفة لمصدر محذوف أو لزمان محذوف أي يؤمنون ايمانا قليلا أو زمانا قليلا وكذا التقدير في ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ والقلة هو اقرارهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون وما تحتمل أن تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل أن تكون ما مصدرية ويتصف بالقلة اما الايمان واما العود فعلى اتصاف ايمانهم بالقلة فهو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا باشياء يسيرة لا تغني عنهم شيأ اذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به الرسول عليه السلام هو حق صواب انتهى أما قوله ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه تؤمنون اما أن تكون ما نافية أو مصدرية كما ذهب اليه فان كانت نافية فكذلك الفعل المضمر الدال عليه تؤمنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير ما تؤمنون قليلا ما تؤمنون والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما لا يجوز زيدا ما أضرب على تقدير ما أضرب زيدا ما أضرب وان كانت مصدرية كانت اما في موضع رفع على الفاعلية بقليلا أي قليلا ايمانكم ويبقى قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في موضع رفع على الابتداء فيكون مبتدأ لا خبر له لان ما قبله منصوب لا مرفوع ﴿ ولو تقول ﴾ التقول أن يقول الانسان عن الآخر انه قال شيأ لم يقله والأقاويل جمع أقوال وهو جمع الجمع ﴿ باليمين ﴾ قيل الباء زائدة والوتين قال ابن عباس هو نياط القلب والمعنى لو تقول لأذهبنا حياته معجلا والضمير في عنه يجوز أن يعود على الذي تقول والخطاب في منكم للناس والظاهر في ﴿ حاجزين ﴾ أن يكون خبرا لما على لغة أهل الحجاز لان حاجزين هو محط الفائدة ويكون منكم لو تأخر لكان صفة لاحد فلما تقدم صار حالا وجمع على المعنى لانه في معنى الجماعة ﴿ وانه ﴾ أي القرآن ﴿ وانا لنعلم ﴾ وعيد للمكذبين بالقرآن ﴿ وانه ﴾ أي القرآن ﴿ لحسرة ﴾ من حيث كفروا به ويرون من آمن به ينعم وهم يعذبون

---

من ذلك وتبعه القرطبي في ذلك وقال لان المعنى يصير ليس هاهنا طعام إلا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره وهاهنا متعلق بما في له من معنى الفعل انتهى واذا كان ثم غيره من الطعام وكان الأكل غيرا كل آخر صح الحصر بالنسبة الى اختلاف الآكلين وأما ان كان الضريع هو الغسلين كما قال بعضهم فلا تناقض اذ المحصور في الآيتين هو شئ واحد وانما يمتنع ذلك من وجه غير ما ذكره وهو انه اذا جعلنا الخبر هاهنا كان له واليوم متعلقين بما تعلق به الخبر وهو العامل في ههنا وهو عامل معنوي فلا يتقدم معموله عليه فلو كان العامل لفظيا جاز كقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد فله متعلق بكفوا وهو خبر ليكن * وقرأ الجمهور الخاطئون بالهمز اسم فاعل من خطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك والمخطئ الذي يفعله غير متعمد * وقرأ الحسن والزهري والعتكي وطلحة في نقل بياء مضمومة بدلا من الهمزة * وقرأ أبو جعفر وشيبة وطلحة ونافع بخلاف عنه بضم الطاء دون همز فالظاهر اسم فاعل من خطئ كقراءة من همز * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله انتهى فيكون اسم فاعل من خطا يخطو كقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان خطا الى المعاصي * قوله عز وجل ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين *

---

( الدر ) يكون هاهنا ولم يبين ما المانع من ذلك وتبعه القرطبي في ذلك وقال لان المعنى يصير ليس هاهنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره وهاهنا متعلق بما في له من معنى الفعل انتهى واذا كان ثم غيره من الطعام وكان الأكل غيرا كل آخر صح الحصر بالنسبة الى اختلاف الآكلين وأما ان كان الضريع هو الغسلين كما قال بعضهم فلا تناقض اذ المحصور في الآيتين هو شئ واحد وانما يمتنع ذلك من وجه غير ما ذكره وهو أنه اذا جعلنا هاهنا الخبر كان له واليوم متعلقين بما تعلق به الخبر وهو العامل في هاهنا وهو عامل معنوي فلا يتقدم معموله عليه فلو كان العامل لفظيا جاز كقوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد فله متعلق بكفوا وهو خبر ليكن

﴿ وانه ﴾ أي وان القرآن ﴿ لحق اليقين ﴾ فسبح تقدم الكلام عليه

(الدر) (ع) ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون ومايحتمل أن تكون نافية فينتفي ايمانهم ألبتة ويحتمل أن تكون مصدرية والمتصف بالقلة هو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لاتغني عنهم شيأ اذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به رسول الله صلى الله (٣٢٨) عليه وسلم هو حق صواب انتهى (ح) أما قوله ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه تؤمنون اما أن تكون ما نافية أو مصدرية كما ذهب اليه فان كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال عليه تؤمنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير ماتؤمنون قليلا ماتؤمنون والفعل المنفي لايجوز حذفه ولا حذف مالا يجوز زيدا ما أضربه على تقدير ما أضرب زيدا ما أضربه وان كانت مصدرية كانت إما في موضع رفع على الفاعلية بقليلا أي قليلا ايمانكم ويبقى قليلا لايتقدمه مايعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في موضع رفع على الابتداء فتكون مبتدأ لاخبر له لان ماقبله منصوب لامرفوع (ش) والقلة في معنى العدم أي لايؤمنون ولايذكرون ألبتة والمعنى ماأكفركم وما أغفلكم انتهى (ح) لايراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لايكون الا في أقل نحو أقل رجل يقول ذلك الا زيد وفي نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد يستعمل في قليل وقليلة اذا كانا مرفوعين نحو ماجوزوا في قول الشاعر * قليل بها الأصوات الابغامها * أما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت أو قليلا ماضربت على أن تكون ما مصدرية فان ذلك لايجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا لكثيرا وأما في قليلا ماضربت على أن تكون ما مصدرية فتحتاج الى رفع قليل لان ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء

و إنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ تقدم الكلام في لا في القسم في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقراءة الحسن لأقسم بجعلها لاما دخلت على أقسم * وقيل لاهنا نفي للقسم أي لايحتاج في هذا الى قسم لوضوح الحق في ذلك وعلى هذا فجوابه جواب القسم * قال مقاتل سبب ذلك أن الوليد قال ان محمدا ساحر وقال أبو جهل شاعر * وقال كاهن فرد الله عليهم بقوله فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون عام في جميع مخلوقاته * وقال عطاء ماتبصرون من آثار القدرة ومالا تبصرون من اسرار القدرة * وقيل ومالا تبصرون من الملائكة * وقيل الاجساد والأرواح انه أي ان القرآن لقول رسول كريم هو محمد صلى الله عليه وسلم في قول الأكثرين ويؤيده وماهو بقول شاعر ومابعده ونسب القول اليه لانه هو مبلغه والعامل به * وقال ابن السائب ومقاتل وابن قتيبة هو جبريل عليه السلام اذ هو الرسول عن الله ونفى تعالى أن يكون قول شاعر لمباينته لضروب الشعر ولا قول كاهن لانه ورد بسب الشياطين وانتصب قليلا على أنه صفة لمصدر محذوف أو لزمان محذوف أي تؤمنون ايمانا قليلا أو زمانا قليلا وكذا التقدير في قليلا ماتذكرون والقلة هو اقرارهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله * وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون وما يحتمل أن تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل أن تكون ما مصدرية والمتصف بالقلة هو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لاتغني عنهم شيأ اذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حق صواب انتهى أما قوله ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون فلا يصح لان ذلك الفعل الدال عليه تؤمنون اما أن تكون ما نافية أو مصدرية كما ذهب اليه فان كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال عليه تؤمنون المنفي بما يكون منفيا فيكون التقدير ماتؤمنون قليلا ماتؤمنون والفعل المنفي بما لايجوز حذفه ولا حذف مالا يجوز زيدا ما أضربه على تقدير ما أضرب زيدا ما أضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع رفع على الفاعلية بقليلا أي قليلا ايمانكم ويبقى قليلا لايتقدمه مايعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له واما في موضع رفع على الابتداء فيكون مبتدأ لاخبر له لان ماقبله منصوب لامرفوع وقال الزمخشري والقلة في معنى العدم أي لاتؤمنون ولاتذكرون البتة والمعنى ماأكفركم وما أغفلكم انتهى ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لايكون الا في أقل نحو أقل رجل يقول ذلك الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد تستعمل في قليل وقليلة اذا كانا مرفوعين نحو ماجوزوا في قوله * قليل بها الاصوات الابغامها * أما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت أو قليلا ماضربت على أن تكون ما مصدرية فان ذلك لايجوز لانه في قليلا ضربت

منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا إذا انتصب بالفعل نفيا بل مقابلا للكثير وأما في قليلا ما ضربت على أن تكون ما مصدرية فتحتاج الى رفع قليل لان ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء * وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بخلاف عنهما والجحدري والحسن يؤمنون يذكرون بالياء فيهما وباقي السبعة بتاء الخطاب وأبي بياءين * وقرأ الجمهور تنزيل بالرفع وأبو السمال تنزيلا بالنصب * وقرأ الجمهور ولو تقول والتقول أن يقول الانسان عن آخر انه قال شيأ لم يقله وقرأ ذكوان وابنه محمد يقول مضارع قال وهذه القراءة معترضة بما صرحت به قراءة الجمهور وقرئ ولو تقول مبنيا للمفعول وحذف الفاعل وقام المفعول مقامه وهو بعض ان كان قرئ مرفوعا وان كان قرئ منصوبا بعلينا أقام مقام الفاعل والمعنى ولو تقول علينا متقول ولا يكون الضمير في تقول عائدا على الرسول صلى الله عليه وسلم لاستحالة وقوع ذلك منه فنحن نمنع أن يكون ذلك على سبيل الفرض في حقه عليه الصلاة والسلام والأقاويل جمع الجمع وهو أقوال كبيت وأبيات وأبابيت * قال الزمخشري وسمى الأقوال المتقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول والظاهر أن قوله باليمين المراد به الجارحة * فقال الحسن المعنى قطعناه عبرة ونكالا والباء على هذا زائدة * وقيل الأخذ على ظاهره * قال الزمخشري والمعنى ولو ادعى مدع علينا شيأ لم نقله لقتلناه صبرا كما تفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص اليمين على اليسار لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يلحفه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى لأخذنا منه باليمين لأخذنا بيمينه كما أن قوله تعالى لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه انتهى وهو قول للمتقدمين حسنه الزمخشري بتكثير ألفاظه ومعانيها ثم المعنى لأخذنا بيده التي هي اليمين على جهة الاذلال والصغار كما يقول السلطان اذا أراد عقوبة رجل يا غلام خذ بيده وافعل كذا قاله أو قريبا منه الطبري * وقيل اليمين هنا مجاز * فقال ابن عباس باليمين بالقوة معناه لنلنا منه عقابه بقوتنا * وقال مجاهد بالقدرة * وقال السدي عاقبناه بالحق من على عذا صلة * وقيل نفطو به لقبضنا بيمينه عن التصرف * وقيل لنزعنا منه قوته * وقيل لأذللناه وأعجزناه ثم لقطعنا منه الوتين * قال ابن عباس وهو نياط القلب * وقال مجاهد حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع والموتون الذي قطع وتينه والمعنى لو تقول علينا لأذهبنا حياته معجلا والضمير في عنه الظاهر أنه يعود على الذي تقول ويجوز أن يعود على القتل أي لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه والخطاب في منكم للناس والظاهر في حاجزين أن يكون خبرا لما على لغة الحجاز لان حاجزين هو محط الفائدة ويكون منكم لو تأخر لكان صفة لأحد فلما تقدم صار حالا وفي جواز هذا نظر أو يكون للبيان أو تتعلق بحاجزين كما تقول ما فيك زيد راغبا ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب خبرما * وقال الحوفي والزمخشري حاجزين نعت لأحد على اللفظ وجمع على المعنى لانه في معنى الجماعة يقع في النفي العام للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه لا نفرق بين أحد من رسله وقوله لستن كأحد من النساء مثل بهما الزمخشري وقد تكلمنا على ذينك في موضعيهما * وفي الحديث لم تحل لأحد سود الرؤس قبلكم وإذا كان حاجزين نعتا فمن أحد مبتدأ والخبر منكم ويضعف هذا القول لان النفي يتسلط على الخبر وهو كينونته منكم فلا يتسلط على الحجز واذا كان حاجزين

خبرا تسلط النبي عليه وصار المعنى ما أحد منكم يحجزه عن ما يريد به من ذلك وانه لتذكرة أي وان القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم * وانا لنعلم أن منكم مكذبين وعيد أي مكذبين بالقرآن أو بالرسول صلى الله عليه وسلم * وانه لحسرة أي القرآن من حيث كفروا به ويرون من آمن به ينعم وهم معذبون * وقال مقاتل وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم عاد الضمير على المصدر المفهوم من قوله مكذبين كقوله * اذا نهى السفيه جرى اليه * أي السفه * وانه أي وان القرآن لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وسبق الكلام على اضافة حق الى اليقين في آخر الواقعة

## ﴿ سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا * إنهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا * يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن * ولا يسئل حميم حميما * يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه * كلا إنها لظى * نزاعة للشوى * تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى * إن الانسان خلق هلوعا * اذا مسه الشر جزوعا * واذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * إن عذاب ربهم غير مأمون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون * والذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك في جنات مكرمون * فمال الذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين * أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا إنا خلقناهم مما يعلمون * فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون * يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ * العهن الصوف دون تقييد أو الأحمر أو المصبوغ ألوانا أقوال * الفصيلة قال ثعلب الآباء الأدنون * وقال أبو عبيدة الفخذ * وقيل عشيرته الأقربون * لظى اسم لجهنم أو للدركة الثانية من دركاتها وهو علم منقول من اللظى وهو اللهب ومنع الصرف هو للعلمية والتأنيث * والشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس * وقال الأعشى

قالت قتيلة ماله * قد جللت شيبا شواته

والشوى جلد الانسان والشوى قوائم الحيوان والشوى كل عضو ليس بمقتل ومنه رمى فأشوى اذا لم يصب المقتل والشوى زوال المال والشوى الشيء الهين اليسير * الهلع الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير * وقال أبو عبيدة الهلع في اللغة أشد الحرص وأسوأ الجزع * الجزع الخوف قال الشاعر

* جزعت ولم أجزع من البين مجزعا * عزين جمع عزة * قال أبو عبيدة جماعات في تفرقة

﴿ سورة المعارج ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ سأل سائل ﴾ الآية هذه السورة مكية قال الجمهور نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر وانا لنعلم ان منكم مكذبين أخبر عن ما صدر عن بعض المكذبين بنعم الله تعالى وان كان السائل نوحا أو الرسول فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم ﴿ليس له دافع﴾ جملة اعتراض بين العامل والمعمول وقيل يتعلق بدافع أي من جهته اذا جاء وقته ﴿ ذي المعارج ﴾ المعارج لغة الدرج وهنا استعارة قال ابن عباس في الرتب والفواضل والصفات الحميدة وقال ابن عباس أيضا المعارج السموات تعرج فيها الملائكة من سماء الى سماء ﴿والروح ﴾ هو جبريل عليه السلام خص بالذكر تشريفا والظاهر أن من تعرج في يوم من أيامكم هذه ومقدار المسافة ان لو عرجها آدمي خمسون ألف سنة والجملة من قوله تعرج اعتراض ولما كانوا قد سألوا استعجال العذاب وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب وكانوا قد وعدوا به أمره تعالى بالصبر والضمير في يرونه عائد على العذاب أو على اليوم اذا أريد به يوم القيامة وهذا الاستبعاد هو على سبيل الاستحالة منهم ﴿ونراه قريبا﴾ أي هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر وكل ما هو آت قريب والبعد والقرب في الامكان لا في المسافة ﴿يوم تكون﴾ يوم منصوب باضمار فعل أي يقع يوم تكون أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو بقريبا أو بدل من ضمير نراه اذا كان عائدا على يوم القيامة * والمهل دردي الزيت ﴿ كالعهن ﴾ الصوف المنفوش الذي طيرته الريح ﴿ولا يسئل حميم حميما﴾ أي لا يسأله نصرة ولا منفعة لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده ﴿يبصرونهم﴾ استئناف كلام قال ابن عباس في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفر عنه لشغله بنفسه ﴿ يود المجرم ﴾ أي الكافر وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذب ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وفصيلته﴾ أقرباؤه الأدنون ﴿تؤويه﴾ تضمه انتماء اليها ﴿ثم ينجيه﴾ عطف على يفتدي أي ينجيه الافتداء وكلا ردع لودادتهم الافتداء أو تنبيه على أنه لا ينفع ﴿انها﴾ الضمير للقصة ولظى نزاعة تفسير لها والشوى جلدة الرأس والشوى القوائم ﴿تدعوا﴾ أي جهنم ﴿من أدبر﴾ عن الحق ﴿وتولى وجمع﴾ أي جمع المال فأوعاه وكنزه ولم يؤد حق الله تعالى فيه وهذه اشارة الى كفار أغنياء ﴿إن الانسان﴾ جنس ولذلك استثنى منه الا المصلين والانسان اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس ولما كان شدة الجزع والمنع متمكنة في الانسان جعل كأنه خلق مجبولا عليه كقوله خلق الانسان من عجل والخير المال ﴿الا المصلين﴾ استثناء كما قلنا من الانسان ولذلك وصفهم بما

* وقيل الجمع اليسير كثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة * وقال الأصمعي في الدار عزون أي أصناف من الناس * وقال عنترة

وقرن قد تركت لدى ولي * عليه الطير كالعصب العزين

﴿ وقال الراعي ﴾

أخليفة الرحمن ان عشيرتي * أمسى سوامهم عزين فلولا

﴿ وقال الكميت ﴾

ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا

﴿ وقال آخر ﴾

ترانا عنده والليل داج * على أبوابه حلقا عزينا

﴿ وقال آخر ﴾

فلما أن أتين على أضاخ * ضرجن حصاه أشتاتا عزينا

وعزة مما حذفت لامه * فقيل هي واو وأصله عزوة كأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الأخرى فهم متفرقون ويقال عزاه يعزوه اذا أضافه الى غيره * وقيل لامها هاء والاصل عزهة وجمعت عزة بالواو والنون كما جمعت سنة وأخواتها بذلك وتكسر العين في الجمع وتضم وقالوا عزى على فعل ولم يقولوا عزات ﴿سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج * تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا * انهم يرونه بعيدا * ونراه قريبا * يوم تكون السماء كالمهل * وتكون الجبال كالعهن * ولا يسأل حميم حميما * يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه * كلا انها لظى * نزاعة للشوى * تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى * إن الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل

وصفهم به من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التى حازوها

( الدر )

﴿ سورة سأل ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) هى لغة قريش يقولون سالت تسال وهما يتسايلان انتهى (ح) ينبغى أن يتثبت فى قوله انها لغة قريش لان ماجاء فى القرآن من باب السؤال هو مهموز أوأصله الهمز كقراءة من قرأ وسلوا الله من فضله اذلا يجوز أن يكون من سال التى عينها واو اذ كان يكون ذلك وسلوا الله مثل خافوا الأمر فيبعد أن يجىء ذلك كله على لغة غير قريش وهم الذين نزل القرآن بلغتهم الايسيرا فيه لغة غيرهم ثم جاء فى كلام (ش) وهما يتسايلان بالياء وأظنه من الناسخ وانما هو يتساولان بالواو فان توافقت النسخ بالياء فيكون التحريف من (ش) أو بلفعل أى دعا الكافرين ثم قال وعلى الثانى وهو ثانى ماذكر من توجيه فى الكافرين قال هو كلام مبتدأ جواب للسائل أى هو للكافرين وكان قدقرر أن سأل ضمن معنى دعا فعدى تعديته كأنه قال دعا داع بعذاب

والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * إن عذاب ربهم غير مأمون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غيرملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون * والذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك فى جنات مكرمون ﴾ هذه السورة مكية * قال الجمهور نزلت فى النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية * وقال الربيع بن أنس فى أبى جهل * وقيل فى جماعة من قريش قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الآية * وقيل السائل نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين * وقيل السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الله أن يشدد وطأته على مضر الحديث فاستجاب الله دعوته * ومناسبة أولها لآخر ماقبلها انه لماذكر وانا لنعلم أن منكم مكذبين أخبر عن ماصدر عن بعض المكذبين بنقم الله وان كان السائل نوحا عليه السلام أوالرسول صلى الله عليه وسلم فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا صدق ماجاءهم به * وقرأ الجمهور سأل بالهمز أى دعاداع من قولهم دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه فالباء على أصلها * وقيل المعنى بحث باحث واستفهم * قيل فالباء بمعنى عن * وقرأ نافع وابن عامر سال بألف فيجوز أن يكون قد أبدلت همزته ألفا وهو بدل على غير قياس وانما قياس هذا بين بين ويجوز أن يكون على لغة من قال سلت أسال حكاها سيبويه * وقال الزمخشرى هى لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان انتهى وينبغى أن يتثبت فى قوله انها لغة قريش لان ماجاء فى القرآن من باب السؤال هو مهموز أوأصله الهمز كقراءة من قرأ وسلوا الله من فضله اذلا يجوز أن يكون من سال التى عينها واو اذ كان يكون ذلك وسلوا الله مثل خافوا الأمر فيبعد أن يجىء ذلك كله على لغة غير قريش وهم الذين نزل القرآن بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ثم جاء فى كلام الزمخشرى وهما يتسايلان بالياء وأظنه من الناسخ وانما هو يتساولان بالواو فان توافقت النسخ بالياء فيكون التحريف من الزمخشرى وعلى تقدير انه من السؤال فسائل اسم فاعل منه وتقدم ذكر الخلاف فى السائل من هو * وقيل سال من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سايل * وقال زيد بن ثابت فى جهنم واد يسمى سايلا وأخبر هنا عنه * قال ابن عطية ويحتمل ان لم يصح أمر الوادى أن يكون الاخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه * وقال الزمخشرى والسيل مصدر فى معنى السايل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم وأهلكهم انتهى واذا كان السائل هم الكفار فسؤالهم انما كان على انه كذب عندهم فأخبر تعالى انه واقع وعيدا لهم * وقرأ أبى وعبد الله سال سال مثل مال بالقاء صورة الهمزة وهى الياء من الخط تخفيفا * قيل والمراد سائل انتهى ولم يحك هل قرأ بالهمز أو باسقاطها ألبتة فان قرأ بالهمز فظاهر وان قرأ بحذفها فهو مثل شاك شايك حذفت عينه واللام جرى فيها الاعراب والظاهر تعلق بعذاب بسال * وقال أبو عبدالله الرازى يتعلق بمصدر دل عليه فعله كأنه قيل ماسؤاله فقيل سؤاله بعذاب والظاهر اتصال الكافرين بواقع فيكون متعلقا به واللام للعلة أى نازل بهم لأجلهم أى لأجل كفرهم أو على ان اللام بمعنى على قاله بعض النحاة ويؤيده قراءة أبى على الكافرين أو على انه فى موضع أى واقع كائن للكافرين * وقال قتادة والحسن المعنى كأن قائلا قال لمن هذا العذاب الواقع فقيل للكافرين * وقال الزمخشرى أو بالفعل أى دعا للكافرين

ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ما ذكر من توجيهه في الكافرين قال هو كلام مبتدأ جواب للسائل أي هو للكافرين وكان قد قرر أن سال ضمن معنى دعا فعدى تعديته كأنه قال دعا داع بعذاب من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة آمنين انتهى فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني بسأل فكيف يكون كلاما مبتدأ جوابا للسائل أي هو للكافرين هذا لا يصح فقد أخذ قول قتادة والحسن وأفسده والأجود أن يكون من الله متعلقا بقوله واقع وليس له دافع جملة اعتراض بين العامل والمعمول * وقيل يتعلق بدافع أي من جهته اذا جاء وقته ذي المعارج المعارج لغة الدرج وهنا استعارة قال ابن عباس وقتادة في الرتب والفواضل والصفات الحميدة * وقال ابن عباس أيضا المعارج السموات تعرج فيها الملائكة من سماء الى سماء * وقال الحسن هي المراقي الى السماء * وقيل المعارج الغرف أي جعلها لأوليائه في الجنة تعرج قراءة الجمهور بالتاء على التأنيث وعبد الله والكسائي وابن مقسم وزائدة عن الأعمش بالياء * والروح قال الجمهور هو جبريل خص بالذكر تشريفا وأخر هنا بعد الملائكة وقدم في قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا * وقال مجاهد ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم لا تراهم الحفظة كما لا نرى نحن حفظتنا * وقيل الروح ملك غير جبريل عظيم الخلقة * وقال أبو صالح خلق كهيئة الناس وليسوا بالناس * وقال قبيصة بن ذؤيب روح الميت حين تقبض اليه الضمير عائد على الله تعالى أي الى عرشه وحيث يهبط منه أمره تعالى * وقيل اليه أي الى المكان الذي هو محلهم وهو في السماء لانها محل بره وكرامته والظاهر ان المعنى انها تعرج في يوم من أيامكم هذه ومقدار المسافة ان لو عرجها آدمي خمسون ألف سنة قاله ابن عباس وابن اسحق وجماعة من الحذاق منهم القاضي منذر بن سعيد فان كان العارج ملكا فقال مجاهد المسافة هي من قعر الأرض السابعة الى العرش ومن جعل الروح جنس أنواع الحيوان قال وهب المسافة من وجه الارض الى منتهى العرش * وقال عكرمة والحكم أراد مدة الدنيا فانها خمسون ألف سنة لا يدري أحد ما مضى منها وما بقي أي تعرج في مدة الدنيا وبقاء هذه البنية * وقال ابن عباس أيضا هو يوم القيامة * وقيل طوله ذلك العدد وهذا ظاهر ما جاء في الحديث في مانع الزكاة فانه قال في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة * وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري قدره في رزاياه وهوله وشدته للكفار ذلك العدد وفي الحديث يخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة * وقال عكرمة مقدار ما ينقضي فيه من الحساب قدر ما يقضي بالعدل في خمسين ألف سنة من أيام الدنيا * وقال الحسن نحوه * وقيل لا يراد حقيقة العدد انما أريد به طول الموقف يوم القيامة وما فيه من الشدائد والعرب تصف أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر * قال الشاعر يصف أيام الفرح والسرور.

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

والظاهر أن قوله في يوم متعلق بتعرج * وقيل بدافع والجملة من قوله تعرج اعتراض ولما كانوا قد سألوا استعجال العذاب وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب وكانوا قد وعدوا به أمره تعالى بالصبر ومن جعله من السيلان فالمعنى انه أشرف على الوقوع والضمير في يرونه عائد على العذاب أو على اليوم اذا أريد به يوم القيامة وهذا الاستبعاد هو على سبيل الاحالة منهم ونراه قريبا أي هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر وكل ما هو آت قريب والبعد والقرب في الامكان لا في المسافة يوم تكون منصوب باضمار فعل أي يقع يوم تكون أو يوم تكون السماء كالمهل كان

( الدر )

من قولك دعا بكذا أي استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى (ح) فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني سأل فكيف يكون مبتدأ جوابا للسائل أي هو للكافرين هذا لا يصح أخذ قول قتادة والحسن وأفسده والاجود أن يكون من الله متعلقا بقوله واقع وليس له دافع جملة اعتراض بين العامل والمعمول

كيف وكيت أو بقريبا أو بدل من ضمير نراه اذا كان عائدا على يوم القيامة * وقال الزمخشري يوم تكون بدل من في يوم فيمن علقه بواقع انتهى ولا يجوز هذا لان في يوم وان كان في موضع نصب لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس من المواضع التي تراعى في التوابع لان حرف الجر فيها ليس بزائد ولا محكوم له بحكم الزائد كرب وانما يجوز مراعاة المواضع في حرف الجر الزائد كقوله

يابني لبيني لستما بيد * الا يدا ليست لها عضد

ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على مراعاة موضع بزيد ولا مررت بزيد وعمرا ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو وأخاك على مراعاة الموضع (فان قلت) الحركة في يوم تكون حركة بناء لا حركة اعراب فهو مجرور مثل في يوم (قلت) لا يجوز بناؤه على مذهب البصريين لانه أضيف الى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام الزمخشري على مذهبهم ان كان استحضره وقصده * كالمهل تقدم الكلام عليه في سورة الدخان وتكون الجبال كالعهن المنفوش كالذي في القارعة لما نسفت طارت في الجو كالصوف المنفوش اذا طيرته الريح * قال الحسن تسير الجبال مع الرياح ثم تنهد ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء * وقرأ الجمهور ولا يسأل مبنيا للفاعل أي لا يسأله نصرة ولا منفعة لعلمه انه لا يجد ذلك عنده * وقال قتادة لا يسأله عن حاله لانها ظاهرة * وقيل لا يسأله أن يحمل عنه من أوزاره شيأ ليأسه عن ذلك * وقيل شفاعة * وقيل حميما منصوب على اسقاط عن أي عن حميم لشغله بما هو فيه * وقرأ أبو حيوة وشيبة وأبو جعفر والبزي بخلاف عن ثلاثتهم مبنيا للمفعول أي لا يسأل احضاره كل من المؤمن والكافر له سيما يعرف بها وقيل عن ذنوب حميمه ليؤخذ بها * يبصرونهم استئناف كلام * قال ابن عباس في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفر عنه لشغله بنفسه * وقيل يبصرونهم في النار * وقيل يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أي حميما مبصرين معرفين اياهم انتهى وحميم حميما نكرتان في سياق النفي فيعمان ولذلك جمع الضمير * وقرأ قتادة يبصرونهم مخففا مع كسر الصاد أي يبصر المؤمن الكافر في النار قاله مجاهد * وقال ابن زيد يبصر الكافر من أضله في النار عبرة وانتقاما وحزنا * يود المجرم أي الكافر وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذب * وقرأ الجمهور من عذاب يومئذ وأبو حيوة بفتحها وصاحبته زوجته وفصيلته أقرباؤه الادنون تؤويه تضمه انتماء اليها أو لياذا بها في النوائب * ثم ينجيه عطف على يفتدي أي ينجيه الافتداء أو من تقدم ذكرهم * وقرأ الزهري تؤويه وتنجيه بضم الهاءين * كلا ردع لودادتهم الافتداء وتنبيه على انه لا ينفع * انها الضمير للقصة ولظى نزاعة تفسير لها أو للنار الدال عليها العذاب ويكون لظى بدلا من الضمير ونزاعة خبر ان أو خبر مبتدا ولظى خبر ان أي هي نزاعة أو بدل من لظى أو خبر بعد خبر كل هذا ذكروه وذلك على قراءة الجمهور برفع نزاعة * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر انتهى ولا أدري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا انه ذكر بعد هذا أو ضمير القصة لحملت كلامه عليه * وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة والزعفراني وابن مقسم وحفص واليزيدي في اختياره نزاعة بالنصب فتعين أن يكون لظى خبر ان والضمير في انها عائد على النار الدال عليها عذاب وانتصب نزاعة على الحال المؤكدة أو المبينة والعامل فيها لظى وان كان علما لما فيه من معنى التلظي كما عمل العلم في الظرف في قوله * أنا أبو المنهال بعض الأحيان * أي المشهور بعض

نصب لا يبدل منه منصوب لان مثل هذا ليس من المواضع التي تراعى في التوابع لان حرف الجر فيها ليس بزائد ولا محكوم له بحكم الزائد كرب وانما يجوز مراعاة المواضع في حرف الجر الزائد كقوله * يابني لبيني لستما بيد * الا يدا ليست لها عضد * ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على مراعاة موضع زيد ولا مررت بزيد وعمرا ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو وأخاك على مراعاة الموضع فان قلت الحركة في يوم تكون حركة بناء لا حركة اعراب فهو مجرور مثل في يوم قلت لا يجوز بناؤه على مذهب البصريين لانه أضيف الى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين فيتمشى كلام (ش) على مذهبهم ان كان استحضره وقصده (ش) ويجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر انتهى (ح) لا أدري ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير ولولا انه ذكر بعد هذا أو ضمير القصة لحملت كلامه عليه

الاحيان أو على الاختصاص للتهويل قاله الزمخشري وكأنه يعني القطع فالنصب فيها كالرفع فيه إذا أضمرته هو فتضمر هنا أعني تدعو أي حقيقة بخلق الله فيها الكلام كما يخلقه في الأعضاء قال ابن عباس وغيره تدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم * وقال الزمخشري وكما خلق في الشجرة انتهى لأنه يترك مذهب الاعتزال * وقال الخليل مجاز عن استدنائها منهم وما توقعه بهم من عذابها * وقال ثعلب بهلاك تقول العرب دعاك الله أي أهلكك وحكاه الخليل عن العرب قال الشاعر

ليالي يدعوني الهوى فأجيبه * وأعين من أهوى إلى روانى

﴿ وقال آخر ﴾

ترفع للعيان وكل فج * طباه الدعى منه والخلاء

يصف ظليما وطباه أي دعاه والهوى والدعى لا يدعوان حقيقة ولكنه لما كان فيهما ما يجذب صاراً داعيين مجازا * وقيل تدعو أي خزنة جهنم أضيف دعاؤهم إليها من أدبر عن الحق وتولى وجمع فأوعى أي وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد حق الله فيه وهذه اشارة إلى كفار أغنياء * وقال الحكم كان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فأوعى ان الانسان جنس ولذلك استثنى منه الا المصلين * وقيل الاشارة إلى الكفار وقال ثعلب قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسيرا أبين من تفسيره وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس انتهى ولما كان شدة الجزع والمنع متمكنة في الانسان جعل كأنه خلق مجبولا عليهما كقوله خلق الانسان من عجل والخير المال * الا المصلين استثناء كما قلنا من الانسان ولذلك وصفهم بما وصفهم به من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التي ذكر بعد * وقرأ الجمهور على صلاتهم بالافراد والحسن جمعا وديمومتها قال الجمهور المواظبة عليها * وقال ابن مسعود صلاتها لوقتها * وقال عقبة بن عامر يقرون فيها ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا ومنه الماء الدائم * وقال الزمخشري دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها ولا يشتغلون عنها بشئ ومحافظتهم عليها أن يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظونها من الاحباط باقتران المآثم والدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة على أحوالها انتهى وهو جوابه لسؤاله ( فان قلت ) كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال على صلاتهم يحافظون * وأقول ان الديمومة على الشئ والمحافظة عليه شئ واحد لكنه لما كانت الصلاة هي عمود الاسلام بولغ في التوكيد فيها فذكرت أول خصال الاسلام المذكورة في هذه السورة وآخرها ليعلم مرتبتها في الأركان التي بني الاسلام عليها والصفات التي بعد هذه تقدم تفسيرها ومعظمها في سورة قد أفلح المؤمنون * وقرأ الجمهور بشهادتهم على الافراد والسلمي وأبو عمرو وحفص على الجمع * قوله عز وجل ﴿ فقال الذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين * أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا انا خلقناهم مما يعلمون * فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون * على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين * فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون * يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة ويقرأ القرآن فكانوا يحتفون به حلقا حلقا يسمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت وتقدم شرح مهطعين في سورة ابراهيم

كان عليه السلام يصلى عند الكعبة ويقرأ القرآن فكانوا يحتفون به حلقا حلقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت ومعنى قبلك أي في الجهة التي تليك * عن اليمين وعن الشمال * أي عن يمينك وعن شمالك * عزين * جمع عزة وجمع جمع سلامة شذوذا فقيل عزون في الرفع وعزين في النصب والجر وهو منصوب على الحال * ( مما خلقناهم ) * أي أنشأناهم من نطفة مذرة لتعين ذلك ردا على افتخارهم وبعثهم يوم القيامة وعلى الاستبدال بهم خيرا منهم * ( فلا أقسم ) * أقسم تعالى بمخلوقاته على إيجاب قدرته * ( على أن نبدل خيرا منهم ) * ﴿ فذرهم ﴾ وعيد وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف * يومهم * بدل من يومهم * والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا إليه من علم أو بناء أو صنم وغلب في الاصنام حتى قيل الانصاب * ﴿ يوفضون ﴾ * يسرعون وقرأ الجمهور * ( ذلة ) * منونا * ( ذلك اليوم ) * برفع الميم مبتدأ وخبر

عليه السلام ومعنى قبلك أى فى الجهة التى تليك عن اليمين وعن الشمال أى عن يمينك وشمالك
* وقيل نزلت فى المستهزئين الخمسة * وقرأ الجمهور أن يدخل مبنيا للمفعول وابن يعمر والحسن
وأبو رجاء وزيد بن على وطلحة والمفضل عن عاصم مبنيا للفاعل كلا رد وردع لطماعيتهم اذ
أظهروا ذلك وان كانوا لا يعتقدون صحة البعث ولا أن ثم جنة ولا نارا إنا خلقناهم مما يعلمون أى
أنشأناهم من نطفة مذرة فنحن قادرون على اعادتهم وبعثهم يوم القيامة وعلى الاستبدال بهم خيرا
منهم قيل بنفس الخلق ومنته عليهم بذلك يعطى الجنة بل بالايمان والعمل الصالح * وقال قتادة
فى تفسيرها انما خلقت من قذر يا ابن آدم * وقال أنس كان أبو بكر اذا خطبنا ذكرنا ابن
آدم ومروره فى مجرى البول مرتين وكذلك نطفة فى الرحم ثم علقة ثم مضغة الى أن يخرج فيتلوث
فى نجاسته طفلا فلا يقلع أبو بكر حتى يقذر أحدنا نفسه فكأنه قيل اذا كان خلقكم من نطفة
مذرة فمن أين تتشرفون وتدعون دخول الجنة قبل المؤمنين وأبهم فى قوله مما يعلمون وان كان
قد صرح به فى عدة مواضع احالة على تلك المواضع ورأى مطرف بن عبد الله بن الشخير المهلب
ابن أبى صفرة يتبختر فى مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التى يبغضها الله
تعالى فقال له أتعرفنى قال نعم أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت تحمل عذرة فمضى المهلب
وترك مشيته * وقرأ الجمهور فلا أقسم برب المشارق والمغارب لا نفيا وجمعهما وقوم بلام دون
ألف وعبد الله بن مسلم وابن محيصن والجحدرى المشرق والمغرب مفردين أقسم تعالى بمخلوقاته
على إيجاب قدرته على أن يبدل خيرا منهم وأنه لا يسبقه شئ الى ما يريد * فذرهم يخوضوا ويلعبوا
وعيد وما فيه من معنى المهادنة هو منسوخ بآية السيف * وقرأ أبو جعفر وابن محيصن يلقوا
مضارع لقى * والجمهور يلاقوا مضارع لاقى * والجمهور يخرجون مبنيا للفاعل * قال ابن
عطية وروى أبو بكر عن عاصم مبنيا للمفعول ويوم بدل من يومهم * وقرأ الجمهور نصب بفتح
النون وسكون الصاد وأبو عمران الجونى ومجاهد بفتحهما وابن عامر وحفص بضمهما والحسن
وقتادة بضم النون وسكون الصاد والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم أو بناء
أو صنم وغلب فى الأصنام حتى قيل الأنصاب * وقال أبو عمرو هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها
صاحبها مخافة أن يتفلت الصيد منها * وقال مجاهد نصب علم ومن قرأ بضمهما قال ابن زيد أى
أصنام منصوبة كانوا يعبدونها * وقال الأخفش هو جمع نصب كرهن ورهن والأنصاب جمع الجمع
يوفضون يسرعون * وقال أبو العالية يستبقون الى غايات * قال الشاعر

فوارس ذبيان تحت الحديد * كالجن يوفضن من عبقر

* وقال آخر فى معنى الاسراع

لأنعتن نعامة ميفاضا * خرجاء ظلت تطلب الاضاضا

* وقال ابن عباس وقتادة يسعون * وقال الضحاك ينطلقون * وقال الحسن يبتدرون * وقرأ
الجمهور ذلة منونا * ذلك اليوم برفع الميم مبتدأ وخبر * وقرأ عبد الرحمن بن خلاد عن داود بن سالم
عن يعقوب والحسن بن عبد الرحمن عن التمار ذلة بغير تنوين مضافا الى ذلك واليوم بخفض الميم

﴿ سورة نوح عليه السلام ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ إنا أرسلنا نوحا الى قومه ﴾ الآية هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما أقسم على أن يبدل خيرا منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين وكذبوا بما وعدوا به من العذاب ذكر قصة نوح وقومه معه وكانوا أشد تمردا من المشركين فأخذهم الله تعالى أخذ استئصال حتى أنه لم يبق لهم على وجه الارض نسل وكانوا عباد أصنام كمشركى مكة فحذر تعالى قريشا أن يصيبهم عذاب استئصال ان لم يؤمنوا ونوح عليه السلام أول نبي أرسل ويقال له شيخ المرسلين وآدم الثانى ﴿ أن أنذر ﴾ يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون تفسيرية ﴿ عذاب أليم ﴾ قال ابن عباس عذاب النار فى الآخرة ﴿ من ذنوبكم ﴾ من للتبعيض لأن الايمان انما يجب ما قبله من الذنوب لا ما بعده * قال ابن عطية من فى من ذنوبكم مزيدة وهو مذهب كوفى وأقول أخفشى لا كوفى لأنهم يشترطون أن يكون بعد من نكرة ولا يبالون بما قبلها من واجب أو غيره وجواب لو محذوف تقديره لو كنتم تعلمون لبادرتم الى طاعته وتقواه ولما لم يجيبوه وآذوه شكا الى ربه شكوى من يعلم أن الله تعالى عالم بحاله مع قومه لما أمر بالانذار فلم يجدهم ﴿ قال رب انى دعوت قومى ﴾ أى جميع الأوقات من غير فتور ولا تعطيل فى وقت فلم يزدادوا الا اعراضا ونفورا عن الحق ﴿ وانى كلما دعوتهم ﴾ أى ليتوبوا فتغفر لهم ذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون أقبح فى اعراضهم عنه ﴿ جعلوا أصابعهم فى آذانهم ﴾ الظاهر أنه حقيقة سدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم اليه وتغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا اليه كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح ويجوز أن يكون ذلك كناية عن المبالغة فى اعراضهم عما دعاهم اليه فهم بمنزلة من سد سمعه ومنع بصره ثم كرر صفة دعائه بيانا وتوكيدا لما ذكر دعاءه عموم الأوقات ذكر عموم حالات الدعاء وكلما دعوتهم يدل على تكرر الدعوات فلم يبين حالة دعائه أولا والظاهر أن يكون دعاؤه اسرارا لأنه يكون ألطف بهم ولعلهم يقبلون منه كحال من ينصح فى السر فانه جدير أن يقبل منه فلما لم يجد له الاسرار انتقل الى أشد منه وهو دعاؤهم جهارا



﴿ سورة نوح مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال ياقوم إنى لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى إن أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون * قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا * فلم يزدهم دعائى إلا فرارا * وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا * ثم إنى دعوتهم جهارا * ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * مالكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا * وجعل الشمس سراجا * والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا * والله جعل لكم الأرض بساطا * لتسلكوا منها سبلا فجاجا * قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا * ومكروا مكرا كبارا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا * وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا * مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا * وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا * رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا ﴾ * الأطوار الأحوال المختلفة قال

فان أفاق فقد طارت عمايته * والمرء يخلق طورا بعد أطوار

ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا أسماء أصنام أعلام لها اتخذها قوم نوح عليه السلام آلهة

﴿ إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم * قال ياقوم إنى لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى إن أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون * قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا * فلم يزدهم دعائى إلا فرارا * وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا

واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا * فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * مالكم لا ترجون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا ﴾

هذه السورة مكية * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما أقسم على أن يبدل خيرا منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين وكذبوا بما وعدوا به من العذاب ذكر قصة نوح وقومه معه وكانوا أشد تمردا من المشركين فأخذهم الله أخذ استئصال حتى انه لم يبق لهم نسلا على وجه الارض وكانوا عباد أصنام كمشركي مكة لحذر تعالى قريشا أن يصيبهم عذاب يستأصلهم ان لم يؤمنوا ونوح عليه السلام أول نبي أرسل ويقال له شيخ المرسلين وآدم الثاني وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ وهو ادريس بن برد بن مهلاييل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام * أن أنذر قومك يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون تفسيرية عذاب أليم * قال ابن عباس عذاب النار في الآخرة * وقال الكلبي ما حل بهم من الطوفان من ذنوبكم من للتبعيض لان الايمان انما يجب ما قبله من الذنوب لا ما بعده * وقيل لابتداء الغاية * وقيل زائدة وهو مذهب قال ابن عطية كوفي وأقول اخفشي لا كوفي لانهم يشترطون أن تكون بعد من نكرة ولا يبالون بما قبلها من واجب أو غيره والأخفش يجيز مع الواجب وغيره * وقيل النكرة والمعرفة * وقيل لبيان الجنس ورد بأنه ليس قبلها ما تبينه * قال الزمخشري ( فان قلت ) كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض (قلت) قضى الله مثلا أن قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أي الى وقت سماه الله تعالى وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الألف ثم أخبر أنه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا في أوقات الامهال والتأخير انتهى * وقال ابن عطية ويؤخركم الى أجل مسمى مما تعلقت المعتزلة به في قولهم أن للانسان أجلين قالوا لو كان واحدا محددا لما صح التأخير ان كان الحد قد بلغ ولا المعاجلة ان كان لم يبلغ قال وليس لهم في الآية تعلق لأن المعنى أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل ولا قال لهم انكم تؤخرون عن أجل قد حان لكم لكن قد سبق في الازل أنهم إما ممن قضى له بالايمان والتأخير واما ممن قضى له بالكفر والمعاجلة ثم تشدد هذا المعنى ولاح بقوله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وجواب لو محذوف تقديره لو كنتم تعلمون لبادرتم الى عبادته وتقواه وطاعتي فيما جئتكم به منه تعالى ولما لم يجيبوه وآذوه شكا الى ربه شكوى من يعلم أن الله تعالى عالم بحاله مع قومه لما أمر بالانذار فلم يجد فيهم * قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا أي جميع الأوقات من غير فتور ولا تعطيل في وقت ولما ازدادوا اعراضا ونفارا عن الحق جعل الدعاء هو الذي زادهم اذ كان سبب الزيادة ومثله فزادتهم رجسا الى رجسهم * واني كلما دعوتهم لتغفر لهم أي ليتوبوا فتغفر لهم ذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح في إعراضهم عنه جعلوا أصابعهم في آذانهم الظاهر أنه حقيقة فسدوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم اليه وتغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا اليه كراهة وبغضا من سماع النصح ورؤية الناصح ويجوز أن يكون كناية عن المبالغة في اعراضهم عن ما دعاهم اليه فهم بمنزلة من سد سمعه ومنع بصره ثم كرر صفة دعائه بيانا وتوكيدا لما ذكر دعاءه عموم الأوقات ذكر عموم حالات الدعاء وكلما دعوتهم يدل على تكرر

صلتا بالدعاء الى الله تعالى لا يحاشي أحدا فلما لم يجد عاد الى الاعلان والاسرار ومدرارا من الدر وهو صفة يستوى فيها المذكر والمؤنث ونصبها على الحال ومعناه كثيرة الدر ﴿لا ترجون﴾ لا تخافون والوقار بمعنى العظمة والسلطان والكلام على هذا وعيد وتخويف ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ جملة حالية تحمل على الايمان بالله تعالى وافراده بالعبادة اذ في هذه الجملة الحالية التنبيه على تدريج الانسان في أطوار لا يمكن أن تكون الا من خلقه تعالى قال ابن عباس من النطفة والعلقة والمضغة

الدعوات فلم يبين حالة دعائه أولا وظاهره أن يكون دعاؤه اسرارا لأنه يكون ألطف بهم ولعلهم يقبلون منه كحال من ينصح فى السر فانه جدير أن يقبل منه فلما لم يجد له الاسرار انتقل الى أشد منه وهو دعاؤهم جهارا صلتا بالدعاء الى الله لا يحاشى أحدا فلما لم يجد عاد الى الاعلان والى الأسرار * قال الزمخشرى ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما انتهى وكثيرا كرر الزمخشرى أن ثم للاستبعاد ولا نعلمه من كلام غيره وانتصب جهارا بدعوتهم وهو أحد نوعى الدعاء ويجىء فيه من الخلاف ما جاء فى نصب هو يمشى الخوزلى * قال الزمخشرى أو لأنه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا به أو مصدرا فى موضع الحال أى مجاهرا ثم أخبر أنه أمرهم بالاستغفار وأنهم اذا استغفروا ادر لهم الرزق فى الدنيا فقدم ما يسرهم وما هو أحب اليهم اذ النفس متشوفة الى الحصول على العاجل كما قال تعالى وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب * ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا الفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض * ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل الآية * وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم * قال قتادة كانوا أهل حب للدنيا فاستدعاهم الى الآخرة من الطريق التى يحبونها * وقيل لما كذبوه بعد طول تكرار الدعاء قحطوا وأعقم نساؤهم فبدأهم فى وعده بالمطر ثم ثنى بالأموال والبنين ومدرارا من الدر وهو صفة يستوى فيها المذكر والمؤنث ومفعال لا تلحقه التاء الا نادرا فيشترك فيه المذكر والمؤنث تقول رجل محدامة ومطرابة وامرأة محدابة ومطرابة والسماء المظلة * قيل لان المطر ينزل منها الى السحاب ويجوز أن يراد السحاب والمطر كقوله * اذا نزل السماء بأرض قوم * البيت الرجاء بمعنى الخوف وبمعنى الأمل * فقال أبو عبيدة وغيره لا ترجون لا تخافون قالوا والوقار بمعنى العظمة والسلطان والكلام على هذا وعيد وتخويف * وقيل لا تأملون له توقيرا أى تعظيما * قال الزمخشرى والمعنى ما لكم لا تكونون على حال ما يكون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا * وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر انتهى * وقيل ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله وتلقاءه وقارا ويكون على هذا منهم كأنه يقول تؤدة منكم وتمكنا فى النظر لأن الفكر مظنة الخفة والطيش وركوب الرأس انتهى وفى التحرير قال سعيد بن جبير ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون عقابا وقاله ابن جبير عن ابن عباس * وقال العوفى عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة * قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم أرج لم أبال انتهى لا ترجون حال وقد خلقكم أطوارا جملة حالية تحمل على الايمان بالله وافراده بالعبادة اذ فى هذه الجملة الحالية التنبيه على تدريج الانسان فى أطوار لا يمكن أن تكون الا من خلقه تعالى * قال ابن عباس ومجاهد من النطفة والعلقة والمضغة * وقيل فى اختلاف ألوان الناس وخلقهم وخلقهم وملهم * وقيل صبيانا ثم شبابا ثم شيوخا وضعفاء ثم أقوياء * وقيل معنى أطوارا أنواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا * قوله عز وجل ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا * وجعل الشمس سراجا * والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا * والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا * قال نوح رب انهم

﴿ألم تر كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ الآية لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر فى أنفسهم وكيف انتقلوا من حال الى حال وكانت الانفس أقرب ما يفكرون فيه منهم أرشدهم الى الفكر فى العالم علوه وسفله وما أودع تعالى فى العالم العلوى من هذين النيرين اللذين بهما قوام الوجود والضمير فى فيهن عائد على السموات والانبات استعارة فى الانشاء أنشأ آدم من الارض وصارت ذريته منه فصح نسبتهم كلهم الى أنهم أنبتوا منها وانتصاب نباتا بأنبتكم مصدرا على حذف الزائد أى انباتا أو على اضمار فعل أى فنبتم نباتا ﴿ثم يعيدكم﴾ أى يصيركم فيها مقبورين ﴿ويخرجكم اخراجا﴾ أى يوم القيامة وأكده بالمصدر أى ذلك واقع لا محالة ﴿بساطا﴾ تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ﴿سبلا﴾ طرقا ﴿فجاجا﴾ متسعة ولما أصروا على العصيان وعاملوه بأقبح الاقوال والافعال ﴿قال نوح رب انهم

---

( الدر )

---

﴿سورة نوح﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع

عصوني ﴾ الضمير للجميع وكان قد قال لهم وأطيعون وكان عليه السلام أقام فيهم مانص الله تعالى عليه ألف سنة الا خمسين عاما وكانوا قد وسع عليهم في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين ﴿ واتبعوا ﴾ رؤساءهم وكبراءهم وهم الذين كانوا سبب خسارهم في الدنيا والآخرة ﴿ ومكروا ﴾ يظهر أنه معطوف على صلة من وجمع الضمير في مكروا ﴿ وقالوا ﴾ على المعنى ومكرهم هو احتيالهم في الدين وتحريش الناس على نوح عليه السلام وكبارا مبالغة في الكبر كطوال وجمال وقالوا أي كبراؤهم لاتباعهم ﴿ لا تذرن آلهتكم ﴾ أي أصنامكم وهو عام في جميع أصنامهم ثم خصوا بعدأ كابر أصنامهم وهو ود وما عطف عليه روي أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الزمان ماتوا فصورت أشكالهم لتذكر أفعالهم الصالحة ثم هلك من صورهم وخلف من يعظمها ثم كذلك حتى عبدت قيل ثم انتقلت تلك الاصنام  باعيانها وقيل بل الاسماء فقط الى قبائل من العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمراد ويعوق لهمدان ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بهذه الاسماء قال أبو عثمان النهدي رأيت يغوث وكان من رصاص يحمل على جمل أجرد لا يهيجونه ويسيرون معه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فينزلون حوله ويضربون عليه بناء انتهى ولما أخبر أنهم قد أضلوا كثيرا دعا عليهم بالضلال فقال ولا تزد وهي معطوفة على وقد أضلوا اذ تقديره وقال قد أضلوا كثيرا فهي لقال المضمرة المحكي قوله وقد أضلوا ولا يشترط التناسب في عطف الجمل بل قد تعطف جملة الانشاء على جملة الخبر والعكس خلافا لمن يدعي التناسب وقرئ خطيئاتهم جمعا ﴿ أغرقوا ﴾ قال الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب ﴿ فلم يجدوا لهم ﴾ تعريض بانتفاء قدرة آلهتهم على نصرهم ودعاء نوح عليه السلام عليهم بعد أن أوحي اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وديارا من ألفاظ العموم التي تستعمل في النفي وما أشبهه ولما دعا على الكفار استغفر للمؤمنين فبدأ بنفسه ثم بمن وجب بره عليه ثم للمؤمنين فكان هو ووالداه اندرجوا في المؤمنين والمؤمنات وقال ابن عباس لم يكفر لنوح عليه السلام أب ما بينه وبين آدم عليه السلام ﴿ ولمن دخل بيتي مؤمنا ﴾ قال ابن عباس مسجدي وقيل شريعتي استعار لها بيتا كما قالوا قبة الاسلام ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ دعاء لكل مؤمن ومؤمنة في كل أمة والتبار الهلاك

عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا * ومكروا مكرا كبارا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا * ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا * مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا * فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا * وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا * إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ﴾ لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في أنفسهم وكيف انتقلوا من حال الى حال وكانت الانفس أقرب ما يفكرون فيه منهم أرشدهم الى الفكر في العالم علوه وسفله وما أودع تعالى فيه أي في العالم العلوي من هذين النيرين اللذين بهما قوام الوجود وتقدم شرح طباقا في سورة الملك والضمير في فيهن عائد على السموات ويقال القمر في السماء الدنيا وصح كون السموات ظرفا للقمر لأنه لا يلزم من الظرف ان يملأه المظروف تقول زيد في المدينة وهو في جزء منها ولم تقيد الشمس بظرف * فقيل هي في الرابعة * وقيل في الخامسة * وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة وهذا شيء لا يوقف على معرفته الا من علم الهيئة ويذكر أصحاب هذا العلم انه يقوم عندهم البراهين القاطعة على صحة ما يدعونه وان في معرفة ذلك دلالة واضحة على عظمة الله وقدرته وباهر مصنوعاته سراجا يستضيء به أهل الدنيا كما يستضيء الناس بالسراج في بيوتهم ولم يبلغ القمر مبلغ الشمس في الاضاءة ولذلك جاء هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور والانبات استعارة في الانشاء انشأ آدم من الأرض وصارت ذريته منه فصح نسبتهم كلهم الى أنهم أنبتوا منها وانتصاب نباتا بأنبتكم مصدرا على حذف الزائد أي انباتا أو على اضمار فعل أي فنبتم نباتا * وقال الزمخشري المعنى أنبتكم فنبتم أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم انتهى ولا أعقل معنى هذا الوجه الثاني الذي ذكره ثم يعيدكم فيها أي يصيركم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا أي يوم القيامة وأكده بالمصدر أي ذلك واقع لا محالة بساطا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وظاهره أن الأرض ليست كروية بل هي مبسوطة سبلا طرقا فجاجا متسعة وتقدم الكلام على الفج في سورة

(البين) بين الأمرين أغاظ من افرادأحدهما انتهى (ح) كثيرا قرر (ش) أن ثم للاستبعاد ولا نعلمه من كلام غيره

الحجج ولما أصروا على العصيان وعاملوه بأقبح الأقوال والأفعال قال نوح رب إنهم عصوني الضمير للجميع وكان قد قال لهم وأطيعون وكان قد أقام فيهم ما نص الله تعالى عليه ألف سنة الا خمسين عاما وكانوا قد وسع عليهم في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين واتبعوا أي عامتهم وسفلتهم اذ لا يصح عوده على الجميع في عبادة الاصنام * من لم يزده أي رؤساؤهم وكبراؤهم وهم الذين كان ما تأثلوه من المال وما تكثروا به من الولد سببا في خسارتهم في الآخرة وكان سبب هلاكهم في الدنيا * وقرأ ابن الزبير والحسن والنخعي والأعرج ومجاهد والاخوان وابن كثير وأبو عمرو ونافع في رواية خارجة وولده بضم الواو وسكون اللام والسلمي والحسن أيضا وأبو رجاء وابن وثاب وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر بفتحهما وهما لغتان كبخل وبخل والحسن أيضا والجحدري وقتادة وزر وطلحة وابن أبي اسحاق وأبو عمرو في رواية بكسر الواو وسكون اللام * وقال أبو حاتم يمكن أن يكون الولد بالضم جمع الولد كخشب وخشب وقد قال حسان بن ثابت

يا بكر آمنة المبارك بكرها * من ولد محصنة بسعد الأسعد

ومكروا الظاهر انه معطوف على صلة من وجمع الضمير في ومكروا وقالوا على المعنى ومكرهم احتيالهم في الدين وتحريش الناس على نوح عليه السلام * وقرأ الجمهور كبارا بتشديد الباء وهو بناء فيه مبالغة كثير * قال عيسى ابن عمر هي لغة يمانية وعليها قول الشاعر

والمرء يلحقه بفتيان الندى * خلق الكريم وليس بالوضاء

﴿ وقول الآخر ﴾

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي * بالحسن قلب المسلم القراء

ويقال حسان وطوال وجمال * وقرأ عيسى وابن محيصن وأبو السمال بخف الباء وهو بناء مبالغة وقرأ زيد بن علي وابن محيصن فيما روى عنه أبو الاخريط وهب بن واضح كبارا بكسر الكاف وفتح الباء * وقال ابن الانباري هو جمع كبير كأنه جعل مكرا مكان ذنوب أو أفاعيل انتهى يعني فلذلك وصفه بالجمع وقالوا أي كبراؤهم لأتباعهم أو قالوا أي جميعهم بعضهم لبعض لا تذرن لا تتركن آلهتكم أي أصنامكم وهو عام في جميع أصنامهم ثم خصوا بعد أكابر أصنامهم وهو ودّ وما عطف عليه وروى أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الزمان * قال عروة بن الزبير كانوا بني آدم وكان ودّا أكبرهم وأبرهم به * وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس كانوا بني آدم ونوح عليهما السلام ماتوا فصورت أشكالهم لتذكر أفعالهم الصالحة ثم هلك من صورهم وخلف من يعظمها ثم كذلك حتى عبدت * قيل ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها * وقيل بل الاسماء فقط الى قبائل من العرب فكان ودّ لكلب بدومة الجندل * وسواع لهذيل * وقيل لهمدان * ويغوث لمراد * وقيل لمذحج ويعوق لهمدان * وقيل لمراد * ونسر لحمير * وقيل لذي الكلاع من حمير ولذلك سمت العرب بعبد ودّ وعبد يغوث وما وقع من هذا الخلاف في سواع ويغوث ويعوق يمكن أن يكون لكل واحد منهما صنم يسمى بهذا الاسم اذ يبعد بقاء أعيان تلك الأصنام فانما بقيت الأسماء فسموا أصنامهم بها قال أبو عثمان النهدي رأيت يغوث وكان من رصاص يحمل على جمل أجرد يسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فينزلون حوله ويضربون له بناء انتهى * وقال الثعلبي كان يغوث لكهلان من سبأ يتوارثونه حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري * ولا يبري يغوث ولا يريش

وقال الماوردي ود اسم صنم معبود سمي ودا لودهم له انتهى * وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهذا مناف لما تقدم من انهم صور واصور ناس صالحين * وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة بخلاف عنهم ودا بضم الواو والحسن والأعمش وطلحة وباقي السبعة بفتحها قال الشاعر

حياك ودّ فانا لا يحل لنا * لهو النساء وان الدين قد عزما

﴿ وقال آخر ﴾

(١) فحياك ودّ من هداك لفتية * وخوص بأعلا ذي فضالة هجه

قيل أراد ذلك الصنم * وقرأ الجمهور ولا يغوث ويعوق بغير تنوين فان كانا عربيين فمنع الصرف للعلمية ووزن الفعل وان كانا أعجميين فللعجمة والعلمية * وقرأ الأشهب ولا يغوثا ويعوقا بتنوينهما قال صاحب اللوامح جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فأما في العامة فانهما صفتان من الغوث والعوق يفعل منهما وهما معرفتان فلذلك منع الصرف لاجتماع الفعلين اللذين هما تعريف ومشابهة الفعل المستقبل انتهى وهذا تخبيط أما أولا فلا يمكن أن يكونا فعولا لان مادة يغث مفقودة وكذلك يعق وأما ثانيا فليسا بصفتين من الغوث والعوق لان يفعلا لم يجئ اسما ولا صفة وانما امتنعا من الصرف لما ذكرناه * وقال ابن عطية * وقرأ الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وذلك وهم لان التعريف لازم ووزن الفعل انتهى وليس ذلك بوهم ولم ينفرد الأعمش بذلك بل قد وافقه الاشهب العقيلي على ذلك وتخريجه على أحد الوجهين أحدهما انه جاء على لغة من يصرف جميع مالا ينصرف عند عامة العرب وذلك لغة وقد حكاها الكسائي وغيره والثاني انه صرف لمناسبة ماقبله ومابعده من المنون إذ قبله ودا ولا سواعا وبعده ونسرا كما قالوا في صرف سلاسلا وقوارير اقوارير لمن صرف ذلك للمناسبة * وقال الزمخشري وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين أو أعجميين ففيهما منع الصرف ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج انتهى وكان الزمخشري لم يدر ان ثم لغة لبعض العرب تصرف كل مالا ينصرف عند عامتهم فلذلك استشكلها * وقد أضلوا أي الرؤساء المتبوعون كثيرا من أتباعهم وعامتهم وهذا اخبار من نوح عليه السلام عنهم بما جرى على أيديهم من الضلال * وقال الحسن وقد أضلوا أي الأصنام عاد الضمير عليها كما يعود على العقلاء كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيرا من الناس ويحسنه عوده على أقرب مذكور ولكن عوده على الرؤساء أظهر إذهم المحدث عنهم والمعنى فيهم أمكن ولما أخبر انهم قد ضلوا كثيرا دعا عليهم بالضلال * فقال ولا تزد وهي معطوفة على وقد أضلوا إذ تقديره وقال وقد أضلوا كثيرا فهي معمولة لقال المضمرة المحكي بها قوله وقد أضلوا ولا يشترط التناسب في عطف الجمل بل قد يعطف جملة الانشاء على جملة الخبر والعكس خلافا لمن يدعي التناسب * وقال الزمخشري ماملخصه عطف ولا تزد على رب انهم عصوني أي قال هذين القولين * إلا ضلالا * قال الزمخشري (فان قلت) كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو

(الدر) (ح) قرأ الأعمش والأشهب العقيلي ولا يغوثا ويعوقا بتنوينهما قال صاحب اللوامح جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فأما في الغاية فانهما صفتان من الغوث والعوق يفعل منهما وهما معرفتان فلذلك منع الصرف لاجتماع الثقلين اللذين هما التعريف ومشابهة الفعل المستقبل انتهى وهذا تخبيط أما أولا فلا يمكن أن يكونا فعولا لان مادة يغث مفقودة وكذلك مادة يعق وأما ثانيا فليسا بصفتين من الغوث والعوق لان يفعلا لم يجئ اسما ولا صفة وانما امتنع من الصرف لما ذكرناه وقال (ع) وقرأ الأعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وذلك وهم لان التعريف لازم و وزن الفعل انتهى وليس بوهم ولم ينفرد الأعمش بذلك بل قد وافقه الاشهب العقيلي على ذلك وتخريجه على أحد وجهين انه جاء على لغة من يصرف جميع مالا ينصرف عند عامة العرب وذلك لغة وقد حكاها الكسائي وغيره والثاني انه صرف لمناسبة ماقبله ومابعده من المنون اذ قبله ودا ولا سواعا وبعده ونسرا كما قالوا في صرف سلاسلا وقوارير اقوارير ان صرف ذلك لمناسبة وقال (ش) وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين أو أعجميين ففيهما منع الصرف ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما متصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج انتهى و (ش) لم يدر أن ثم لغة لبعض العرب يصرف كل مالا ينصرف عند عامتهم فلذلك استشكلها

الله بزيادته (قلت) المراد بالضلال أن يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه انتهى وذلك على مذهب الاعتزال * قال ويجوز أن يراد بالضلال الضياع والهلاك كما قال ولا تزد الظالمين إلا تبارا * وقال ابن بحر إلا ضلالا إلا عذابا قال كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر * وقيل إلا خسرانا * وقيل إلا ضلالا فى أمر دنياهم وترويج مكرهم وحيلهم * وقرأ الجمهور مما خطيئاتهم جمعا بالألف والتاء مهموزا وأبو رجاء كذلك إلا أنه أبدل الهمزة ياء وأدغم فيها ياء المد والجحدرى وعبيد عن أبى عمرو على الافراد مهموزا والحسن وعيسى والأعرج بخلاف عنهم وأبو عمرو خطاياهم جمع تكسير وهذا اخبار من الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام بان دعوة نوح عليه السلام قد أجيبت وما زائدة للتوكيد ومن قال ابن عطية لابتداء الغاية ولا يظهر إلا أنها للسبب * وقرأ عبد الله من خطيئاتهم ما أغرقوا بزيادة ما بين أغرقوا وخطيئاتهم * وقرأ الجمهور أغرقوا بالهمزة وزيد بن على غرقوا بالتشديد وكلاهما للنقل وخطيئاتهم الشرك وما انجر معه من الكبائر فأدخلوا نارا أى جهنم وعبر عن المستقبل بالماضى لتحققه وعطف بالفاء على إرادة الحكم أو عبر بالدخول عن عرضهم على النار غدوا وعشيا كما قال النار يعرضون عليها * قال الزمخشرى أو أريد عذاب القبر انتهى * وقال الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا تعريض بانتفاء قدرة آلهتهم عن نصرهم ودعاء نوح عليه السلام بعد أن أوحى اليه انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن قاله قتادة * وعنه أيضا ما دعا عليهم إلا بعد أن أخرج الله كل مؤمن من الأصلاب وأعقم أرحام نسائهم وهذا لا يظهر لانه قال إنك ان تذرهم يضلوا عبادك الآية فقوله ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا يدل على انه لم يعقم أرحام نسائهم وقاله أيضا محمد بن كعب والربيع وابن زيد ولا يظهر كما قلنا وقد كان قبل ذلك طامعا فى إيمانهم عاطفا عليهم * وفى الحديث انه ربما ضربه ناس منهم أحيانا حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وديارا من ألفاظ العموم التى تستعمل فى النفى وما أشبهه ووزنه فيعال أصله ديوار اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت ويقال منه دوّار ووزنه فعال وكلاهما من الدوران كما قالوا قيام وقوام والمعنى معنى أحد وعن السدى من سكن دارا * وقال الزمخشرى وهو فيعال من الدور أو من الدار انتهى والدار أيضا من الدور وألفها منقلبة عن واو ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا وصفهم وهم حالة الولادة بما يصيرون اليه من الفجور والكفر ولما دعا على الكفار استغفر للمؤمنين فبدأ بنفسه ثم بمن وجب بره عليه ثم للمؤمنين فكان هو ووالداه اندرجوا فى المؤمنين والمؤمنات * وقرأ الجمهور ولوالدىّ والظاهر انهما أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش * وقيل هما آدم وحوّاء * وقرأ ابن جبير والجحدرى ولوالدى بكسر الدال فاما أن يكون خص أباه الأقرب أو أراد جميع من ولده الى آدم عليه السلام * وقال ابن عباس لم يكفر لنوح عليه السلام أب ما بينه وبين آدم عليه السلام * وقرأ الحسين بن علىّ ويحيى بن يعمر والنخعى والزهرى وزيد بن علىّ ولولدى تثنية ولد يعنى ساما وحاما * ولمن دخل بيتى * قال ابن عباس والجمهور مسجدى وعن ابن عباس أيضا شريعتى استعار لها بيتا كما قالوا قبة الاسلام وفسطاطه * وقيل سفينته * وقيل داره وللمؤمنين والمؤمنات دعا لكل مؤمن ومؤمنة فى كل أمة * والتبار الهلاك

(الدر)

(ش) وهو فيعال من الدور أو من الدار انتهى (ح) والدار أيضا هى من الدور وألفها منقلبة عن واو

﴿سورة الجن﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أنه لما حكى تمادي قوم  نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام وكان أول رسول الى الارض كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول الى الأرض والعرب الذين هو منهم كانوا عباد أصنام كقوم نوح حتى أنهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك في الأسماء وكان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هاديا الى الرشد وقد سمعته العرب وتوقف عن الايمان به أكثرهم أنزل الله تعالى سورة الجن اثر سورة نوح تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطؤا عن الايمان اذ كانت الجن خيرا منهم وأقبل الى الايمان هذا وهم من غير جنس الرسول عليه السلام ومع ذلك فبنفس ما سمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس بخلاف العرب فانه نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزا وهم مع ذلك مكذبون له ولمن جاء به حسدا وبغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده وانه استمع في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله أي استماع نفر من الجن والمشهور أن هذا الاستماع هو المذكور في الأحقاف وهي قصة واحدة وقيل قصتان والجن الذين أتوه بمكة جن نصيبين والذين أتوه بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها قال عكرمة سورة اقرأ باسم ربك الاعلى وقيل سورة الرحمن ولم تتعرض الآية لاهنا ولا في الاحقاف الى أنه رآهم وكلهم عليه السلام ويظهر من الحديث أن ذلك كان مرتين

﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا * وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا * وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا * وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا * وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا * وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا * وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا * وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا * وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا * وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا * وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا * وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا * وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا * وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا * قل إنما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا * قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا * إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا * حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا * قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا﴾ * الجد لغة العظمة والجلال وجد في عيني عظم وجل * وقال أبو عبيدة والاخفش الملك والسلطان والجد الحظ والجد أبو الأب * الحرس اسم جمع الواحد حارس كغيب واحده غائب وقد جمع على أحراس * قال الشاعر

* تجاوزن أحراسا وأهوال معشر * كشاهد وأشهاد والحارس الحافظ للشئ يرقبه * القدد السير المختلفة الواحدة قدة * قال الشاعر

القابض الباسط الهادي بطاعته * في فتنة الناس إذ أهواؤهم قدد

﴿وقال الكميت﴾

جمعت بالرأي منهم كل رافضة * إذ هم طرائق في أهوائهم قدد

تحري الشئ طلبه باجتهاد وتوخاه وقصده * الغدق الكثير * اللبد جمع لبدة وهو تراكم بعضه فوق بعض ومنه لبدة الاسد * ويقال للجراد الكثير المتراكم لبد ومنه اللبد الذي يفرش بلبد صوفه دخل بعضه في بعض ﴿قل أوحي الي أنه استمع نفر من الجن﴾

أحداهما في مبدأ مبعثه عليه السلام وهو في الوقت الذي أخبر فيه عبد الله بن مسعود أنه لم يكن معه ليلة الجن وقد كانوا افتقدوه صلى الله عليه وسلم فالتمسوه في الأودية والشعاب فلم يجدوه فلما أصبح اذا هو جاء من قبل حراء وفيه أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نارهم والمرة الاخرى كان معه ابن مسعود وقد استندب الرسول عليه السلام من يقوم معه الى أن يتلو القرآن على الجن فلم يقم أحد غير عبد الله بن مسعود فذهب معه الى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا وقال لا تجاوزه فانحدر عليه صلى الله عليه وسلم أمثال الحجل يجرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفهن حتى غشوه فلم أره فقمت فأومأ بيده الى أن اجلس فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع واختفوا في الارض حتى ما أراهم الحديث ويدل على أنهما قصتان اختلافهم في العدد فقيل سبعة وقيل تسعة وقيل غير ذلك ﴿فقالوا إنا سمعنا﴾ أي قالوا لقومهم لما رجعوا اليهم ووصفوا ﴿قرآنا﴾ بقولهم ﴿عجبا﴾ وصفا بالمصدر على سبيل المبالغة أي هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مباينا لسائر الكتب والعجب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره ﴿يهدي الى الرشد﴾ أي يدعو الى الصواب ﴿فآمنا به﴾ أي بالقرآن ولما كان الايمان متضمنا الايمان بالله تعالى وبوحدانيته وبراءته من الشرك قالوا ﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وقرئ وانه بكسر الهمزة من قوله تعالى وانه تعالى وما بعده وهي اثنتا عشرة آخرها وأنا منا المسلمون وباقي السبعة بالفتح فأما الكسر فواضح لانها معطوفات على قوله انا سمعنا فهي داخلة في معمول القول وأما الفتح فقال أبو حاتم هو على أوحي فهو كله في موضع رفع على ما لم يسم فاعله انتهى وهذا لا يصح لان من المعطوف ما لا يصح دخوله تحت أوحي وهو كل ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ألا ترى أنه لا يلائم أوحي الى أنا كنا نقعد منها مقاعد وكذلك باقيها وخرجت  قراءة الفتح على أن تلك كلها معطوفة على الضمير

> فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ۞ وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ۞ وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ۞ وأنا ظننا أن لن تقول الأنس والجن على الله كذبا ۞ وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ۞ وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا ۞ وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ۞ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ۞

المجرور في به من قوله فآمنا به أي وبأنه وكذلك باقيها وهذا جائز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح وقد تقدم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله وكفر به



والمسجد الحرام ﴿جد ربنا﴾ أي عظمته وسفيهنا هو ابليس وقيل هو اسم جنس لكل سفيه وابليس مقدم السفهاء والشطط التعدي وتجاوز الحد ﴿وأنا ظننا﴾ أي كنا حسنا الظن بالانس والجن واعتقدنا أن أحدا لا يجترئ على أن يكذب على الله تعالى فينسب اليه الصاحبة والولد فاعتقدنا صحة ما أغوانا به ابليس ومردته حتى سمعنا القرآن فتبينا كذبهم ﴿وأنه كان رجال﴾ روى الجمهور أن الرجل كان اذا أراد المبيت أو الحلول في واد نادى بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك فيعتقد بذلك أن الجن الذي بالوادي يمنعه ويحميه فروى أن الجن كانت تقول عند ذلك لا نملك لكم ولا لأنفسنا من الله شيأ ﴿وأنهم﴾ أي كفار الانس ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ أيها الجن يخاطب به بعضهم بعضا وظنوا وظننتم كل منهما يطلب أن لن يبعث فالمسئلة من باب الاعمال وان هي المخففة من الثقيلة وقيل الضمير في وانهم يعود على الجن والخطاب في ظننتم لقريش وهذه والتي قبلها هما من الموحى به لا من كلام الجن ﴿أن لن يبعث الله أحدا﴾ الظاهر أنه بعثة الرسالة الى الخلق وهو أنسب لما تقدم من الآي ولما تأخر ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ أصل اللمس المس ثم استعير للتطلب والمعنى طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها ﴿فوجدناها ملئت﴾ الظاهر أن وجدنا بمعنى صادف وأصاب وتعدت الى واحد والجملة من ملئت في موضع الحال وأجيز أن يكون تعدت الى اثنين فلئت في موضع المفعول الثاني والظاهر أن المراد بالحرس الملائكة أي حافظين من أن تقربها الشياطين ﴿وشهبا﴾ جمع شهاب وهو ما رجم به الشيطان اذا استمع وقوله فوجدناها يدل على أنها كانت قبل ذلك يطرقون السماء ولا يجدونها قد ملئت ﴿ومقاعد﴾ جمع مقعد وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى احترق الاعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان الكلمة مائة كذبة ﴿فمن يستمع الآن﴾ ظرف زمان للحال ويستمع مستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال ﴿رصدا﴾ أي يرصده فيحرقه هذا لمن استمع وأما السمع فقد انقطع كما قال تعالى انهم عن السمع لمعزولون ولما رأوا

ماحدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا ﴿وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض﴾ وهو كفرهم بهذا النبى فينزل بهم الشر ﴿أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ فيؤمنون به فيرشدون وحين ذكروا الشر لم يسندوه الى الله تعالى وحين ذكروا الرشد أسندوه الى الله تعالى ﴿وأنا منا الصالحون﴾ أخبروا بما هم عليه من الصلاح وغيره و ﴿دون ذلك﴾ أى دون صالح وتقع دون فى مواضع موقع غير فكأنه قيل ومنا غير صالحين ﴿أن لن نعجز الله﴾ أى لن نعجزه هربا أى من الارض الى السماء وفى الارض وهربا حالان أى فارين أو هاربين ﴿والهدى﴾ هو القرآن ﴿آمنا به﴾ أى بالقرآن ﴿فلا يخاف﴾ أى فهو لا يخاف والبخس قال ابن عباس نقص الحسنات والرهق زيادة فى السيئات و ﴿القاسطون﴾ أى الكافرون الحائدون عن الحق والظاهر أن ﴿فمن أسلم﴾ الى آخر الشرطين من كلام الجن ومن أسلم مخاطبة من الله تعالى للرسول عليه السلام و يؤيده مابعده من الآيات

( الدر )

﴿سورة الجن﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ش ) وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة انتهى ( ح ) ليس كما ذكر بل فى ذلك تفصيل وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولا وحشوا وآخرا ولكل منها أحكام وفى بعضها خلاف وتفصيل هو مذكور فى النحو (ش) وقد أطلقه المازنى فى المكسورة أيضا كاشاح وإسادة وإعاء أخيه انتهى ( ح ) هذا تكثير وتبجح وكان يذكر هذا فى وعاء أخيه فى سورة يوسف عليه السلام وعن المازنى فى ذلك قولان أحدهما القياس كما قال والآخر قصر ذلك على السماع

وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا * وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا * وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا * وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا * وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ﴾ * هذه السورة مكية ووجه مناسبتها لما قبلها انه لما حكى تمادى قوم نوح فى الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام وكان عليه الصلاة والسلام أول رسول الى الأرض كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم آخر رسول الى الارض والعرب الذى هو منهم عليه الصلاة والسلام كانوا عباد أصنام كقوم نوح حتى انهم عبدوا أصناما مثل أصنام أولئك فى الاسماء وكان ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن هاديا الى الرشد وقد سمعته العرب وتوقف عن الايمان به أكثرهم أنزل الله تعالى سورة الجن إثر سورة نوح تبكيتا لقريش والعرب فى كونهم تباطؤا عن الايمان اذ كانت الجن خيرا لهم وأقبل للايمان هذا وهم من غير جنس الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فبنفس ماسمعوا القرآن استعظموه وآمنوا به للوقت وعرفوا انه ليس من نمط كلام الناس بخلاف العرب فانه نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزا وهم مع ذلك مكذبون له ولمن جاء به حسدا او بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده * وقرأ الجمهور قل أوحى رباعيا وابن أبى عبلة والعتكى عن أبى عمرو وأبو أناس جوية بن عائذ الاسدى وحى ثلاثيا يقال وحى وأوحى بمعنى واحد * قال العجاج * وحى اليها القرار فاستقرت * وقرأ زيد ابن على وجوية فيما روى عن الكسائى وابن أبى عبلة أيضا أحى بابدال الواو همزة كما قالوا فى وعد أعد * وقال الزمخشرى وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة انتهى وليس كما ذكر بل فى ذلك تفصيل وذلك ان الواو المضمومة قد تكون أولا وحشوا وآخرا ولكل منها أحكام وفى بعضها خلاف وتفصيل مذكور فى النحو * قال الزمخشرى وقد أطلقه المازنى فى المكسور أيضا كاشاح وإسادة وإعاء أخيه انتهى وهذا تكثير وتبجح وكان يذكر هذا فى وعاء أخيه فى سورة يوسف وعن المازنى فى ذلك قولان أحدهما القياس كما قال والآخر قصر ذلك على السماع * وانه استمع فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله أى استماع نفر من الجن والمشهور ان هذا الاستماع هو المذكور فى الأحقاف فى قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وهى قصة واحدة * وقيل قصتان والجن الذين أتوه بمكة جن نصيبين والذين أتوه بنخلة جن نينوى والسورة التى استمعوها قال عكرمة اقرأ باسم ربك * وقيل سورة الرحمن ولم تتعرض الآية لاهنا ولا فى سورة الاحقاف الى أنه رآهم وكلمهم عليه الصلاة والسلام ويظهر من الحديث ان ذلك كان مرتين احداهما فى مبدأ مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الوقت الذى أخبر فيه عبد الله بن مسعود انه لم يكن معه ليلة الجن وقد كانوا افتقدوه عليه الصلاة والسلام فالتمسوه فى الأودية والشعاب فلم يجدوه فلما أصبح اذا هو جاء من قبل حراء وفيه أتانى داعى الجن فذهبت معه

وقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نارهم والمرة الأخرى كان معه ابن مسعود وقد استندب صلى الله عليه وسلم من يقوم معه الى ان يتلو القرآن على الجن فلم يقم أحد غير عبد الله بن مسعود فذهب معه الى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا وقال لا تجاوزه فانحدر عليه صلى الله عليه وسلم أمثال الحجر يجرون الحجارة بأقدامهم يمشون يقرعون فى دفوفهم كما تقرع النسوة فى دفوفهن حتى غشوه فلا أراه فقمت فأومأ الى بيده أن اجلس فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع واختفوا فى الارض حتى ما أراهم الحديث ويدل على انهما قصتان اختلافهم فى العدد فقيل سبعة * وقيل تسعة وعن زر كانوا ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير القرية التى بالعراق * وعن عكرمة كانوا اثنى عشر ألفا من جزيرة الموصل وأين سبعة من اثنى عشر ألفا فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا أى قالوا لقومهم لما رجعوا اليهم ووصفوا قرآنا بقولهم عجبا وصفا بالمصدر على سبيل المبالغة أى هو عجب فى نفسه لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة أسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مباينا لسائر الكتب والعجب ما خرج عن أحد أشكاله ونظائره * يهدى الى الرشد أى يدعو الى الصواب * وقيل الى التوحيد والايمان * وقرأ الجمهور الرشد بضم الراء وسكون الشين وعيسى بضمهما وعنه أيضا فتحهما فآمنا به أى بالقرآن ولما كان الايمان به متضمنا الايمان بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا أحدا * وقرأ الحرميان والابوان بفتح الهمزة من قوله وانه تعالى وما بعده وهى اثنتا عشرة آية آخرها وانا منا المسلمون وباقى السبعة بالكسر فاما الكسر فواضح لانها معطوفات على قوله انا سمعنا فهى داخلة فى معمول القول وأما الفتح فقال أبو حاتم هو على أوحى فهو كله فى موضع رفع على مالم يسم فاعله انتهى وهذا لا يصح لان من المعطوفات ما لا يصح دخوله تحت أوحى وهو كل ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ألا ترى انه لا يلائم أوحى الى انا كنا نقعد منها مقاعد وكذلك باقيها وخرجت قراءة الفتح على ان تلك كلها معطوفة على الضمير المجرور فى به من قوله فآمنا به أى وبانه وكذلك باقيها وهذا جائز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح وقد تقدم احتجاجنا على صحة ذلك فى قوله وكفر به والمسجد الحرام * وقال مكى هو أجود فى ان منه فى غيرها لكثرة حذف حرف الجر مع ان * وقال الزجاج وجهه أن يكون محمولا على آمنا به لأن معناه صدقناه وعلمناه فيكون المعنى فآمنا به أنه تعالى جد ربنا وسبقه الى نحوه الفراء قال فتحت أن لوقوع الايمان عليها وأنت تجد الايمان يحسن فى بعض ما فتح دون بعض فلا يمنعك ذلك من امضائهن على الفتح فانه يحسن فيه ما يوجب فتح أن نحو صدقنا وشهدنا وأشار الفراء الى أن بعض ما فتح لا يناسب تسليط آمنا عليه نحو قوله وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا وتبعهما الزمخشرى * فقال ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور فى آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقى انتهى ولم يتفطن لما تفطن له الفراء من أن بعضها لا يحسن أن يعمل فيه آمنا * وقرأ الجمهور جد ربنا بفتح الجيم ورفع الدال مضافا الى ربنا أى عظمته قاله الجمهور * وقال أنس والحسن غناه * وقال مجاهد ذكره * وقال ابن عباس قدره وأمره * وقرأ عكرمة جد منونا ربنا مرفوع الباء كأنه قال عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد فى اللغة العظيم * وقرأ حميد بن قيس جد بضم الجيم مضافا ومعناه العظيم حكاه سيبويه وهو من اضافة الصفة الى الموصوف والمعنى تعالى ربنا العظيم * وقرأ

عكرمة جدار بنا بفتح الجيم والدال منونا ورفع ربنا وانتصب جدا على التمييز المنقول من الفاعل أصله تعالى جد ربنا * وقرأ قتادة وعكرمة أيضا جدا بكسر الجيم والتنوين نصبا ربنا رفع * قال ابن عطية نصب جدا على الحال ومعناه تعالى حقيقة ومتمكنا وقال غيره هو صفة لمصدر محذوف تقديره تعاليا جدا وربنا مرفوع بتعالى * وقرأ ابن السميقع جدى ربنا أي جدواه ونفعه * وقرأ الجمهور يقول سفيهنا هو ابليس * وقيل هو اسم جنس لكل سفيه وابليس مقدم السفهاء والشطط التعدي وتجاوز الحد * قال الأعشى

أينتهون ولن ينهى ذوو شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

ويقال أشط في السوم اذا أبعد فيه أي قولا هو في نفسه شطط وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وأنا ظننا الآية أي كنا حسنا الظن بالانس والجن واعتقدنا ان أحدا لا يجترىء على أن يكذب على الله فينسب اليه الصاحبة والولد فاعتقدنا صحة ما أغوانا به ابليس ومردته حتى سمعنا القرآن فتبينا كذبهم * وقرأ الجمهور ان لن تقول مضارع قال والحسن والجحدرى وعبد الرحمن بن أبي بكرة ويعقوب وابن مقسم تقول مضارع تقول حذفت احدى التاءين وانتصب كذبا في قراءة الجمهور بتقول لأن الكذب نوع من القول أو على أنه صفة لمصدر محذوف أي قولا كذبا أي مكذوبا فيه وفي قراءة الشاذ على أنه مصدر لتقول لأنه هو الكذب فصار كقعدت جلوسا * وأنه كان رجال * روى الجمهور أن الرجل كان اذا أراد المبيت أو الحلول في واد نادى بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي اني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك فيعتقد بذلك أن الجنى الذى بالوادى يمنعه ويحميه * فروى أن الجن كانت تقول عند ذلك لا نملك لكم ولا لأنفسنا من الله شيأ * قال مقاتل أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك في العرب والظاهر أن الضمير المرفوع في فزادوهم عائد على رجال من الانس اذ هم المحدث عنهم وهو قول مجاهد والنخعى وعبيد ابن عمير فزادوهم أي الانس رهقا أي جرأة وانتخاء وطغيانا وغشيان المحارم واعجابا بحيث قالوا سدنا الانس والجن وفسر قوم الرهق بالاثم * وأنشد الطبري في ذلك بيت الأعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها * لا يشتفي وامق مالم يصب رهقا

قال معناه لم يغش محرما والمعنى زادت الانس الجن مأثما لأنهم عظموهم فزادوهم استحلالا لمحارم الله تعالى * وقال قتادة وأبو العالية والربيع وابن زيد فزادوهم أي الجن زادت الانس مخافة يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويغوونهم لما رأوا من خفة أحلامهم فازدروهم واحتقروهم * وقال ابن جبير رهقا كفرا * وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه كان رجال من الانس يعوذون من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل يقول مثلا أعوذ بحذيفة بن اليمان من جن هذا الوادي وهذا قول غريب * وأنهم أي كفار الانس ظنوا كما ظننتم أيها الجن يخاطب به بعضهم بعضا وظنوا وظننتم كل منهما يطلب أن لن يبعث فالمسئلة من باب الاعمال وان هي المخففة من الثقيلة * وقيل الضمير في وأنهم يعود على الجن والخطاب في ظننتم لقريش وهذه والتى قبلها هما من الموحى به لا من كلام الجن أن لن يبعث الله أحدا الظاهر أنه بعثة الرسالة الى الخلق وهو أنسب لما تقدم من الآي ولما تأخر * وقيل بعث القيامة * وانا لمسنا السماء أصل اللمس المس ثم استعير للتطلب والمعنى طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فوجدناها ملئت الظاهر ان وجد هنا بمعنى صادف وأصاب وتعدت الى واحد والجملة من ملئت في موضع الحال وأجيز أن تكون تعدت الى اثنين فلئت في

موضع المفعول الثاني * وقرأ الأعرج مليت بالياء دون همز والجمهور بالهمز وشديدا صفة للحرس على اللفظ لأنه اسم جمع كما قال * أخشى رجيلا أو ركيبا عاديا * ولو لحظ المعنى لقال شدادا بالجمع والظاهر أن المراد بالحرس الملائكة أي حافظين من أن تقربها الشياطين وشهبا جمع شهاب وهو ما يرجم به الشياطين اذا استمعوا * قيل ويحتمل أن يكون الشهب هم الحرس وكرر المعنى لما اختلف اللفظ نحو * وهند أتى من دونها النأي والبعد * وقوله فوجدناها ملئت يدل على أنها كانت قبل ذلك يطرقون السماء ولا يجدونها قد ملئت * مقاعد جمع مقعد * وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى أحرق الاعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان الكلمة مائة كذبة * فمن يستمع الآن الآن ظرف زمان للحال ويستمع مستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال كما قال * سأسعى الآن اذ بلغت اناها * فالمعنى فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي يجد له شهابا رصدا أي يرصده فيحرقه هذا لمن استمع وأما السمع فقد انقطع كما قال تعالى فانهم عن السمع لمعزولون والرجم كان في الجاهلية وذلك مذكور في أشعارهم ويدل عليه الحديث حين رأى عليه الصلاة والسلام نجما قد رمي به قال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم * قال أوس بن حجر

وانقض كالدري يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الجزع

فرد علينا العير من دون الفه * أو الثور كالدري يتبعه الدم

وقال بشر بن أبي حازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

قال التبريزي وهؤلاء الشعراء كلهم جاهليون ليس فيهم مخضرم وقال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الجاحظ القول بالرمي أصح لقوله فوجدناها ملئت وهذا إخبار عن الجن انه زيد في حرس السماء حتى امتلأت ولما روى ابن عباس وذكر الحديث السابق * وقال الزمخشري تابعا للجاحظ وفي قوله دليل على أن الحرس هو الملء والكثرة فلذلك نقعد منها مقاعد أي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها انتهى وهذا كله يبطل قول من قال ان الرجم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والظاهر أن رصدا على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ولما رأوا ماحدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا وإنا لاندري أشر أريد بمن في الأرض وهو كفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم فينزل بهم الشر أم أراد بهم ربهم رشدا فيؤمنون به فيرشدون وحين ذكروا الشر لم يسندوه الى الله تعالى وحين ذكروا الرشد أسندوه اليه تعالى * وأنا منا الصالحون أخبروا بما هم عليه من صلاح وغيره * ومنا دون ذلك أي دون الصالحين ويقع دون في مواضع موقع غير فكأنه قال ومنا غير صالحين ويجوز أن يريدوا ومنا دون ذلك في الصلاح أي فيهم أبرار وفيهم من هو غير كامل في الصلاح ودون في موضع الصفة لمحذوف أي ومنا قوم دون ذلك ويجوز حذف هذا الموصوف في التفصيل بمن حتى في الجمل قالوا منا ظعن ومنا أقام يريدون منا فريق ظعن ومنا

﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ هذا من جملة الموحى المندرج تحت أوحى الى وان مخففة من الثقيلة والضمير فى استقاموا عائد على القاسطين والمعنى على طريقة الاسلام والحق لانعمنا عليهم وان هى المخففة من الثقيلة لأسقيناهم ماء غدقا كناية عن توسعة الرزق لانه أصل  المعاش ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أى لنختبرهم كيف يشكرون ما أنعم عليهم به و ﴿ صعدا ﴾ مفعول يسلكه وعذابا مفعول من أجله المساجد هى البيوت المعدة للصلاة والعبادة فى كل ملة قال ابن جبير نزلت لان الجن قالت يارسول الله كيف نشهد الصلاة معك على تأنباعنك فنزلت الآية ليخاطبهم بها على معنى أن عبادتكم حيث كنتم مقبولة * وعبد الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ يدعوه ﴾ أى يدعو الله ﴿ كادوا ﴾ أى كاد الجن ينقضون عليه لاستماع القرآن ﴿ قل انما أدعوا ربى ﴾ أى أعبده قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ماترون من عبادة الله تعالى بأمر يتعجب منه انما يتعجب ممن يعبد غيره ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك

فريق أقام والجملة من قوله كنا طرائق قددا تفسير للقسمة المتقدمة * قال ابن عباس وعكرمة وقتادة أهواء مختلفة * وقيل فرقا مختلفة * وقال الزمخشرى أى كنا ذوى مذاهب مختلفة أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا فى طرائق مختلفة كقوله

* كما عسل الطريق الثعلب * أو كانت طرائقنا قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه انتهى وفى تقديره الأولين حذف المضاف من طرائق واقامة المضاف اليه مقامه إذ حذف ذوى ومثل وأما التقدير الثالث وهو أن ينتصب على اسقاط فى فلا يجوز ذلك الا فى الضرورة وقد نص سيبويه على أن عسل الطريق شاذ فلا يخرج القرآن عليه * وأنا ظننا أن لن نعجز الله أى أيقنا فى الأرض أى كائنين فى الأرض وان نعجزه هربا أى من الأرض الى السماء وفى الأرض وهربا حالان أى فارين أو هاربين * وإنا لما سمعنا الهدى وهو القرآن آمنا به أى بالقرآن فمن يؤمن بربه فلا يخاف أى فهو لا يخاف * وقرأ ابن وثاب والأعمش والجمهور فلا يخاف وخرجت قراءتهما على النفى * وقيل الفاء زائدة ولا نفى وليس بشئ وكان الجواب بالفاء أجود من المجئ بالفعل مجزوما دون الفاء لانه اذا كان بالفاء كان على اضمار مبتدأ أى فهو لا يخاف والجملة الاسمية أدل وآكد من الفعلية على تحقق مضمون الجملة * بخسا قال ابن عباس نقص الحسنات ولا رهقا قال زيادة فى السيئات ولا رهقا قيل تحميل مالا يطاق * وقال الزمخشرى أى جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الأوفى ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل ترهقهم ذلة انتهى وقرأ الجمهور بخسا بسكون الخاء وابن وثاب بفتحها ومنا القاسطون أى الكافرون الجائرون عن الحق * قال مجاهد وقتادة والبأس القاسط الظالم ومنه قول الشاعر

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة * وهموا اقسطوا على النعمان

وجاء هذا التقسيم وان كان قد تقدم وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ليذكر حال الفريقين من النجاة والهلكة ويرغب من يدخل فى الاسلام والظاهر أن فمن أسلم الى آخر الشرطين من كلام الجن * وقال ابن عطية الوجه أن يكون فمن أسلم مخاطبة من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده مابعده من الآيات * وقرأ الأعرج رشدا بضم الراء وسكون الشين والجمهور بفتحهما * وقال الزمخشرى وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعيدا أى فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد انتهى وفيه دسيسة الاعتزال فى قوله وموجبه * قوله عز وجل ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا * وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا * وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا * قل انما أدعوا ربى ولا أشرك به أحدا * قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * قل إنى لن يجيرنى من الله

( الدر )

( ش ) أى كنا ذوى مذاهب مختلفة أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق أو كنا فى طرائق مختلفة كقوله

* كما عسل الطريق الثعلب * أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه انتهى ( ح ) فى تقديره الأولين حذف المضاف من طرائق واقامة المضاف اليه مقامه اذا حذف ذوى ومثل وأما التقدير الثالث وهو أن ينتصب على اسقاط فى فلا يجوز ذلك الا فى الضرورة وقد نص سيبويه على أن عسل الطريق شاذ فلا يخرج القرآن عليه.

وهم إما الجن وإما المشركون على اختلاف القولين فى ضمير كادوا ثم أمره تعالى أن يقول لهم مايدل على تبرئه من القدرة على ايصال خير أو شر اليهم وجعل الضر مقابلا للرشد تعبيرا به عن الغي اذ الغي ثمرته الضر ويمكن أن يكون المعنى ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل مايدل مقابله عليه نفى عليه السلام أن يجيره أحد مما يريد الله تعالى به ونفى أن يجد ملتحدا أى مرجعا من دون الله ﴿الا بلاغا﴾ استثناء منقطع أى لكن ان بلغت رحمنى بذلك وجمع خالدين حملا على معنى من وذلك بعد الحمل على اللفظ فى قوله يعص وفان له ﴿حتى اذا رأوا﴾ حتى هنا حرف ابتداء يصلح أن تجيء بعده جملة الابتداء والخبر ومع ذلك فيها معنى الغاية ﴿ما يوعدون﴾ من يوم بدر واظهار الله له عليهم * وناصرا وعددا تمييزان ﴿قل ان أدرى﴾ قال مكحول لم ينزل هذا الا فى الجن أسلم منهم من وفق وكفر من خذل كالانس قال وبلغ من بايع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن سبعين ألفا وفرغوا عند انشقاق الفجر ثم أمره تعالى أن يقول لهم انه لا يدرى وقت حلول ما توعدوا به أهو قريب أم بعيد وان نافية وأدرى فعل قلبى معلق عن جملة الاستفهام ومابعدها فالجملة فى موضع نصب * وأم يجعل ومابعده مقابل لقوله أقريب لأن معناه أم بعيد يجعل له ربى أمدا ﴿عالم الغيب﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم ﴿فلا يظهر على غيبه﴾ عام والا من ارتضى استثناء منقطع كأنه قال فلا يظهر على غيبه المخصوص أحدا الا من ارتضى من رسول فله حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والانس ولأبى عبد الله الرازى كلام فى علم الغيب مذكور هو والرد عليه فى البحر قال مانصه واعلم أنه لابد من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يطلع أحد على شئ من المغيبات الا الرسل والذى يدل عليه وجوه أحدها أنه ثبت بالاخبار القريبة من التواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين يخبران بظهور محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره وكانا فى العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع اليهما كسرى فى تعرف أخبار رسولنا صلى الله عليه وسلم وثانيها اطباق  الأمم على صحة علم التعبير فيخبر المعبر عن مايأتى فى المستقبل ويكون صادقا وثالثها أن الكاهنة البغدادية التى نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد الى خراسان سألها عن أشياء فى المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها وقد رأيت أناسا محققين فى علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الاشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت كذلك وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر فى شرح حالها فى كتاب التعبير وقال فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقنت أنها كانت تخبر عن المغيبات أخبارا مطابقة موافقة * ورابعها أنا نشاهد أصحاب الالهامات الصادقة وليس هذا مختصا بالأولياء فقد يوجد فى السحرة وفى الاحكام النجومية مايوافق الصدق وان كان الكذب يقع فيه كثيرا واذا كان ذلك مشاهدا محسوسا فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن الى القرآن وذلك باطل فعلمنا أن التأويل الصحيح ماذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص وانما أوردنا كلام هذا الرجل فى هذه المسئلة لننظر فيما ذكره من تلك الوجوه أما قصة شق وسطيح فليس فيها شئ من الاخبار بالغيب لانه مما يخبر به رئى الكاهن من الشياطين مسترق السمع كما جاء فى الحديث أنهم يسمعون الكلمة ويكذبون ويلقون الى الكهنة ويزيد الكهنة للكلمة مائة كذبة وليس هذا من علم الغيب اذ تكلمت به الملائكة وتلقفها الجنى وتلقفها منه الكاهن فالكاهن لم يعلم الغيب وأما تعبير المنامات فالمعبر غير المعصوم لايعبر بذلك على سبيل البت والقطع بل على سبيل الحزر والتخمين فقد يقع مايعبر وقد لايقع وأما الكاهنة البغدادية وماحكى عنها فحسبه عقلا أن يستدل بأحوال امرأة لم يشاهدها ولو شاهد ذلك لكان فى عقله مايجوز أنه لبس عليه هذا وهو العالم المنصف الذى طبق ذكره الآفاق وهو الذى شكك فى دلائل الفلاسفة وسامهم الخسف وأما نقل الملك سنجر الكاهنة الى خراسان واشهارها انها تعلم الغيب وانه سألها عن أشياء فى المستقبل فأخبرت بها فان الملوك لهم أذهان لطيفة ومقاصد خفية وفكرة دقيقة فى تدبير المملكة فاستصحب هذه المرأة ليوهم بذلك أهل مملكته وحاشيته أن عنده من يعلم الغيب وأخبرهم بما رتب معها فمن عنده من أهل مملكته خائفون دائما أن يتظاهر عنهم مايشوش على الملك ولذلك استخدم عقلاء الملوك المنجمين وضراب الرمل وان كانوا يعتقدون أنهم ليس لهم اطلاع على شئ من الغيب كل ذلك ايهام منهم لأهل مملكتهم فانهم رعاع همج يصدقون بالمستحيلات وتؤثر فيهم الأوهام وأما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودى أظهر الاسلام فهو منتحل طريقة

أحد ولن يجد من دونه ملتحدا * إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى إذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا * قل إن أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من

ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ هذا من جملة الموحى المندرج تحت أوحى إلى وأن مخففة من الثقيلة والضمير في استقاموا قال الضحاك والربيع بن أنس وزيد بن أسلم وأبو مجلز هو عائد على قوله فمن أسلم والطريقة طريقة الكفر أي لو كفر من أسلم من الناس لأسقيناهم إملاء لهم واستدراجا واستعارة الاستقامة للكفر قلقة لا تناسب * وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير هو عائد على القاسطين والمعنى على الطريقة الاسلام والحق لأنعمنا عليهم نحو قوله ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا الآية * وقيل الضمير في استقاموا عائد على الخلق كلهم وان هي المخففة من الثقيلة لأسقيناهم ماء غدقا كناية عن توسعة الرزق لانه أصل المعاش * وقال بعضهم المال حيث الماء وقرأ الجمهور غدقا بفتح الدال وعاصم في رواية الأعشى بكسرها ويقال غدقت العين تغدق غدقا فهي غدقة اذا كثر ماؤها * لنفتنهم أي لنختبرهم كيف يشكرون ما أنعم عليهم به أو لنمتحنهم ونستدرجهم وذلك على الخلاف في من يعود عليه الضمير في استقاموا * وقرأ الأعمش وابن وثاب بضم واو لو والجمهور بكسرها * وقرأ الكوفيون يسلكه بالياء وباقي السبعة بالنون وابن جندب بالنون من أسلك وبعض التابعين بالياء من أسلك أيضا وهما لغتان سلك وأسلك قال الشاعر * حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * وقرأ الجمهور صعدا بفتحتين وهو مصدر صعد وصف به العذاب أي يعلو المعذب ويغلبه وفسر بشاق يقال فلان في صعد من أمره أي في مشقة * وقال عمر ما تصعد بي شيء كما يتصعد في خطبة النكاح أي ما يشق علي * وقال أبو سعيد الخدري وابن عباس صعد جبل في النار * وقال الخدري كلما وضعوا أيديهم عليه ذابت * وقال عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهى الى أعلاها حدر الى جهنم فعلى هذا يجوز أن يكون بدلا من عذاب على حذف مضاف أي عذاب صعد ويجوز أن يكون صعدا مفعول يسلكه وعذابا مفعول من أجله * وقرأ قوم صعدا بضمتين وابن عباس والحسن بضم الصاد وفتح العين * قال الحسن معناه لا راحة فيه * وقرأ الجمهور وأن المساجد بفتح الهمزة عطفا على أنه استمع فهو من جملة الوحي * وقال الخليل معنى الآية ولأن المساجد لله فلا تدعوا أي لهذا السبب وكذلك عنده لايلاف قريش فليعبدوا وكذلك وأن هذه أمتكم أي ولأن هذه * وقرأ ابن هرمز وطلحة وان المساجد بكسرها على الاستئناف وعلى تقدير الخليل فالمعنى فلا تدعوا مع الله أحدا في المساجد لأنها لله خاصة ولعبادته والظاهر أن المساجد هي البيوت المعدة للصلاة والعبادة في كل ملة * وقال الحسن كل موضع سجد فيه فهو مسجد كان مخصوصا لذلك أو لم يكن لان الأرض كلها مسجد هذه الامة وأبعد ابن عطاء في قوله انها الآراب التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهي الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان عد الجبهة والأنف واحدا وأبعد أيضا من قال المسجد الحرام لأنه قبلة المساجد وقال انه جمع مسجد وهو المصدر * وروي انها نزلت حين تغلبت قريش على الكعبة فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبده حيث كنت * وقال ابن جبير نزلت لأن الجن قالت يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك على نأينا عنك فنزلت الآية ليخاطبهم على معنى أن عبادتكم حيث كنتم مقبولة اذا دخلنا المساجد * وقرأ الجمهور وأنه لما قام عبد الله بفتح الهمزة عطفا على قراءتهم وأن المساجد بالفتح * وقرأ ابن هرمز وطلحة ونافع وأبو بكر بكسرها على الاستئناف وعبد الله هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه أي يدعو الله

الفلاسفة وأما مشاهدته أصحاب الالهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثمانين سنة أصحب العلماء وأتردد الى من ينتمي الى الصلاح فلم أر أحدا منهم صاحب الهام صادق وأما الكرامات فاني لا أشك في صدور شيء منها لكن على سبيل الندرة وذلك فيمن سلف من صلحاء هذه الأمة وربما قد يكون في أعصارنا من تصدر منه الكرامة ولله تعالى أن يخص من شاء بما شاء ﴿ ليعلم أن ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام اذ قد تقدم ذكره في قوله وأنه لما قام عبد الله أن الملائكة الحفظة الى حد النازلين بين يدي جبريل عليه السلام وخلفه قد أبلغوا رسالات ربهم ﴿ وأحاط ﴾ فيه ضمير فاعل عائد على ربهم وكذلك الضمير في أحصى وعددا تمييز

كادوا أي كاد الجن قال ابن عباس والضحاك ينقضون عليه لاستماع القرآن * وقال الحسن وقتادة الضمير في كادوا الكفار قريش والعرب في اجتماعهم على رد أمره * وقال ابن جبير المعنى أنها قول الجن لقومهم يحكون والضمير في كادوا لأصحابه الذين يطوعون له ويقتدون به في الصلاة * قال الزمخشري ( فإن قلت ) هلا قيل رسول الله أو النبي ( قلت ) لأن تقديره وأوحى الي أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أولان المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا لقراءته عليه السلام كادوا يكونون عليه لبدا أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره انتهى وهو قول متقدم كثره الزمخشري بخطابته * وقرأ الجمهور لبدا بكسر اللام وفتح الباء جمع لبدة نحو كسرة وكسر وهي الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض ومنه قول عبد مناف بن ربع

صافوا بستة أبيات وأربعة * حتى كأن عليهم جابيا لبدا

* وقال ابن عباس أعوانا * وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر بخلاف عنه بضم اللام جمع لبدة كزبرة وزبر وعن ابن محيصن أيضا تسكين الباء وضم اللام لبدا * وقرأ الحسن والجحدري وأبو حيوة وجماعة عن أبي عمرو بضمتين جمع لبد كرهن ورهن أو جمع لبود كصبور وصبر * وقرأ الحسن والجحدري بخلاف عنهما لبدا بضم اللام وشد الباء المفتوحة * قال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام الرسول بالدعوة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فأبى الله الا أن ينصره ويتم نوره انتهى وأبعد من قال عبد الله هنا نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استنقذه الله قاله الحسن وأبعد منه قول من قال إنه عبد الله بن سلام * وقرأ الجمهور قال إنما أدعو ربي أي أعبده أي قال للمتظاهرين عليه إنما أدعو ربي أي لم آتكم بأمر ينكر إنما أعبد ربي وحده وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على عداوتي أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادة الله بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يعبد غيره أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله مرتب على الخلاف في عود الضمير في كادوا * وقرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو بخلاف عنه * قل أي قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك وهم إما الجن وإما المشركون على اختلاف القولين في ضمير كادوا ثم أمره تعالى أن يقول لهم ما يدل على تبرئه من القدرة على ايصال خير أو شر اليهم وجعل الضر مقابلا للرشد تعبيرا به عن الغي اذ الغي ثمرته الضر ويمكن أن يكون المعنى ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل ما يدل عليه مقابله * وقرأ الأعرج رشدا بضمتين ولما تبرأ عليه السلام من قدرته على نفعهم وضرهم أمر بأن يخبرهم بأنه مربوب لله تعالى يفعل فيه ربه ما يريد وأنه لا يمكن أن يجيره منه أحد ولا يجد من دونه ملجأ يركن اليه قال قريبا منه قتادة * وقال السدي حرزا * وقال الكلبي مدخلا في الارض * وقيل ناصرا * وقيل مذهبا ومسلكا ومنه قول الشاعر

يا لهف نفسي ونفسي غير مجدية * عني وما من قضاء الله ملتحد

* وقيل في الكلام حذف وهو قالوا له أترك ما تدعو اليه ونحن نجيرك فقيل له قل لن يجيرني * وقيل هو جواب لقول وردان سيد الجن وقد ازدحموا عليه قال وردان أنا أرحلهم عنك فقال

انى لن يجيرنى أحد ذكره الماوردى * الابلاغا قال الحسن هو استثناء منقطع أى لن يجيرنى أحد لكن ان بلغت رحمنى بذلك والاجارة للبلاغ مستعارة اذ هو سبب اجارة الله تعالى ورحمته * وقيل على هذا المعنى هو استثناء متصل أى لن يجيرنى فى أحد لكن لم أجد شيأ أميل اليه وأعتصم به الا أن أبلغ وأطيع فيجيرنى الله فيجوز نصبه على الاستثناء من ملتحدا وعلى البدل وهو الوجه لان ماقبله نفيا وعلى البدل خرجه الزجاج وقال أبو عبد الله الرازى هذا الاستثناء منقطع لانه لم يقل ولم أجد ملتحدا بل قال من دونه والبلاغ من الله لا يكون داخلا تحت قوله من دونه ملتحدا لانه لا يكون من دون الله بل يكون من الله وباعانته وتوفيقه * وقال قتادة التقدير لا أملك الا بلاغا اليكم فأما الايمان والكفر فلا أملك انتهى وفيه بعد لطول الفصل بينهما * وقيل الا فى تقدير الانفصال ان شرطية ولا نافية وحذف فعلها لدلالة المصدر عليه والتقدير ان لم أبلغ بلاغا من الله ورسالته وهذا كما تقول ان لا قياما فقعودا أى ان لم تقم قياما فاقعد قعودا وحذف هذا الفعل قد يكون لدلالة عليه بعده أو قبله كما حذف فى قوله

فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

التقدير وان لا تطلقها فحذف تطلقها لدلالة فطلقها عليه ومن لابتداء الغاية * وقال الزمخشرى تابعا لقتادة أى لا أملك الا بلاغا من الله وقل انى لن يجيرنى جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان أراد به سوأ من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوى اليه انتهى * ورسالاته قيل عطف على بلاغا أى الا أن أبلغ عن الله أو أبلغ رسالاته الظاهر أن رسالاته عطف على الله أى الا أن أبلغ عن الله وعن رسالاته * ومن يعص الله ورسوله أى بالشرك والكفر ويدل عليه قوله خالدين فيها أبدا * وقرأ الجمهور فان له بكسر الهمزة * وقرأ طلحة بفتحها والتقدير فجزاؤه أن له * قال ابن خالويه وسمعت ابن مجاهد يقول ماقرأ به أحد وهو لحن لانه بعد فاء الشرط وسمعت ابن الانبارى يقول هو صواب ومعناه فجزاؤه أن له نار جهنم انتهى وكان ابن مجاهد إماما فى القرا آت ولم يكن متسع النقل فيها كابن شنبوذ وكان ضعيفا فى النحو وكيف يقول ماقرأ به أحد وهذا طلحة بن مصرف قرأ به وكيف يقول وهو لحن والنحويون قد نصوا على أن ان بعد فاء الشرط يجوز فيها الفتح والكسر وجمع خالدين حملا على معنى من وذلك بعد الحمل على لفظ من فى قوله يعص فان له حتى اذا رأوا حتى هنا حرف ابتداء أى يصلح أن يجىء بعدها جملة الابتداء والخبر ومع ذلك فيها معنى الغاية * قال الزمخشرى (فان قلت) بم تعلق حتى وجعل مابعده غاية له (قلت) بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا مايوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ أنهم أضعف ناصرا وأقل عددا ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه لا يزالون على ماهم عليه حتى اذا رأوا مايوعدون * قال المشركون متى يكون هذا الموعود إنكارا له فقيل قل انه كائن لاريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فلا أدرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة انتهى وقوله بم تعلق ان عنى تعلق حرف الجر فليس بصحيح لانها حرف ابتداء فمابعدها ليس فى موضع جر خلافا للزجاج وابن

(الدر) (ش) فان قلت بم تعلق حتى وجعل مابعده غاية له * قلت بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا مايوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ انهم أضعف ناصرا وأقل عددا ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ماهم عليه حتى اذا رأوا مايوعدون قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لاريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة انتهى (ح) قوله بم تعلق أن عنى تعلق حرف الجر فليس بصحيح لانها حرف ابتداء فمابعدها ليس فى موضع جر خلافا للزجاج وابن درستويه فانهما زعما أنها اذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها فى موضع جر وان عنى بالتعلق اتصال مابعدها بما قبلها وكون مابعدها غاية لما قبلها فهو صحيح وأما تقديره انها تتعلق بقوله يكونون عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة

درستويه فانهما زعما أنها اذا كانت حرف ابتداء فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر وان تعنى بالتعلق اتصال مابعدها بما قبلها وكون مابعدها غاية لما قبلها فهو صحيح وأما تقديره أنها تتعلق بقوله يكونون عليه لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة * وقال التبريزي حتى جاز أن تكون غاية لمحذوف ولم يبين ما المحذوف * وقيل المعنى دعهم حتى اذا رأوا ما يوعدون من الساعة فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا أهم أم أهل الكتاب والذي يظهر لي انها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم كأنه قيل ان العاصي يحكم له بكينونة النار لهم والحكم بذلك هو وعيد حتى اذا رأوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون * فقوله فان له نار جهنم هو وعيد لهم بالنار ومن أضعف مبتدا وخبر في موضع نصب لما قبله وهو معلق عنه لان من استفهام ويجوز أن تكون من موصولة في موضع نصب بسيعلمون وأضعف خبر مبتدا محذوف والجملة صلة لمن وتقديره هو أضعف وحسن حذفه طول الصلة بالمعمول وهو ناصرا * قال مكحول لم ينزل هذا إلا في الجن أسلم منهم من وفق وكفر من خذل كالانس قال و بلغ من تابع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن سبعين ألفا وفرغوا عند انشقاق الفجر ثم أمره تعالى أن يقول لهم انه لا يدري وقت طول ما وعدوا به أهو قريب أم بعيد * قال الزمخشري (فان قلت) مامعنى قوله أم يجعل له ربي أمدا والأمد يكون قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تعالى تود لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا (قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية أي هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع ومن رسول تبيين لمن ارتضى يعني انه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط انتهى * وقال ابن عباس عالم الغيب * قال الحسن ماغاب عن خلقه * وقيل الساعة * وقال ابن عباس إلا بمعنى لكن فجعله استثناء منقطعا * وقيل إلا بمعنى ولا أي ولا من ارتضى من رسول وعالم خبر مبتدا محذوف أي هو عالم الغيب أو بدل من ربي * وقرئ عالم بالنصب على المدح * وقال السدى علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا الغيب والجمهور عالم الغيب اسم فاعل مرفوعا * وقرأ الجمهور فلا يظهر من أظهر والحسن يظهر بفتح الياء والهاء من ظهر إلا من ارتضى من رسول استثناء من أحدا أي فانه يظهره على ما يشاء من ذلك فانه يسلك الله من بين يدى ذلك الرسول ومن خلفه رصدا أي حفظة يحفظونه من الجن و يحرسونه في ضبط ما يلقيه تعالى الى ذلك الرسول من علم الغيب * وعن الضحاك مابعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك * وقال القرطبي قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ماشاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم ثم ذكر استدلالا على بطلان مايقوله المنجم ثم قال باستحلال دم المنجم * وقال الواحدي في هذا دليل على أن من ادعى ان النجوم تدل على ما يكون من حياة أو موت أو غير ذلك فقد كفر بما في القرآن * قال أبو عبد الله الرازي والواحدي تجوز الكرامات على ماقال صاحب الكشاف فجعلها تدل على المنع من الأحكام النجومية ولا تدل على الالهامات بمجرد تشبه وعندي أن الآية لا تدل على شيء مما قالوه لان

(الدر) (ح) قال أبو عبدالله الرازي واعلم انه لابد من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية انه لايطلع أحد على شئ من المغيبات الا الرسل والذي يدل عليه وجوه أحدها انه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين يخبران بظهور محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع اليهما كسرى في تعرف أخبار نبينا عليه السلام وثانيها اطباق الأمم على صحة علم التعبير فيخبر المعبر عما يأتي في المستقبل ويكون صادقا وثالثها أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد الى خراسان سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها وقد رأيت أناسا محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها أنها أخبرت عن الاشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت كذلك وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر (٣٥٦) في شرح حالها في كتاب التعبير وقال فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقنت انها كانت تخبر عن المغيبات أخبارا مطابقة موافقة ورابعها انا نشاهد أصحاب الالهامات الصادقة وليس هذا اختصاصا بالأولياء فقد يوجد في السحرة وفي الاحكام النجومية ما يوافق الصدق وان كان الكذب يقع منهم كثيرا واذا كان ذلك مشاهدا محسوسا فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن الى القرآن وذلك باطل فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص وانما أوردنا كلام هذا الرجل في هذه المسئلة لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه أما قصة شق وسطيح فليس فيهما شئ من الاخبار بالغيب لانه مما يخبره به رئي الكهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في الحديث انهم يسمعون الكلمة ويكذبون ويلقون الى الكهنة وتزيد الكهنة للكلمة مائة كذبة وليس هذا من علم الغيب اذ تكلمت به الملائكة وتلقفها الجني وتلقفها منه الكاهن فالكاهن لم يعلم الغيب وأما تعبير المنامات فالمعبر غير المعصوم لايعبر بذلك على سبيل البت والقطع بل على سبيل الحزر والتخمين فقد يقع ما يعبر وقد لايقع وأما الكاهنة البغدادية وما حكى عنها فحسبه عقلا أن يستدل بأحوال امرأة لم يشاهدها ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز انه لبس عليه هذا وهو العالم المصنف الذي طبق ذكره الآفاق وهو الذي شكك في دلائل الفلاسفة وسامهم الخسف وأما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودي أظهر الاسلام وهو منتحل طريقة الفلاسفة وأما مشاهدته أصحاب الالهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثلاث وسبعين سنة أصحب العلماء وأتردد الى من ينتمي الى الصلاح ولم أر أحدا منهم صاحب الهام صادق وأما الكرامات فاني لاأشك في صدور شئ منها لكن ذلك على سبيل الندرة وذلك فيمن سلف من صلحاء هذه الامة وربما قد يكون في أعصارنا من تصدر منه الكرامة والله تعالى أن يخص من شاء بما شاء انتهى

قوله على غيبه ليس فيه صفة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه أن لايظهر خلقه تعالى على غيب واحد من غيوبه ويحمله على وقت قيام القيامة فلا يبقى دليل في الآية على أنه لايظهر شيأ من الغيوب لأحد ويؤكده انه ذكر هذه الآية عقيب قوله ان أدري أقريب ماتوعدون الآية أي لاأدري وقت وقوع القيامة إذ هي من الغيب الذي لايظهره الله لأحد وإلا من ارتضى استثناء منقطع كأنه قال فلا يظهر على غيبه المخصوص أحدا إلا من ارتضى من رسول فله حفظة يحفظونه من شر مردة الانس والجن * قال أبو عبدالله الرازي واعلم أنه لابد من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لايطلع أحد على شئ من المغيبات إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام والذي يدل عليه وجوه أحدها انه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقا وسطيحا كانا كاهنين يخبران بظهور محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع اليهما كسرى في تعرف أخبار رسولنا صلى الله عليه وسلم * وثانيها اطباق الأمم على صحة علم التعبير فيخبر المعبر عن ما يأتي في المستقبل ويكون صادقا * وثالثها ان الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد الى خراسان سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها فقد رأيت أناسا محققين في علوم الكلام والحكمة حكوا عنها انها أخبرت عن الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت كذلك وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها في كتاب التعبير وقال فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقنت انها كانت تخبر عن المغيبات أخبارا مطابقة موافقة * ورابعها انا نشاهد أصحاب الالهامات الصادقة ليس هذا اختصاصا بالأولياء فقد يوجد في السحرة وفي الأحكام النجومية ما يوافق الصدق وان كان الكذب يقع منهم كثيرا واذا كان ذلك مشاهدا محسوسا فالقول بأن القرآن يدل على خلافه مما يجر الطعن الى القرآن وذلك باطل * فقلنا ان التأويل الصحيح ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص وانما أوردنا كلام هذا الرجل في هذه

المسألة لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه أما قصة شق وسطيح فليس فيها شيء من الاخبار بالغيب لانه مما يخبر به رئي الكهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في الحديث انهم يسمعون الكلمة ويكذبون ويلقون الى الكهنة وتزيد الكهنة للكلمة مائة كذبة وليس هذا من علم الغيب إذ تكلمت به الملائكة وتلقفها الجني وتلقفها منه الكاهن فالكاهن لم يعلم الغيب وأما تعبير المنامات فالمعبر غير المعصوم لا يعبر بذلك على سبيل البت والقطع بل على سبيل الحزر والتخمين وقد يقع ما يعبر به وقد لا يقع * وأما الكاهنة البغدادية وما حكى عنها فحسبه عقلا أن يستدل بأحوال امرأة لم يشاهدها ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز انه لبس عليه هذا وهو العالم المصنف الذي طبق ذكره الآفاق وهو الذي شكك في دلائل الفلاسفة وسامهم الخسف * وأما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودي أظهر إسلامه وهو منتحل طريقة الفلاسفة * وأما مشاهدته أصحاب الالهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثلاث وسبعين سنة أصحب العلماء وأتردد الى من ينتمي الى الصلاح فلم أر أحدا منهم صاحب إلهام صادق * وأما الكرامات فلا أشك في صدور شيء منها لكن ذلك على سبيل الندرة وذلك في من سلف من صلحاء هذه الأمة وربما قد يكون في أعصارنا من تصدر منه الكرامات ولله تعالى أن يخص من شاء بما شاء والله الموفق * وقرأ الجمهور ليعلم مبنيا للفاعل * قال قتادة ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم وحفظوا * وقال ابن جبير ليعلم محمد أن الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل وخلفه قد أبلغوا رسالات ربهم * وقال مجاهد ليعلم من أشرك وكذب أن الرسل قد بلغت وعلى هذا القول لا يقع لهم هذا العلم إلا في الآخرة * وقيل ليعلم الله رسله مبلغة خارجة الى الوجود لان علمه بكل شيء قد سبق واختار الزمخشري هذا القول الأخير فقال ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالات ربهم يعني الأنبياء وحد أولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين انتهى * وقيل ليعلم أي أي رسول كان أن الرسل سواه بلغوا * وقيل ليعلم ابليس أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق أصحابه * وقيل ليعلم الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم * وقيل ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل ومن معه اليه رسالة ربه * وقيل ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل اليهم ولم يكونوا هم المتلقين باستراق السمع * وقرأ ابن عباس وزيد بن علي ليعلم بضم الياء مبنيا للمفعول والزهري وابن أبي عبلة بضم الياء وكسر اللام أي ليعلم الله أي من شاء أن يعلمه أن الرسل قد أبلغوا رسالاته * وقرأ الجمهور رسالات على الجمع وأبو حيوة على الافراد * وقرأ الجمهور وأحاط بما لديهم وأحاط مبنيا للفاعل أي الله وأحصى مبنيا للفاعل أي الله كل نصبا وابن أبي عبلة وأحيط وأحصى مبنيا للمفعول كل رفعا ولما كان ليعلم مضمنا معنى علم صار المعنى قد علم ذلك فعطف وأحاط على هذا الضمير والمعنى وأحاط بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء وأحصى كل شيء عددا أي معدودا محصورا وانتصابه على الحال من كل شيء وان كان نكرة لاندراج المعرفة في العموم ويجوز أن ينتصب نصب المصدر لأحصى لانه في معنى احصاء * وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون تمييزا انتهى فيكون منقولا من المفعول إذ أصله وأحصى عدد كل شيء وفي كونه ثابتا من لسان العرب خلاف

﴿ سورة المزمل عليه السلام ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ﴾ هذه السورة مكية وسبب نزولها انه عليه السلام لما جاءه الملك وهو فى غار حراء وحاوره بما حاوره رجع الى خديجة رضى الله عنها فقال زملونى زملونى فعلى هذا نزلت يا أيها المزمل قالت عائشة رضى الله عنها نودى بذلك لانه كان فى وقت نزول الآية متزملا بكساء ومناسبتها لآخر ما قبلها أن فى آخر تلك عالم الغيب الآيات فأتبعه بقوله يا أيها المزمل اعلاما بأنه عليه السلام ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصائص وكفاه شر أعدائه * قال الزمخشرى ﴿ نصفه ﴾ بدل من الليل و ﴿ الا قليلا ﴾ استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل والضمير فى منه وعليه عائد على النصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه انتهى فلم يتنبه للتكرار الذى يلزمه فى هذا القول لانه على تقديره قم أقل من نصف الليل كان قوله أو انقص من نصف الليل تكرارا واذا كان نصفه بدلا من قوله الا قليلا فالضمير فى نصفه اما أن يعود على المبدل منه أو على المستثنى منه وهو الليل لا جائز أن يعود على المبدل منه لانه يصير استثناء مجهول من مجهول اذ التقدير الا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى ألبتة وان عاد الضمير على الليل فلا فائدة فى الاستثناء من الليل إذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد من الالتباس أن يكون التركيب قم الليل نصفه وقد أبطلنا قول من قال الا قليلا استثناء من البدل وهو

﴿ سورة المزمل مكية وهى عشرون آية ﴾ .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا * إن لك فى النهار سبحا طويلا * واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا * وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا * إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما * يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا * إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا * فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا * إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا * إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ * تزمل فى ثوبه التف وزمل لف * قال امرؤ القيس * كبير أناس فى بجاد مزمل * وقال ذو الرمة

وكأن تخطت ناقتى من مفازة * ومن نائم عن ليلها متزمل

تبتل الى كذا انقطع اليه ومنه هبة بتلة وطلقة بتلة والبتول وبتل الحبل * قال الليث البتل تمييز الشئ من الشئ والبتول المرأة المنقطعة عن الرجال لا شهوة لها ولا حاجة لها فيهم والتبتل ترك النكاح والزهد فيه * ومنه قول امرئ القيس

تضىء الظلام بالعشاء كأنها * منارة ممسى راهب متبتل

ومنه النهى عن التبتل أى عن الانقطاع عن التزويج * ومنه قيل الراهب متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده للعبادة * والغصة الشجى وهو ما ينشب بالحلق من عظم أو غيره وجمعها غصص والفعل غصصت فأنت غاص وغصان قال * كنت كالغصان بالماء اعتصارى * الكثيب الرمل المجتمع وجمعه كثب وكثبان فى الكثرة وأكثبة فى القلة * قال ذو الرمة

فقلت لها لا ان أهلى جيرة * لأكثبة الدهنا جميعا وماليا

المهيل الذى يمر تحت الرجل وهلت عليه التراب صببته * وقال الكلبى المهيل الذى اذا وطئته القدم زل من تحتها واذا أخذت أسفله انهال وأهلت لغة فى هلت * الشيب جمع أشيب ﴿ يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقى عليك

نصفه وأن التقدير قم الليل نصفه الا قليلا منه أي من النصف وأيضا في دعوى أن نصفه بدل من إلا قليلا والضمير في نصفه عائد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم أيضا أن يصير التقدير الا نصفه فلا تقمه أو انقص من النصف الذي لا تقومه أو زد على النصف الذي لا تقومه وهذا معنى لا يصح وليس المراد من الآية قطعا وقال الزمخشري وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا فكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل فان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه الى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى وما أوسع خيال هذا الرجل فانه يجوز ما يقرب وما يبعد والقرآن لا ينبغي بل لا يجوز أن يحمل الا على أحسن الوجوه التي تأتي في كلام العرب وممن نص على جواز أن يكون نصفه بدلا من الليل أو من قليلا الزمخشري كما ذكرنا وابن عطية أورده مورد الاحتمال وأبو البقاء قال أشبه بظاهر الآية أن يكون بدلا من قليلا لانه قال أو انقص منه قليلا أو زد عليه والهاء فيهما للنصف فلو كان الاستثناء من النصف لكان التقدير قم نصف الليل الا قليلا أو انقص منه قليلا فالقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يتحصل انتهى وأما الحوفي فأجاز أن يكون بدلا من الليل ولم يذكر غيره وقال ابن عطية وقد يحتمل عندي قوله الا قليلا أن يكون استثناء من القيام فيجعل الليل اسم جنس ثم قال الا قليلا أي الليالي التي تخل بقيامها عند العذر (٣٥٩) البين ونحوه وهذا النظر يحسن مع القول بالندب

> قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا * إن لك في النهار سبحا طويلا * واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا * وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم إلا قليلا * ان لدينا أنكالا وجحيما

انتهى * وهذا خلاف الظاهر وقيل المعنى أو نصفه كما تقول أعطه درهما درهمين ثلاثة تريد أو درهمين أو ثلاثة انتهى وفيه حذف حرف العطف من غير دليل عليه وقيل لتبريزي الأمر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من آخر الليل لان الثلث الاول وقت العتمة والاستشاء وارد على المأمور به فكأنه قال قم ثلثي الليل الا قليلا ثم جعل نصفه بدلا من قليلا فصار القليل مفسرا بالنصف من الثلثين وهو قليل من الكل فقوله أو انقص منه أي من المأمور به وهو قيام الثلثين الا قليلا أي ما دون نصفه أو زد عليه أي على الثلثين فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين وقال أبو عبد الله الرازي قد أكثر الناس في تفسير هذه الآية وعندي فيه وجهان ملخصان وذكر كلاما طويلا ملفقا يوقف عليه في كتابه والذي يظهر أن المأمور به أولا قيام جميع الليل الا ما ينطلق عليه قليل كساعة أو غيرها ثم قوله نصفه على اضمار قم ثانيا وجاء بعد ذلك التخيير بين قليل من النصف أو زائد على النصف فالمستثنى أولا غير أحد المخير فيه وهو النقص من النصف فقد اختلفت جهتا القليل الأول بالنسبة الى جميع الليل والثاني بالنسبة الى النصف ﴿قولا ثقيلا﴾ هو القرآن ثقله بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقة كالجهاد ومداومة الاعمال الصالحة ﴿ناشئة الليل﴾ ساعاته لأنها تنشأ شيأ بعد شيء وقال ابن عباس ما كان بعد العشاء فهو ناشئة وما كان قبلها فليس بناشئة وقرئ ﴿وطأ﴾ والمعنى أنها أشد مواطأة أي يواطئ القلب فيها اللسان ﴿وأقوم قيلا﴾ أي أشد استقامة على الصواب لان الاصوات هادئة فلا يضطرب على المصلي ما يقرأه ﴿سبحا﴾ أي تصرفا وتقلبا في المهمات كما يتردد السابح في الماء ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي دم على ذكره وهو يتناول كل ذكر من تسبيح وتهليل وغيرهما وانتصب ﴿تبتيلا﴾ على أنه مصدر على غير الصدر وحسن ذلك كونه فاصلة وقرئ رب بالرفع خبر مبتدأ محذوف و بالجر على البدل ﴿فاتخذه وكيلا﴾ لان من انفرد بالالهية لم يتخذ وكيلا الا هو واصبر واهجرهم قيل منسوخ بآية السيف ﴿وذرني والمكذبين﴾ قيل نزلت في صناديد قريش المستهزئين ﴿أولى النعمة﴾ أي حضارة العيش وكثرة المال والولد والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وما ينعم به وبالضم المبرة يقال نعم ونعمة عين ﴿ومهلهم قليلا﴾ وعيد لهم بسرعة الانتقام منهم والقليل موافاة آجالهم وقيل وقعة بدر ﴿ان لدينا﴾ أي ما يضاد نعمتهم ﴿أنكالا﴾ قيودا في أرجلهم ﴿وجحيما﴾ نارا شديدة الاتقاد

وطعاماذاغصة وعذاباأليما * يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبامهيلا * إنا أرسلنا اليكم رسولاشاهداعليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا * فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ﴾ هذه السورة مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر * وقال ابن عباس وقتادة الا آيتين منها واصبر على مايقولون والتي تليها ذكره الماوردي * وقال الجمهور هي مكية الاقوله تعالى إن ربك يعلم الخ فانه نزل بالمدينة * وسبب نزولها فيما ذكر الجمهور أنه عليه الصلاة والسلام لما جاءه الملك في غار حراء وحاوره بماحاوره رجع الى خديجة فقال زملوني زملوني فنزلت يا أيها المدثر وعلى هذا نزلت يا أيها المزمل قالت عائشة والنخعي وجماعة ونودي بذلك لأنه كان في وقت نزول الآية متزملا بكساء * وقال قتادة كان تزمل في ثيابه للصلاة واستعد فنودي على معنى يا أيها المستعد للعبادة * وقال عكرمة معناه المزمل للنبوة وأعبائها أي المشمر المجد فعلى هذا يكون التزمل مجازا وعلى ماسبق يكون حقيقة ومارووا أن عائشة رضي الله عنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه الى آخر الرواية كذب صراح لأن نزول يا أيها المزمل بمكة في أوائل مبعثه وتزويجه عائشة كان بالمدينة * ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن في آخر ماقبلها عالم الغيب الآيات فأتبعه بقوله يا أيها المزمل إعلاما بأنه صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصائص وكفاه شر أعدائه * وقرأ الجمهور المزمل بشد الزاي وكسر الميم أصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي * وقرأ أبي المتزمل على الأصل وعكرمة بتخفيف الزاي أي المزمل جسمه أو نفسه * وقرأ بعض السلف بتخفيف الزاي وفتح الميم أي الذي لف وللزمخشري في كيفية نداء الله له بهذا الوصف كلام ضربت عن ذكره صفحا فلم أذكره في كتابي * وقال السهيلي ليس المزمل باسم من أسمائه عليه الصلاة والسلام يعرف به وانما هو مشتق من حالته التي كان التبس بها حالة الخطاب والعرب اذا قصدت الملاطفة بالمخاطب تترك المعاتبة نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام ولصق بجنبه التراب قم أبا تراب إشعارا بأنه ملاطف له فقوله يا أيها المزمل فيه تأنيس وملاطفة * وقرأ الجمهور قم الليل بكسر الميم على أصل التقاء الساكنين وأبو السمال بضمها اتباعا للحركة من القاف * وقرئ بفتحها طلبا للتخفيف * قال ابن جني الغرض بالحركة الهروب من التقاء الساكنين فبأي حركة تحرك الحرف حصل الغرض وقم طلب * فقال الجمهور هو على جهة الندب * وقيل كان فرضا على الرسول خاصة * وقيل عليه وعلى الجميع * قال قتادة ودام عاما أو عامين * وقالت عائشة ثمانية أشهر ثم رحمهم الله فنزلت إن ربك يعلم الآيات فخفف عنهم قم الليل الا قليلا بين الاستثناء أن القيام المأمور به يستغرق جميع الليل ولذلك صح الاستثناء منه اذ لو كان غير مستغرق لم يصح الاستثناء منه واستغراق جميعه بالقيام على الدوام غير ممكن فلذلك استثنى منه لراحة الجسد وهذا عند البصريين منصوب على الظرف وان استغرقه الفعل وهو عند الكوفيين مفعول به وفي قوله الا قليلا دليل على أن المستثنى قد يكون مبهم المقدار كقوله مافعلوه الا قليلا منهم في قراءة من نصب ثم توليتم الا قليلا منكم * قال وهب بن منبه القليل مادون المعشار والسدس * وقال الكلبي ومقاتل

﴿ وطعاماذاغصة ﴾ قال ابن عباس شوك من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل ﴿ ترجف ﴾ تضطرب ﴿ كثيبا ﴾ أي رملا مجتمعا ﴿ مهيلا ﴾ أي رخوا لينا ولما هدد المكذبين بأهوال يوم القيامة ذكرهم بحال فرعون وكيف أخذه الله تعالى اذ كذب موسى عليه السلام وأنه ان دام تكذيبهم أهلكهم الله تعالى فقال ﴿ إنا أرسلنا اليكم ﴾ والخطاب عام للأسود والأحمر وقيل لأهل مكة ﴿ رسولا شاهدا عليكم ﴾ كما قال تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء والوبيل الردئ العقبى من قولهم كلأ وبيل أي وخم لا يستمرأ لثقله أي لا ينزل في المرئ

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ح) جوزوا فى نصفه أن يكون بدلا من الليل ومن قليلا فاذا كان بدلا من الليل كان الاستثناء منه وكان المأمور بقيامه نصف الليل الاقليلا منه والضمير فى منه وعليه عائد على النصف فيصير المعنى قم نصف الليل الاقليلا من نصف الليل أو انقص من نصف الليل قليلا أوزد على نصف الليل فيكون قوله أوانقص من نصف الليل قليلا تكرارا لقوله الاقليلا من نصف الليل وذلك تركيب غير فصيح ينزه القرآن عنه (ش) نصفه بدل من الليل والاقليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن تقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه انتهى (ح) لم يتنبه للتكرار الذى يلزمه فى هذا القول لانه على تقدير قم أقل من نصف الليل كان قوله أوانقص من نصف الليل تكرارا واذا كان نصفه بدلا من قوله الاقليلا فالضمير فى نصفه اما أن يعود على المبدل منه أوعلى المستثنى منه وهو الليل لاجائز أن يعود على المبدل منه لانه يصير استثناء مجهول من مجهول اذ التقدير الاقليل نصف القليل وهذا  لايصح له معنى البتة وان عاد الضمير على الليل فلافائدة فى الاستثناء من الليل اذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد عن الالباس أن يكون التركيب قم الليل نصفه وقد أبطلنا قول من قال الاقليلا استثناء من الليل وهو نصفه وان التقدير قم الليل نصفه الاقليلا منه أى من النصف وأيضا فى دعوى أن نصفه بدل من الاقليلا والضمير فى نصفه عائد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم أيضا أن يصير التقدير الانصفه فلا تقمه أو انقص من النصف الذى لا تقومه أوزد على النصف الذى لاتقومه وهذا معنى لايصح



وليس المراد من الآية قطعا (ش) وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الاقليلا نصفه اذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه الى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أوقم أنقص من ذلك الأقل أوأزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أوانقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعنى الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى (ح) ماأوسع خيال هذا الرجل فانه يجوز مايقرب ومايبعد والقرآن لاينبغى بل لايجوز أن يحمل الاعلى أحسن الوجوه التى تأتى فى كلام العرب كما ذكرناه فى خطبة هذا الكتاب

---

الثلث * وقيل مادون النصف وجوزوا فى نصفه أن يكون بدلا من الليل ومن قليلا فاذا كان بدلا من الليل كان الاستثناء منه وكان المأمور بقيامه نصف الليل الاقليلا منه والضمير فى منه وعليه عائد على النصف فيصير المعنى قم نصف الليل الاقليلا أوانقص من نصف الليل قليلا أوزد على نصف الليل فيكون قوله أو انقص من نصف الليل قليلا تكرارا لقوله الاقليلا من نصف الليل وذلك تركيب غير فصيح ينزه القرآن عنه * قال الزمخشرى نصفه بدل من الليل والاقليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه انتهى فلم يتنبه للتكرار الذى يلزمه فى هذا القول لأنه على تقديره قم أقل من نصف الليل كان قوله أوانقص من نصف الليل تكرارا واذا كان نصفه بدلا من قوله الاقليلا فالضمير فى نصفه إما أن يعود على المبدل منه أوعلى المستثنى منه وهو الليل لاجائز أن يعود على المبدل منه لانه يصير استثناء مجهول من مجهول اذ التقدير الاقليلا نصف القليل وهذا لايصح له معنى البتة وان عاد الضمير على الليل فلافائدة فى الاستثناء من الليل اذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد عن الالباس أن يكون التركيب قم الليل نصفه وقد أبطلنا قول من قال الاقليلا استثناء من البدل وهو نصفه وأن التقدير قم الليل نصفه الاقليلا منه أى من النصف وأيضا فى دعوى أن نصفه بدل من الاقليلا والضمير فى نصفه عائد على الليل اطلاق القليل على النصف ويلزم أيضا أن يصير التقدير الانصفه فلاتقمه أوانقص من النصف الذى لاتقومه أوزد عليه النصف الذى لاتقومه وهذا معنى لايصح وليس المراد من الآية قطعا * وقال الزمخشرى وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا

وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه الى الأقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل وقم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعنى الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع انتهى وما أوسع خيال هذا الرجل فانه يجوز مايقرب وما يبعد والقرآن لاينبغى بل لايجوز أن يحمل الا على أحسن الوجوه التى تأتى فى كلام العرب كما ذكرناه فى خطبة هذا الكتاب وممن نص على جواز أن يكون نصفه بدلا من الليل أو من قليلا الزمخشرى كما ذكرنا عنه وابن عطية أورده مورد الاحتمال وأبو البقاء وقال أشبه بظاهر الآية أن يكون بدلا من قليلا أو زد عليه والهاء فيهما للنصف فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير قم نصف الليل الا قليلا أو انقص منه قليلا والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لايتحصل انتهى وأما الحوفى فأجاز أن يكون بدلا من الليل ولم يذكر غيره * وقال ابن عطية وقد يحتمل عندى قوله إلا قليلا انه استثناء من القيام فيجعل الليل اسم جنس ثم قال إلا قليلا أى الليالى التى تخل بقيامها عند العذر البين ونحوه وهذا النظر يحسن مع القول بالندب انتهى وهذا خلاف الظاهر * وقيل المعنى أو نصفه كما تقول أعطه درهما درهمين ثلاثة تريد أو درهمين أو ثلاثة انتهى وفيه حذف حرف العطف من غير دليل عليه * وقال التبريزى الأمر بالقيام والتخيير فى الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من آخر الليل لان الثلث الأول وقت العتمة والاستثناء وارد على المأمور به فكأنه قال قم ثلثى الليل إلا قليلا ثم جعل نصفه بدلا من قليلا فصار القليل مفسرا بالنصف من الثلثين وهو قليل من الكل * فقوله أو انقص منه أى من المأمور به وهو قيام الثلث قليلا أى مادون نصفه أو زد عليه أى على الثلثين فكان التخيير فى الزيادة والنقصان واقعا على الثلثين * وقال أبو عبد الله الرازى قد أكثر الناس فى تفسير هذه الآية وعندى فيه وجهان ملخصان وذكر كلاما طويلا ملفقا يوقف عليه من كتابه وتقدم تفسير الترتيل فى آخر الاسراء قولا ثقيلا هو القرآن وثقله بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقة كالجهاد ومداومة الأعمال الصالحة * قال الحسن ان الهذ خفيف ولكن العمل ثقيل * وقال أبو العالية والقرطبى ثقله على الكفار والمنافقين باعجازه ووعيده * وقيل ثقله ما كان يحل بجسمه صلى الله عليه وسلم حالة تلقيه الوحى حتى كانت ناقته تبرك به ذلك الوقت وحتى كادت رأسه الكريمة أن ترض فخذ زيد بن ثابت * وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف * قال ابن عباس كلاما عظيما * وقيل ثقيل فى الميزان يوم القيامة وهو اشارة الى العمل به * وقيل كناية عن بقائه على وجه الدهر لان الثقيل من شأنه أن يبقى فى مكانه * إن ناشئة الليل * قال ابن عمر وأنس ابن مالك وعلى بن الحسين هى مابين المغرب والعشاء * وقالت عائشة ومجاهد هى القيام بعد اليوم ومن قام أول الليل قبل اليوم فلم يقم ناشئة الليل * وقال ابن جبير وابن زيد هى لفظة حبشية نشأ الرجل قام من الليل فناشئة على هذا جمع ناشئ أى قائم * وقال ابن جبير وابن زيد أيضا وجماعة ناشئة

الليل ساعاته لانها تنشأ شيأ بعد شيء * وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وأبو مجلز ما كان بعد العشاء فهو ناشئة وما كان قبلها فليس بناشئة * قال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل وقال هو وابن الزبير الليل كله ناشئة * وقال الكسائي ناشئة الليل أوله * وقال الزمخشري ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشر اذا نهض * قال الشاعر

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

أو قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة انتهى * وقرأ الجمهور وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ممدودا * وقرأ قتادة وشبل عن أهل مكة بكسر الواو وسكون الطاء والهمزة مقصورة * وقرأ ابن محيصن بفتح الواو ممدودا والمعنى انها أشد مواطأة أي يواطئ القلب فيها اللسان أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ومن قرأ وطأ أي أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار كما جاء اللهم اشدد وطأتك على مضر * وقال الأخفش أشد قياما * وقال الفراء أثبت قراءة وقياما * وقال الكلبي أشد نشاطا للمصلي لانه في زمان راحته * وقيل أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة والليل وقت فراغ فالعبادة تدوم وأقوم قيلا أي أشد استقامة على الصواب لان الأصوات هادئة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه * قال قتادة ومجاهد أصوب للقراءة وأثبت للقول لانه زمان التفهم * وقال عكرمة أتم نشاطا وإخلاصا وبركة * وحكى ابن شجرة أعجل إجابة للدعاء * وقال زيد بن أسلم أجدر أن يتفقه فيها القارئ * وقرأ الجمهور سبحا أي تصرفا وتقلبا في المهمات كما يتردد السابح في الماء * قال الشاعر

أباحوا لكم شرق البلاد وغربها * ففيها لكم يا صاح سبح من السبح

* وقيل سبحا سبحة أي نافلة * وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة سبخا بالخاء المنقوطة ومعناه خفة من التكاليف والتسبيخ التخفيف وهو استعارة من سبخ الصوف اذا نفشه ونشر أجزاءه فمعناه انتشار الهمة وتفرق الخاطر بالشواغل * وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك * وقيل المعنى ان فات حزب الليل بنوم أو عذر فليخلف بالنهار فان فيه سبحا طويلا * قال صاحب اللوامح وفسر ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء معجمة * وقال نوما أي تنام بالنهار لتستعين به على قيام الليل وقد تحتمل هذه القراءة غير هذا المعنى لكنهما فسراها فلا يجاوز عنه انتهى * وفي الحديث لا تسبخي بدعائك أي لا تخففي * وقال الشاعر

فسبخ عليك الهم واعلم بأنه * اذا قدر الرحمن شيأ فكائن

* وقال الأصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى أي خففها * وقيل السبخ المد يقال سبخي قطنك أي مديه ويقال لقطع القطن سبائخ الواحدة سبيخة * ومنه قول الأخطل

فأرسلوهن يذرين التراب كما * يذري سبائخ قطن ندف أوتار

واذكر اسم ربك أي دم على ذكره وهو يتناول كل ذكر من تسبيح وتهليل وغيرهما وانتصب تبتيلا على انه مصدر على غير الصدر وحسن ذلك كونه فاصلة * وقرأ الاخوان وابن عامر وأبو بكر ويعقوب رب بالخفض على البدل من ربك وباقي السبعة بالرفع وزيد بن علي بالنصب والجمهور المشرق والمغرب موحدين وعبد الله وأصحابه وابن عباس بجمعهما * وقال الزمخشري وعن ابن عباس على القسم يعني خفض رب باضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما

( الدر )

(ش) وعن ابن عباس على القسم يعني خفض رب قال باضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار الا زيد انتهى (ح) لعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس اذ فيه اضمار الجار في القسم ولا يجوز عند البصريين الا في لفظة الله ولا يقاس عليه ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فلا ينفى الا بما وحدها ولا ينفى بلا الا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا أو بماض في معناه قليلا نحو قول الشاعر

ردوا فوالله لا زرناكم أبدا
ما دام في مائنا ورد لوراد *

و (ش) أورد ذلك على سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون هو نفيها بما نحو قوله

لعمرك ما سعد بخلة آثم
ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر *

﴿ فكيف تتقون إن كفرتم ﴾ الآية يوما منصوب بتتقون نصب المفعول به على المجاز أي كيف تستقبلون هذا اليوم العظيم الذي من شأنه كذا وكذا والضمير في يجعل لليوم أسند اليه الجعل لما كان واقعا فيه على سبيل المجاز والجملة من قوله يجعل صفة ليوم والشيب مفعول ثان ليجعل أي يصير الصبيان شيوخا وهو كناية عن شدة هول ذلك اليوم ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والأصل فيه أن الهموم اذا تفاقمت أسرعت بالشيب والظاهر أن الضمير في وعده عائد على اليوم فهو من اضافة المصدر الى الفاعل وان لم يجر له ذكر قريبا لانه معلوم أن الذي هذه مواعيده هو الله تعالى ﴿ ان هذه ﴾ السورة أو الانكال وما عطف عليه أي والأخذ الوبيل أو آيات القرآن المتضمنة شدة يوم القيامة ﴿ تذكرة ﴾ أي موعظة ﴿ فمن شاء اتخذ ﴾ بالتقرب اليه بالطاعة ﴿ أنك تقوم ﴾ أي تصلي وهذه الآية نزلت تخفيفا لما كان استمرار استعماله في أمر قيام الليل إما على الوجوب واما على الندب على الخلاف الذي سبق ﴿ أدنى من ثلثي الليل ﴾ أي زمانا هو أقل من ثلثي الليل واستعير الأدنى وهو الاقرب للاقل لأن المسافة اذا دنت بين الشيئين قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ نصفه بالنصب والجر فاما قراءة الكسر فمعطوف على ثلثي الليل ومن قرأ بالنصب فمعطوف على أدنى فاما الجر فالمعنى أنه قيام مختلف مرة أدنى من الثلثين ومرة أدنى من

تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد انتهى ولعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس إذ فيه اضمار الجار في القسم ولا يجوز عند البصريين إلا في لفظة الله ولا يقاس عليه ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فلا تنفى إلا بما وحدها ولا تنفى بلا إلا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا وبماض في معناه قليلا نحو قول الشاعر

ردوا فوالله لا زرناكم أبدا * ما دام في مائنا ورد لو راد

والزمخشري أورد ذلك على سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون هو نفيها بما نحو قوله

لعمرك ما سعد بخلة آثم * ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر

فاتخذه وكيلا لان من انفرد بالالوهية لم يتخذ وكيلا إلا هو * واصبروا هجرهم قيل منسوخ بآية السيف * وذرني والمكذبين قيل نزلت في صناديد قريش * وقيل في المطعمين يوم بدر وتقدمت أسماؤهم في سورة الأنفال وتقدم شرح مثل هذا في قدرني ومن يكذب بهذا الحديث أولي النعمة أي غضارة العيش وكثرة المال والولد والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وما ينعم به وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين ومهلهم قليلا وعيد لهم بسرعة الانتقام منهم والقليل موافاة آجالهم * وقيل وقعة بدر * إن لدينا أي ما يضاد نعمتهم أنكالا قيودا في أرجلهم * قال الشعبي لم تجعل في أرجلهم خوفا من هربهم ولكن اذا أرادوا أن يرتفعوا استقلت بهم * وقال الكلبي الأنكال الأغلال والأول أعرف في اللغة * ومنه قول الخنساء

دعاك فقطعت أنكاله * وقد كن قبلك لا تقطع

* وجحيما نارا شديدة الايقاد وطعاما ذا غصة * قال ابن عباس شوك من نار يعترض في حلوقهم لا يخرج ولا ينزل * وقال مجاهد وغيره شجرة الزقوم * وقيل الضريع وشجرة الزقوم يوم منصوب بالعامل في لدينا * وقيل بذرني ترجف تضطرب * وقرأ الجمهور ترجف بفتح التاء مبنيا للفاعل وزيد بن علي بضمها مبنيا للمفعول كثيبا أي رملا مجتمعا مهيلا أي رخوا لينا * قيل ويقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون الاتمام في ذوات الياء لغة تميم والحذف لأكثر العرب ولما هدد المكذبين بأهوال القيامة ذكرهم بحال فرعون وكيف أخذه الله تعالى اذ كذب موسى عليه السلام وأنه ان دام تكذيبهم أهلكهم الله تعالى فقال انا أرسلنا اليكم والخطاب عام للاسود والأحمر * وقيل لأهل مكة رسولا شاهدا عليكم كما قال وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وشبه ارساله الى أهل مكة بارسال موسى الى فرعون على التعيين لان كلا منهما ربا في قومه واستحقروا بهما وكان عندهم علم ما جرى من غرق فرعون فناسب أن يشبه الارسال بالارسال * وقيل الرسول بلام التعريف لانه تقدم ذكره فأحيل عليه كما تقول لقيت رجلا فضربت الرجل لان المضروب هو الملقى والوبيل الردىء العقبى من قولهم كلأ وبيل أي وخيم لا يستمرأ لثقله أي لا ينزل في المرىء * قوله عز وجل ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا * إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا * إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن

النصف ومرة أدنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر بمقادير الزمان وتقدير الزمان حقيقة هو لله تعالى ﴿فتاب عليكم﴾ أي رجع بكم من الثقل الى الخفة وأمركم بقيام ماتيسر وطائفة معطوف على الضمير المستكن في يقوم وحسنه الفصل بينهما وطائفة من الذين معك دليل على أنه لم يكن فرضا على الجميع اذ لو كان فرضا عليهم لكان التركيب والذين معك الأن

اعتقد أن منهم من كان يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه فمكن اذ ذاك الفرضية في حق الجميع ﴿والله يقدر﴾ أي هو وحده العالم بمقادير الساعات ﴿فاقرؤا ما تيسر﴾ عبر بالقراءة عن الصلاة لانها بعض أركانها أي فصلوا ماتيسر عليكم من صلاة الليل واذا كان المراد فاقرأوا في الصلاة ماتيسر فالظاهر أنه لا يتعين مايقرأ بل اذا قرأ ماتيسر له وسهل عليه أجزأه وقدره أبو حنيفة بآية ﴿علم أن سيكون﴾ بيان لحكمة النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله ﴿فاقرؤا ماتيسر منه﴾ كرر ذلك على سبيل التوكيد ثم أمر بعمودي الاسلام البدني والمالي ثم قال ﴿وأقرضوا الله﴾ العطف يشعر بالتغاير فقوله وآتوا الزكاة أمر باداء الواجب وأقرضوا أمر بالصدقات التي يتطوع بها واحتمل هو أن يكون فصلا وأن يكون توكيد الضمير النصب في تجدوه ﴿واستغفروا الله﴾ أمر بالاستغفار

تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ماتيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ يوما منصوب بتتقون منصوب نصب المفعول به على المجاز أي كيف تستقبلون هذا اليوم العظيم الذي من شأنه كذا وكذا والضمير في يجعل لليوم أسند اليه الجعل لما كان واقعا فيه على سبيل المجاز * وقال الزمخشري يوما مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا انتهى وتتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسره به واتقى يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم ولذلك قدره الزمخشري تقون أنفسكم يوم القيامة لكنه ليس تتقون بمعنى تقون فلا يعدى تعديته ودس في قوله ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا الاعتزال * قال ويجوز أن يكون ظرفا أي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا * قال ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه انتهى * وقرأ الجمهور يوما منونا يجعل بالياء والجملة من قوله يجعل صفة ليوم فان كان الضمير في يجعل عائدا على اليوم فواضح وهو الظاهر وان عاد على الله كما قال بعضهم فلابد من حذف ضمير يعود الى اليوم أي يجعل فيه كقوله يوما لاتجزى نفس * وقرأ زيد بن علي بغير تنوين نجعل بالنون فالظرف مضاف الى الجملة والشيب مفعول ثان لجعل أي يصير الصبيان شيوخا وهو كناية عن شدة ذلك اليوم ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال والاصل فيه ان الهموم اذا تفاقمت أسرعت بالشيب * قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

* وقال قوم ذلك حقيقة تشيب رؤسهم من شدة الهول كما قد يرى الشيب في الدنيا من الهم المفرط كهول البحر ونحوه * وقال الزمخشري ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة * وقال السدي الولدان أولاد الزنا * وقيل أولاد المشركين والظاهر العموم أي يشيب الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار * وقيل هذا وقت الفزع قبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق * السماء منفطر به * قال الفراء يعني المظلة تذكر وتؤنث فجاء منفطر على التذكير ومنه قول الشاعر

فلو رفع السماء اليه قوم * لحقنا بالسماء وبالسحاب

وعلى القول بالتأنيث فقال أبو علي الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الأخضر وأعجاز نخل منقعر انتهى يعني انها من باب اسم الجنس الذي بينه وبين مفرده تاء التأنيث وان مفرده سماءة واسم الجنس يجوز فيه التذكير والتأنيث فجاء منفطر على التذكير * وقال أبو عمرو بن العلاء

---

( الدر ) (ش) يوما مفعول به أي فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا انتهى

( ح ) تتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسره به واتقى يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم عذاب

وأبو عبيدة والكسائي وتبعهم القاضي منذر بن سعيد مجازها السقف فجاء عليه منفطر ولم يقل منفطرة * وقال أبو علي أيضا التقدير ذات انفطار كقولهم امرأة مرضع أي ذات رضاع فجرى على طريق التسبب * وقال الزمخشري أو السماء شيء منفطر فجعل منفطر صفة لخبر محذوف مقدر مذكر وهو شيء والانفطار التصدع والانشقاق والضمير في به الظاهر أنه يعود على اليوم والباء للسبب أي بسبب شدة ذلك اليوم أو ظرفية أي فيه * وقال مجاهد يعود على الله أي بأمره وسلطانه والظاهر ان الضمير في وعده عائد على اليوم فهو من اضافة المصدر الى المفعول أي انه تعالى وعد عباده هذا اليوم وهو يوم القيامة فلابد من انجازه ويجوز أن يكون عائدا على الله تعالى فيكون من اضافة المصدر الى الفاعل وان لم يجر له ذكر قريب لانه معلوم ان الذي هذه مواعيده هو الله تعالى ان هذه أي السورة أو الانكال وما عطف عليه والأخذ الوبيل أو آيات القرآن المتضمنة شدة القيامة تذكرة أي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالطاعة ومفعول شاء محذوف يدل عليه الشرط لان من شرطية أي فمن شاء أن يتخذ سبيلا اتخذه الى ربه وليست المشيئة هنا على معنى الاباحة بل تتضمن معنى الوعد والوعيد * ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى تصلي كقوله قم الليل لما كان أكثر أحوال الصلاة القيام عبر به عنها وهذه الآية نزلت تخفيفا لما كان استمرار استعماله من أمر قيام الليل اما على الوجوب واما على الندب على الخلاف الذي سبق أدنى من ثلثي الليل أي زمانا هو أقل من ثلثي الليل واستعير الأدنى وهو الأقرب للاول لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك * وقرأ الجمهور من ثلثي بضم اللام والحسن وشيبة وأبو حيوة وابن السميفع وهشام وابن مجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل باسكانها وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيما ذكر صاحب اللوامح * وقرأ العربيان ونافع ونصفه وثلثه بجرهما عطفا على ثلثي الليل وباقي السبعة وزيد بن علي بالنصب عطفا على أدنى لانه منصوب على الظرف أي وقتا أدنى من ثلثي الليل فقراءة النصب مناسبة للتقسيم الذي في أول السورة لأنه اذا قام الليل الا قليلا صدق عليه أدنى من ثلثي الليل لأن الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيأ من الثلثين فيصدق عليه قوله الا قليلا وأما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله أولا نصفه وأما ثلثه فان قوله أو انقص منه قليلا فقد ينتهي النقص في القليل الى أن يكون الوقت ثلث الليل وأما قوله أو زد عليه فانه اذا زاد على النصف قليلا كان الوقت أقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله أدنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه أو انقص منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا وعلى قراءة النصب * قال الحسن وابن جبير معنى تحصوه تطيقوه أي قدر تعالى أنهم يقدرون الزمان على ما مر في أول السورة فلم يطيقوا قيامه لكثرته وشدته فخفف تعالى عنهم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير واحصاء الأوقات وأما قراءة الجر فالمعنى أنه قيام مختلف مرة أدنى من الثلثين ومرة أدنى من النصف ومرة أدنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر مقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان حقيقة انما هو لله تعالى والبشر لا يحصون ذلك أي لا يطيقون مقادير ذلك فتاب عليهم أي رجع بهم من الثقل الى الخفة وأمرهم بقيام ما تيسر وعلى القراءتين يكون علمه تعالى بذلك على حسب الوقوع منهم لأنهم قاموا تلك المقادير في أوقات مختلفة قاموا أدنى من الثلثين ونصفا وثلثا وقاموا أدنى من النصف وأدنى من الثلث فلا تنافي بين القراءتين * وقرأ الجمهور وثلثه بضم اللام وابن كثير في رواية شبل باسكانها وطائفة معطوف على الضمير المستكن في تقوم وحسنه الفصل بينهما وقوله وطائفة من الذين

( الدر )

الجحيم وكذلك فسره (ش) تقون أنفسكم يوم القيامة لكنه ليس تتقون بمعنى تقون فلا يتعدى تعديته ودس في قوله ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا الاعتزال

معك دليل على أنه لم يكن فرضا على الجميع اذ لو كان فرضا لكان التركيب والذين معك الا أن اعتقد أنهم كان منهم من يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه فيمكن اذ ذاك الفرضية في حق الجميع * والله يقدر الليل والنهار أي هو وحده تعالى العالم بمقادير الساعات * قال الزمخشري وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير انتهى وهذا مذهبه وانما استفيد الاختصاص من سياق الكلام لا من تقديم المبتدأ لو قلت زيد يحفظ القرآن أو يتفقه في كتاب سيبويه لم يدل تقديم المبتدأ على الاختصاص وأن مخففة من الثقيلة والضمير في تحصوه الظاهر أنه عائد على المصدر المفهوم من يقدر أي ان لن تحصوا تقدير ساعات الليل والنهار لا تحيطوا بها على الحقيقة * وقيل الضمير يعود على القيام المفهوم من قوله فتاب عليكم * قيل فيه دليل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به * وقيل رجع بكم من ثقل الى خف ومن عسر الى يسر ورخص لكم في ترك القيام المقدر فاقرؤا ما تيسر من القرآن عبر بالقراءة عن الصلاة لأنها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود أي فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل * قيل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وهذا الأمر بقوله فاقرؤا * قال الجمهور أمر إباحة * وقال ابن جبير وجماعة هو فرض لابد منه ولو خمسين آية * وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو قدر حلب شاة * وقيل هو أمر بقراءة القرآن بعينها لا كناية عن الصلاة واذا كان المراد فاقرؤا في الصلاة ما تيسر فالظاهر أنه لا يتعين ما يقرأ بل اذا قرأ ما تيسر له وسهل عليه أجزأه وقدره أبو حنيفة بآية حكاه عنه الماوردي وبثلاث حكاه ابن العربي وعن مالك والشافعي ما تيسر فاتحة الكتاب لا يعدل عنها ولا يقتصر على بعضها * علم أن سيكون منكم مرضى بيان لحكمة النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه كرر ذلك على سبيل التوكيد ثم أمر بعمودي الاسلام البدني والمالي ثم قال وأقرضوا الله قرضا حسنا العطف يشعر بالتغاير فقوله وآتوا الزكاة أمر بأداء الواجب وأقرضوا الله أمر بأداء الصدقات التي يتطوع بها * وقرأ الجمهور هو خيرا وأعظم أجرا بنصبهما واحتمل هو أن يكون فصلا وأن يكون تأكيدا للضمير النصب في تجدوه ولم يذكر الزمخشري والحوفي وابن عطية في اعراب هو الا الفصل * وقال أبو البقاء هو فصل أو بدل أو تأكيد فقوله أو بدل وهم لو كان بدلا لطابق في النصب فكان يكون اياه * وقرأ أبو السمال وابن السميفع هو خير وأعظم برفعهما على الابتداء والخبر * قال أبو زيد هو لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون كان زيد هو العاقل بالرفع وهذا البيت لقيس بن ذريح وهو

تحن الى ليلى وأنت تركتها * وكنت عليها بالملا أنت أقدر

* قال أبو عمرو الجرمي أنشد سيبويه هذا البيت شاهدا للرفع والقوافي مرفوعة * ويروى أقدر * وقال الزمخشري وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لأن أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة انتهى وليس ما ذكر متفقا عليه ومنهم من أجازه وليس أفعل من أحكام الفصل ومسائله والخلاف الوارد فيها كثير جدا وقد جمعنا فيه كتابا سميناه بالقول الفصل في أحكام الفصل وأودعنا معظمه شرح التسهيل من تأليفنا

( الدر )

(ش) وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير انتهى (ح) هذا مذهبه وانما استفيد الاختصاص من سياق الكلام لا من تقديم المبتدا لو قلت زيد يحفظ القرآن أو يتفقه في كتاب سيبويه لم يدل تقديم المبتدا على الاختصاص (ش) وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة انتهى (ح) ليس ما ذكر متفقا عليه ومنهم من أجازه وليس أفعل من أحكام الفصل ومسائله والخلاف الوارد فيها كثير جدا وقد جمعنا فيه كتابا سميناه بالقول الفصل في أحكام الفصل وأودعنا معظمه شرح التسهيل من تأليفنا

﴿ سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير * ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال ان هذا الا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر * وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر * كلا والقمر * والليل اذ أدبر * والصبح اذا أسفر * إنها لاحدى الكبر * نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر * كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة * بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة * كلا بل لا يخافون الآخرة * كلا انه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ تدثر لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار * النقر الصوت * قال الشاعر

أخفضه بالنقر لما علوته * ويرفع طرفا غير خاف غضيض

* وقال الراجز * أنا ابن ماوية اذ جد النقر * يريد النقر فنقل الحركة فالناقور فاعول منه كالجاسوس مأخوذ من التجسس * عبس يعبس عبسا وعبوسا قطب والعبس ما تعلق بأذناب الابل من أبعارها وأبوالها * قال أبو النجم

كأن في أذنابهن الشول * من عبس الصيف قرون الابل

بسر قبض ما بين عينيه واربد وجهه * قال

صحبنا تميما غداة الجفار * بشهباء ملومة باسره

وأهل اليمن يقولون بسر المركب وأبسر اذا وقف وقد أبسرنا وتقول العرب وجه باسر بين البسور اذا تغير واسود لاحه البسر غير خلقته * قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمي لاحني الهواجر

﴿ وقال آخر ﴾

وتعجب هند ان رأتني شاحبا * تقول لشيء لوحته السمائم

﴿سورة المدثر عليه السلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أن فيما قبلها ذرني والمكذبين وفيه ان هذه تذكرة فناسب يا أيها المدثر قم فأنذر وناسب ذكر يوم القيامة بعد ذكر بعض المكذبين في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا * قم فأنذر المعنى قم قيام تصميم وجد فأنذر أي حذر عذاب الله تعالى ووقائعه والانذار عام لجميع الناس وبعثه الى الخلق ﴿فكبر﴾ أي فعظم كبرياءه ﴿وثيابك فطهر﴾ الظاهر أنه أمر بتطهير الثياب من النجاسات لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ﴿والرجز﴾ العذاب ﴿فاهجر﴾ أي اهجر ما يؤدي اليه وقرئ بضم الراء ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ قال ابن عباس لا تعط عطاء لتعطى أكثر منه من قولهم منّ اذا أعطى وقال الحسن لا تمنن على الله بجدك تستكثر أعمالك ويقع لك بها اعجاب والجملة حالية أي مستكثرا ﴿ولربك﴾ أي لوجه ربك ﴿فاصبر﴾ أمر بالصبر فيتناول الصبر على تكاليف النبوة وعلى أداء طاعات الله تعالى وعلى أذى الكفار * قال الزمخشري والفاء في قوله ﴿فاذا نقر﴾ للتسبيب كأنه قيل فاصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه والنقر الصوت والناقور فاعول منه كالجاسوس مأخوذ من التجسس ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ لا خلاف (٣٦٩) أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي فروي أنه كان يلقب بالوحيد أي لا نظير له في ماله وشرفه في بيته والظاهر انتصاب وحيدا على الحال من الضمير المحذوف العائد على من أي خلقته منفردا ذليلا قليلا لا مال له ولا ولد فآتاه الله المال والولد فكفر نعمته وأشرك به واستهزأ بدينه ﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ قال ابن عباس كان له بين مكة والطائف إبل وحجور ونعم وجنان وعبيد وجوار ﴿وبنين شهودا﴾ أي حضورا معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم فهو مستأنس بهم منهم خالد وهشام وعمارة وقد أسلموا والوليد والعاصي وقيس وعبد شمس ﴿ومهدت له تمهيدا﴾ أي وطأت له وهيأت وبسطت له بسطا حتى أقام ببلده مطمئنا يرجع الى رأيه وقال ابن عباس وسعت له ما بين اليمن الى الشام ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ أي على ما أعطيته من المال والولد ﴿كلا﴾ قطع لرجائه وردع أي ليس يكون كذلك مع كفره بالنعم ﴿إنه كان لآياتنا عنيدا﴾ تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقال انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ﴿سأرهقه﴾ أي سأكلفه وأغشيه بمشقة وعسر ﴿صعودا﴾ عقبة في جهنم كلما وضع عليها شيء من الانسان ذاب ثم يعود والصعود في اللغة العقبة الشاقة ﴿إنه فكر وقدر﴾ روي أن الوليد حاج أبا جهل وجماعة من قريش في أمر القرآن وقال ان له لحلاوة وان أسفله لمغدق وان فرعه لجناة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى فخالفوه وقالوا هو شعر فقال والله ما هو بشعر قد عرفنا الشعر هزجه ورجزه وطويله وبسيطه قالوا فهو كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان قالوا هو مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وخنقه قالوا هو سحر قال أما هذا فيشبه أنه سحر ﴿فكر﴾ أي في القرآن وبمن أتى به ﴿وقدر﴾ أي في نفسه ما يقول فيه ﴿فقتل كيف قدر﴾ قيل قتل لعن وقيل غلب وقهر وذل ﴿ثم عبس وبسر﴾ أي قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وناسب العطف بالواو وكان العطف في ﴿فقال﴾

*وقال الأخفش اللوح شدة العطش لاحه العطش ولوحه غيره

﴿وقال الشاعر﴾

سقتني على لوح من الماء شربة * سقاها به الله الرهام الغواديا

ويقال التاح أي عطش * القسورة الرماة والصيادون قاله ابن كيسان أو الأسد قاله جماعة من اللغويين * قال

مضمر تحذره الابطال * كأنه القسورة الرئبال

أو الرجال الشداد * قال لبيد

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا * أتانا الرجال العائدون القساور

أو ظلمة أول الليل لا ظلمة آخره قاله ابن الاعرابي وثعلب ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر * فاذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير * ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد * كلا انه كان لآياتنا عنيدا * سأرهقه صعودا * انه فكر وقدر فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال ان هذا الا سحر يؤثر *

بالفاء دلالة على التعقيب لانه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلبه لم يتمالك أن نطق به من غير تمهل ومعنى يؤثر * أي يروى وينقل ومعنى الاسحر أي يشبه السحر ﴿ إن هذا الاقول البشر ﴾ تأكيد لما قبله أي ملتقط من أقوال الناس ﴿ سأصليه سقر ﴾ قال الزمخشري بدل من سأرهقه صعودا انتهى ويظهر أنهما جملتان اعتقبت كل واحدة منهما على سبيل التوعد للعصيان الذي قبل كل واحد منهما فتوعد على كونه عنيدا لآيات الله بارهاق صعود وعلى قوله بان القرآن سحر يؤثر باصلائه سقر ﴿ وما أدراك ماسقر ﴾ تعظيم لهولها وشدتها ﴿ لاتبقى ولاتذر ﴾ أي لاتبقى على من ألقى فيها ولاتذر غاية من العذاب الا أوصلته اليه ﴿ لواحة للبشر ﴾ قال ابن عباس معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسودة لها والبشر جمع بشرة تقول العرب لاحت النار الشئ اذا أحرقته وسودته ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ التمييز محذوف والمتبادر الى الذهن أنه ملك ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد ملك حين سمعوا ذلك فقال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد ابن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله تعالى وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة أي وماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وأنزل الله تعالى في أبي جهل أولى لك فأولى ﴿ وما جعلنا عدتهم الا فتنة ﴾ أي سبب فتنة ففتنة مفعول ثان لجعلنا أي جعلنا تلك العدة وهي تسعة عشر سببا الفتنة للكفار وليست فتنة مفعولا من أجله وفتنتهم هو كونهم أظهروا مقاومتهم والطماعية في مغالبتهم وذلك على سبيل الاستهزاء فانهم مكذبون بالبعث وبالنار وبخزنتها ﴿ ليستيقن ﴾ هذا مفعول من أجله وهو متعلق بجعلنا الافتنة و ﴿ الذين أوتوا الكتاب ﴾ هم اليهود والنصارى اذهم عالمون أن القرآن هو من عند الله اذهم يجدون ذلك في كتبهم المنزلة ويعلمون أن الرسول عليه السلام لم يقرأها ولاقرأها عليه أحد ﴿ ولا يرتاب ﴾ توكيد لقوله ليستيقن اذ اثبات اليقين ونفي الارتياب أبلغ وآكد في الوصف لسكون النفس السكون التام ﴿ ماذا أراد الله ﴾ لما سمعوا هذا العدد لم يهتدوا وحاروا فاستفهم بعضهم بعضا عن ذلك استبعادا أن يكون هذا من عند الله وسموه مثلا استعارة من المثل المضروب استغرابا منهم لهذا العدد والمعنى أي شئ أراد الله بهذا العدد العجيب ومرادهم انكار أصله وأنه ليس من عند الله تعالى

ان هذا الاقول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ماسقر * لاتبقى ولاتذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر * وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ هذه السورة مكية * قال ابن عطية باجماع * وفي التحرير قال مقاتل الا آية وهي وما جعلنا عدتهم الا فتنة * ومناسبتها لما قبلها أن في ماقبلها ذرني والمكذبين وفيها ان هذه تذكرة فناسب يا أيها المدثر قم فأنذر وناسب ذكر يوم القيامة بعد ذكر بعض المكذبين في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا * قال الجمهور لما فزع من رؤية جبريل على كرسي بين السماء والأرض ورعب منه رجع الى خديجة فقال زملوني دثروني نزلت يا أيها المدثر * قال النخعي وقتادة وعائشة نودي وهو في حال تدثره فدعي بحال من أحواله * وروي أنه كان تدثر في قطيفة * قيل وكان يسمع من قريش ما كرهه فاغتم وتغطى بثوبه مفكرا فأمر أن لايدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه * وقال عكرمة معناه يا أيها المدثر للنبوة وأثقالها كما قال في المزمل * وقرأ الجمهور المدثر بشد الدال وأصله المتدثر فأدغم وكذا هو في حرف أبي على الأصل * وقرأ عكرمة بتخفيف الدال كما قرئ بتخفيف الزاي في المزمل أي دثر نفسه وعن عكرمة أيضا فتح الثاء اسم مفعول * وقال دثر هذا الامر وعصب بك قم فأنذر أي قم من مضجعك أوقم بمعنى الأخذ في الشئ كما تقول قام زيد يضرب عمرا أي أخذ وكما قال * علام قام يشتمني لئيم * أي أخذ والمعنى قم قيام تصميم وجد فأنذر أي حذر عذاب الله ووقائعه والانذار عام بجميع الناس وبعثه الى الخلق * وربك فكبر أي فعظم كبرياءه * وقال الزمخشري واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر انتهى وهذا على مذهبه من أن تقديم المفعول على الفعل يدل على الاختصاص * قال ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل

---

( الدر ) ﴿ سورة المدثر ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ( ش ) واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله أكبر انتهى ( ح ) هذا على مذهبه من أن تقديم المفعول على الفعل يدل على الاختصاص

وما كان فلا تدع تكبيره انتهى وهو قريب مما قدره النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره تنبه فاضرب زيدا فالفاء هي جواب الامر وهذا الأمر اما مضمن معنى الشرط واما الشرط بعده محذوف على الخلاف الذي فيه عند النحاة * وثيابك فطهر الظاهر أنه أمر بتطهير الثياب من النجاسات لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة ويقبح أن تكون ثياب المؤمن نجسة والقول بأنها الثياب حقيقة هو قول ابن سيرين وابن زيد والشافعي ومن هذه الآية ذهب الشافعي الى وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي * وقيل تطهيرها تقصيرها ومخالفة العرب في تطويل الثياب وجرهم الذيول على سبيل الفخر والتكبر قال الشاعر

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الأرض هداب الازر

ولا يؤمن من اصابتها النجاسة وفي الحديث ازرة المؤمن الى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من ذلك ففي النار وذهب الجمهور الى أن الثياب هنا مجاز * فقال ابن عباس والضحاك تطهيرها أن لا تكون تلبس بالقذر * وقال ابن عباس وابن جبير أيضا كنى بالثياب عن القلب كما قال امرؤ القيس * فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي * أي قلبي من قلبك وعلى الطهارة من القذر * وأنشد قول غيلان بن سلمة الثقفي

اني بحمد الله لا ثوب غادر * لبست ولا من خزية أتقنع

* وقيل كناية عن طهارة العمل المعنى وعملك فأصلح قاله مجاهد وابن زيد * وقال ابن زيد اذا كان الرجل خبيث العمل قالوا فلان خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا فلان طاهر الثياب ونحو هذا عن السدي ومنه قول الشاعر

لاهم ان عامر بن جهم * أوذم حجا في ثياب دسم

أي دنسة بالمعاصي وقيل كنى عن النفس بالثياب قاله ابن عباس * قال الشاعر

* فشككت بالرمح الطويل ثيابه * وقال آخر

ثياب بني عوف طهارى نقية * وأوجههم بيض المسافر غران

أي أنفسهم * وقيل كنى بها عن الجسم * قالت ليلى وقد ذكرت ابلا

رموها بأثواب خفاف فلا ترى * لها شبها الا النعام المنفرا

أي ركبوها فرموها بأنفسهم * وقيل كناية عن الاهل قال تعالى هن لباس لكم والتطهر فيهن اختيار المؤمنات العفائف * وقيل وطئهن في القبل لا في الدبر في الطهر لا في الحيض حكاه ابن بحر * وقيل كناية عن الخلق أي وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي ومنه قوله

ويحيى مايلام سوء خلق * ويحيى طاهر الأثواب حر

أي حسن الأخلاق * وقرأ الجمهور والرجز بكسر الراء وهي لغة قريش والحسن ومجاهد والسلمي وأبو جعفر وأبو شيبة وابن محيصن وابن وثاب وقتادة والنخعي وابن أبي اسحق والأعرج وحفص بضمها فقيل هما بمعنى واحد يراد بهما الأصنام والأوثان * وقيل الكسر للبين والنقائص والفجور والضم لصنمين أساف ونائلة * وقال عكرمة ومجاهد والزهري للاصنام عموما * وقال ابن عباس الرجز السخط أي اهجر مايؤدي اليه * وقال الحسن كل معصية والمعنى في الأمر اثبت ودم على هجره لانه صلى الله عليه وسلم كان بريئا منه * وقال النخعي الرجز الاثم * وقال القتبي العذاب أي اهجر مايؤدي اليه * وقرأ الجمهور ولا تمنن بفك التضعيف والحسن وأبو السمال بشد

النون * قال ابن عباس وغيره لا تعط عطاء لتعطى أكثر منه كأنه من قولهم من اذا أعطى * قال الضحاك هذا خاص به صلى الله عليه وسلم ومباح ذلك لأمته لكنه لا أجر لهم وعن ابن عباس أيضا لا تقل دعوت فلم أجب وعن قتادة لا تدل بعملك وعن ابن زيد لا تمنن بنبوتك تستكثر بأجر أو كسب تطلبه منهم * وقال الحسن تمنن على الله بجدك تستكثر أعمالك ويقع لك بها اعجاب وهذه الأقوال كلها من المن تعداد اليد وذكرها * وقال مجاهد ولا تمنن تستكثر ما حملناك من أعباء الرسالة أو تستكثر من الخير من قولهم حبل متين أي ضعيف * وقيل ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه * وقرأ الجمهور تستكثر برفع الراء والجملة حالية أي مستكثرا * قال الزمخشري ويجوز في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع انتهى وهذا لا يجوز أن يحمل القرآن عليه لانه لا يجوز ذلك الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة الحال أي مستكثرا * وقرأ الحسن وابن أبي عبلة بجزم الراء ووجهه انه بدل من تمنن أي لا تستكثر كقوله يضاعف له العذاب في قراءة من جزم بدلا من قوله يلق وكقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ويكون من المن الذي في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى لان من شأن المان أن يستكثر ما يعطى أن يراه كثيرا ويعتد به وأجاز الزمخشري فيه وجهين أحدهما أن تشبه ثرو بعضد فتسكن تخفيفا والثاني أن يعتبر حال الوقف يعني فيجري الوصل مجرى الوقف وهذان لا يجوز أن يحمل القرآن عليهما مع وجود ما هو راجح عليهما وهو البدل * وقرأ الحسن أيضا والأعمش تستكثر بنصب الراء أي لن تحقرها * وقرأ ابن مسعود ان تستكثر باظهار ان ولربك فاصبر أي لوجه ربك أمره بالصبر فيتناول الصبر على تكاليف النبوة وعلى أداء طاعة الله وعلى أذى الكفار * قال ابن زيد على حرب الأحمر والاسود فكل مصبور عليه ومصبور عنه يندرج في الصبر * وقال الزمخشري والفاء في قوله فاذا نقر للتسبيب كأنه قيل فاصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه * وقال الزمخشري والفاء في فذلك للجزاء ( فان قلت ) بم انتصب اذ وكيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير ( قلت ) انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الأمر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير ( فان قلت ) فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه ( قلت ) لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا فيجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد به عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا انتهى * وقال الحوفي فاذا اذا متعلقة بأنذر أي فأنذرهم اذا نقر في الناقور * قال أبو البقاء يجرى على قول الأخفش أن تكون اذا مبتدأ والخبر فذلك والفاء زائدة فأما يومئذ فظرف لذلك وأجاز أبو البقاء أن يتعلق على الكافرين بيسير أي غير يسير أي غير سهل على الكافرين وينبغي أن لا يجوز لان فيه تقديم معمول العامل المضاف اليه غير على العامل وهو ممنوع على الصحيح وقد أجازه بعضهم فيقول انا زيدا غير راض * ذرني ومن خلقت وحيدا الاخلاف انها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي فروى انه كان يلقب بالوحيد أي لانه لا نظير

( الدر )

(ش) ويجوز في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع انتهى (ح) هذا لا يجوز أن يحمل القرآن عليه لانه لا يجوز ذلك الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال أي مستكثرا (ش) فيه وجهان أحدهما أن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا والثاني أن يعتبر حال الوقف يعني فيجري الوصل مجرى الوقف انتهى (ح) هذا لا يجوز أن يحمل القرآن عليهما مع وجود ما هو راجح عليهما وهو البدل

له فى ماله وشرفه فى بيته والظاهر انتصاب وحيدا على الحال من الضمير المحذوف العائد على من أى خلقته منفردا ذليلا قليلا لا مال له ولا ولد فآتاه الله تعالى المال والولد فكفر نعمته وأشرك به واستهزأ بدينه * وقيل حال من ضمير النصب فى ذرنى قاله مجاهد أى ذرنى وحدى معه فأنا أجزيك فى الانتقام منه أو حال من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد فأنا أهلكه لا أحتاج الى ناصر فى اهلاكه * وقيل وحيدا لا يتبين أبوه وكان الوليد معروفا بانه دعى كما تقدم فى قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم واذا كان بدعى وحيدا فلا يجوز أن ينتصب على الذم لانه لا يجوز أن يصدقه الله تعالى فى انه وحيد لا نظير له ورد ذلك بانه لما لقب بذلك صار علما والعلم لا يفيد فى المسمى صفة وأيضا فيمكن حمله على انه وحيد فى الكفر والخبث والدناءة * وجعلت له مالا ممدودا * قال ابن عباس كان له بين مكة والطائف ابل وحجور ونعم وجنان وعبيد وجوار * وقيل كان صاحب زرع وضرع وتجارة * وقال النعمان بن بشير المال الممدود هو الارض لانها مدت * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الريع المستغل مشاهرة فهو مد فى الزمان لا ينقطع * وقيل هو مقدار معين واضطرب فى تعيينه فما قيل ألف دينار * وقيل ألف ألف دينار وكل هذا تحكم * وبنين شهودا أى حضورا معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم فهو مستأنس بهم أو شهودا أى رجالا يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه واختلف فى عددهم فذكر منهم خالد وهشام وعمارة وقد أسلموا والوليد والعاصى وقيس وعبد شمس * قال مقاتل فما زال الوليد بعد هذه الآية وبعد نزولها فى نقص فى ماله وولده حتى هلك * ومهدت له تمهيدا أى وطأت وهيأت وبسطت له بساطا حتى أقام ببلدته مطمئنا يرجع الى رأيه * وقال ابن عباس وسعت له ما بين اليمن الى الشام * وقال مجاهد مهدت له المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش ثم يطمع أن أزيد أى على ما أعطيته من المال والولد كلا أى ليس يكون كذلك مع كفره بالنعم * وقال الحسن وغيره ثم يطمع أن أدخله الجنة لانه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الالى ثم يطمع * قال الزمخشرى استبعاد لطمعه واستنكار أى لا مزيد على ما أوتى كثرة وسعة كلا قطع لرجائه وردع انتهى وطمعه فى الزيادة دليل على مبشعه وحبه للدنيا انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقال انه كان يعاند آيات المنعم وكفر بذلك والكافر لا يستحق المزيد وانما جعلت الآيات بالنسبة الى الانعام لمناسبة قوله وجعلت له مالا ممدودا الى آخر ما آتاه الله والأحسن أن يحمل على آيات القرآن لحديثه فى القرآن وزعمه انه سحر * سأرهقه أى سأكلفه وأعنته بمشقة وعسر صعودا عقبة فى جهنم كلما وضع عليها شئ من الانسان ذاب ثم يعود والصعود فى اللغة العقبة الشاقة وتقدم شرح عنيد فى سورة ابراهيم عليه السلام * انه فكر وقدر * روى أن الوليد حاج أبا جهل وجماعة من قريش فى أمر القرآن وقال ان له لحلاوة وان أسفله لمغدق وان فرعه لجناة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى ونحو هذا من الكلام فخالفوه وقالوا هو شعر فقال والله ما هو بشعر قد عرفنا الشعر هزجه وبسيطه قالوا فهو كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان قالوا هو مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وخنقه قالوا هو سحر قال أما هذا فيشبه انه سحر ويقول أقوال نفسه * وروى هذا بألفاظ غير هذه ويقرب من حيث المعنى وفيه وتزعمون انه كذب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يؤثره عن مثل

مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه * وروي أن الوليد سمع من القرآن ما أعجبه ومدحه ثم سمع كذلك مرارا حتى كاد أن يقارب الاسلام ودخل الى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مرارا فجاءه أبو جهل فقال يا وليد أشعرت أن قريشا قد ذمتك بدخولك الى ابن أبي قحافة وزعمت انك انما تقصد أن تأكل طعامه وقد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في هذا الكلام قولا يرضيهم ففتنه أبو جهل فافتتن وقال أفعل * انه فكر تعليل للوعيد في قوله سأرهقه صعودا * قيل ويجوز أن يكون انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده وفكر أي في القرآن ومن أتى به وقدر أي في نفسه ما يقول فيه * فقتل كيف قدر * قيل قتل لعن * وقيل غلب وقهر وذلك من قوله * لسهميك في أعشار قلب مقتل * أي مذلل مقهور بالحب فلعن دعاء عليه بالطرد والابعاد وغلب وذلك اخبار بقهره وذلته وكيف قدر معناه كيف قدر ما لا يصح تقديره وما لا يسوغ أن يقدره عاقل * وقيل دعاء مقتضاه الاستحسان والتعجب * فقيل ذلك لمنزعه الأول في مدحه القرآن وفي نفيه الشعر والكهانة والجنون عنه فيجري مجرى قول عبد الملك بن مروان قاتل الله كثيرا كأنه رآنا حين قال كذا * وقيل ذلك لاصابته ما طلبت قريش منه * وقيل ذلك ثناء عليه على جهة الاستهزاء به * وقيل ذلك حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله وهذا فيه بعد وقولهم قاتلهم الله مشهور في كلام العرب انه يقال عند استعظام الأمر والتعجب منه ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي يحسد عليه ويدعو عليه من حساده والاستفهام في كيف قدر في معنى ما أعجب تقديره وما أغربه كقولهم أي رجل زيد أي ما أعظمه وجاء التكرار بثم ليدل على أن الثانية أبلغ من الأولى للتراخي الذي بينهما كأنه دعي عليه أولا ورجي أن يقلع عن ما كان يرومه فلم يفعل فدعي عليه ثانيا ثم نظر أي فكر ثانيا * وقيل نظر الى وجوه الناس ثم عبس وبسر أي قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول * وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أدبر رجع مدبرا * وقيل أدبر عن الحق واستكبر * قيل تشاوس مستكبرا * وقيل استكبر عن الحق ووصفه بالهيئات التي تشكل بها حين أراد أن يقول ما قال كل ذلك على سبيل الاستهزاء وأن ما يقوله كذب وافتراء إذ لو كان ممكنا لكان له هيئات غير هذه من فرح القلب وظهور السرور والجذل والبشر في وجهه ولو كان حقا لم يحتج الى هذا الفكر لان الحق أبلج يتضح بنفسه من غير اكداد فكر ولا ابطاء تأمل ألا ترى الى ذلك الرجل وقوله حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت ان وجهه ليس بوجه كذاب وأسلم من فوره * وقيل ثم نظر فيما يحتج به للقرآن فرأى ما فيه من الاعجاز والاعلام بمرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم ودام نظره في ذلك ثم عبس وبسر دلالة على تأنيه وتمهله في تأمله إذ بين ذلك تراخ وتباعد وكان العطف في وبسر وفي واستكبر لان البسور قريب من العبوس فهو كأنه على سبيل التوكيد والاستكبار يظهر انه سبب للادبار إذ الاستكبار معنى في القلب والادبار حقيقة من فعل الجسم فهما سبب ومسبب فلا يعطف بثم وقدم المسبب على السبب لانه الظاهر للعين وناسب العطف بالواو وكان العطف في فقال بالفاء دلالة على التعقيب لانه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلبه لم يتمالك ان نطق به من غير تمهل ومعنى يؤثر يروى وينقل * قال الشاعر

لقلت من القول ما لا يزا * ل يؤثر عني به المسند

* وقيل يؤثر أي يختار ويرجح على غيره من السحر فيكون من الإيثار ومعنى إلا سحر أي شبيه بالسحر * إن هذا إلا قول البشر تأكيد لما قبله أي يلتقط من أقوال الناس ويظهر أن كفر الوليد إنما هو عناد ألا ترى ثناءه على القرآن ونفيه عنه جميع ما نسبوا إليه من الشعر والكهانة والجنون وقصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ عليه أوائل سورة فصلت إلى قوله تعالى فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وكيف ناشده الله والرحم أن يسكت * سأصليه سقر * قال الزمخشري بدل من سأرهقه صعودا انتهى ويظهر أنهما جملتان عقبت كل واحدة منهما فتوعد على سبيل التوعد العصيان الذي قبل كل واحدة منهما فتوعد على كونه عنيدا لآيات الله بإرهاق صعود وعلى قوله بأن القرآن سحر يؤثر بإصلائه سقر وتقدم الكلام على سقر في أواخر سورة القمر وما أدراك ما سقر تعظيم لهولها وشدتها لا تبقي ولا تذر أي لا تبقي على من ألقي فيها ولا تذر غاية من العذاب إلا أوصلته إليه * لواحة للبشر قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسودة لها والبشر جمع بشرة وتقول العرب لاحت النار الشيء إذا أحرقته وسودته * وقال الحسن وابن كيسان لواحة بناء مبالغة من لاح إذا ظهر والمعنى أنها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمسمائة عام وذلك لعظمها وهولها وزجرها كقوله تعالى لترون الجحيم وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى * وقرأ الجمهور لواحة بالرفع أي هي لواحة * وقرأ العوفي وزيد بن علي والحسن وابن أبي عبلة لواحة بالنصب على الحال المؤكدة لأن النار التي لا تبقي ولا تذر لا تكون إلا مغيرة للأبشار * وقال الزمخشري نصبا على الاختصاص للتهويل * عليها تسعة عشر التمييز محذوف والمتبادر إلى الذهن أنه ملك ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد ملك حين سمعوا ذلك * فقال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وأنزل الله تعالى في أبي جهل أولى لك فأولى * وقيل التمييز المحذوف صنفا من الملائكة * وقيل نقيبا ومعنى عليها يتولون أمرها وإليهم جماع زبانيتها فالذي يظهر من العدد ومن الآية بعده ومن الحديث أن هؤلاء هم النقباء ألا ترى إلى قوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وقوله عليه الصلاة والسلام يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقد ذكر المفسرون من نعوت هؤلاء الملائكة وخلقهم وقوتهم وما أقدرهم الله تعالى عليه من الأفعال ما الله أعلم بصحته وكذلك ذكر أبو عبد الله الرازي حكمة في زعمه في كون هؤلاء الملائكة على هذا العدد المخصوص يوقف عليها في تفسيره * وقرأ الجمهور تسعة عشر مبنيين على الفتح على مشهور اللغة في هذا العدد * وقرأ أبو جعفر وطلحة بن سليمان بإسكان العين كراهة توالي الحركات * وقرأ أنس بن مالك وابن عباس وابن قطيب وإبراهيم بن قنة بضم التاء وهي حركة بناء عدل إليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات ولا يتوهم أنها حركة إعراب لأنها لو كانت حركة إعراب لأعرب عشر * وقرأ أنس أيضا تسعة بالضم أعشر بالفتح * وقال صاحب اللوامح فيجوز أنه جمع العشرة على أعشر ثم أجراه مجرى تسعة عشر وعنه أيضا تسعة وعشر بالضم وقلب الهمزة من أعشر واوا خالصة تخفيفا والتاء فيهما مضمومة ضمة بناء لأنها معاقبة للفتحة فرارا من الجمع بين خمس

( الدر )

(ش) سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا انتهى (ح) يظهر أنهما جملتان اعتقبت كل واحدة منهما على سبيل التوعد للعصيان الذي قبل كل واحدة منهما فتوعد على كونه عنيدا لآيات الله بإرهاق صعود وعلى قوله بأن القرآن سحر يؤثر بإصلائه سقر

حركات على جهة واحدة وعن سليمان بن قتة وهو أخو ابراهيم انه قرأ تسعة أعشر بضم التاء ضمة اعراب واضافته الى أعشر وأعشر مجرور منون وذلك على فك التركيب * قال صاحب اللوامح ويجيء على هذه القراءة وهي قراءة من قرأ أعشر مبنيا أو معربا من حيث هو جمع ان الملائكة الذين هم على النار تسعون ملكا انتهى وفيه بعض تلخيص * قال الزمخشري وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن انتهى وسليمان بن قتة هذا هو الذي مدح أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل

مررت على أبيات آل محمد * فلم أر أمثالها يوم حلت

وكانوا ثمالا ثم عادوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي جعلناهم خلقا لا قبل لأحد من الناس بهم وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا أي سبب فتنة وفتنة مفعول ثان لجعلنا أي جعلنا تلك العدة وهي تسعة عشر سببا لفتنة الكفار فليس فتنة مفعولا من أجله وفتنتهم هي كونهم أظهروا مقاومتهم في مغالبتهم وذلك على سبيل الاستهزاء فانهم يكذبون بالبعث وبالنار وبخزنتها ليستيقن هذا مفعول من أجله وهو متعلق بجعلنا لا بفتنة فليست الفتنة معلولة للاستيقان بل المعلول جعل العدة سببا للفتنة الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ان هذا القرآن هو من عند الله إذ هم يجدون هذه العدة في كتبهم المنزلة ويعلمون أن الرسول لم يقرأها ولا قرأها عليه أحد ولكن كتابه يصدق كتب الأنبياء إذ كل ذلك حق يتعاضد من عند الله تعالى * قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد وغيرهما ورود الحقائق من عند الله تعالى يزداد كل ذي إيمان إيمانا ويزول الريب عن المصدقين من أهل الكتاب وعن المؤمنين * وقيل انما صار جعلها فتنة لانهم يستهزؤن ويقولون لم لم يكونوا عشرين وما المقتضى لتخصيص هذا العدد بالوجود ويقولون هذا العدد القليل يقوون بتعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ما خلق الله تعالى الى قيام الساعة * وقال الزمخشري (فان قلت) قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك (قلت) ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين انتهى وهو سؤال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله تعالى إذ زعم ان معنى إلا فتنة للذين كفروا إلا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء وكفى ردا عليه تحريف كتاب الله ووضع ألفاظ مخالفة لألفاظ ومعنى مخالف لمعنى * وقيل ليستيقن متعلق بفعل مضمر أي فعلنا ذلك ليستيقن ولا يرتاب توكيد لقوله ليستيقن إذ إثبات اليقين ونفي الارتياب أبلغ وآكد في الوصف لسكون النفس السكون التام * والذين في قلوبهم مرض قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما المرض في الآية الاضطراب وضعف الايمان * وقيل هو اخبار بالغيب أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ماذا أراد الله بهذا مثلا لما سمعوا هذا العدد لم يهتدوا وحاروا فاستفهم بعضهم بعضا عن ذلك

(ش) فان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك * قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين انتهى (ح) هذا سؤال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله اذ زعم أن معنى الا فتنة للذين كفروا الا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء وكفى ردا عليه تحريف كتاب الله ووضع ألفاظ مخالفة لألفاظ ومعنى مخالف لمعنى

﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ الكاف في محل نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين فيشكون فيزيدهم كفرا وضلالا ويهدي المؤمنين فيزيدهم ايمانا ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ اعلام بان الأمر فوق ما يتوهم وأن الخبر انما هو عن بعض القدرة لا عن كلها والسماء عامرة بانواع من الملائكة وفي الحديث أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم الا وملك واضع جبهته لله تعالى ساجدا ﴿ وما هي ﴾ أي النار ﴿ الا ذكرى للبشر ﴾ أي الذين أهلوا للتذكر والاعتبار ﴿ كلا ﴾ قال الزمخشري كلا انكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون انتهى ليس يسوغ هذا في حق الله تعالى أن يخبر انها ذكرى للبشر ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى وانما قوله للبشر عام مخصوص ﴿ والقمر والليل اذ أدبر ﴾ أي ولى ويقال دبر وأدبر بمعنى واحد أقسم تعالى بهذه الأشياء تشريفا لها وتنبيها على ما يظهر بها وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بايجادها ﴿ إنها لاحدى الكبر ﴾ الظاهر أن الضمير في إنها عائد على النار واحدى الكبر الدواهي الكبر أي لا نظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهي إحدى النساء والكبر العظائم من العقوبات ﴿ نذيرا للبشر ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو منصوب بفعل مضمر أي ناد أو بلغ أو أعلن والظاهر أن لمن بدل من البشر باعادة الجار ﴿ ان يتقدم ﴾ منصوب بشاء والفاعل بشاء ضمير يعود على من وقيل الفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي لمن شاء هو أي الله تعالى أن  يتقدم عن طاعة الله تعالى أو يتأخر عنها والظاهر العموم في كل نفس ورهينة بمعنى مرهونة كالنطيحة بمعنى المنطوحة أنث مراعاة لقوله كل نفس كما ذكر في قوله كل امرئ بما كسب رهين مراعاة لامرئ وهو ذكر ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ استثناء منقطع ﴿ في جنات ﴾ خبر ﴿ يتساءلون ﴾ حال ﴿ ما سلككم ﴾ خطاب المجرمين أطلع الله المؤمنين



على أحوال المجرمين فسألوهم سؤال توبيخ لهم وتحسير والا فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار والجواب أنهم لم يكونوا متصفين بخصائل الاسلام من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ثم ارتقوا من ذلك الى الاعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء واليقين الموت ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ أي لا شفاعة شافعين لهم فتنفعهم من باب * على لاحب لا يهتدي بمناره * أي لا منار له فيهتدى به ﴿ فما لهم عن التذكرة ﴾ وهي مواعظ القرآن التي تذكر الآخرة ﴿ معرضين ﴾ أي والحال المنتظرة هذه الموصوفة ثم شبههم بالحمر الوحشية المستنفرة في شدة اعراضهم ونفارهم عن الايمان وآيات الله تعالى وقرئ بكسر الفاء اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول وقال ابن الاعرابي القسورة أول الليل والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شئ أشد نفارا من حمر الوحش ولذلك شبهت بها العرب الابل في سرعة سيرها وخفتها وقيل القسورة الرماة والصيادون وقيل الاسد قاله جماعة من اللغويين ﴿ بل يريد كل امرئ منهم ﴾ أي من المعرضين عن عظات الله تعالى وآياته ﴿ أن يؤتى صحفا منشرة ﴾ أي منشورة غير مطوية تقرأ كالكتب التي يتكاتبونها أو كتبت في السماء نزلت بها الملائكة ساعة كتبت رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى يؤتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان يؤمر فيها باتباعك فنزلت هذه الآية ﴿ كلا ﴾ ردع عن اعراضهم عن التذكرة ﴿ إنه تذكرة فمن شاء ذكره ﴾ ذكر في انه وفي ذكره لأن التذكرة تذكر ﴿ هو أهل التقوى ﴾ أي أهل أن يتقى ويخاف ﴿ وأهل ﴾ أن يغفر سبحانه وتعالى

استبعادا أن يكون هذا من عند الله وسموه مثلا استعارة من المثل المضروب استغرابا منهم لهذا العدد والمعنى أي شئ أراد الله بهذا العدد العجيب ومرادهم إنكار أصله وانه ليس من عند الله وتقدم اعراب مثل هذه الجملة في أوائل البقرة ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر * كلا والقمر * والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها لاحدى الكبر * نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر * كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة * بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة * كلا بل لا يخافون الآخرة * كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴾ الكاف في محل نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أي مثل ذلك

المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين فيشكون فيزيدهم كفرا وضلالا ويهدى المؤمنين فيزيدهم إيمانا * وما يعلم جنود ربك إلا هو اعلام بان الأمر فوق مايتوهم وأن الجزاء انما هو عن بعض القدرة لا عن كلها والسماء عامرة بأنواع من الملائكة * وفى الحديث أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع قدم إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا وماهى أى النار قاله مجاهد أو المخاطبة والنذارة أو نار الدنيا أو الآيات التى ذكرت أو العدة التسعة عشر أو الجنود أقوال راجحها الأول وهى سقر ذكرها البشر ليخافوا ويطيعوا وقد جرى ذكر النار أيضا فى قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة إلا ذكرى للبشر أى الذين أهلوا للتذكر والاعتبار كلا * قال الزمخشرى كلا انكار بعد أن جعلها ذكرى أن يكون لهم ذكرى لانهم لايتذكرون انتهى ولا يسوغ هذا فى حق الله تعالى أن يخبر انها ذكرى للبشر ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى وانما قوله للبشر عام مخصوص * وقال الزمخشرى أو ردع لمن ينكر أن يكون احدى الكبر نذيرا * وقيل ردع لقول أبى جهل وأصحابه انهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم * وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة * وقال الفراء هى صلة للقسم وقدرها بعضهم بحقا وبعضهم بألا الاستفتاحية وقد تقدم الكلام عليها فى آخر سورة مريم عليها السلام * والقمر والليل إذ أدبر أى ولى ويقال دبر وأدبر بمعنى واحد أقسم تعالى بهذه الأشياء تشريفا لها وتنبيها على مايظهر بها وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بايجادها * وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وابن يعمر وأبو جعفر وشيبة وأبو الزناد وقتادة وعمر بن عبد العزيز والحسن وطلحة والنحويان والابنان وأبو بكر اذا ظرف زمان مستقبل دبر بفتح الدال وابن جبير والسلمى والحسن بخلاف عنهم وابن سيرين والأعرج وزيد بن على وأبو شيخ وابن محيصن ونافع وحمزة وحفص إذ ظرف زمان ماض أدبر رباعيا والحسن أيضا وأبو رزين وأبو رجاء وابن يعمر أيضا والسلمى أيضا وطلحة أيضا والأعمش ويونس بن عبيد ومطر اذا بالألف أدبر بالهمز وكذا هو فى مصحف عبد الله وأبى وهو مناسب لقوله اذا أسفر ويقال كأمس الدابر وأمس المدبر بمعنى واحد * وقال يونس بن حبيب دبر انقضى وأدبر تولى * وقال قتادة دبر الليل ولى * وقال الزمخشرى ودبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل * وقيل هو من دبر الليل النهار أخلفه * وقرأ الجمهور أسفر رباعيا وابن السميقع وعيسى بن الفضل سفر ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة عن وجهه * انها لاحدى الكبر الظاهر ان الضمير فى انها عائد على النار * قيل ويحتمل أن يكون للنذارة وأمر الآخرة فهو للحال والقصة * وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر فعاد الضمير الى غير مذكور ومعنى احدى الكبر الدواهى الكبر أى لانظير لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء والكبر العظائم من العقوبات

﴿ وقال الراجز ﴾

يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر * داهية الدهر وصماء الغير

والكبر جمع الكبرى طرحت ألف التأنيث فى الجمع كما طرحت همزته فى قاصعاء فقالوا قواصع وفى كتاب ابن عطية والكبر جمع كبيرة ولعله من وهم الناسخ * وقرأ الجمهور لاحدى بالهمز وهى منقلبة عن واو وأصله لوحدى وهو بدل لازم * وقرأ نصر بن عاصم وابن محيصن ووهب بن جرير عن ابن كثير بحذف الهمزة وهو حذف لاينقاس وتخفيف مثل هذه الهمزة أن تجعل بين بين والظاهر ان هذه الجملة جواب القسم * وقال الزمخشرى أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد

( الدر )

(ش) كلا انكار بعد أن جعلها ذكرى أن يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون انتهى (ح) لايسوغ هذا فى حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر ثم ينكر أن يكون لهم ذكرى وانما قوله للبشر عام مخصوص (ع) والكبر جمع كبيرة انتهى (ح) لعل هذا من وهم الناسخ والكبر انما هو جمع الكبرى طرحت ألف التأنيث فى الجمع كما طرحت همزته فى قاصعاء فقالوا قواصع

انتهى * وقرأ الجمهور نذيرا واحتمل أن يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار فيكون تمييزا أي لاحدى الكبر انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا كما ضمن احدى معنى أعظم جاء عنه التمييز * وقال الفراء هو مصدر نصب باضمار فعل أي أنذر انذارا واحتمل أن يكون اسم فاعل بمعنى منذر * فقال الزجاج حال من الضمير في انها * وقيل حال من الضمير في احدى ومن جعله متصلا بقم في أول السورة أو بفأنذر في أول السورة أو حالا من الكبر أو حالا من ضمير الكبر فهو بمعزل عن الصواب * قال أبو البقاء والمختار أن يكون حالا مما دلت عليه الجملة تقديره عظمت نذيرا انتهى وهو قول لا بأس به * قال النحاس وحذفت الهاء من نذيرا وان كان للنار على معنى النسب يعني ذات الانذار * وقال علي بن سليمان أعني نذيرا * وقال الحسن لأنذر اذهى من النار * قال ابن عطية وهذا القول يقتضي ان نذيرا حال من الضمير في انها أو من قوله لاحدى * قال أبو رزين نذير هنا هو الله تعالى فهو منصوب باضمار فعل أي ادعوا نذيرا * وقال ابن زيد نذير هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو منصوب بفعل مضمر أي نادأو بلغ أو أعلن * وقرأ أبي وابن أبي عبلة نذير بالرفع فان كان من وصف النار جاز أن يكون خبرا وخبر مبتدا محذوف أي هي نذير وان كان من وصف الله أو الرسول فهو على اضمار هو والظاهر ان لمن بدل من البشر باعادة الجار وأن يتقدم منصوب بشاء ضمير يعود على من * وقيل الفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي لمن شاء هو أي الله تعالى * وقال الحسن هو وعيد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * قال ابن عطية هو بيان في النذارة واعلام بان كل أحد يسلك طريق الهدى والحق اذا حقق النظر اذ هو بعينه يتأخر عن هذه الرتبة بغفلته وسوء نظره ثم قوى هذا المعنى بقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة * وقال الزمخشري أن يتقدم في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه لقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انتهى وهو معنى لا يتبادر الى الذهن وفيه حذف * قيل والتقدم الايمان والتأخر الكفر * وقال السدي أن يتقدم الى النار المتقدم ذكرها أو يتأخر عنها الى الجنة * وقال الزجاج أن يتقدم الى المأمورات أو يتأخر عن المنهيات والظاهر العموم في كل نفس * وقال الضحاك كل نفس حقيق عليها العذاب ولا يرتهن الله تعالى أحدا من أهل الجنة ورهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست بمعنى مفعول لانها بغير تاء للمذكر والمؤنث نحو رجل قتيل وامرأة قتيل فالمعنى كل نفس بما كسبت رهن ومنه قول الشاعر

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذي تراب وجندل

أي رمس رهن والمعنى ان كل نفس رهن عند الله غير مفكوك * وقيل الهاء في رهينة للمبالغة * وقيل على تأنيث اللفظ لا على الانسان والذي أختاره انها مما دخلت فيه التاء وان كان بمعنى مفعول في الاصل كالنطيحة ويدل على ذلك انه لما كان خبرا عن المذكر كان بغيرها قال تعالى كل امرىء بما كسب رهين فأنت ترى حيث كان خبرا عن المذكر أتى بغير تاء وحيث كان خبرا عن المؤنث أتى بالتاء كما في هذه الآية فأما الذي في البيت فأنث على معنى النفس * الا أصحاب اليمين قال ابن عباس هم الملائكة * وقال علي هم أطفال المسلمين فعلى هذين القولين يكون استثناء منقطعا أي لكن أصحاب اليمين في جنات * وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم أدوا ما كان عليهم وهذا كقول الضحاك الذي تقدم * وقال الزمخشري الا أصحاب اليمين

فانهم فكوا عنهم رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق انتهى وظاهر هذا انه استثناء متصل فى جنات أى هم فى جنات يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضا أو يكون يتساءل بمعنى يسأل أى يسألون عنهم غيرهم كما يقال دعوته وتداعوته بمعناه وعلى هذين التقديرين كيف جاء ماسلككم فى سقر بالخطاب للمجرمين وفى الكلام حذف المعنى أن أصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم عن من غاب من معارفهم فاذا عرفوا أنهم مجرمون فى النار قالوا لهم أو قالت لهم الملائكة هكذا قدره بعضهم والأقرب أن يكون التقدير يتساءلون عن المجرمين قائلين لهم بعد التساؤل ماسلككم فى سقر * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف طابق قوله ماسلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون عن المجرمين وانما كان يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم (قلت) ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الا أن الكلام جىء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل فى غرابة نظمه انتهى وفيه تعسف والأظهر أن السائلين هم المتسائلون وماسلككم على اضمار القول كما ذكرنا وسؤالهم سؤال توبيخ لهم وتحقير والافهم عالمون ماالذى أدخلهم النار والجواب أنهم لم يكونوا متصفين بخصائل الاسلام من اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم ارتقوا من ذلك الى الأعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء كقولهم فلا اقتحم العقبة ثم قال ثم كان من الذين آمنوا واليقين أى يقينا على انكار يوم الجزاء أى وقت الموت * وقال ابن عطية واليقين عندى صحته ما كانوا يكذبون من الرجوع الى الله تعالى والدار الآخرة * وقال المفسرون اليقين الموت وذلك عندى هنا متعقب لان نفس الموت يقين عند الكافر وهو حى وانما اليقين الذى عنوا فى هذه الآية الشىء الذى كانوا يكذبون به وهم أحياء فى الدنيا فتيقنوه بعد الموت وانما يتفسر اليقين بالموت فى قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس المعنى انهم يشفع لهم فلا تنفع شفاعة من يشفع لهم وانما المعنى نفى الشفاعة فانتفى النفع أى لا شفاعة شافعين لهم فتنفعهم من باب * على لاحب لا يهتدى بمناره * أى لامنار له فيهتدى به وتخصيصهم بانتفاء شفاعة الشافعين يدل على أنه قد تكون شفاعات وينتفع بها وورد فى أحاديث فى صحة ذلك * فمالهم عن التذكرة وهى مواعظ القرآن التى تذكر الآخرة معرضين أى والحال المنتظرة هذه الموصوفة ثم شبههم بالحمر المستنفرة فى شدة اعراضهم ونفارهم عن الايمان وآيات الله تعالى * وقرأ الجمهور حمر بضم الميم والأعمش باسكانها * قال ابن عباس المراد الحمر الوحشية شبههم تعالى بالحمر مذمة وتهجينا لهم * وقرأ نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم مستنفرة بفتح الفاء والمعنى استنفرها فزعها من القسورة وباقى السبعة بكسرها أى نافرة نفر واستنفر بمعنى عجب واستعجب وسر واستسخر ومنه قول الشاعر

أمسك حمارك انه مستنفر * فى اثر أحمرة عمدن لغرّب

ويناسب الكسر قوله فرت * وقال محمد بن سلام سألت أبا سرار الغنوى وكان أعرابيا فصيحا فقلت كأنهم حمر ماذا مستنفرة طردها قسورة فقلت انما هو فرت من قسورة قال أفرت قلت نعم قال فمستنفرة اذن * قال ابن عباس وأبو موسى الأشعرى وقتادة وعكرمة القسورة الرماة * وقال ابن عباس أيضا وأبو هريرة وجمهور من اللغويين الأسد * وقال ابن جبير رجال

القنص وهو قريب من القول الأول وقاله ابن عباس أيضا * وقال ابن الأعرابي القسورة أول الليل والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شيء أشد نفارا من حمر الوحش ولذلك شبهت بها العرب الابل في سرعة سيرها وخفتها بل يريد كل امرىء منهم أي من المعرضين عن عظات الله وآياته أن يؤتى صحفا منشرة أي منشورة غير مطوية تقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبت في السماء نزلت بها الملائكة ساعة كتبت رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى يؤتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين الى فلان بن فلان يؤمر فيها باتباعك ونحوه لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه * وروى أن بعضهم قال ان كان يكتب في صحف ما يعمل كل انسان فلتعرض تلك الصحف علينا فنزلت هذه الآية * وقرأ الجمهور صحفا بضم الصاد والحاء منشرة مشددا وابن جبير باسكانهما منشرة مخففا ونشر وأنشر مثل نزل وأنزل شبه نشر الصحيفة بأنشار الله الموتى فعبر عنه بمنشرة من أنشرت والمحفوظ في الصحيفة والثوب نشر مخففا ثلاثيا ويقال في الميت أنشره الله فنشر هو أي أحياه فحيي * كلا ردع عن ارادتهم تلك وزجر لهم عن اقتراح الآيات بل لا يخافون الآخرة ولذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف وقرأ الجمهور يخافون بياء الغيبة وأبو حيوة بتاء الخطاب التفاتا كلا ردع عن اعراضهم عن التذكرة انه تذكرة فمن شاء ذكره ذكر في انه وفي ذكره لان التذكرة ذكر * وقرأ نافع وسلام ويعقوب تذكرة بتاء الخطاب ساكنة الذال وباقي السبعة وأبو جعفر والأعمش وطلحة وعيسى والأعرج بالياء * وروى عن أبي حيوة يذكرون بياء الغيبة وشد الذال * وروى عن أبي جعفر تذكرون بالتاء وادغام التاء في الذال * هو أهل التقوى أي أهل أن يتقى ويخاف وأهل أن يغفر وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآية فقال يقول لكم ربكم جلت قدرته وعظمته أنا أهل أن أتقى فلا يجعل يتقى إله غيري ومن اتقى أن يجعل معي إلها غيري فأنا أغفر له * وقال الزمخشري في قوله تعالى وما يذكرون إلا أن يشاء الله يعني إلا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا

## ﴿ سورة القيامة مكية وهي أربعون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة * أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه * بل يريد الانسان ليفجر أمامه * يسئل أيان يوم القيامة * فاذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الانسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر * ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره * لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه * كلا بل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة * وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة * كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق * فلا صدق ولا صلى * ولكن كذب وتولى * ثم ذهب إلى أهله يتمطى * أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى * أيحسب الانسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة

﴿ سورة القيامة ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ لاأقسم بيوم القيامة ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أن فى آخر ماقبلها كلا بل لايخافون الآخرة وفيها كثير من أحوال القيامة فذكرهنا يوم القيامة وجلا من أحوالها أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهوله ﴿ ولا أقسم ﴾ قيل لانافية نفى أن يقسم بالنفس اللوامة وأقسم بيوم القيامة و ﴿ اللوامة ﴾ هى التى تلوم صاحبها فى ترك الطاعة ونحوه  وجواب القسم مادل عليه قوله ﴿ أيحسب الانسان ﴾ تقديره ليبعثن والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث قيل نزلت فى أبى جهل كان يقول أيزعم محمد أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرقها ويعيدها خلقا جديدا * وأن هى المخففة من الثقيلة سدت مسد مفعولى أيحسب لما ذكر الاخبار بقوله ﴿ بلى قادرين ﴾ أى نجمعها قادرين انتقل من هذا الاخبار الى الاخبار عن الانسان من غير ابطال لمضمون الجملة السابقة وهى نجمعها قادرين ليتبين ماهو عليه الانسان من عدم الفكر فى الآخرة وأنه معنى بشهواته ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل فى ليفجر تقديره بلوغ شهواته ﴿ يسأل أيان ﴾ أى متى ﴿ يوم القيامة ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب وتعنيت ويوم مبتدأ وأيان اسم استفهام فى موضع الخبر والجملة فى موضع نصب بيسأل وقرىء ﴿ فاذا برق ﴾ وبرق معناه شق ﴿ وخسف القمر ﴾ خسف يكون لازما ومتعديا تقول خسف القمر ذهب نوره وخسفه الله أذهب نوره ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ لم تلحق التاء فى جمع لان تأنيث الشمس مجاز أو لتغليب القمر وهو مذكر وجمعهما القاؤهما فى النار وقيل غير ذلك ﴿ أين المفر ﴾ مبتدا وأين ظرف فى موضع الخبر والجملة فى موضع نصب محكية بيقول والظاهر أن قوله

---

فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾

* برق بكسر الراء فزع ودهش وأصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره * ومنه قول ذى الرمة

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت * لعينيه مى سافرا كاد يبرق

﴿ قال الأعشى ﴾

وكنت أرى فى وجه مية لمحة * فأبرق مغشيا على مكانيا

وبرق بفتح الراء شق بصره وهو من البريق أى لمع بصره من شدة شخوصه * الوزر ماليجأ اليه من حصن أو جبل أو غيرهما * قال الشاعر

لعمرك ماللفتى من وزر * من الموت يدركه والكبر

* النضرة النعمة وجمال البشرة وطراوتها * قال الشاعر

أبى لى قبر لايزال مقابلى * وضربة فاس فوق رأسى فاقره

أى مؤثرة * التراقى جمع ترقوة وهى عظام الصدر ولكل انسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة * قال دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنهم * وقد بلغت نفوسهم التراقى

رقى يرقى من الرقية وهى مايستشفى به للمريض من الكلام المعد لذلك * تمطى تبختر فى مشيته وأصله من المطا وهو الظهر أى يلوى مطاه تبخترا * وقيل أصله تمطط أى تمدد فى مشيته ومد منكبيه قلبت الطاء فيه حرف علة كراهة اجتماع الأمثال كما قالوا تظنى من الظن وأصله تظنن والمطيطا التبختر ومد اليدين فى المشى والمطيط الماء الخاثر فى أسفل الحوض لانه يتمطط فيه أى يمتد وعلى هذا الاشتقاق لا يكون أصله من المط لاختلاف المادتين إذ مادة المطا م ط و ومادة تمطط م ط ط * سدى مهمل يقال إبل سدى أى مهملة ترعى حيث شاءت بلا راع وأسديت الشئ أى أهملته وأسديت حاجتى ضيعتها * قال الشاعر

فأقسم بالله جهد اليمين * ماخلق الله شيأ سدى

* وقال أبو بكر بن دريد فى المقصورة

لم أر كالمزن سواما بهلا * تحسبها مرعية وهى سدى

﴿ لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة * أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوى بنانه * بل يريد الانسان ليفجر أمامه * يسئل أيان يوم القيامة * فاذا برق البصر * وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر * يقول الانسان يومئذ أين المفر *

كلالاوزر * الى ربك يومئذ المستقر * ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره * لاتحرك به لسانك لتعجل به * إنّ علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إنّ علينا بيانه * كلابل تحبون العاجلة * وتذرون الآخرة * وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة * ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة * كلا إذا بلغت التراقى * وقيل من راق * وظنّ أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * الى ربك يومئذ المساق * فلاصدق ولاصلى *

﴿ كلالاوزر ﴾ هو من كلام الله تعالى لاحكاية عن الانسان ﴿الى ربك﴾ أى الى حكمه ﴿بما قدم﴾ قال ابن عباس فى حياته ﴿وأخر﴾ من سنة يعمل بها بعده ﴿بصيرة﴾ خبر عن الانسان أى شاهد والهاء للمبالغة وعلى نفسه متعلق به والمعاذير عند الجمهور الاعذار فالمعنى ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه فانه هو الشاهد عليها والحجة البينة عليها ٭ وقال الزمخشرى فياس معذرة معاذر فالمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر انتهى وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وانما هو من أبنية جمع التكسير فهو كذا كير وملاقيح وملاميح والمفرد منها لمحة ولقحة وذكر ولم يذهب أحد الى أنها من أسماء الجموع بل قيل هى جمع للمحة والمحذوف كزعلى غير قياس أوهى جمع لمفرد لم ينطق به وهو مذكار ومملحة وملقحة وأجاز النحويون فيما كان على حركات مفاعل أن تلحقها الياء فقالوا فى جمع صيرف صياريف وفى جمع سابغة سوابيغ ﴿لاتحرك به لسانك﴾ * فى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفته مخافة أن يذهب عنه ما يوحى اليه فنزلت والضمير فى به للقرآن دل عليه مساق الآية ﴿إن علينا جمعه﴾ أى فى صدرك ﴿وقرآنه﴾ أى قراءته أى قراءتك اياه ﴿فاذا قرأناه﴾ أى الملك المبلغ عنا ﴿فاتبع﴾ أى بذهنك وفكرك أى فاستمع قراءته قاله ابن عباس ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وماقبلها أنه تعالى لما ذكر منكر البعث والقيامة معرضا عن آيات الله تعالى ومعجزاته وأنه قاصر شهواته على الفجور وغير مكترث بما يصدر منه ذكر حال من يبادر على تعلم آيات الله تعالى وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله اياها فظهر بذلك تباين من رغب فى تحصيل آيات الله تعالى ومن رغب عنها وبضدها تتميز الاشياء ولما كان عليه السلام لمثابرته على ذلك كان يبادر للتحفظ بتحريك لسانه أخبره تعالى أنه يجمعه له ويوضحه ﴿كلابل تحبون العاجلة﴾ لما فرغ من خطابه عليه السلام رجع الى حال الانسان السابق  ذكره المنكر للبعث وان همه انما هو فى تحصيل حطام الدنيا الفانى لا فى تحصيل ثواب الآخرة اذ هو منكر لذلك وقرئ تحبون وتذرون بتاء الخطاب لكفار قريش وكلا رد عليهم وعلى أقوالهم أى ليس كما زعمتم وانما أنتم قوم غلبت عليكم محبة شهوات الدنيا حتى تتركون معه الآخرة والنظر فى أمرها [illegible] لما ذكر الآخرة تخلص الى شئ من أحوال الآخرة فقال ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ وعبر بالوجه عن الجملة وقوله ﴿الى ربها﴾ جملة هى فى موضع خبر بعد خبر ومسألة النظر ورؤية الله تعالى مذكورة فى علم أصول الدين ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ يجوز فى وجوه أنه مبتدأ خبره باسرة * وتظن خبر بعد خبر وأن تكون باسرة صفة وتظن الخبر * والفاقرة قال ابن المسيب قاصمة الظهر وتظن بمعنى توقن ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ايثار الدنيا على الآخرة وتذكير بما يؤلون اليه من الموت الذى تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها الى الآجلة والضمير فى بلغت عائد على النفس الدال عليها سياق الكلام ذكرهم تعالى بصعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح ﴿التراقى﴾ والتراقى جمع ترقوة وهى عظام الصدر فلكل انسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة وهو استفهام استبعاد وانكار أى قد بلغ مبلغا لا أحد يرقيه كما تقول عند اليأس من الذى يقدر أن يرقى هذا المشرف على الموت واحتمل أن يكون القائل الملائكة أى من يرقى بروحه الى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب قاله ابن عباس ﴿وظن﴾ أى المريض ﴿أنه﴾ أى ما نزل به ﴿الفراق﴾ أى فراق الدنيا التى هى محبوبته والظن هنا على بابه وقيل فراق الروح الجسد ﴿والتفت الساق بالساق﴾ قال ابن عباس استعارة لشدة كرب الدنيا فى آخر يوم منها وشدة كرب الآخرة فى أول يوم منها لانه فى أول الحالين فقد اختلطا به وجواب اذا محذوف تقديره وجد ما عمله فى الدنيا من خير وشر ﴿الى ربك يومئذ المساق﴾ الى موعد ربك المساق والمرجع والمصير والمساق مفعل من السوق فهو اسم مصدر إما الى جنة وإما الى نار ﴿فلاصدق ولاصلى﴾ الجمهور أنها نزلت فى أبى جهل وكادت أن تصرح به فى قوله يتمطى فانها كانت مشيته ومشية قومه بنى مخزوم وكان يكثر منها فلاصدق بالرسول

والقرآن ولاصلى نفى عنه الزكاة والصلاة وأثبت له التكذيب وحمل فلاصدق على نفى التصديق بالرسالة يقتضى أن يكون ﴿ولكن كذب﴾ تكرارا ولزم أن يكون لكن استدرا كابعد  ولاصلى لابعد فلاصدق لانه كان يتساوى الحكم فى فلاوفى كذب ولايجوز ذلك اذلاتقع لكن بين متوافقين ﴿وتولى﴾ أعرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب بماجاءبه ﴿ثم ذهب الى أهله﴾ أى الى قومه ﴿يتمطى﴾ يتبختر فى مشيته روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى أباجهل يومافى البطحاء فقال له ان الله يقول لك أولى لك فأولى فنزل القرآن على نحوها وتقدم الكلام على أولى فى القتال وتكراره هنامبالغة فى التهديد والوعيد ولماذكر حاله فى الموت وما كان من حاله فى الدنيا قرر له أحواله فى بدايته ليتأملها فلاينكر معها البعث من القبور ﴿يمنى﴾ أى النطفة يمنيها الرجل ﴿فخلق﴾ أى الله تعالى منه بشرامركبامن أشياء مختلفة ﴿فسوى﴾ أى فسواه شخصامستقلا ﴿فجعل منه الزوجين﴾ أى النوعين أوالمزدوجين من البشر ﴿الذكر والأنثى أليس ذلك﴾ أى الخالق المسوى ﴿بقادر﴾ وفيه توقيف وتوبيخ لمنكر البعث بلى قادر ﴿على أن يحيي الموتى﴾

ولكن كذب وتولى * ثم ذهب الى أهله يتمطى * أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى * أيحسب الانسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من منى يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لماقبلها ان فى آخر ماقبلها قوله كلا بل لايخافون الآخرة كلا انه تذكرة وفيها كثير من أحوال القيامة فذكر هنا يوم القيامة وجملا من أحوالها وتقدم الكلام فى لاأقسم والخلاف فى لاوالخلاف فى قراءتها فى أواخر الواقعة أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهوله ولاأقسم قيل لانافية نفى أن يقسم بالنفس اللوامة وأقسم بيوم القيامة نص على هذا الحسن والجمهور على ان الله أقسم بالأمرين * واللوامة قال الحسن هى التى تلوم صاحبها فى ترك الطاعة ونحوها فهى على هذا ممدوحة ولذلك أقسم الله بها وروى نحوه عن ابن عباس وعن مجاهد تلوم على مافات وتندم على الشر لم فعلته وعلى الخير لم تستكثر منه * وقيل النفس المتقية التى تلوم النفوس فى يوم القيامة على تقصيرهن فى التقوى * وقال ابن عباس وقتادة هى الفاجرة الخشعة اللوامة لصاحبها على مافاته من سعى الدنيا واعراضها فهى على هذا ذميمة ويحسن نفى القسم بها والنفس اللوامة اسم جنس بهذا الوصف * وقيل هى نفس معينة وهى نفس آدم عليه السلام لم تزل لائمة له على فعله الذى أخرجه من الجنة * قال ابن عطية وكل نفس متوسطة ليست بمطمئنة ولاأمارة بالسوء فانها لوامة فى الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ماتشتهى فاذا اطمأنت خلصت وصفت انتهى والمناسبة بين القسمين من حيث أحوال النفس من سعادتها وشقاوتها وظهور ذلك فى يوم القيامة وجواب القسم محذوف يدل عليه يوم القيامة المقسم به وما بعده من قوله أيحسب الآية وتقديره لتبعثن * وقال الزمخشرى (فان قلت) قوله تعالى فلاوربك لايؤمنون والأبيات التى أنشدتها المقسم عليه فيهامنفى وكان قد أنشد قول امرىء القيس

لا وأبيك ابنة العامرى * لايدعى القوم إنى أفر

﴿ وقول غوية بن سلمى ﴾

ألانادت أمامة باحتمالى * لتحزننى فلابك ماأبالى

قال فهلا زعمت أن لاالتى للقسم زيدت موطئة للنفى بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنامنفيا نحو قولك لاأقسم بيوم القيامة لاتتركون سدى (قلت) لوقصروا الأمر على النفى دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألاترى كيف اقى لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان فى كبد وكذلك فلاأقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم ثم قال الزمخشرى وجواب القسم مادل عليه قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه وهو لتبعثن انتهى وهو تقدير النحاس وقول من قال جواب القسم هو أيحسب الانسان وماروى عن الحسن أن الجواب بلى قادرين وما قيل ان لافى القسمين لنفيهما أى لاأقسم على شئ وأن التقدير أسألك أيحسب الانسان أقوال لاتصلح أن يردبها بل تطرح ولايسود بها الورق ولولا انهم سردوها فى الكتب لم أنبه عليها والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث * روى أن عدى بن ربيعة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم

أسد قلت ولم أؤمن به أو يجمع الله هـذه العظام بعد بلاها فنزلت * وقيـل نزلت في أبي جهل كان يقول أيزعم محمد صلى الله عليه وسلم أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرقها فيعيدها خلقا جديدا * وقرأ الجمهور نجمع بنون عظامه نصبا وقتادة بالتاء مبنيا للمفعول عظامه رفعا والمعنى بعد تفرقها واختلاطها بالتراب وتطيير الرياح إياها في أقاصي الأرض وقوله أيحسب استفهام تقرير وتوبيخ حيث ينكر قدرة الله تعالى على إعادة المعدوم بلى جواب للاستفهام المنسحب على النفي أي بلى نجمعها وذكر العظام وإن كان المعنى اعادة الانسان وجمع أجزائه المتفرقة لان العظام هي قالب الخلق * وقرأ الجمهور قادرين بالنصب على الحال من الضمير الذي في الفعل المقدر وهو نجمعها وابن أبي عبلة وابن السميقع قادرون أي نحن قادرون على أن نسوي بنانه وهي الأصابع أكثر العظام تفرقا وأدقها أجزاء وهي العظام التي في الأنامل ومفاصلها وهذا عند البعث * وقال ابن عباس والجمهور المعنى نجعلها في حياته هذه بضعة أو عظما واحدا كخف البعير لاتفاريق فيه أي في الدنيا فتقل منفعته بها وهذا القول فيه توعد والمعنى الاول هو الظاهر والمقصود من رصف الكلام وذكر الزمخشري هذين القولين بألفاظ منمقة على عادته في حكاية أقوال المتقدمين * وقيل قادرين منصوب على خبر كان أي بلى كنا قادرين في الابتداء * بل يريد الانسان بل اضراب وهو انتقال من كلام الى كلام من غير ابطال والظاهر أن يريد اخبار عن ما يريده الانسان * وقال الزمخشري بل يريد عطف على أيحسب فيجوز أن يكون قبله استفهاما وأن يكون ايجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه الى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه الى موجب انتهى وهذه التقادير الثلاثة لا تظهر وهي متكلفة بل المعنى الاخبار عن الانسان من غير ابطال لمضمون الجملة السابقة وهي نجمعها قادرين لنبين ما هو عليه الانسان من عدم الفكر في الآخرة وانه معني بشهواته ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل في ليفجر * قال مجاهد والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك والسدي معنى الآية ان الانسان انما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها أبدا قدما راكبا رأسه مطيعا أمله ومسوفا بتوبته * قال السدي أيضا ليظلم على قدر طاقته وعلى هذا فالضمير في أمامه عائد على الانسان وهو الظاهر * وقال ابن عباس ما يقتضي ان الضمير عائد على يوم القيامة ان الانسان في زمان وجوده امام يوم القيامة وبين يديه يوم القيامة خلفه فهو يريد شهواته ليفجر في تكذيبه بالبعث وغير ذلك بين يدي يوم القيامة وهو لايعرف القدر الذي هو فيه والأمام ظرف مكان استعير هنا للزمان أي ليفجر فيما بين يديه ويستقبله من زمان حياته * يسأل أيان يوم القيامة أي متى يوم القيامة سؤال استهزاء وتكذيب وتعنت * وقرأ الجمهور برق بكسر الراء وزيد بن ثابت ونصر بن عاصم وعبد الله بن أبي اسحق وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني وابن مقسم ونافع وزيد بن علي وابان عن عاصم وهرون ومحبوب كلاهما عن أبي عمرو والحسن والجحدري بخلاف عنهم ما بفتحها * قال أبو عبيدة برق بالفتح شق * وقال ابن اسحق خفت عند الموت * قال مجاهد هذا عند الموت * وقال الحسن هو يوم القيامة * وقرأ أبو السمال بلق باللام عوض الراء أي انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته هذا قول أهل اللغة الا الفراء فانه يقول بلقه وأبلقه اذا أغلقه * وقال ثعلب أخطأ الفراء في ذلك انما هو بلق الباب وأبلقه اذا فتحه انتهى ويمكن أن تكون اللام بدلا من الراء فهما يتعاقبان في بعض الكلام نحو قولهم نثره ونثله ووجر ووجل * وقرأ الجمهور وخسف مبنيا للفاعل وأبو حيوة وابن أبي عبلة وزيد بن

قطيب وزيد بن على مبنيا للمفعول يقال خسف القمر وخسفه الله وكذلك الشمس * قال أبو عبيدة وجماعة من أهل اللغة الخسوف والكسوف بمعنى واحد * وقال ابن أبى أويس الكسوف ذهاب بعض الضوء والخسوف جميعه * وجمع الشمس والقمر لم تلحق علامة التأنيث لان تأنيث الشمس مجاز أو لتغليب التذكير على التأنيث * وقال الكسائى حمل على المعنى والتقدير جمع النوران أو الضيا آن ومعنى الجمع بينهما قال عطاء بن يسار يجمعان فيلقيان فى النار وعنه يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر فيكونان نار الله الكبرى * وقيل يجمع بينهما فى الطلوع من المغرب فيطلعان أسودين مكورين * وقال على وابن عباس يجعلان فى نور الحجب * وقيل يجتمعان ولا يتفرقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر فكان المعنى يجمع حرهما * وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار * وقرأ الجمهور المفر بفتح الميم والفاء أى أين الفرار * وقرأ الحسن بن على بن أبى طالب والحسن بن زيد وابن عباس والحسن وعكرمة وأيوب السختيانى وكلثوم بن عياض ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وأبو رجاء وعيسى وابن أبى اسحق وأبو حيوة وابن أبى عبلة والزهرى بكسر الفاء وهو موضع الفرار * وقرأ الحسن بكسر الميم وفتح الفاء ونسبها ابن عطية للزهرى أى الجيد الفرار وأكثر ما يستعمل هذا الوزن فى الآلات وفى صفات الخيل نحو قوله * مكر مفر مقبل مدبر معا * والظاهر أن قوله كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر من تمام قول الانسان * وقيل هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الانسان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وعبر المفسرون عنه بالجبل * قال مطرف بن الشخير هو كان وزر فرار العرب فى بلادهم فلذلك استعمل والحقيقة انه الملجأ من جبل أو حصن أو سلاح أو رجل أو غيره * الى ربك يومئذ أى الى حكمه يومئذ تقول أين المفر المستقر أى الاستقرار أو موضع استقرار من جنة أو نار الى مشيئته تعالى يدخل من شاء الجنة ويدخل من شاء النار بما قدم وأخر * قال عبد الله وابن عباس بما قدم فى حياته وأخر من سنة يعمل بها بعده * وقال ابن عباس أيضا بما قدم من المعاصى وأخر من الطاعات * وقال زيد بن أسلم بما قدم من ماله لنفسه وبما أخر منه للوارث * وقال النخعى ومجاهد بأول عمله وآخره * وقال الضحاك بما قدم من فرض وأخر من فرض والظاهر حمله على العموم أى يخبره بكل ما قدم وكل ما أخر مما ذكره المفسرون ومما لم يذكروه * بصيرة خبر عن الانسان أى شاهد قاله قتادة والهاء للمبالغة * وقال الأخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة * وقيل أنث لانه أراد جوارحه أى جوارحه على نفسه بصيرة * وقيل بصيرة مبتدأ محذوف الموصوف أى عين بصيرة وعلى نفسه الخبر والجملة فى موضع خبر عن الانسان والتقدير عين بصيرة واليه ذهب الفراء * وأنشد

كأن على ذى العقل عينا بصيرة * بمقعده أو منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم * من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

وعلى هذا نختار أن تكون بصيرة فاعلا بالجار والمجرور وهو الخبر عن الانسان ألا ترى انه قد اعتمد بوقوعه خبرا عن الانسان وعلى هذا فالتاء للتأنيث وتأول ابن عباس البصيرة بالجوارح أو الملائكة الحفظة والمعاذير عند الجمهور الاعذار فالمعنى لو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه فانه هو الشاهد عليها والحجة البينة عليها * وقيل المعاذير جمع معذرة * وقال الزمخشرى قياس معذرة معاذر فالمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر انتهى وليس هذا البناء من

( الدر )

{ سورة القيامة }

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) قياس معذرة معاذر فالمعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر انتهى (ح) ليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع وانما هو من أبنية جمع التكسير فهو كمذاكير وملامح والمفرد منهما لمحة وذكر ولم يذهب أحد الى أنهما من أسماء الجموع بل قيل هما جمع للمحة وذكر على غير قياس أو هما جمع لمفرد لم ينطق به وهو مذكار وملمحة

أبنية أسماء الجموع وانما هو من أبنية جمع التكسير فهو كذا كبر وملامح والمفرد منهما لمحة وذكر ولم يذهب أحد الى أنهما من أسماء الجموع بل قيل هما جمع لمحة وذكر على غير قياس أو هما جمع لمفرد لم ينطق به وهو مذكار وملمحة * وقال السدي والضحاك المعاذير الستور بلغة اليمن واحدها معذار وهو يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة الذنب وقاله الزجاج أيضا أي وان رمى مستورة يريد أن يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه * وأنشدوا في ان المعاذير الستور قول الشاعر

ولكنها ضنت بمنزل ساعة * علينا وأطت فوقها بالمعاذر

وقيل البصيرة الكاتبان يكتبان ما يكون من خير أو شر أي وان تستر بالستور واذا كانت من العذر فمعنى ولو ألقى أي نطق بمعاذيره وقالها * وقيل ولو رمى باعذاره واستسلم * وقال السدي ولو أدلى بحجة وعذر * وقيل ولو أحال بعضهم على بعض كقوله تعالى لولا أنتم لكنا مؤمنين والعذرة والعذرى المعذرة * قال الشاعر * ها ان ذي عذرة ان لا تكن نفعت * وقال فيها ولا عذر لمجحود * لا تحرك به لسانك الظاهر والمنصوص الصحيح في سبب النزول انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على ما سنذكره ان شاء الله تعالى * وقال القفال هو خطاب للانسان المذكور في قوله ينبأ الانسان وذلك حال تنبئه بقبائح أفعاله يعرض عليه كتابه فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا أخذ في القراءة تلجلج من شدة الخوف وسرعة القراءة * فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك وأن نقرأها عليك * فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بأنك فعلت تلك الأفعال ثم ان علينا بيانه أي بيان أمره وشرح عقوبته وحاصل قول هذا القول انه تعالى يقرر الكافر على جميع أفعاله على التفصيل وفيه أشد الوعيد في الدنيا والتهويل في الآخرة وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان ربما يحرك شفتيه مخافة أن يذهب عنه ما يوحى اليه لحينه فنزلت * وقال الضحاك السبب انه كان عليه الصلاة والسلام كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه وشق فنزلت * وقال الشعبي كان لحرصه عليه الصلاة والسلام على أداء الرسالة والاجتهاد في عبادة الله ربما اراد النطق ببعض ما أوحى اليه قبل كمال ايراد الوحي فأمر أن لا يعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليه وحيه وجاءت هذه الآية في هذا المعنى والضمير في به للقرآن دل عليه مساق الآية * ان علينا جمعه أي في صدرك وقرآنه أي قراءتك اياه والقرآن مصدر كالقراءة قال الشاعر

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقيل وقرآنه وتأليفه في صدرك فهو مصدر من قرأت أي جمعت ومنه قولهم للمرأة التي لم تلد ما قرأت سلاقط وقال الشاعر

ذراعي بكرة أدماء بكر * هجان اللون لم تقرأ جنينا

فاذا قرأناه أي الملك المبلغ عنا فاتبع أي بذهنك وفكرك أي فاستمع قراءته قاله ابن عباس * وقال أيضا هو وقتادة والضحاك فاتبع في الأوامر والنواهي وفي كتاب ابن عطية وقرأ أبو العالية فاذا قرته فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا ألف في الثلاثة ولم يتكلم على توجيه هذه القراءة الشاذة ووجه اللفظ الأول انه مصدر أي ان علينا جمعه وقراءته فنقل حركة الهمزة الى الراء الساكنة وحذفها فبقي قرته كما ترى وأما الثاني فانه فعل ماض أصله فاذا قرأته أي أردت قراءته

فسكن الهمزة فصار قرأته ثم حذف الألف على جهة الشذوذ كما حذفت في قول العرب ولو تر ما الصبيان يريدون ولو ترى ما الصبيان وما زائدة وأما اللفظ الثالث فتوجيهه توجيه اللفظ الأول أي فاذا قرأته أي أردت قراءته فاتبع قراءته بالدرس أو بالعمل * ثم ان علينا بيانه * قال قتادة وجماعة أن نبينه لك ونحفظكه * وقيل أن تبينه أنت * وقال قتادة أيضا أن نبين حلاله وحرامه ومجمله ومفسره وفي التحرير والتحبير قال ابن عباس ان علينا جمعه أي حفظه في حياتك وقراءته تأليفه على لسانك * وقال الضحاك نثبته في قلبك بعد جمعه لك * وقيل جمعه باعادة جبريل عليك مرة أخرى الى أن يثبت في صدرك * فاذا قرأناه قال ابن عباس أنزلناه اليك فاستمع قراءته وعنه أيضا فاذا يتلى عليك فاتبع ما فيه * وقال قتادة فاتبع حلاله واجتنب حرامه وقد نمق الزمخشري بحسن ايراده تفسير هذه الآية فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يعقبه بالدراسة الى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة فاتبع قراءته فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه * ثم ان علينا بيانه اذا أشكل عليك شئ من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه انتهى * وذكر أبو عبد الله الرازي في تفسيره أن جماعة من قدماء الروافض زعموا أن القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص منه وانهم احتجوا بأنه لا مناسبة بين هذه الآية وما قبلها ولو كان التركيب من الله تعالى ما كان الأمر كذلك ثم ذكر الرازي مناسبات على زعمه يوقف عليها في كتابه ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها انه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضا عن آيات الله تعالى ومعجزاته وانه قاصر شهوته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ذكر حال من يثابر على تعلم آيات الله وحفظها وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله اياها فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها * وبضدها تتميز الأشياء * ولما كان عليه الصلاة والسلام لمثابرته على ذلك كان يبادر للتحفظ بتحريك لسانه أخبره تعالى انه يجمعه له ويوضحه * كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة لما فرغ من خطابه عليه الصلاة والسلام رجع إلى حال الانسان السابق ذكره المنكر البعث وان همه انما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة اذ هو منكر لذلك * وقرأ الجمهور بل تحبون العاجلة وتذرون بتاء الخطاب لكفار قريش المنكرين البعث وكلا رد عليهم وعلى أقوالهم أي ليس كما زعمتم وانما أنتم قوم غلبت عليكم محبة شهوات الدنيا حتى تتركون معه الآخرة والنظر في أمرها * وقال الزمخشري كلا ردع وذكر في كتابه ما يوقف عليه فيه * وقرأ مجاهد والحسن وقتادة والجحدري وابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة فيهما ولما وبخهم بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة تخلص الى شئ من أحوال الآخرة فقال وجوه يومئذ ناضرة وعبر بالوجه عن الجملة * وقرأ الجمهور ناضرة بألف وزيد بن علي نضرة بغير ألف * وقرأ ابن عطية وجوه رفع بالابتداء وابتدأ بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ وناضرة خبر وجوه وقوله الى ربها ناظرة جملة هي في موضع خبر بعد

( الدر )

(ع) وجوه رفع بالابتداء وابتدأ بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ وناضرة خبر وجوه وقوله الى ربها ناظرة جملة هي في موضع خبر بعد خبر انتهى (ح) ليس يومئذ تخصيصا للنكرة فيسوغ الابتداء بها لان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة وانما يومئذ معمول لناظرة ومسوغ جواز الابتداء بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل وناضرة الخبر وناظرة صفة وقيل ناضرة نعت لوجوه والى ربها ناظرة الخبر وهو قول سائغ

خبر انتهى وليس يومئذ تخصيصا للنكرة فيسوغ الابتداء بها لان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة وانما يكون يومئذ معمول لناضرة وسوغ جواز الابتداء بالنكرة كون الموضع موضع تفصيل وناضرة الخبر وناظرة صفة * وقيل ناضرة نعت لوجوه والى ربها ناظرة الخبر وهو قول سائغ ومسئلة النظر ورؤية الله تعالى مذكورة فى أصول الدين ودلائل الفريقين أهل السنة وأهل الاعتزال فلا نطيل بذكر ذلك هنا ولما كان الزمخشرى من المعتزلة ومذهبه أن تقديم المفعول يدل على الاختصاص قال هنا ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر فى محشر يجمع الله فيه الخلائق فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى لا يصح معه الاختصاص والذى يصح معه أن يكون من قول الناس أنا الى فلان ناظر ما يصنع بى يريد معنى التوقع والرجاء * ومنه قول القائل

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعماء

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتى ناظرة الى الله واليكم والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه انتهى * وقال ابن عطية ذهبت المعتزلة الى أن المعنى الى رحمة ربها ناظرة أو إلى ثوابه أو ملكه فقدروا مضافا محذوفا وهذا وجه سائغ فى العربية كما تقول فلان ناظر اليك فى كذا أى الى صنعك فى كذا انتهى والظاهر أن الى فى قوله إلى ربها حرف جر يتعلق بناظرة * وقال بعض المعتزلة الى هنا واحد الآلاء وهى النعم وهى مفعول به معمول لناظرة بمعنى منتظرة ووجوه يومئذ باسرة يجوز أن يكون وجوه مبتدأ خبره باسرة وتظن خبر بعد خبر وأن تكون باسرة صفة وتظن الخبر * والفاقرة قال ابن المسيب قاصمة الظهر وتظن بمعنى توقن أو يغلب على اعتقادها وتتوقع أن يفعل بها فاقرة فعل هو فى شدة داهية تقصم * وقال أبو عبيدة فاقرة من فقرت البعير اذا وسمت أنفه بالنار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة وتذكير لهم بما يؤلون اليه من الموت الذى تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها الى الآجلة والضمير فى بلغت عائد الى النفس الدال عليها سياق الكلام كقول حاتم

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يقولون السماء وذكرهم تعالى بصعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها * وقيل مبنى للمفعول فاحتمل أن يكون القائل حاضرو المريض طلبوا له من يرقى ويطب ويشفى وغير ذلك مما يتداوله أهله قاله ابن عباس والضحاك وأبو قلابة وقتادة وهو استفهام حقيقة * وقيل هو استفهام ابعاد وانكار أى قد بلغ مبلغا لا أحد يرقيه كما عند الناس من ذا الذى يقدر أن يرقى هذا المشرف على الموت قاله عكرمة وابن زيد واحتمل أن يكون القائل الملائكة أى من يرقى بروحه الى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب قاله ابن عباس أيضا وسليمان التيمى * وقيل انما يقولون ذلك لكراهتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها ويدل عليه قوله بعد فلا صدق ولا صلى الآية ووقف حفص على من وابتدأ راق وأدغم الجمهور * قال أبو على لا أدرى ما وجه قراءته وكذلك قرأ بل ران انتهى وكان حفصا قصد أن لا يتوهم انها كلمة واحدة فسكت سكتا لطيفا ليشعر انهما كلمتان * وقال سيبويه ان النون تدغم فى الراء وذلك نحو من راشد والادغام بغنة وبغير غنة ولم يذكر البيان واهل

ذلك من نقل غيره من الكوفيين وعاصم شيخ حفص يذكر أنه كان عالما بالنحو وأنا بل ران فقد ذكر سيبويه أن اللام البيان فيها والادغام مع الراء حسنان فلما أفرط فى شأن البيان فى بل ران صار كالوقف القليل وظن أى المريض انه أى ما نزل به الفراق فراق الدنيا التى هى محبوبته والظن هنا على بابه * وقيل فراق الروح الجسد * والتفت الساق بالساق * قال ابن عباس والربيع بن أنس واسماعيل بن أبى خالد استعارة لشدة كرب الدنيا فى آخر يوم منها وشدة كرب الآخرة فى أول يوم منها لانه بين الحالين قد اختلطا به كما يقول شمرت الحرب عن ساق استعارة لشدتها * وقال ابن المسيب والحسن هى حقيقة والمراد ساقا الميت عند لفهما فى الكفن * وقال الشعبى وقتادة وأبو مالك التفافهما الشدة المرض لانه يقبض ويبسط ويركب هذه على هذه * وقال الضحاك أسوق حاضر به من الانس والملائكة هؤلاء يجهزونه الى القبر وهؤلاء يجهزون روحه الى السماء * وقيل التفافهما موتهما أولا اذ هما أول ما تخرج الروح منهما فتبردان قبل سائر الأعضاء وجواب اذا محذوف تقديره وجد ما عمله فى الدنيا من خير وشر * الى ربك يومئذ المساق المرجع والمصير والمساق مفعل من السوق فهو اسم مصدر اما الى جنة واما الى نار فلا صدق ولا صلى الجمهور انها نزلت فى أبى جهل وكادت أن تصرح به فى قوله يتمطى فانها كانت مشيته ومشية قومه بنى مخزوم وكان يكثر منها وتقدم أيضا انه قيل فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه أنها نزلت فى أبى جهل * وقال الزمخشرى يعنى الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى الى قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وهو معطوف على قوله يسأل أيان يوم القيامة أى لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله يعنى فلا زكاة انتهى وكون فلا صدق معطوفا على قوله يسأل فيه بعد ولا هنا نفت الماضى أى لم يصدق ولم يصل وفى هذا دليل على أن لا تدخل على الماضى فتنصبه ومثله قوله

وأى جيس لا أتانا نهابه * وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

﴿ وقال الراجز ﴾

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

وصدق معناه برسالة الله * وقال قوم هو من الصدقة وهذا الذى يظهر نفى عنه الزكاة والصلاة وأثبت له التكذيب كقوله لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وحمل فلا صدق على نفى التصديق بالرسالة فيقتضى أن يكون ولكن كذب تكرارا ولزم أن يكون لكن استدراكا بعد ولا صلى لا بعد فلا صدق لانه كان يتساوى الحكم فى فلا صدق وفى كذب ولا يجوز ذلك إذ لا تقع لكن بعد متوافقين وتولى أعرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب بما جاء به ثم ذهب الى أهله أى قومه يتمطى يبختر فى مشيته * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبب أبا جهل يوما فى البطحاء وقال له ان الله يقول لك أولى فأولى لك فنزل القرآن على نحوها * وقالت الخنساء

هممت بنفسى كل الهمو * م فأولى لنفسى أولى لها

وتقدم الكلام على أولى شرحا واعرابا فى قوله تعالى فأولى لهم طاعة وقول معروف فى سورة القتال وتكراره هنا مبالغة فى التهديد والوعيد ولما ذكر حاله فى الموت وما كان من حاله فى الدنيا قرر له أحواله فى بدايته ليتأملها فلا ينكر معها جواز البعث من القبور * وقرأ الجمهور ألم يك بياء الغيبة

والحسن بتاء الخطاب على سبيل الالتفات * وقرأ الجمهور تمنى أي النطفة يمنيها الرجل وابن محيصن والجحدري وسلام ويعقوب وحفص وأبو عمرو بخلاف عنه بالياء أي يمنى هو أي المني فخلق الله منه بشرا مركبا من أشياء مختلفة فسوى أي سواه شخصا مستقلا فجعل منه الزوجين أي النوعين أو المزدوجين من البشر وفي قراءة زيد بن علي الزوجان بالألف وكأنه على لغة بني الحرث بن كعب ومن وافقهم من العرب من كون المثنى بالألف في جميع أحواله * وقرأ أيضا يقدر مضارعا والجمهور بقادر اسم فاعل مجرور بالباء الزائدة أليس ذلك أي الخالق المسوي بقادر وفيه توقيف وتوبيخ لمنكر البعث * وقرأ طلحة بن سليمان والفيض بن غزوان بسكون الياء من قوله أن يحيي وهي حركة اعراب لاتحذف إلا في الوقف وقد جاء في الشعر حذفها * وقرأ الجمهور بفتحها وجاء عن بعضهم يحي بنقل حركة الياء إلى الحاء وادغام الياء في الياء * قال ابن خالويه لايجيز أهل البصرة سيبويه وأصحابه ادغام يحي قالوا لسكون الياء الثانية ولايعتدون بالفتحة في الياء لانها حركة اعراب غير لازمة وأما الفراء فاحتج بهذا البيت * تمشي بسده بينها فتعيي * يريد فتعيي والله تعالى أعلم

## ﴿ سورة الدهر مدنية وهي إحدى وثلاثون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا * إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا * إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا * إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا * ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا * ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا * قوارير من فضة قدروها تقديرا * ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا * وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا * إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا * فاصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثما أو كفورا * واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا * إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا * نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا * إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا * وماتشاؤن إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما * يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ﴾ * الأمشاج الاخلاط واحدها مشج بفتحتين أو مشج كعدل أو مشيج كشريف وأشراف قاله ابن الاعرابي * وقال رؤبة

يطرحن كل معجل بساج * لم يكس جلدا من دم أمشاج

ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وهل حرف استفهام فان دخل على الجملة الاسمية لم يمكن تأويله بقد لان قد من خواص الفعل وان دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض والانسان هنا جنس بني آدم والحين الذي مر عليه اما حين عدمه أو حين كونه نطفة وانتقاله من رتبة الى رتبة حتى حين امكان خطابه فانه في تلك المدة لا ذكر له وسمي انسانا باعتبار ما صار اليه ﴿إنا خلقنا الانسان﴾ هو جنس بني آدم لأن آدم عليه السلام لم يخلق ﴿من نطفة أمشاج﴾ أخلاط وهو وصف للنطفة قال ابن عباس هو ماء الرجل وماء المرأة اختلطا في الرحم فخلق الانسان منهما ﴿نبتليه﴾ نختبره في الدنيا بالتكليف وامتن تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين وهما كناية عن التمييز والفهم ولما جعله بهذه المثابة أخبر تعالى أنه هداه السبيل أي أرشده الى الطريق وعرفه مآل طريق النجاة ومآل طريق الهلاك وانتصب شاكرا وكفورا على الحال

﴿وقال الهذلي﴾

كأن النصل والفوقين منها * خلاف الريش سيط به مشيج

﴿وقال الشماخ﴾

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ويقال مشج يمشج مشجا اذا خلط ومشيج خليط وممشوج كخلوط * مزج الشئ بالشئ خلطه * وقال الشاعر

كأن سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء

* استطار الشئ انتشر وتقول العرب استطار الصدع في القارورة وشبهها واستطال * ومنه قول الشاعر

فبانت وقد أسأرت في الفؤا * د صدعا على نأيها مستطيرا

* وقال الفراء مستطير مستطيل * ويقال يوم قمطرير وقماطر واقمطر فهو مقمطر اذا كان صعبا شديدا * وقال الراجز

قد جعلت شبوة تزبئر * تكسو إستها لحما وتقمطر

* وقال الشاعر

ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها * ولج بها اليوم الشديد القماطر

* وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجتمع ما بين عينيه ويقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم زائدة * وقال أسد بن ناعصة

واصطليت الحروب في كل يوم * باسل الشر قمطرير الصباح

واختلف في هذا الوزن وأكثر النحاة لا يثبت افعلل في أوزان الأفعال * الزمهرير أشد البرد * وقال ثعلب هو القمر بلغة طي * وأنشد قول الراجز

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

* القارورة إناء رقيق صاف توضع فيه الأشربة * قيل ويكون من الزجاج * الزنجبيل قال الدينوري نبت في أرض عمان عروق تسري وليس بشجر يؤكل رطبا وأجوده ما يحمل من بلاد الصين كانت العرب تحبه لانه يوجب لذعا في اللسان اذا مزج بالشراب فيتلذذون به * قال الشاعر

كأن جنبا من الزنجبيل بات * بفيها واريا مستورا

﴿وقال المسيب بن علس﴾

وكأن طعم الزنجبيل به اذا ذقته وسلافة الخمر

* السلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة قاله الزجاج وقال ابن الاعرابي لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن * ثم ظرف مكان للبعد ﴿ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا * إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا * إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا * إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا *

من ضمير النصب في هديناه ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعد والوعيد ﴿من كأس﴾ من لابتداء الغاية ﴿كان مزاجها كافورا﴾

يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك * وعينا بدل من كافورا * وعباد الله هنا هم المؤمنون ﴿يفجرونها﴾ أي ينقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاؤا فهى تجرى عند كل واحد منهم هكذا ورد فى الأثر ﴿يوفون بالنذر﴾ المراد بالنذر ظاهرا ما هو المعهود فى الشريعة أنه نذر ﴿على حبه﴾ أى على حب الطعام اذ هو  محبوب للفاقة والحاجة قاله ابن عباس ﴿مسكينا﴾

يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ﴾ هذه السورة مكية فى قول الجمهور * وقال مجاهد وقتادة مدنية * وقال الحسن وعكرمة مدنية إلا آية واحدة فانها مكية وهى ولا تطع منهم آثما أو كفورا * وقيل مدنية إلا من قوله فاصبر لحكم ربك الخ فانه مكى حكاه الماوردى ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا لا تحتاج الى شرح هل حرف استفهام فان دخلت على الجملة الاسمية لم يمكن تأويله بقد لان قد من خواص الفعل وان دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتى للاستفهام المحض * وقال ابن عباس وقتادة هى هنا بمعنى قد * قيل لان الأصل أهل فكان الهمزة حذفت واجتزئ بها فى الاستفهام ويدل على ذلك قوله

سائل فوارس يربوع لحلتها * أهل رأونا بوادى القف ذى الأكم

فالمعنى أقد أتى على التقدير والتقريب جميعا أى أتى على الانسان قبل زمن قريب حين من الدهر لم يكن كذا فانه يكون الجواب أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكور وما تليت عند أبى بكر وقيل عند عمر رضى الله تعالى عنهما قال ليتها تمت أى ليت تلك الحالة تمت وهى كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف والانسان هنا جنس بنى آدم والحين الذى مر عليه اما حين عدمه واما حين كونه نطفة وانتقاله من رتبة الى رتبة حتى حين امكان خطابه فانه فى تلك المدة لا ذكر له وسمى انسانا باعتبار ما صار اليه * وقيل آدم عليه الصلاة والسلام والحين الذى مر عليه هى المدة التى بقى فيها الى ان نفخ فيه الروح * وعن ابن عباس بقى طينا أربعين سنة ثم صلصالا أربعين ثم حمأ مسنونا أربعين فتم خلقه فى مائة وعشرين سنة وسمى انسانا باعتبار ما آل اليه والجملة من لم يكن فى موضع الحال من الانسان كأنه قيل غير مذكور وهو الظاهر أو فى موضع الصفة لحين فيكون العائد على الموصوف محذوفا أى لم يكن فيه * انا خلقنا الانسان هو جنس بنى آدم لان آدم لم يخلق من نطفة أمشاج أخلاط وهو وصف للنطفة * فقال ابن مسعود وأسامة بن زيد عن أبيه هى العروق التى فى النطفة * وقال ابن عباس ومجاهد والربيع هو ماء الرجل وماء المرأة اختلطا فى الرحم فخلق الانسان منهما * وقال الحسن اختلاط النطفة بدم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض * وقال ابن عباس أيضا وعكرمة وقتادة أمشاج منتقلة من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك الى انشائه انسانا * وقال ابن عباس أيضا والكلبى هى ألوان النطفة * وقيل أخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء والنطفة أريد بها الجنس فلذلك وصفت بالجمع كقوله على رفرف خضر أو لتنزيل كل جزء من النطفة نطفة * وقال الزمخشرى نطفة امشاج كبرمة اعشار وبرد أكياش وهى ألفاظ مفرد غير جموع ولذلك

وهو الطوّاف المنكسر فى السؤال ﴿ويتيما﴾ هو الصبى الذى لا أب له ﴿وأسيرا﴾ الاسير معروف وهو من الكفار ﴿إنما نطعمكم﴾ هو على اضمار القول ﴿جزاء﴾ أى بالافعال ﴿ولا شكورا﴾ أى ثناء بالأقوال ﴿يوما عبوسا﴾ نسبة العبوس الى اليوم مجاز قال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران ﴿قمطريرا﴾ أى شديدا يقال يوم قمطرير أى شديد العبوسة واقمطر فهو مقمطر اذا كان صعبا شديدا ﴿ولقاهم نضرة﴾ بدل عبوس الكافر ﴿وسرورا﴾ فرحا بدل حزنه ﴿جنة وحريرا﴾ أى بستانا فيه كل مأكل هنىء ﴿وحريرا﴾ فيه ملبس بهى وناسب ذكر الحرير مع الجنة لانهم أوثروا على صبرهم على الجوع والعرى ﴿لا يرون فيها﴾ أى فى الجنة



﴿شمسا﴾ أى حر شمس ولا شدة برد أى لا شمس فيها فترى فيؤذى حرها ولا زمهريرا يرى فيؤذى بشدته أى هى معتدلة الهواء وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر ﴿متكئين﴾ منصوب على الحال والعامل فيه جزاهم * ولا يرون حال ثانية * ودانية حال ثالثة * وظلالها فاعل بدانية ﴿وذللت قطوفها﴾ قال مجاهد ان كان الانسان قائما تناول الثمر دون كلفة وان كان قاعدا أو مضطجعا فكذلك فهذا تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك

وقعت صفات للافراد و يقال أيضا نطفة مشج ولا يصح أمشاج أن تكون تكسيراله بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما انتهى وقوله يخالف لنص سيبويه والنحويين على أن أفعالا لا يكون مفردا * قال سيبويه وليس في الكلام أفعال الا أن يكسر عليه اسما للجميع وما ورد من وصف المفرد بأفعال تأولوه نبتليه نختبره بالتكليف في الدنيا وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة فعلى هذا هي حال مصاحبة وعلى أن المعنى نختبره بالتكليف فهي حال مقدرة لانه تعالى حين خلقه من نطفة لم يكن مبتليا له بالتكليف في ذلك الوقت * وقال الزمخشري و يجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال فسمي ذلك الابتلاء على طريق الاستعارة انتهى وهذا معنى قول ابن عباس * وقيل نبتليه بالايمان والكون في الدنيا فهي حال مقارنة * وقيل في الكلام تقديم وتأخير الاصل فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه أي جعله سميعا بصيرا هو الابتلاء ولا حاجة الى ادعاء التقديم والتأخير والمعنى يصح بخلافه وامتن تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين وهما كناية عن التمييز والفهم اذ آ لتهما سبب لذلك وهما أشرف الحواس تدرك بهما أعظم المدركات ولما جعله بهذه المثابة أخبر تعالى أنه هداه الى السبيل أي أرشده الى الطريق وعرفناه مآل طريق النجاة ومآل طريق الهلاك اذ أرشدناه طريق الهدى * وقال مجاهد سبيل السعادة والشقاوة * وقال السدي سبيل الخروج من الرحم * وقال الزمخشري أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا واذ دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن أو يكفر لالزام الحجة انتهى وهو على طريقة الالتزام * وقرأ الجمهور اما بكسر الهمزة فيهما وأبو السمال وأبو العاج وهو كثير بن عبد الله السلمي شامي ولي البصرة لهشام بن عبد الملك بفتحها فيهما وهي لغة حكاها أبو زيد عن العرب وهي التي عدها بعض الناس في حروف العطف وأنشدوا يلحقها اما شمال عرية * واما صبا جنح العشي هبوب

* وقال الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا بتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره انتهى فجعلها اما التفصيلية المتضمنة معنى الشرط ولذلك تلقاها بفاء الجواب فصار كقول العرب اما صديقا فصديق وانتصب شاكرا أو كفورا على الحال من ضمير النصب في هديناه * وقال الزمخشري و يجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا انتهى ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثر من يتصف به و يكثر وقوعه من الانسان بخلاف الشكر جاء كفورا بصيغة المبالغة ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد * وقرأ طلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير وأبو عمرو وحمزة سلاسل ممنوع الصرف وقفا ووصلا * وقيل عن حمزة وأبي عمرو الوقف بالألف * وقرأ حفص وابن ذكوان بمنع الصرف واختلف عنهم في الوقف وكذا عن البزي * وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلا وبالألف المبدلة منه وقفا وهي قراءة الاعمش قيل وهذا على ما حكاه الأخفش من لغة من يصرف كل ما لا ينصرف الا أفعل من وهي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في كلامهم وعلل ذلك بان هذا الجمع لما كان يجمع فقالوا صواحبات يوسف ونوا كسي الابصار أشبه المفرد فجرى فيه الصرف * وقال بعض الرجاز

والصرف في الجمع أتى كثيرا * حتى ادعى قوم به التخييرا

والصرف ثابت في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة وفي مصحف أبي وعبد الله وكذا قوارير * وروى هشام عن ابن عامر سلاسل في الوصل وسلاسلا بألف دون تنوين في

الوقف * و روي ان من العرب من يقول رأيت عمرا بالألف في الوقف من كأس من لابتداء الغاية كان مزاجها كافورا * قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك * وقيل هو على التشبيه أي طيب رائحة وبرد كالكافور * وقال الكلبي كافورا اسم عين في الجنة وصرفت لتوافق الآي * وقرأ عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف وهما كثيرا ما يتعاقبان في الكلمة كقولهم عربي قح وكح وعينا بدل من كافورا ومفعولا يشربون أي ماء عين أو بدل من محل من كأس على حذف مضاف أي يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص ولما كانت الكأس مبدأ شربهم أتى بمن وفي يشرب بها أي يمزج شرابهم بها أتى بالباء الدالة على الالصاق والمعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل أو ضمن يشرب معنى يروى فعدي بالباء * وقيل الباء زائدة والمعنى يشربها * وقال الهذلي

شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج

* قيل أي شربن ماء البحر * وقرأ ابن أبي عبلة يشربها وعباد الله هنا هم المؤمنون يفجرونها يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاؤا فهي تجري عند كل واحد منهم هكذا ورد في الأثر * وقيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفجر الى دور الأنبياء والمؤمنين * يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون * وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول مالهم يرزقون ذلك انتهى فاستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز وأتى بعد عسى بالمضارع غير مقرون بأن وهو قليل أو في شعر والظاهر أن المراد بالنذر ما هو المعهود في الشرع بنه انه نذر * قال الأصم وتبعه الزمخشري هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان لما أوجبه الله تعالى عليه أوفى * وقيل النذر هنا عام لما أوجبه الله تعالى وما أوجبه العبد فيدخل فيه الايمان وجميع الطاعات على حبه أي على حب الطعام إذ هو محبوب للفاقة والحاجة قاله ابن عباس ومجاهد أو على حب الله أي لوجهه وابتغاء مرضاته قاله الفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني والأول أمدح لان فيه الايثار على النفس وأما الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر * وقال الحسن بن الفضل على حب الطعام أي محبين في فعلهم ذلك لا رياء فيه ولا تكلف * مسكينا وهو الطواف المنكسر في السؤال ويتيما هو الصبي الذي لا أب له وأسيرا والأسير معروف وهو من الكفار قاله قتادة * وقيل من المسلمين تركوا في بلاد الكفار رهائن وخرجوا لطلب الفداء * وقال ابن جبير وعطاء هو الأسير من أهل القبلة * وقيل وأسيرا استعارة وتشبيه * وقال مجاهد وابن جبير وعطاء هو المسجون * وقال أبو حمزة اليماني هي الزوجة وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك * انما نطعمكم لوجه الله هو على اضمار القول ويجوز أن يكونوا صرحوا به خطابا للمذكورين منعا منهم وعن المجازاة بمثله أو الشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله تعالى فلا معنى لمكافأة الخلق وهذا هو الظاهر * وقال مجاهد أما انهم ما تكلموا به ولكن الله تعالى علمه منهم فأثنى عليهم به * لا نريد منكم جزاء أي بالأفعال ولا شكورا أي ثناء بالأقوال وهذه الآية قيل نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا ظاهرة الاختلاق وفيها اشعار للمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة واشعار لفاطمة رضي الله عنها تخاطب كل واحد منهم ظاهرها الاختلاق لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها وسفاطة معانيها يوما عبوسا نسبة العبوس الى اليوم مجاز * قال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من

( الدر )

﴿ سورة الانسان ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) يوفون جواب من عسى يقول مالهم يرزقون ذلك انتهى (ح) استعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز وأتى بعد عسى بالمضارع غير مقرون بأن وهو قليل أو في شعر

﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة ﴾ الآية لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم وقدم ذكر الآنية التى يسقون منها والآنية جمع اناء والقارورة اناء رقيق صاف توضع فيه الاشربة وتكون من زجاج وقرئ قواريرا بتنوينهما وبمنع صرفهما بصرف الاول ومنع الصرف فى الثانى وكذلك الخلاف فى سلاسل والاصل أن لا يصرف لانه جمع متناه وصرف للمناسبة اذ بعد سلاسل قوله أغلالا وقبل هذين وبعدهما مصروفات ﴿ عينا ﴾ بدل من زنجبيلا وسلسبيل اسمها والسلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية فى السلاسة وتقدم شرح مخلدون وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثور فى بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم فى المساكن فى خدمة أهل الجنة يجيئون ويذهبون وجواب اذا رأيت رأيت نعيما ومفعول فعل الشرط محذوف حذف اقتصار او المعنى واذا رأيت ببصرك هنالك وثم ظرف العامل فيه رأيت وقيل التقدير واذا رأيت ما ثم فحذف كما حذف فى قوله لقد تقطع بينكم أى ما بينكم وقرئ خضر واستبرق برفعهما فخضر صفة لقوله ثياب واستبرق معطوف على ثياب وقرئ بجرهما فخضر صفة لسندس وسندس اسم جنس وصف بالجمع واستبرق معطوف على خضر على حذف مضاف تقديره وثياب استبرق والهمزة فيه للقطع والاستبرق تقدم شرحه ﴿ أساور من فضة ﴾ وفى موضع آخر من ذهب أى يحلون منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما كما يقع للنساء فى الدنيا ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ طهورا صفة مبالغة فى الطهارة وهى من فعل لازم وطهارتها لكونها لم يؤمر باجتنابها وليست كخمر الدنيا التى هى فى الشرع رجس ﴿ كان لكم جزاء ﴾ أى لاعمالكم الصالحة ﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾ أى مقبولا مثابا لقد شكر الله سعيا قليلا ولما ذكر أولا حال الانسان وقسمه الى العاصى والطائع وأمعن فيما أعده الله تعالى للطائع ذكر ما شرف به نبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ انا نحن ﴾ الآية وأمره بالصبر لحكمه وجاء التوكيد بنحن بعد التوكيد بان لمضمون الخبر ومدلول الخبر عنه وأكد الفعل بالمصدر ﴿ ولا تطع منهم آثما أو كفورا ﴾ قال قتادة نزلت فى أبى جهل قال ان رأيت محمدا يصلى لاطأن على عنقه فأنزل الله تعالى هذه الآية والنهى عن طاعة كل واحد أبلغ عن النهى عن طاعتهما لانه يستلزم النهى عن أحدهما لو قال لا تضرب

---

عينيه عرق كالقطران * وقرأ الجمهور ولقاهم بخفة القاف وأبو جعفر بشدها ولقاهم نضرة بدل عبوس الكافر وسرورا فرحا بدل حزنه لا تكاد تكون النظرة الامع فرح النفس وقرة العين * وقرأ الجمهور وجزاهم وعلى وجازاهم على وزن فاعل جنة وحريرا بستانا فيه كل مأكل هنىء وحريرا فيه ملبس بهى وناسب ذكر الحرير مع الجنة لانهم أوثروا على الجوع والغذاء * لا يرون فيها أى فى الجنة شمسا أى حر شمس ولا شدة برد أى لا شمس فيها فترى فيؤذى حرها ولا زمهرير يرى فيؤذى بشدته أى هى معتدلة الهواء وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر * وقيل لا يرون فيها شمسا ولا قمرا والزمهرير فى لغة طيئ القمر * وقرأ الجمهور ودانية * قال الزجاج هو حال عطفا على متكئين * وقال أيضا ويجوز أن يكون صفة للجنة فالمعنى وجزاهم جنة دانية * وقال الزمخشرى ما معناه انها حال معطوفة على حال وهى لا يرون أى غير رائين ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم * وقرأ أبو حيوة ودانية بالرفع واستدل به الأخفش على جواز رفع اسم الفاعل من غير أن يعتمد نحو قولك قائم الزيدون ولا حجة فيه لان الاظهر أن يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبر له * وقرأ الأعمش ودانيا عليهم وهو كقوله خاشعا أبصارهم * وقرأ أبى ودان مرفوع فهذا يمكن أن يستدل به الأخفش * وذللت قطوفها قال قتاده ومجاهد وسفيان ان كان الانسان قائما تناول الثمر دون كلفة وان قاعدا أو مضطجعا فكذلك فهذا تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك فاما على قراءة الجمهور ودانية بالنصب كان وذللت معطوفا على دانية لانها فى تقدير المفرد أى ومذللة وعلى قراءة الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية ويجوز أن تكون فى موضع الحال أى وقد ذللت رفعت دانية أو نصبت * قوله عز وجل ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا * ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا * وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا * إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا * فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا *

زيداوعمروا لجاز أن يكون نهياعن ضرب هماجميعا لاعن ضرب أحدهما والكفور وان كان اثماقان فيه مبالغة فى الكفر ولما كان من يوصف بالكفور مباينا للموصوف بمجرد الاثم صلح التغاير فحسن العطف وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لأن عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو ﴿ واذكر اسم ربك بكرة ﴾ يعنى صلاة الصبح ﴿ وأصيلا ﴾ الظهر والعصر ﴿ ومن الليل ﴾ المغرب والعشاء ﴿ ان هؤلاء ﴾ اشارة الى الكفرة ﴿ يحبون العاجلة ﴾ يؤثرونها على الآخرة ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ أى أمامهم وهو مايستقبلون من الزمان ﴿ يوما ثقيلا ﴾ استعير الثقل لليوم لشدته وهوله من ثقل الجرم الذى يتعب به حامله ﴿ واذا شئنا ﴾ أى تبديل أمثالهم باهلاكهم ﴿ بدلنا أمثالهم ﴾ ممن يطيع ﴿ ان هذه ﴾ أى السورة أو آيات القرآن أو جملة الشريعة ليس  على جهة التخيير بل على جهة التحذير من اتخاذ غير سبيل الله ﴿ وما تشاؤن ﴾ مذهب أهل السنة أنه نفى لقدرتهم على الاختراع وايجاد المعانى فى أنفسهم ﴿ يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ وهم المؤمنون ﴿ والظالمين ﴾ منصوب باضمار فعل يفسره معنى ما بعده تقدير ويعذب الظالمين

واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا * إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا * نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا * إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا * وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما * يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ﴾ لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم وقدم ذكر الآنية التى يسقون منها والآنية جمع إناء وتقدم شرح الأكواب * وقرأ نافع والكسائى قواريرا قواريرا بتنوينهما وصلا وابداله ألفا وقفا وابن عامر وحمزة وأبو عمرو وحفص بمنع صرفهما وابن كثير بصرف الاول ومنع الصرف فى الثانى * وقال الزمخشرى وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفى الثانى لاتباعه الاول انتهى وكذا قال فى قراءة من قرأ سلاسلا بالتنوين انه بدل من حرف الاطلاق أجرى الفواصل مجرى أبيات الشعر فكما انه يدخل التنوين فى القوافى المطلقة اشعارا بترك الترنم كما قال الراجز * ياصاح ماهاج الدموع الذرفن * فهذه النون بدل من الألف اذ لو ترنم لوقف بألف الاطلاق من فضة أى مخلوقة من فضة ومعنى كانت انه أوجدها تعالى من قوله كن فيكون تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين بياض الفضة ونصوعها وشفيف القوارير وصفائها ومن ذلك قوله كان مزاجها كافورا * وقرأ الاعمش قوارير من فضة بالرفع أى هو قوارير * وقرأ الجمهور قدروها مبنيا للفاعل والضمير للملائكة أو للطواف عليهم أو المنعمين والتقدير على قدر الأكف قاله الربيع أو على قدر الرى قاله مجاهد * وقال الزمخشرى قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها فى أنفسهم على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروها * وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف عليهم على انهم قدروا شرابها على قدر الرى وهو ألذ الشراب لكونه على مقدار حاجته لايفضل عنها ولايعجز وعن مجاهد لايفيض ولايغيض انتهى * وقرأ على وابن عباس والسلمى والشعبى وابن أبزى وقتادة وزيد بن على والجحدرى

( الدر )

(ش) قرأ على وابن عباس والسلمى والشعبى وابن أبزى وقتادة وزيد بن على والجحدرى وعبدالله ابن عبيد بن عمير وأبو حيوة وعباس عن ابان والاصمعى عن أبى عمرو وابن عبد الخالق عن يعقوب قدروها مبنيا للمفعول قال أبو على كان اللفظ قدروا عليها وفى المعنى قلب لان حقيقة المعنى أن يقال قدرت عليهم فهى مثل قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة * ومثل قول العرب اذا طلعت الجوزاء ألقى العود على الحرباء انتهى (ش) ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشئ وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا انتهى (ح) وقال أبو حاتم قدرت الأوانى على قدر ريهم ففسر بعضهم قول أبى حاتم هذا قال فيه حذف على حذف وهو انه كان قدر على قدر ريهم اياها ثم حذف على فصار قدر ريهم مفعولا مالم يسم فاعله ثم حذف قدر فصار ريهم قائما مقامه ثم حذف الرى فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف مما قبلها وصارت الواو مفعول مالم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثانى فى تقدير لنصب بالفعل بعد الواو التى تحولت من الهاء والميم حتى أقيمت مقام الفاعل انتهى والأقرب فى تخريج هذه القراءة الشاذة أن يكون الأصل قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف وهو الرى وأقيم الضمير مقامه فصار التقدير قدروا منها ثم اتسع فى الفعل فحذفت من ووصل الفعل الى الضمير

وعبدالله بن عبيد بن عمير وأبو حيوة وعباس عن ابان والاصمعي عن أبي عمرو وابن عبدالخالق عن يعقوب قدر وهامبنيا للمفعول * قال أبو علي كأن اللفظ قدروا عليها وفي المعنى قلب لان حقيقة المعنى أن يقال قدرت عليهم فهي مثل قوله ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ومثل قول العرب اذا طلعت الجوزاء ألقى العود على الحرباء * وقال الزمخشري ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشئ وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا عليه ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا انتهى * وقال أبو حاتم قدرت الأواني على قدر ريهم ففسر بعضهم قول أبي حاتم هذا قال فيه حذف على حذف وهو انه كان قدر على قدر ريهم اياها ثم حذف على فصار قدر ريهم مفعول لم يسم فاعله ثم حذف قدر فصار ريهم قائما مقامه ثم حذف الري فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف مما قبلها وصارت الواو مفعول ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثاني في تقدير النصب بالفعل بعد الواو التي تحولت من الهاء والميم حتى أقيمت مقام الفاعل انتهى والأقرب في تخريج هذه القراءة الشاذة أن يكون الأصل قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف وهو الذي وأقيم الضمير مقامه فصار التقدير قدروا منها ثم اتسع في الفعل فحذفت من ووصل الفعل الى الضمير بنفسه فصار قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف واتساع في المجرور والظاهر أن الكأس تمزج بالزنجبيل والعرب تستلذه وتذكره في وصف رضاب أفواه النساء كما أنشدناهم في الكلام على المفردات * وقال الزمخشري تسمى العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها انتهى * وقال قتادة الزنجبيل اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة * وقال الكلبي يسقى بجامين الأول مزاجه الكافور والثاني مزاجه الزنجبيل وعينا بدل من كأس على حذف أي كأس عين أو من زنجبيل على قول قتادة * وقيل منصوب على الاختصاص والظاهر أن هذه العين تسمى سلسبيلا بمعنى توصف بانها سلسة في الاتساع سهلة في المذاق ولا يحمل سلسبيل على انه اسم حقيقة لانه إذ ذاك كان ممنوع الصرف للتأنيث والعلمية وقد روي عن طلحة انه قرأه بغير ألف جعله علما فان كان علما فوجه قراءة الجمهور بالتنوين المناسبة للفواصل كما قال ذلك بعضهم في سلاسلا وقواريرا ويحسن ذلك انه لغة لبعض العرب أعني صرف ما لا يصرفه أكثر العرب * وقال الزمخشري وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية انتهى وكان قد ذكر فقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل فان كان عنى انه زيد حقيقة فليس بجيد لان الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة في علم النحو وان عنى انها حرف جاء في سنخ الكلمة وليس في سلسل ولا في سلسال فيصح ويكون مما اتفق معناه وكان مختلفا في المادة * وقال بعض المعربين سل سبيلا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسؤال السبيل اليها وقد نسبوا هذا القول الى علي كرم الله وجهه ويجب طرحه من كتب التفسير وأعجب من ذلك توجيه الزمخشري له واشتغاله بحكايته ويذكر نسبته الى علي كرم الله وجهه ورضي عنه * وقال قتادة هي عين تنبع من تحت العرش من جنة عدن الى الجنان * وقال عكرمة عين سلس ماؤها * وقال مجاهد عين حديدة الجرية سلسة سهلة المساغ * وقال مقاتل عين يتسلسل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاؤا وتقدم شرح مخلدون وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثور في بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في المساكن في خدمة أهل الجنة يجيئون ويذهبون * وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا أنثر من صدفه فانه أحسن في العين وأبهج للنفس

( الدر )

بنفسه فصارت قدروها فلم يكن فيه الا حذف مضاف واتساع في المجرور (ش) وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية انتهى (ح) كان قد ذكر شراب سلسل وسلسال وسلسبيل فان كان عنى انه زيد حقيقة فليس بجيد لان الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة في علم النحو وان عنى انها حرف جاء في سنخ الكلمة وليس في سلسل ولا في سلسال فيصح ويكون مما اتفق معناه وكان مختلفا في المادة

وجواب اذا رأيت نعيما ومفعول فعل الشرط محذوف حذف اقتصارا والمعنى واذا رميت ببصرك هنالك وثم ظرف العامل فيه رأيت * وقيل التقدير واذا رأيت ما ثم فحذف ما كما حذف فى قوله لقد تقطع بينكم أى ما بينكم * وقال الزجاج وتبعه الزمخشرى فقال ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة انتهى وليس بخطأ مجمع عليه بل قد أجاز ذلك الكوفيون وثم شواهد من لسان العرب كقوله

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أى ومن يمدحه فحذف الموصول وأبقى صلته * وقال ابن عطية وثم ظرف العامل فيه رأيت أو معناه التقدير رأيت ما ثم حذفت ما انتهى وهذا فاسد لانه من حيث جعله معمولا لرأيت لا يكون صلة لما لان العامل فيه إذ ذاك محذوف أى ما استقر ثم * وقرأ الجمهور ثم بفتح الثاء وحميد الأعرج ثم بضم الثاء حرف عطف وجواب اذا على هذا محذوف أى واذا رميت ببصرك رأيت نعيما وملكا كبيرا قيل النظر الى الله تعالى * وقال السدى استئذان الملائكة عليهم * وقال أكثر المفسرين الملك الكبير اتساع مواضعهم * وقال الكلبى كبيرا عريضا يبصر أدناهم منزله فى الجنة مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقاله عبد الله بن عمرو وقال ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف غلام كلهم مختلف شغله من شغل أصحابه * وقال الترمذى وأظنه الترمذى الحكيم لا أبا عيسى الحافظ صاحب الجامع هو ملك التكوين والمشيئة اذا أراد شيأ كان لقوله تعالى لهم ما يشاؤن فيها * وقيل غير هذه الأقوال * وقرأ عمر وابن عباس والحسن ومجاهد والجحدرى وأهل مكة وجمهور السبعة عاليهم بفتح الياء وابن عباس بخلاف عنه والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابن محيصن ونافع وحمزة بسكونها وهى رواية ابان عن عاصم * وقرأ ابن مسعود والأعمش وطلحة وزيد بن على بالياء مضمومة وعن الأعمش وابان أيضا عن عاصم بفتح الياء * وقرأ عليهم حرف جر ابن سيرين ومجاهد وقتادة وأبو حيوة وابن أبى عبلة والزعفرانى وابان أيضا وقرأت عائشة رضى الله عنها علتهم بتاء التأنيث فعلا ماضيا فثياب فاعل ومن قرأ بالياء مضمومة فمبتدأ خبره ثياب ومن قرأ عليهم حرف جر فثياب مبتدأ ومن قرأ بنصب الياء وبالتاء ساكنة فعلى الحال وهو حال من المجرور فى ويطوف عليهم فذو الحال الطوف عليهم والعامل يطوف * وقال الزمخشرى وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير فى يطوف عليهم أو فى حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب انتهى إما أن يكون حالا من الضمير فى حسبتهم فانه لا يعنى إلا ضمير المفعول وهذا عائد على ولدان ولذلك قدر عاليهم بقوله عاليا لهم أى للولدان وهذا لا يصح لان الضمائر الآتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم من قوله وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزاء وفك الضمائر يجعل هذا كذا وذاك كذا مع عدم الاحتياج والاضطرار الى ذلك لا يجوز وأما جعله حالا من محذوف وتقديره أهل نعيم فلا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف وثياب مرفوع على الفاعلية بالحال * وقال ابن عطية ويجوز فى النصب فى القراءتين أن يكون على الظرف لانه بمعنى فوقهم انتهى وعال وعالية اسم فاعل فيحتاج فى اثبات كونهما ظرفين الى أن يكون منقولا من كلام العرب عاليك أو عاليتك ثوب * وقرأ الجمهور ثياب بغير تنوين على الاضافة الى سندس * وقرأ ابن أبى عبلة وأبو حيوة عليهم ثياب سندس خضر واستبرق برفع الثلاثة برفع سندس بالصفة لانه جنس كما تقول ثوب حرير

---



(ش) وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير فى يطوف عليهم أو فى حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب انتهى (ح) اما أن يكون حالا من الضمير فى حسبتهم فانه لا يعنى الا ضمير المفعول وهو عائد على ولدان ولذلك قدر عاليهم بقوله عاليا لهم أى للولدان وهذا لا يصح لان الضمائر الآتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم من قوله وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزاء وفك الضمائر يجعل هذا كذا وذاك كذا مع عدم الاحتياج والاضطرار الى ذلك لا يجوز وأما جعله حالا من محذوف وتقديره أهل نعيم فلا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف (ع) ويجوز فى النصب فى القراءتين أن يكون على الظرف لانه بمعنى فوقهم انتهى (ش) عال وعالية اسم فاعل فيحتاج فى اثبات كونهما ظرفين الى أن يكون منقولا من كلام العرب عاليك أو عاليتك ثوب

( ش ) وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه أعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الاأن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لانه معرب مشهور تعريبه وان أصله استبره انتهى ( ح ) دل قوله الاأن يزعم ابن محيصن وقوله بعد وقرئ واستبرق بوصل الألف والفتح



أن قراءة ابن محيصن هو بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراآت أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف وقال أبو حاتم يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغي أن يحمل ضميرا ويؤيد ذلك دخول لام المعرفة عليه والصواب قطع الألف وإجراؤه على قراءة الجماعة انتهى ونقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية وقد أخذ عن أكابر العلماء ويتطلب لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دهمة وغبش أخبر ان في ذلك اللون بريقا وحسنا يزيل غبشه فاستبرق فعل ماض والضمير فيه يعود على السندس أو على الاخضرار الدال عليه قوله خضر وهذا التخريج اولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة ( ش ) وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة انتهى ( ح ) قوله بالمعصم اما أن يكون مفعول أحسن واما أن يكون بدلا منه واما أن يكون مفعول أحسن وقد فصل بينهما بالجار والمجرور فان كان الأول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في مفعول افعل التعجب لا تقول ما أحسن بزيد تريد ما أحسن زيدا وان كان الثاني ففي مثل هذا الفصل خلاف فالمنقول عن سيبويه أنه لا يجوز والمؤكد منا اذا تكلم ينبغي أن يتحرز في كلامه مما فيه الخلاف

---

تريد من حرير و برفع خضر بالصفة أيضا لان الخضرة لونها ورفع استبرق بالعطف عليها وهو صفة أقيمت مقام الموصوف تقديره وثياب استبرق أي من استبرق * وقرأ الحسن وعيسى ونافع وحفص خضر رفعهما * وقرأ العربيان ونافع في رواية خضر بالرفع صفة لثياب واستبرق جر عطفا على سندس * وقرأ ابن كثير وأبو بكر بجر خضر صفة لسندس و رفع استبرق عطفا على ثياب * وقرأ الأعمش وطلحة والحسن وأبو عمرو بخلاف عنهما وحمزة والكسائي و وصف اسم الجنس الذي بينه و بين واحده تاء التأنيث والجمع جائز فصيح كقوله تعالى و ينشئ السحاب الثقال وقال والنخل باسقات فجعل الحال جمعا واذا كانوا قد جمعوا صفة اسم الجنس الذي ليس بينه و بين واحده تاء التأنيث المحكي بأل بالجمع كقولهم أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض حيث جمع وصفهما ليس بجيد بل هو جائز أورده النحاة مورد الجواز بلا قبح * وقرأ ابن محيصن واستبرق وتقدم ذلك والكلام عليه في الكهف * وقال الزمخشري هنا وقرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه أعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الاأن يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لانه معرب مشهور تعريبه وان أصله استبره انتهى ودل قوله الاأن يزعم ابن محيصن وقوله بعد وقرئ واستبرق بوصل الالف والفتح أن قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراآت انه قرأ بوصل الألف وفتح القاف * وقال أبو حاتم لا يجوز والصواب انه اسم جنس لا ينبغي أن يحمل ضميرا و يؤيد ذلك دخول لام المعرفة عليه والصواب قطع الألف واجراؤه على قراءة الجماعة انتهى ونقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية وقد أخذ عن أكابر العلماء و يتطلب لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب ولما كان قوله خضر يدل على الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دهمة وغبش أخبر أن في ذلك اللون بريقا وحسنا يزيل غبشته فاستبرق فعل ماض والضمير فيه عائد على السندس أو على الاخضرار الدال عليه قوله خضر وهذا التخريج أولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة أساور من فضة وفي موضع آخر من ذهب أي يحلون منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما كما يقع للنساء في الدنيا * قال الزمخشري وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سوار من ذهب وسوار من فضة انتهى فقوله بالمعصم اما أن يكون مفعول أحسن واما أن يكون بدلا منه واما أن يكون مفعول أحسن وقد فصل بينهما بالجار والمجرور فان كان الأول فلا يجوز لانه لم يعهد زيادة الباء في مفعول افعل التعجب لا تقول ما أحسن

بزيد تريد ما أحسن زيدا وان كان الثاني ففي مثل هذا الفصل خلاف والمنقول عن سيبويه انه لا يجوز والمولد منا اذا تكلم ينبغي أن يتحرز في كلامه عما فيه الخلاف وسقاهم ربهم شرابا طهورا طهور صفة مبالغة في الطهارة وهي من فعل لازم وطهارتها بكونها لم يؤمر باجتنابها وليست كخمر الدنيا التي هي في الشرع رجس أو لكونها لم تدنس بدنس رجل دنسة ولم تمس بيد وضرة ولم توضع في اناء لم يعن بتنظيفه ذكره بابسط من هذا الزمخشري ثم قال أو لانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك انتهى وهذا الآخر قاله أبو قلابة والنخعي وابراهيم التيمي قالوا لا تنقلب الى البول بل تكون رشحا من الأبدان أطيب من المسك * ان هذا أي النعيم السرمدي كان لكم جزاء أي لأعمالكم الصالحة وكان سعيكم مشكورا أي مقبولا مثابا * قال قتادة لقد شكر الله سعيا قليلا وهذا على اضمار يقال لهم وهذا القول لهم هو على سبيل التهنئة والسرور لهم بضد ما يقال للمعاقب إن هذا بعملك الردىء فيزداد غما وحزنا ولما ذكر أولا حال الانسان وقسمه الى العاصي والطائع ذكر ما شرف به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم * فقال إنا نحن نزلنا عليك القرآن وأمره بالصبر بحكمه وجاء التوكيد بان لمضمون الخبر ومدلول المخبر عنه وأكد الفعل بالمصدر * ولا تطع منهم آثما أو كفورا قال قتادة نزلت في أبي جهل قال ان رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه فأنزل الله تعالى ولا تطع الآية والنهي عن طاعة كل واحد منهما أبلغ من النهي عن طاعتهما لانه يستلزم النهي عن أحدهما الا ان في طاعتهما طاعة أحدهما ولو قال لا تضرب زيدا وعمرا لجاز أن يكون نهيا عن ضربهما جميعا لا عن ضرب أحدهما * وقال أبو عبيدة أو بمعنى الواو والكفور وان كان اثما فان فيه مبالغة في الكفر ولما كان وصف الكفور مباينا للموصوف لمجرد الاثم صلح التغاير فحسن العطف * وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لأنواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو * واذكر اسم ربك بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا الظهر والعصر * ومن الليل المغرب والعشاء * وقال ابن زيد وغيره كان ذلك فرضا ونسخ فلا فرض الا الخمس وقال قوم هو محكم على وجه الندب * إن هؤلاء اشارة الى الكفرة * يحبون العاجلة يؤثرونها على الدنيا * ويذرون وراءهم أي أمامهم وهو ما يستقبلون من الزمان * يوما ثقيلا استعير الثقل لليوم لشدته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب حامله وتقدم شرح الأسر في سورة القتال واذا شئنا أي تبديل أمثالهم باهلاكهم بدلنا أمثالهم ممن يطيع * وقال الزمخشري وحقه أن يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم إن يشأ يذهبكم انتهى يعني انهم قالوا ان اذا للمحقق وان للممكن وهو تعالى لم يشأ لكنه قد توضع اذا موضع ان وان موضع اذا كقوله أفان مت فهم الخالدون * ان هذه أي السورة أو آيات القرآن أو جملة الشريعة ليس على جهة التخيير بل على جهة التحذير من اتخاذ غير سبيل الله * وقال الزمخشري لمن شاء ممن اختار الخير لنفسه والعاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة * وما تشاؤن الطاعة إلا أن يشاء الله بقسرهم عليها * إن الله كان عليما بأحوالهم وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وقرأ العربيان وابن كثير وما يشاؤن بياء الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب ومذهب أهل السنة انه نفي لقدرتهم على الاختراع وايجاد المعاني في أنفسهم ولا يرد هذا وجود ما لهم من الاكتساب * وقال الزمخشري (فان قلت) ما محل أن يشاء الله (قلت) النصب على الظرف وأصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قرأ ابن مسعود إلا ما يشاء الله

( الدر )

(ش) فان قلت ما محل أن يشاء الله * قلت النصب على الظرف وأصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود إلا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه انتهى (ح) نصوا على أنه لا يقوم مقام الظرف الا المصدر المصرح به كقولك أجيئك صياح الديك ولا يجيزون أجيئك أن يصيح الديك ولا ما يصيح الديك فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشري

لان مامع الفعل كان معه انتهى ونصوا على انه لايقوم مقام الظرف الا المصدر المصرح به كقولك أجيئك صياح الديك ولا يجيز ون أجيئك أن يصيح الديك ولا ما يصيح الديك فعلى هذا لا يجوز ماقاله الزمخشري * يدخل من يشاء في رحمته وهم المؤمنون * وقرأ الجمهور والظالمين نصبا باضمار فعل يفسره قوله أعدّ لهم وتقديره و يعذب الظالمين وهو من باب الاشتغال جملة عطف فعلية على جملة فعلية * وقرأ ابن الزبير وابان بن عثمان وابن أبي عبلة والظالمون عطف جملة اسمية على فعلية وهو جائز حسن * وقرأ عبد الله وللظالمين بلام الجر وهو متعلق بأعد لهم توكيدا ولا يجوز أن يكون من باب الاشتغال و يقدر فعل يفسره الفعل الذي بعده فيكون التقدير وأعد للظالمين أعدّ لهم وهذا مذهب الجمهور وفيه خلاف ضعيف مذكور في النحو فتقول بزيد مررت به و يكون التقدير مررت بزيد مررت به و يكون من باب الاشتغال والمحفوظ المعروف عن العرب نصب الاسم وتفسير مررت المتأخر وما أشبهه من جهة المعنى فعلا ماضيا

## ﴿ سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والمرسلات عرفا * فالعاصفات عصفا * والناشرات نشرا * فالفارقات فرقا * فالملقيات ذكرا * عذرا أو نذرا * إنما توعدون لواقع * فاذا النجوم طمست * و إذا السماء فرجت * و إذا الجبال نسفت * و إذا الرسل أقتت * لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * و يل يومئذ للمكذبين * ألم نهلك الأولين * ثم نتبعهم الآخرين * كذلك نفعل بالمجرمين * و يل يومئذ للمكذبين * ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * الى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون * و يل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا * وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا * و يل يومئذ للمكذبين * انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب * لا ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالت صفر * و يل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * و يل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فان كان لكم كيد فكيدون * و يل يومئذ للمكذبين * إن المتقين في ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون * إنا كذلك نجزي المحسنين * و يل يومئذ للمكذبين * كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون * و يل يومئذ للمكذبين * واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * و يل يومئذ للمكذبين * فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ * فرجت الشئ فتحته فانفرج * قال الراجز * الفارجو باب الأمير المبهم * كفت ضم وجمع * ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اكفتوا صبيانكم * ومنه قيل لبقيع الغرقد كفتة وكفتة والكفات اسم لما يكفت كالضمام والجماع يقال هذا الباب جماع الأبواب * وقال الصمصامة بن الطرماح

فأنت اليوم فوق الأرض حي * وأنت غدا تضمك في كفات

* وقال أبو عبيدة الكفات الوعاء * شمخ ارتفع * الشرر ما تطاير من النار متبددا في كل جهة واحده شررة ولغة تميم شرار بالألف واحده شرارة * القصر الدار الكبيرة المشيدة والقصر قطع من الخشب قدر الذراع وفوقه ودونه يستعد به للشتاء واحده قصرة والقصر بفتح الصاد

﴿سورة والمرسلات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿والمرسلات عرفا﴾ الآيات هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا وهو أنه ذكر أنه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين وهذا وعد منه صادق فاقسم على وقوعه في هذه فقال انما توعدون لواقع ولما كان المقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات فقال ابن مسعود والمرسلات الملائكة أرسلت بالعرف ضد النكر * فالعاصفات قال ابن مسعود الشديدات الهبوب والناشرات قال السدى الملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال * فالفارقات قال ابن مسعود الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام فالملقيات قال ابن عباس الملائكة تلقى ما حملت من الوحى الى الانبياء عليهم السلام والذى يظهر أن المقسم به شيئان ولذلك جاء العطف بالواو فى والناشرات والعطف بالواو يشعر بالتغاير بل هو موضوعه فى لسان العرب وأما العطف بالفاء اذا كان بالصفات فيدل على انها راجعة لموصوف واحد كقوله والعاديات فالموريات فالمغيرات فانها راجعة الى العاديات وهى الخيل واذا تقرر هذا فالظاهر أنه أقسم أولا بالرياح قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح فهى مرسلاته ويدل عليه عطف الصفة بالفاء كما قلنا وان العصف من صفات الريح فى عدة مواضع من القرآن والقسم  الثانى فيه ترق الى أشرف من المقسم به الاول وهم الملائكة ويكون فالفارقات فالملقيات من صفاتهم كما قلنا فى عطف الصفات والقاؤهم للذكر وهو ما أنزل الله تعالى يصح اسناده اليهم وما ذكر من اختلاف المفسرين فى المراد بهذه الاوصاف ينبغى أن يحمل على التمثيل لا على التعيين وجواب القسم وما عطف عليه قوله انما توعدون وما موصولة بمعنى الذى ﴿فاذا النجوم طمست﴾ أى أذهب نورها فاستوت مع جرم السماء ﴿واذا السماء فرجت﴾ صار فيها فروج بانفطارها ﴿واذا الجبال نسفت﴾ فرقتها الرياح وذلك بعد التسيير وقبل كونها هباء ﴿واذا الرسل أقتت﴾ أى بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة ﴿لاى يوم أجلت﴾ تعظيم لذلك اليوم وتعجيب مما يقع فيه من الهول والشدة والتأجيل من الاجل أى ليوم عظيم أخرت ﴿ليوم الفصل﴾ أى بين الخلائق وهو بدل من لاى يوم ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ مبالغة فى عظم ذلك اليوم على الخلائق وجواب اذا محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره اذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون ﴿ألم نهلك الأولين﴾ الأمم التى تقدمت قريشا أجمعها ويكون الآخرين من تأخر من قريش وغيرهم وعلى التشريك يكون الأولين قوم نوح وابراهيم عليهما السلام ومن كان معهم والآخرين قوم فرعون ومن تأخر وقرب من مدة الرسول صلى الله عليه وسلم والاهلاك هنا اهلاك عذاب ونكال ولذلك جاء كذلك نفعل بالمجرمين فأتى بالصفة المقتضية لاهلاك العذاب وهى الاجرام ولما ذكر أنباء الاولين والآخرين ذكر ووقف على أصل الخلقة التى يقتضى النظر فيها تجويز البعث ﴿من ماء مهين﴾ أى ضعيف وهو ماء الرجل والمرأة ﴿فى قرار مكين﴾ هو الرحم ﴿الى قدر معلوم﴾ أى عند الله تعالى وهو وقت الولادة وقرئ ﴿فقدرنا﴾ بالتشديد والتخفيف قال أبو عبيدة الكفات الوعاء أى تكفت الخلق أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها وانتصب أحياء وأمواتا بفعل يدل عليه ما قبله ﴿رواسى﴾ جبالا ثابتات ﴿شامخات﴾ مرتفعات ﴿وأسقيناكم﴾ جعلناه سقيا لمزارعكم ومنافعكم

أعناق الابل والنخل والناس واحده قصرة بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة كحلقة من الحديد وحلق والله تعالى أعلم ﴿والمرسلات عرفا * فالعاصفات عصفا * والناشرات نشرا * فالفارقات فرقا * فالملقيات ذكرا * عذرا أو نذرا * إنما توعدون لواقع * فاذا النجوم طمست * واذا السماء فرجت * واذا الجبال نسفت * واذا الرسل أقتت * لأى يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نهلك الأولين * ثم نتبعهم الآخرين * كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه فى قرار مكين * الى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا * وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا * ويل يومئذ للمكذبين﴾ هذه السورة مكية وحكى عن ابن عباس وقتادة ومقاتل ان فيها آية مدنية وهى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا وهو انه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين فهذا وعد منه صادق فأقسم على وقوعه فى هذه فقال انما توعدون لواقع ولما كان المقسم به موصوفات قد حذفت وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف فى تعيين تلك الموصوفات * فقال ابن مسعود وأبو هريرة وأبو صالح ومقاتل والفراء والمرسلات الملائكة أرسلت بالعرف ضد النكر وهو الوحى فبالتعاقب على العباد طرفى النهار * وقال ابن عباس وجماعة الأنبياء

ومعنى عرفا إفضالا من الله تعالى على عباده * ومنه قول الشاعر * لا يذهب العرف بين الله والناس * وانتصابه على انه مفعول له أي أرسلن للاحسان والمعروف أو متتابعة تشبيها بعرف الفرس في تتابع شعره وأعراف الخيل وتقول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه متتابعين وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه وانتصابه على الحال * وقال ابن مسعود أيضا وابن عباس أيضا ومجاهد وقتادة الرياح * وقال الحسن السحاب * وقرأ الجمهور عرفا بسكون الراء وعيسى بضمها * فالعاصفات قال ابن مسعود الشديدات الهبوب * وقيل الملائكة تعصف بأرواح الكفار أي تزعجها بشدة أو تعصف في مضيها كما تعصف الرياح تحققا في امتثال أمره * وقيل هي الآيات المهلكة كالزلازل والصواعق والخسوف * والناشرات قال السدي وأبو صالح ومقاتل الملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال * وقال الربيع الملائكة تنشر الناس من قبورهم * وقال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة الرياح تنشر رحمة الله ومطره * وقال أبو صالح الأمطار تحيي الأرض بالنبات * وقال الضحاك الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد فعلى هذا تكون الناشرات على معنى النسب أي ذات النشر * فالفارقات قال ابن عباس وابن مسعود وأبو صالح ومجاهد والضحاك الملائكة تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام * وقال قتادة والحسن وابن كيسان آيات القرآن فرقت بين الحلال والحرام * وقال مجاهد أيضا الرياح تفرق بين السحاب فتبدده * وقيل الرسل حكاه الزجاج * وقيل السحاب الماطر تشبيها بالناقة الفاروق وهي الحامل التي تجزع حين تضع * وقيل العقول تفرق بين الحق والباطل والصحيح والفاسد * فالملقيات ذكرا قال ابن عباس وقتادة والجمهور الملائكة تلقي ما حملت من الوحي الى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام * وقال قطرب الرسل تلقي ما أنزل عليها الى الأمم * وقال الربيع آيات القرآن ألقيت على النبي صلى الله عليه وسلم واختار الزمخشري من الأقوال أن تكون والمرسلات الى آخر الأوصاف إما الملائكة وإما الرياح فالملائكة تكون عذرا للمحققين أو نذرا للمبطلين والرياح يكون المعنى فألقين ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها وإما إنذارا للذين يغفلون عن الشكر لله وينسبون ذلك الى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت قاله الزمخشري والذي أراه أن المقسم به شيئان ولذلك جاء العطف بالواو في والناشرات والعطف بالواو يشعر بالتغاير بل هو موضوعه في لسان العرب وأما العطف بالفاء اذا كان في الصفات فيدل على أنها راجعة الى العاديات وهي الخيل وكقوله

يالهف زيابة للحارث فالصا * بح فالغانم فالآيب

فهذه راجعة لموصوف واحد وهو الحارث فاذا تقرر هذا فالظاهر انه أقسم أولا بالرياح فهي مرسلاته تعالى ويدل عليه عطف الصفة بالفاء كما قلنا وأن العصف من صفات الريح في عدة مواضع من القرآن والقسم الثاني فيه ترق الى أشرف من المقسم به الأول وهم الملائكة ويكون فالفارقات فالملقيات من صفاتهم كما قلنا في عطف الصفات وإلقاؤهم الذكر وهو ما أنزل الله يصح اسناده اليهم وقرأ الجمهور فالملقيات اسم فاعل خفيف أي تطرقه اليهم وابن عباس مشددا من التلقية وهي أيضا ايصال الكلام الى المخاطب يقال لقيته الذكر فتلقاه * وقرأ أيضا ابن عباس فيما ذكره المهدوي بفتح اللام والقاف مشددة اسم مفعول أي تلقته من قبل الله تعالى * وقرأ ابراهيم التيمي والنحويان

وحفص عذرا أونذرا بسكون الذالين وزيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وأبو جعفر وأبو حيوة وعيسى والحسن بخلاف والأعشى عن أبي بكر بضمهما وأبو جعفر أيضا وشيبة وزيد بن على والحرميان وابن عامر وأبو بكر بسكونها في عذرا وضمها في نذرا فالسكون على أنهما مصدران مفردان أو مصدران جمعان فعذرا جمع عذير بمعنى المعذرة ونذرا جمع نذير بمعنى الانذار وانتصابهما على البدل من ذكرا كأنه قيل فالملقيات عذرا أونذرا أو على المفعول من أجله أو على أنهما مصدران في موضع الحال أي عاذرين أو منذرين ويجوز مع الاسكان أن يكونا جمعين على ما قررناه * وقيل يصح انتصاب عذرا أونذرا على المفعول به بالمصدر الذي هو ذكرا أي فالملقيات أي فذكروا عذرا وفيه بعد لأن المصدر هنا لا يراد به العمل إنما يراد به الحقيقة لقوله أألقي عليه الذكر والاعذار هي بقيام الحجة على الخلق والانذار هو بالعذاب والنقمة * إنما توعدون أي من الجزاء بالثواب والعقاب لواقع وما موصولة وان كانت قد كتبت موصولة بان وهذه الجملة هي المقسم عليها * وقرأ الجمهور أونذرا بواو التفصيل وابراهيم التيمي ونذرا بواو العطف * فاذا النجوم طمست أي أذهب نورها فاستوت مع جرم السماء أو عبر عن الحاق ذواتها بالطمس وهو انتثارها وانكدارها أو أذهب نورها ثم انتثرت ممحوقة النور * واذا السماء فرجت أي صار فيها فروج بانفطار * وقرأ عمرو بن ميمون طمست فرجت بشد الميم والراء والجمهور بخفهما * واذا الجبال نسفت أي فرقتها الرياح وذلك بعد التسيير وقبل كونها هباء * وقرأ الجمهور أقتت بالهمز وشد القاف وبتخفيف القاف والهمز النخعي والحسن وعيسى وخالد * وقرأ أبو الأشهب وعمرو بن عبيد وعيسى أيضا وأبو عمرو بالواو وشد القاف * قال عيسى وهي لغة سفلى مضر وعبد الله والحسن وأبو جعفر بواو واحدة وخف القاف والحسن أيضا ووقتت بواوين على وزن فوعلت والمعنى جعل لها وقت منتظر فحان وجاء أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة والواو في هذا كله أصل والهمزة بدل * قال الزمخشري ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وجواب اذا محذوف لدلالة ماقبله عليه وتقديره اذا كان كذا وكذا وقع ماتوعدون * لأي يوم أجلت تعظيم لذلك اليوم وتعجيب لما يقع فيه من الهول والشدة والتأجيل من الأجل أي ليوم عظيم أخرت ليوم الفصل أي بين الخلائق * ويل تقدم الكلام فيه في أول ثاني حزب من سورة البقرة يومئذ يوم اذ طمست النجوم وكان ما بعدها * وقرأ الجمهور نهلك الأولين بضم النون وقتادة بفتحها * قال الزمخشري من هلكه بمعنى أهلكه * قال العجاج

* ومهمه هالك من تعرجا *

انتهى وخرج بعضهم هالك من تعرجا على ان هالكا هو من اللازم ومن موصول فاستدل به على ان الصفة المشبهة باسم الفاعل قد يكون معمولها موصولا * وقرأ الجمهور نتبعهم بضم العين على الاستئناف وهو وعد لأهل مكة ويقوي الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين الاستقبال والأعرج والعباس عن أبي عمرو باسكانها فاحتمل أن يكون معطوفا على نهلك واحتمل أن يكون سكن تخفيفا كما سكن وما يشعركم فهو استئناف فعلى الاستئناف يكون الاولين الأمم التي تقدمت قريشا أجمع ويكون الآخرين من تأخر من قريش وغيرهم وعلى التشريك يكون الاولين قوم نوح وابراهيم عليهما السلام ومن كان معهم والآخرين قوم فرعون ومن تأخر وقرب من مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاهلاك هنا اهلاك العذاب والنكال ولذلك جاء كذلك نفعل بالمجرمين فأتى بالصفة المقتضية لاهلاك العذاب وهي الاجرام ولماذكر افناء

---

( الدر )

﴿ سورة والمرسلات ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) من هلكه بمعنى أهلكه وقال العجاج

ومهمه هالك من تعرجا

انتهى (ح) خرج بعضهم هالك من تعرجا على أن هالكا هو اللازم ومن موصول فاستدل به على أن الصفة المشبهة باسم الفاعل قد يكون معمولها موصولا

﴿ انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ﴾ يقال للمكذبين انطلقوا أى من العذاب ﴿ انطلقوا الى ظل ﴾ أمر تكرارا أو بيانا للمنطلق اليه كانهم لما أمروا امتثلوا فانطلقوا اذ لا يمكنهم التأخير اذ صاروا مضطرين الى الانطلاق ﴿ ذى ثلاث شعب ﴾ قال عطاء هو دخان جهنم روى أنه يعلو من ثلاثة مواضع يظن الكافر أنه مغن من النار فيهرعون اليه فيجدونه على أسوأ وصف ﴿ لا ظليل ﴾ نفى لمحاسن الظل ﴿ ولا يغنى ﴾ أى ولا مغن عنهم من حر اللهب شيأ ﴿ انها ترمى ﴾ الضمير فى انها لجهنم ﴿ بشرر ﴾ جمع شرارة ﴿ كالقصر ﴾ كالدار العظيمة المشيدة وقرئ ﴿ جمالات ﴾ بضم الجيم وكسرها * والجمالات قال ابن عباس هى قلوص السفن وهى حبالها العظام اذا جمعت والصفر تشبيه بلون الشرر وقرئ يوم بالرفع مبتدأ وخبر وبالنصب فيكون هذا اشارة الى الرمى بالشرر ويوم منصوب باسم الاشارة ﴿ فيعتذرون ﴾ عطف على ولا يؤذن داخل فى حيز نفى الاذن أى فلا اذن فاعتذار ولم يجعل الاعتذار متسببا عن الاذن فينصب وقال ابن عطية ولم ينصب فى جواب النفى لتشابه رؤس الآى والوجهان جائزان انتهى فجعل سبب امتناع النصب هو تشابه رؤس الآى وقال والوجهان جائزان فيظهر من كلامه استواء الرفع والنصب وأن معناهما واحد وليس كذلك لان الرفع كما ذكرنا لا يكون متسببا بل صريح عطف والنصب يكون فيه متسببا فافترقا ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ خطاب للكفار والاولين قوم نوح عليه السلام وغيرهم من الكفار الذين تقدم زمانهم على زمان المخاطبين أى جمعناكم للفصل بين السعداء والاشقياء ﴿ فان كان لكم كيد ﴾ أى فى هذا اليوم كما كان لكم فى الدنيا ما تكيدون به دين الله وأولياءه ﴿ فكيدون ﴾ اليوم وهذا تعجيز لهم وتوبيخ ﴿ كلوا واشربوا ﴾ خطاب للمؤمنين فى الآخرة على اضمار القول ويدل عليه بما كنتم تعملون ﴿ كلوا وتمتعوا ﴾ خطاب للكفار فى الدنيا ﴿ قليلا ﴾ أى زمانا قليلا اذ قصارى أكلكم وتمتعكم الموت وهو خطاب تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم ﴿ واذا قيل لهم اركعوا ﴾ من قال انها مكية قال هى فى قريش ومن قال انها مدنية قال هى فى المنافقين وجاء فى هذه السورة بعد كل جملة قوله ويل يومئذ للمكذبين لان كل جملة منها فيها اخبار الله تعالى عن أشياء وبأشياء من أحوال الآخرة وبتقريرات من أحوال الدنيا فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب بالويل فى يوم الآخرة والضمير فى بعده عائد على القرآن والمعنى أنه تضمن من الاعجاز والبلاغة والاخبار بالمغيبات وغير ذلك مما احتوى عليه ما لم يتضمنه كتاب إلهى فاذا كانوا مكذبين به فبأى حديث بعده يصدقون به اذ لا يمكن تصديقهم بحديث بعد أن كذبوا بهذا الحديث الذى هو القرآن

---

الأولين والآخرين ذكر ووقف على أصل الخلقة التى يقتضى النظر فيها تجويز البعث من ماء مهين أى ضعيف هو منى الرجل والمرأة فى قرار مكين وهو الرحم الى قدر معلوم أى عند الله تعالى وهو وقت الولادة * وقرأ على بن أبى طالب فقدرنا بشد الدال من التقدير كما قال من نطفة خلقه فقدره وباقى السبعة بخفها من القدرة وانتصب أحياء وأمواتا بفعل يدل عليه ما قبله أى يكفت احياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها واستدل بهذا من قال ان النباش يقطع لان بطن الارض حرز للكفن فاذا نبش وأخذ منه فهو سارق * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون المعنى نكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انها كفات الانس انتهى ورواسى جبالا ثابتات شامخات مرتفعات ومنه شمخ بانفه ارتفع شبه المعنى بالجرم وأسقيناكم جعلناه سقيا لمزارعكم ومنافعكم ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر * كأنه جمالت صفر * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فان كان لكم كيد فكيدون * ويل يومئذ للمكذبين * إن المتقين فى ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون * إنا كذلك نجزى المحسنين * ويل يومئذ للمكذبين * كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون * ويل يومئذ للمكذبين * وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ للمكذبين * فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ يقال للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون أى من العذاب انطلقوا الى ظل أمر قراءة الجمهور تكرارا أو بيانا للمنطلق اليه * وقرأ رويس عن يعقوب بفتح اللام على معنى الخبر كأنهم لما أمروا امتثلوا فانطلقوا اذ لا يمكنهم التأخير اذ صاروا مضطرين الى الانطلاق ذى ثلاث شعب * قال عطاء هو دخان جهنم * وروى انه يعلو من ثلاثة مواضع يظن الكفار انه مغن من النار فيهرعون اليه فيجدونه على أسوإ وصف * وقال ابن عباس

يقال ذلك لعبدة الصليب فالمؤمنون فى ظل الله عز وجل وهم فى ظل معبودهم وهو الصليب له ثلاث شعب والشعب ماتفرق من جسم واحد لا ظليل نفى لمحاسن الظل ولا يغنى أى ولا يغنى عنهم من حر اللهب شيأ * انها ترمى بشرر الضمير فى انها لجهنم * وقرأ الجمهور بشرر وعيسى بشرار بألف بين الراءين وابن عباس وابن مقسم كذلك الا أنه كسر الشين فاحتمل أن يكون جمع شرر أى بشرار من العذاب وأن يكون صفة أقيمت مقام موصوفها أى بشرار من الناس كما تقول قوم شرار جمع شر غير أفعل التفضيل وقوم خيار جمع خير غير أفعل التفضيل و يؤنث هذا فيقال للمؤنث شرة وخيرة بخلافهما اذا كانا للتفضيل فلهما أحكام مذكورة فى النحو * وقرأ الجمهور كالقصر وابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم بفتح القاف والصاد وابن جبير أيضا والحسن أيضا كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد وبعض القراء بفتح القاف وكسر الصاد وابن مسعود بضمهما كأنه مقصور من القصور كما قصروا النجم والنمر من النجوم والنمور قال الراجز * فيها عنابيل أسود ونمر * وتقدم شرح أكثر هذه القراآت فى المفردات * وقرأ الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه جمالات بكسر الجيم وبالالف والتاء جمع جمال جمع الجمع وهى الابل كقولهم رجالات قريش وابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن وأبو رجاء بخلاف عنهم كذلك الا أنهم ضموا الجيم وهى جمال السفن الواحد منها جملة لكونه جملة من الطاقات والقوى ثم جمع على جمل وجمال ثم جمع جمال ثانيا جمع صحة فقالوا جمالات * وقيل الجمالات قلوص الجسور * وقرأ حمزة والكسائى وحفص وأبو عمرو فى رواية الأصمعى وهارون عنه جمالة بكسر الجيم لحقت جمالا التاء لتأنيث الجمع كحجر وحجارة * وقرأ ابن عباس والسلمى والأعمش وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبى عبلة ورويس كذلك الا أنهم ضموا الجيم * قال ابن عباس وابن جبير الجمالات قلوص السفن وهى حباله العظام اذا اجتمعت مستديرة بعضها الى بعض جاء منها أجرام عظام * وقال ابن عباس أيضا الجمالات قطع النحاس الكبار وكان اشتقاق هذه من اسم الجملة * وقرأ الحسن صفر بضم الفاء والجمهور باسكانها شبه الشرر أولا بالقصر وهو الحصن من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وثانيا بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الابل بالافدان وهى القصور * قال الشاعر

فوقفت فيها ناقتى فكأنها * فدن لاقضى حاجة المتلوم

ومن قرأ بضم الجيم فالتشبيه من جهة العظم والطول والصفرة الفاقعة أشبه بلون الشرر قاله الجمهور * وقيل صفر سود * وقيل سود تضرب الى الصفرة * وقال عمران بن حطان الرقاشى

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

* وقرأ الأعمش والأعرج وزيد بن على وعيسى وأبو حيوة وعاصم فى رواية هذا يوم لاينطقون بفتح الميم والجمهور برفعها * قال ابن عطية لما أضاف الى غير متمكن بناه فهى فتحة بناء وهى فى موضع رفع * وقال صاحب اللوامح قال عيسى هى لغة سفلى مضر يعنى بناءهم يوم مع لا على الفتح لأنهم جعلوا يوم مع لا كالاسم الواحد فهو فى موضع رفع لأنه خبر المبتدأ انتهى والجملة المصدرة بمضارع مثبت أو منفى لايجيز البصريون فى الظرف المضاف اليها البناء بوجه وانما هذا مذهب كوفى * قال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون نصبا صحيحا على الظرف فيصير هذا اشارة الى ماتقدمه من الكلام دون اشارة الى يوم ويكون العامل فى نصب يوم نداء تقدمه من صفة

جهنم ورميها بالشرر في يوم لا ينطقون فيكون يومئذ كلام معترض لا يمنع من تفريغ العامل للمعمول كما كانت فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان انتهى * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون ظرفا وتكون الاشارة بهذا الى رميها بشرر * وقال الزمخشري ونصبه الأعمش أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ وهنا نفى نطقهم وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم نطقوا في مواضع من هذا اليوم وذلك باعتبار طول اليوم فيصح أن ينفي القول فيه في وقت ويثبت في وقت أو نفي نطقهم بحجة تنفع وجعل نطقهم بما لا ينفع كلا نطق * وقرأ القراء كلهم فيما أعلم ولا يؤذن مبنيا للمفعول * وحكى أبو علي الاهوازي أن زيد بن علي قرأ ولا يأذن مبنيا للفاعل أي الله تعالى فيعتذرون عطف على ولا يؤذن داخل في حيز نفي الاذن أي فلا اذن فاعتذار ولم يجعل الاعتذار متسببا عن الاذن فينصب * وقال ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤس الآي والوجهان جائزان انتهى فجعل امتناع النصب هو تشابه رؤوس الآي وقال والوجهان جائزان فظهر من كلامه استواء الرفع والنصب وأن معناهما واحد وليس كذلك لأن الرفع كما ذكرنا لا يكون متسببا بل صريح عطف والنصب يكون فيه متسببا فافترقا وذهب أبو الحجاج الاعلم الى أنه قد يرفع الفعل ويكون معناه المنصوب بعد الفاء وذلك قليل وانما جعل النحويون معنى الرفع غير معنى النصب رعيا للاكثر في كلام العرب وجعل دليله ذلك وهذه الآية كظاهر كلام ابن عطية وقد رد ذلك عليه ابن عصفور وغيره * هذا يوم الفصل جمعناكم للكفار والأولين قوم نوح عليه السلام وغيرهم من الكفار الذين تقدم زمانهم على زمان المخاطبين أي جمعناكم للفصل بين السعداء والأشقياء * فان كان لكم كيد أي في هذا اليوم كما كان لكم في الدنيا ما تكيدون به دين الله وأولياءه فكيدون اليوم وهذا تعجيز لهم وتوبيخ ولما كان في سورة الانسان ذكر نزرا من أحوال الكفار في الآخرة وأطنب في وصف أحوال المؤمنين فيها جاء في هذه السورة الاطناب في وصف الكفار والايجاز في وصف المؤمنين فوقع بذلك الاعتدال بين السورتين * وقرأ الجمهور في ظلال جمع ظل والأعمش في ظلل جمع ظلة * كلوا واشربوا خطاب لهم في الآخرة على اضمار القول ويدل عليه بما كنتم تعملون * كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا قليلا أي زمانا قليلا اذ قصارى أكلكم وتمتعكم الموت وهو خطاب تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم * واذا قيل لهم اركعوا من قال انها مكية قال هي في قريش ومن قال ان هذه الآية مدنية قال هي في المنافقين * وقال مقاتل نزلت في ثقيف قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حط عنا الصلاة فانا لا ننحني انها مسبة فأبى وقال لا خير في دين لا صلاة فيه ومعنى اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه * وقيل الركوع هنا عبارة عن الصلاة وخص من أفعالها الركوع لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود وجاء في هذه السورة بعد كل جملة قوله ويل يومئذ للمكذبين لان كل جملة منها فيها اخبار الله تعالى عن أشياء من أحوال الآخرة وتقريرات من أحوال الدنيا فناسب أن نذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب بالويل في يوم الآخرة والضمير في بعده عائد على القرآن والمعنى أنه قد تضمن من الاعجاز والبلاغة والاخبار المغيبات وغير ذلك مما احتوى عليه ما لم يتضمنه كتاب إلهي فاذا كانوا مكذبين به فبأي حديث بعده يصدقون به أي لا يمكن تصديقهم بحديث بعد أن كذبوا بهذا الحديث لذي هو القرآن * وقرأ الجمهور يؤمنون بياء الغيبة ويعقوب وابن عامر في رواية بتاء الخطاب

﴿ سورة النبأ مكية وهي أحدى وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا * وبنينا فوقكم سبعا شدادا * وجعلنا سراجا وهاجا * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا * إن يوم الفصل كان ميقاتا * يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا * وفتحت السماء فكانت أبوابا * وسيرت الجبال فكانت سرابا * إن جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا * لابثين فيها أحقابا * لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا * إلا حميما وغساقا * جزاء وفاقا * إنهم كانوا لا يرجون حسابا * وكذبوا بآياتنا كذابا * وكل شئ أحصيناه كتابا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا * إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا * وكواعب أترابا * وكأسا دهاقا * لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا * جزاء من ربك عطاء حسابا * رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا * يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا * ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا * إنا أنذرناكم عذابا قريبا * يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ﴾

* السبات قال ابن قتيبة السبات أصله القطع والمد فالنوم قطع الاشغال الشاقة ومن المد قول الشاعر

وان سبتته مال حبلا كأنه * سدى واملات من نواسج خثعما

أي ان مدت شعرها مال والتف كالتفاف السدى بأيدى نساء ناسجات * الوهاج المتوقد المتلالى * المعصر قال الفراء السحاب الذي يجلب المطر ولما يجتمع مثل الجارية المعصر قد كادت تحيض ولما تحض وقال نحوه ابن قتيبة * وقال أبو النجم العجلى

تمشي الهوينا مائلا خمارها * قد أعصرت أو قد دنا اعصارها

* الثج قال ثعلب أصله شدة الانصباب * وقال الأزهرى مطر ثجاج شديد الانصباب ثج الماء وثججته ثجا وثجوجا يكون لازما بمعنى الانصباب وواقعا بمعنى الصب * قال الشاعر في وصف الغيث

اذا رمقت فيها رحى مرجحنه * تنعج ثجاجا غزير الحوافل

ألفافا جمع لف ثم جمع لف على ألفاف * الكواعب جمع كاعب وهي التي برز نهدها ومنه كعب الرجل لبروزه ومنه الكعبة * قال عاصم بن قيس المنقرى

وكم من حصان قد حوينا كريمة * ومن كاعب لم تدر ما البؤس معصر

الدهاق الملأى مأخوذ من الدهق وهو ضغط الشئ وشده باليد كأنه لامتلائه انضغط * وقيل الدهاق المتتابعة * قال الشاعر

أتانا عامر يبغي قرانا * فأترعنا له كأسا دهاقا

﴿ وقال آخر ﴾

لأنت الى الفؤاد أحب قربا * من الصادى الى كأس دهاق

﴿ سورة النبأ ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ عم يتساءلون ﴾ الآية هذه السورة مكية روى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذى أتى به ويتجادلون فيما بعث به فنزلت ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما قال فبأى حديث أى بعد هذا الحديث وهو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه قال عم يتساءلون والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب كما تقول أى رجل زيد وزيد ما زيد والضمير فى يتساءلون لاهل مكة ثم أخبر تعالى أنهم يتساءلون عن النبأ العظيم وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن العظيم * وعم متعلق بيتساءلون ومن قرأ عمه بالهاء فى الوصل أجرى الوصل مجرى الوقف وعن النبأ متعلق بمحذوف أى يتساءلون عن النبأ ﴿ كلا ﴾ ردع للمتسائلين وهذا التكرار توكيد فى الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل أى سيعلمون ما يحل بهم ثم قررهم تعالى على النظر فى آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التى أبدعها من العدم الصرف وأن النظر فى ذلك يفضى الى الايمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء فقال ﴿ ألم نجعل الارض مهادا ﴾ فبدأ بما هم دائما يباشرونه والمهاد الفراش الموطأ ﴿ والجبال أوتادا ﴾ أى ثبتنا الارض بالجبال كما يثبت البيت بالاوتاد قال الافوه الاودى

والبيت لا ينبنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

﴿ أزواجا ﴾ أى أنواعا فى اللون والصورة واللسان ﴿ سباتا ﴾ سكونا وراحة سبت الرجل استراح وترك الشغل ﴿ لباسا ﴾ أى تستترون به عن العيون فيما لا تحبون أن يظهر عليه ﴿ وجعلنا النهار ﴾ قابل النوم بالنهار إذ فيه اليقظة ﴿ معاشا ﴾ وقت عيش وهو الحياة تتصرفون فيه فى حوائجكم ﴿ سبعا ﴾ سموات ﴿ شدادا ﴾ محكمة الخلق قوية لا تتأثر بمرور الاعصار الا اذا أراد الله تعالى ﴿ سراجا ﴾ هو الشمس ﴿ وهاجا ﴾ حارا مضطرم الاتقاد قال ابن عباس ﴿ المعصرات ﴾ الرياح لانها تعصر السحاب جعل الانزال منها لما كانت فيه سببا ﴿ ثجاجا ﴾ منصبا بكثرة ومنه أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى ﴿ حبا ونباتا ﴾ بدأ بالحب لانه الذى يتقوت به كالحنطة والشعير وثنى بالنبات فيشمل كل ما ينبت من شجر وحشيش ودخل فى الحب ﴿ ألفافا ﴾ أى ملتفة ﴿ ان يوم الفصل ﴾ هو يوم القيامة يفصل فيه بين الحق والباطل ﴿ كان ميقاتا ﴾ أى فى تقدير الله تعالى وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده ﴿ يوم ينفخ ﴾ بدل من يوم الفصل ﴿ فتأتون ﴾ من القبور الى الموقف ﴿ أفواجا ﴾ أمما كل أمة بامامها ﴿ فكانت أبوابا ﴾ أى تنشق حتى يكون فيها فتوح كالابواب فى الجدرات ﴿ فكانت سرابا ﴾ أى فكانت شيأ كلا شئ

---

﴿ عم يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذى هم فيه مختلفون * كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا * وخلقناكم أزواجا * وجعلنا نومكم سباتا * وجعلنا الليل لباسا * وجعلنا النهار معاشا * وبنينا فوقكم سبعا شدادا * وجعلنا سراجا وهاجا * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا * لنخرج به حبا ونباتا * وجنات ألفافا * إن يوم الفصل كان ميقاتا * يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا * وفتحت السماء فكانت أبوابا * وسيرت الجبال فكانت سرابا ﴾ هذه السورة مكية وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذى أتى به ويتجادلون فيما بعث به فنزلت * ومناسبتها لما ذكر قبلها ظاهرة لما ذكر فبأى حديث بعده يؤمنون أى بعد الحديث الذى هو القرآن وكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه قال عم يتساءلون * وقرأ الجمهور عم وعبد الله وأبى وعكرمة وعيسى عما بالألف وهو أصل عم والأكثر حذف الألف من ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف الجر وأضيف اليها ومن اثبات الألف قوله

على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

وقرأ الضحاك وابن كثير فى رواية عمه بهاء السكت أجرى الوصل مجرى الوقف لان الأكثر فى الوقف على ما الاستفهامية هو بالحاق هاء السكت إلا إذا أضيفت اليها فلا بد من الهاء فى الوقف نحو بمجىء مه والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب كما تقول أى رجل زيد وزيد ما زيد كأنه لما كان عديم النظير أو قليله خفى عليك جنسه فأخذت تستفهم عنه ثم جرد العبارة عن تفخيم الشئ فجاء فى القرآن والضمير فى يتساءلون لأهل مكة ثم أخبر تعالى انهم يتساءلون عن النبأ العظيم وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن * وقيل الضمير لجميع العالم فيكون الاختلاف تصديق المؤمن وتكذيب الكافر * وقيل المتساءل فيه البعث والاختلاف فيه عم متعلق بيتساءلون ومن قرأ عمه بالهاء فى الوصل فقد ذكرنا انه يكون أجرى الوصل مجرى

الوقف وعن النبأ متعلق بمحذوف أي يتساءلون عن النبأ وأجاز الزمخشري أن يكون وقف على عم ثم ابتدأ يتساءلون عن النبأ العظيم على أن يضمر لعم يتساءلون وحذفت لدلالة ما بعدها عليه كشيء مبهم ثم يفسر * وقال ابن عطية قال أكثر النحاة قوله عن النبأ العظيم متعلق بيتساءلون الظاهر كأنه قال لم يتساءلون عن النبأ العظيم * وقال الزجاج الكلام تام في قوله عم يتساءلون ثم كان مقتضى القول أن يجيب مجيب فيقول يتساءلون عن النبأ فاقتضى ايجاز القرآن وبلاغته أن يبادر المحتج بالجواب الذي يقتضيه الحال والمجاورة اقتضاء بالحجة واسراعا الى موضع قطعهم * وقرأ عبد الله وابن جبير يساءلون بغير تاء وشد السين وأصله يتساءلون بتاء الخطاب فأدغم التاء الثانية في السين * كلا ردع للمتسائلين * وقرأ الجمهور بياء الغيبة فيهما * وعن الضحاك الأول بالتاء على الخطاب والثاني بالياء على الغيبة وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل أي سيعلمون ما يحل بهم ثم قررهم تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي ابتدعها من العدم الصرف وان النظر في ذلك يفضي الى الايمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء * فقال ألم نجعل الأرض مهادا فبدأ بما هم دائما يباشرونه والمهاد الفراش الموطأ * وقرأ الجمهور مهادا ومجاهد وعيسى وبعض الكوفيين مهدا بفتح الميم وسكون الهاء ولم ينسب ابن عطية عيسى في هذه القراءة * وقال ابن خالويه مهدا على التوحيد مجاهد وعيسى الهمداني وهو الحوفي فاحتمل أن يكون قول ابن عطية وبعض الكوفيين كناية عن عيسى الهمداني واذا أطلقوا عيسى أو قالوا عيسى البصرة فهو عيسى بن عمر الثقفي وتقدم الكلام في المهاد في البقرة في أول حزب واذكروا الله * والجبال أوتادا أي ثبتنا الأرض بالجبال كما ثبت البيت بالأوتاد * قال الافوه

والبيت لا ينبني الا له عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

أزواجا أي أنواعا من اللون والصورة واللسان * وقال الزجاج وغيره مزدوجين ذكرا وأنثى سباتا سكونا وراحة * سبت الرجل استراح وترك الشغل والسبات علة معروفة يفرط على الانسان السكوت حتى يصير قاتلا والنوم شبيه به الا في الضرر * وقال قتادة النائم مسبوت لا يعقل كأنه ميت * لباسا أي يستترون به عن العيون فيما لا يحبون أن يظهر عليه وجعلنا النهار قابل النوم بالنهار اذ فيه اليقظة * معاشا وقت عيش وهو الحياة تتصرفون فيه في حوائجكم * سبعا أي سموات شدادا محكمة الخلق قوية لا تتأثر بمرور الاعصار الا اذا أراد الله عز وجل * وقال الشاعر

فلما جئته أعلى محلي * وأجلسني على السبع الشداد

سراجا هو الشمس وهاجا حارا مضطرم الاتقاد * وقال عبد الله بن عمر والشمس في السماء الرابعة الينا ظهرها ولهيبها يضطرم علوا * من المعصرات قال أبي والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم وقتادة ومقاتل هي السموات * وقال ابن عباس وأبو العالية والربيع والضحاك السحاب القاطرة مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فيخرج منه الماء * وقيل السحاب التي فيها الماء ولم تمطر * وقال ابن كيسان سميت بذلك من حيث تغيث فهي من العصرة ومنه قوله وفيه يعصرون والعاصر المغيث فهو ثلاثي وجاء هنا من أعصر أي دخلت في حين العصر فحان لها أن تعصر وأفعل للدخول في الشيء * وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وقتادة الرياح لأنها تعصر السحاب جعل الانزال منها لما كانت سببا فيه * وقرأ ابن الزبير وابن عباس والفضل بن عباس أخوه وعبد الله بن يزيد وعكرمة

﴿ إن جهنم كانت مرصادا ﴾ الآية مرصادا مفعال من الرصد برصد من حقت عليه كلمة العذاب ﴿ مآبا ﴾ مرجعا لهم ويجوز أن يتعلق للطاغين بمرصادا ويجوز أن يتعلق بمآبا ولابثين حال من للطاغين وأحقابا نصب على الظرف وقال الزمخشري وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأ الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين حجرين وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا فيسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا انتهى وكان قد قدم قبل هذا الوجه ما نصه ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب انتهى وهذا الذي قاله هو قول للمتقدمين قال ابن عطية وقال آخرون انما المعنى لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا فبهذه الحال يلبثون ثم يبقى العذاب سرمدا وهم يشربون أشربة جهنم والذي يظهر أن قوله لا يذوقون كلام مستأنف وليس في موضع الحال والا حميما استثناء متصل من قوله ولا شرابا وان أحقابا منصوب على الظرف حملا على المشهور من لغة العرب لا منصوب على الحال على تلك اللغة التي ليست مشهورة وقول من قال ان الموصوفين باللبث أحقابا هم عصاة المؤمنين أواخر الآي يدفعه وقول مقاتل ان ذلك منسوخ بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فاسد والظاهر

وقتادة بالمعصرات بالباء بدل من * قال ابن عطية فهذا يقوي أنه أراد الرياح * وقال الزمخشري فيه وجهان أن يراد بالرياح التي حان لها أن تعصر السحاب وأن يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده درهما * ثجاجا منصبا بكثرة ومنه أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى * وقرأ الاعرج ثجاحا بالحاء آخرا ومساجح الماء مصابه والماء ينثجح في الوادي * حبا ونباتا بدأ بالحب لأنه الذي يتقوت به كالحنطة والشعير وثنى بالنبات فشمل كل ما ينبت من شجر وحشيش ودخل فيه الحب * الفافا ملتفة قال الزمخشري ولا واحد له كالاوزاع والاخياف * وقيل الواحد لف * وقال صاحب الاقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها انتهى ولا حاجة الى هذا القول ولا الى وجاهته فقد ذكر في المفردات أن مفرده لف بكسر اللام وأنه قول جمهور أهل اللغة * إن يوم الفصل هو يوم القيامة يفصل فيه بين الحق والباطل كان ميقاتا أي في تقدير الله وحكمه توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حد الخلائق ينتهون اليه * يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل * قال الزمخشري أو عطف بيان وتقدم الكلام في الصور * وقرأ أبو عياض في الصور بفتح الواو جمع صورة أي يرد الله الارواح الى الابدان والجمهور بسكون الواو فتأتون من القبور الى الموقف أمما كل أمة بامامها * وقيل جماعات مختلفة * وذكر الزمخشري حديثا في كيفيات قبيحة لعشرة أصناف يخلقون عليها وسبب خلقه من خلق على تلك الكيفية الله أعلم بصحته * وقرأ الكوفيون وفتحت خف والجمهور بالتشديد فكانت أبوابا تنشق حتى يكون فيها فتوح كالابواب في الجدرات * وقيل ينقطع قطعا صغارا حتى تكون كالالواح الابواب المعهودة * وقال الزمخشري فتحت فكانت أبوابا أي كثرت أبوابها لنزول الملائكة كأنها ليست الأبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كان كلها عيون تنفجر * وقيل الابواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء * فكانت سرابا أي تصير شيأ كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها انتهى * وقال ابن عطية عبارة عن تلاشيها وفنائها بعد كونها هباء منبثا ولم يرد أن الجبال تشبه الماء على بعد من الناظر اليها * وقال الواحدي على حذف مضاف أي ذات أبواب * قوله عز وجل ﴿ إن جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا * لابثين فيها أحقابا * لا يذوقون فيها بردا

---

( الدر ) ﴿ سورة النبأ ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ( ش ) ألفافا ملتفة ولا واحد له كالأوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الأقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي * جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر * ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها انتهى ( ح ) لا حاجة الى هذا القول ولا الى وجاهته فقد ذكر في المفردات أن مفرده لف بكسر اللام وانه قول جمهور أهل اللغة

أن البرد هو مس الهواء القر أي لايمسهم منه مايستلذ ويكسر شدة الحر ﴿وفاقا﴾ أي لأعمالهم وكفرهم وصف الجزاء بالمصدر لوافق أو على حذف مضاف أي ذا وفاق ﴿لا يرجون﴾ لايخافون والمعنى عندنا لايصدقون بيوم الحساب ونصب كل شئ على الاشتغال أي أحصينا كل شئ أحصيناه وكل شئ عام مخصوص أي وكل شئ مما يقع عليه الثواب والعقاب وهي جملة معترضة ﴿فذوقوا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي خطابهم بذلك على طريق الالتفات توبيخ لهم وشدة غضب عليهم ولما ذكر شيأ من حال أهل النار ذكر ما لاهل الجنة فقال ﴿ان للمتقين مفازا﴾ أي موضع فوز والظفر حيث زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة وحدائق بدل من مفازا أو فوزا فيكون أبدل الجرم من المعنى على حذف أي فوز حدائق أي بها ﴿دهاقا﴾ قال الجمهور مترعة قال الزمخشري جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به أي جزاهم عطاء انتهى وهذا لايجوز لأنه جعله مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي إن للمتقين مفازا والمصدر المؤكد لايعمل لأنه ليس ينحل بحرف مصدري والفعل ولانعلم في ذلك خلافا * وقرئ رب بالرفع على اضمار هو وبالجر بدلا من ربك وقرئ الرحمن بالجر والرفع والضمير في منه عائد عليه والمعنى أنهم لايملكون من الله أن يخاطبوه في شئ من الثواب والعقاب وخطابا عام لانه في سياق النفي والعامل في يوم اما لايملكون واما لايتكلمون والظاهر عود الضمير في لايتكلمون على الروح والملائكة فلا يتكلمون الا باذن الله تعالى ﴿ذلك اليوم الحق﴾ أي كيانه ووجوده ﴿فمن شاء﴾ وعيد وتهديد والخطاب في أنذرناكم لمن حضر النبي صلى الله عليه وسلم واندرج فيه من يأتي بعدهم ﴿عذابا﴾ هو عذاب الآخرة ﴿قريبا﴾ لتحقق وقوعه وكل آت قريب ﴿يوم ينظر المرء﴾ عام في المؤمن والكافر ﴿ماقدمت يداه﴾ من خير أو شر لقيام الحجة له وعليه وقال أبو هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص من بعضها لبعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى مثله

---

ولاشرابا * إلا حميما وغساقا * جزاء وفاقا * إنهم كانوا لايرجون حسابا * وكذبوا بآياتنا كذابا * وكل شئ أحصيناه كتابا * فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا * إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا * وكواعب أترابا * وكأسا دهاقا * لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا * جزاء من ربك عطاء حسابا * رب السموات والأرض ومابينهما الرحمن لايملكون منه خطابا * يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا * ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا * إنا أنذرناكم عذابا قريبا * يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا ﴾ مرصادا مفعال من الرصد ترصد من حقت عليه كلمة العذاب * وقال مقاتل مجلسا للاعداء وممرا للاولياء ومفعال للمذكر والمؤنث بغيرتاء وفيه معنى النسب أي ذات رصد وكل ماجاء من الاخبار والصفات على معنى النسب فيه التكثير واللزوم * وقال الازهري المرصاد المكان الذي يرصد فيه العدو وقال الحسن الاأن على النار المرصاد فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز احتبس * وقرأ أبو عمر والمنقرى وابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها مآبا مرجعا * وقرأ عبد الله وعلقمة وزيد بن علي وابن وثاب وعمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل وطلحة والأعمش وحمزة وقتيبة وسورة وروح لبثين بغير ألف بعد اللام والجمهور بألف بعدها وفاعل يدل على من وجد منه الفعل وفعل على من شأنه ذلك كحاذر وحذر * أحقابا تقدم الكلام عليه في الكهف عند أو أمضي حقبا والمعنى هنا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب الاحيث يراد تتابع الأزمنة كقول أبي تمام

لقد أخذت من دار ماوية الحقب * أنحل المغاني للبلى أم هي نهب

ويجوز أن يتعلق للطاغين بمرصادا ويجوز أن يتعلق بمآبا ولبثين حال من الطاغين وأحقابا نصب على الظرف * وقال الزمخشري وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب اذا أخطأ الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لبثين فيها حقبين جحدين وقوله لايذوقون فيها بردا ولاشرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لايذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولاشرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا انتهى وكان قد قدم قبل هذا الوجه مانصه ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولاشرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب انتهى وهذا

الذى قاله هو قول للمتقدمين حكاه ابن عطية * قال وقال آخرون انما المعنى لابثين فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا فبهذه الحال يلبثون أحقابا ثم يبقى العذاب سرمدا وهم يشربون أشربة جهنم والذى يظهر ان قوله لا يذوقون كلام مستأنف وليس فى موضع الحال والا حميما استثناء متصل من قوله ولا شرابا وان أحقابا منصوب على الظرف حملا على المشهور من لغة العرب لا منصوب على الحال على تلك اللغة التى ليست مشهورة وقول من قال ان الموصوفين باللبث أحقابا هم عصاة المؤمنين أواخر الآى يدفعه وقول مقاتل ان ذلك منسوخ بقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فاسد والظاهر وهو قول الجمهور ان البرد هو مس الهواء القر أى لا يمسهم منه ما يستلذ ويكسر شدة الحر * وقال أبو عبيدة والكسائى والفضل بن خالد ومعاذ النحوى البرد هنا النوم والعرب تسميه بذلك لانه يبرد سورة العطش ومن كلامهم منع البرد البرد * وقال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم * وفى كتاب اللغات فى القرآن ان البرد هو النوم بلغة هذيل والذوق على هذين القولين مجاز * وقال ابن عباس البرد الشراب البارد المستلذ ومنه قول حسان بن ثابت

يسقون من ورد البريص عليهم * بردا يصفق بالرحيق السلسل

﴿ ومنه قول الآخر ﴾

أمانى من سعدى حسان كأنما * سقتك بها سعدى على ظمأ بردا

والذوق على هذا حقيقة والنحويون ينشدون على هذا بيت حسان بردى بفتح الراء والدال بعدها ألف التأنيث وهو نهر فى دمشق وتقدم شرح الحميم والغساق وخلاف القراء فى شدة الشين وخفتها * وفاقا أى لاعمالهم وكفرهم وصف الجزاء بالمصدر لوافق أو على حذف مضاف أى ذا وفاق * وقال الفراء هو جمع وفق * وقرأ الجمهور بخف الفاء وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبى عبلة بتشديدها من وفقه كذا * لا يرجون لا يخافون أو لا يؤمنون والرجاء والأمل مفترقان والمعنى هنا لا يصدقون بالحساب فهم لا يؤمنون ولا يخافون * وقرأ الجمهور كذابا بتشديد الذال مصدر كذب وهى لغة لبعض العرب يمانية يقولون فى مصدر فعل فعالا وغيرهم يجعل مصدره على تفعيل نحو تكذيب * ومن تلك اللغة قول الشاعر

لقد طال ما ثبطتنى عن صحابتى * وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

ومن كلام أحدهم وهو يستفتى الحلق أحب اليك أم القصار يريد التقصير يعنى فى الحج * وقال الزمخشرى وفعال فى باب فعل كله فاش فى كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرأ على وعوف الاعرابى وأبو رجاء والأعمش وعيسى بخلاف عنه بخف الذال * قال صاحب اللوامح على وعيسى البصرة وعوف الاعرابى كذابا كلاهما بالتخفيف وذلك لغة اليمن بان يجعلوا مصدر كذب مخففا كذابا بالتخفيف مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا من معنى الفعل دون لفظه مثل أعطيته عطاء انتهى * وقال الأعشى

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

* وقال الزمخشرى هو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان

المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في أمر فيبلغ فيه أقصى جهده انتهى والاظهر الاعراب الاول وما سواه تكلف وفي كتاب ابن عطية وكتاب اللوامح * وقرأ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وفي كتاب ابن خالويه عمر بن عبد العزيز والماجشون ثم اتفقوا كذابا بضم الكاف وشد الذال فخرج على انه جمع كاذب وانتصب على الحال المؤكدة وعلى أنه مفرد صفة لمصدر أي تكذيبا كذابا مفرطا في التكذيب * وقرأ الجمهور وكل شئ بالنصب وأبو السمال بالرفع وانتصب كتابا على أنه مصدر من معنى أحصيناه أي احصاء أو يكون أحصيناه في معنى كتبناه والتجوز اما في المصدر واما في الفعل وذلك لالتقائهما في معنى الضبط أو على انه مصدر في موضع الحال أو مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة * وكل شئ عام مخصوص أي كل شئ مما يقع عليه الثواب والعقاب وهي جملة اعتراض معترضة وفذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب فتكذيبهم بالآيات * وقال عبد الله بن عمر ومانزلت في أهل النار آية أشد من هذه ورواه أبو بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم * ولما ذكر شيأ من حال أهل النار ذكر مالأهل الجنة فقال ان للمتقين مفازا أي موضع فوز وظفر حيث زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة وحدائق بدل من مفازا وفوزا فيكون أبدل الجرم من المعنى على حذف أي فوز حدائق أي بها * دهاقا قال الجمهور مترعة * وقال مجاهد وابن جبير متتابعة * وقرأ الجمهور ولا كذابا بالتشديد أي لا يكذب بعضهم بعضا * وقرأ الكسائي بالتخفيف كاللفظ الاول في قوله تعالى وكذبوا بآياتنا كذابا مصدر كذب ومصدر كاذب * قال الزمخشري جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به أي جزاهم عطاء انتهى وهذا لا يجوز لانه جعله مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين مفازا والمصدر المؤكد لا يعمل لانه ليس ينحل بحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا * وقرأ الجمهور حسابا وهو صفة لعطاء أي كافيا من قولهم أحسبني الشئ أي كفاني * وقال مجاهد معنى حسابا هنا بتقسيط على الأعمال أو دخول الجنة برحمة الله والدرجات فيها على قدر الأعمال فالحساب بمعنى موازنة الأعمال * وقرأ ابن قطيب حسابا بفتح الحاء وشد السين * قال ابن جني بنى فعالا من أفعل كدراك من أدرك انتهى فمعناه محسبا أي كافيا * وقرأ شريح بن يزيد الحمصي وأبو البرهسم بكسر الحاء وشد السين وهو مصدر مثل كذاب أقيم مقام الصفة أي اعطاء محسبا أي كافيا * وقرأ ابن عباس وسراج حسنا بالنون من الحسن وحكى عنه المهدوي حسبا بفتح الحاء وسكون السين والباء نحو قولك حسبك كذا أي كافيك * وقرأ عبد الله وابن أبي اسحق والأعمش وابن محيصن وابن عامر وعاصم رب والرحمن بالجر والاعرج وأبو جعفر وشيبة وأبو عمرو والحرميان برفعهما والاخوان رب بالجر والرحمن بالرفع وهي قراءة الحسن وابن وثاب والأعمش وابن محيصن بخلاف عنهما في الجر على البدل من ربك والرحمن صفة أو بدل من رب أو عطف بيان وهل يكون بدلا من ربك فيه نظر لان البدل الظاهر انه لا يتكرر فيكون كالصفات والرفع على اضمار هو رب أو على الابتداء وخبره لا يملكون والضمير في لا يملكون عائد على المشركين قاله عطاء عن ابن عباس أي لا يخاطب المشركون الله أما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم * وقيل عائد على المؤمنين أي لا يملكون أن يخاطبوه في أمر من الأمور لعلمهم أن ما يفعله عدل منه * وقيل عائد على أهل السموات والارض والضمير في منه عائد عليه تعالى والمعنى انهم لا يملكون من الله أن يخاطبوه في شئ من الثواب

( الدر )

( س ) جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كأنه جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به أي جزاهم عطاء انتهى ( ح ) هذا لا يجوز لانه جعله مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين مفازا والمصدر المؤكد لا يعمل لانه ليس ينحل بحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا

والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه والعامل في يوم امالا يملكون واما لا يتكلمون وقد تقدم الخلاف في الروح أهو جبريل أم ملك أكبر الملائكة خلقة أو خلق على صورة بني آدم أو خلق حفظة على الملائكة أو أرواح بني آدم أو القرآن وقيامه مجاز يعني به ظهور آثاره الكائنة عن تصديقه أو تكذيبه والظاهر عود الضمير في لا يتكلمون على الروح والملائكة * وقال ابن عباس عائد على الناس فلا يتكلم أحد إلا باذن منه تعالى ونطق بالصواب * وقال عكرمة الصواب لا إله إلا الله أي قالها في الدنيا * وقال الزمخشري هما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذونا لهم في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى انتهى * ذلك اليوم الحق أي كيانه ووجوده * فمن شاء وعيد وتهديد والخطاب في أنذرناكم لمن حضر النبي صلى الله عليه وسلم واندرج فيه من يأتي بعدهم عذابا هو عذاب الآخرة لتحقق وقوعه وكل آت قريب * يوم ينظر المرء عام في المؤمن والكافر * ما قدمت يداه من خير أو شر لقيام الحجة له وعليه * وقال الزمخشري وقاله قبله عطاء المرء هو الكافر لقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم ومعنى ما قدمت يداه من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم * وقال ابن عباس وقتادة والحسن المرء هنا المؤمن كأنه نظر الى مقابله في قوله ويقول الكافر * وقرأ الجمهور المرء بفتح الميم وابن أبي اسحاق بضمها وضعفها أبو حاتم ولا ينبغي أن تضعف لانها لغة يتبعون حركة الميم لحركة الهمزة فيقولون مرؤ ومرا ومرء على حسب الاعراب وما منصوب بينظر ومعناه ينتظر ما قدمت يداه فما موصولة ويجوز أن يكون ينظر من النظر وعلق عن الجملة فهي في موضع نصب على تقدير اسقاط الخافض وما استفهامية منصوبة بقدمت وتمنيه ذلك أي ترابا في الدنيا ولم يخلق أو في ذلك اليوم * وقال أبو هريرة وعبد الله بن عمر ان الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص من بعضها لبعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فتعود جميعها ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى مثله * وقيل الكافر هنا ابليس اذا رأى ما حصل للمؤمنين من الثواب قال يا ليتني كنت ترابا كآدم الذي خلق من تراب واحتقره هو أولا * وقيل ترابا أي متواضعا لطاعة الله تعالى لا جبارا ولا متكبرا

﴿ سورة النازعات مكية وهي ست وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والنازعات غرقا * والناشطات نشطا * والسابحات سبحا * فالسابقات سبقا * فالمدبرات أمرا * يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة * يقولون أئنا لمردودون في الحافرة * أإذا كنا عظاما نخرة * قالوا تلك إذا كرة خاسرة * فإنما هي زجرة واحدة * فاذا هم بالساهرة * هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى * اذهب الى فرعون إنه طغى * فقل هل لك الى أن تزكى * وأهديك الى ربك فتخشى * فأراه الآية الكبرى * فكذب وعصى * ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والأولى * إن في ذلك لعبرة لمن يخشى * أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها

ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولأنعامكم * فاذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الانسان ماسعى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هي المأوى * يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * الى ربك منتهاها * إنما أنت منذر من يخشاها * كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها * أغرق في الشيء بالغ فيه وأنهاه وأغرق النازع في القوس بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل والاستغراق الاستيعاب والغرقي قشرة البيضة * نشط البعير والانسان ربطه وأنشطه حله ومنه وكأنما أنشط من عقال ونشط ذهب من قطر الى قطر ولذلك قيل لبقر الوحش النواشط لانهن يذهبن بسرعة من مكان الى مكان * ومنه قول الشاعر وهو هميان بن قحافة

أرى همومي تنشط المناشطا * الشام بي طورا وطورا واسطا

وكأن هذه اللفظة مأخوذة من النشاط * وقال أبو زيد نشطت الحبل أنشطه نشطا عقدته أنشوطة وأنشطته حللته وأنشطت الحبل مددته * وقال الليث أنشطته بأنشوطة أي وثقته وأنشطت العقال مددت أنشوطته فانحلت ويقال نشط بمعنى أنشط والانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت كعقدة التكة * وجف القلب وجيفا اضطرب من شدة الفزع وكذلك وجب وجيبا وفي كتاب لغات القرآن المروي عن ابن عباس واجفة خائفة بلغة همدان * الحافرة يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه التي جاء منها لحفرها أي أثرفيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا وتوقعها العرب على أول أمر يرجع اليه من آخره * ومنه قول الشاعر

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

أي أأرجع الى الصبا بعد الصلع والشيب * الناخرة المصوتة بالريح المجوفة والنخرة بمعناها كطامع وطمع وحاذر وحذر قاله الفراء وأبو عبيد وأبو حاتم وجماعة * وقيل النخرة البالية المتعفنة الصائرة رميما * نخر العود والعظم بلي وتفتت فمعناه مغاير للناخرة وهو قول الأكثرين * وقال أبو عمرو بن العلاء الناخرة التي لم تنخر بعد والنخرة التي قد بليت * قال الراجز لفرسه

أقدم أخانهم على الأساوره * ولا تهولنك رؤس نادره

فانما قصرك ترب الساهره * حتى تعود بعدها في الحافره

* من بعد ماصرت عظاما ناخره *

﴿ وقال الشاعر ﴾

وأخليتها من مخها فكأنها * قوارير في أجوافها الريح تنخر

ويروى تصفر ونخرة الريح بضم النون شدة هبوبها والنخرة أيضا مقدم أنف الفرس والحمار والخنزير يقال هشم نخرته * الساهرة وجه الأرض والفلاة وصفت بما يقع فيها وهو السهر للخوف وقال أمية بن أبي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر * وما فاهوا به لهم مقيم

﴿ وقال أبو بكر الهذلي ﴾

يرتدن ساهرة كأن جميمها * وعميمها أسداف ليل مظلم

والساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف * وقال أمية بن أبي الصلت

﴿سورة والنازعات﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿والنازعات غرقا﴾ الآية هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر فيما قبلها الانذار بالعذاب يوم القيامة أقسم في هذه على البعث يوم القيامة ولما كانت الموصوفات المقسم بها محذوفات وأقيمت صفاتها مقامها وكان لهذه الصفات متعلقات مختلفة اختلفوا في المراد بها فقال علي وابن عباس والنازعات الملائكة تنزع نفوس بني آدم وغرقا إغراقا وهي المبالغة في الفعل أو غرقا في جهنم يعني نفوس الكفار ﴿والناشطات﴾ قال ابن عباس ومجاهد الملائكة تنشط النفوس عند الموت أي تحلها وتنشط بامر الله الى حيث كان وقيل غير ذلك ﴿والسابحات﴾ قال علي ومجاهد الملائكة تتصرف في الآفاق بأمر الله تعالى تجيء وتذهب ﴿فالسابقات﴾ قال ابن مسعود أنفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله تعالى ﴿فالمدبرات﴾ قال معاذ هي الكواكب السبعة وأضاف التدبير اليها مجازا أي يظهر تقلب الاحوال عند قرانها وتربيعها وتسديسها وغير ذلك والذي يظهر أن ما عطف بالفاء هو من وصف المقسم به قبل الفاء وان المعطوف بالواو وهو مغاير لما قبله كما قررناه في والمرسلات والمختار في جواب القسم أن يكون محذوفا وتقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه * والواجفة والرادفة قال ابن عباس وغيره هما الصيحتان أي النفختان الاولى تميت كل شيء والثانية تحيي كل شيء واجفة مضطربة ووجيف القلب يكون من الفزع ويكون من الاشفاق ﴿أبصارها﴾ أي أبصار أصحاب القلوب ﴿خاشعة﴾ أي ذليلة يقولون حكاية حالهم في الدنيا والمعنى هم الذين يقولون والحافرة قال مجاهد فاعلة بمعنى مفعولة وقيل على النسب أي ذات حفر والمراد القبور أي لمردودون أحياء في قبورنا وقرئ ناخرة ونخرة نحو طمع وطامع والناخرة المصوتة بالريح المجوفة والنخرة بمعناها ﴿قالوا تلك﴾ أي الردة الى الحافرة ﴿اذا﴾ أي ان رددنا ﴿كرة خاسرة﴾ أي قالوا ذلك لتكذيبهم بالبعث أي لو كان هذا حقا لكانت ردتنا خاسرة اذ هي الى النار ﴿فانما هي زجرة واحدة﴾ لما تقدم يقولون أئنا لمردودون تضمن قولهم استبعاد النشأة الثانية واستصعاب أمرها فجاء قوله فانما أمر اعادة لما دل عليه استبعادهم فكانه قيل ليس بصعب ما تقولون فانما هي نفخة واحدة فاذا هم منشورون أحياء على وجه الارض * والساهرة قال ابن عباس أرض من فضة يخلقها الله تعالى ﴿هل أتاك﴾ توقيف للرسول عليه السلام على جمع النفس لما يلقيه اليه وتقدم انكارهم البعث وتمردهم على الرسول عليه السلام فقص عليه تعالى قصة موسى وتمرد فرعون على الله تعالى حتى ادعى الالهية ﴿فقل هل لك الى أن تزكى﴾ تلطف في الاستدعاء لان كل عاقل يجيب مثل هذا السؤال بنعم وتزكى تحلى بالفضائل وتطهر من الرذائل والزكاة هنا يندرج فيها الاسلام وتوحيد الله تعالى وقرئ تزكى بالتشديد والتخفيف وتقول العرب هل لك في كذا وهل لك الى كذا فيحذفون المبتدأ الذي يتعلق به الى أي هل لك رغبة أو حاجة الى كذا أو سبيل الى كذا ﴿فحشر﴾ أي جمع السحرة وأرباب دولته ﴿فنادى﴾ أي قام فيهم خطيبا ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ قال ابن عطية نهاية في المخرقة ونحوها باق في ملوك مصر وأتباعهم انتهى انما قال ذلك ابن عطية لأن ملك مصر في زمانه كان اسماعيليا وهو مذهب يعتقدون فيه الهية ملوكهم وكان أول من ملكها منهم المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله تعالى ولاهم العاضد وطهر الله مصر من هذا المذهب الملعون بظهور الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي رحمه

---

وبث الخلق فيها إذ دحاها * فهم قطانها حتى التنادي

* وقيل دحاها سواها * قال زيد بن عمرو

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها * بأيد وأرسى عليها الجبالا

* الطامة الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وفي أمثالهم أجرى الوادي فطم على القرى ويقال طم السيل الركية اذا دفنها والطم الدفن والعلو ﴿والنازعات غرقا * والناشطات نشطا * والسابحات سبحا * فالسابقات سبقا * فالمدبرات أمرا * يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة * يقولون أئنا لمردودون في الحافرة * أإذا كنا عظاما نخرة * قالوا تلك إذا كرة خاسرة * فانما هي زجرة واحدة * فاذا هم بالساهرة * هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى * اذهب الى فرعون إنه طغى * فقل هل لك الى أن تزكى * وأهديك الى ربك فتخشى * فأراه الآية الكبرى * فكذب وعصى * ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والأولى *

﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر في آخر ما قبلها الانذار بالعذاب يوم القيامة أقسم في هذه على البعث يوم القيامة ولما كانت الموصوفات المقسم بها محذوفات وأقيمت صفاتها مقامها وكان لهذه الصفات تعلقات مختلفة اختلفوا في المراد بها * فقال عبد الله وابن عباس النازعات الملائكة تنزع نفوس بني آدم وغرقا اغراقا وهي المبالغة في الفعل أو غرقا في جهنم يعني نفوس الكفار قاله علي وابن عباس * وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة وابن كيسان والأخفش هي النجوم تنزع من أفق الى أفق * وقال السدي وجماعة تنزع بالموت الى ربها وغرقا أي اغراقا في الصدر * وقال السدي أيضا النفوس تحن الى أوطانها وتنزع الى مذاهبها ولها نزع عند الموت * وقال عطاء وعكرمة القسي أنفسها تنزع بالسهام * وقال عطاء أيضا الجماعات النازعات بالقسي وغيرها اغراقا * وقال مجاهد المنايا تنزع النفوس * وقيل النازعات الوحش تنزع الى الكلأ حكاه يحيى ابن سلام * وقيل جعل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب قاله في الكشاف * والناشطات قال ابن عباس ومجاهد الملائكة تنشط النفوس عند الموت أي تحلها وتنشط بأمر الله الى حيث كان * وقال ابن عباس أيضا وقتادة والحسن والأخفش النجوم تنشط من أفق الى أفق تذهب وتسير بسرعة * وقال مجاهد أيضا المنايا * وقال عطاء البقر الوحشية وما جرى مجراها من الحيوان الذي ينشط من قطر الى قطر * وقال ابن عباس أيضا النفوس المؤمنة تنشط عند الموت للخروج * وقيل التي تنشط للازهاق * والسابحات قال علي ومجاهد الملائكة تتصرف في الآفاق بأمر الله تجيء وتذهب * وقال قتادة والحسن النجوم تسبح في الأفلاك * وقال أبو روق الشمس والقمر والليل والنهار * وقال عطاء وجماعة الخيل يقال للفرس سابح * وقيل السحاب لانها كالعائمة في الهواء * وقيل الحيتان دواب البحر فما دونها وذلك من عظم المخلوقات فيروى انه تعالى أمد في الدنيا نوعا من الحيوان منها أربعمائة في البر وستمائة في البحر * وقال عطاء أيضا السفن * وقال مجاهد أيضا المنايا تسبح في نفوس الحيوان * فالسابقات قال مجاهد الملائكة سبقت بني آدم بالخير والعمل الصالح وقاله أبو روق * وقال ابن مسعود أنفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله تعالى * وقال عطاء الخيل * وقيل النجوم * وقيل المنايا تسبق الآمال * فالمدبرات قال ابن عطية لا أحفظ خلافا انها الملائكة ومعناه انها التي تدبر الأمور التي سخرها الله تعالى وصرفها فيها كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات انتهى * وقيل الملائكة الموكلون بالأحوال جبريل للوحي وميكائيل للمطر واسرافيل للنفخ في الصور وعزرائيل لقبض الأرواح * وقيل تدبيرها نزولها بالحلال والحرام * وقال معاذ هي الكواكب السبعة واضافة التدبير اليها مجاز أي يظهر تقلب الأحوال عند قرانها وتربيعها وتسديسها وغير ذلك ولفق الزمخشري من هذه الأقوال أقوالا اختارها وأدارها أولا على ثلاثة الملائكة أو الخيل أو النجوم ورتب جميع الأوصاف على كل واحد من الثلاثة * فقال أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي هي تنزع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم غرقا أي إغراقا في النزع أي تنزعها من أقاصي الأجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها الى آخر ما نقلناه ثم قال من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى

الله وجزاه عن الاسلام خيرا وانتصب نكال على المصدر بمعنى التنكيل والناصب له قوله فأخذه والآخرة والاولى وقال ابن عباس الآخرة قوله ما علمت لكم من إله غيري والاولى قوله أنا ربكم الاعلى وكان بين قولتيه أربعون سنة ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما جرى لفرعون وأخذه تلك الأخذة ﴿لعبرة﴾ لعظة

بلدوالتى تسبح فى جريتها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو أقسم بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب وإغراقها فى النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط من أقصى المغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا فى علم الحساب * وقيل النازعات أيدى الغزاة أو أنفسهم تنزع القسى باغراق السهام والتى تنشط الارهاق انتهى والذى يظهر ان ما عطف بالفاء هو من وصف المقسم به قبل الفاء وأن المعطوف بالواو وهو مغاير لما قبله كما قررناه فى المرسلات على أنه يحتمل أن يكون المعطوف بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض والمختار فى جواب القسم أن يكون محذوفا وتقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه قاله الفراء * وقال محمد بن على الحكيم الترمذى الجواب ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى والمعنى فيما قصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى عليه السلام وفرعون * قال ابن الانبارى وهذا قبيح لان الكلام قد طال * وقيل اللام التى تلقى بها القسم محذوفة من قوله يوم ترجف الراجفة أى ليوم كذا تتبعها الرادفة ولم تدخل نون التوكيد لانه قد فصل بين اللام المقدرة والفعل وقول أبى حاتم هو على التقديم والتأخير كأنه قال فاذا هم بالساهرة * والنازعات قال ابن الانبارى خطأ لان الفاء لا يفتتح بها الكلام * وقيل التقدير يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات على التقديم والتأخير أيضا وليس بشئ * وقيل الجواب هل أتاك حديث موسى لانه فى تقدير قد أتاك وليس بشئ وهذا كله اعراب من لم يحكم العربية وحذف الجواب هو الوجه ويقرب التقول بحذف اللام من يوم ترجف * قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد هما الصيحتان أى النفختان الأولى تميت كل شئ وفى الثانية تحيي * وقال مجاهد أيضا الواجفة الزلزلة والرادفة الصيحة * وقال ابن زيد الواجفة الأرض والرادفة الساعة والعامل فى يوم اذكر مضمرة أو لتبعثن المحذوف واليوم متسع تقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك اليوم المتسع وتتبعها حال * قيل أو مستأنف * واجفة مضطربة ووجيف القلب يكون من الفزع ويكون من الاشفاق * ومنه قول قيس بن الخطيم

ان بنى جحجبا وأسرتهم * أكبادنا من ورائهم تجف

قلوب مبتدأ واجفة صفة تعمل فى يومئذ أبصارها أى أبصار أصحاب القلوب خاشعة مبتدأ وخبر فى موضع خبر قلوب * وقال ابن عطية رفع قلوب بالابتداء وجاز ذلك وهى نكرة لانها قد تخصصت بقوله يومئذ انتهى ولا تتخصص الاجرام بظروف الزمان وانما تخصصت بقوله واجفة يقولون حكاية حالهم فى الدنيا والمعنى هم الذين يقولون * والحافرة قال مجاهد فاعلة بمعنى مفعولة * وقيل على النسب أى ذات حفر والمراد القبور أى لمردودون أحياء فى قبورنا * وقال زيد بن أسلم الحافرة النار * وقيل جمع حافرة بمعنى القدم أى أحياء نمشى على أقدامنا ونطأ بها الارض * وقال ابن عباس الحياة الثانية هى أول الأمر وتقول التجار النقد فى الحافرة أى فى ابتداء السوم * وقال الشاعر

آليت لا أنساكم فاعلموا * حتى ترد الناس فى الحافرة

* وقرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبى عبلة فى الحفرة بغير ألف والجمهور بالألف * وقيل هما بمعنى واحد * وقيل هى الأرض المنتنة المتغيرة بأجساد موتاها من قولهم حفرت أسنانه اذا تأكلت وتغيرت * وقرأ عمر وأبى وعبد الله وابن الزبير وابن عباس ومسروق ومجاهد والاخوان وأبو بكر ناخرة بألف وأبو رجاء والحسن والأعرج وأبو جعفر وشيبة والسلمى وابن جبير والنخعى

( الدر )

﴿ سورة والنازعات ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

رفع قلوب بالابتداء وجاز ذلك وهى نكرة لانها قد تخصصت بقوله يومئذ انتهى (ح) لا تتخصص الاجرام بظروف الزمان وانما تخصصت بقوله واجفة

وقتادة وابن وثاب وأيوب وأهل مكة وشبل وباقي السبعة بغير ألف * قالوا تلك اذا أي الردة الى الحافرة ان رددنا كرة خاسرة أي قالوا ذلك لتكذيبهم بالغيب أي لو كان هذا حقا لكانت ردتنا خاسرة اذ هي الى النار * وقال الحسن خاسرة كاذبة أي ليست بكافية وهذا القول منهم استهزاء * وروى أن بعض صناديد قريش قال ذلك فانما هي زجرة واحدة لما تقدم يقولون أئنا لمردودون تضمن قولهم استبعاد النشأة الثانية واستضعاف أمرها فجاء قوله فانما هي اعادة لما دل عليه استبعادهم فكأنه قيل ليس بصعب ما تقولون فانما هي نفخة واحدة فاذا هم منشورون أحياء على وجه الأرض * قال ابن عباس الساهرة أرض من فضة يخلقها الله تعالى * وقال وهب بن منبه جبل بالشام يمده الله تعالى يوم القيامة لحشر الناس * وقال أبو العالية وسفيان أرض قريبة من بيت المقدس * وقال ابن عباس أرض مكة * وقال قتادة جهنم لأنه لا نوم لمن فيها أي أن الضمير قبلها انما هي للكفار ففسر ها بجهنم * وقيل الارض السابعة يأتي بها الله يحاسب عليها الخلائق ولما أنكروا البعث وتمردوا شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص تعالى عليه قصة موسى عليه السلام وتمرد فرعون على الله عز وجل حتى ادعى الربوبية وما آل اليه حال موسى من النجاة وحال فرعون من الهلاك فكان ذلك مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبشيرا بهلاك من يكذبه ونجاته هو ومن أذاهم * فقال تعالى هل أتاك توقيفا له على جمع النفس لما يلقيه اليه وتقدم الكلام في الوادي المقدس والخلاف في القرا آت في طوى * اذهب الى فرعون تفسير للنداء أو على اضمار القول فقل هل لك الى أن تزكى لطف في الاستدعاء لان كل عاقل يجيب بمثل هذا السؤال بنعم وتزكى تتحلى بالفضائل وتتطهر من الرذائل والزكاة هنا يندرج فيها الاسلام وتوحيد الله تعالى * وقرأ الحرميان وأبو عمرو بخلاف تزكى وتصدى بشد الزاي والصاد وباقي السبعة بخفها وتقول العرب هل لك في كذا أو هل لك الى كذا فيحذفون القيد الذي تتعلق به الى أي هل لك رغبة أو حاجة الى كذا أو سبيل الى كذا * قال الشاعر

فهل لكم فيها الى فانني * بصير بما أعيا النطاسي حذيما

وأهديك الى ربك فتخشى هذا تفسير التزكية وهي الهداية الى توحيد الله تعالى ومعرفته فتخشى أي تخافه لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة انما يخشى الله من عباده العلماء وذكر الخشية لانها ملاك الأمر وفي الكلام حذف أي فذهب وقال له ما أمر به ربه وأتبع ذلك بالمعجزة الدالة على صدقه فأراه الآية الكبرى وهي العصا واليد جعلهما واحدة لان اليد كأنها من جملة العصا لكونها تابعة لها أو العصا وحدها لانها كانت المقدمة والاصل واليد تبيع لها لأنه كان يتقيها بيده * وقيل له أدخل يدك في جيبك * فكذب أي فرعون موسى عليه السلام وما أتى به من المعجز وجعل ذلك من باب السحر وعصى الله تعالى بعدما علم صحة ما أتى به موسى وانه أوهم أنه سحر * ثم أدبر يسعى * قيل أدبر حقيقة أي قام من مكانه فارا بنفسه * وقال الجمهور هو كناية عن اعراضه عن الايمان يسعى يجتهد في مكايدته وتنبيء عليه السلام * فحشر أي جمع السحرة وأرباب دولته فنادى أي قام فيهم خطيبا أو فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه * فقال أنا ربكم الاعلى * قال ابن عطية قول فرعون ذلك نهاية في المخرقة ونحوها باق في ملوك مصر وأتباعهم انتهى وانما قال ذلك لان ملك مصر في زمانه كان اسماعيليا وهو مذهب يعتقدون فيه إلهية ملوكهم وكان أول من ملكها منهم المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ولاهم العاضد وطهر الله مصر من هذا المذهب

( الدر )

(ع) قول فرعون أنا ربكم الأعلى نهاية في المخرقة ونحوها باق في ملوك مصر واتباعهم انتهى (ح) انما قال ذلك (ع) لان ملك مصر في زمانه كان اسماعيليا وهو مذهب يعتقدون الاهية ملوكهم وكان أول من ملكها منهم المعز بن المنصور ابن القائم بن المهدي عبيد الله ولاهم العاضد وطهر الله مصر من هذا المذهب بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا

﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء﴾ الخطاب ظاهره أنه عام والمقصود الكفار منكر و البعث وقفهم على قدرته تعالى أشد خلقا أى أصعب انشاء أم السماء والمسئول عن هذا يجيب ولابد بقوله السماء لما يرى من ديمومة بقائها وعدم تأثرها ثم بين تعالى كيفية خلقها ﴿رفع سمكها﴾ أى جعل مقدار ذهابها فى العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام والسمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الذى يلينا وسطحها الذى يلى مافوقها ﴿فسواها﴾ أى جعلها ملساء مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض أو تممها وأتقن انشاءها بحيث انها محكمة الصنعة ﴿وأغطش﴾ أى أظلم ﴿ليلها وأخرج﴾ أى أبرز ضوءها وشمسها والضحى هو نور سراجها ﴿والارض بعد ذلك﴾ أى بعد خلق السماء وما  فعل فيها ﴿دحاها﴾ أى بسطها لخلق الارض ثم السماء ثم دحا الارض ﴿أخرج منها﴾ أى من الارض وأضيف الماء والمرعى الى الارض لأنهما يظهران منها أخرج منها لم يدخل حرف العطف عليه لأن معنى دحيها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لابد منه فى تأتى سكناها من تسوية أكل وشرب وأمرهما وامكان القرار عليها وقرئ متاعا بالنصب أى فعل ذلك تمتيعا لكم وبالرفع أى ذلك متاع ﴿فاذا جاءت الطامة﴾ قال ابن عباس القيامة وقوله المأوى مذهب البصريين أن الضمير العائد على من محذوف تقديره المأوى له ومذهب الكوفيين أن الالف واللام نابت عن الضمير كانه قال مأواه ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أى مقامه بين يدى ربه يوم القيامة للجزاء وفى اضافة المقام الى الرب تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما ﴿يسئلونك﴾ أى قريش وكانوا يلحون فى البحث عن وقت الساعة اذ كان يتوعدهم بها ويكثر ذلك فنزلت هذه الآية ﴿أيان مرساها﴾ متى إقامتها أى متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ هى ما الاستفهامية وحذفت الفها لدخول حرف الجر عليها كقوله عم وبم يرجع كانه قال فى أى شئ أنت من تذكرها ﴿الى ربك﴾ أى الى علم ربك ﴿منتهاها﴾ أى انتهاؤها ﴿من يخشاها﴾ أى يخشى الساعة ﴿كأنهم﴾ أى كان السؤال عنها ﴿لم يلبثوا﴾ لم يقيموا فى الحياة الدنيا ﴿الا عشية أو ضحاها﴾ أعاد الاخير فى قوله أو ضحاها على العشية لانهما ظرفان للنهار والاضافة تكون بادنى ملابسة

الملعون بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى رحمه الله تعالى وجزاه عن الاسلام خيرا * فأخذه الله نكال الآخرة والاولى * قال ابن عباس الآخرة قوله ماعلمت لكم من إله غيرى والاولى قوله أنا ربكم الاعلى * وقيل العكس وكان بين قولتيه أربعون سنة * وقال الحسن وابن زيد نكال الآخرة بالحرق والاولى يعنى الدنيا بالغرق * وقال مجاهد عذاب آخرة حياته وأولاها * وقال أبو رزين الاولى كفره وعصيانه والآخرة قوله أنا ربكم الاعلى * وقال مجاهد عبارة عن أول معاصيه وآخرها أى نكل بالجميع وانتصب نكال على المصدر والعامل فيه فأخذه لانه فى معناه وعلى رأى المبرد باضمار فعل من لفظه أى نكل نكال والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم * وقال الزمخشرى نكال الآخرة هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى انتهى والمصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة يقدر له عامل من معنى الجملة * إن فى ذلك أى فيما جرى لفرعون وأخذه تلك الاخذة لعبرة لعظة لمن يخشى أى لمن يخاف عقوبة الله يوم القيامة وفى الدنيا * قوله عز وجل ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها * وأخرج ضحاها * والارض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولانعامكم * فاذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الانسان ماسعى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هى المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هى المأوى * يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * الى ربك منتهاها * إنما أنت منذر من يخشاها * كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ الخطاب الظاهر أنه عام والمقصود الكفار منكر و البعث وقفهم على قدرته تعالى أشد خلقا أى أصعب انشاء أم السماء فالمسؤول عن هذا يجيب ولابد السماء لما يرى من ديمومة بقائها وعدم تأثرها ثم بين تعالى كيفية خلقها رفع سمكها أى جعل مقدار ذهابها فى العلو مديدا رفيعا مقدار خمسمائة عام والسمك الارتفاع الذى بين سطح السماء التى تلينا وسطحها الأعلى الذى يلى مافوقها فسواها أى جعلها ملساء مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض أو تممها وأتقن انشاءها بحيث انها محكمة الصنعة وأغطش

 ( ش ) نكال الآخرة هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى

أى أظلم ليلها وأخرج أبرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها وقولهم وقت الضحى الوقت الذى تشرق فيه الشمس وأضيف الليل والضحى الى السماء لان الليل ظلها والضحى هو نور سراجها * والارض بعد ذلك أى بعد خلق السماء وما فعل فيها دحاها أى بسطها لخلق الارض ثم السماء ثم دحا الارض * وقرأ الجمهور والارض والجبال بنصبهما والحسن وأبو حيوة وعمرو ابن عبيد وابن أبى عبلة وأبو السمال برفعهما وعيسى برفع الارض وأضيف الماء والمرعى الى الارض لانهما يظهران منها والجمهور متاعا بالنصب أى فعل ذلك تمتيعا لكم وابن أبى عبلة بالرفع أى ذلك متاع * وقال الزمخشرى (فان قلت) فهلا أدخل حرف العطف على أخرج (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تأتى سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والثانى أن يكون أخرج حالا باضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم انتهى واضمار قد قول للبصريين ومذهب الكوفيين والأخفش أن الماضى يقع حالا ولا يحتاج الى اضمار قد وهو الصحيح ففى كلام العرب وقع ذلك كثيرا انتهى ومرعاها مفعل من الرعى فيكون مكانا وزمانا ومصدرا وهو هنا مصدر يراد به اسم المفعول كأنه قيل ومرعيها أى النبات الذى يرعى وقدم الماء على المرعى لانه سبب فى وجود المرعى وشمل ومرعاها ما يتقوت به الآدمى والحيوان غيره فهو فى حق الآدمى استعارة ولهذا قيل دل الله سبحانه وتعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء * فاذا جاءت الطامة * قال ابن عباس والضحاك القيامة * وقال ابن عباس أيضا والحسن النفخة الثانية * وقال القاسم وقت سوق أهل الجنة اليها وأهل النار اليها وهو معنى قول مجاهد * يوم يتذكر الانسان ما سعى أى عمله الذى كان سعى فيه فى الدنيا * وقرأ الجمهور وبرزت مبنيا للمفعول مشدد الراء لمن يرى بياء الغيبة أى لكل أحد فيشكر المؤمن نعمة الله * وقيل لمن يرى هو الكافر وعائشة وزيد بن على وعكرمة ومالك بن دينار مبنيا للفاعل مخففا وبتاء يجوز أن يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم أى لمن ترى من أهلها وأن يكون اخبارا عن الجحيم فهى تاء التأنيث قال تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد * وقال أبو نهيك وأبو السمال وهرون عن أبى عمرو وبرزت مبنيا ومخففا ويوم يتذكر بدل من فاذا وجواب اذا قال الزمخشرى فان الأمر كذلك * وقيل عاينوا أو علموا ويحتمل أن يكون التقدير انقسم الراؤن قسمين والاولى أن يكون الجواب فاما وما بعده كما تقول اذا جاءك بنو تميم فأما العاصى فأهنه وأما الطائع فأكرمه * طغى تجاوز الحد فى عصيانه وآثر الحياة الدنيا على الآخرة وهى مبتدأ أو فصل والعائد على من من الخبر محذوف على رأى البصريين أى المأوى له وحسن حذفه وقوع المأوى فاصلة وأما الكوفيون فمذهبهم ان أل عوض من الضمير * وقال الزمخشرى والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الألف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معرفان انتهى وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العائد على المبتدا اذ قد نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر ضميرا محذوفا كما قدره البصريون فرام حصول الربط بلا رابط * وأما من خاف مقام ربه أى مقامه بين يدى ربه يوم القيامة للجزاء وفى اضافة المقام الى الرب تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما * قال ابن عباس خافه عند ما هم بالمعصية فانتهى عنها ونهى النفس عن الهوى أى عن شهوات

( الدر )

انتهى (ح) المصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة يقدر له عامل من معنى الجملة (ش) والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الألف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معرفان انتهى (ح) هذا كلام لا يتحصل منه الرابط العائد على المبتدا إذ قد نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر ضميرا محذوفا كما قدره البصريون فرام حصول الربط بلا رابط

النفس وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بمحمود * قال سهل لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين * وقال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه * وقال عمران المرتلي

خالف هواها واعصها إن من يطع * هوى نفسه تنزع به كل منزع

ومن يطع النفس اللجوجة ترده * وترم به في مصرع أي مصرع

* وقال الفضيل أفضل الأعمال خلاف الهوى وهذا التفصيل هو عام في أهل الجنة وأهل النار وعن ابن عباس نزل ذلك في أبي جهل ومصعب بن عمير العبدري رضي الله تعالى عنه وعنه أيضا فأما من طغى فهو أخ لمصعب بن عمير أسر فلم يشدوا وثاقه وأكرموه وبيتوه عندهم فلما أصبحوا حدثوا مصعبا فقال ما هو لي بأخ شدوا أسيركم فإن أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا فأوثقوه * وأما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه وهي السهام فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال عند الله أحتسبك وقال لأصحابه لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وإن شراك نعله من ذهب * قيل واسم أخيه عامر * وفي الكشاف وقيل الآيتان نزلتا في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزير يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه انتهى * يسألونك أي قريش وكانوا يلحون في البحث عن وقت الساعة إذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك فنزلت هذه الآية أيان مرساها متى إقامتها أي متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة ومستقرها حيث تنتهي إليه * فيم أنت من ذكراها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى والمعنى في أي شيء أنت من ذكر تحديدها ووقتها أي لست من ذلك في شيء * إنما أنت منذر * إلى ربك منتهاها أي انتهاء علم وقتها لم يؤت علم ذلك أحدا من خلقه * وقيل فيم إنكار لسؤالهم أي فيم هذا السؤال ثم قال أنت من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها إنما أنت منذر من يخشاها أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون إنذارك لطفا به في الخشية منها انتهى وهذا القول حكاه الزمخشري وزمكه بكثرة ألفاظه وهو تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر المتبادر إلى الفهم ولم يخله من دسيسة الاعتزال وقرأ الجمهور منذر من بالإضافة * وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وشيبة وخالد الحذاء وابن هرمز وعيسى وطلحة وابن محيصن وأبو عمرو في رواية وابن مقسم منذر بالتنوين * وقال الزمخشري وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة كقولك هو منذر زيد أمس انتهى أما قوله وهو الأصل يعني التنوين فهو قول قد قاله غيره ممن تقدم وقد قررنا في هذا الكتاب وفيما كتبناه في هذا العلم أن الأصل الإضافة لأن العمل إنما هو بالشبه والإضافة هي أصل في الأسماء وأما قوله فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة فهذا فيه تفصيل وخلاف مذكور في علم النحو وخص من يخشاها لأنه هو المنتفع بالإنذار كأنهم يوم يرونها تقريب وتقرير لقصر مقامهم في الدنيا * لم يلبثوا لم يقيموا في الدنيا إلا عشية يوم أو بكرته وأضاف الضحى إلى العشية لكونهما طرفي النهار بدأ بذكر أحدهما فأضاف الآخر إليه تجوزا واتساعا وحسن الإضافة كون الكلمة فاصلة والله سبحانه وتعالى أعلم

( الدر )

( ش ) وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة كقولك هو منذر زيد أمس انتهى ( ح ) أما قوله وهو الأصل يعني التنوين فهو قول قد قاله غيره ممن تقدم وقد قررنا في هذا الكتاب وفيما كتبناه في هذا العلم أن الأصل الإضافة لأن العمل إنما هو بالشبه والإضافة هي الأصل في الأسماء وأما قوله فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة فهذا فيه تفصيل وخلاف مذكور في علم النحو

## ﴿ سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة * قتل الانسان ما أكفره * من أي شئ خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره * كلا لما يقض ما أمره * فلينظر الانسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الارض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم * فاذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ تصدى تعرض * قال الراعي

تصدى لوضاح كأن جبينه * سراج الدجى يجبى إليه الاساور

وأصله تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد داره أي قبالتها * وقيل من الصدى وهو العطش وقيل من الصدى وهو الصوت الذي تسمعه اذا تكلمت من بعد في خلاء كالجبل والمصاداة المعارضة * السفرة الكتبة الواحد سافر وسفرت المرأة كشفت النقاب وسفرت بين القوم أسفر سفارة أصلحت بينهم قاله الفراء الواحد سفير والجمع سفراء * قال الشاعر

فما أدع السفارة بين قومي * وما أسعى بغش ان مشيت

القضب قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة ويقال بالسين فاذا يبست فهي القت قال والقضب اسم يقع على ما يقطع من أغصان الشجرة ليتخذ منها سهام أو قسي * الغلب جمع غلباء يقال حديقة غلباء غليظة الشجر ملتفة واغلولب العشب بلغ والتف بعضه ببعض ورجل أغلب غليظ الرقبة والأصل في هذا الوصف استعماله في الرقاب * ومنه قول عمرو بن معدي كرب

يسعى بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الشعور جلالا

الأب المرعى لانه يؤب أي يؤم وينتجع والأب والأم اخوان * قال الشاعر

جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الأب به والمكرع

وقيل ما يأكله الآدميون من النبات يسمى الحصيد وما يأكله غيرهم يسمى الأب * ومنه قول الصحابة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

له دعوة ميمونة ريحها الصبا * بها ينبت الله الحصيدة والابا

الصاخة قال الخليل صيحة تصخ الآذان صخا أي تصمها لشدة وقعتها * وقيل مأخوذة من صخه بالحجر اذا صكه * وقال الزمخشري أصاخ لحديثه مثل أصاخ له * الغبرة الغبار * القترة سواد كالدخان * وقال أبو عبيدة القتر في كلام العرب الغبار جمع القترة * وقال الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه * فوج ترى فوقه الرايات والقترا

﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾

﴿ سورة عبس ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
﴿ عبس وتولى ﴾ الآية هذه السورة مكية وسبب نزولها مجئ ابن أم مكتوم عليه السلام ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر انما أنت منذر من يخشاها ذكر في هذه الآية من ينفعه الانذار ومن لم ينفعه الانذار ان جاءه مفعول من أجله أي لان جاءه وتتعلق بتولى على مختار البصريين في الاعمال وبعبس على مختار أهل الكوفة ﴿ وما يدريك ﴾ الكاف للخطاب انتقل من ضمير الغيبة في عبس وتولى الى ضمير الخطاب وقرئ يزكى بتشديد الزاي أصله يتزكى أدغم التاء في الزاي وقرأ عاصم فتنفعه بنصب العين وتقدم الكلام في نظيره من قوله فاطلع في قراءة حفص

﴿ أمامن استغنى ﴾ ظاهره من كان ذا ثروة وغنى وهم الذين كان الرسول عليه السلام يناجيهم فى شأن الاسلام عتبة وربيعة وأبو جهل وأبى وأمية ويدعوهم اليه وقرئ تصدى بتخفيف الصاد وقرئ بشدها ﴿ وما عليك أن لا يزكى ﴾ ما مبتدأة استفهامية تقديره أى شئ عليك وهذا تحقير لامر الكافر وحض على الاعراض عنه وترك الاهتمام به فى كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ أى يمشى بسرعة فى أمر دينه وهو يخشى أى يخاف الله ويخاف الكفار وأذاهم والعثار والسقوط لكونه أعمى وقد جاء بلا قائد يقوده وهى جملة حالية ﴿ تلهى ﴾ تشتغل يقال لها عن الشئ يلهى اذا اشتغل عنه وقرأ البزى عنه اتلهى بادغام تاء المضارعة فى تاء تفعل وصلة الضمير بواو ﴿ كلا انها تذكرة ﴾ أى سور القرآن أو الآيات تذكرة عظة لمن ينتفع بها ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ أى فمن شاء أن يذكر هذه الموعظة ذكره أتى بالضمير مذكرا لان التذكرة هى الذكر ﴿ فى صحف ﴾ قيل اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبياء المنزلة ﴿ مكرمة ﴾ عند الله تعالى ﴿ مرفوعة ﴾ فى السماء أو مرفوعة المقدار ﴿ بايدى سفرة ﴾ قال ابن عباس هم الملائكة لانهم كتبة عمل الانسان ﴿ قتل الانسان ﴾ قيل نزلت فى عتبة بن أبى لهب غاضب أباه فأسلم ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى فروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم ابعث عليه كلبك حتى يأكله فلما انتهى الى الغاضرة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فجعل لمن معه ألف دينار ان أصبح حيا فجعلوه فى وسط الرفقة  والمتاع حوله فاقبل الاسد الى الرحال ووثب فاذا هو فوقه فمزقه فكان أبوه يندبه ويبكى عليه ويقول ما قال محمد شيأ قط الا كان والآية وان نزلت فى مخصوص فالانسان يراد به الكافر قتل دعاء عليه والقتل أعظم شدائد الدنيا ﴿ ما أكفره ﴾ الظاهر أنه تعجب من افراط كفره والتعجب بالنسبة للمخلوقين اذ هو مستحيل فى حق الله تعالى أى هو ممن يقال فيه ما أكفره ﴿ من أى شئ خلقه ﴾ استفهام على معنى التقرير على حقارة ما خلق منه ثم بين ذلك الشئ الذى خلق منه فقال ﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾ أى فهيأه لما يصلح له ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ أى ثم يسر السبيل أى سهله وهذا من باب الاشتغال ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ أى جعل له قبرا صيانة لجسده أن يأكله الطير والسباع ﴿ ثم اذا شاء ﴾ أى أراد انشاره أنشره والمعنى اذا بلغ الوقت الذى قد شاءه تعالى وهو يوم القيامة ﴿ كلا ﴾ ردع للانسان ﴿ لما يقض ﴾ نفى من أول مدة تكليفه الى حين إقباره ﴿ ما أمره ﴾ به الله تعالى فالضمير فى يقض عائد على الانسان ﴿ فلينظر الانسان ﴾ لما عدد تعالى نعمه فى نفس الانسان ذكر النعم فيما به قوام حياته وأمره بالنظر الى طعامه وكيفيات الاحوال التى اعتورت على طعامه حتى صار بصدد أن يطعم والظاهر أن الطعام هو المطعوم وكيف يسره الله تعالى بهذه الوسائط المذكورة ﴿ أنا صببنا الماء صبا ﴾ أسند تعالى الصب والشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب وصب الماء هو المطر ﴿ حبا ﴾ يشمل كل ما يسمى حبا من حنطة وشعير وذرة وسلت وعدس وغير ذلك ﴿ وقضبا ﴾ قيل العلف وقيل غير ذلك ﴿ غلبا ﴾ قال ابن عباس غلاظا وعنه طوالا وقيل ملتفة مجتمعة ﴿ وفاكهة ﴾ ما يأكله الناس من ثمر الشجر كالخوخ والتين ﴿ وأبا ﴾ ما تأكله البهائم من العشب ﴿ الصاخة ﴾ اسم من أسماء القيامة يصم نبأها الآذان تقول العرب صختهم الصاخة ﴿ يوم يفر المرء ﴾ بدل من اذا وجواب اذا محذوف تقديره اشتغل كل انسان بنفسه يدل عليه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وفراره من شدة هول يوم القيامة ﴿ من أخيه ﴾ بدأ أولا بالاخ ثم بالابوين ثم بالصاحبة ثم بالبنين ﴿ يغنيه ﴾ أى عن النظر فى شأن الآخر من الاغناء ﴿ مسفرة ﴾ نيرة مضيئة من أسفر الصبح أضاء ﴿ ترهقها ﴾ تغشاها ﴿ قترة ﴾

---

أمامن استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام بررة * قتل الانسان ما أكفره * من أى شئ خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره * كلا لما يقض ما أمره * فلينظر الانسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم * فاذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه * وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة * أولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ هذه السورة مكية وسبب نزولها مجيء ابن أم مكتوم اليه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أهل الحديث وأهل التفسير قصته * ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر

انما أنت منذر من يخشاها ذكر فى هذه من ينفعه الانذار ومن لم ينفعه الانذار وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيهم فى أمر الاسلام عتبة بن ربيعة وأبو جهل وأبى وأمية و يدعوهم اليه أن جاءه مفعول من أجله أى لان جاءه و يتعلق بتولى على مختار البصريين فى الاعمال و بعبس على مختار أهل الكوفة * وقرأ الجمهور عبس مخففا أن بهمزة واحدة وزيد بن على بشد الباء وهو والحسن وأبو عمران الجونى وعيسى أآن بهمزة ومدة بعدها وبعض القراء بهمزتين محققتين والهمزة فى هاتين القراءتين للاستفهام وفيهما يقف على تولى والمعنى ألأن جاءه كاد كذا وجاء بضمير الغائب فى عبس وتولى اجلالا له عليه الصلاة والسلام ولطفا به أن يخاطبه لما فى المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى وجاء لفظ الأعمى اشعارا بما يناسب من الرفق به والصفو لما يقصده ولابن عطية هنا كلام أضربت عنه صفحا والضمير فى لعله عائد على الأعمى أى يتطهر بما يتلقن من العلم أو يذكر أى يتعظ فتنفعه ذكراك أى موعظتك والظاهر مصب يدريك على جملة الترجى فالمعنى لا تدرى ما هو مترجى منه من تزك أو تذكر * وقيل المعنى وما يطلعك على أمره وعقبى حاله ثم ابتدأ القول لعله يزكى أى تنمو بركته و يتطهر لله * وقال الزمخشرى وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى انك طمعت فى أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن انتهى وهذا قول ينزه عنه حمل القرآن عليه * وقرأ الجمهور أو يذكر بشد الذال والكاف وأصله يتذكر فأدغم والأعرج وعاصم فى رواية أو يذكر بسكون الذال وضم الكاف * وقرأ الجمهور فتنفعه برفع العين عطفا على أو يذكر وعاصم فى المشهور والأعرج وأبو حيوة وابن أبى عبلة والزعفرانى بنصبها * قال ابن عطية فى جواب التمنى لأن قوله أو يذكر فى حكم قوله لعله يزكى انتهى وهذا ليس تمنيا انما هو ترج وفرق بين الترجى والتمنى * وقال الزمخشرى و بالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى إله موسى انتهى والترجى عند البصريين لا جواب له فينصب باضمار أن بعد الفاء وأما الكوفيون فيقولون ينصب فى جواب الترجى وقد تقدم لنا الكلام على ذلك فى قوله فاطلع الى إله موسى فى قراءة حفص و وجهنا مذهب البصريين فى نصب المضارع * أما من استغنى ظاهره من كان ذا ثروة وغنى * وقال الكلبى عن الله * وقيل عن الايمان بالله * قيل وكونه بمعنى الثروة لا يليق بمنصب النبوة و يدل على ذلك أنه لو كان من الثروة لكان المقابل وأما من جاءك فقيرا حقيرا * وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعرج وعيسى والأعمش وجمهور السبعة تصدى بخف الصاد وأصله يتصدى فحذف والحرميان بشدها أدغم التاء فى الصاد وأبو جعفر تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد أى يصديك حرصك على اسلامه يقال تصدى الرجل وصديته وهذا المستغنى هو الوليد أو أمية أو عتبة وشيبة أو أمية وجميع المذكورين فى سبب النزول أقوال * قال القرطبى وهذا كله غلط من المفسرين لأن أمية والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما وماتا كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر فى بدر ولم يقصد قط أمية المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع أحد انتهى والغلط من القرطبى كيف ينفى حضور ابن أم مكتوم معهما وهو وهم منه وكلهم من قريش وكان ابن أم مكتوم بها والسورة كلها مكية بالاجماع وكيف يقول وابن أم مكتوم بالمدينة كان أولا بمكة ثم هاجر الى المدينة وكانوا جميعهم بمكة حين نزول هذه الآية وابن أم مكتوم هو عبد الله بن سرح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وأم مكتوم أم أبيه عاتكة وهو ابن خال خديجة رضى الله عنها

---

أى غبار والاولى هو ما يغشاها من العبوس عند الهم والثانية من غبار الارض والقترة ما ارتفع الى السماء

( الدر )

﴿ سورة عبس ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ع ) فتنفعه بنصب العين فى جواب التمنى لان قوله أو يذكر فى حكم قوله لعله يزكى انتهى ( ح ) هذا ليس تمنيا انما هو ترج وفرق بين الترجى والتمنى (ش) و بالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع إلى إله موسى انتهى ( ح ) الترجى عند البصريين لا جواب له فينصب باضمار أن بعد الفاء وأما الكوفيون فيقولون ينصب فى جواب الترجى وقد تقدم لنا الكلام على ذلك فى قوله فاطلع الى إله موسى فى قراءة حفص ووجهنا مذهب البصريين فى نصب المضارع

* وما عليك أن لا يزكى تحقير لأمر الكافر وحض على الاعراض عنه وترك الاهتمام به أى وأى شئ عليك فى كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر * وأما من جاءك يسعى أى يمشى بسرعة فى أمر دينه وهو يخشى أى يخاف الله أو يخاف الكفار وأذاهم أو يخاف العثار والسقوط لكونه أعمى وقد جاء بلا قائد يقوده تلهى تشتغل يقال لها عن الشئ يلهى اذا اشتغل عنه * قيل وليس من اللهو الذى هو من ذوات الواو انتهى ويمكن أن يكون منه لأن ما بنى على فعل من ذوات الواو تنقلب واوه ياء لكسرة ما قبلها نحو شقى يشقى فان كان مصدره جاء بالياء فيكون من مادة غير مادة اللهو * وقرأ الجمهور تلهى والبزى عن ابن كثير عنه وتلهى بادغام تاء المضارعة فى تاء تفعل وأبو جعفر بضمها مبنيا للمفعول أى يشغلك دعاء الكافر للاسلام وطلحة بتاءين وعنه بتاء واحدة وسكون اللام * كلا انها أى سور القرآن أو الآيات تذكرة عظة ينتفع بها * فمن شاء ذكره أى فمن شاء أن يذكر هذه الموعظة ذكره أتى بالضمير مذكرا لان التذكرة هى الذكر وهى جملة معترضة تتضمن الوعد والوعيد فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا واعترضت بين تذكرة وبين صفتها أى تذكرة كائنة فى صحف * قيل اللوح المحفوظ * وقيل صحف الأولياء المنزلة * وقيل صحف المسلمين فيكون اخبارا بمغيب اذ لم يكتب القرآن فى صحف زمان كونه عليه السلام بمكة ينزل عليه القرآن مكرمة عند الله ومرفوعة فى السماء السابعة قاله يحيى بن سلام أو مرفوعة عن الشبه والتناقض أو مرفوعة المقدار * مطهرة أى منزهة عن كل دنس قاله الحسن * وقال أيضا مطهرة من أن تنزل على المشركين * وقال الزمخشرى منزهة عن أيدى الشياطين لا تمسها الا أيدى ملائكة مطهرة سفرة كتبة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ انتهى * بأيدى سفرة قال ابن عباس هم الملائكة لانهم كتبة * وقال أيضا لانهم يسفرون بين الله تعالى وأنبيائه * وقال قتادة هم القراء وواحد السفرة سافر * وقال وهب هم الصحابة لأن بعضهم يسفر الى بعض فى الخير والتعليم والعلم * قتل الانسان ما أكفره * قيل نزلت فى عتبة بن أبى لهب غاضب أباه فأسلم ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كافر برب النجم اذا هوى * وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ابعث عليه كلبك يأكله فلما انتهى الى الغاضرة ذكر الدعاء فجعل لمن معه ألف دينار ان أصبح حيا فجعلوه وسط الرفقة والمتاع حوله فأقبل الاسد الى الرحال ووثب فاذا هو فوقه فمزقه فكان أبوه يندبه ويبكى عليه وقال ما قال محمد شيأ قط الا كان والآية وان نزلت فى مخصوص فالانسان يراد به الكافر * وقتل دعاء عليه والقتل أعظم شدائد الدنيا * ما أكفره الظاهر أنه تعجب من افراط كفره والتعجب بالنسبة للمخلوقين اذ هو مستحيل فى حق الله تعالى أى هو ممن يقال فيه ما أكفره * وقيل ما استفهام توقيف أى أى شئ أكفره أى جعله كافرا بمعنى لاى شئ يسوغ له ان يكفر * من أى شئ خلقه استفهام على معنى التقرير على حقارة ما خلق منه ثم بين ذلك الشئ الذى خلق منه فقال من نطفة خلقه فقدره أى فهيأه لما يصلح له * وقال ابن عباس أى فى بطن أمه وعنه قدر أعضاءه وحسنا ودميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا * وقيل من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه * ثم السبيل يسره أى ثم يسر السبيل أى سهل * قال ابن عباس وقتادة وأبو صالح والسدى سبيل النظر القويم المؤدى الى الايمان وتيسيره له هو هبة العقل * وقال مجاهد والحسن وعطاء وابن عباس فى رواية أبى صالح عنه السبيل العام اسم الجنس فى هدى وضلال أى يسر قوما لهذا كقوله إنا هديناه السبيل الآية وقوله تعالى وهديناه النجدين وعن ابن

عباس يسره للخروج من بطن أمه * ثم أماته فأقبره أي جعل له قبراً صيانة لجسده أن يأكله الطير والسباع قبره دفنه وأقبره صيره بحيث يقبر وجعل له قبراً والقابر الدافن بيده * قال الأعشى

لو أسندت ميتاً الى قبرها * عاش ولم ينقل الى قابر

ثم اذا شاء أنشره أي اذا أراد انشاره أنشره والمعنى اذا بلغ الوقت الذي قد شاءه الله وهو يوم القيامة وفي كتاب اللوامح شعيب بن الحبحاب شاء نشره بغير همز قبل النون وهما لغتان في الاحياء وفي كتاب ابن عطية وقرأ شعيب بن أبي حمزة شاء نشره * كلا ردع للانسان عن ما هو فيه من الكفر والطغيان * لما يقض بقي من أول مدة تكليفه الى حين اقباره ما أمره به الله تعالى فالضمير في يقض للانسان * وقال ابن فورك لله تعالى أي لم يقض الله لهذا الكافر ما أمره به من الايمان بل أمره بما لم يقض له ولما عدد تعالى نعمه في نفس الانسان ذكر النعم فيما به قوام حياته وأمره بالنظر الى طعامه وكيفيات الأحوال التي اعتورت على طعامه حتى صار بصدد أن يطعم والظاهر أن الطعام هو المطعوم وكيف يسره الله تعالى بهذه الوسائط المذكورة من صب الماء وشق الأرض والانبات وهذا قول الجمهور * وقال أبي وابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم الى طعامه أي اذا صار رجيعاً ليتأمل عاقبة الدنيا على أي شئ يتفانى أهلها * وقرأ الجمهور إنا بكسر الهمزة والأعرج وابن وثاب والأعمش والكوفيون ورويس أنا بفتح الهمزة والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما أنى بفتح الهمزة ممالاً فالكسر على الاستئناف في ذكر تعداد الوصول الى الطعام والفتح قالوا على البدل ورده قوم لان الثاني ليس الأول * قيل وليس كما ردوا لان المعنى فلينظر الانسان الى انعامنا في طعامه فترتب البدل وصح انتهى كأنهم جعلوه بدل كل من كل والذي يظهر أنه بدل الاشتمال وقراءة أنى ممالاً على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا وأسند تعالى الصب والشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب وصب الماء هو المطر والظاهر أن الشق كناية عن شق الفلاح بما جرت العادة أن يشق به * وقيل شق الأرض هو بالنبات * حباً يشمل ما يسمى حباً من حنطة وشعير وذرة وسلت وعدس وغير ذلك * وقضباً قال الحسن العلف وأهل مكة يسمون القت القضب * وقيل الفصفصة وضعف لانه داخل في الأب * وقيل ما يقضب ليأكله ابن آدم غضاً من النبات كالبقول والهليون * وقال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل ولانه ذكر العنب قبله * غلباً قال ابن عباس غلاظاً وعنه طوالاً وعن قتادة وابن زيد كراماً وفاكهة ما يأكله الناس من ثمر الشجر كالخوخ والتين وأباً ما تأكله البهائم من العشب * وقال الضحاك التبن خاصة * وقال الكلبي كل نبات سوى الفاكهة رطبها والأب يابسها * الصاخة اسم من أسماء القيامة يصم نبأها الآذان تقول العرب صختهم الصاخة وباتتهم النائبة أي الداهية * وقال أبو بكر بن العربي الصاخة هي التي تورث الصمم وانها المسمعة وهذا من بديع الفصاحة كقوله

أصمهم سرهم أيام فرقتهم * فهل سمعتم بسر يورث الصمما

وقول الآخر * أصم بك الناعي وان كان أسمعا * ولعمر الله ان صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة انتهى * يوم يفر بدل من اذا وجواب اذا محذوف تقديره اشتغل كل انسان بنفسه يدل عليه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وفراره من شدة الهول يوم القيامة كما جاء من قول الرسل نفسي نفسي * وقيل خوف التبعات لان الملابسة تقتضي المطالبة يقول الأخ لم تواسني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم

تعلمنا وترشدنا * وقرأ الجمهور يغنيه أى عن النظر فى شأن الآخر من الاغناء والزهرى وابن محيصن وابن أبى عبلة وحميد وابن السميقع يعنيه بفتح الياء والعين المهملة من قولهم عنانى الأمر قصدنى * مسفرة مضيئة من أسفر الصبح أضاء وترهقها تغشاها قترة أى غبار والأولى ما يغشاه من العبوس عند الهم والثانية من غبار الأرض * وقيل غبرة أى من تراب الارض وقترة سواد كالدخان * وقال زيد بن أسلم الغبرة ما انحطت الى الارض والقترة ما ارتفعت الى السماء * وقرأ الجمهور قترة بفتح التاء وابن أبى عبلة باسكانها

## ﴿ سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اذا الشمس كوّرت * واذا النجوم انكدرت * واذا الجبال سيرت * واذا العشار عطلت * واذا الوحوش حشرت * واذا البحار سجرت * واذا النفوس زوّجت * واذا الموؤدة سئلت * بأى ذنب قتلت * واذا الصحف نشرت * واذا السماء كشطت * واذا الجحيم سعرت * واذا الجنة أزلفت * علمت نفس ما أحضرت * فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس * إنه لقول رسول كريم * ذى قوّة عند ذى العرش مكين * مطاع ثمّ أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ * انكدرت النجوم انتثرت * وقال أبو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب اذا كسرت * قال العجاج يصف صقرا

أبصر خربان فلاة فانكدر * تقضى البازى اذا البازى كسر

* العشار جمع عشراء وهى الناقة التى مر لحملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع فى تمام السنة * التعطيل التفريغ والاهمال * الوحش حيوان البر الذى ليس فى طبعه التأنس ببنى آدم * الموؤدة البنت التى تدفن حية وأصله من النقل كأنها تثقل من التراب حتى تموت ومنه اتئد أى توقر وأثقل ولا تخف * الكشط التقشير كشطت جلد الشاة سلخته عنها * الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء تقول خنس بين القوم وانخنس * الكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو المكان الذى تأوى اليه الظباء * والخنس تأخر الأنف عن الشفة مع ارتفاع قليل من الأرنبة * عسعس قال الفراء عسعس الليل وعسس اذا لم يبق منه إلا القليل * وقال الخليل عسعس الليل أقبل وأدبر * قال المبرد هو من الاضداد * وقال علقمة ابن قرط

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

﴿ وقال رؤبة ﴾

ياهند ما أسرع ما تعسعسا * من بعد ما كان فتى قرعرعا

* التنفس خروج النسيم من الجوف واستعير للصبح ومعناه امتداده حتى يصير نهارا واضحا * الظنين المتهم فعيل بمعنى مفعول ظننت الرجل اتهمته * والضنين البخيل قال الشاعر

أجود بمكنون الحديث وانى * بسرك عن ما سألتنى لضنين

﴿ سورة التكوير ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ الآية هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها في غاية الظهور كورت قال ابن عباس أدخلت في العرش وانكدرت قال ابن عباس تساقطت * وسيرت أي في الجو تسيير السحاب * والعشار أنفس ما عند العرب من المال وتعطيلها تركها مسيبة مهملة حشرت أي جمعت من كل ناحية فقال ابن عباس جمعت بالموت فلا تبعث ولا تحضر يوم القيامة * وسجرت تقدم في والطور ﴿ واذا النفوس زوجت ﴾ أي المؤمن مع المؤمن والكافر مع الكافر كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة * والمؤودة البنت وأدها دفنها في التراب كقوله أم يدسه في التراب ﴿ سئلت ﴾ هذا السؤال لتوبيخ الفاعلين للوأد لأن سؤالها يؤدي الى سؤال الفاعلين وجاء قتلت بناء على أن الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت * والصحف المنشورة صحف الاعمال كانت مطوية على الاعمال فنشرت يوم القيامة ليقرأ كل انسان كتابه * وكشط السماء طيها كطي السجل ﴿ سعرت ﴾ أضرمت * وأزلفت قربت ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ من خير تدخل به الجنة أو من شر تدخل (٤٣١) به النار * والخنس قال الجمهور الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشترى تجري الخمس مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى مع ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ﴿ عسعس ﴾ أقسم باقباله وادباره وتنفسه كونه يجيء معه روح ونسيم فكأنه نفس له على المجاز ﴿ انه ﴾ أي القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ الجمهور على أنه جبريل عليه السلام ووصفه بالكريم يقتضي نفي المذام كلها واثبات صفة المدح اللائقة به ﴿ ثم ﴾ اشارة الى الظرف المكاني لدى العرش أي انه مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ﴿ أمين ﴾ مقبول القول يصدق فيما يقوله مؤتمن على ما يرسل به من وحي وامتثال أمر ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ نفي عنه ما كانوا ينسبون اليه ويبهتونه به من الجنون ﴿ ولقد رآه ﴾ أي رأى الرسول جبريل والافق الناحية من السماء القريبة ﴿ بضنين ﴾ من قرأ بالظاء أي بمتهم ومن قرأ بالضاد معناه ببخيل ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ أي الذي يترأى له انما هو ملك لا مثل الذي يترأى للكهان ﴿ فأين تذهبون ﴾ استضلال لهم حيث نسبوه مرة الى الجنون ومرة الى الكهانة ومرة الى غير ذلك مما هو برئ منه ﴿ ان هو ﴾ أي القرآن ﴿ الا ذكر ﴾ تذكرة وعظة ﴿ لمن شاء ﴾ بدل من للعالمين ثم علق مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى

﴿ اذا الشمس كورت * واذا النجوم انكدرت * واذا الجبال سيرت * واذا العشار عطلت * واذا الوحوش حشرت * واذا البحار سجرت * واذا النفوس زوجت * واذا الموؤدة سئلت * بأي ذنب قتلت * واذا الصحف نشرت * واذا السماء كشطت * واذا الجحيم سعرت * واذا الجنة أزلفت * علمت نفس ما أحضرت * فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس * إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه بالأفق المبين * وما هو على الغيب بضنين * وما هو بقول شيطان رجيم * فأين تذهبون * إن هو إلا ذكر للعالمين * لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾

هذه السورة مكية * ومناسبتها لما قبلها في غاية الظهور وتكوير الشمس قال ابن عباس ادخالها في العرش * وقال مجاهد وقتادة والحسن ذهاب ضوئها * وقال الربيع بن خثيم رمى بها ومنه كورته فتكور * وقال أبو صالح نكست وعن ابن عباس أيضا أظلمت وعن مجاهد اضمحلت * وقيل غورت وقيل يلف بعضها ببعض ويرمى بها في البحر * وقال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة * وقال القرطبي من كار العمامة على رأسه يكورها أي لاثها وجمعها فهي تكور ثم يمحى ضوؤها ثم يرمى بها * وقال الزمخشري (فان قلت) ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (قلت) بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انتهى ومن طريقته انه يسمى المفعول الذي لم يسم فاعله فاعلا ولا مشاحة في الاصطلاح

(الدر) ﴿ سورة التكوير ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ش) فان قلت ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية * قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انتهى (ح) من طريقه أنه يسمى المفعول الذي لم يسم فاعله فاعلا ولا مشاحة في الاصطلاح وليس ما ذكر من الاعراب مجمعا على تحتمه عند النحاة بل يجوز رفع الشمس على الابتداء عند الأخفش والكوفيين لانهم يجيزون أن تجيء الجملة الاسمية بعد اذا نحو اذا زيد يكرمك فأكرمه

وليس ماذكره من الاعراب مجمعا على تحققه عند النحاة بل يجوز رفع الشمس على الابتداء عند الأخفش والكوفيين لانهم يجيزون أن تجيء الجملة الاسمية بعد اذا نحو اذا زيد يكرمك فأكرمه * انكدرت عن ابن عباس تساقطت وعنه أيضا تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها من قولهم ماء كدر أي متغير وتسيير الجبال أي عن وجه الارض أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب وهذا قبل نسفها وذلك في أول هول يوم القيامة * والعشار أنفس ما عند العرب من المال وتعطيلها تركها سيبة مهملة أو عن الحلب لاشتغالهم بأنفسهم أو عن أن يحمل عنها الفحول وأطلق عليها عشارا باعتبار ما سبق لها ذلك * قال القرطبي وهذا على وجه المثل لانه في القيامة لا يكون عشراء فالمعنى انه لو كان عشراء لعطلها أهلها واشتغلوا بأنفسهم * وقيل اذا قاموا من القبور شاهدوا الوحوش والدواب محشورة وعشارهم فيها التي كانت كرائم أموالهم لم يعبؤا بها لشغلهم بأنفسهم * وقيل العشار السحاب وتعطيلها من الماء فلا تمطر والعرب تسمى السحاب بالحامل * وقيل العشار الديار تعطل فلا تسكن * وقيل العشار الارض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع * وقرأ الجمهور عطلت بتشديد الطاء ومضر عن اليزيدي بتخفيفها كذا في كتاب ابن خالويه وفي كتاب اللوامح عن ابن كثير قال في اللوامح وقيل هو وهم انما هو عطلت بفتحتين بمعنى تعطلت لان التشديد فيه التعدي يقال منه عطلت الشيء وأعطلته فعطل بنفسه وعطلت المرأة فهي عاطل اذا لم يكن عليها الحلى فلعل هذه القراءة عن ابن كثير لغة استوى فيها فعلت وأفعلت والله أعلم انتهى * وقال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطل

حشرت أي جمعت من كل ناحية * فقال ابن عباس جمعت بالموت فلا تبعث ولا يحضر في القيامة غير الثقلين * وعنه وعن قتادة وجماعة يحشر كل شيء حتى الذباب * وعنه تحشر الوحوش حتى يقتص من بعضها البعض ثم يقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت * وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه * وقال أبي في الدنيا في أول الهول تفر في الارض وتجتمع الى بني آدم تأنسا بهم * وقرأ الجمهور حشرت بخف الشين والحسن وعمرو بن ميمون بشدها * واذا البحار سجرت تقدم أقوال العلماء في سجر البحر في الطور والبحر المسجور وفي كتاب لغات القرآن سجرت جمعت بلغة خثعم * وقال هنا ابن عطية ويحتمل أن يكون المعنى ملكت وقيد اضطرابها حتى لا تخرج على الارض من الهول فتكون اللفظة مأخوذة من ساجور الكلب * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بخف الجيم وباقي السبعة بشدها * قال ابن عطية وذهب قوم الى أن هذه الاشياء المذكورة استعارات في كل ابن آدم وأحواله عند الموت فالشمس نفسه والنجوم عيناه وحواسه وهذا قول ذاهب الى اثبات الرموز في كتاب الله تعالى انتهى وهذا مذهب الباطنية ومذاهب من ينتمي الى الاسلام من غلاة الصوفية وقد أشرنا اليهم في خطبة هذا الكتاب وانما هؤلاء زنادقة تستروا بالانتماء الى ملة الاسلام وكتاب الله جاء بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن ولا ايماء لشيء مما تنتحله الفلاسفة ولا أهل الطبائع ولقد ضمن تفسيره أبو عبد الله الرازي المعروف بابن خطيب الري أشياء مما قاله الحكماء عنده وأصحاب النجوم وأصحاب الهيئة وذلك كله بمعزل عن تفسير كتاب الله عز وجل وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير في آخر ما يفسره من الآيات من كلام من ينتمي الى الصوف ويسميها الحقائق وفيها ما لا يحل كتابته

(ع) وذهب قوم الى أن هذه الأشياء المذكورة استعارات في كل ابن آدم وأحواله عند الموت فالشمس نفسه والنجوم عيناه وحواسه وهذا قول ذاهب الى اثبات الرموز في كتاب الله تعالى انتهى (ح) هذا مذهب الباطنية ومذهب من ينتمي الى الاسلام من غلاة الصوفية وقد أشرنا اليهم في خطبة هذا الكتاب وانما هؤلاء زنادقة تستروا بالانتماء الى ملة الاسلام وكتاب الله جاء بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن ولا ايماء لشيء مما تنتحله الفلاسفة ولا أهل الطبائع ولقد ضمن تفسيره أبو عبد الله الرازي المعروف بابن خطيب الري أشياء مما قاله الحكماء عنده وأصحاب النجوم وأصحاب الهيئة وذلك كله بمعزل من تفسير كتاب الله وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير في آخر ما يفسره من الآيات من كلام من ينتمي الى الصوف ويسميه الحقائق وفيها ما لا تحل كتابته فضلا عن أن يعتقد

فضلا عن أن يعتقد فنسأل الله تعالى السلامة في ديننا وعقائدنا وما به قوام ديننا ودنيانا * وإذا النفوس زوجت أي المؤمن مع المؤمن والكافر مع الكافر كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة قاله عمر وابن عباس أو نفوس المؤمنين بأزواجهم من الحور العين وغيرهن قاله مقاتل بن سليمان أو الأرواح بالأجساد قاله عكرمة والضحاك والشعبي * وقرأ عاصم في رواية زووجت على فوعلت والمفاعلة تكون بين اثنين والجمهور بواو مشددة * وقال الزمخشري وأدته مقلوب من آده يؤده إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لأنه إثقال بالتراب انتهى ولا يدعى في وأده أنه مقلوب من آد لأن كلا منهما كامل التصرف في الماضي والأمر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شيء من مسوغات ادعاء القلب والذي يعلم به الأصالة من القلب أن يكون أحد النظمين فيه حكم يشهد له بالأصالة والآخر ليس كذلك أو كونه مجردا من حروف الزيادة والآخر فيه مزيد وكونه أكثر تصرفا والآخر ليس كذلك أو أكثر استعمالا من الآخر وهذا على ما قرر وأحكم في علم التصريف فالأول كيئس وأيس والثاني كطأمن واطمأن والثالث كشوائع وشواع والرابع كلعمري ورعملي * وقرأ الجمهور الموءودة بهمزة بين الواوين اسم مفعول * وقرأ البزي في رواية الموؤدة بهمزة مضمومة على الواو فاحتمل أن يكون الأصل الموؤودة كقراءة الجمهور ثم نقل حركة الهمزة إلى الواو بعد حذف الهمزة ثم همز الواو المنقول إليها الحركة واحتمل أن يكون اسم مفعول من آد والأصل المأوودة فحذف إحدى الواوين على الخلاف الذي فيه المحذوف واو المفعول أو الواو التي هي عين نحو مقول حيث قالوا مقول * وقرئ الموودة بضم الواو الأولى وتسهيل الهمزة أعني التسهيل بالحذف ونقل حركتها إلى الواو * وقرأ الأعمش الموْدة بسكون الواو على وزن الفعلة وكذا وقف حمزة ابن مجاهد ونقل القراء أن حمزة يقف عليها كالموودة لأجل الخط لأنها رسمت كذلك والرسم سنة متبعة * وقرأ الجمهور سئلت مبنيا للمفعول بأي ذنب قتلت كذلك وخف الياء وبتاء التأنيث فيهما وهذا السؤال هو لتوبيخ الفاعلين للوأد لأن سؤالها يؤول إلى سؤال الفاعلين وجاء قتلت بناء على أن الكلام إخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت * وقرأ الحسن والأعرج سيلت بكسر السين وذلك على لغة من قال سال بغير همز * وقرأ أبو جعفر بشد الياء لأن الموؤدة اسم جنس فناسب التكثير باعتبار الأشخاص * وقرأ ابن مسعود وعلي وابن عباس وجابر بن زيد وأبو الضحى ومجاهد سألت مبنيا للفاعل قتلت بسكون اللام وضم التاء حكاية لكلامها حين سئلت وعن أبي وابن مسعود أيضا والربيع بن خثيم وابن يعمر سألت مبنيا للفاعل * بأي ذنب قتلت مبنيا للمفعول بتاء التأنيث فيهما إخبارا عنهما ولو حكى كلامها لكان قتلت بضم التاء وكان العرب إذا ولد لأحدهم بنت واستحياها ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى الإبل والغنم وإذا أراد قتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر حفرة أو بئرا في الصحراء فيذهب بها إليها ويقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي بالأرض * وقيل كانت الحامل إذا قرب وضعها حفرت حفرة فتمخضت على رأسها فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت ابنا حبسته وقد افتخر الفرزدق وهو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بجده صعصعة إذ كان منع وأد البنات فقال

ومنا الذي منع الوائدات * فأحيا الوئيد ولم يوأد

( الدر )

(ش) وأدته مقلوب من آده يؤده إذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لأنه ثقل بالتراب انتهى (ح) لا يدعى في وأده أنه مقلوب من آد لأن كلا منهما كامل التصريف في الماضي والأمر والمضارع والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شيء من مسوغات ادعاء القلب والذي تعلم به الأصالة من القلب أن يكون أحد النظمين فيه حكم يشهد له بالأصالة والآخر ليس كذلك أو كونه مجردا من حروف الزيادة والآخر فيه مزيد أو كونه أكثر تصرفا والآخر ليس كذلك أو أكثر استعمالا من الآخر وهذا على ما قرر وأحكم في علم التصريف والأول كيئس وأيس والثاني كطأمن واطمأن والثالث كشوائع وشواع والرابع كلعمري ورعملي

واذا الصحف نشرت صحف الأعمال كانت مطوية على الأعمال فنشرت يوم القيامة ليقرأ كل انسان كتابه * وقيل الصحف التي تتطاير بالايمان والشمائل بالجزاء وهي صحف غير صحف الأعمال * وقرأ أبو رجاء وقتادة والحسن والأعرج وشيبة وأبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم نشرت بخف الشين وباقي السبعة بشدها وكشط السماء طيها كطي السجل * وقيل أزيلت كما يكشط الجلد عن الذبيحة * وقرأ عبد الله قشطت بالقاف وهما كثيرا ما يتعاقبان كقولهم عربي قح وكح وتقدمت قراءته قافورا أي كافورا * وقرأ نافع وابن عامر وحفص سعرت بشد العين وباقي السبعة بخفها وهي قراءة علي * قال قتادة سعرها غضب الله تعالى وذنوب بني آدم وجواب اذا وماعطفت عليه علمت نفس ما أحضرت ونفس تم في الاثبات من حيث المعنى ما أحضرت من خير تدخل به الجنة أو من شر تدخل به النار * وقال ابن عطية ووقع الافراد لينبه الذهن على حقارة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه انتهى وقرئت هذه السورة عند عبد الله فلما بلغ القارىء علمت نفس ما أحضرت قال عبد الله وا انقطاع ظهراه * بالخنس قال الجمهور الدراري السبعة * الشمس والقمر * وزحل * وعطارد * والمريخ * والزهرة * والمشترى * وقال علي الخمسة دون الشمس والقمر تجرى الخمسة مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى مع ضوء الشمس قاله الزمخشري * وقال ابن عطية تخنس في جريها التي يتعهد فيها ترى العين وهي جوار في السماء وهي تكنس في أبراجها أي تستتر * وقال علي أيضا والحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها تخنس وتكنس بالنهار حين تختفي وقال الزمخشري أي تخنس بالنهار وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها انتهى * وقال عبد الله والنخعي وجابر بن زيد وجماعة المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش لانها تفعل هذه الافعال في كناسها * وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك هي الظباء والخنس من صفة الانوف لانها يلزمها الخنس وكذا بقر الوحش * عسعس بلغة قريش * وقال الحسن أقبل ظلامه ويرجحه مقابلته بقوله والصبح اذا تنفس فهما حالتان * وقال المبرد أقسم باقباله وادباره وتنفسه كونه يجيء معه روح ونسيم فكأنه نفس له على المجاز * انه أي ان هذا المقسم عليه أي ان القرآن لقول رسول كريم الجمهور على انه جبريل عليه السلام * وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وكريم صفة تقتضي نفي المذام كلها واثبات صفات المدح اللائقة به * ذي قوة كقوله شديد القوى * عند ذي العرش عندية الكينونة اللائقة من شرف المنزلة وعظم المكانة * وقيل العرش متعلق بمكين مطاع * ثم اشارة الى عند ذي العرش أي انه مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون عن أمره * وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وأبو البرهسم وابن مقسم ثم بضم الثاء حرف عطف والجمهور ثم بفتحها ظرف مكان للبعيد * وقال الزمخشري وقرىء ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها أفضل صفاته المعدودة انتهى * وقال صاحب اللوامح بمعنى مطاع وأمين وانما صارت ثم بمعنى الواو بعد أن مواضعها المهلة والتراخي عطفا وذلك لان جبريل عليه السلام كان بالصفتين معا في حال واحدة فلو ذهب ذاهب الى الترتيب والمهلة في هذا العطف بمعنى مطاع في الملأ الاعلى ثم أمين عند انفصاله عنهم حال وحيه على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لجاز أن لو ورد به أثر انتهى أمين مقبول القول يصدق فيما يقوله مؤتمن على ما يرسل به من وحي وامتثال أمر * وما صاحبكم بمجنون نفي عنه ما كانوا ينسبونه اليه ويبهتونه به من الجنون * ولقد رآه أي رأى الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وهذه الرؤية بعد أمر غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء

والأرض فى صورته لها ستمائة جناح * وقيل هى الرؤية التى رآه فيها عند سدرة المنتهى وسمى ذلك الموضع أفقا مجازا وقد كانت له عليه السلام رؤية ثانية بالمدينة وليست هذه ووصف الأفق بالمبين لانه روى انه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس قاله قتادة وسفيان وأيضا فكل أفق فى غاية البيان * وقيل فى أفق السماء الغربى حكاه ابن شجرة * وقال مجاهد رآه نحو جياد وهو مشرق مكة * وقرأ عبد الله وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم ومن السبعة النحويان وابن كثير بظنين بالظاء أى بمتهم وهذا نظير الوصف السابق بأمين * وقيل معناه بضعيف القوة على التبليغ من قولهم بئر ظنون اذا كانت قليلة الماء وكذا هو بالظاء فى مصحف عبد الله * وقرأ عثمان وابن عباس أيضا والحسن وأبو رجاء والأعرج وأبو جعفر وشيبة وجماعة غيرهم وباقى السبعة بالضاد أى ببخيل يشح به لا يبلغ ما قيل له ويبخل كما يفعل الكاهن حتى يعطى حلوانه * قال الطبرى وبالضاد خطوط المصاحف كلها * وما هو بقول شيطان رجيم أى الذى يتراءى له أحيانا وهو ملك لا مثل الذى يتراءى للكهان * فأين تذهبون استضلال لهم حيث نسبوه مرة إلى الجنون ومرة إلى الكهانة ومرة إلى غير ذلك مما هو برئ منه * وقال الزمخشرى كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا فى بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل انتهى * ذكر تذكرة وعظة لمن شاء بدل من العالمين ثم تفقق مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى * قال ابن عطية ثم خصص تعالى من شاء الاستقامة بالذكر تشريفا وتنبيها وذكرا لتكسبهم أفعال الاستقامة ثم بين تعالى ان تكسب العبد على العموم فى استقامة وغيرها انما يكون مع خلق الله تعالى واختراعه الايمان فى صدر المرء انتهى وقال الزمخشرى وانما أبدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعظين جميعا * وما تشاؤن الاستقامة يامن يشاؤها الا بتوفيق الله تعالى ولطفه أو وما تشاؤنها أنتم يامن لا يشاؤها الا بقسر الله وإلجائه انتهى تفسير كل من ابن عطية والزمخشرى لمشيئة على مذهبه * وقال الحسن ما شاءت العرب الاسلام حتى شاء الله لها

## ﴿ سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت * يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك * فى أى صورة ما شاء ركبك * كلا بل تكذبون بالدين * وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون * إن الابرار لفى نعيم * وإن الفجار لفى جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين * وما أدريك ما يوم الدين * ثم ما أدريك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والأمر يومئذ لله ﴾ بعثرت المتاع قلبته ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته هدمته وجعلت أعلاه أسفله ﴿ إذا السماء انفطرت * واذا الكواكب انتثرت * واذا البحار فجرت * واذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت * يا أيها الانسان ما غرك بربك

﴿ سورة الانفطار ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ اذا السماء انفطرت ﴾ هذه السورة مكية وتقدم الكلام على الانفطار ﴿ انتثرت ﴾ تساقطت من مواضعها كالنظام و ﴿ فجرت ﴾ أى من امتلائها فتفجر من أعلاها وتفيض على ما يليها أو من أسفلها فيذهب الله تعالى ماءها حيث أراد و ﴿ بعثرت ﴾ قال ابن عباس بحثت وتقدم الكلام على ما قدمت وأخرت فى القيامة ﴿ ما غرك ﴾ استفهام على سبيل الانكار عليه وغرك بمعنى أدخلك فى الغرة وروى أنه عليه السلام قرأ ما غرك بربك الكريم فقال جهله وقاله عمر وقرأ انه كان ظلوما جهولا

﴿ فسواك ﴾ جعلك سويا فى أعضائك ﴿ فعدلك ﴾ صيرك معتدلا متناسب الخلقة من غير تفاوت والظاهر أن قوله فى أى صورة يتعلق بركبك أى وضعك فى صورة اقتضتها مشيئته من حسن وطول وذكورة وشبه ببعض الاقارب أو مقابل ذلك وما زائدة وشاء فى موضع الصفة لصورة ولم يعطف  ركبك بالفاء كالذى قبله لانه بيان لعدلك والتركيب التأليف وجمع شئ الى شئ ﴿ كلا ﴾ ردع وزجر لما دل عليه ما قبله من اغترارهم بالله تعالى ﴿ بل تكذبون ﴾ خطاب للكفار ﴿ وان عليكم ﴾ استئناف اخبار ان عليهم من يحفظ أعمالهم و يضبطها و يظهر أنها جملة حالية والواو واو الحال أى تكذبون بيوم الجزاء والكاتبون الحفظة يضبطون أعمالكم لان تجازوا عليها وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ فيكتبون ما تعلق به الجزاء ﴿ وما هم عنها ﴾ أى عن الجحيم أى لا يمكنهم الغيبة لما أخبر عن صليهم يوم القيامة أخبر بانتفاء غيبتهم عنها قبل الصلى أى يرون مقاعدهم من النار ﴿ وما أدراك ﴾ تعظيم لهول ذلك اليوم ﴿ يوم لا تملك ﴾ عام فى كل نفس ﴿ والامر يومئذ لله ﴾ أى لا يدعى أحد منازعته

الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك * فى أى صورة ما شاء ركبك * كلا بل تكذبون بالدين * وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون * إن الأبرار لفى نعيم * وإن الفجار لفى جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين * وما أدريك ما يوم الدين * ثم ما أدريك ما يوم الدين * يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والأمر يومئذ لله ﴾ هذه السورة مكية وانفطارها تقدم الكلام فيه وانتثار الكواكب سقوطها من مواضعها كالنظام * وقرأ الجمهور فجرت بتشديد الجيم ومجاهد والربيع بن خيثم والزعفرانى والثورى بخفها وتفجيرها من امتلائها فتفجر من أعلاها وتفيض على ما يليها أو من أسفلها فيذهب الله ماءها حيث أراد * وعن مجاهد فجرت مبنيا للفاعل مخففا بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغى والفجور متقابلان * بعثرت * قال ابن عباس بحثت * وقال السدى أثيرت لبعث الأموات * وقال الفراء أخرج ما فى بطنها من الذهب والفضة * وقال الزمخشرى بعثر وبحثر بمعنى واحد وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها * وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين انتهى فظاهر قوله انهما مركبان ان مادتهما ماذكر وأن الراء ضمت الى هذه المادة والأمر ليس كما يقتضيه كلامه لأن الراء ليست من حروف الزيادة بل هما مادتان مختلفتان وان اتفقا من حيث المعنى وأما ان احدهما مركبة من كذا فلا ونظيره قولهم دمث ودمثر وسبط وسبطر * ما قدمت وأخرت تقدم الكلام على شبهه فى سورة القيامة * وقرأ الجمهور ما غرك فما استفهامية * وقرأ ابن جبير والأعمش ما أغرك بهمزة فاحتمل أن يكون تعجبا واحتمل أن تكون ما استفهامية وأغرك بمعنى أدخلك فى الغرة * وقال الزمخشرى من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا انتهى * وروى أنه عليه الصلاة والسلام قرأ ما غرك بربك الكريم فقال جهله وقاله عمر رضى الله تعالى عنه وقرأ انه كان ظلوما جهولا وهذا يترتب فى الكافر والعاصى * وقال قتادة عدوه المسلط عليه وقيل ستر الله عليه * وقيل كرم الله ولطفه يلقن هذا الجواب فهذا لطف بالعاصى المؤمن * وقيل عفوه عنه ان لم يعاقبه أول مرة * وقال الفضيل رضى الله عنه ستره المرخى * وقال ابن السماك

يا كاتم الذنب أما تستحى * والله فى الخلوة رائيكا

غرك من ربك امهاله * وستره طول مساويكا

* وقال الزمخشرى فى جواب الفضيل وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ بالاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كونه الكريم انتهى وهو عادته فى الطعن على أهل السنة * فسواك جعلك سويا فى أعضائك فعدلك صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت

( الدر )

﴿ سورة الانفطار ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ( ش ) بعثر وبحثر بمعنى واحد وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت أسرار المنافقين انتهى ( ح ) ظاهر قوله انهما مركبان أن مادتهما ماذكر وان الراء ضمت الى هذه المادة والأمر ليس كما يقتضيه كلامه لأن الراء ليست من حروف الزيادة بل هما مادتان مختلفتان وان اتفقا من حيث المعنى وأما ان احداهما مركبة من كذا فلا ونظيره قولهم دمث ودمثر وسبط وسبطر .

* وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وطلحة والأعمش وعيسى وأبو جعفر والكوفيون بخف الدال وباقي السبعة بشدها وقراءة التخفيف إما أن تكون كقراءة التشديد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت وإما أن يكون معناه فصرفك يقال عدله عن الطريق أي عدلك عن خلقة غيرك الى خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك الى بعض الأشكال والهيئات والظاهر أن قوله في أي صورة يتعلق بربك أي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وطول وذكورة وشبه ببعض الأقارب أو مقابل ذلك وما زائدة وشاء في موضع الصفة لصورة ولم يعطف ركبك بالفاء كالذي قبله لأنه بيان لعدلك وكون في أي صورة متعلقا بركبك هو قول الجمهور * وقيل يتعلق بمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور * وقال بعض المتأولين إنه يتعلق بقوله فعدلك أي فعدلك في صورة أي صورة وأي تقتضي التعجب والتعظيم فلم يجعلك في صورة خنزير أو حمار وعلى هذا تكون ما منصوبة بشاء كأنه قال أي تركيب حسن شاء ركبك والتركيب التأليف وجمع شيء الى شيء وأدغم خارجة عن نافع ركبك كلا كأبي عمرو في ادغامه الكبير وكلا ردع وزجر لما دل عليه ما قبله من اغترارهم بالله تعالى أو لما دل عليه ما بعد كلا من تكذيبهم بيوم الجزاء والدين أو شريعة الاسلام * وقرأ الجمهور بل تكذبون بالتاء خطابا للكفار والحسن وأبو جعفر وشيبة وأبو بشر بياء الغيبة * وإن عليكم لحافظين استئناف اخبار أي عليهم من يحفظ أعمالهم ويضبطها ويظهر أنها جملة حالية والواو واو الحال أي تكذبون بيوم الجزاء والكاتبون الحفظة يضبطون أعمالكم لأن تجازوا عليها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء * وقرأ الجمهور يصلونها مضارع صلى مخففا وابن مقسم مشددا مبنيا للمفعول * يعلمون ما تفعلون فيكتبون ما تعلق به الجزاء * قال الحسن يعلمون ما ظهر دون حديث النفس * وقال سفيان اذا هم العبد بالحسنة أو السيئة وجد الكاتبان ريحها * وقال الحسين بن الفضل حيث قال يعلمون ولم يقل يكتبون دل على أنه لا يكتب الجميع فيخرج عنه السهو والخطأ وما لا تبعة فيه * وما هم عنها بغائبين أي عن الجحيم أي لا يمكنهم الغيبة كقوله وما هم بخارجين من النار * وقيل انهم مشاهدوها في البرزخ لما أخبر عن صليهم يوم القيامة أخبر بانتفاء غيبتهم عنها قبل الصلى أي يرون مقاعدهم من النار * وما أدراك تعظيم لهول ذلك اليوم * وقرأ ابن أبي اسحق وعيسى وابن جندب وابن كثير وأبو عمرو يوم لا تملك برفع الميم أي هو يوم وأجاز الزمخشري فيه أن يكون بدلا مما قبله * وقرأ محبوب عن أبي عمرو يوم لا تملك على التنكير منونا مرفوعا فكه عن الاضافة وارتفاعه على هو يوم ولا تملك جملة في موضع الصفة والعائد محذوف أي لا تملك فيه * وقرأ زيد بن علي والحسن وأبو جعفر وشيبة والأعرج وباقي السبعة يوم بالفتح على الظرف فعند البصريين هي حركة اعراب وعند الكوفيين يجوز أن تكون حركة بناء وهو على التقديرين في موضع رفع خبر المحذوف تقديره الجزاء يوم لا تملك أو في موضع نصب على الظرف أي يدانون يوم لا تملك أو على أنه مفعول به أي اذكر يوم لا تملك ويجوز على رأي من يجيز بناءه أن يكون في موضع رفع خبر المبتدأ محذوف تقديره هو يوم لا تملك نفس لنفس شيأ عام كقوله فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا * وقال مقاتل لنفس كافرة شيأ من المنفعة * والأمر يومئذ لله * قال قتادة وكذلك هو اليوم لكنه هناك لا يدعي أحد منازعة ولا يمكن هو أحدا مما كان ملكه في الدنيا

﴿ سورة التطفيف ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ ويل للمطففين ﴾ الآية هذه السورة مكية وقيل مدنية وسبب نزولها أنه كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيالان يأخذ بالاوفى ويعطي بالانقص فنزلت والمناسبة بين السورتين ظاهرة لما ذكر السعداء والاشقياء ويوم الجزاء وعظم من  شأنه ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكر بأخس ما يقع من المعصية وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيأ في تثمير المال وتنميته ﴿ إذا اكتالوا على الناس ﴾ قبضوا منهم ﴿ وإذا كالوهم أو وزنوهم ﴾ أقبضوهم وكال ووزن مما يتعدى بحرف الجر فتقول كلت لك ووزنت لك ﴿ ألا يظن أولئك ﴾ توقيف على أمر القيامة وانكار هم عليهم في فعلهم ذلك ﴿ ليوم عظيم ﴾ وهو يوم القيامة ويوم ظرف العامل فيه مقدر أي يبعثون يوم يقوم الناس ويجوز أن يعمل فيه مبعوثون ويكون معنى ليوم أي لحساب يوم ووصفه برب العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف ﴿ كلا ﴾ ردع لما كانوا فيه من التطفيف وهذا القيام يختلف الناس فيه بحسب أحوالهم وفي هذا القيام الجام الناس بالعرق وأحوالهم فيه مختلفة كما ورد في الحديث والفجار الكفار وكتابهم هو الذي فيه تحصيل أعمالهم وسجين قال الجمهور فعيل من السجن كسكير أي في موضع ساجن فجاءت بناء مبالغة فسجين على هذا صفة لموضع المحذوف والظاهر أن سجينا هو كتاب ولذلك أبدل منه كتاب مرقوم ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ أي ليس ذلك مما كنت تعلمه ﴿ كتاب مرقوم ﴾ أي مثبت بالرقم لا يبلى ولا يمحى ﴿ الذين يكذبون ﴾ صفة ذم ﴿ كل معتد ﴾ متجاوز الحد ﴿ أثيم ﴾ صفة مبالغة ﴿ إذا تتلى ﴾ قيل نزلت في النضر بن الحرث ﴿ بل ران ﴾ رأى

﴿ سورة المطففين مكية وهي ست وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين * كلا إن كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين * الذين يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به إلا كل معتد أثيم * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون * كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون * إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم * عينا يشرب بها المقربون * إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾

* التطفيف النقصان وأصله من الطفيف وهو النزر الحقير والمطفف الآخذ في وزن أو كيل طفيفا أي شيأ حقيرا خفيا * ران غطى وغشى كالصدإ يغشى السيف * قال الشاعر

وكم ران من ذنب على قلب فاجر * فتاب من الذنب الذي ران فانجلا

وأصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقل شاربها وران الغشي على عقل المريض * قال أبو زبيد

ثم لما رآه رانت به الخمر * وأن لا يرينه باتقاء

وقال أبو زيد يقال رين بالرجل يران به رينا إذا وقع فيما لا يستطيع منه الخروج * الرحيق قال الخليل أجود الخمر * وقال الأخفش والزجاج الشراب الذي لا غش فيه * قال حسان

* بردى يصفق بالرحيق السلسل * نافس في الشيء رغب فيه ونفست عليه بالشيء أنفس نفاسة إذا بخلت به عليه ولم تحب أن يصير إليه * التسنيم أصله الارتفاع ومنه تسنيم القبر وسنام البعير وتسنمته علوت سنامه * الغمز الاشارة بالعين والحاجب ﴿ ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين * كلا إن كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ما سجين * كتاب مرقوم * ويل يومئذ للمكذبين * الذين يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به إلا كل معتد أثيم * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ﴾ هذه السورة مكية فى قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل مدنية فى قول الحسن وعكرمة ومقاتل أيضا * وقال ابن عباس وقتادة مدنية إلا من ان الذين أجرموا الى آخرها فهو مكى ثمان آيات * وقال السدى كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيلان يأخذ بالأوفى ويعطى بالأنقص فنزلت ويقال انها أول سورة نزلت بالمدينة * وقال ابن عباس نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة لانهم كانوا أشد الناس فسادا فى هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة * وقيل نزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى أمرهم قبل ورود رسوله صلى الله عليه وسلم والمناسبة بين السورتين ظاهرة لما ذكر تعالى السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأن يومه ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهى التطفيف الذى لا يكاد يجدى شيأ فى تثمير المال وتنميته * اذا اكتالوا على الناس قبضوا لهم واذا كالوهم أو وزنوهم أبخسوهم * وقال الفراء من وعلى يعتقبان هنا اكتلت على الناس واكتلت من الناس فاذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك واذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك والظاهر أن على متعلق باكتالوا كما قررناه * وقال الزمخشرى لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق بيستوفون أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها انتهى * وكال ووزن مما يتعدى بحرف الجر فتقول كلت لك ووزنت لك ويجوز حذف اللام كقولك نصحت لك ونصحتك وشكرت لك وشكرتك والضمير ضمير نصب أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف وهو المكيل والموزون وعن عيسى وحمزة المكيل له والموزون له محذوف وهم ضمير مرفوع تأكيد للضمير المرفوع الذى هو الواو * وقال الزمخشرى ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا أعطوهم أخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع فى الفعل لا فى المباشر انتهى ولا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين أن يؤكد الضمير وأن لا يؤكد والحديث واقع فى الفعل غاية ما فى هذا أن متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو فى كالوهم أو وزنوهم محذوف للعلم به لانه معلوم انهم لا يخسرون الكيل والميزان اذا كان لأنفسهم انما يخسرون ذلك لغيرهم * وقال الزمخشرى (فان قلت) هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم (قلت) كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون فى الملء واذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعا يخسرون ينقصون انتهى ويخسرون معدى بالهمزة يقال خسر الرجل وأخسره غيره * ألا يظن توقيف على أمر القيامة وانكار عليهم فى فعلهم ذلك أى ليوم عظيم وهو يوم القيامة ويوم ظرف العامل فيه مقدر أى يبعثون يوم يقوم الناس ويجوز أن يعمل فيه مبعوثون ويكون معنى ليوم أى لحساب يوم * وقال الفراء هو بدل من يوم عظيم لكنه

---

والضمير فى قوله انهم للكفار فمن قال بالرؤية وهو قول أهل السنة قال ان هؤلاء لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه واحتج بهذه الآية مالك رحمه الله على مسئلة الرؤية ﴿ثم يقال لهم﴾ أى يقول لهم خزنة النار ﴿هذا﴾ أى العذاب وصلى النار أو هذا اليوم ﴿الذى كنتم به تكذبون﴾

( تدر )

﴿ سورة المطففين ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك أن المعنى اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا أعطوهم أخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع فى الفعل لا فى المباشر انتهى (ح) لا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين أن يؤكد الضمير أو لا يؤكد والحديث واقع فى الفعل غاية ما فى هذا أن متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو فى كالوهم أو وزنوهم محذوف للعلم به لانه معلوم أنهم لا يخسرون الكيل والميزان اذا كان لأنفسهم إنما يخسرون ذلك لغيرهم

بى وقرئ يوم يقوم بالجر وهو بدل من ليوم حكاه أبو معاذ * وقرأ زيد بن على يوم بالرفع أى ذلك يوم ويظن بمعنى يوقن او هو على وضعه من الترجيح وفى هذا الانكار والتعجب ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس لله خاضعين ووصفه برب العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف * كلا ردع لما كانوا عليه من التطفيف وهذا القيام تختلف الناس فيه بحسب أحوالهم وفى هذا القيام الجام العرق للناس وأحوالهم فيه مختلفة كما ورد فى الحديث والفجار الكفار وكتابهم هو الذى فيه تحصيل أعمالهم * وسجين قال الجمهور فعيل من السجن كسكير أو فى موضع ساجن فجاء بناء مبالغة فسجين على هذا صفة لموضع المحذوف * قال ابن مقبل

ورفقة يضربون البيض ضاحية * ضربا تواصت به الابطال سجينا

* وقال الزمخشرى (فان قلت) ما سجين أصفة هو أم اسم (قلت) بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف انتهى وكان قد قدم أنه كتاب جامع وهو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان انتهى واختلفوا فى سجين اذا كان مكانا اختلافا مضطربا حذفنا ذكره والظاهر ان سجينا هو كتاب ولذلك أبدل منه كتاب مرقوم * وقال عكرمة سجين عبارة عن الخسار والهوان كما تقول بلغ فلان الحضيض اذا صار فى غاية الجمود * وقال بعض اللغويين سجين نونه بدل من لام وهو من السجيل فتلخص من أقوالهم أن سجين نونه أصلية أو بدل من لام واذا كانت أصلية فاشتقاقه من السجن * وقيل هو مكان فيكون كتاب مرقوم خبر مبتدا محذوف أى هو كتاب ويعنى بالضمير عوده على كتاب الفجار أو على سجين على حذف أى هو محل كتاب مرقوم وكتاب مرقوم تفسير له على جهة البدل أو خبر مبتدا والضمير المقدر الذى هو عائد على سجين أو كناية عن الخسار والهوان هل هو صفة أو علم * وما أدراك ما سجين أى ليس ذلك مما كنت تعلم مرقوم أى مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحى * قال قتادة رقم لهم بشر لا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد * وقال ابن عباس والضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير وأصل الرقم الكتابة ومنه قول الشاعر

سأرقم فى الماء القراح اليكم * على بعدكم ان كان للماء راقم

وتبين من الاعراب السابق أن كتاب مرقوم بدل أو خبر مبتدا محذوف وكان ابن عطية قد قال ان سجينا موضع ساجن على قول الجمهور وعبارة عن الخسار على قول عكرمة ثم قال كتاب مرقوم من قال بالقول الاول فى سجين فكتاب مرتفع عنده على خبر ان والظرف الذى هو لفى سجين ملغى ومن قال فى سجين بالقول الثانى فكتاب مرقوم على خبر ابتداء مضمر التقدير هو كتاب مرقوم ويكون هذا الكتاب مفسرا لسجين ما هو انتهى فقوله والظرف الذى هو لفى سجين ملغى قول لا يصح لان اللام التى فى لفى سجين داخلة على الخبر واذا كانت داخلة على الخبر فلا إلغاء فى الجار والمجرور بل هو الخبر ولا جائز أن تكون هذه اللام دخلت فى لفى سجين على فضلة هى معمولة للخبر أو لصفة الخبر فيكون الجار والمجرور ملغى لا خبرا لأن كتاب موصوف بمرقوم فلا يعمل ولان مرقوما الذى هو صفة لكتاب لا يجوز أن تدخل اللام فى معموله ولا يجوز أن يتقدم معموله على الموصوف فتعين بهذا ان قوله لفى سجين هو خبر ان * الذين يكذبون صفة ذم كل معتد متجاوز الحد

(ع) سجين موضع ساجن على قول الجمهور وعبارة عن الحساب على قول عكرمة ثم قال كتاب مرقوم من قال بالقول الاول فى سجين فكتاب مرتفع عنده على خبران والظرف الذى لفى سجين ملغى ومن قال فى سجين بالقول الثانى فكتاب مرتفع على خبر ابتداء مضمر التقدير هو كتاب مرقوم ويكون هذا الكلام مفسر السجين ما هو انتهى (ح) قوله والظرف الذى هو لفى سجين ملغى قول لا يصح لان اللام التى فى لفى سجين داخلة على الخبر واذا كانت داخلة على الخبر فلا الغاء فى الجار والمجرور بل هو الخبر ولا جائز أن تكون هذه اللام دخلت فى لفى سجين على فضلة هى معمولة للخبر أو لصفة الخبر فيكون الجار والمجرور ملغى لا خبرا لان كتاب موصوف بمرقوم فلا يعمل ولان مرقوما الذى هو صفة الكتاب لا يجوز أن تدخل اللام فى معموله ولا يجوز أن يتقدم معموله على الموصوف فتعين بهذا أن قوله لفى سجين هو خبر ان

أنيم صفة مبالغة * وقرأ الجمهور اذا والحسن أئذا بهمزة الاستفهام * والجمهور تتلى بتاء التأنيث وأبو حيوة وابن مقسم بالياء * قيل ونزلت في النضر بن الحرث * بل ران قرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار وقف حمزة على بل وقفا خفيفا يسيرا لتبيين الاظهار * وقال أبو جعفر بن الباذش وأجمعوا يعني القراء على ادغام اللام في الراء الا ما كان من سكت حفص على بل ثم يقول ران وهذا الذي ذكره ليس كما ذكر من الاجماع * ففي كتاب اللوامح عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام عند الراء نحو قوله بل رفعه الله اليه بل ربكم * وفي كتاب ابن عطية وقرأ نافع بل ران غير مدغم وفيه أيضا وقرأ نافع أيضا بالادغام والامالة * وقال سيبويه في اللام مع الراء نحو أشغل رحمه البيان والادغام حسنان * وقال الزمخشري وقرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام أجود وأميلت الالف وفخمت انتهى * وقال سيبويه فاذا كانت يعني اللام غير لام المعرفة نحو لام هل وبل فان الادغام في بعضها أحسن وذلك نحو هل رأيت فان لم تدغم فقلت هل رأيت فهي لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة انتهى * وقال الحسن والسدي هو الذنب على الذنب * وقال الحسن حتى يموت قلبه * وقال السدي حتى يسود القلب * وفي الحديث نحو من هذا * فقال الكلبي طبع على قلوبهم * وقال ابن سلام غطى * ما كانوا يكسبون قال ابن عطية وعلق اللوم بهم فيما كسبوه وان كان ذلك بخلق منه تعالى واختراع لان الثواب والعقاب متعلقان بكسب العبد والضمير في قوله انهم للكفار فمن قال بالرؤية وهو قول أهل السنة قال ان هؤلاء لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه واحتج بهذه الآية مالك على مسئلة الرؤية من جهة دليل الخطاب والا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص * وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا ومن قال بأن لا رؤية وهو قول المعتزلة قال انهم محجوبون عن ربهم وغفرانه انتهى * وقال أنس بن مالك لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه * وقال الزمخشري كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم * قال الشاعر

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا * والناس ما بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبين عن رحمته * وعن ابن كيسان عن كرامته انتهى وعن مجاهد المعنى محجوبون عن كرامته ورحمته وعن ربهم متعلق بمحجوبون وهو العامل في يومئذ والتنوين تنوين العوض من الجملة المحذوفة ولم تتقدم جملة قريبة يكون عوضا منها لكنه تقدم يقوم الناس لرب العالمين فهو عوض من هذه الجملة كأنه قيل يوم اذ يقوم الناس ثم هم مع الحجاب عن الله هم صالوا النار وهذه ثمرة الحجاب * ثم يقال أي تقول لهم خزنة النار هذا أي العذاب وصلى النار وهذا اليوم الذي كنتم به تكذبون * قال ابن عطية هذا الذي يعني الجملة مفعول لم يسم فاعله لانه قول بني له الفعل الذي هو يقال انتهى وتقدم الكلام على نحو هذا في أول البقرة في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض * قوله عز وجل ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون * إن الأبرار لفي نعيم * على الارائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم * عينا يشرب بها المقربون * إن الذين

---

كلا ان كتاب الابرار لفي عليين * لما ذكر أمر كتاب الفجار عقبه بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق ﴿ عليون ﴾ جمع واحده علي مشتق من العلو وهو للمبالغة وعليون الملائكة واعراب لفي عليين وكتاب مرقوم كاعراب لفي سجين والمقربون هنا قال ابن عباس وغيره هم الملائكة أهل كل سماء ينظرون الى ما أعد لهم من الكرامات وقرئ تعرف بتاء الخطاب للرسول عليه السلام والنضرة تقدم شرحها في قوله نضرة وسرورا ﴿ مختوم ﴾ الظاهر أن الرحيق ختم عليه تهمما وتنظفا بالرائحة المسكية كما فسره ما بعده ﴿ ختامه ﴾ أي خلطه ومزاجه قاله ابن عباس ﴿ من تسنيم ﴾ قال ابن عباس هو أشرف شراب الجنة وهو اسم مذكر لماء عين في الجنة ﴿ يشرب بها ﴾ أي يشربها أو منها روي أن عليا كرم الله وجهه وجماعة من المؤمنين مروا بجمع من كفار مكة فضحكوا منهم واستخفوا بهم عبثا فنزلت ان الذين أجرموا قبل أن يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار مكة هؤلاء قيل أبو جهل والوليد ابن المغيرة والعاصي بن وائل والمؤمنون عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء

المؤمنين حفظة يحفظون عليهم أحوالهم ولما تقدم ذكر يوم القيامة قيل ﴿فاليوم الذين آمنوا﴾ واليوم منصوب بيضحكون أي ان كان قد ضحك الكفار من المؤمنين في وقت ما في الدنيا فالمؤمنون يضحكون منهم في الآخرة وينظرون حال من الضمير في يضحكون أي يضحكون ناظرين اليهم والى ماهم فيه من الهوان والعذاب بعد العزة والنعيم * وقال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها الى أهل النار ﴿هل ثوب﴾ أي هل جوزي يقال ثوبه وأثابه اذا جازاه قال الشاعر

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب * وحسبك أن يثنى عليك وتحمد *

وهو استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين أي هل جوزوا بأفعالهم السيئة أي قد جوزوا بها وفي قوله ما كانوا حذف تقديره جزاء أو عقاب ما كانوا يفعلون

أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * وإذا مروا بهم يتغامزون * وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين * واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون * وما أرسلوا عليهم حافظين * فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون * هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾

لما ذكر تعالى أمر كتاب الفجار عقبه بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق عليون جمع واحده علي مشتق من العلو وهو المبالغة قاله يونس وابن جني * قال أبو الفتح وسبيله أن يقال علية كما قالوا للغرفة علية فلما حذفت التاء عوضوا منها الجمع بالواو والنون * وقيل هو وصف للملائكة فلذلك جمع بالواو والنون * وقال الفراء هو اسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقوله عشرين وثلاثين والعرب اذا جمعت جمعا لم يكن له بناء من واحده ولا تثنية قالوا في المذكر والمؤنث بالواو والنون * وقال الزجاج أعرب هذا الاسم كاعراب الجمع هذه قنسرون ورأيت قنسرين وعليون الملائكة أو المواضع العلية أو علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين أو علو في علو مضاعف أقوال ثلاثة للزمخشري * وقال أبو مسلم كتاب الأبرار كتابة أعمالهم لفي عليين ثم وصف عليين بأنه كتاب مرقوم فيه جميع أعمال الأبرار واذا كان كما قاله اختلفوا في تعيينه اختلافا مضطربا رغبنا عن ذكره واعراب لفي عليين وكتاب مرقوم كاعراب لفي سجين وكتاب مرقوم * وقال ابن عطية وكتاب مرقوم في هذه الآية خبر ان والظرف ملغى انتهى هذا كما قال في لفي سجين وقد رددنا عليه ذلك وهذا مثله * والمقربون هنا قال ابن عباس وغيره هم الملائكة أهل كل سماء ينظرون * قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الى ما أعد لهم من الكرامات * وقال مقاتل الى أهل النار * وقيل ينظر بعضهم الى بعض * وقرأ الجمهور تعرف بتاء الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو للناظر * نضرة النعيم نصبا * وقرأ أبو جعفر وابن أبي اسحق وطلحة وشيبة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول نضرة رفعا وزيد بن علي كذلك إلا أنه قرأ يعرف بالياء إذ تأنيث نضرة مجازي والنضرة تقدم شرحها في قوله نضرة وسرورا * مختوم الظاهر أن الرحيق ختم عليه تهمما وتنظفا بالرائحة المسكية كما فسره ما بعده * وقيل تختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة * وقرأ الجمهور ختامه أي خلطه ومزاجه قاله عبد الله وعلقمة * وقال ابن عباس وابن جبير والحسن معناه خاتمته أي يجد الرائحة عند خاتمة الشراب رائحة المسك * وقال أبو علي أي ابزاره المقطع وذكاء الرائحة مع طيب الطعم * وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وفي الصحاح الختام الطين الذي يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد ختم اناؤه بالمسك بدل الطين * وقال الشاعر

كأن مشعشعا من خمر بصرى * نمته البخت مشدود الختام

* وقرأ علي والنخعي والضحاك وزيد بن علي وأبو حيوة وابن أبي عبلة والكسائي خاتمه بعد الخاء ألف وفتح التاء وهذه بينة المعنى انه يراد بها الطابع على الرحيق * وعن الضحاك وعيسى وأحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي كسر التاء أي آخره مثل قوله وخاتم النبيين وفيه حذف أي خاتم رائحته المسك أو خاتمه الذي يختم به ويقطع ومن تسنيم * قال عبد الله وابن عباس هو أشرف شراب الجنة وهو اسم مذكر لماء عين في الجنة * وقال الزمخشري تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه وعينا نصب على المدح * وقال الزجاج على الحال انتهى * وقال الأخفش يسقون عينا يشرب بها أي يشرب بها أو منها أو ضمن يشرب معنى يروى بها أقوال * المقربون قال

( الدر )

( ع ) وكتاب مرقوم في هذه الآية خبر ان والظرف ملغى انتهى ( ح ) هذا كما قال في لفي سجين وقد رددنا عليه ذلك وهذا مثله

ابن مسعود وابن عباس والحسن وأبو صالح يشرب بها المقربون صرفا وبمزج للأبرار ومذهب الجمهور الأبرار هم أصحاب اليمين وأن المقربين هم السابقون * وقال قوم الأبرار والمقربون في هذه الآية بمعنى واحد يقع لكل من نعم في الجنة * وروى أن عليا وجماعة معه من المؤمنين مروا بجمع من كفار قريش فضحكوا منهم واستخفوا بهم عبثا فنزلت ان الذين أجرموا قبل أن يصل علي رضي الله تعالى عنه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والكفار كهؤلاء قيل هم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والمؤمنون عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين والظاهر أن الضمير في مروا عائد على الذين أجرموا إذ في ذلك تناسق الضمائر لواحد * وقيل للمؤمنين أي واذا مر المؤمنون بالكافرين يتغامز الكافرون أي يشيرون بأعينهم وفا كهين أي متلذذين بذكرهم وبالضحك منهم * وقرأ الجمهور فاكهين بالألف أي أصحاب فاكهة ومزح وسرور باستخفافهم بأهل الايمان وأبو رجاء والحسن وعكرمة وأبو جعفر وحفص بغير ألف والضمير المرفوع في رأوهم عائد على المجرمين أي اذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وهم محقون في نسبتهم اليه وما أرسلوا على الكفار حافظين وفي الاشارة اليهم بانهم ضالون اثارة للكلام بينهم وكان في الآية بعض موادعة أي ان المؤمنين لم يرسلوا حافظين على الكفار وهذا على القول بأن هذا منسوخ بآية السيف * وقال الزمخشري وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين إنكارا لصدهم إياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك ولما تقدم ذكر يوم القيامة قيل فاليوم الذين آمنوا واليوم منصوب بيضحكون منهم في الآخرة وينظرون حال من الضمير في يضحكون أي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والعذاب بعد العزة والنعيم * وقال كعب لأهل الجنة كوى ينظرون منها الى أهل النار * وقيل ستر شفاف بينهم يرون منه حالهم * هل ثوب أي هل جوزي يقال ثوبه وأثابه اذا جازاه * ومنه قول الشاعر

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب * وحسبك أن يثنى عليك وتحمد

وهو استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين أي هل جوزوا بها * وقيل هل ثوب متعلق بينظرون وينظرون معلق بالجملة في موضع نصب بعد إسقاط حرف الجر الذي هو الى * وقرأ الجمهور هل ثوب باظهار لام هل والنحويان وحمزة وابن محيصن بادغامها في الثاء وفي قوله ما كانوا حذف تقديره جزاء أو عقاب ما كانوا يفعلون

## ﴿ سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * واذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت * يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه * فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب الى أهله مسرورا * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا * ويصلى سعيرا * إنه كان في أهله مسرورا * إنه ظن أن لن يحورا بلى إن ربه كان به بصيرا * فلا أقسم بالشفق * والليل وما وسق * والقمر اذا اتسق * لتركبن طبقا عن طبق * فما لهم لا يؤمنون * واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون * بل الذين كفروا يكذبون * والله أعلم بما يوعون * فبشرهم بعذاب أليم * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

﴿سورة الانشقاق﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿إذا السماء انشقت﴾ هذه السورة مكية واتصالها بما قبلها ظاهر قال ابن عباس انشقت لنزول الملائكة ﴿وأذنت﴾ أى استمعت وسمعت أمره ونهيه ﴿وحقت﴾ قال ابن عباس وحق لها أن تسمع وهذا الفعل مبنى للمفعول والفاعل هو الله تعالى أى وحق الله عليها الاستماع ﴿واذا الارض مدت﴾ سويت وقيل بسطت ومنه الحديث تمد الارض مد الاديم العكاظى حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه وذلك أن الاديم اذا مد زال مافيه من تثن وانبسط فتصير الارض اذ ذاك كما قال تعالى  قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا ﴿وألقت مافيها﴾ مافى بطنها من الاموات ﴿وتخلت﴾ عمن على ظهرها من الاحياء ﴿وأذنت لربها﴾ أى فى القاء مافى بطنها وتخليها والانسان يراد به الجنس والتقسيم بعد ذلك يدل عليه وقال مقاتل المراد به الاسود بن عبد الاسد بن هلال المخزومى جادل أخاه أبا سلمة فى أمر البعث فقال أبو سلمة أى والذى خلقك لتركبن الطبقة ولتوافين العقبة فقال الاسود فأين الارض والسماء وما حال الناس فى ذلك اليوم ﴿انك كادح﴾ أى جاهد فى عملك من خير وشر ﴿الى ربك﴾ أى طول حياتك الى لقاء ربك وهو أجل موتك ﴿فملاقيه﴾ أى ملاق كدحك أى جزاءه من ثواب وعقاب ﴿حسابا يسيرا﴾ قالت عائشة رضى الله عنها تقرر ذنوبه ثم يتجاوز عنه ﴿وينقلب الى أهله﴾ أى الى من أعد الله له فى الجنة من نساء المؤمنين ومن الحور العين أو آل عشيرته المؤمنين ليخبرهم بخلاصه وسلامته ﴿وراء ظهره﴾ روى أنه تدخل يده من صدره حتى تخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها والظاهر من الآية أن الانسان انقسم الى هذين القسمين ﴿يدعو ثبورا﴾ يقول واثبوراه والثبور الهلاك وهو جامع لانواع المكاره ﴿انه كان فى أهله مسرورا﴾ أى فى الدنيا فرحا بطرا مترفا لايعرف الله تعالى ولا يفكر فى عاقبة الامور ﴿انه ظن أن لن يحور﴾ أى لن يرجع الى الله وهذا تكذيب بالبعث ﴿بلى﴾ ايجاب بعد النفى أى بلى ليحورن ﴿ان ربه كان به بصيرا﴾ أى لايخفى عليه أفعاله فلابد من حوره ومجازاته

لهم أجر غير ممنون﴾ * الكدح جهد النفس فى العمل حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه * قال ابن مقبل

وما الدهر إلا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

﴿وقال آخر﴾

ومضت بشاشة كل عيش صالح * وبقيت أكدح للحياة وأنصب

* حار رجع * قال الشاعر

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

الشفق الحمرة بعد مغيب الشمس حين تأتى صلاة العشاء الآخرة * قيل أصله من رقة الشئ يقال شئ شفق أى لايتماسك لرقته ومنه أشفق عليه رق قلبه والشفقة الاسم من الشفاق وكذلك الشفق * قال الشاعر

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم

وسق ضم وجمع ومنه الوسق الاصواع المجموعة وهى ستون صاعا وطعام موسوق أى مجموع وإبل مستوسقة * قال الشاعر

أن لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا

اتسق * قال الفراء اتساق القمر امتلاؤه واستواؤه ليالى البدر وهو افتعال من الوسق الذى هو الجمع يقال وسقته فاتسق ويقال أمر فلان متسق أى مجتمع على الصلاح منتظم * طبقا عن طبق حالا بعد حال والطبق ماطابق غيره واطباق الثرى ماتطابق منه ومنه قيل للغطاء الطبق * قال الأعرج ابن حابس

انى امرؤ قد حلبت الدهر أشطره * وساقنى طبق منه الى طبق

* وقال امرؤ القيس

ديمة هطلاء فيها وطف * طبق الارض تجرى وتدر

﴿اذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * واذا الأرض مدت * وألقت مافيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت * يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه * فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب الى أهله مسرورا * وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا * انه كان فى أهله مسرورا * انه ظن أن لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا *

فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون * بل الذين كفروا يكذبون * والله أعلم بما يوعون * فبشرهم بعذاب أليم * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ هذه السورة مكية وانصالها بما قبلها ظاهر * قال ابن عباس انشقت تنشق أي تتصدع بالغمام وقاله الفراء والزجاج * وقيل تنشق لهول يوم القيامة كقوله وانشقت السماء فهي يومئذ واهية * وقرأ الجمهور بسكون تاء انشقت وما بعدها وصلا ووقفا * وقرأ عبيد بن عقيل عن أبي عمرو بإشمام الكسر وقفا بعدما لم يختلف في الوصل إسكانا * قال صاحب اللوامح فهذا من التغييرات التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الإشمام بيان أن هذه التاء من علامة ترتيب الفعل للإناث ولست مما تنقلب في الأسماء فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل فمن وقف على ما في الأسماء بالتاء وذلك لغة طيء وقد حصل في المصاحف بعض التاآت على ذلك انتهى * وقال ابن خالويه إذا السماء انشقت بكسر التاء عبيد عن أبي عمرو * وقال ابن عطية وقرأ أبو عمرو وانشقت يقف على التاء كأنه يشمها شيأ من الجر وكذلك في أخواتها * قال أبو حاتم سمعت أعرابيا فصيحا في بلاد قيس يكسر هذه التاآت وهي لغة انتهى وذلك أن الفواصل قد تجرى مجرى القوافي فكما أن هذه التاء تكسر في القوافي تكسر في الفواصل ومثال كسرها في القوافي قول كثير عزة

وما أنا بالداعي لعزة بالردى * ولا شامت إن نعل عزة زلت

وكذلك باقي القصيدة وإجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مهيع معروف كقوله تعالى الظنونا والرسولا في سورة الأحزاب وحمل الوصف على حالة الوقف أيضا موجود في الفواصل وأذنت أي استمعت وسمعت أمره ونهيه وفي الحديث ما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن * وقال الشاعر

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به * وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

* وقال قعنب

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا * وما هم أذنوا من صالح دفنوا

* وقال الجحاف بن حكيم * أذنت لكم لما سمعت هريركم * وأذنها انقيادها لله تعالى حين أراد انشقاقها فعل المطيع إذا ورد عليه أمر المطاع أنصت وانقاد كقوله تعالى قالتا أتينا طائعين * وحقت قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وحق لها أن تسمع * وقال الضحاك أطاعت وحق لها أن تطيع * وقال قتادة وحق لها أن تفعل ذلك وهذا الفعل مبني للمفعول والفاعل هو الله تعالى أي وحق الله تعالى عليها الاستماع ويقال فلان محقوق بكذا وحقيق بكذا والمعنى أنه لم يكن في جرم السماء ما يمنع من تأثير القدرة في انشقاقه وتفريق أجزائه وإعدامه * قيل ويحتمل أن يريد وحق لها أن تنشق لشدة الهول وخوف الله تعالى * وقال الزمخشري وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك انتهى وفي قوله القادر الذات دسيسة الاعتزال وما أولع هذا الرجل بمذهب الاعتزال يدسه حتى أمكنه في كل ما يتكلم به * وإذا الأرض مدت * قال مجاهد سويت * وقال الضحاك بسطت باندكاك جبالها ومنه الحديث تمد الأرض مد الأديم العكاظي حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه وذلك أن الأديم إذا مد زال ما فيه من تثن وانبسط فتصير الأرض إذ ذاك كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا

﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ أقسم تعالى بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق بياض يتلو الحمرة ﴿ وما وسق ﴾ أي وما ضم من الحيوان وغيره إذ جميع ذلك ينضم ويسكن في ظلمة الليل وقال ابن عباس وما غطى عليه من الظلمة وقرئ لتركبن بضم الباء معناه أيها الناس وبفتحها أيها الإنسان ﴿ طبقا عن طبق ﴾ أي حالا بعد حال ﴿ فما لهم لا يؤمنون ﴾ تعجب من انتفاء إيمانهم وقد وضحت الدلائل ﴿ لا يسجدون ﴾ لا يتواضعون ويخضعون ﴿ بما يوعون ﴾ بما يجمعون من الكفر والتكذيب كأنهم يجعلونه في أوعية يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ أي سبق لهم في علمه أنهم يؤمنون ﴿ غير ممنون ﴾ غير مقطوع وقال ابن عباس ممنون معدد عليهم محسوب منقص بالمن

أمتا * وألقت مافيها وتخلت * قال ابن جبير والجمهور وألقت مافي بطنها من الاموات وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء * وقيل تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها * وقال الزجاج ومن الكنوز وضعف هذا بأن ذلك يكون وقت خروج الدجال وانما تلقي يوم القيامة الموتى وتخلت أي عن ما كان فيها لم تتمسك منهم بشيء وجاء تخلت أي تكلفت أقصى جهدها في الخلو كما تقول تكرم الكريم بلغ جهده في الكرم وتكلف فوق مافي طبعه ونسبة ذلك الى الأرض نسبة مجازية والله تعالى هو الذي أخرج تلك الأشياء من باطنها وجواب اذا محذوف فاما أن يقدره الذي خرج به في سورة التكوير أو الانفطار أو مادل عليه انك كادح أي لاقى كل انسان كدحه * وقال الأخفش والمبرد هو ملاقيه اذا انشقت السماء فأنت ملاقيه * وقيل يأيها الانسان على حذف الفاء تقديره فيا أيها الانسان * وقيل وأذنت على زيادة الواو وعن الأخفش اذا السماء مبتدأ خبره واذا الأرض على زيادة الواو والعامل فيها على قول الاكثرين الجواب اما المحذوف الذي قدروه واما الظاهر الذي قيل انه جواب * قال ابن عطية وقال بعض النحويين العامل انشقت وأبى ذلك كثير من أئمتهم لان اذا مضافة الى انشقت ومن يجيز ذلك تضعف عنده الاضافة ويقوى معنى الجزاء انتهى وهذا القول نحن نختاره وقد استدللنا على صحته فيما كتبناه والتقدير وقت انشقاق السماء وقت مد الارض * وقيل لاجواب لها اذ هي قد نصبت باذكر نصب المفعول به فليست شرطا * وأذنت لربها أي في القاء مافي بطنها وتخليها والانسان يراد به الجنس والتقسيم بعد ذلك يدل عليه * وقال مقاتل المراد به الاسود بن عبد الاسد بن هلال المخزومي جادل أخاه أبا سلمة في أمر البعث فقال أبو سلمة والذي خلقك لتركبن الطبقة ولتوافين العقبة * فقال الأسود فأين الأرض والسماء وماحال الناس انتهى وكان مقاتلا يريد انها نزلت في الاسود وهي تعم الجنس * وقيل المراد أبي بن خلف كان يكدح في طلب الدنيا وايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والاصرار على الكفر * وأبعد من ذهب الى انه الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده واحتمال الضرر من الكفار فأبشر فانك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضائع عنده * انك كادح أي جاهد في عملك من خير وشر الى ربك أي طول حياتك الى لقاء ربك وهو أجل موتك فملاقيه أي جزاء كدحك من ثواب وعقاب * قال ابن عطية فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها والتقدير فأنت ملاقيه ولا يتعين ماقاله بل يصح أن يكون معطوفا على كادح عطف المفردات * وقال الجمهور الضمير في ملاقيه عائد على ربك أي فلاق جزائه فاسم الفاعل معطوف على اسم الفاعل * حسابا يسيرا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يقرر ذنوبه ثم يتجاوز عنه * وقال الحسن يجازي بالحسنة ويتجاوز عن السيئة وفي الحديث من حوسب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال عليه الصلاة والسلام انما ذلك العرض وأما من نوقش الحساب فيهلك * وينقلب الى أهله أي الى من أعد الله في الجنة من نساء المؤمنات ومن الحور العين أو الى عشيرته المؤمنين فيخبرهم بخلاصه وسلامته أو الى المؤمنين اذ هم كلهم أهل ايمان * وقرأ زيد بن علي ويقلب مضارع قلب مبنيا للمفعول وراء ظهره * روى أن شماله تدخل من صدره حتى تخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها * قال ابن عطية وأما من ينفذ عليه الوعيد من عصاتهم يعني عصاة المؤمنين فانه يعطى كتابه عند خروجه من النار وقد جوز قوم أن يعطاه أولا قبل دخوله النار وهذه الآية ترد على هذا القول انتهى والظاهر من الآية

( الدر )

﴿ سورة الانشقاق ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ع ) فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام التي قبلها والتقدير فأنت ملاقيه ( ح ) لايتعين ماقاله بل يصح أن يكون معطوفا على كادح عطف المفردات

ان الانسان انقسم الى هذين القسمين ولم يتعرض للعصاة الذين يدخلهم الله النار * يدعو ثبورا يقول واثبوراه والثبور الهلاك وهو جامع لأنواع المكاره * وقرأ قتادة وأبو جعفر وعيسى وطلحة والأعمش وعاصم وأبو عمرو وحمزة ويصلى بفتح الياء مبنيا للفاعل وباقي السبعة وعمر بن عبد العزيز وأبو الشعثاء والحسن والأعرج بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة وأبو الاشهب وخارجة عن نافع وأبان عن عاصم وعيسى أيضا والعتكي وجماعة عن أبي عمرو بضم الياء ساكن الصاد مخفف اللام بنى للمفعول من المتعدي بالهمزة كأبنى ويصلى المشدد للمفعول من المتعدي بالتضعيف * انه كان في أهله مسرورا أى فرحا بطرا مترفا لا يعرف الله ولا يفكر في عاقبته لقوله تعالى لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين بخلاف المؤمن فانه حزين مكتئب يتفكر في الآخرة * انه ظن أن لن يحور أى أن لن يرجع الى الله وهذا تكذيب بالبعث * بلى ايجاب بعد النفي أى بلى ليحورن * ان ربه كان به بصيرا أى لا يخفى عليه أفعاله فلا بد من حوره ومجازاته * فلا أقسم بالشفق أقسم تعالى بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق تقدم شرحه * وقال أبو هريرة وعمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة هو البياض الذي يتلو الحمرة * وروى أسد بن عمرو ان أبا حنيفة رجع عن قوله هذا الى قول الجمهور * وقال مجاهد والضحاك وابن أبي نجيح ان الشفق هنا كأنه لما عطف عليه الليل قال ذلك * قال ابن عطية وهذا قول ضعيف انتهى وعن مجاهد هو الشمس وعن عكرمة ما بقي من النهار وما وسق ما ضم من الحيوان وغيره اذ جميع ذلك ينضم ويسكن في ظلمة الليل * وقال ابن عباس وما وسق أى ما غطى عليه من الظلمة * وقال مجاهد وما ضم من خير وشر * وقال ابن جبير وما ساق وحمل * وقال ابن بحر وما عمل فيه * ومنه قول الشاعر

فيوما ترانا صالحين وتارة * تقوم بنا كالواسق المتلبب

* وقال ابن الفضل لف كل أحد الى الله أى سكن الخلق اليه ورجع كل الى مأواه لقوله لتسكنوا فيه * وقرأ عمر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد والاسود وابن جبير ومسروق والشعبي وأبو العالية وابن وثاب وطلحة وعيسى والاخوان وابن كثير بتاء الخطاب وفتح الباء * فقيل خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أى حالا بعد حال من معالجة الكفار * وقال ابن عباس سماء بعد سماء في الاسراء * وقيل عدة بالنصر أى لتركبن أمر العرب قبيلا بعد قبيل وفتحا بعد فتح كما كان ووجد بعد ذلك * وقال الزمخشري وقرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا أيها الانسان * وقال ابن مسعود المعنى لتركبن السماء في أهوال القيامة حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر وتنشق فالتاء للتأنيث وهو اخبار عن السماء بما يحدث لها والضمير الفاعل عائد على السماء * وقرأ عمر وابن عباس أيضا بالياء من أسفل وفتح الباء على ذكر الغائب * قال ابن عباس يعني نبيكم صلى الله عليه وسلم * وقيل الضمير الغائب يعود على القمر لانه يتغير أحوالا من اسرار واستهلال وابدار * وقال الزمخشري ليركبن الانسان * وقرأ عمر وابن عباس أيضا وأبو جعفر والحسن وابن جبير وقتادة والأعمش وباقي السبعة بتاء الخطاب وضم الباء أى لتركبن أيها الانسان * وقال الزمخشري ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس فالمعنى لتركبن الشدائد الموت والبعث والحساب حالا بعد حال أو يكون الأحوال من النطفة الى الهرم كما تقول طبقة بعد طبقة * قال نحوه عكرمة * وقيل عن بمعنى بعد * وقيل المعنى لتركبن هذه الأحوال أمة بعد أمة * ومنه قول العباس بن عبد المطلب في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الأفق

تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق

* وقال مكحول وأبو عبيدة المعنى لتركبن سنن من قبلكم * وقال ابن زيد المعنى لتركبن الآخرة بعد الاولى * وقرأ عمر أيضا ليركبن بياء الغيبة وضم الباء * قيل أراد به الكفار لابيان توبيخهم بعده أي يركبون حالا بعد أخرى من المذلة والهوان في الدنيا والآخرة * وقرأ ابن مسعود وابن عباس لتركبن بكسر التاء وهي لغة تميم * قيل والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بالتاء وكسر الباء على خطاب النفس وطبق الشئ مطابقة لان كل حال مطابقة للاخرى في الشدة ويجوز أن تكون اسم جنس واحده طبقة وهي المرتبة من قولهم هم على طبقات وعن طبق في موضع الصفة لقوله طبقا أو في موضع الحال من الضمير في لتركبن وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه * فمالهم لايؤمنون تعجب من انتفاء ايمانهم وقد وضحت الدلائل لايسجدون لا يتواضعون ويخضعون قاله قتادة * وقال عكرمة لايباشرون بجباههم المصلى * وقال محمد بن كعب لايصلون * وقرأ الجمهور يكذبون مشددا والضحاك وابن أبي عبلة مخففا وبفتح الياء بما يوعون بما يجمعون من الكفر والتكذيب كأنهم يجعلونه في أوعية وعيت العلم وأوعيت المتاع قال نحوه ابن زيد * وقال ابن عباس بما تضمرون من عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين * وقال مجاهد بما يكتمون من أفعالهم * وقرأ أبو رجاء بما يعون من وعى يعي * الا الذين آمنوا أي سبق لهم في علمه أنهم يؤمنون * غير ممنون غير مقطوع * وقال ابن عباس ممنون معدد عليهم محسوب منغص بالمن وتقدم الكلام على ذلك في فصلت والله الموفق

﴿ سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شئ شهيد * إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير * إن بطش ربك لشديد * انه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد * هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود * بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾ الاخدود الخد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه * فساخت قوائمه في أخاقيق جرذان * ﴿ والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الاخدود * النار ذات الوقود * اذ هم عليها قعود

﴿ سورة البروج ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ هذه السورة مكية * ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أنه أعلم بما يجمعون للرسول والمؤمنين من المكر والخداع وإذاية من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والصلب والحرق باحماء الصخر بالشمس ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه ذكر أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم يعذبون بالنار وان أولئك الذين أعرضوا على النار كان لهم من الثبات في الايمان مامنعهم أن يرجعوا عن دينهم أو يحرفوا وان أولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذب ذات البروج قال ابن عباس هي المنازل التي عرفتها العرب وهي اثنا عشر على ماقسمته وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوما ﴿ واليوم الموعود ﴾ هو يوم القيامة أي الموعود به ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ هذان منكران وينبغي حملهما على العموم كقوله علمت نفس ما أحضرت وجواب القسم قيل محذوف وقيل لتبعثن ونحوه وقيل قتل وهذا الذي نختاره وحذفت اللام أي لقتل وحسن حذفها كما حسن في قوله والشمس وضحاها ثم قال قد أفلح من زكاها أي لقد أفلح ويكون الجواب دليلا على لعنة من فعل ذلك وطرده من رحمة الله تعالى وتنبيها لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على أنهم ملعونون بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين

* وذكر المفسرون في أصحاب الأخدود أقوالا كثيرة ومضمنها أن ناسا من الكفار خدوا أخدودا في الارض وسجروه نارا وعرضوا المؤمنين عليها فمن رجع عن دينه تركوه ومن أصر على الايمان أحرقوه وأصحاب الاخدود هم المحرقون للمؤمنين وقال الربيع وأبو العالية بعث الله على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الاخدود ﴿والله على كل شئ شهيد﴾ وعيد لهم أي انه علم ما فعلوا فهو مجازيهم والظاهر أن الذين فتنوا عام في كل من ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب وأذى وأن لهم عذابين عذابا لكفرهم وعذابا لفتنتهم ﴿ان الذين آمنوا﴾ المراد به العموم لا المطروحون في النار والبطش الأخذ بقوة ﴿يبدئ ويعيد﴾ قال ابن عباس عام في جميع الأشياء أي كل ما يبدأ وكل ما يعاد ولما ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفورا ساترا لذنوب عباده ودودا لطيفا بهم محسنا اليهم وهاتان صفتا فعل والودود مبالغة في الواد ﴿ذوا العرش﴾ خص العرش باضافته الى نفسه تشريفا للعرش وتنبيها على أنه أعظم المخلوقات وقرئ المجيد بالضم صفة لذو وبالخفض صفة للعرش ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ تقرير لحال الكفرة أي قد أتاك حديثهم وما جرى لهم مع أنبيائهم وما حل بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم فكذلك يحل بقريش من العذاب مثل ما حل بهم والجنود الجموع المعدة للقتال ﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود وكانه على حذف مضاف أي جنود فرعون ﴿بل الذين كفروا﴾ أي من قومك ﴿في تكذيب﴾ حسدا لك لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا أنبياءهم ﴿والله من ورائهم محيط﴾ أي هو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون وثمود ومن كان محاطا به فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعا والمعنى دنو هلاكهم ولما ذكر أنهم في تكذيب وأن التكذيب عمهم حتى صار كالوعاء وكانوا قد كذبوه صلى الله عليه وسلم وكذبوا ما جاء به وهو القرآن أخبر تعالى عن الذي جاء به وكذبوا به فقال ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي بل الذي كذبوا به قرآن مجيد ومجادته شرفه على سائر الكتب باعجازه في نظمه وصحة معانيه واخباره بالمغيبات وغير ذلك من محاسنه وقرئ مجيد صفة لقرآن ومحفوظ صفة للوح كما قال تعالى وانا له لحافظون أي هو محفوظ في القلوب لا يلحقه خطأ ولا تبديل

* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شئ شهيد * إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز الكبير * ان بطش ربك لشديد * انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود * ذوا العرش المجيد * فعال لما يريد * هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود * بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط * بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾ هذه السورة مكية * ومناسبتها لما قبلها لما ذكر أنه تعالى أعلم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من المكر والخداع واذاية من أسلم بأنواع من الاذى كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس واحماء الصخر ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه ذكر أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم يعذبون بالنار وأن أولئك الذين أعرضوا على النار كان لهم من الثبات في الايمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم أو يحرموا وأن أولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذب * ذات البروج * قال ابن عباس والجمهور هي المنازل التي عرفتها العرب وهي اثنا عشر على ما قسمته وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوما * وقال عكرمة والحسن ومجاهد هي القصور * وقال الحسن ومجاهد أيضا هي النجوم * وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها * وقيل هي أبواب السماء وقد تقدم ذكر البروج في سورة الحجر * واليوم الموعود هو يوم القيامة أي الموعود به وشاهد ومشهود هذان منكران وينبغي حملهما على العموم لقوله علمت نفس ما أحضرت وان كان اللفظ لا يقتضيه لكن المعنى يقتضيه اذ لا يقسم بنكرة ولا يدرى من هي فاذا لوحظ فيهما معنى العموم اندرج فيهما المعرفة فحسن القسم وكذا ينبغي أن يحمل ما جاء من هذا النوع نكرة كقوله والطور وكتاب مسطور ولانه اذا حمل وكتاب مسطور على العموم دخل فيه معينا الكتب الالهية كالتوراة والانجيل والقرآن فحسن اذ ذاك القسم به ولما ذكر واليوم الموعود وهو يوم القيامة باتفاق وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ناسب أن يكون المقسم به من يشهد في ذلك اليوم ومن يشهد عليه

ان كان ذلك من الشهادة وان كان من الحضور فالشاهد الخلائق الحاضرون للحساب والمشهود اليوم كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود كان موعودا به فصار مشهودا وقد اختلفت أقوال المفسرين في تعيينهما وعن ابن عباس الشاهد الله تعالى وعنه وعن الحسن بن علي وعكرمة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد وعكرمة وعطاء بن يسار آدم عليه السلام وذريته وعن ابن عباس أيضا والحسن الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة وفي كل قول منها المشهود يوم القيامة وعن علي وابن عباس وأبي هريرة والحسن وابن المسيب وقتادة وشاهد يوم الجمعة وعن ابن المسيب يوم التروية وعن علي أيضا يوم القيامة وعن النخعي يوم الاضحى ومشهود في هذه الاقوال يوم عرفة وعن ابن عمر يوم الجمعة ومشهود يوم النحر وعن جابر يوم الجمعة ومشهود الناس وعن محمد بن كعب ابن آدم ومشهود الله تعالى وعن ابن جبير عكس هذا وعن أبي مالك عيسى ومشهود أمته وعن علي يوم عرفة ومشهود يوم النحر وعن الترمذي الحكيم الحفظة ومشهود عليهم الناس وعن عبد العزيز بن يحيي محمد صلى الله عليه وسلم ومشهود عليه أمته وعنه الأنبياء ومشهود أممهم وعن ابن جبير ومقاتل الجوارح يوم القيامة ومشهود أصحابها * وقيل هما يوم الاثنين ويوم الجمعة * وقيل الملائكة المتعاقبون وقرآن الفجر * وقيل النجم والليل والنهار * وقيل الله والملائكة وأولو العلم ومشهود به الوحدانية وان الدين عند الله الاسلام * وقيل مخلوقاته تعالى ومشهود به وحدانيته * وقيل هما الحجر الاسود والحجيج * وقيل الليالي والأيام وبنو آدم * وقيل الأنبياء ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذه أقوال سبعة وعشرون لكل منها متمسك وللصوفية أقوال غير هذه والظاهر ما قلناه أولا وجواب القسم قيل محذوف فقيل لتبعثن ونحوه * وقال الزمخشري يدل عليه قتل أصحاب الأخدود * وقيل الجواب مذكور فقيل ان الذين فتنوا * وقال المبرد ان بطش ربك لشديد * وقيل قتل وهذا نختاره وحذفت اللام أي لقتل وحسن حذفها كما حسن في قوله والشمس وضحاها ثم قال قد أفلح من زكاها أي لقد أفلح من زكاها ويكون الجواب دليلا على لعنة الله على من فعل ذلك وطرده من رحمة الله وتنبيها لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على أنهم ملعونون بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين واذا كان قتل جوابا للقسم فهي جملة خبرية وقيل دعاء فيكون الجواب غيرها * وقرأ الحسن وابن مقسم بالتشديد * والجمهور بالتخفيف وذكر المفسرون في أصحاب الأخدود أقوالا فوق العشرة ولكل قول منها قصة طويلة كسلنا عن كتابتها في كتابنا هذا ومضمنها أن ناسا من الكفار خدوا أخدودا في الأرض وسجروه نارا وعرضوا المؤمنين عليها فمن رجع عن دينه تركوه ومن أصر على الايمان أحرقوه وأصحاب الأخدود هم المحرقون للمؤمنين * وقال الربيع وأبو العالية وابن اسحق بعث الله على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم أو نحو هذا وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الأخدود فعلى هذا يكون القتل حقيقة لا بمعنى اللعن ويكون خبرا عن ما فعله الله بالكفار والذين أرادوا أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم * وقول هؤلاء مخالف لقول الجمهور ولما دل عليه القصص الذي ذكروه * وقرأ الجمهور النار بالجر وهو بدل اشتمال أو بدل كل من كل على تقدير محذوف أي أخدود النار * وقرأ قوم النار بالرفع * قيل على معنى قتلهم ويكون أصحاب الأخدود إذ ذاك المؤمنين وقتل على حقيقته * وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة وعيسى الوقود بضم الواو وهو مصدر والجمهور بفتحها وهو ما يوقد به * وقد حكى

سيبويه أنه بالفتح أيضا مصدر كالضم والظاهر أن الضمير في إذهم عائد على الذين يحرقون المؤمنين وكذلك في وهم على قول الربيع يعود على الكافرين ويكون هم أيضا عائدا عليهم ويكون معنى على ما يفعلون ما يريدون من فعلهم بالمؤمنين * وقيل أصحاب الأخدود محرق وتم الكلام عند قوله ذات الوقود ويكون المراد بقوله وهم قريش الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات واذا العامل فيه قتل أي لعنوا وقعدوا على النار أو على ما يدنو منها من حافات الأخدود كما قال الأعشى

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك أي لم يفرط فيما أمر به أو شهود يوم القيامة على ما فعلوا بالمؤمنين يوم تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم * وقرأ الجمهور نقموا بفتح القاف وزيد بن علي وأبو حيوة وابن أبي عبلة بكسرها أي ما عابوا ولا أنكروا الايمان كقوله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وكقول قيس الرقيات

مانقموا من بني أمية إلا * أنهم يحلمون ان غضبوا

جعلوا ما هو في غاية الحسن قبيحا حتى نقموا عليه كما قال الشاعر

ولا عيب فيها غير شكلة عينها * كذاك عتاق الطير شكلا عيونها

وفي المنتخب انما قال إلا أن يؤمنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قال إلا أن يدوموا على إيمانهم انتهى وذكر الأوصاف التي يستحق بها تعالى أن يؤمن به وهو كونه تعالى عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته له ملك السموات والأرض وكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي * والله على كل شيء شهيد وعيد لهم أي انه علم ما فعلوا فهو يجازيهم والظاهر أن الذين فتنوا عام في كل من ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب أو أذى وأن لهم عذابين عذابا لكفرهم وعذابا لفتنتهم * وقال الزمخشري يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق أو لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم انتهى وينبغي أن لا يجوز هذا الذي جوزه لان في الآية ثم لم يتوبوا وأولئك المحرقون لم ينقل لنا ان أحدا منهم تاب بل الظاهر أنهم لم يلعنوا إلا وهم قد ماتوا على الكفر * وقال ابن عطية ثم لم يتوبوا يقوى أن الآيات في قريش لان هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك الذين قد علموا أنهم ماتوا على كفرهم وأما قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تاب وآمن انتهى وكذلك قوله ان الذين آمنوا المراد به العموم لا المطروحون في النار والبطش الأخذ بقوة * يبدئ ويعيد قال ابن زيد والضحاك يبدئ الخلق بالانشاء ويعيده بالحشر * وقال ابن عباس عام في جميع الأشياء أي كل ما يبدأ وكل ما يعاد * وقال الطبري يبدئ العذاب ويعيده على الكفار ونحوه عن ابن عباس قال تأكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا * وقرئ يبدأ من بدأ ثلاثيا حكاه أبو زيد ولما ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفورا ساترا لذنوب عباده ودودا لطيفا بهم محسنا اليهم وهاتان صفتا فعل والظاهر أن الودود مبالغة في الواد وعن ابن عباس المتودد الى عباده بالمغفرة * وحكى المبرد عن القاضي اسماعيل بن اسحق أن الودود هو الذي لا ولد له وأنشد

﴿ سورة البروج ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق أو لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم انتهى (ح) ينبغي أن لا يجوز هذا الذي جوزه لان في الآية ثم لم يتوبوا وأولئك المحرقون لم ينقل لنا أن أحدا منهم تاب بل الظاهر انهم لم يلعنوا الا وهم قد ماتوا على الكفر قال (ع) ثم لم يتوبوا يقوى أن الآيات في قريش لان هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك الذين قد علموا أنهم ماتوا على كفرهم وأما قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تاب وآمن انتهى

وأركب في الروع عريانة * ذلول الجاع لقاحا ودودا

أي لا ولد لها تحن اليه * وقيل الودود فعول بمعنى مفعول كركوب وحلوب أي يوده عباده الصالحون * ذو العرش خص العرش باضافة نفسه تشريفا للعرش وتنبيها على أنه أعظم المخلوقات * وقرأ الجمهور ذو بالواو وابن عامر في رواية ذي بالياء صفة لربك * وقال القفال ذو العرش ذو الملك والسلطان ويجوز أن يراد بالعرش السرير العالي ويكون خلق سريرا في سمائه في غاية العظمة بحيث لا يعرف عظمته إلا هو ومن يطلعه عليه انتهى * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وابن وثاب والأعمش والمفضل عن عاصم والأخوان المجيد بخفض الدال صفة للعرش ومجادته عظمه وعلوه ومقداره وحسن صورته وتركيبه فانه قيل العرش أحسن الأجسام صورة وتركيبا ومن قرأ ذي العرش بالياء جاز أن يكون المجيد بالخفض صفة لذي والأحسن جعل هذه المرفوعات أخبارا عن هو فيكون فعال خبرا ويجوز أن يكون الودود ذو العرش صفتين للغفور وفعال خبر مبتدأ وأتى بصيغة فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة والمعنى أن كل ما تعلقت به إرادته فعله لا معترض عليه * هل أتاك حديث الجنود تقرير لحال الكفرة أي قد أتاك حديثهم وما جرى لهم مع أنبيائهم وما حل بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم فكذلك يحل بقريش من العذاب مثل ما حل بهم * والجنود الجموع المعدة للقتال * فرعون وثمود بدل من الجنود وكأنه على حذف مضاف أي جنود فرعون واختصر ما جرى لهم إذ هم مذكورون في غير ما سورة من القرآن وذكر ثمود لشهرة قصتهم في بلاد العرب وهي متقدمة وذكر فرعون لشهرة قصته عند أهل الكتاب وعند العرب الجاهلية أيضا * ألا ترى الى زهير بن أبي سلمى وقوله

ألم تر أن الله أهلك تبعا * وأهلك لقمان بن عاد وعاديا

وأهلك ذا القرنين من قبل ما نرى * وفرعون جبارا طغى والنجاشيا

وكان فرعون من المتأخرين في الهلاك فدل بقصته وقصة ثمود على أمثالهما من قصص الأمم المكذبين وهلاكهم * بل الذين كفروا أي من قومك في تكذيب حسد الله لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا أنبياءهم * والله من ورائهم محيط أي هو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون وثمود ومن كان محاطا به فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعا والمعنى دنو هلاكهم ولما ذكر انهم في تكذيب وأن التكذيب عمهم حتى صار كالوعاء لهم وكان صلى الله عليه وسلم قد كذبوه وكذبوا ما جاء به وهو القرآن أخبر تعالى عن الذي جاء به وكذبوا فقال بل هو قرآن أي بل الذي كذبوا به قرآن مجيد ومجادته شرفه على سائر الكتب باعجازه في نظمه وصحة معانيه واخباره بالمغيبات وغير ذلك في محاسنه * وقرأ الجمهور قرآن مجيد موصوف وصفة * وقرأ ابن السميقع قرآن مجيد بالاضافة قال ابن خالويه سمعت ابن الانباري يقول معناه بل هو قرآن رب مجيد كما قال الشاعر

* ولكن الغنى رب غفور * معناه ولكن الغنى غنى رب غفور انتهى وعلى هذا أخرجه الزمخشري * وقال ابن عطية وقرأ اليماني قرآن مجيد على الاضافة وأن يكون الله تعالى هو المجيد انتهى ويجوز أن يكون من باب اضافة الموصوف لصفته فيكون مدلوله ومدلول التنوين ورفع مجيد واحدا وهذا أولى لتوافق القراءتين * وقرأ الجمهور في لوح بفتح اللام محفوظ بالخفض صفة للوح واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الأشياء * وقرأ ابن يعمر وابن السميقع بضم اللام قال ابن خالويه اللوح الهواء * وقال الزمخشري يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح

( الدر )

(ع) وقرأ اليماني قرآن مجيد على الاضافة وان يكون الله تعالى هو المجيد انتهى (ح) ويجوز أن يكون من باب اضافة الموصوف لصفته فيكون مدلوله ومدلول التنوين ورفع مجيد واحدا وهذا أولى لتوافق القراءتين

﴿سورة الطارق﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿والسماء والطارق﴾ الآية هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن نبه هنا على حقارة الانسان ثم استطرد منه الى أن هذا القرآن قول فصل جد لا هزل فيه ولا باطل يأتيه ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بامهال أولئك  الكفرة المكذبين وهي آية موادعة منسوخة بآية السيف والسماء هي السماء المعروفة والطارق هو الآتي ليلا أي يظهر بالليل أتى بالطارق مقسما به وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب اظهارا لفخامة ما أقسم به والنجم الثاقب قال ابن عباس هو الجدي ﴿ان كل نفس﴾ ان هي المخففة من الثقيلة وما زائدة وحافظ خبر كل وعليها متعلق به وعند الكوفيين أن نافية واللام بمعنى الا وما زائدة وكل وحافظ مبتدأ وخبر والظاهر عموم كل نفس ولما ذكر ان كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر في أول نشأته الاولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته وم خلق استفهام ومن متعلقة بخلق والجملة في موضع نصب بفلينظر وهي معلقة وجواب الاستفهام ما بعده وهو خلق من ماء دافق وهو مني الرجل والمرأة لما امتزجا في الرحم واتحدا عبر عنهما وهو مفرد ودافق بمعنى مدفوق ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أي تختبر والسرائر ما أكنته القلوب من العقائد والنيات وما أخفته الجوارح من الاعمال والظاهر عموم السرائر ولما كان الامتناع في الدنيا إما بقوة في الانسان وإما بناصر خارج عن نفسه نفى عنه تعالى ما يمتنع به وأتى بمن الدالة على العموم في نفي القوة والناصر

---

المحفوظ من وصول الشياطين اليه انتهى * وقرأ الأعرج وزيد بن علي وابن محيصن ونافع بخلاف عنه محفوظ بالرفع صفة للقرآن كما قال تعالى وإنا له لحافظون أي هو محفوظ في القلوب لا يلحقه خطأ ولا تبديل

﴿سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب * إن كل نفس لما عليها حافظ * فلينظر الانسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر * والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع * إنه لقول فصل * وما هو بالهزل * إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ طرق يطرق طروقا أي ليلا قال امرؤ القيس

* ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا * وأصله الضرب لان الطارق يطرق الباب ومنه المطرقة وهي المبيعة واتسع فيه فكل ما جاء بليل يسمى طارقا ويقال أطرق فلان أمسك عن الكلام وأطرق بعينيه رمى بهما نحو الأرض * دفق الماء يدفقه دفقا صبه وماء دافق على النسب ويقال دفق الله روحه اذا دعا عليه بالموت * التريبة موضع القلادة من الصدر * قال امرؤ القيس

مهفهفة بيضاء غير مفاضة * ترائبها مصقولة كالسجنجل

جمعها بما حولها فقال ترائبها وقال الشاعر

والزعفران على ترائبها * شرقت به اللبات والنحر

وقال أبو عبيدة وجمع تريبة تريب * قال المثقب العبدي

ومن ذهب يبين على تريب * كلون العاج ليس بذي غضون

الهزل ضد الجد وقال الكميت * تجد بنا في كل يوم ونهزل * أمهلت الرجل انتظرته والمهل والمهلة السكينة ومهلته أيضا تمهيلا وتمهل في أمره اتأد واستمهلته انتظرته ويقال مهلا أي رفقا وسكونا * رويدا مصدر أرود يرود مصغر تصغير الترخيم وأصله إروادا * وقيل هو تصغير رود من قوله يمشي على رود أي مهل ويستعمل مصدرا نحو رويد عمرو بالاضافة أي امهال عمرو كقوله فضرب الرقاب ونعتا لمصدر نحو سار وا سيرا رويدا وحالا نحو سار القوم رويدا ويكون اسم فعل وهذا كله موضح في علم النحو والله تعالى أعلم ﴿والسماء والطارق * وما أدراك ما الطارق * النجم الثاقب * إن كل نفس لما عليها حافظ * فلينظر الانسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر *﴾

﴿ والسماء ﴾ أقسم ثانيا بالسماء وهي المظلة ﴿ ذات الرجع ﴾ قال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر والصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات والضمير في إنه عائد على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الانسان يوم القيامة وابتلاء سرائره أي ان ذلك لقول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه فيكون الضمير  فقد عاد على مذكور وهو الكلام الذي تضمن الاخبار عن البعث وليس من الاخبار التي فيها هزل بل هو جد كله ﴿ إنهم ﴾ أي الكافرين ﴿ يكيدون ﴾ أي من ابطال أمر الله تعالى واطفاء نور الحق ﴿ وأكيد ﴾ أي أجازيهم على كيدهم فسمي الجزاء كيدا على سبيل المقابلة نحو قوله ومكروا ومكر الله ثم أمره عليه السلام فقال ﴿ فمهل الكافرين ﴾ أي انتظر عقوبتهم ولا تستعجل ذلك ثم أكد أمره فقال ﴿ أمهلهم رويدا ﴾ مصدر أرود يرود مصغر تصغير الترخيم اذ اصله ارواد وقيل هو تصغير رود من قول الشاعر

يكاد لا تثلم البطحاء وطأته * كأنه ثمل يمشي على رود

أي على مهل ويستعمل مصدرا نحو رويد عمرو بالاضافة أي امهال عمرو ونعتا لمصدر نحو ساروا سيرا رويدا وحالا نحو سار القوم رويدا ويكون اسم فعل بمعنى أمهل * قال الشاعر

رويدا بني شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلي على سفوان

سفوان موضع ونصب بعض برويدا اسم الفعل فسيحيط بهم العذاب كما كان في يوم بدر وغيره لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين على أن الاول مطلق والثاني مقيد بقوله رويدا

---

والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع * إنه لقول فصل * وما هو بالهزل * إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا * فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن نبه هنا على حقارة الانسان ثم استطرد منه الى أن هذا القرآن قول فصل جد لا هزل فيه ولا باطل يأتيه ثم أمر نبيه بامهال هؤلاء الكفرة المكذبين وهي آية موادعة منسوخة بآية السيف والسماء هي المعروفة قاله الجمهور * وقيل السماء هنا المطر والطارق هو الآتي ليلا أي يظهر بالليل * وقيل لانه يطرق الجني أي يصكه من طرقت الباب اذا ضربته ليفتح لك أي بالطارق مفخما به وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب اظهار الفخامة ما أقسم به لما علم فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وتنبيها على ذلك كما قال تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم * وقال ابن عطية معنى الآية والسماء وجميع ما يطرق فيه من الأمور والمخلوقات ثم ذكر بعد ذلك على جهة التنبيه أجل الطارقات قدرا وهو النجم الثاقب وكأنه قال وما أدراك ما الطارق حق الطارق انتهى فعلى هذا يكون النجم الثاقب بعض ما دل عليه والطارق إذ هو اسم جنس يراد به جميع الطوارق وعلى قول غيره يراد به واحد فسر بالنجم الثاقب والنجم الثاقب عند ابن عباس الجدي وعند ابن زيد زحل * وقال هو أيضا وغيره الثريا وهو الذي تطلق عليه العرب اسم النجم وقال علي نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم رجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد * وقال الحسن هو اسم جنس لانها كلها ثواقب أي ظاهرة الضوء * وقيل المراد جنس النجوم التي يرمى بها ويرجم * والثاقب قيل المضيء يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة أضاء أي يثقب الظلام بضوئه وقيل المرتفع العالي ولذلك قيل هو زحل لانه أرفعها مكانا * وقال الفراء ثقب الطائر ارتفع وعلا وقرأ الجمهور ان خفيفة كل رفعا لما خفيفة فهي عند البصريين مخففة من الثقيلة وكل مبتدأ واللام هي الداخلة للفرق بين ان النافية وان المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدا وعليها متعلق به وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا وما زائدة وكل وحافظ مبتدا وخبر والترجيح بين المذهبين مذكور في علم النحو * وقرأ الحسن والأعرج وقتادة وعاصم وابن عامر وحمزة وأبو عمرو ونافع بخلاف عنهما لما مشددة وهي بمعنى الا لغة مشهورة في هذيل وغيرهم تقول العرب أقسمت عليك لما فعلت كذا أي الا فعلت قاله الأخفش فعلى هذه القراءة يتعين أن تكون نافية أي ما كل نفس الا عليها حافظ * وحكى هرون أنه قرئ ان بالتشديد كل بالنصب فاللام هي الداخلة في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر ان وجواب القسم هو ما دخلت عليه ان سواء كانت المخففة أو المشددة أو النافية لان كلا منها يتلقى به القسم فتلقيه بالمشددة مشهور وبالمخففة تالله ان كدت لتردين وبالنافية ولئن زالتا ان أمسكهما * وقيل جواب القسم انه على رجعه لقادر وما بينهما اعتراض والظاهر عموم كل

نفس * وقال ابن سيرين وقتادة وغيرهما ان كل نفس مكلفة عليها حافظ يحصي أعمالها ويعدها للجزاء عليها فيكون في الآية وعيد وزاجر وما بعد ذلك يدل عليه * وقيل حفظة من الله يذبون عنها ولو وكل المرء الى نفسه لاختطفته الغير والشياطين * وقال الكلبي والفراء حافظ من الله يحفظها حتى يسلمها الى المقادير * وقيل الحافظ العقل يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره * وقيل حافظ مهيمن ورقيب عليه وهو الله تعالى ولما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر في أول نشأته الاولى حتى يعلم ان من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته ومم خلق استفهام ومن متعلقة بخلق والجملة في موضع نصب بفلينظر وهي معلقة وجواب الاستفهام ما بعده وهو خلق من ماء دافق وهو مني الرجل والمرأة لما امتزجا في الرحم واتحدا عبر عنهما بماء وهو مفرد ودافق قيل هو بمعنى مدفوق وهي قراءة زيد بن علي وعند الخليل وسيبويه هو على النسب كلابن وتامر أي ذي دفق وعن ابن عباس بمعنى دافق لزج وكأنه أطلق عليه وصفه لانه موضوع في اللغة لذلك والدفق الصب فعله متعد * وقال ابن عطية والدفق دفع الماء بعضه ببعض تدفق الوادي والسيل اذا جاء يركب بعضه بعضا ويصح أن يكون الماء دافقا لان بعضه يدفع بعضا فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى وركب قوله هذا على تدفق وتدفق لازم دفقته فتدفق نحو كسرته فتكسر ودفق ليس في اللغة معناه ما فسره من قوله والدفق دفع الماء بعضه ببعض بل المحفوظ انه الصب * وقرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل من بين الصلب بضم الصاد وسكون اللام وابن أبي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول وهما وأهل مكة وعيسى بضم الصاد واللام واليماني بفتحهما قال العجاج * في صلب مثل العنان المؤدم * وتقدمت اللغات في الصلب في سورة النساء واعرابها صالب كما قال العباس * تنقل من صالب الى رحم * قال قتادة والحسن معناه من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة وترائبه * وقال سفيان وقتادة أيضا من بين صلب الرجل وترائب المرأة وتقدم شرح الترائب في المفردات * وقال ابن عباس موضع القلادة وعن ابن جبير هي أضلاع الرجل التي أسفل الصلب * وقيل ما بين المنكبين والصدر * وقيل هي التراقي وعن معمر هي عصارة القلب ومنه يكون الولد ونقل مكي عن ابن عباس أن الترائب أطراف المرء رجلاه ويداه وعيناه * قال ابن عطية وفي هذه الأحوال تحكم على اللغة انتهى * انه الضمير يعود على الخالق الدال عليه خلق * على رجعه قال ابن عباس وقتادة الضمير في رجعه عائد على الانسان أي على رده حيا بعد موته أي من انشأه أولا قادر على بعثه يوم القيامة لا يعجزه شئ * وقال الضحاك على رده من الكبر الى الشباب * وقال عكرمة ومجاهد الضمير عائد على الماء أي على رد الماء في الاحليل أو في الصلب وعلى هذا القول وقول الضحاك يكون العامل في يوم تبلى مضمر تقديره اذكر وعلى قول ابن عباس وهو الاظهر فقال بعض النحاة العامل ناصر من قوله ولا ناصر وهذا فاسد لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وكذلك ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها على المشهور المنصور * وقال آخرون ومنهم الزمخشري العامل رجعه ورد بأن فيه فصلا بين الموصول ومتعلقه وهو من تمام الصلة ولا يجوز * وقال الحذاق من النحاة العامل فيه مضمر يدل عليه المصدر تقديره يرجعه يوم تبلى السرائر * قال ابن عطية وكل هذه الفرق فرت من أن يكون العامل لقادر لانه يظهر من ذلك تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب جاز أن يكون العامل لقادر وذلك انه قال انه على رجعه لقادر على الاطلاق أولا وآخرا وفي كل وقت ثم ذكر تعالى

---

( الدر )

﴿ سورة الطارق ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

( ع ) والدفق دفع الماء بعضه ببعض تدفق الوادي والسيل اذا جاء يركب بعضه بعضا ويصح أن يكون الماء دافقا لان بعضه يدفع بعضا فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى ( ح ) ركب قوله هذا على تدفق وتدفق لازم دفقته فتدفق نحو كسرته فتكسر ودفق ليس في اللغة معناه ما فسره من قوله والدفق دفع الماء بعضه ببعض بل المحفوظ انه الصب

وخصص من الأوقات الوقت الأهم على الكفار لانه وقت الجزاء والوصول الى العذاب ليجتمع الناس الى حذره والخوف منه انتهى * تبلى قيل تختبر * وقيل تعرف وتتصفح وتميز صالحها من فاسدها والسرائر ما أكنته القلوب من العقائد والنيات وما أخفته الجوارح من الأعمال والظاهر عموم السرائر وفي الحديث انها التوحيد والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة وكان المذكور في الحديث هو أعظم السرائر * وسمع الحسن من ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

* فقال ما أغفله عما في السماء والطارق والبيت للأحوص * ولما كان الامتناع في الدنيا اما بقوة في الانسان واما بناصر خارج عن نفسه نفى عنه تعالى ما يمتنع به وأتى بمن الدالة على العموم في نفي القوة والناصر * والسماء أقسم ثانيا بالسماء وهي المظلة * قيل ويحتمل أن يكون السحاب * ذات الرجع قال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر * وقال الحسن ترجع بالرزق كل عام * وقال ابن زيد الرجع مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من حال الى حال ومن منزلة الى منزلة تذهب وترجع * وقيل الرجع المطر * ومنه قول الهذلي

أبيض كالرجع رسوب اذا * ما ناح في محتفل يختلي

يصف سيفا شبهه بماء المطر في بياضه وصفائه وسمي رجعا كما سمي أوبا قال الشاعر

ربا شمالا يأوى لقلتها * الا السحاب والا الأوب والسبل

تسمية بمصدر آب ورجع تزعم العرب ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض اذا أرادوا التفاؤل وسموه رجعا وأوبا ليرجع ويؤب * وقيل لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء * كالرجع في المدجنة السارية * وقيل الرجع الملائكة سموا بذلك لرجوعهم بأعمال العباد * وقيل السحاب والمشهور عند أهل اللغة وقول الجمهور أن الرجع هو المطر والصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات ويناسب قول من قال الرجع المطر * وقال ابن زيد ذات الانشقاق النبات * وقال أيضا ذات الحرث * وقال مجاهد الصدع ما في الارض من شقاق وأصاب وخندق وتشقق بحرث وغيره وهي أمور فيها معتبر وعنه أيضا ذات الطرق تصدعها المشاة * وقيل ذات الأموات لانصداعها عنهم يوم النشور والضمير في انه قالوا عائد على القرآن * فصل أي فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان * وأقول ويجوز أن يعود الضمير في انه على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الانسان يوم القيامة وابتلاء سرائره أي ان ذلك القول قول جزم مطابق للواقع لاهزل فيه ويكون الضمير قد عاد على مذكور وهو الكلام الذي تضمن الاخبار عن البعث وليس من الأخبار التي فيها هزل بل هو جد كله * انهم أي الكافرون يكيدون أي في ابطال أمر الله واطفاء نور الحق وأكيد أي أجازيهم على كيدهم فسمى الجزاء كيدا على سبيل المقابلة نحو قوله تعالى ومكروا ومكر الله إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال أمهلهم رويدا أي انتظار عقوبتهم ولا تستعجل ذلك ثم أكد أمره فقال أمهلهم رويدا أي إمهالا لما كرر الأمر توكيدا خالف بين اللفظين على ان الأول مطلق وهذا الثاني مقيد بقوله رويدا * وقرأ ابن عباس مهلهم بفتح الميم وشد الهاء موافقة للفظ الأمر الأول

﴿ سورة الاعلى ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ سبح اسم ربك الاعلى ﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها فلينظر الانسان مم خلق كان فيه لافتا من خلقه على هذا المثال فقال سبح اسم ربك وأينما قال الأعلى انه لقول فصل قيل هو سنقرئك أى ذلك القول الفصل وسبح نزه عن النقائص اسم ربك الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم أى نزهه عن أن يسمى به صنم أو وثن فيقال له رب أو اله واذا كان قد أمر بتنزيه اللفظ أن يطلق على غيره فهو أبلغ وتنزيه الذات أحرى وقيل الاسم هنا بمعنى المسمى قيل لما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت والاظهر ان الاعلى صفة لربك ﴿ الذى ﴾ صفة أيضا ﴿ خلق ﴾ أى كل شئ ﴿ فسوى ﴾ أى لم يأت متفاوتا بل متناسبا على إحكام واتقان دلالة على أنه صادر عن عالم  حكيم وهذا عام لجميع المخلوقات والمرعى النبات الذى يرعى والغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش والنبات وغير ذلك والاحوى السواد المائل الى الخضرة ولما تغايرت الصفات وتباينت أتى لكل صلة بموصول وعطف على كل صلة ما يترتب عليها فجاء الموصول الاول الذى خلق فسوى والثانى الذى قدر فهدى والثالث الذى أخرج المرعى فجعله غثاء فأحوى حال من المرعى وأخر لكونه فاصلة ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ هذا فى معنى لاتحرك به لسانك وعده الله أن يقرئه وأخبره أنه لاينسى نسيانا لا يكون بعده ذكر اذ كان يحرك شفتيه مبادرة خوفا من أن ينسى وهذه آية للرسول



صلى الله عليه وسلم فى أنه أمى وحفظ الله عليه الوحى وأمنه من نسيانه ﴿ الا ما شاء الله ﴾ الظاهر أنه استثناء مقصود ومعناه مما قضى الله تعالى بنسخه وأن ترتفع تلاوته وحكمه ﴿ إنه يعلم الجهر ﴾ أى جهرك بالقرآن ﴿ وما يخفى ﴾ أى فى نفسك من خوف التفلت وقد كفاك ذلك بكونه تكفل باقرائك اياه واخباره انك لاتنسى الا ما استثناه وتضمن ذلك احاطة علمه تعالى بالاشياء ﴿ ونيسرك ﴾ معطوف على سنقرئك وما بينهما من الجملة المؤكدة اعتراض أى نوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى فى حفظ الوحى ولما أخبر أنه يقرئه ويسر أمره بالتذكير اذ ثمرة الاقراء هى انتفاعه فى ذاته وانتفاع من أرسل اليهم والظاهر أن الامر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى وهذا الشرط انما جىء به توبيخا لقريش أى ان نفعت الذكرى فى هؤلاء الطغاة العتاة ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى ﴿ سيذكر من يخشى ﴾ أى يتذكر بذا كر

﴿ سورة الأعلى مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى * والذى أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى * سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى * ونيسرك لليسرى * فذكر إن نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى * ويتجنبها الأشقى * الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى * قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف ابراهيم وموسى ﴾ * الغثاء مخفف الثاء ومشددها ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش والنبات والقماش * قال الشاعر

كأن طميات المجيمر غدوة * من السيل والغثاء فلكة مغزل

ورواه الفراء والاغثاء على الجمع وهو غريب من حيث جمع فعال على أفعال * الحوة سواد يضرب الى الخضرة * قال ذو الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب

* وقيل خضرة عليها سواد والأحوى الظبى الذى فى ظهره خطان من سواد وبياض * قال الشاعر

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن * مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد

وفى الصحاح الحوة سمرة * وقال الأعلم لون يضرب الى السواد * وقال أيضا الشديد الخضرة التى تضرب الى السواد ﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوى * والذى قدر فهدى * والذى أخرج المرعى * فجعله غثاء أحوى * سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى * ونيسرك لليسرى * فذكر إن نفعت الذكرى * سيذكر من يخشى *

﴿ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى * قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى * إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها فلينظر الانسان مم خلق كأن قائلا قال من خالقه على هذا المثال فقيل سبح اسم ربك وأيضا لما قال إنه لقول فصل قيل هو سنقرئك أي ذلك القول الفصل * سبح نزه عن النقائص اسم ربك الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم أي نزهه عن أن يسمى به صنم أو وثن فيقال له رب أو إله واذا كان قد أمر بتنزيه اللفظ أن يطلق على غيره فهو أبلغ وتنزيه الذات أحرى * وقيل الاسم هنا بمعنى المسمى * وقيل معناه نزه اسم الله عن أن تذكره إلا وأنت خاشع * وقال ابن عباس المعنى صل باسم ربك الأعلى كما تقول ابدأ باسم ربك وحذف حرف الجر * وقيل لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت قالوا الأعلى يصح أن يكون صفة لربك وأن يكون صفة لاسم فيكون منصوبا وهذا الوجه لا يصح أن يعرب الذي خلق صفة لربك فيكون في موضع جر لانه قد حالت بينه وبين الموصوف صفة لغيره لو قلت رأيت غلام هند العاقل الحسنة لم يجز بل لا بد أن تأتي بصفة هند ثم تأتي بصفة الغلام فتقول رأيت غلام هند الحسنة العاقل فان لم يجعل الذي صفة لربك بل يرفعه على انه خبر مبتدأ محذوف أو تنصبه على المدح جاز أن يكون الأعلى صفة لاسم * الذي خلق أي كل شيء فسوى أي لم يأت متفاوتا بل متناسبا على إحكام واتقان دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم * وقرأ الجمهور قدر بشد الدال فاحتمل أن يكون من القدر والقضاء واحتمل أن يكون من التقدير والموازنة بين الأشياء * وقال الزمخشري قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به انتهى * وقرأ الكسائي قدر بخفف الدال من القدرة أو من التقدير والموازنة وهدى عام لجميع الهدايات * وقال الفراء فهدى وأضل اكتفى بالواحدة عن الأخرى * وقال الكلبي ومقاتل هدى الحيوان الى وطء الذكور للاناث * وقال مجاهد هدى الانسان للخير والشر والبهائم للمراتع * وقيل هدى المولود عند وضعه الى مص الثدي وهذه الأقوال محمولة على التمثيل لا على التخصيص والظاهر أن أحوى صفة لغثاء * قال ابن عباس المعنى فجعله غثاء أحوى أي أسود لان الغثاء اذا قدم وأصابته الأمطار اسود وتعفن فصار أحوى * وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرج المرعى أحوى أي للسواد من شدة خضرته ونضارته لكثرة ريه وحسن تأخير أحوى لأجل الفواصل * قال

وغيث من الوسمي حو تلاعه * تبطنته بشيظم صلتان

سنقرئك فلا تنسى * قال الحسن وقتادة ومالك هذا في معنى لا تحرك به لسانك وعده الله أن يقرئه وأخبره انه لا ينسى وهذه آية للرسول صلى الله عليه وسلم في انه أمي وحفظ الله عليه الوحي وأمنه من نسيانه * وقيل هذا وعد باقراء السور وأمره أن لا ينسى على معنى التثبيت والتأكيد وقد علم أن النسيان ليس في قدرته فهو نهي عن إغفال التعاهد وأثبت الألف في فلا تنسى وان كان مجزوما بلا التي للنهي لتعديل رؤس الآي * إلا ما شاء الله الظاهر أنه استثناء مقصود * قال الحسن وقتادة وغيرهما مما قضى الله نسخه وأن ترتفع تلاوته وحكمه * وقال ابن عباس إلا ما شاء الله أن ينسيك

---

من يخاف فان الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه ﴿ويتجنبها﴾ أي الذكرى ﴿الأشقى﴾ أي البالغ في الشقاوة لان الكافر بالرسول عليه السلام هو أشقى الكفار كما ان المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممن آمن برسول قبله ثم وصف بما يؤول اليه حاله في الآخرة وهو صلى النار ووصفها بالكبرى وهي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة هنية وجيء بثم المقتضية للتراخي ايذانا بتفاوت مراتب الشدة لان التردد بين الحياة والموت أشد وأفظع من الصلى ﴿قد أفلح﴾ أي فاز وظفر بالبغية ﴿من تزكى﴾ من تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله قاله ابن عباس ﴿وذكر اسم ربه﴾ أي وحده لم يقرنه بشئ من الانداد ﴿فصلى﴾ أي الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل والمعنى أنه لما ذكر من آمن بالله ثم أخبر تعالى عنه أنه أفلح أي من أتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة وقرئ يؤثرون بياء الغيبة وبالتاء خطابا للكفار ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ لفي الصحف الاولى لم ينسخ افلاح من تزكى والآخرة خير وأبقى في شرع من الشرائع فهو في الاولى وفي آخر الشرائع وتقدم الكلام على صحف ابراهيم وموسى في سورة النجم

لتسن به على نحو قوله عليه الصلاة والسلام أني لأنسى وأنسى لأسن * وقيل إلا ماشاء الله أن يغلبك النسيان عليه ثم يذكرك به بعد كما قال عليه الصلاة والسلام حين سمع قراءة عباد بن بشير لقد ذكرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا * وقيل فلا تنسى أي فلا تترك العمل به إلا ماشاء الله أن تتركه بنسخه إياه فهذا في نسخ العمل * وقال الفراء وجماعة هذا استثناء صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثناء وليس ثم شيء أبيح استثناؤه وأخذ الزمخشري هذا القول فقال وقال الا ماشاء الله والغرض نفي النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمي فيما أملك الا ماشاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي انتهى وقول الفراء والزمخشري يجعل الاستثناء كلا استثناء وهذا لا ينبغي أن يكون في كلام الله تعالى بل ولا في كلام فصيح وكذلك القول بان لا في فلا تنسى للنهي والألف ثابتة لأجل الفاصلة وهذا قول ضعيف ومفهوم الآية في غاية الظهور وقد تعسفوا في فهمها والمعنى انه تعالى أخبر أنه سيقرئه وانه لا ينسى الا ماشاء الله فانه ينساه اما النسخ واما أن يسن واما على أن يتذكر وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من النسيان فيما أمر بتبليغه فان وقع نسيان فيكون على وجه من الوجوه الثلاثة * ومناسبة سنقرئك لما قبله انه لما أمره تعالى بالتسبيح وكان التسبيح لا يتم الا بقراءة ما أنزل عليه من القرآن وكان يتذكر في نفسه مخافة أن ينسى فأزال عنه ذلك وبشره بانه تعالى يقرئه وانه لا ينسى استثنى ماشاء الله أن ينسيه لمصلحة من تلك الوجوه * انه يعلم الجهر أي جهرك بالقرآن وما يخفى أي في نفسك من خوف التفلت وقد كفاك ذلك بكونه تكفل باقرائك اياه واخبارك انك لا تنسى الا ما استثناه وتضمن ذلك حافظته بالاشياء * ونيسرك معطوف على سنقرئك ومابينهما من الجملة المؤكدة اعتراض أي نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل يعني في حفظ الوحي * وقيل للشريعة الحنيفية السهلة * وقيل نذهب بك الى الأمور الحسنة في أمر دنياك وآخرتك من النصر وعلو المنزلة والرفعة في الجنة ولما أخبره انه يقرئه وييسره أمره بالتذكير اذ ثمرة الاقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من أرسل اليهم والظاهر ان الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى وهذا الشرط انما جيء به توبيخا لقريش أي ان نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى فهو كما قال الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

كما تقول قل لفلان وأعده ان سمعك فقوله ان سمعك انما هو توبيخ واعلام انه لن يسمع * وقال الفراء والنحاس والزهراوي والجرجاني معناه وان لم ينفع فاقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني * وقيل ان بمعنى اذ كقوله وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين أي اذ كنتم لانه لم يخبر بكونهم الأعلون الا بعد ايمانهم * سيذكر من يخشى أي لا يتذكر بذكراك الا من يخاف فان الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه فاذا نظر فأداه النظر والتذكر الى الحق وهؤلاء هم العلماء والمؤمنون كل على قدر ماوفق له * ويتجنبها أي الذكرى الأشقى أي البالغ في الشقاوة لان الكافر بالرسول صلى الله عليه وسلم هو أشقى الكفار كما ان المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممن آمن برسول قبله ثم وصفه بما يؤول اليه حاله في الآخرة وهو صلي النار ووصفها بالكبرى * قال الحسن النار الكبرى نار الآخرة والصغرى نار الدنيا * وقال الفراء الكبرى السفلى من أطباق النار * وقيل نار الآخرة تتفاضل ففيها شيء أكبر من شيء * ثم لا يموت فيستريح ولا يحيي حياة هنية وجيء بثم المقتضية للتراخي ايذانا بتفاوت مراتب الشدة لان التردد بين الحياة والموت أشد وأفظع من الصلي

بالنار * قد أفلح أي فاز وظفر بالبغية من تزكى تطهر * قال ابن عباس من الشرك وقال لا اله الا الله * وقال الحسن من كان عمله زاكيا * وقال أبو الأحوص وقتادة وجماعة من رضخ من ماله وزكاه * وذكر اسم ربه أي وحده لم يقرنه بشئ من الانداد فصلى أي أتى الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل والمعنى انه لما تذكر آمن بالله ثم أخبر عنه تعالى انه أفلح من أتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة واحتج بقوله وذكر اسم ربه على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انه جائز بكل اسم من أسمائه تعالى وانها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة على الذكر الذي هو تكبيرة الافتتاح وهو احتجاج ضعيف * وقال ابن عباس وذكر اسم ربه أي معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له * وقرأ الجمهور بل تؤثرون بتاء الخطاب للكفار * وقيل خطاب البر والفاجر يؤثرها البر لاقتناء الثواب والفاجر لرغبته فيها * وقرأ عبد الله وأبو رجاء والحسن والجحدري وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو عمرو والزعفراني وابن مقسم بياء الغيبة * ان هذا أي الاخبار بافلاح من تزكى وايثار الناس للدنيا قاله ابن زيد وابن جرير ورجح بقرب المشار اليه بهذا * وقال ابن عباس وعكرمة والسدي الى معاني السورة * وقال الضحاك الى القرآن * وقال قتادة الى قوله والآخرة خير وأبقى * لفي الصحف الأولى لم ينسخ افلاح من تزكى والآخرة خير وأبقى في شرع من الشرائع فهو في الأولى وفي آخر الشرائع * وقرأ الجمهور الصحف بضم الحاء كالحرف الثاني والأعمش وهرون وعصمة كلاهما عن أبي عمرو بسكونها وفي كتاب اللوامح العبقلي عن أبي عمرو والصحف صحف باسكان الحاء فيهما لغة تميم * وقرأ الجمهور ابراهيم بألف وياء والهاء مكسورة وأبو رجاء بحذفهما والهاء مفتوحة مكسورتمعا وأبو موسى الاشعري وابن الزبير ابراهام بألف في كل القرآن ومالك بن دينار ابراهم بألف وفتح الهاء وبغير ياء وعبد الرحمن بن أبي بكرة ابراهم بكسر الهاء وبغير ياء في جميع القرآن * قال ابن خالويه وقد جاء ابراهم يعني بألف وضم الهاء وتقدم في والنجم الكلام على صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام

## ﴿ سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ هل أتاك حديث الغاشية * وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية * تسقى من عين آنية * ليس لهم طعام إلا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع * وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة * أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت * والى السماء كيف رفعت * والى الجبال كيف نصبت * والى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ الضريع قال أبو حنيفة وأظنه صاحب النبات الضريع الشبرق وهو مرعى سوء لا تعقد السائمة عليه شحما ولا لحما ومنه قول ابن عزارة الهذلي

وحبسن في هزم الضريع فكلها * حدباء دامية اليدين حرود

﴿ وقال أبو ذؤيب ﴾

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وصار ضريعا بان عنه النحائص

﴿سورة الغاشية﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها فقد كر وذكر النار والآخرة قال هل أتاك حديث الغاشية والغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني القيامة وهذا استفهام توقيف فائدته تحريك نفس السامع الى تلقي الخبر ﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿عاملة ناصبة﴾ عاملة في النار ناصبة تعبة فيها لانها تكبرت عن العمل في الدنيا وعملها في النار جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل ﴿حامية﴾ متسعرة ﴿آنية﴾ قد انتهى حرها كقوله حميم آن والضريع في اللغة يبيس العرفج اذا تحطم * قال ابن عباس شجر من النار * وقال الزمخشري ﴿لا يسمن﴾ مرفوع المحل أو مجرور على وصف طعام أو ضريع يعني أن طعامهم من شئ ليس من طعام الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن انتهى فقوله مرفوع المحل أو مجرور على وصف طعام أو ضريع أما جره على وصفه لضريع فيصح لانه مثبت منفي عنه السمن والاغناء من الجوع وأما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لأن الطعام منفي ولا يسمن منفي فلا يصح تركيبه اذ يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا من ضريع فيصير المعنى أن لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير الضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه أن له مالا ينتفع به من غير مال عمرو ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ صح الابتداء في هذا وفي قوله وجوه يومئذ خاشعة بالنكرة لوجود مسوغ ذلك وهو التفصيل ناعمة لحسنها ونضارتها أو متنعمة ﴿لسعيها راضية﴾ أي لعملها في الدنيا بالطاعة راضية اذ كان ذلك العمل جزاؤه الجنة ﴿في جنة عالية﴾ أي مكانا ومكانة وقرئ ﴿لا تسمع﴾ بتاء التأنيث مبنيا للمفعول ﴿لاغية﴾ رفع أي كلمة لاغية وقرئ لا تسمع بتاء الخطاب عموما لاغية بالنصب ﴿فيها عين جارية﴾ عين اسم جنس أي عيون أو مخصوصة ذكرت تشريفا لها ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ من رفعة المنزلة أو رفعة المكان ليرى ما حوله ربه من الملك والنعيم ﴿وأكواب موضوعة﴾ أي بأشربتها معدة لا تحتاج الى مالئ ﴿ونمارق مصفوفة﴾ أي وسائد صف بعضها الى جنب بعض للاستناد اليها والاتكاء عليها ﴿وزرابي مبثوثة﴾ أي متفرقة ههنا وهنا في المجالس والزرابي بسط عراض فاخرة ولما ذكر تعالى أمر القيامة وانقسام أهلها الى أشقياء وسعداء وعلم أنه لا سبيل الى اثبات ذلك الا بواسطة الصانع الحكيم أتبع ذلك بذكر هذه الدلائل وذكر ما العرب مشاهدوه وملابسوه دائما فقال ﴿أفلا ينظرون الى الابل﴾ وهي الجمال فانه اجتمع فيها ما تفرق من المنافع في غيرها من أكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى البلاد الشاسعة وعيشها بأي نبات أكلته وصبرها على العطش حتى أن فيها ما يرد الماء لعشر وطواعيتها لمن يقودها ونهوضها وهي باركة بالاحمال الثقال وكثرة حنينها وتأثرها بالصوت الحسن على غلظ أكبادها ولا شئ من الحيوان جمع هذه الخلال غيرها ولكونها أفضل ما عند العرب حتى جعلوها دية القتل وناسب التنبيه بالنظر اليها الى ما حوت من عجائب الصفات ما ذكر معها من السماء والجبال والارض لانتظام هذه الاشياء في نظر العرب في أوديتهم وبواديهم وليدل على أن الاستدلال على اثبات الصانع ليس مختصا بنوع دون نوع بل هو عام في كل موجوداته كما قيل

وفي كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وكيف خلقت جملة استفهامية في موضع البدل من الابل وينظرون تعدى الى الابل بواسطة الى أي الى كيف خلقت على سبيل التعليق وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها كقولهم عرفت زيدا أبو من هو على أصح الاقوال على أن العرب قد أدخلت الى على كيف فحكي

* وقال بعض اللغويين يبيس العرفج اذا تحطم * وقال الزجاج هو نبت كالعوسج * وقال الخليل نبت أخضر منتن الريح يرمي به البحر * النمارق الوسائد واحدها نمرقة بضم النون والراء وبكسرهما

﴿وقال زهير﴾

كهولا وشبانا حسانا وجوههم * على سرر مصفوفة ونمارق

الزرابي بسط عراض فاخرة * وقال الفراء هي الطنافس المخملة وواحدها زربية بكسر الزاي وبفتحها * سطحت الارض بسطت ووطئت ﴿هل أتاك حديث الغاشية * وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية * تسقى من عين آنية * ليس لهم طعام الا من ضريع * لا يسمن ولا يغني من جوع * وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة * أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت * والى السماء كيف رفعت * والى الجبال كيف

أنهـم قالوا انظر الى كيف يصنع وكيف سؤال عن حال والعامل فيها خلقت واذا علق الفعل عن مافيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته ﴿سطحت﴾ أى صارت كالمهاد للمتقلب عليها ولما حضهم على النظر أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتذكيرهم فقال ﴿فذكر﴾ ولا يهمنك كونهم لا ينظرون ﴿إنما أنت مذكر﴾ كقوله ان عليك الا البلاغ ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أى بمساط كقوله وما أنت عليهم بجبار ﴿إلا من تولى وكفر﴾ الا حرف استثناء فقيل متصل أى فانت مسيطر عليه وقيل منقطع من فذكر أى فذكر الامن انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر ومابينهما اعتراض وقرأ ابن عباس ألا حرف تنبيه واستفتاح ومن مبتدأ والعذاب الأكبر هو عذاب جهنم ﴿ان الينا إيابهم﴾ أى الى جزائنا رجوعهم وأتى بلفظ علينا دليلا على تحتم الحساب منه تعالى عليهم.

( الدر )

﴿سورة الغاشية﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(ش) لا يسمن مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعنى أن طعامهم من شئ ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن فى البدن انتهى (ح) قوله مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع أما جره على وصفه لضريع فيصح لانه مثبت منفى عنه السمن والاغناء من الجوع وأما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لان الطعام منفى ولا يسمن منفى فلا يصح تركيبه اذ يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغنى من جوع إلا من ضريع فيصير المعنى أن لهم طعاما يسمن ويغنى من جوع من غير الضريع كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه أن له مالا ينتفع به من غير مال عمرو ولو قيل الجملة فى موضع رفع صفة للمحذوف المقدر فى الا من ضريع لكان صحيحا لانه فى موضع رفع على انه بدل من اسم ليس أى ليس لهم طعام الا كائن من ضريع أو الا طعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح (ش) أو أريد أن طعام لهم أصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما أشبع أو أسمن

---

نصبت * والى الأرض كيف سطحت * فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ هى مكية ولما ذكر فيما قبلها فذكر وذكر النار والآخرة قال هل أتاك حديث الغاشية والغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يوم القيامة قاله سفيان والجمهور * وقال ابن جبير ومحمد بن كعب النار قال تعالى وتغشى وجوههم النار * وقال ومن فوقهم غواش فهى تغشى سكانها وهذا الاستفهام توقيف وفائدته تحريك نفس السامع الى تلقى الخبر * وقيل المعنى هل كان هذا من علمك ولا ماعلمناك وفى هذا تعديد النعمة * وقيل هل بمعنى قد * وجوه يومئذ أى يوم اذ غشيت والتنوين عوض من الجملة ولم تتقدم جملة تصلح أن يكون التنوين عوضا منها لكن لما تقدم لفظ الغاشية وأل موصولة باسم الفاعل فتنحل للتى غشيت أى للداهية التى غشيت فالتنوين عوض من هذه الجملة التى انحل لفظ الغاشية اليها والى الموصول الذى هو التى * خاشعة ذليلة عاملة ناصبة * قال ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة عاملة فى النار ناصبة تعبة فيها لأنها تكبرت عن العمل فى الدنيا قيل وعملها فى النار جر السلاسل والاغلال وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود نار وهبوطها فى حدور منها * وقال ابن عباس أيضا وزيد بن أسلم وابن جبير عاملة فى الدنيا ناصبة فيها لأنها على غير هدى فلا ثمرة لها الا النصب وخاتمته النار والآية فى القسيسين وعباد الأوثان وكل مجتهد فى كفره * وقال عكرمة والسدى عاملة ناصبة بالنصب على الذم والجمهور برفعهما * وقرأ تصلى بفتح التاء وأبو رجاء وابن محيصن والابوان بضمها وخارجة بضم التاء وفتح الصاد مشدد اللام وقد حكاها أبو عمرو بن العلاء حامية مسعرة آنية قد انتهى حرها كقوله وبين حميم آن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد * وقال ابن زيد حاضرة لهم من قولهم آنى الشئ حضر * والضريع قال ابن عباس شجر من نار * وقال الحسن وجماعة الزقوم * وقال ابن جبير حجارة من نار * وقال ابن عباس أيضا وقتادة وعكرمة ومجاهد شبرق النار * وقيل العشرق * وقيل رطب العرفج وتقدم ماقيل فيه فى المفردات * وقيل واد فى جهنم والضريع ان كان الغسلين والزقوم فظاهر ولا يتنافى الحصر فى الا من غسلين والا من ضريع وان كانت أشيار اختلفوا والجمع بان الزقوم لطائفة والغسلين لطائفة والضريع لطائفة * وقال الزمخشرى لا يسمن مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعنى أن طعامهم

من شيء ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه
تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن
انتهى فقوله مرفوع المحل أو مجرور ورد على وصف طعام أو ضريع أما جره على وصفه لضريع
فيصح لأنه مثبت منفي عنه السمن والاغناء من الجوع وأما رفعه على وصفه لطعام فلا يصح لأن الطعام
منفي ولا يسمن منفي فلا يصح تركيبه اذ يصير التقدير ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع الا
من ضريع فيصير المعنى أن لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير ضريع كما تقول ليس لزيد
مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه أن له مالا ينتفع به من غير مال عمرو ولو قيل الجملة في موضع رفع
صفة للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لأنه في موضع رفع على أنه بدل من اسم ليس أي
ليس لهم طعام الا كائن من ضريع اذ الاطعام من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع وهذا
تركيب صحيح ومعنى واضح * وقال الزمخشري أو أريد أن لا طعام لهم أصلا لأن الضريع ليس بطعام
للبهائم فضلا عن الانس لأن الطعام ما أشبع وأسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا
الشمس تريد نفي الظل على التوكيد انتهى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا اذ لم يندرج الكائن
من الضريع تحت لفظة طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي قوله ولا طعام الا من
غسلين لأن الطعام هو ما يتطعمه الانسان وهذا قدر مشترك بين المستلذ والمكروه وما لا يستلذ ولا
يستكره * وجوه يومئذ ناعمة صح الابتداء في هذا وفي قوله وجوه يومئذ خاشعة بالنكرة لوجود
مسوغ ذلك وهو التفصيل ناعمة لحسنها ونضارتها أو متنعمة * لسعيها راضية أي لعملها في الدنيا
بالطاعة راضية اذا كان ذلك العمل جزاؤه الجنة في جنة عالية أي مكانا ومكانة * وقرأ الأعرج
وأهل مكة والمدينة ونافع وابن كثير وأبو عمرو بخلاف عنهم لا تسمع مبنيا للمفعول لاغية رفع أي
كلمة لاغية أو جماعة لاغية أو لغو فيكون مصدرا كالعاقبة ثلاثة أقوال الثالث لأبي عبيدة وابن
محيصن وعيسى وابن كثير وأبو عمرو وكذلك الا أنهم قرؤا بالياء لمجاز التأنيث والفضل والجحدري
كذلك الا أنه نصب لاغية على معنى لا يسمع فيها أي أحد من قولك أسمعت زيدا والحسن وأبو رجاء
وأبو جعفر وقتادة وابن سيرين ونافع في رواية خارجة وأبو عمرو بخلاف عنه وباقي السبعة لا تسمع
بتاء الخطاب عموما أو للرسول عليه الصلاة والسلام أو الفاعل الوجوه * لاغية بالنصب * فيها عين
جارية عين اسم جنس أي عيون أو مخصوصة ذكرت تشريفا لها * فيها سرر مرفوعة من رفعة
المنزلة أو رفعة المكان ليرى ما خوله ربه من الملك والنعيم أو مخبوءة من رفعت لك هذه أي خبأته *
وأكواب موضوعة أي بأشربتها معدة لا يحتاج الى مالئ أو موضوعة بين أيديهم أو موضوعة
على حافات العيون * ونمارق مصفوفة أي وسائد صف بعضها الى جنب بعض للاستناد اليها والاتكاء
عليها * وزرابي مبثوثة متفرقة ههنا وههنا في المجالس * ولما ذكر تعالى أمر القيامة وانقسام أهلها الى
أشقياء وسعداء وعلم أنه لا سبيل الى اثبات ذلك الا بواسطة الصانع الحكيم أتبع ذلك بذكر هذه
الدلائل وذكر ما العرب مشاهدوه وملابسوه دائما فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وهي
الجمال فانه اجتمع فيها ما تفرق من المنافع في غيرها من أكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل
عليها الى البلاد الشاسعة وعيشها بأي نبات أكلته وصبرها على العطش حتى أن فيها ما يرد الماء
لعشر وطواعيتها لمن يقودها ونهضتها وهي باركة بالأحمال الثقال وكثرة حنينها وتأثرها بالصوت
الحسن على غلظ أكبادها وهي لا شيء من الحيوان جمع هذه الخصال غيرها وقد أبان تعالى امتنانه

( الدر )

وهو منهما بمعزل كما تقول
ليس لفلان ظل الا الشمس
تريد نفي الظل على التوكيد
انتهى ( ح ) فعلى هذا يكون
الاستثناء منقطعا ولم يندرج
الكائن من الضريع
تحت لفظة طعام اذ ليس
بطعام والظاهر الاتصال
فيه وفي قوله ولا طعام الا
من غسلين لأن الطعام هو
ما يتطعمه المرء وهذا قدر
مشترك بين المستلذ
والمكروه وما لا يستلذ ولا
يستكره

عليهم بقوله أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما الآيات ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل ووهبوا المائة منها من يقصدهم ومن أرادوا اكرامه وذكرها الشعراء فى مدح من وهبها كما قال * اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية * وقال آخر

* الواهب المائة الهجان برمتها * وناسب التنبيه بالنظر اليها والى ما حوت من عجائب الصفات ماذكر معها من السماء والجبال والأرض لانتظام هذه الأشياء فى نظر العرب فى أوديتهم وبواديهم وليدل على الاستدلال على اثبات الصانع وأنه ليس مختصا بنوع دون نوع بل هو عام فى كل موجوداته كما قيل

وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

* وقال أبو العباس المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك إذ تأتى إرسالا كالابل وتزجى كما تزجى الابل وهى فى هيئتها أحيانا تشبه الابل والنعام * ومنه قوله

كأن السحاب دوين السما * نعام تعلق بالأرجل

* وقال الزمخشرى ولم يدع من زعم أن الابل السحاب الى قوله إلا طلب المناسبة ولعله لم يرد أن الابل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا فى أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريقة التشبيه والمجاز انتهى * وقرأ الجمهور الابل بكسر الباء وتخفيف اللام والأصمعى عن أبى عمرو باسكان الباء وعلى وابن عباس بشد اللام ورويت عن أبى عمرو وأبى جعفر والكسائى وقالوا انها السحاب عن قوم من أهل اللغة * وقال الحسن خص الابل بالذكر لانها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن فقيل له الفيل أعظم فى الاعجوبة وقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب دره والابل لا واحد له من لفظه وهو مؤنث ولذلك اذا صغر دخلته التاء فقالوا أبيلة وقالوا فى الجمع آبال وقد اشتقوا من لفظه فقالوا تأبل الرجل وتعجبوا من هذا الفعل على غير قياس فقالوا ما آبل زيدا وابل اسم جاء على فعل ولم يحفظ سيبويه مما جاء على هذا الوزن غيره وكيف خلقت جملة استفهامية فى موضع البدل من الابل وينظرون تعدى الى الابل بواسطة الى والى كيف خلقت على سبيل التعليق وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذى قبلها كقولهم عرفت زيدا أبو من هو على أصح الأقوال على أن العرب قد أدخلت الى على كيف فحكى أنهم قالوا انظر الى كيف يصنع وكيف سؤال عن حال والعامل فيها خلقت واذا علق الفعل عن ما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته وقد بينا ذلك فى كتابنا المسمى بالتذكرة وفى غيره * وقرأ الجمهور خلقت رفعت نصبت سطحت بتاء التأنيث مبنيا للمفعول وعلى وأبو حيوة وابن أبى عبلة بتاء المتكلم مبنيا للفاعل والمفعول محذوف أى خلقتها رفعتها نصبتها رفعتها رفعا بعيد المدى بلا عمد نصبت نصبا ثابتا لا تميل ولا تزول سطحت سطحا حتى صارت كالمهاد للمتقلب عليها * وقرأ الجمهور سطحت خفيفة الطاء والحسن وهارون بشدها ولما حضهم على النظر أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بتذكيرهم فقال فذكر ولا يهمنك كونهم لا ينظرون * انما أنت مذكر كقوله تعالى ان عليك إلا البلاغ لست عليهم بمسيطر أى بمسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار * وقرأ الجمهور بالصاد وكسر الطاء وابن عامر فى رواية ونطيق عن قنبل وزرعان عن حفص بالسين وحمزة فى رواية باشمام الزاى وهارون بفتح الطاء وهى لغة تميم وسيطر متعد عندهم ويدل عليه فعل المطاوعة وهو تسطر وليس فى الكلام على هذا

الوزن إلا مسيطر ومهيمن ومبيطر ومبيقر وهي أسماء فاعلين من سيطر وهيمن وبيطر وبيقر وجاء مجيمر اسم واد ومديبر ويمكن أن يكون أصلهما مدبر ومجمر فصغرا * وقرأ الجمهور ألا حرف استثناء فقيل متصل أى فأنت مسيطر عليه * وقيل متصل من فذكر أى فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض * وقيل منقطع وهى آية موادعة نسخت بآية السيف * وقرأ ابن عباس وزيد بن على وقتادة وزيد بن أسلم ألا حرف تنبيه واستفتاح والعذاب الأكبر هو عذاب جهنم * وقرأ الجمهور إيابهم بتخفيف الياء مصدر آب وأبو جعفر وشيبة بشدها مصدر الفعيل من آب على وزن فيعال أو مصدرا كفوعل كحوقل على وزن فيعال أو مصدر الفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار فأصله أوواب فقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها واجتمع فى هذا البناء والبناء من قبله واو وياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغم ولم يمنع الادغام من القلب لان الواو والياء ليستا عينين من الفعل بل الياء فى فيعل والواو فى فعول زائدتان * وقال صاحب اللوامح وتبعه الزمخشرى يكون أصله إوابا مصدر أوب نحو كذب كذابا ثم قيل إيوابا فقلبت الواو الأولى ياء لانكسار ما قبلها * قال الزمخشرى كديوان فى دوان ثم فعل به ما فعل بسيد يعنى انه اجتمع ياء وواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الواو فأما كونه مصدر أوب فانه لا يجوز لانهم نصوا على أن الواو الأولى اذا كانت موضوعة على الادغام وجاء ما قبلها مكسورا فلا تقلب الواو الأولى ياء لأجل الكسرة ومثلوا باخرواط مصدر اخروط ومثلوا أيضا بمصدر أوب نحو أوب إوابا فهذه وضعت على الادغام فحصنها من الابدال ولم تتأثر للكسرة وأما تشبيه الزمخشرى بديوان فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها فى الوضع مدغمة فلم يقولوا دوان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم ان أصل هذه الياء واو وأيضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره * وقال ابن عطية ويصح أن يكون من أأوب فيجىء إيوابا سهلت الهمزة وكان اللازم فى الادغام يردها إوابا لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس انتهى * فقوله وكان اللازم فى الادغام يردها إوابا ليس بصحيح بل اللازم اذا اعتبر الادغام أن يكون إيابا لانه قد اجتمعت ياء وهى المبدلة من الهمزة بالتسهيل وواو وهى عين الكلمة وإحداهما ساكنة فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير إيابا ولما كان من مذهب الزمخشرى أن تقديم المعمول يفيد الحصر قال معناه أن إيابهم ليس إلا الى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه تعالى وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة والله أعلم

﴿ سورة الفجر مكية وهى ثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل اذا يسر * هل فى ذلك قسم لذى حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد * فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه

(الدر) (ش) فى قراءة من قرأ إيابهم بالتشديد أصله إواب نحو كذب كذابا ثم قيل إيواب قلبت الواو الاولى ياء لانكسار ما قبلها كديوان فى دوان ثم فعل به ما فعل بسيد (ح) يعنى انه اجتمع ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الواو فأما كونه مصدر أوب فانه لا يجوز لانهم نصوا على أن الواو اذا كانت موضوعة على الادغام وجاء ما قبلها مكسورا فلا تقلب الواو الاولى ياء لاجل الكسرة ومثلوا باخرواط مصدر اخروط ومثلوا أيضا بمصدر أوب إوابا فهذه وضعت على الادغام فحصنها من الابدال ولم تتأثر للكسرة وأما تشبيه (ش) بديوان فليس بجيد لانهم لم ينطقوا بها فى الوضع مدغمة فلم يقولوا دوان ولولا الجمع مثل دواوين لم يعلم ان أصل هذه الياء واو وأيضا فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره (ع) ويصح أن يكون من أأوب فيجىء إيوابا سهلت الهمزة وكان اللازم فى الادغام يردها إوابا لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس انتهى (ح) قوله وكان اللازم فى الادغام يردها إوابا ليس بصحيح بل اللازم اذا اعتبر الادغام أن يكون إيابا لانه قد اجتمعت ياء وهى المبدلة من الهمزة بالتسهيل وواو وهى عين الكلمة واحداهما ساكنة فتقلب الواو ياء وتدغم فيها الياء فيصير إيابا فرفه

﴿ سورة والفجر ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ والفجر وليال عشر ﴾ الآية هذه السورة مكية في قول الجمهور ولما ذكر فيما قبلها وجوه يومئذ خاشعة ووجوه يومئذ ناعمة أتبعه بذكر الطوائف المكذبين وأشار الى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله يا أيتها النفس المطمئنة والظاهر أن الفجر هو المشهور أقسم به كما أقسم بالصبح ويراد به الجنس لا فجر يوم مخصوص * عشر العشر الاواخر من رمضان قاله ابن عباس للحديث المتفق على صحته قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله (٤٦٦) وأيقظ أهله ﴿ والشفع والوتر ﴾ روى أبو أيوب عنه عليه السلام الشفع يوم عرفة ويوم الاضحى والوتر ليلة النحر ﴿ والليل اذا يسري ﴾ قسم بجنس الليل ويسري يذهب وينقرض كقوله والليل اذ أدبر وجواب القسم محذوف * قال الزمخشري وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقال ابن الانباري الجواب قوله ﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾ والذي يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية وهو قوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وتقديره لايابهم الينا وحسابهم علينا ﴿ هل في ذلك قسم ﴾ تقرير على عظم هذه الاقسام أي هل فيها مقنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويفكر في آيات الله تعالى ثم وقف المخاطب على مصارع الامم الكافرة الماضية مقصودا به تمثيل توعد قريش ونصب المثل لها وعادهم قوم هود وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة * وذكر المفسرون ان ذات العماد مدينة بناها شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة على أوصاف بعيد أو مستحيل عادة أن يبنى في الارض مثلها وأن الله تعالى بعث عليه وعلى أهله صيحة قبل أن يدخلوها فهلكوا جميعا والضمير في مثلها عائد على المدينة التي هي ذات العماد ﴿ في البلاد ﴾ أي في بلاد الدنيا ﴿ جابوا الصخر ﴾ خرقوه ونحتوه فاتخذوا في الحجارة منها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة ﴿ بالواد ﴾ وادي القرى وقيل جابوا واديهم وجلبوا ماءهم في صخر وشقوه فعل ذوي القوة والآمال ﴿ ذي الأوتاد ﴾ تقدم الكلام عليه في ص ﴿ الذين ﴾ صفة لعاد

فيقول ربي أكرمن * وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين * وتأكلون التراث أكلا لما * وتحبون المال حبا جما * كلا اذا دكت الأرض دكا دكا * وجاء ربك والملك صفا صفا * وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى * يقول يا ليتني قدمت لحياتي * فيومئذ لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد * يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي الى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ * الحجر العقل * قال الفراء العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه حافظا لها كأنه من حجرت على الرجل * إرم أمة قديمة وقيل اسم أبي عاد كلها وهو عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام * وقيل مدينة وعلى انه اسم قبيلة * قال زهير

وآخرين ترى الماذي عدتهم * من نسج داود أو ما أورثت إرم

﴿ وقال الرقيات ﴾

مجدا تليدا بناه أوله * أدرك عادا وقبله إرم

* جاب خرق وقطع تقول جبت البلاد أجوبها اذا قطعتها وجاوزتها * قال

ولا رأيت قلوصا قبلها حملت * ستين وسقا ولا جابت بها بلدا

* السوط آلة للضرب معروفة * قال بعض اللغويين وهو مصدر من ساط يسوط اذا اختلط * وقال الليث ساطه اذا خلطه بالسوط * ومنه قول الشاعر

أحارث انا لو تساط دماؤنا * تزايلن حتى لا يمس دم دما

* وقال أبو زيد يقال أم والهم سويطة بينهم أي مختلطة اللم الجمع واللف * قال أبو عبيدة * لممت ما على الخوان اذا أكلت جميع ما عليه أسره * وقال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

ومنه * لممت الشعث * قال النابغة

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

الجم الكثير ﴿ والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذي حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها

وثمود وفرعون أو منصوب على الذم أو مرفوع على اضمارهم ﴿ فصب عليهم ﴾ أبهم هنا وأوضح في الحاقة وفي غيرها يقال صب عليهم السوط وغشاهم وقنعهم واستعمل الصب في السوط لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب وخص السوط فاستعير للعذاب لانه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره والمرصاد والمرصد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه ﴿ فأما الانسان ﴾ ذكر تعالى ما كانت قريش تقوله وتستدل به على اكرام الله تعالى واهانته لعبده فيرون المكرم من عنده الثروة والاولاد والمهان ضده ولما كان هذا غالبا عليهم وبخوا بذلك والانسان اسم جنس ويوجد هذا في كثير من أهل الاسلام وفيقول في الموضعين خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو يقول وهو جواب اذا وقرئ أكرمني وأهانني بياء الاضافة وحذفها وقرئ تكرمون بالتاء والياء والمعاطيف عليه وقرئ تحاضون ﴿ التراث ﴾ التاء بدل من الواو وكانوا لا يورثون النساء ولا صغار الاولاد فيأكلون نصيبهم ويقولون لا يأخذ الميراث الا من يقاتل ويحمي الحوزة واللم الجمع واللف والجم الكثير ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا في دار الدنيا ﴿ دكا دكا ﴾ حال كقولهم بابا بابا أي مكررا عليها الدك ﴿ وجاء ربك ﴾ هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وسلطانه ﴿ والملك ﴾ اسم جنس يشمل الملائكة روي انه ملائكة كل سماء يكونون صفا حول الارض في يوم القيامة ﴿ صفا صفا ﴾ تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالانس والجن ﴿ وجيء يومئذ بجهنم ﴾ كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى ﴿ يومئذ يتذكر ﴾ يومئذ بدل من اذا أي يتذكر ما فرط فيه ﴿ وأنى له الذكرى ﴾ أي منفعة الذكرى لانه وقت لا ينفع فيه التذكر لو اتعظ في الدنيا نفعه ذلك في الاخرى ﴿ لحياتي ﴾ المنية وهي حياة الآخرة وقرئ لا يعذب ولا يوثق مبنيين للفاعل فأحد فاعل والمعنى أنه لا يعذب أحد مثل عذاب الله في الآخرة للكافر وقرئ بفتح الثاء والذال فأحد مفعول لم يسم فاعله * ولما ذكر تعالى شيأ من أحوال من يعذب ذكر شيأ من أحوال المؤمن فقال ﴿ يا أيتها النفس ﴾ وهذا النداء الظاهر أنه على لسان ملك مخبرا عن الله تعالى ﴿ المطمئنة ﴾ الآمنة التي لم يلحقها خوف ولا حزن ﴿ ارجعي ﴾ أي ردي ﴿ الى ربك ﴾ أي الى موعد ربك ﴿ راضية ﴾ بما أوتيته ﴿ مرضية ﴾ عند الله تعالى ﴿ فادخلي في ﴾ جملة ﴿ عبادي ﴾ الصالحين ﴿ وادخلي جنتي ﴾ معهم

---

الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد * فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه * فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين * وتأكلون التراث أكلا لما * وتحبون المال حبا جما * كلا إذا دكت الارض دكا دكا * وجاء ربك والملك صفا صفا * وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى * يقول ياليتني قدمت لحياتي * فيومئذ لا يعذب عذابه أحد * ولا يوثق وثاقه أحد * ياأيتها النفس المطمئنة * ارجعي الى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي ﴾ هذه السورة مكية في قول الجمهور * وقال علي بن أبي طلحة مدنية ولما ذكر فيما قبلها وجوه يومئذ خاشعة ووجوه يومئذ ناعمة أتبعها بذكر الطوائف المكذبين المتجبرين الذين وجوههم خاشعة وأشار الى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله ياأيتها النفس المطمئنة وأيضا ما تقدم الا من تولى وكفر قال هنا ان ربك لبالمرصاد تهديدا لمن كفر وتولى * وقرأ أبو الدينار الاعرابي والفجر والوتر ويسر بالتنوين في الثلاثة * قال ابن خالويه هذا كما روي عن بعض العرب انه يقف على آخر القوافي بالتنوين وان كان فعلا وان كان فيه ألف ولام * قال الشاعر

أقلي اللوم عاذل والعتابا * وقولي ان أصبت لقد أصابا

انتهى وهذا ذكره النحويون في القوافي المطلقة اذ لم يترنم الشاعر وهو أحد الوجهين اللذين للعرب اذا وقفوا على الكلم في الكلام لا في الشعر وهذا الاعرابي أجرى الفواصل مجرى القوافي * وقرأ الجمهور وليال عشر بالتنوين وابن عباس بالاضافة فضبطه بعضهم وليال عشر بلام دون ياء وبعضهم وليالي عشر بالياء ويريد وليالي أيام عشر ولما حذف الموصوف المعدود وهو مذكر جاء في عدده حذف التاء من عشر * والجمهور والوتر بفتح الواو وسكون التاء وهي لغة قريش ولاغر عن ابن عباس وأبو رجاء وابن وثاب وقتادة وطلحة والاعمش والحسن بخلاف عنه والاخوان بكسر الواو وهي لغة تميم واللغتان في الفرد فأما في الرحل فالكسر لا غير * وحكى

الاصمعي فيه اللغتين و يونس عن أبي عمرو بفتح الواو وكسر التاء والجمهور يسر بحذف الياء وصلا ووقفا وابن كثير باثباتها فيهما ونافع وابن عمرو بخلاف عنه بياء في الوصل وبحذفها في الوقف والظاهر وقول الجمهور ومنهم علي وابن عباس وابن الزبير ان الفجر هو المشهور وأقسم به كما أقسم بالصبح ويراد به الجنس لا فجر يوم مخصوص * وقال ابن عباس ومجاهد من يوم النحر وعكرمة من يوم الجمعة والضحاك من ذي الحجة ومقاتل من ليلة جمع وابن عباس وقتادة من أول يوم من المحرم وعن ابن عباس أيضا الفجر النهار كله وعنه أيضا وعن زيد بن أسلم الفجر هو صلاة الصبح وقرآنها هو قرآن الفجر * وقيل فجر العيون من الصخور وغيرها * وقال ابن الزبير والكلبي وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وعطية العوفي هي عشر ذي الحجة وابن عباس والضحاك العشر الأواخر من رمضان * وقال ابن جريج الاول منه ويمان وجماعة الاول من المحرم ومنه يوم عاشوراء ومسروق ومجاهد وعشر موسى عليه السلام التي أتمها الله تعالى * قيل والاظهر قول ابن عباس للحديث المتفق على صحته قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله * قال التبريزي اتفقوا على أنه العشر الأواخر يعني من رمضان لم يخالف فيه أحد فتعظيمه مناسب لتعظيم القسم * وقال الزمخشري وأراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة ( فان قلت ) فما بالها منكرة من بين ما أقسم به (قلت) لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها (فان قلت) فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة (قلت) لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الالغاز والتعمية انتهى أما السؤالان فظاهران وأما الجواب عنهما فلفظ ملفق لا يعقل منه معنى فيقبل أو يرد والشفع والوتر ذكر في كتاب التحرير والتحبير فيهما ستة وثلاثين قولا ضجرنا من قراءتها فضلا من كتابتها في كتابنا هذا * وعن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الصلوات منها الشفع ومنها الوتر * وروى أبو أيوب عنه صلى الله عليه وسلم الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى والوتر ليلة النحر * وروى جابر عنه صلى الله عليه وسلم الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وفي هذا الحديث تفسيره عليه الصلاة والسلام الفجر بالصبح والليالي العشر بعشر النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس * وقال حديث أبي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أصح اسنادا من حديث عمران بن حصين صوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها * وذكر ابن عطية في الشفع والوتر أربعة عشر قولا والزمخشري ثلاثة أقوال ثم قال وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه انتهى * والليل اذا يسري قسم بجنس الليل يسري يذهب وينقرض كقوله والليل اذ أدبر * وقال الأخفش وابن قتيبة يسري فيه فيكون من باب ليل نائم * وقال مجاهد وعكرمة والكلبي المراد ليلة جمع لانه يسري فيها وجواب القسم محذوف * قال الزمخشري وهو لنعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب * وقال ابن الانباري الجواب ان ربك لبالمرصاد والذي يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية وهو قوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وتقديره لايابهم الينا وحسابهم علينا وقول مقاتل هل هنا في موضع تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل

( الدر )

﴿ سورة والفجر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) وأراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة * فان قلت فما بالها منكرة من بين ما أقسم به * قلت لانها ليال مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها * فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير ولان الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الالغاز والتعمية انتهى (ح) أما السؤالان فظاهران وأما الجواب عنهما فلفظ ملفق لا يعقل منه معنى فيقبل أو يرد

على هذا فى موضع جواب القسم قول لم يصدر عن تأمل لان المقسم عليه على تقدير أن يكون التركيب ان فى ذلك قسما لذى حجر لم يذكر فيبقى قسم بلا مقسم عليه لان الذى قدره من ان فى ذلك قسما لذى حجر لا يصح أن يكون مقسما عليه وهل فى ذلك تقرير على عظم هذه الأقسام أى هل فيها مقنع فى القسم لذى عقل فيزدجر ويفكر فى آيات الله ثم وقف المخاطب على مصارع الأمم الكافرة الماضية مقصودا بذلك توعد قريش ونصب المثل لها وعاد هو عاد بن عوص وأطلق ذلك على عقبه ثم قيل للاولين منهم عادا الأولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة * وقال مجاهد وقتادة هى قبيلة بعينها * وقال ابن اسحق ارم هو أبو عاد كلها * وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن * وقال محمد بن كعب هى الاسكندرية * وقال ابن المسيب والمقبرى هى دمشق * وقال مجاهد أيضا ارم معناه القديمة * وقرأ الجمهور بعاد مصروفا إرم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ممنوع الصرف للتأنيث والعلمية لأنه اسم للقبيلة وعاد وان كان اسم القبيلة فقد يلحظ فيه معنى الحى فيصرف أولا يلحظ فجاء على لغة من صرف هندا وإرم عطف بيان أو بدل * وقرأ الحسن بعاد غير ممنوع الصرف مضافا الى إرم فجاز أن يكون إرم جدا ومدينة والضحاك إرم بفتح الراء وما بعدها ممنوعى الصرف * وقرأ ابن الزبير بعاد بالاضافة أرم بفتح الهمزة وكسر الراء وهى لغة فى المدينة والضحاك بعاد مصروفا وبعاد غير مصروف أيضا أرم بفتح الهمزة وسكون الراء تخفيف أرم بكسر الراء وعن ابن عباس والضحاك أرم فعلا ماضيا أى بلى يقال رم العظم وأرم هو أى بلى وأرمه غيره معدى بالهمزة من رم الثلاثى وذات على هذه القراءة مكسورة التاء وابن عباس أيضا فعلا ماضيا ذات بنصب التاء على المفعول به وذات بالكسر صفة لارم وسواء كانت اسم قبيلة أو مدينة وان كان يترجح كونها مدينة بقوله لم يخلق مثلها فى البلاد فاذا كانت قبيلة صح اضافة عاد اليها وفكها منها بدلا أو عطف بيان وان كانت مدينة فالاضافة اليها ظاهرة والفك فيها يكون على حذف مضاف أى بعاد أهل إرم ذات العماد * وقرئ ارم ذات باضافة ارم الى ذات والارم العلم يعنى بعاد أعلام ذات العماد ومن قرأ أرم فعلا ماضيا ذات بالنصب أى جعل الله ذات العماد رميما ويكون ارم بدلا من فعل ربك وتبيينا الفعل واذا كانت ذات العماد صفة للقبيلة * فقال ابن عباس هى كناية عن طول أبدانهم ومنه قيل رفيع العماد شبهت قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان أى طويل * وقال عكرمة ومقاتل أعمدة بيوتهم التى كانوا يرحلون بها لأنهم كانوا أهل عمود * وقال ابن زيد أعمدة بنيانهم واذا كانت صفة للمدينة فأعمدة الحجارة التى بنيت بها * وقيل القصور العالية والابراج يقال لها أعماد * وحكى عن مجاهد أرم مصدر أرم يأرم اذا هلك والمعنى كهلاك ذات العماد وهذا قول غريب كان معنى كيف فعل ربك بعاد كيف أهلك عادا كهلاك ذات العماد وذكر المفسرون أن ذات العماد مدينة ابتناها شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة على أوصاف بعيد أو مستحيل عادة أن يبنى فى الأرض مثلها وأن الله تعالى بعث عليها وعلى أهله صيحة قبل أن يدخلها هلكوا جميعا ويوقف على قصتهم فى كتاب التحرير وشئ منها فى الكشاف * وقرأ الجمهور لم يخلق مبنيا للمفعول مثلها رفع وابن الزبير مبنيا للفاعل مثلها نصبا وعنه نخلق بالنون والضمير فى مثلها عائد على المدينة التى هى ذات العماد فى البلاد أى فى بلاد الدنيا أو عائد على القبيلة أى فى عظم أجسام وقوة * وقرأ ابن وثاب وثمود بالتنوين * والجمهور بمنع الصرف * جابوا الصخر خرقوه ونحتوه فاتخذوا فى الحجارة منها بيوتا كما قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا * قيل

نزل من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بالوادى
وادى القرى * وقيل جابوا واديهم وجلبوا ماءهم فى صخر شقوه فعل ذى القوة والآمال * ذى
الأوتاد تقدم الكلام على ذلك فى سورة ص * الذين صفة لعاد وثمود وفرعون أو منصوب على الذم
ومرفوع على اضمارهم * فصب عليهم ربك سوط عذاب أبهم هنا وأوضح فى الحاقة وفى غيرها ويقال
صب عليه السوط وغشاه وقنعه واستعمل الصب لاقتضائه السرعة فى النزول على المضروب قال

فصب عليهم محصرات كأنها * شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

يريد المحدودين فى قصة الافك * وقال بعض المتأخرين فى صفة الخيل

صببنا عليهم ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وأرجل

وخص السوط فاستعير للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد مالا يقتضيه السيف ولا غيره
* وقال الزمخشرى وذكر السوط اشارة الى أن ما أحله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس
الى ما أعد لهم فى الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به والمرصاد والمرصد المكان الذى
يترتب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه * قال ابن
عطية ويحتمل أن يكون المرصاد فى الآية اسم فاعل كأنه قال لبالراصد فعبر ببناء المبالغة انتهى
ولو كان كما زعم لم تدخل الباء لأنها ليست فى مكان دخولها لا زائدة ولا غير زائدة * فأما الانسان
ذكر تعالى ما كانت قريش تقوله وتستدل به على اكرام الله تعالى واهانته لعبده فيرون
المكرم من عنده الثروة والاولاد والمهان ضده ولما كان هذا غالبا عليهم وبخوا بذلك والانسان
اسم جنس ويوجد هذا فى كثير من أهل الاسلام * وقال الزمخشرى ( فان قلت ) بم اتصل قوله
فأما الانسان ( قلت ) بقوله إن ربك لبالمرصاد كأنه قال ان الله تعالى لا يريد من الانسان الا
الطاعة والسعى للعاقبة وهو مرصد للعاصى فأما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما
يلذه وينعمه فيها انتهى وفيه التصريح بمذهب الاعتزال فى قوله لا يريد من الانسان الا الطاعة
واذ العامل فيه فيقول والنية فيه التأخير أى فيقول كذا وقت الابتداء وهذه الفاء لا تمنع ان
يعمل ما بعدها فيما قبلها وان كانت فاء دخلت فى خبر المبتدأ لاجل أما التى فيها معنى الشرط وبعد
أما الثانية مضمر به وقع التوازن بين الجملتين تقديره فأما اذا هو ما ابتلاه وفيقول خبر عن ذلك
المبتدأ المضمر وابتلاه معناه اختبره أيشكر أم يكفر اذا بسط له وأيصبر أم يجزع اذا ضيق عليه
لقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقابل ونعمه بقوله فقدر عليه رزقه ولم يقابل فأكرمه بلفظ
فأهانه لانه ليس من يضيق عليه الرزق كان ذلك اهانة له ألا ترى الى ناس كثير من أهل الصلاح
مضيقا عليهم الرزق كحال الامام أبى سليمان داود بن على الاصبهانى رضى الله تعالى عنه وغيره وذم
الله تعالى العبد فى حالتيه هاتين أما فى قوله فيقول ربى أكرمن فلانه إخبار منه على أنه يستحق
الكرامة ويستوجبها وأما قوله أهانن فلانه سمى ترك التفضيل من الله تعالى اهانة وليس باهانة
أو يكون اذا تفضل عليه أقر باحسان الله اليه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك تفضل الله اهانة لا الى
الاعتراف بقوله أكرمن * وقرأ ابن كثير أكرمنى وأهاننى بالياء فيهما ونافع بالياء وصلا وحذفها
وقفا وخير فى الوجهين أبو عمرو وحذفها باقى السبعة فيهما وصلا ووقفا ومن حذفها وقفا سكن
النون فيه * وقرأ الجمهور فقدر بخف الدال وأبو جعفر وعيسى وخالد والحسن بخلاف عنه وابن
عامر بشدها * قال الجمهور هما بمعنى واحد بمعنى ضيق والتضعيف فيه للمبالغة لا للتعدى ولا يقتضى

(الدر)

(ع) ويحتمل أن يكون المرصاد فى الآية اسم فاعل كأنه قال لبالراصد فعبر ببناء المبالغة انتهى (ح) لو كان كما زعم لم تدخل الباء لانها ليست فى مكان دخولها لا زائدة ولا غير زائدة

ذلك قول الانسان أهانن لان إعطاء ما يكفيه لا إهانة فيه * كلا ردع على قولهم ومعتقدهم أى ليس إكرام الله وتقدير الرزق سببه ما ذكرتم بل إكرامه العبد تيسيره لتقواه وإهانته تيسيره لمعصيته ثم أخبرهم بما هم عليه من أعمالهم السيئة * وقال الزمخشرى كلا ردع للانسان عن قوله ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون فيه ما يلزمهم من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الانعام ويحبونه فيشحون به انتهى وفى الحديث أحب البيوت الى الله تعالى بيت فيه يتيم مكرم * وقرأ الحسن ومجاهد وأبو رجاء وقتادة والجحدرى وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بياء الغيبة فيها وباقى السبعة بتاء الخطاب وأبو جعفر وشيبة والكوفيون وابن مقسم تحاضون بفتح التاء والألف أصله تتحاضون وهى قراءة الاعمش أى يحض بعضكم بعضا وعبد الله وعلقمة وزيد بن على وعبد الله بن المبارك والشيرزى عن الكسائى كذلك الا انهم ضموا التاء أى تحاضون أنفسكم أى بعضكم بعضا وتفاعل وفاعل يأتى بمعنى فعل أيضا * على طعام يجوز أن يكون بمعنى اطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء والأولى أن يكون على حذف مضاف أى على بذل طعام * وتأكلون التراث كانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد فيأكلون نصيبهم ويقولون لا يأخذ الميراث الا من يقاتل ويحمى الحوزة والتراث تاؤه بدل من واو كالتكلة والتخمة من توكلت ووخمت * وقيل كانوا يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهم عالمون بذلك يجمعون بين الحلال والحرام ويسرفون فى انفاق ما ورثوه لانهم ما تعبوا فى تحصيله كما شاهدنا الوراث البطالين * كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه فى دار الدنيا * دكا دكا حال كقولهم بابا بابا أى مكررا عليهم الدك * وجاء ربك قال القاضى منذر بن سعيد معناه ظهوره للخلق هنالك وليس بمجىء نقلة وكذلك مجىء الطامة والصاخة * وقيل وجاء قدرته وسلطانه * وقال الزمخشرى هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه انتهى والملك اسم جنس يشمل الملائكة * وروى أن ملائكة كل سماء تكون صفا حول الأرض فى يوم القيامة * قال الزمخشرى صفا صفا تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس انتهى * وجىء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى يومئذ بدل من إذا * قال الزمخشرى وعامل النصب فيهما يتذكر انتهى ظاهر كلامه أن العامل فى البدل هو العامل نفسه فى المبدل منه وهو قول قد نسب الى سيبويه والمشهور خلافه وهو أن البدل على نية تكرار العامل أى يتذكر ما فرط فيه * وأنى له الذكرى أى منفعة الذكرى لانه وقت لا ينفع فيه التذكر لو اتعظ فى الدنيا لنفعه ذلك فى الأخرى قاله الجمهور * قال الزمخشرى وغيره أو وقت حياتى فى الدنيا كما تقول جئت لطلوع الشمس ولتاريخ كذا وكذا * وقال قوم لحياتى فى قبرى يعنى الذى كنت أكذب به * قال الزمخشرى وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان فى أيديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصى كمذهب أهل الأهواء والبدع والا فما معنى التحسر انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقرأ الجمهور لا يعذب ولا يوثق مبنيين للفاعل والضمير فى عذابه ووثاقه عائد على الله تعالى أى لا يكل عذابه ولا وثاقه الى أحد لان الأمر لله وحده فى ذلك أو هو من الشدة فى حيز لم يعذب قط أحد فى الدنيا مثله والأول أوضح

لقوله لايعذب ولايوثق ولايطلق على الماضي الا بمجاز بعيد بل موضوع لا اذا دخلت على المضارع أن يكون مستقبلا ويجوز أن يكون الضمير قبلها عائدا على الكافر أي لايعذب أحد من الزبانية مثل مايعذبونه * وقيل الى الله أي لايعذب أحد في الدنيا عذاب الله للكافر ويضعف هذا عمل لايعذب في يومئذ وهو ظرف مستقبل * وقرأ ابن سيرين وابن أبي اسحاق وسوار القاضي وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو بحرية وسلام والكسائي ويعقوب وسهل وخارجة عن أبي عمرو بفتح الذال والثاء مبنيين للمفعول فيجوز أن يكون الضمير فيهما مضافا للمفعول وهو الأظهر أي لايعذب أحد مثل عذابه ولايوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه أو لايحمل أحد عذاب الانسان لقوله تعالى ولاتزر وازرة وزر أخرى وعذاب وضع موضع تعذيب وفي اقتياس مثل هذا خلاف وهو أن يعمل ماوضع لغير المصدر كالعطاء والثواب والعذاب والكلام فالبصريون لايجيزونه ويقيسونه * وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنهم وثاقه بكسر الواو والجمهور بفتحها والمعذب هو الكافر على العموم * وقيل هو أمية بن خلف * وقيل أبي بن خلف * وقيل المراد به ابليس وقام الدليل على أنه أشد من الناس عذابا ويدفع القول هذا قوله يومئذ يتذكر الانسان والضمائر كلها مسوقة له * ولما ذكر تعالى شيأ من أحوال من يعذب ذكر شيأ من أحوال المؤمن فقال ياأيتها النفس وهذا النداء الظاهر انه على لسان ملك * وقرأ الجمهور بتاء التأنيث * وقرأ زيد بن علي ياأيها بغير تاء ولا أعلم أحدا ذكر انها تذكر وان كان المنادى مؤنثا الا صاحب البديع وهذه القراءة شاهدة بذلك ولذلك وجه من القياس وذلك انه لم يثن ولم يجمع في نداء المثنى والمجموع فكذلك لم يؤنث في نداء المؤنث * المطمئنة الآمنة التي لايلحقها خوف ولاحزن أو التي كانت مطمئنة الى الحق لم يخالطها شك * قال ابن زيد يقال لها ذلك عند الموت وخروجها من جسد المؤمن في الدنيا * وقيل عند البعث * وقيل عند دخول الجنة * الى ربك أي إلى موعد ربك * وقيل الرب هنا الانسان دون النفس أي ادخل في الاجساد والنفس اسم جنس * وقيل هذا النداء هو الآن للمؤمنين لما ذكر حال الكفار قال يامؤمنون دوموا وجدوا حتى ترجعوا راضين مرضيين راضية بما أوتيته مرضية عند الله * فادخلي في عبادي أي في جملة عبادي الصالحين * وادخلي جنتي معهم وقيل النفس والروح والمعنى فادخلي في أجساد عبادي * وقرأ الجمهور في عبادي جمعا وابن عباس وعكرمة والضحاك ومجاهد وأبو جعفر وأبو صالح والكلبي وأبو شيخ الهنائي واليماني في عبدي على الافراد والاظهر انه أريد به اسم الجنس فدلوله ومدلول الجمع واحد * وقيل هو على حذف خاطب النفس مفردة فقال فادخلي في عبدي أي في جسد عبدي وتعدى فادخلي أولا بفي وثانيا بغير فاء وذلك انه اذا كان المدخول فيه غير ظرف حقيقي تعدت اليه بفي دخلت في الأمر ودخلت في غمار الناس ومنه فادخلي في عبادي واذا كان المدخول فيه ظرفا حقيقيا تعدت اليه في الغالب بغير وساطة في * قيل في عثمان بن عفان * وقيل في حمزة * وقيل في خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

## ﴿ سورة البلد مكية وهي عشرون آية ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لاأقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد ووالد وماولد * لقد خلقنا الانسان في كبد *

﴿ سورة البلد ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ الآية هذه السورة مكية في قول الجمهور ولما ذكر تعالى ابتلاء الانسان بحالة التنعيم وحالة التقدير وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل اليه حاله وحال المؤمن أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيء وما آل اليه في الآخرة والاشارة بهذا البلد الى مكة ﴿ وأنت حل ﴾ جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به أي وأنت مقيم به وهذا هو الظاهر ﴿ ووالد وما ولد ﴾ لا يراد به معين بل ينطلق على كل والد وولده وقيل على آدم وجميع ولده ﴿ لقد خلقنا ﴾ هذه الجملة المقسم عليها والجمهور على أن الانسان اسم جنس ﴿ وفي كبد ﴾ يكابد مشاق الدنيا والآخرة ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته الى أن يستقر في قراره اما الى جنة فتزول عنه المشقات جميعها واما الى نار فتتضاعف مشقاته وشدائده والظاهر أن الضمير في أيحسب عائد على الانسان (٧٢ :) أي هو لشدة شكيمته وعزته وقوته يحسب أنه لا يقاومه أحد ولا يقدر عليه لاستعصامه بعدده وعدده ﴿ يقول ﴾ على سبيل الفخر ﴿ أهلكت مالا لبدا ﴾ أي كثيرا في المكارم ومما يحصل به الثناء ﴿ أيحسب ﴾ أن أعماله تخفى وأنه لا يراه أحد ولا يطلع عليه في انفاقه وقصده بما ينفقه مما ليس لوجه الله تعالى منه شيء بل عليه حفظة يكتبون ما يصدر عنه من قول وعمل في حياته ويحصونه الى يوم الجزاء ثم عدد تعالى نعمه على الانسان فقال ﴿ ألم نجعل له عينين ﴾ أي يبصر بهما ﴿ ولسانا ﴾ يفصح عما في باطنه ولم يتعرض للسمع لانه يلزم من الكلام السمع ﴿ وشفتين ﴾ يطبقهما على فيه ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال ابن عباس الخير والشر وقيل الثديان ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ أي لم يشكر تلك النعم السابقة ولا نافية والمعنى لم يقتحم والعقبة استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وكان صعودا فانه يلحقه مشقة في سلوكها واقتحمها دخلها بسرعة وضغط وشدة والقحمة الشدة والسنة الشديدة يقال قحم في الأمر قحوما رمى نفسه فيه من غير روية وقرئ فك فعلا ماضيا رقبة نصبا أو أطعم فعلا ماضيا وقرئ فك مرفوع خبر مبتدأ محذوف أي هي فك رقبة ورقبة مجرور بالاضافة أو اطعام مصدر منون معطوف على فك وفيه دليل على اعمال المصدر منونا اذ نصب به يتيما ونظيره قول الشاعر يضرب بالسيوف رؤس قوم * أزلنا هامهن عن المقيل * ووصف يوم بذي مسغبة على الاتساع والمسغبة المجاعة

أيحسب أن لن يقدر عليه أحد * يقول أهلكت مالا لبدا * أيحسب أن لم يره أحد * ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة * والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة * عليهم نار مؤصدة ﴾ الكبد الشدة والمشقة وأصله من كبد الرجل كبدا فهو أكبد اذا وجعه كبده وانتفخت فاستعمل في كل تعب ومشقة ومنه المكابدة * وقال لبيد

يا عين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام الخصوم في كبد

وقال أبو الأصبع

لو ابن عم لو ان الناس في كبد * لظل محتجرا بالنبل يرميني

الشفة معروفة وأصلها شفهة حذفت منها الهاء ويدل عليه شفيهة وشفاه وشافهت وهي مما لا يجوز جمعه بالألف والتاء وان كان تاء التأنيث * النجد الطريق وجمعه نجود وبه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة والنجد الطريق العالي * وقال امرؤ القيس

فريقان منهم جازع بطن نخلة * وآخر منهم قاطع كبكب

الفك تخليص الشيء من الشيء قال الشاعر

فيارب مكروب كررت وراءه * وعان فككت الغل عنه ففداني

السغب الجوع العام وقد يقال سغب الرجل اذا جاع * ترب الرجل اذا افتقر ولصق بالتراب وأترب اذا استغنى وصار ذا مال كالتراب وكذلك أثرى * أوصدت الباب وآصدته اذا أغلقته وطبقته * قال الشاعر

تحن الى أجبال مكة ناقتي * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

﴿ لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد * ووالد وما ولد * لقد خلقنا الانسان في كبد * أيحسب أن لن يقدر عليه أحد * يقول أهلكت مالا لبدا * أيحسب أن لم يره أحد * ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين * فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة *

﴿ذا مقربة﴾ لتجمع صدقة وصلة ﴿أو مسكينا﴾ أو للتنويع ﴿ذا متربة﴾ هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ هذا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة ودخلت ثم لتراخي الايمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي في الزمن لانه لا بد أن يسبق تلك الاعمال الحسنة الايمان اذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والطاعات وعن المعاصي ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ أي بالتعاطف والتراحم أو بما يؤدي الى رحمة الله تعالى * والميمنة والمشأمة تقدم الكلام عليهما في الواقعة ﴿مؤصدة﴾ قرئ بالهمز وبالواو ويقال أوصدت الباب وأصدته اذا أغلقته وأطبقته * قال الشاعر (٤٧٤) تحن الى أجبال مكة ناقتي * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

أو اطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة * والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة * عليهم نار مؤصدة ﴾ هذه السورة مكية في قول الجمهور * وقيل مدنية ولما ذكر تعالى ابتلاءه للانسان بحالة التنعيم وحالة التقدير وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل اليه حاله وحال المؤمن أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيء وما آل اليه في الآخرة والاشارة لهذا البلد الى مكة وأنت حل جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به أي فأنت مقيم به وهذا هو الظاهر * وقال ابن عباس وجماعة معناه وأنت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة * وقال ابن عطية وهذا يتركب على قول من قال لا نافية أي ان هذا البلد لا يقسم الله به وقد جاء أهله بأعمال توجب الاحلال احلال حرمته * وقال شرحبيل بن سعد يعني وأنت حل بهذا البلد جعلوك حلالا مستحل الأذى والقتل والاخراج وهذا القول بدأ به الزمخشري * وقال وفيه بعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر * ثم قال الزمخشري بعد كلام طويل (فان قلت) أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال (قلت) قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع لان الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى وحمله على ان الجملة اعتراضية لا يتعين وقد ذكرنا أولا انها جملة حالية وبينا حسن موقعها وهي حال مقارنة لا مقدرة ولا محكية فليست من الاخبار بالمستقبل وأما سؤاله والجواب فهذا لا يسأله من له أدنى تعلق بالنحو لان الاخبار قد تكون بالمستقبلات وان اسم الفاعل وما يجري مجراه حالة اسناده أو الوصف به لا يتعين حمله على الحال بل يكون للماضي تارة وللحال أخرى وللمستقبل أخرى وهذا من مبادي علم النحو وأما قوله وكفاك دليلا قاطعا الخ فليس بشيء لانا لم نحمل وأنت حل على انه يحل لك ما تصنع في مكة من الاسر والقتل في وقت نزولها بمكة فتنافيا بل حملناه على انه مقيم بها خاصة وهو

( الدر )

﴿سورة البلد﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) فان قلت أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال قلت قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الحباء والاكرام أنت مكرم محبو وهو في كلام الله أوسع لان الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى (ح) حمله على أن الجملة اعتراضية لا يتعين وقد ذكرنا أولا انها جملة حالية وبين حسن موقعها وهو افادة تعظيم المقسم به وهي حال مقارنة لا مقدرة ولا محكية فليست من الاخبار بالمستقبل وأما سؤاله والجواب فهذا لا يسأله من له أدنى تعلق بالنحو لان الاخبار قد يكون بالمستقبلات وان اسم الفاعل وما يجري مجراه حالة اسناده أو الوصف به لا يتعين حمله على الحال بل يكون للماضي تارة وللحال أخرى وللمستقبل أخرى وهذا من مبادي علم النحو وأما قوله وكفاك دليلا قاطعا الى آخره فليس بشيء لانا لم نحمل وأنت حل على أنه يحل لك ما تصنع في مكة من الأسر والقتل في وقت نزولها بمكة فتنافيا بل حملناه على انه مقيم بها خاصة وهو وقت النزول كان مقيما بها ضرورة وأيضا فما حكاه من الاتفاق على انها نزلت بمكة ليس بصحيح وقد يحكى الخلاف فيها عن قوم (ع) ولا يدل قوله وأنت حل بهذا البلد على ما ذكره من أن المعنى يستحل فيه ذلك ولا على انك تستحل فيه أشياء بل الظاهر ما ذكرناه أولا من انه لو أقسم بها لما جمعت من الشرفين شرفها باضافتها الى الله تعالى وشرفها بحضور رسول الله واقامته فيها فصارت أهلا أن يقسم بها .

وقت النزول كان مقيما بها صار ورده وأيضا فما حكاه من الاتفاق على انها نزلت بمكة فليس بصحيح وقد حكى الخلاف فيها عن قول ابن عطية ولا يدل قوله وأنت حل بهذا البلد على ماذكره من ان المعنى يستحل اذ ذاك ولا على انك تستحل فيه أشياء بل الظاهر ماذكرناه أولا من انه تعالى أقسم بها لما جمعت من الشرفين شرفها باضافتها الى الله تعالى وشرفها بحلول رسول الله صلى الله عليه وسلم واقامته فيها فصارت أهلا لان يقسم بها والظاهر ان قوله ووالد وما ولد لا يراد به معين بل ينطلق على كل والد * وقال ابن عباس ذلك قال هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان * وقال مجاهد آدم وجميع ولده * وقيل والصالحين من ذريته * وقيل نوح وذريته * وقال أبو عمران الجوفي ابراهيم عليه السلام وجميع ولده * وقيل ووالد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ولد ابراهيم عليه السلام * وقال الطبري والماوردي يحتمل أن يكون الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد أمته لقوله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد ولقراءة عبد الله وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم فأقسم تعالى به وبأمته بعد أن أقسم ببلده مبالغة في شرفه عليه الصلاة والسلام * وقال الزمخشري ( فان قلت ) ما المراد بوالد وما ولد ( قلت ) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وبمن ولده وبه ( فان قلت ) لم نكر ( قلت ) للابهام المستقل بالمدح والتعجب ( فان قلت ) هلا قيل ومن ولد ( قلت ) فيه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن انتهى * وقال الفراء وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وما خلق الذكر والأنثى وهو الخالق للذكر والأنثى انتهى * وقال ابن عباس وعكرمة وابن جبير المراد بالوالد الذي يولد له وبما ولد العاقر الذي لا يولد له جعلوا ما نافية فتحتاج الى تقدير موصول يصح به هذا المعنى كأنه قال ووالد والذي ما ولد واضمار الموصول لا يجوز عند البصريين * لقد خلقنا الانسان في كبد هذه الجملة المقسم عليها والجمهور على ان الانسان اسم جنس وفي كبد يكابد مشاق الدنيا والآخرة ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته الى أن يستقر قراره اما في جنة فتزول عنه المشقات واما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده وقال ابن عباس وعبد الله بن شداد وأبو صالح والضحاك ومجاهد في كبد معناه منتصب القامة واقفا ولم يخلق منكبا على وجهه وهذا امتنان عليه * وقال ابن كيسان منتصبا رأسه في بطن أمه فاذا أذن له بالخروج قلب رأسه الى قدمي أمه وعن ابن عمر يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء * وقال ابن زيد الانسان آدم في كبد في السماء سماها كبدا وهذه الاقوال ضعيفة والاول هو الظاهر والظاهر ان الضمير في أيحسب عائد على الانسان أي هو لشدة شكيمته وعزته وقوته يحسب أن لا يقاومه أحد ولا يقدر عليه أحد لاستعصامه بعدده وعدده * يقول على سبيل الفخر أهلكت مالا لبدا أي في المكارم وما يحصل به الثناء * أيحسب ان عمله يخفى وانه لا يراه أحد ولا يطلع عليه في انفاقه وقصده ما يبتغيه مما ليس لوجه الله منه شيء بل عليه حفظة يكتبون ما يصدر منه من عمل في حياته ويحصونه الى يوم الجزاء * وقيل الضمير في أيحسب لبعض صناديد قريش * وقيل هو أبو الأشد أسيد بن كلدة كان يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه * وقيل الوليد بن المغيرة * وقيل الحرث بن عامر بن نوفل وكان اذا أذنب استفتى النبي صلى الله عليه وسلم فيأمره بالكفارة فقال لقد أهلكت مالا لبدا في الكفارات والتبعات منذ تبعت محمدا صلى الله عليه وسلم * وقرأ

الجمهور لبدا بضم اللام وفتح الباء، وأبو جعفر بشد الباء، وعنه وعن زيد بن علي لبدا بسكون الباء ومجاهد وابن أبي الزناد بضمهما * ثم عدد تعالى على الانسان نعمه فقال ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يفصح عما في باطنه وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك * وهديناه النجدين قال ابن مسعود وابن عباس والجمهور طريق الخير والشر * وقال ابن عباس أيضا وعلي وابن المسيب والضحاك الثديين لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه * فلا اقتحم العقبة أي لم يشكر تلك النعم السابقة والعقبة استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وكان صعودا فانه يلحقه مشقة في سلوكها واقتحمها دخلها بسرعة وضغط وشدة والقحمة الشدة والسنة الشديدة ويقال قحم في الأمر قحوما رمى نفسه فيه من غير روية والظاهر أن لا للنفي وهو قول أبي عبيدة والفراء والزجاج كأنه قال وهبناه الجوارح ودللناه على السبيل فما فعل خيرا أي فلم يقتحم * قال الفراء والزجاج ذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي حتى تعيد كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وانما أفردها لدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله ثم كان من الذين آمنوا قائما مقام التكرير كأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن * وقيل هو جار مجرى الدعاء كقوله لا نجا ولا سلم دعاء عليه أن لا يفعل خيرا * وقيل هو تحضيض بألا ولا نعرف أن لا وحدها تكون للتحضيض وليس معها الهمزة * وقيل العقبة جهنم لا ينجي منها إلا هذه الأعمال قاله الحسن * وقال ابن عباس ومجاهد وكعب جبل في جهنم * وقال الزمخشري بعد أن نقل مقالة الفراء والزجاج هي بمعنى لا متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك انتهى ولا يتم له هذا إلا على قراءة من قرأ فك فعلا ماضيا * وقرأ ابن كثير والنحويان فك فعلا ماضيا رقبة نصب أو أطعم فعلا ماضيا وباقي السبعة فك مرفوعا رقبة مجرورا واطعام مصدر منون معطوف على فك * وقرأ علي وأبو رجاء كقراءة ابن كثير إلا انهما قرآ ذا مسغبة بالألف * وقرأ الحسن وأبو رجاء أيضا أو اطعام في يوم ذا بالألف ونصب ذا على المفعول أي انسانا ذا مسغبة ويتيما بدل منه أو صفة * وقرأ بعض التابعين فك رقبة بالاضافة أو أطعم فعلا ماضيا ومن قرأ فك بالرفع فهو تفسير لاقتحام العقبة والتقدير وما أدراك ما اقتحام العقبة ومن قرأ فعلا ماضيا فلا يحتاج الى تقدير مضاف بل يكون التعظيم للعقبة نفسها ويجيء فك بدلا من اقتحم قاله ابن عطية وفك الرقبة تخليصها من الأسر والرق * ذا مقربة ليجتمع صدقة وصلة وأو هنا للتنويع ووصف يوم بذي مسغبة على الاتساع ذا متربة قال هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم * وقال ابن عباس هو الذي يخرج من بيته ثم يقلب وجهه اليه مستيقنا أنه ليس فيه إلا التراب * ثم كان من الذين آمنوا هذا معطوف على قوله فلا اقتحم ودخلت ثم لتراخي الايمان والفضيلة لا للتراخي في الزمان لانه لا بد أن يسبق تلك الأعمال الحسنة الايمان إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع أو يكون المعنى ثم كان في عاقبة أمره من الذين وافوا الموت على الايمان إذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات أو يكون التراخي في الذكر كأنه قيل ثم اذكر انه كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والطاعات وعن المعاصي وتواصوا بالمرحمة أي التعاطف والتراحم أو بما يؤدي الى رحمة الله والميمنة والمشأمة تقدم القول فيهما في الواقعة * وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص مؤصدة بالهمز هنا وفي الهمزة فيظهر أنه من آصدت

( الدر )

(ش) هي بمعنى لا متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك انتهى (ح) لا يتم له هذا الا على قراءة من قرأ فك فعلا ماضيا

﴿ سورة والشمس ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ والشمس وضحاها ﴾ هذه السورة مكية ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها أقسم هنا بشئ من العالم العلوي والعالم السفلي و بما هو آلة التفكر في ذلك وهو النفس وكان آخر ما قبلها مختتما بشئ من أحوال الكفار في الآخرة فاختتم آخر هذه بشئ من أحوالهم في الدنيا وفي ذلك ما لهم في الآخرة الى النار وفي الدنيا الى الهلاك المستأصل وتقدم الكلام على ضحى في طه ﴿ والقمر اذا تلاها ﴾ معناه اذا تبعها دائبا في كل وقت لانه يستضئ منها فهو يتلوها لذلك ﴿ والنهار اذا جلاها ﴾ الظاهر أن مفعول جلاها هو الضمير عائد على الشمس لانه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام ( ٤٧٧ ) الانجلاء ﴿ والليل اذا يغشاها ﴾ أي يغشى الشمس فيدخوله تغيب وتظلم الآفاق ونسبة ذلك الى الليل مجاز وأتى بالمضارع في يغشاها لانه الذي يترتب فيه ولو أتى بالماضي كالذي قبله و بعده كان يكون التركيب اذ غشيها فتفوت الفاصلة وهي مقصودة وما في وما بناها وما طحاها وما سواها بمعنى الذي وقيل مصدرية قال الزمخشري * فان قلت لم نكرت النفس * قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من النفوس وهي نفس آدم عليه السلام كانه قال و واحدة من النفوس * الثاني وهو أن يريد كل نفس وتنكر للتكثير * واعترض عليه بعدم الأوصاف المذكورة بعدها فلا تكون الا للجنس ألا ترى الى قوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كيف يقتضي التغاير في المزكي والمدسي ﴿ فألهمها ﴾ قال ابن عباس عرفها ﴿ قد أفلح ﴾ جواب القسم وحذفت اللام لطول المعاطيف على القسم وزكاها طهرها ونماها بالعمل الصالح ودساها أخفاها وحقرها بالمعاصي والتدسية الاخفاء أصله دسس فابدل من ثالث المضاعف حرف علة والظاهر أن فاعل زكى ودسى ضمير يعود على من والمراد كرتعالى خيبة من دس نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك وهي ثمود صالح فعلت ذلك ليعتبر بهم لانهم أقرب البلاد الى الحجاز ﴿ بطغواها ﴾ الباء سببية أي كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها قال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به حتى نزل بهم وهو من الطغيان قلبت فيه الواو ياء والياء واوا فصلا بين الاسم و بين الصفة ﴿ اذ انبعث ﴾ أي خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص والناصب لاذ كذبت * وأشقاها هو قدار بن سالف و الضمير في لهم عائد على ثمود ورسول الله هو صالح عليه السلام وقرئ ﴿ ناقة الله ﴾ بنصب التاء وهو منصوب على التحذير مما يجب اضمار

* قيل و يجوز أن يكون من أوصدت وهمز على حد من قرأ بالسوق مهموزا * وقرأ باقي السبعة بغير همز فيظهر انه من أوصدت * وقيل يجوز أن يكون من آصدت وسهل الهمزة وقال الشاعر

قوما تعالج قملا أبناءهم * وسلاسلا حلقا وبابا مؤصدا

﴿ سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها * كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولا يخاف عقباها ﴾ * طحا ودحا بمعنى واحد أي بسط ووطأ و يأتي طحا بمعنى ذهب * قال علقمة

* طحا بك قلب في الحسان طروب * و يقال ما أدرى أين طحا أي ذهب قاله أبو عمرو وفي أيمان العرب لا والقمر الطاحي أي المشرق المرتفع و يقال طحا يطحو طحوا و يطحى طحوا * التدسية الاخفاء وأصله دسس فأبدل من ثالث المضاعفات حرف علة كما قالوا في تقصص تقصى قال الشاعر

وأنت الذي دسست عمرا فأصبحت * حلائله منه أرامل ضيعا

و ينشد أيضا * ودسست عمرا في التراب * دمدم عليه القبر أطبقه * وقال مؤرج الدمدمة إهلاك باستئصال * وقال في الصحاح دممت الشئ ألزقته بالأرض وطحطحته ﴿ والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها * كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله

وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها * ولا يخاف عقباها ﴾ هذه السورة مكية ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها أقسم هنا بشئ من العالم العلوى والعالم السفلى و بما هو آلة لتفكر فى ذلك وهو النفس وكان آخر ما قبلها مختتما بشئ من أحوال الكفار فى الآخرة فاختتم هذه بشئ من أحوالهم فى الدنيا وفى ذلك بما لهم فى الآخرة فى النار وفى الدنيا الى الهلاك المستأصل وتقدم الكلام على ضحى فى سورة طه عند قوله وأن يحشر الناس ضحى * وقال مجاهد هو ارتفاع الضوء وكماله * وقال مقاتل حرها لقوله ولا تضحى * وقال قتادة هو النهار كله وهذا ليس بجيد لأنه قد أقسم بالنهار والمعروف فى اللغة أن الضحى هو بعد طلوع الشمس قليلا فاذا زاد فهو الضحاء بالمد وفتح الضاد الى الزوال وقول مقاتل تفسير باللازم ونقل عن المبرد من أن الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس والألف مقلوبة من الحاء الثانية وكذلك الواو فى ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية لعله مختلق عليه لأن المبرد أجل من أن يذهب الى هذا وهذان مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما من الاخرى * والقمر اذا تلاها * قال الحسن والفراء تلاها معناه تبعها دأبا فى كل وقت لأنه يستضئ منها فهو يتلوها لذلك * وقال ابن زيد يتلوها فى الشهر كله يتلوها فى النصف الأول من الشهر بالطلوع وفى الآخر بالغروب * وقال ابن سلام فى النصف الأول من الشهر وذلك لأنه يأخذ موضعها ويسير خلفها اذا غابت يتبعها القمر طالعا * وقال قتادة انما ذلك البدر تغيب هى فيطلع هو * وقال الزجاج وغيره تلاها معناه امتلأ واستدار وكان لها تابعا للمنزل من الضياء والقدر لأنه ليس فى الكواكب شئ يتلو الشمس فى هذا المعنى غير القمر * وقيل من أول الشهر الى نصفه فى الغروب تغرب هى ثم يغرب هو وفى النصف الآخر يتحاوران وهو أن تغرب هى فيطلع هو * وقال الزمخشرى تلاها طالعا عند غروبها أخذا من نورها وذلك فى النصف الأول من الشهر * والنهار اذا جلاها الظاهر أن مفعول جلاها هو الضمير عائد على الشمس لأنه عند انبساط النهار تنجلى الشمس فى ذلك الوقت تمام الانجلاء * وقيل يعود على الظلمة * وقيل على الأرض * وقيل على الدنيا والذى يجلى الظلمة هو الشمس أو النهار فانه وان لم يطلع الشمس لا تبقى الظلمة والفاعل بجلاها ضمير النهار * قيل ويحتمل أن يكون عائدا على الله تعالى كأنه قيل والنهار اذا جلى الله الشمس فأقسم بالنهار فى أكمل حالاته * والليل اذا يغشاها أى يغشى الشمس فيدخوله تغيب وتظلم الآفاق ونسبة ذلك الى الليل مجاز * وقيل الضمير عائد على الأرض والذى تقتضيه الفصاحة أن الضمائر كلها الى قوله يغشاها عائدة على الشمس وكما أن النهار جلاها كان الليل هو الذى يغشاها ولما كانت الفواصل ترتبت على ألف وهاء المؤنث أتى والليل اذا يغشاها بالمضارع لأنه الذى ترتب فيه ولو أتى بالماضى كالذى قبله و بعده كان يكون التركيب اذا غشيها فتفوت الفاصلة وهى مقصودة * وقال القفال ما ملخصه هذه الاقسام بالشمس فى الحقيقة بحسب أوصاف أربعة ضوءها عند ارتفاع النهار وقت انتشار الحيوان وطلب المعاش وتلو القمر لها بأخذه الضوء وتكامل طلوعها و بروزها وغيبوبتها بمجئ الليل وما فى قوله وما بناها وما طحاها وما سواها بمعنى الذى قاله الحسن ومجاهد وأبو عبيدة واختاره الطبرى قالوا لأن ما تقع على أولى العلم وغيرهم * وقيل مصدرية قاله قتادة والمبرد والزجاج وهذا قول من ذهب الى أن ما لا تقع على آحاد أولى العلم * وقال الزمخشرى جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله فألهمها وما

---

عامله لانه قد عطف عليه فصار حكم المكرر كقولك الاسد الاسد أى احذروا ناقة الله أى عقرها وعاقبة أمرها أو ذروا عقرها ﴿ وسقياها ﴾ فلا تمنعوها من السقيا ﴿ فعقروها ﴾ أسند العقر للجميع لكونهم راضين به ومتفقين عليه ﴿ فدمدم عليهم ﴾ يقال دمدم عليه القبر أطبقه وقال مؤرج الدمدمة الهلاك باستئصال وفى الصحاح دمدمت الشئ ألصقته بالارض وطحطحته ﴿ فسواها ﴾ أى سوى القبيلة فى الهلاك عاد الضمير بالتأنيث كما عاد فى بالثمود وقيل سوى الدمدمة أى سواها بينهم فلم يفلت منهم صغيرا ولا كبيرا والضمير فى يخاف عائد على أشقاها أى انبعث بعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه والعقبى خاتمة الشئ وما يجئ من الامور بعقبه

( الدر )

﴿ سورة والشمس ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) جعلت مصدرية وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدى اليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وفى كلامهم سبحان ما سخركن لنا

( الدر ) انتهى ( ح ) أما قوله وليس بالوجه لقوله فألهمها يعني من عود الضمير في فألهمها على الله تعالى فيكون قد عاد على مذكور وهو ما المراد به الذي ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير عائد على الله أي وبناها هو أي الله كما اذا رأيت زيدا قد ضرب عمرا فقلت عجبت مما ضرب عمرا تقديره من ضرب عمر وهو كان حسنا فصيحا جائزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير وقوله وما يؤدي اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يؤدي جعلها مصدرية الى ما ذكر وقوله وانما أوثرت الى آخره لا يراد بما ولا بمن الموصولتين معنى الوصفية لانهما لا يوصف بهما بخلاف الذي فاشتراكهما في انهما لا يؤديان معنى الوصفية موجود فيهما فلا ينفرد به ما دون من وقوله وفي كلامهم الى آخره تأوله أصحابنا على أن سبحان علم وما مصدرية ظرفية ( ش ) فان قلت الأمر في نصب اذا معضل لانك اما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو واما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه * قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه فحقهن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملها انتهى ( ح ) أما قوله في واوات العطف فتنصب بها وتجر فليس هذا بالمختار اذ لا يحسن أن يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار أن العمل انما هو للعامل في المعطوف عليه ثم انا لا نسلم انشاء حجة في ذلك وقوله فتقع في العطف على عاملين ليس ما في الآية من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف متعاطفين مجرور ومنصوب على متعاطفين مجرور ومنصوب فحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك امرر بزيد قائما وعمرو جالسا * وقد أنشد سيبويه في كتابه

فليس بمعروف لنا أن نردها * صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا * فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على العاملين فيه أربعة مذاهب وقد نسب الجواز الى سيبويه وقوله في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو هذا المثال مخالف لما في الآية بل وزان ما في الآية مررت بزيد أمس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا وأما قوله على استكراه فليس كما ذكر بل كلام الخليل يدل على المنع قال الخليل في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى الواوان الأخيرتان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان يضمان الأسماء الى الأسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء انتهى وأما قوله ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل قد أجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فتقول أقسم أو أحلف والله لزيد قائم وأما قوله والواوات العواطف نوائب عن هذه الى آخره فمبني على أن حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا بالمختار والذي نقوله ان المعضل هو تقدير العامل في اذا بعد الأقسام كقوله والنجم اذا هوى والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر والقمر اذا تلاها والليل اذا يغشى وما أشبهها فاذا ظرف مستقبل لا جائز أن يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لانه فعل انشائي فهو في الحال ينافي أن يعمل في المستقبل ضرورة أن زمان العامل زمان المعمول ولا جائز أن يكون ثم مضاف محذوف أقيم المقسم به مقامه أي وطلوع النجم ومجيء الليل لانه معمول لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل فيه



يؤدي اليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان من سخركن لنا انتهى أما قوله وليس بالوجه لقوله فألهمها يعني من عود الضمير في فألهمها على الله تعالى فيكون قد عاد على مذكور وهو ما المراد به الذي ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير عائد على الله تعالى أي وبناها هو أي الله تعالى كما اذا رأيت زيدا قد ضرب عمرا فقلت عجبت مما ضرب عمرا تقديره من ضرب عمرا وهو كان حسنا فصيحا جائزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير وقوله وما يؤدي اليه من فساد النظم ليس كذلك ولا يؤدي جعلها مصدرية الى ما ذكر وقوله وانما أوثرت الخ لا يراد بما ولا بمن الموصولتين معنى الوصفية لانهما لا يوصف بهما بخلاف الذي فاشتراكهما في أنهما لا يؤديان معنى الوصفية موجود فيهما فلا ينفرد به ما دون من وقوله وفي كلامهم الخ تأوله أصحابنا على أن سبحان علم وما مصدرية ظرفية * وقال الزمخشري ( فان قلت ) الأمر في نصب

اذا معضـل لأنك اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو
قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وأما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على
استكراهه ( قلت ) الجواب فيه أن واو القسم مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فكان
لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة
مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه فحقهن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما
تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما انتهى
أما قوله في واوات العطف فتنصب بها وتجر فليس هذا بالمختار أعني أن يكون حرف العطف عاملا
لقيامه مقام العامل بل المختار أن العمل انما هو للعامل في المعطوف عليه ثم انا لانشاحة في ذلك
وقوله فتقع في العطف على عاملين ليس ما في الآية من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف
اسمين مجرور ومنصوب على اسمين مجرور ومنصوب فحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو
قولك مر زيد قائما وعمرو جالسا * وقد أنشد سيبويه في كتابه

فليس بمعروف لنا أن نردها * صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا

فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه أربعة مذاهب
وقد نسب الجواز الى سيبويه وقوله في نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو وهذا المثال
مخالف لما في الآية بل وزان ما في الآية مررت بزيد أمس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا وأما قوله على
استكراه فليس كما ذكر بل كلام الخليل يدل على المنع * قال الخليل في قوله عز وجل والليل
اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى الواوان الاخيرتان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما
الواوان اللتان يضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء انتهى
وأما قوله ان واو القسم مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فليس هذا الحكم مجمعا عليه بل قد أجاز
ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فتقول أقسم أو أحلف والله لزيد قائم وأما قوله
والواوات العواطف نوائب عن هذه الخ فمبني على أن حرف العطف عامل لنيابته مناب العامل
وليس هذا بالمختار والذي نقوله ان المعضل هو تقرير العامل في اذا بعد الاقسام كقوله والنجم اذا
هوى والليل اذ ادبر والصبح اذا أسفر والقمر اذا تلاها والليل اذا يغشى وما أشبهها فاذا ظرف
مستقبل لا جائز أن يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لأنه فعل انشائي فهو في الحال ينافي أن
يعمل في المستقبل لاطلاق زمان العامل زمان المعمول ولا جائز أن يكون ثم مضاف محذوف أقيم
المقسم به مقامه أي وطلوع النجم ومجيء الليل لأنه معمول لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل فيه
المستقبل ضرورة ان زمان المعمول زمان العامل ولا جائز أن يعمل فيه نفس المقسم به لانه
ليس من قبيل ما يعمل سيما ان كان جرما ولا جائز أن يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه
ويكون ذلك العامل في موضع الحال وتقديره والنجم كائنا اذا هوى والليل كائنا اذا يغشى لانه
لا يلزم كائنا أن يكون منصوبا بالعامل ولا يصح أن يكون معمولا لشيء مما فرضناه أن يكون عاملا
وأيضا فقد يكون القسم به جثة وظروف الزمان لاتكون أحوالا عن الجثث كما لاتكون أخبارا *
ونفس وما سواها اسم جنس ويدل على ذلك ما بعده من قوله فألهمها وما بعده وتسويتها كمال عقلها
ونظرها ولذلك ارتبط به فألهمها لان الفاء تقتضي الترتيب على ما قبلها من التسوية التي هي
لاتكون الا بالعقل * وقال الزمخشري ( فان قلت ) لم نكرت النفس ( قلت ) فيه وجهان



المستقبل ضرورة أن زمان المعمول زمان العامل ولا جائز أن يعمل فيه نفس المقسم به لانه ليس من قبيل ما يعمل لاسيما ان كان جرما ولا جائز أن يقدر محذوف قبل الظرف فيكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال وتقديره والنجم كائنا اذا هوى والليل كائنا اذا يغشى لانه يلزم كائنا أن يكون منصوبا بالعامل ولا يصح أن يكون معمولا لشيء مما فرضناه أن يكون عاملا وأيضا فقد يكون المقسم به جثة وظروف الزمان لا تكون أحوالا عن الجثة كما لا تكون اخبارا (ش) فان قلت لم نكرت النفس * قلت فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس انتهى (ح) هذا فيه بعد للاوصاف المذكورة بعدها فلا تكون الا للجنس ألا ترى الى قوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كيف يقتضي التغاير في المزكى وفي المدسى

أحدها أن يريد نفساً خاصة من النفوس وهي نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس انتهى وهذا فيه بعد للأوصاف المذكورة بعدها فلا تكون إلا للجنس ألا ترى إلى قوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كيف تقتضي التغاير في المزكي وفي المدسي * فألهمها قال ابن جبير ألزمها * وقال ابن عباس عرفها * وقال ابن زيد بين لها * وقال الزجاج وفقها للتقوى وألهمها فجورها أي خذلها وقيل عرفها وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور واكتساب التقوى * وقال الزمخشري ومعنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الإنماء والتدسية النقص والإخفاء بالفجور انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * قد أفلح من زكاها قال الزجاج وغيره هذا جواب القسم وحذفت اللام لطول الكلام والتقدير لقد أفلح * وقيل الجواب محذوف تقديره لتبعثن * وقال الزمخشري تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء انتهى وزكاها طهرها ونماها بالعمل الصالح ودساها أخفاها وحقرها بعمل المعاصي والظاهر أن فاعل زكى ودسى ضمير يعود على من وقاله الحسن وغيره ويجوز أن يكون ضمير الله تعالى وعاد الضمير مؤنثاً باعتبار المعنى من مراعاة التأنيث وفي الحديث ما يشهد لهذا التأويل كان عليه السلام إذا قرأ هذه الآية قال اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها * وقال الزمخشري وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وإن تأنيث الراجع إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدراً هو بريء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه تعالى انتهى يجري على عادته في سب أهل السنة وهذا وقائل ذلك هو بحر العلم عبد الله بن عباس والرسول صلى الله عليه وسلم يقول وزكها أنت خير من زكاها * وقال تعالى دساها أي أهل الخير بالرياء وليس منهم وحين قال وتقواها أعقبه بقوله قد أفلح من زكاها ولما قال وقد خاب من دساها أعقبه بأهل الجنة ولما ذكر تعالى خيبة من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم بطغواها الباء عند الجمهور سببية أي كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها وقال ابن عباس الطغوى هنا العذاب كذبوا به حتى نزل بهم اقوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وقرأ الجمهور بطغواها بفتح الطاء وهو مصدر من الطغيان قلبت فيه الياء واواً فصلا بين الاسم وبين الصفة قالوا فيها صرنا وحديا وقالوا في الاسم تقوى وشروى * وقرأ الحسن ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة بضم الطاء وهو مصدر كالرجعى وكان قياسها الطغيا بالياء كالسقيا لكنهم شذوا فيه * إذا انبعث أي خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص والناصب لإذ كذبت وأشقاها قدار بن سالف وقد يراد به الجماعة لأن أفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة جاز إفراده وإن عنى به جمع * وقال الزمخشري ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها انتهى فأطلق الإضافة وكان ينبغي أن يقول إلى معرفة لأن إضافته إلى نكرة لا يجوز فيه إذ ذاك إلا أن يكون مفرداً مذكراً كحاله إذا كان بمن والظاهر أن الضمير في لهم عائد على أقرب مذكور وهو أشقاها إذا أريد به الجماعة ويجوز أن يعود على ثمود رسول هو صالح عليه السلام * وقرأ الجمهور ناقة الله بنصب التاء وهو منصوب

( الدر )

(ش) ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها (ح) أطلق الإضافة وكان ينبغي أن يقول إلى معرفة لأن إضافته إلى نكرة لا يجوز فيه إذ ذاك إلا أن يكون مفرداً مذكراً كحاله إذا كان بمن

﴿سورة والليل﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿والليل اذا يغشى﴾ هذه السورة مكية * ولما ذكر فيما قبلها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ذكر هنا من الاوصاف ما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة ومفعول يغشى محذوف فاحتمل أن يكون النهار كقوله يغشى الليل النهار وأن تكون الشمس كقوله والليل اذا يغشاها وتجلى انكشف وظهر اما بزوال ظلمة الليل واما بنور الشمس أقسم بالليل الذي فيه كل حيوان يأوي الى مأواه وبالنهار الذي ينتشر فيه ﴿وما خلق﴾ ما مصدرية أو بمعنى الذي والظاهر عموم الذكر  والانثى ﴿ان سعيكم﴾ أي مساعيكم ﴿لشتى﴾ أي متفرقة ثم فصل هذا السعي فقال ﴿فاما من أعطى﴾ الآية روى أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان يعتق ضعفة العبيد الذين أسلموا وينفق في رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله وكان الكفار بضده أعطى أي حق الله واتقى الله ﴿وصدق بالحسنى﴾ هي الجنة ﴿فسنيسره لليسرى﴾ أي نهيئه للحالة التي هي أيسر عليه وأهون وذلك في الدنيا والآخرة وهذا من التجنيس المغاير فسنيسره فعل واليسرى اسم وقابل أعطى ببخل واتقى باستغنى لأنه زهد فيما عند الله تعالى بقوله واستغنى * للعسرى وهي الحالة السيئة في الدنيا والآخرة وجاء نيسره للعسرى على سبيل المقابلة لقوله نيسره لليسرى والعسرى لا تيسير فيها وقد يراد بالتيسير التهيئة وذلك يكون في اليسرى والعسرى ﴿وما يغنى﴾ يجوز أن تكون نافية واستفهامية أي وأي شيء يغنى عنه ماله ﴿اذا تردى﴾ تفعل من الردى أي هلك ﴿ان علينا للهدى﴾ التعريف بالسبل ومنحهم الادراك كما قال وعلى الله قصد السبيل ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ أي ثواب الدارين ﴿الاشقى﴾ جعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له * والاتقى جعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له ﴿يتزكى﴾ أي يكون عند الله زاكيا ﴿من نعمة﴾ من زائدة ونعمة مبتدأ * وتجزى صفة لنعمة ونعمة خبر لأحد ﴿الا ابتغاء﴾ مفعول له لان معنى ما قبله ما آتى المال الا ابتغاء وجه ربه ﴿ولسوف يرضى﴾ وعد له بالثواب

على التحذير مما يجب اضمار عامله لانه قد عطف عليه فصار حكمه بالعطف حكم المكرر كقولك الأسد الأسد أي احذروا ناقة الله وسقياها فلا تفعلوا ذلك * فكذبوه الجمهور على انهم كانوا كافرين وروى أنهم كانوا قد أسلموا قبل ذلك وتابوا واصالحا بعده ثم كذبوا وعقروا وأسند العقر للجماعة لكونهم راضين به ومتمالئين عليه * وقرأ الجمهور فدمدم بميم بعد الدال وابن الزبير فدهدم بهاء بينهما أي أطبق عليهم العذاب مكررا ذلك الشمول بذنبهم فيه تخويف من عاقبة الذنوب فسواها * قيل فسوى القبيلة في الهلاك عاد عليها بالتأنيث كما عاد في بطغواها * وقيل سوى الدمدمة أي سواها بينهم فلم يفلت منهم صغيرا ولا كبيرا * وقرأ أبي والأعرج ونافع وابن عامر فلا يخاف بالفاء وباقي السبعة ولا بالواو والضمير في يخاف الظاهر عوده الى أقرب مذكور وهو ربهم أي لا درك عليه تعالى في فعله بهم لا يسئل عما يفعل قاله ابن عباس والحسن وفيه ذم لهم وتعقبة لآثارهم * وقيل يحتمل أن يعود على صالح أي لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم اذ كان قد أنذرهم وحذرهم ومن قرأ ولا يحتمل الضمير الوجهين * وقال السدي والضحاك ومقاتل والزجاج وأبو علي الواو واو الحال والضمير في يخاف عائد على أشقاها أي انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه والعقبى خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه وهذا فيه بعد لطول الفصل بين الحال وصاحبها

﴿سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * وما خلق الذكر والأنثى * إن سعيكم لشتى * فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى * وما يغني عنه ماله إذا تردى * إن علينا للهدى * وإن لنا للآخرة والأولى * فأنذرتكم نارا تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى * الذي كذب وتولى * وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتي ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى * ولسوف يرضى﴾

هذه السورة مكية * وقال علي بن أبي طلحة مدنية * وقيل فيها مدني ولما ذكر فيما قبلها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح وما تحصل به الخيبة ثم حذر النار وذكر من يصلاها ومن يجنبها ومفعول يغشى محذوف فاحتمل أن يكون النهار كقوله يغشى الليل النهار وأن يكون الشمس كقوله والليل اذا يغشاها * وقيل الأرض وجميع ما فيها

بظلامه وتجلى انكشف وظهر إما بزوال ظلمة الليل وإما بنور الشمس أقسم بالليل الذي فيه كل حيوان يأوي الى مأواه وبالنهار الذي تنتشر فيه * وقال الشاعر

يجلي السرى من وجهه عن صفيحة * على السير مشراق كثير شحومها

* وقرأ الجمهور تجلى فعلا ماضيا فاعله ضمير النهار * وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير تتجلى بتاءين يعني الشمس * وقرئ تجلى بضم التاء وسكون الجيم أي الشمس * وما خلق ما مصدرية أو بمعنى الذي والظاهر عموم الذكر والأنثى * وقيل من بني آدم فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته * وقال ابن عباس والكلبي والحسن هما آدم وحواء والثابت في مصاحف الأمصار والمتواتر وما خلق الذكر والأنثى وما ثبت في الحديث من قراءة والذكر والأنثى نقل آحاد مخالف للسواد فلا يعد قرآنا * وذكر ثعلب أن من السلف من قرأ وما خلق الذكر بجر الذكر وذكرها الزمخشري عن الكسائي وقد خرجوه على البدل من ما على تقدير والذي خلق الله وقد يخرج على توهم المصدر أي وخلق الذكر والأنثى كما قال الشاعر

تطوف العفاة بأبوابه * كما طاف بالبيعة الراهب

بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر أي كطواف الراهب بالبيعة * ان سعيكم أي مساعيكم لشتى لمتفرقة مختلفة ثم فصل هذا السعي * فأما من أعطى الآية روي أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان يعتق ضعفة عبيد الذين أسلموا وينفق في رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله وكان الكفار بضده * قال عبد الله بن أبي أوفى نزلت هذه السورة في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأبي سفيان بن حرب * وقال السدي نزلت في أبي الدحداح الأنصاري بسبب ما كان يعلق في المسجد صدقة وبسبب النخلة التي اشتراها من المنافق بحائط له وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ساوم المنافق في شرائها بنخلة في الجنة وذلك بسبب الأيتام الذين كانت النخلة تشرف على بيتهم فيسقط منها الشيء فتأخذه الأيتام فمنعهم المنافق فأبى المنافق فجاء أبو الدحداح وقال يا رسول الله أنا أشتري النخلة التي في الجنة بهذه وحذف مفعولي أعطى إذ المقصود الثناء على المعطي دون تعرض للمعطى والعطية وظاهره بذل المال في واجب ومندوب ومكرمة * وقال قتادة أعطى حق الله * وقال ابن زيد أنفق ماله في سبيل الله * واتقى قال ابن عباس اتقى الله * وقال مجاهد واتقى البخل * وقال قتادة واتقى ما نهي عنه * وصدق بالحسنى الحسنى صفة تأنيث الأحسن * فقال ابن عباس وعكرمة وجماعة هي الخلف في الدنيا الوارد بوعد الله تعالى * وقال مجاهد والحسن وجماعة الجنة * وقال جماعة الثواب * وقال السلمي وغيره لا إله إلا الله * فسنيسره لليسرى أي نهيئه للحالة التي هي أيسر عليه وأهون وذلك في الدنيا والآخرة وقابل أعطى ببخل واتقى باستغنى لأنه زهد فيما عند الله بقوله واستغنى للعسرى وهي الحالة السيئة في الدنيا والآخرة * وقال الزمخشري فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء إذ سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر أو أرادهما طريقي الجنة والنار أي فنهديهما في الآخرة للطريقين انتهى وفي أول كلامه دسيسة الاعتزال وجاء فسنيسره للعسرى على سبيل المقابلة لقوله فسنيسره لليسرى والعسرى لا تيسير فيها وقد يراد التيسير التهيئة وذلك يكون في اليسرى والعسرى * وما يغني يجوز أن تكون ما نافية واستفهامية أي وأي شيء يغني عنه ماله اذا تردى تفعل من الردى أي هلك

قاله مجاهد * وقال قتادة وأبو صالح تردى في جهنم أي سقط من حافاتها * وقال قوم تردى بأكفانه من الردى * وقال مالك بن الذئب

وخطا بأطراف الأسنة مضجعي * وردا على عيني فضل ردائيا

﴿ وقال آخر ﴾

نصيبك مما تجمع الدهر كله * ردا آن تلوى فيهما وحنوط

ن علينا الهدى التعريف بالسبيل ومنحهم الادراك كما قال تعالى وعلى الله قصد السبيل * وقال الزمخشري ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع * وان لنا للآخرة والأولى أي ثواب الدارين لقوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين * وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة وسفيان بن عيينة وعبيد بن عمير تتلظى بتاءين والبزي بتاء مشددة والجمهور بتاء واحدة * وقال الزمخشري الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين * فقيل الأشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق إلا له * وقال الأتقى وجعل مختصا بالنجاة وكأن الجنة لم تخلق إلا له * وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يتزكى من الزكاة أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة انتهى * وقرأ الجمهور يتزكى مضارع تزكى * وقرأ الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم بادغام التاء في الزاي ويتزكى في موضع الحال فموضعه نصب وأجاز الزمخشري أن لا يكون له موضع من الاعراب لانه جعله بدلا من صلة الذي وهو يؤتى ماله وهو اعراب متكلف وجاء تجزى مبنيا للمفعول لكونه فاصلة وكان أصله نجزيه إياها أو نجزيها إياه * وقرأ الجمهور الا ابتغاء بنصب الهمزة وهو استثناء منقطع لانه ليس داخلا في من نعمة * وقرأ ابن وثاب بالرفع على البدل في موضع نعمة لانه رفع وهي لغة تميم وأنشد بالوجهين قول بشر بن أبي حازم

أضحت خلاء قفارا لا أنيس بها * إلا الجآذر والظلمان تختلف

﴿ وقال الراجز في الرفع ﴾

وبلدة ليس بها أنيس * إلا اليعافير وإلا العيس

* وقرأ ابن أبي عبلة إلا ابتغاء مقصورا * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ابتغاء وجه الله مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة انتهى وهذا أخذه من قول الفراء * قال الفراء ونصب على تأويل ما أعطيك ابتغاء جزائك بل ابتغاء وجه الله * ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضاه * وقرأ الجمهور يرضى بفتح الياء وقرئ بضمها أي يرضى فعله يرضاه الله ويجازيه عليه

﴿ سورة الضحى مكية وهي إحدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والضحى * والليل اذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث ﴾

﴿ سورة والضحى ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ والضحى والليل اذا سجى ﴾ هذه السورة مكية وسبب نزولها قال ابن عباس أبطأ الوحي مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة حتى شق ذلك عليه فقالت أم جميل امرأة أبي لهب يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فنزلت الآية ولما ذكر فيما قبلها وسيجنبها الاتقى وكان سيد الاتقياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هنا نعمه تعالى عليه ﴿ ما ودعك ﴾ أي ما تركك وقرأ أبو بحرية وابن أبي عبلة بالتخفيف ما ودعك ﴿ وما قلى ﴾ ما أبغضك واللغة الشهيرة في مضارع قلى يقلي ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ ذلك في الآخرة وقال ابن عباس رضاه أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار واللام في وللآخرة لام الابتداء أكدت مضمون الجملة ولما أوعده هذا الموعد الجليل ذكره بنعمه تعالى عليه في حال نشأته ﴿ ألم يجدك ﴾ يعلمك ﴿ يتيما ﴾ توفي أبوه عليه السلام وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه عليه السلام وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب وأحسن تربيته وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق ﴿ ووجدك ضالا ﴾ قال ابن عباس هو ضلاله وهو صغير في شعاب مكة ثم رده الله تعالى الى جده عبد المطلب ورأيت في النوم اني أفكر في هذه الجملة فأقول على الفور ووجدك أي وجد رهطك ضالا فهداه بك ﴿ ووجدك عائلا ﴾ أي فقيرا عال الرجل افتقر وأعال كثر عياله ﴿ فأغنى ﴾ رضاك بما أعطاك من الرزق ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث وصاه بثلاث كأنها مقابلة لها ﴿ فلا تقهر ﴾ أي فلا تحقره ﴿ وأما السائل ﴾ ظاهره المستعطي ﴿ فلا تنهر ﴾ أي فلا تزجره لكن أعطه أو رده ردا جميلا ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ معناه بث القرآن وبلغ ما أرسلت به والظاهر أنه لما تقدم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة أمره بثلاثة نذكر اليتيم أولا وهي البداية ثم ثانيا السائل وهو العائل وكان أشرف ما امتن به عليه هي الهداية فترقى من هذين الى الاشرف وجعله مقطع السورة وانما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة لانه بعد اليتم هو زمان التكليف وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من اقتراف ما لا يرضي الله تعالى في القول والفعل والعقيدة فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليتم وحالة التكليف وفي الآخرة ترقى الى الاشرف فهما مقصدان في الخطاب

---

سجا الليل أدبر * وقيل أقبل ومنه

يا حبذا القمراء والليل الساج * وطرق مثل ملاء النساج

وبحر ساج ساكن * قال الأعشى

وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم * وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

وطرف ساج غير مضطرب بالنظر * وقال الفراء سجا الليل أظلم وركد * وقال ابن الاعرابي سجا الليل اشتد ظلامه ﴿ والضحى * والليل اذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى * ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها وسيجنبها الأتقى وكان سيد الاتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر تعالى هنا نعمه عليه * وقرأ الجمهور ما ودعك بتشديد الدال وعروة بن الزبير وابنه هشام وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة بخفها أي ما تركك واستغنت العرب في فصيح كلامها بترك عن ودع وذر وعن اسم فاعلهما بتارك وعن اسم مفعولهما بمتروك وعن مصدرهما بالترك وقد سمع ودع وذر قال أبو الاسود

ليت شعري عن خليلي ما الذي * غاله في الحب حتى ودعه

﴿ وقال آخر ﴾

ثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك * وما قلى ما أبغضك واللغة الشهيرة في مضارع قلى يقلي وطيء تقلى بفتح العين وحذف المفعول اختصارا في قلى وفي فآوى وفي فهدى وفي فأغنى اذ يعلم انه ضمير المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم * قال ابن عباس وغيره أبطأ الوحي مرة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة حتى شق ذلك عليه فقالت أم جميل امرأة أبي لهب يا محمد ما أرى شيطانك الا تركك فنزلت * وقال زيد بن أسلم انما احتبس عنه جبريل عليه السلام لجرو كلب كان في بيته * وللآخرة خير لك من الأولى يريد الدار الآخرة قاله ابن اسحق وغيره

ويحتمل أن يريد حالتيه قبل نزول السورة وبعدها وعده تعالى بالنصر والظفر قاله ابن عطية احتمالا * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الأولى بما قبله (قلت) لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره ان حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته * ولسوف يعطيك ربك فترضى * قال الجمهور ذلك في الآخرة * وقال ابن عباس رضاه أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار * وقال أيضا رضاه انه وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج اليه من النعم والخدم * وقيل في الدنيا بفتح مكة وغيره والأولى أن هذا موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الظفر ولما ادخره له من الثواب واللام في وللآخرة لام ابتداء أكدت مضمون الجملة وكذا في ولسوف على اضمار مبتدأ أي ولأنت سوف يعطيك * ولما وعده هذا الموعود الجليل ذكره بنعمه عليه في حال نشأته * ألم يجدك يتيما توفي أبوه عليه الصلاة والسلام وهو جنين أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه أبو طالب فأحسن تربيته * وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق * قال الزمخشري ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك انتهى * وقرأ الجمهور فآوى رباعيا وأبو الأشهب العقيلي فأوى ثلاثيا بمعنى رحم تقول أويت لفلان أي رحمته * ومنه قول الشاعر

أراني ولا كفران الله انه * لنفسي قد طالبت غير منيل

ووجدك ضالا لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى لان الأنبياء معصومون من ذلك * قال ابن عباس هو ضلاله وهو في صغره في شعاب مكة ثم رده الله الى جده عبد المطلب * وقيل ضلاله من حليمة مرضعته * وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب ولبعض المفسرين أقوال فيها بعض ما لا يجوز نسبته الى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولقد رأيت في النوم اني أفكر في هذه الجملة وأقول على الفور ووجدك أي وجد رهطك ضالا فهداه بك * ثم أقول على حذف مضاف نحو واسأل القرية * وقرأ الجمهور عائلا أي فقيرا * قال جرير

الله نزل في الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

كرر لاختلاف اللفظ * وقرأ اليماني عيلا كسيد بتشديد الياء المكسورة * ومنه قول أحيحة ابن الجلاح

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

عال افتقر وأعال كثر عياله * قال مقاتل فأغناك برضاك بما أعطاك من الرزق * وقيل أغناك بالقناعة والصبر * وقيل بالكفاف ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث وصاه بثلاث كأنها مقابلة لها * فلا تقهر قال مجاهد لا تحتقر * وقال ابن سلام لا تستذله * وقال سفيان لا تظلمه بتضييع ماله * وقال الفراء لا تمنعه حقه والقهر هو التسليط بما يؤذي * وقرأ الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود وابراهيم التيمي بالكاف بدل القاف وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور * وأما السائل ظاهره المستعطي فلا تنهر أي تزجره لكن أعطه أو رده ردا جميلا * وقال قتادة لا تغلظ عليه وهذه في مقابلة ووجدك عائلا فأغنى والسائل كما قلنا المستعطي وقاله الفراء وجماعة * وقال أبو الدرداء والحسن وغيرهما

السائل هنا السائل عن العلم والدين لا سائل المال فيكون بازاء ووجدك ضالا فهدى وأما بنعمة ربك فحدث * قال مجاهد والكلبي معناه بث القرآن وبلغ ما أرسلت به * وقال محمد بن اسحق هي النبوة * وقال آخرون هي عموم في جميع النعم * وقال الزمخشري التحديث بالنعم شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك انتهى ويظهر أنه لما تقدم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة أمره بثلاثة فذكر اليتيم أولا وهي البداية ثم ذكر السائل ثانيا وهو العائل وكان أشرف ما امتن به عليه هي الهداية فترقى من هذين الى الاشرف وجعله مقطع السورة وانما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة لانه بعد اليتيم هو زمن التكليف وهو عليه الصلاة والسلام معصوم من اقتراف ما لا يرضى الله عز وجل في القول والفعل والعقيدة فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليتيم وحالة التكليف وفي الآخر ترقى الى الأشرف فهما مقصدان في الخطاب

﴿ سورة الانشراح مكية وهي ثماني آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك * فان مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا * فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب ﴾

هذه السورة مكية * ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وشرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى اليه قاله الجمهور والاولى العموم لهذا ولغيره من تقاسمه [illegible] المكاره من اذاية الكفار * وقال ابن عباس وجماعة اشارة الى شق جبريل عليه السلام صدره في وقت صغره ودخلت همزة الاستفهام على النفي فصار [illegible] شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه الماضي [illegible] ولبثت * وقرأ الجمهور نشرح بجزم الحاء لدخول الجازم * وقرأ أبو جعفر [illegible] عطية في كتابه على أنه ألم نشرحن فأبدل من النون ألفا ثم حذفها تخفيفا [illegible] أبو زيد في نوادره من قول الراجز

من أي يومي من الموت أفر * أيوم لم يقدر أم يوم قدر

* وقال الشاعر

أضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

﴿ سورة ألم نشرح ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وشرح الصدر تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى اليه وقيل اشارة الى شق جبريل عليه السلام صدره في وقت صغره وقرأ أبو جعفر المنصور ألم نشرح بنصب الحاء وخرجه ابن عطية على انه ألم نشرحن فابدل من النون الفا ثم حذفها تخفيفا وأحسن من هذا التخريج ما ذكره اللحياني في نوادره عن بعض العرب انهم يجزمون بلن وينصبون بلم ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما تقول العرب رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم تصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء زيارته وقال أهل اللغة انقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا في شدة الحمل ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ هو أن قرنه بذكره تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن وفي تسميته رسول الله ونبي الله وذكره في كتب الاولين والأخذ على الانبياء وأممهم أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم وقال حسان رضي الله عنه فيه عليه السلام

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وتعديد هذه النعم عليه صلى الله عليه وسلم يقتضي أنه تعالى كما أحسن اليك بهذه المراتب فانه يحسن اليك بظفرك باعدائك وينصرك عليهم وكان الكفار يعيرون المؤمنين بالفقر فذكره بهذه النعم وقوى رجاءه بقوله ﴿ فان مع العسر يسرا ﴾ أي ان مع الضيق فرجا ثم كرر ذلك مبالغة في حصول اليسر ﴿ فاذا فرغت ﴾ أي من فرضك ﴿ فانصب ﴾ من التنفل عبادة لربك * وفارغب أمر من رغب ثلاثيا أي اصرف وجه الرغبات اليه تعالى لا الى سواه

* وقال قراءة مرذوله * وقال الزمخشري وقد ذكرها عن أبي جعفر المنصور وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها انتهى ولهذه القراءة تخريج أحسن من هذا كله وهو أنه لغة لبعض العرب حكاها اللحياني في نوادره وهي الجزم بلن والنصب بلم عكس المعروف عند الناس * وأنشد قول عائشة بنت الاعجم تمدح المختار بن أبي عبيد وهو القائم بثار الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما

قد كان سمك الهدى ينهد قائمه * حتى أتيح له المختار فانعمدا

في كل ما هم أمضى رأيه قدما * ولم يشاور في اقدامه أحدا

بنصب يشاور وهذا محتمل للنصب بجين وهو أحسن مما تقدم * ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول القائل رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه * وقال أهل اللغة أنقض الحمل ظهر الناقة اذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وسمعت نقيض الرجل أي صريره * قال عباس بن مرادس

وأنقض ظهري ما تطويت منهم * وكنت عليهم مشفقا متحننا

* وقال جميل

وحتى تداعت بالنقيض حباله * وهمت بوأى زورة أن تحطما

والنقيض صوت الانقضاض والانفكاك * ورفعنا لك ذكرك هو أن قرنه بذكره تعالى في كلمة الشهادة والأذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن وفي تسميته نبي الله ورسول الله وذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء وأممهم أن يؤمنوا به * وقال حسان

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وتعديد هذه النعم عليه صلى الله عليه وسلم يقتضي أنه تعالى كما أحسن اليك بهذه المراتب فانه يحسن اليك بظفرك على أعدائك وبنصرك عليهم وكان الكفار أيضا يعيرون المؤمنين بالفقر فذكره هذه النعم وقوى رجاءه بقوله فان مع العسر يسرا أي مع الضيق فرجا ثم كرر ذلك مبالغة في حصول اليسر ولما كان اليسر يعتقب العسر من غير تطاول أزمان جعل كأنه معه وفي ذلك تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بحصول اليسر عاجلا والظاهر أن التكرار للتوكيد كما قلنا * وقيل تكرر اليسر باعتبار المحل فيسر في الدنيا ويسر في الآخرة * وقيل مع كل عسر يسران من حيث ان العسر معرف بالعهد واليسر منكر فالأول غير الثاني وفي الحديث لن يغلب عسر يسرين وضم سين العسر ويسرا فيهن ابن وثاب وأبو جعفر وعيسى وسكنهما الجمهور ولما عدد تعالى نعمه السابقة عليه صلى الله عليه وسلم ووعده بتيسير ما عسره أمره بان يدأب في العبادة اذا فرغ من مثلها ولا يفتر * وقال ابن مسعود فاذا فرغت من فرضك فانصب في التنفل عبادة لربك * وقال أيضا فانصب في قيام الليل * وقال مجاهد قال فاذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك * وقال ابن عباس وقتادة فاذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء * وقال الحسن فاذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة ويعترض قوله هذا بأن الجهاد فرض بالمدينة * وقرأ الجمهور فرغت بفتح الراء وأبو السمال بكسرها وهي لغة * قال الزمخشري ليست بفصيحة * وقرأ الجمهور

فانصب بسكون الباء خفيفة وقوم بشدها مفتوحة من الانداب * وقرأ آخرون من الامامية فانصب بكسر الصاد بمعنى اذا فرغت من الرسالة فانصب خليفة * قال ابن عطية وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم انتهى * وقرأ الجمهور فارغب أمر من رغب ثلاثيا أي اصرف وجه الرغبات اليه لا الى سواه * وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة فرغب أمر من رغب بشد الغين

## ﴿ سورة التين مكية وهي ثماني آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون * فما يكذبك بعد بالدين * أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ التين هو الفاكهة المعروفة واسم جبل وتأتي أقوال المفسرين فيه ﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون * فما يكذبك بعد بالدين * أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ هذه السورة مكية في قول الجمهور * وقال ابن عباس وقتادة مدنية ولما ذكر فيما قبلها من كمله الله خلقا وخلقا وفضله على سائر العالم ذكر هنا حالة من يعاديه وأنه يرده أسفل سافلين في الدنيا والآخرة وأقسم تعالى بما أقسم به أنه خلقه مهيأ لقبول الحق ثم نقله كما أراد الى الحالة السافلة والظاهر أن التين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم وفي الحديث مدح التين وأنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والنخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي * وقال كعب وعكرمة أقسم تعالى بمنابتهما فان التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا فأقسم بالأرضين * وقال قتادة هما جبلان بالشام على أحدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس انتهى وفي شعر النابغة ذكر التين وشرح بأنه جبل مستطيل * قال النابغة

صهب الظلال أتين التين عن عرض * يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

* وقيل هما مسجدان واضطربوا في مواضعهما اضطرابا كثيرا اضربنا عن ذكره صفحا ولم يختلف في طور سينا أنه جبل بالشام وهو الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه ومعنى سينين ذو الشجر * وقال عكرمة حسن مبارك * وقرأ الجمهور سينين وابن أبي اسحق وعمرو بن ميمون

﴿ سورة والتين ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ والتين والزيتون ﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها من كمله الله تعالى خلقا وخلقا وفضله على سائر العالم ثم ذكر هنا حالة من يعاديه وأنه يرده الى أسفل السافلين في الدنيا والآخرة وأقسم تعالى بما أقسم به أنه خلقه مهيأ لقبول الحق نقله كما أراد الى الحالة السافلة والظاهر أن التين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم وفي الحديث مدح التين وانه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت أقسم تعالى بمنابتهما فالتين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا فأقسم بالأرضين ( ٢:٨٩ ) وقيل هما جبلان بالشام على أحدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس ومعنى سينين ذو الشجر ﴿ وهذا البلد الأمين ﴾ هو مكة وأمين فعيل للمبالغة أي آمن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان ومعنى القسم بهذه الأشياء بأنه شرفها وأظهر فيها من الخير بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذي نودي عليه موسى عليه السلام ومكة مكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين ﴿ في أحسن تقويم ﴾ في أحسن صورة وحواس والانسان هنا اسم جنس وأحسن صفة لمحذوف تقديره في تقويم أحسن تقويم ﴿ ثم رددناه ﴾ أي بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبر حتى يصير لا يعلم شيأ



أما المؤمن فمرفوع عنه القلم والاستثناء على هذا منقطع وليس المعنى ان كل انسان يعتريه هذا بل في الجنس من يعتريه ذلك ومن لا يعتريه وفي الحديث اذا بلغ الرجل مائة ولم يعمل شيأ كتب له مثل ما كان يعمل في صحته ولم يكتب عليه سيئة وفيه أيضا أن المؤمن اذا رد الى أرذل العمر كتب له خير ما كان يعمل في قوته وذلك أجر غير ممنون أي غير ممنوع ولا مقطوع أو محسوب يمن به عليهم والخطاب في فما يكذبك للانسان الكافر أي ما الذي يجعلك مكذبا بالدين تجعل لله تعالى أندادا وتزعم أن لا بعث بعد هذه الدلائل ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ وعيد للكفار واخبار بعدله تعالى

وأبو رجاء بفتح السين وهي لغة بكر وتميم * قال الزمخشري ونحو سينون بيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء تحريك النون بحركات الاعراب انتهى * وقرأ عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن سيناء بكسر السين والمد وعمر أيضا وزيد بن علي بفتحها والمد وهو لفظ سرياني اختلفت بها لغات العرب * وقال الاخفش سينين شجر واحده سينينة * وهذا البلد الأمين هو مكة وأمين للمبالغة أي آمن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان أو من أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين وأمانته حفظه من دخله ولا ما فيه من طير وحيوان أو من أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله حرما آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الأشياء إبانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى ومنشأه والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى عليه السلام ومكة مكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين * في أحسن تقويم * قال النخعي ومجاهد وقتادة حسن صورته وحواسه * وقيل انتصاب قامته * وقال أبو بكر بن طاهر عقله وادراكه زيناه بالتمييز * وقال عكرمة شبابه وقوته والأولى العموم في كل ما هو أحسن والانسان هنا اسم جنس وأحسن صفة لمحذوف أي في تقويم أحسن * ثم رددناه أسفل سافلين * قال عكرمة والضحاك والنخعي بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبر حتى يصير لا يعلم شيأ أما المؤمن فمرفوع عنه القلم والاستثناء على هذا منقطع وليس المعنى أن كل انسان يعتريه هذا بل في الجنس من يعتريه ذلك * وقال الحسن ومجاهد وأبو العالية وابن زيد وقتادة أيضا أسفل سافلين في النار على كفره ثم استثنى استثناء متصلا * وقرأ الجمهور سافلين منكرا وعبد الله السافلين معرفا بالألف واللام وأخذ الزمخشري أقوال السلف وحسنها ببلاغته وانتقاء ألفاظه فقال في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار وأسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء فيه فمشيه دلف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف انتهى وفيه تكثير وعلى أن ذلك الرد هو الى الهرم فالمعنى ولكن الصالحين من الهرمى لهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وفي الحديث اذا بلغ مائة ولم يعمل كتب له مثل ما كان يعمل في صحته ولم تكتب عليه سيئة وفيه أيضا أن المؤمن اذا رد لأرذل العمر كتب له ما كان يعمل في قوته وذلك أجر غير ممنون وممنوع مقطوع أي محسوب يمن به عليهم والخطاب في فما يكذبك للانسان الكافر قاله الجمهور أي فما الذي يكذبك أي يجعلك مكذبا بالدين تجعل لله أندادا وتزعم أن لا بعث بعد هذه الدلائل * وقال قتادة والأخفش والفراء قال الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي توجب النظر فيها صحة ما قلت * أليس الله بأحكم الحاكمين وعيد للكفار واخبار بعدله تعالى

﴿ سورة العلق ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ إقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ هذه السورة مكية وصدرها أول مانزل من القرآن وذلك فى غار حراء على ماثبت فى صحيح البخارى وغيره ولما ذكر تعالى فيما قبلها خلق الانسان فى أحسن تقويم ثم ذكر ماعرض له بعد ذلك ذكره هنا منبها على شئ من أطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر طغيانه بعد ذلك ومايؤول اليه حاله فى الآخرة والظاهر تعلق الباء باقرأ وتكون للاستعانة ومفعول اقرأ محذوف تقديره اقرأ مايوحى اليك والانسان هنا اسم جنس والعلق جمع علقة فلذلك جاء من علق ولما ذكر من خلق من علق لانهم مقرون به ثم جاء الامر ثانيا تأنيسا له كأنه قيل امض لما أمرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو الاكرم الذى لم يلحقه نقص والأكرم صفة تدل على المبالغة فى الكرم ﴿ الذى علم بالقلم ﴾ دليل على كمال كرمه بانه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لايحيط بها الا هو ولا دونت العلوم ولا قيدت الحكم الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدنيا والدين ﴿ كلا ان الانسان ليطغى ﴾ نزلت بعد مدة فى أبى جهل ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ونهاه عن الصلاة فى المسجد وروى أنه قال لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لاطأن على عنقه فروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره وتوعده فقال أبو جهل أيتوعدنى محمد والله مابالوادى أعظم ناديا منى أى مجلسا وقيل انهم أن يمنعه من الصلاة فكف عنه كلا ردع لمن كفر بنعم الله عليه بطغيانه وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى أى ليتجاوز الحد ﴿ أن رآه استغنى ﴾ الفاعل ضمير الانسان وضمير المفعول عائد عليه أيضا ورأى هنا من رؤية القلب ويجوز أن يتعدى فيها الضميران متصلين فتقول رأيتنى صديقك وكذلك فقد وعدم بخلاف غيرها فلا يجوز زيد ضربه وهما ضميرا زيد ﴿ ان الى ربك الرجعى ﴾ أى الرجوع مصدر على وزن فعلى الالف فيه للتأنيث وفيه وعيد للطاغى المستغنى وتحقير لما هو فيه حيث ما آله الى البعث والحساب والجزاء على طغيانه ﴿ أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ﴾ تقدم انه أبو جهل والخطاب فى أرأيت الظاهر انه للرسول عليه السلام وكذا أرأيت الثانى والثالث والتناسق فى الضمائر هو الذى يقتضيه النظم وقيل أرأيت الثانى خطاب للكافر التفت الى الكافر فقال أرأيت يا كافر ان كانت صلاته هدى ودعاء الى الله تعالى وأمرا بالتقوى أتنهاه مع ذلك والضمير فى ان كان وفى أن كذب عائد على الناهى

﴿ سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم * كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن الى ربك الرجعى * أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية * كلا لاتطعه واسجد واقترب ﴾ السفع قال المبرد الجذب بشدة وسفع بناصية فرسه جذب قال عمرو بن معديكرب

قوم اذا كثر الصياح رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

* وقال مؤرج معناه الأخذ بلغة قريش النادى والندى المجلس ومنه قول الاعرابية سيد ناديه وثمال عافيه * وقال زهير

وفيهم مقامات حسان وجوههم * وأندية ينتابها القول والفعل

الزبانية ملائكة العذاب * فقيل جمع لاواحد له من لفظه كعباديد * وقيل واحدهم زبنية على وزن حذرية وعفرية قاله أبو عبيدة * وقال الكسائى زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم انسى وأصله زبانى * قال عيسى بن عمر والأخفش واحدهم زابن والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه * ومنه قول الشاعر

ومستعجب مما يرى من أناتنا * ولو زبنته الحرب لم يترمرم

* وقال عتبة بن أبى سفيان وقد زبنتنا الحرب وزبناها ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم * كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن الى ربك الرجعى * أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى *

أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى * كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه * سندع الزبانية * كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ هذه السورة مكية وصدرها أول ما نزل من القرآن وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره وقول جابر أول ما نزل المدثر وقول أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أول ما نزل الفاتحة لا يصح * وقال الزمخشري عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على ان الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم انتهى ولما ذكر فيما قبلها خلق الانسان في أحسن تقويم ثم ذكره ما عرض له بعد ذلك ذكره هنا منبها على شيء من أطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر طغيانه بعد ذلك وما يؤول اليه حاله في الآخرة * وقرأ الجمهور اقرأ بهمزة ساكنة والأعشى عن أبي بكر عن عاصم بحذفها كأنه على قول من يبدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول قرا يقرا كسعى يسعى فلما أمر منه قيل قر بحذف الألف كما تقول اسع والظاهر تعلق الباء باقرأ وتكون للاستعانة ومفعول اقرأ محذوف أي اقرأ ما يوحى اليك * وقيل باسم ربك هو المفعول وهو المأمور بقراءته كما تقول اقرأ الحمد لله * وقيل المعنى اقرأ في أول كل سورة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم * وقال الأخفش الباء بمعنى على أي اقرأ على اسم الله كما قالوا في قوله وقال اركبوا فيها بسم الله أي على اسم الله * وقيل المعنى اقرأ القرآن مبتدئا باسم ربك * وقال الزمخشري محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ انتهى وهذا قاله قتادة المعنى اقرأ ما أنزل عليك من القرآن مفتتحا باسم ربك * وقال أبو عبيدة الباء صلة والمعنى اذكر ربك * وقال أيضا الاسم صلة والمعنى اقرأ بعون ربك وتوفيقه وجاء باسم ربك ولم يأت بلفظ الجلالة لما في لفظ الرب من معنى الذي رباك ونظر في مصلحتك وجاء الخطاب ليدل على الاختصاص والتأنيس أي ليس لك رب غيره ثم جاء بصفة الخالق وهو المنشئ للعالم لما كانت العرب تسمي الأصنام اربابا أتى بالصفة التي لا يمكن شركة الأصنام فيها ولم يذكر متعلق الخلق أولا فالمعنى انه قصد الى استبداده بالخلق فاقتصر أو حذف اذ معناه خلق كل شيء ثم ذكر خلق الانسان وخصه من بين المخلوقات لكونه هو المنزل اليه وهو أشرف * قال الزمخشري أشرف ما على الارض وفيه دسيسة ان الملك أشرف * وقال ويجوز أن يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان * فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته انتهى والانسان هنا اسم جنس والعلق جمع علقة فلذلك جاء من علق والمراد من خلق من علق لانهم مقرون به ولم يذكر أصلهم آدم لانه ليس متقررا عند الكفار فيسبق الفرع وترك أصل الخلقة تقريبا لأفهامهم ثم جاء الأمر ثانيا تأنيسا له كأنه قيل امض لما أمرت به وربك ليس مثله في الأرباب بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص والأكرم صفة تدل على المبالغة في الكرم اذ كرمه يزيد على كل كرم ينعم بالنعم التي لا تحصى ويحلم على الجاني ويقبل توبته ويتجاوز عن السيئة وليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على أفضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ولا مقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا أمر الخط والقلم لكفى به * ولبعضهم في الأقلام

ردع لأبي جهل ومن في طبقته عن نهي عباد الله عن عبادة الله تعالى ﴿ لئن لم ينته ﴾ أي عما هو فيه وعيد شديد ﴿ لنسفعا ﴾ أي لنأخذن ﴿ بالناصية ﴾ وعبر بها عن جميع الشخص أي سحبا الى النار كقوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام واكتفى بتعريف العهد عن الاضافة اذ علم انها ناصية الناهي ﴿ فليدع ناديه ﴾ اشارة الى قول أبي جهل ما بالوادي أكثر ناديا مني والمراد أهل النادي وقرئ سيدعى مبنيا للمفعول الزبانية رفع ﴿ كلا ﴾ ردع لأبي جهل ورد عليه ﴿ لا تطعه ﴾ أي لا تلتفت الى نهيه وكلامه ﴿ واسجد ﴾ أمر له بالسجود والمعنى دم على صلاتك وعبر عن الصلاة بأفضل الاوصاف التي يكون العبد فيها أقرب الى الله تعالى ﴿ واقترب ﴾ وتقرب الى ربك وثبت في الصحيحين سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي هذه السورة وهي من العزائم عند علي رضي الله عنه وكان مالك يسجد فيهما في خاصة نفسه

وروافع رقش كمثل أراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى

سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

انتهى من كلام الزمخشري ومن غريب ما رأينا تسمية النصارى بهذه الصفة التي هي صفة الله تعالى الأكرم والرشيد ونخر السعداء وسعيد السعداء والشيخ الرشيد فيا مخزية على من يدعوهم بها يجدون عقباها يوم عرض الأقوال والأفعال ومفعولا علم محذوفان اذ المقصود اسناد التعليم الى الله تعالى وقدر بعضهم الذي علم الخط بالقلم وهي قراءة تعزى لابن الزبير وهي عندي على سبيل التفسير لا على انها قرآن لمخالفتها سواد المصحف والظاهر ان المعلم كل من كتب بالقلم * وقال الضحاك ادريس * وقيل آدم لانه أول من كتب والانسان في قوله علم الانسان الظاهر انه اسم الجنس عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها * وقيل الرسول عليه الصلاة والسلام * كلا ان الانسان ليطغى نزلت بعد مدة في أبي جهل ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ونهاه عن الصلاة في المسجد فروي انه قال لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه وانتهره وتوعده فقال أبو جهل أيتوعدني محمد والله ما بالوادي أعظم ناديا مني * ويروى انه هم أن يمنعه من الصلاة فكف عنه * كلا ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى أي يجاوز الحد أن رآه استغنى الفاعل ضمير الانسان وضمير المفعول عائد عليه أيضا ورأى هنا من رؤية القلب يجوز أن يتحد فيها الضميران متصلين فتقول رأيتني صديقك وفقد وعدم بخلاف غيرها فلا يجوز زيد ضربه وهما ضميرا زيد * وقرأ الجمهور ان رآه بألف بعد الهمزة وهي لام الفعل وقنبل بخلاف عنه بحذف الألف وهي رواية ابن مجاهد عنه قال وهو غلط لا يجوز وينبغي أن لا يغلطه بل يتطلب له وجها وقد حذفت الألف في نحو من هذا * قال * وصاني العجاج فيما وصني * يريد وصاني فحذف الألف وهي لام الفعل وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم أصاب الناس جهد ولو تر أهل مكة وهو حذف لا ينقاس لكن اذا صحت الرواية به وجب قبوله والقرآن جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها * إن الى ربك الرجعى أي الرجوع مصدر على وزن فعلى الألف فيه للتأنيث وفيه وعيد للطاغي المستغني وتحقير لما هو فيه من حيث ما آله الى البعث والحساب والجزاء على طغيانه * أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى تقدم انه أبو جهل * قال ابن عطية ولم يختلف أحد من المفسرين ان الناهي أبو جهل وان العبد المصلي هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * وفي الكشاف وقال الحسن هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة * وقال التبريزي المراد بالصلاة هنا صلاة الظهر * قيل هي أول جماعة أقيمت في الاسلام كان معه أبو بكر وعلي وجماعة من السابقين فمر به أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال له صل جناح ابن عمك وانصرف مسرورا * وأنشأ أبو طالب يقول

إن عليا وجعفرا ثقتي * عند ملم الزمان والكرب

والله لا أخذل النبي ولا * يخذله من يكون من حسبي

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما * أخي لأمي من بينهم وأبي

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والخطاب في أرأيت الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم وكذا أرأيت الثاني والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النظم * وقيل أرأيت خطاب للكافر التفت الى الكافر فقال أرأيت يا كافر ان كانت صلاته هدى ودعاء الى الله وأمرا

( الدر )

﴿ سورة العلق ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ع ) ولم يختلف أحد من المفسرين على أن الناهي أبو جهل وأن العبد المصلي هو محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ( ح ) في الكشاف وقال الحسن هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة

(الدر) (ش) فان قلت مامتعلق أرأيت * قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين * فان قلت فأين جواب الشرط * قلت هو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني * فان قلت فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط * قلت كما صح في قولك ان أكرمتك أتكرمني وان أحسن إليك زيد هل تحسن اليه * فان قلت فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت قلت هي زائدة مكررة للتوكيد انتهى (ح) قد تكلمنا على أحكام أرأيت بمعنى أخبرني في غير (٤٩٤) موضع منها التي في سورة الانعام وأشبعنا الكلام عليها في شرح التسهيل وما قرره (ش) هنا ليس بجار على ماقررناه من ذلك انه ادعى أن جملة الشرط في موضع المفعول الواحد والموصول هو الآخر وعندنا أن المفعول الثاني لا يكون الا جملة استفهامية كقوله أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه وهو كثير في القرآن فتخرج هذه الآية على ذلك القانون ونجعل مفعول أرأيت الأولى هو الموصول وجاء بعده أرأيت وهي تطلب مفعولين وأرأيت الثانية كذلك فمفعول أرأيت الثانية والثالثة محذوف يعود على الذي ينهى فيهما أو على عبدا في الثانية وعلى الذي ينهى في الثالثة على الاختلاف السابق في عود الضمير والجملة الاستفهامية توالى عليها ثلاثة طوالب فنقول حذف المفعول الثاني لأرأيت وهو جملة الاستفهام الدال عليه الاستفهام المتأخر لدلالته عليه وحذف مفعول أرأيت الأخير لدلالة مفعول أرأيت الاولى عليه وحذفا معا لأرأيت الثانية لدلالة الأولى على مفعولها الأول ولدلالة الآخر لأرأيت الثالثة على مفعولها الآخر وهؤلاء الطوالب ليس طلبها على طريق التنازع لأن الجمل لا يصح اضمارها فانما ذلك من باب الحذف في غير التنازع وأما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فاء فلا أعلم أحدا أجازه بل نصوا على وجوب الفاء في كل مااقتضى طلبا بوجه ما ولا يجوز حذفها الا ان

---

بالتقوى أتى له مع ذلك والضمير في ان كان وفي ان كذب عائد على الناهي * قال الزمخشري ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله وكان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن * ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد انتهى * وقال ابن عطية الضمير في ان كان على الهدى عائد على المصلي وقاله الفراء وغيره * قال الفراء المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى وآمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الذكر أي فما أعجب هذا ثم قال ويله ألم يعلم بان الله تعالى يراه ويعلم فعله فهذا تقرير وتوبيخ انتهى * وقال من جعل الضمير في ان كان عائدا على المصلي انما ضم الى فعل الصلاة الأمر بالتقوى لان أبا جهل كان يشق عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمران الصلاة والدعاء الى الله تعالى ولانه كان صلى الله عليه وسلم لا يوجد الا في أمرين اصلاح نفسه بفعل الصلاة واصلاح غيره بالأمر بالتقوى * وقال ابن عطية ألم يعلم بان الله يرى اكمال التوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاثة يصلح مع كل واحد منها يجاء بها في نسق ثم جاء بالوعيد الكافي بجميعها اختصارا واقتضابا ومع كل تقرير تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها وألم يعلم دال عليها مغن * وقال الزمخشري (فان قلت) مامتعلق أرأيت (قلت) الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين (فان قلت) فأين جواب الشرط (قلت) هو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني (فان قلت) فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط (قلت) كما صح في قولك ان أكرمتك أتكرمني وان أحسن اليك زيد هل تحسن اليه (فان قلت) فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولي أرأيت (قلت) هي زائدة مكررة للتوكيد انتهى وقد تكلمنا على أحكام أرأيت بمعنى أخبرني في غير موضع منها التي في سورة الأنعام وأشبعنا الكلام عليها في شرح التسهيل وماقرره الزمخشري هنا ليس بجار على ماقررناه من ذلك انه ادعى أن جملة الشرط في موضع المفعول الواحد والموصول هو الآخر وعندنا أن المفعول الثاني لا يكون الا جملة استفهامية كقوله أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه وهو كثير في القرآن فتخرج هذه الآية على ذلك القانون ونجعل مفعول أرأيت الأولى هو الموصول وجاء بعده أرأيت وهي تطلب مفعولين

وأرأيت الثانية كذلك فمفعول أرأيت الثانية والثالثة محذوف يعود على الذي ينهى فيه وعلى عبدا في الثانية وعلى الذي ينهى في الثالثة على الاختلاف السابق في عود الضمير والجملة الاستفهامية توالى عليها ثلاثة طوالب فنقول حذف المفعول الثاني لأرأيت وهو جملة الاستفهام الدال عليه الاستفهام المتأخر لدلالته عليه حذف مفعول أرأيت الأخير [illegible] عليه وحذفا معا لأرأيت الثانية لدلالة الأول على مفعولها الأول [illegible] على مفعولها الآخر وهؤلاء الطوالب ليس طلبها على طريق التنازع لأن الجمل لا يصح [illegible] ذلك من باب الحذف في غير التنازع وأما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فاء فلا أعلم أحدا أجازه بل نصوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى طلبا بوجه ما ولا يجوز حذفها إلا ان كان في ضرورة شعر * كلا ردع لأبي جهل ومن في طبقته عن نهي عباد الله عن عبادة [illegible] لئن لم ينته عن ما هو فيه وعيد شديد لنسفعا أي لنأخذن بالناصية وعبر بها عن جميع [illegible] سحبا الى النار لقوله فيؤخذ بالنواصي والأقدام واكتفى بتعريف العهد عن الاضافة [illegible] ناصية الناهي * وقرأ الجمهور بالنون الخفيفة وكتبت بالألف باعتبار الوقف اذ الوقف عليها بابدالها ألفا وكثر ذلك حتى صارت رويا فكتبت ألفا كقوله * ومهما تشأ منه فزارة تمنعا * [illegible]
* يحسبه الجاهل ما لم يعلما * ومحبوب وهارون كلاهما عن أبي عمرو لنسفعن بالنون الشديدة وقيل هو مأخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد * وقال التبريزي قيل أراد لنسودن وجهه من السفعة وهي السواد وكفت الناصية لأنها في مقدمه * وقرأ الجمهور ناصية خاطئة بجر الثلاثة على أن ناصية بدل نكرة من معرفة * قال الزمخشري لأنها وصفت فاستقلت بفائدة انتهى وليس شرطا في ابدال النكرة من المعرفة أن توصف عند البصريين خلافا لمن شرط ذلك من غيرهم ولا أن يكون من لفظ الاول [illegible] * وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة وزيد بن علي بنصب الثلاثة على الشتم والكسائي في رواية [illegible] ناصية كاذبة خاطئة وصفها بالكذب والخطأ مجازا والحقيقة صاحبها [illegible] فيقال ناصية كاذب خاطئ لأنها هي المحدث عنها في قوله لنسفعا بالناصية * فليدع ناديه [illegible] قول أبي جهل وما بالوادي أكبر ناديا مني والمراد أهل النادي * وقال جرير
* لهم مجلس صهب السبال أذلة * أي أهل مجلس ولذلك وصف بقوله صهب السبال [illegible] أمر تعجيز أي لا يقدره الله على ذلك لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا * وقرأ الجمهور [illegible] بالنون مبنيا للفاعل وكتبت بغير واو لأنها تسقط في الوصل لالتقاء الساكنين * وقرأ ابن أبي عبلة سيدعى مبنيا للمفعول الزبانية رفع * كلا ردع لأبي جهل ورد عليه في لا تطعه أي لا تلتفت الى نهيه وكلامه * واسجد أمر له بالسجود والمعنى دم على صلاتك وعبر عن الصلاة بأفضل الأوصاف التي يكون العبد فيها أقرب الى الله تعالى واقترب وتقرب الى ربك وثبت في الصحيح [illegible] الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي هذه السورة وهي من العزائم عند [illegible] رضي الله تعالى عنه وكان مالك يسجد فيها في خاصة نفسه

## ﴿ سورة القدر مكية وهي خمس آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل

﴿ سورة القدر ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ هذه السورة مكية في قول الأكثر ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما قال اقرأ باسم ربك فكأنه قال اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا انا أنزلناه في ليلة القدر والضمير عائد على ما دل عليه المعنى وهو ضمير القرآن قال ابن عباس أنزله الله تعالى ليلة القدر الى سماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ تفخيم لشأنها أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك قيل ما كان في القرآن وما أدراك فقد أعلمه به وما كان وما يدريك فانه لم يعلمه ﴿ خير من ألف شهر ﴾ المراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلث عام والعمل في ليلة القدر أفضل من العمل في هذه الشهور ﴿ تنزل

الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ هذه السورة مدنية في قول الأكثر وحكى الماوردي عكسه وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة وفي الحديث أن أربعة عبدوا الله تعالى ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين أيوب وزكريا وحزقيل ويوشع فعجب الصحابة من ذلك فقرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر السورة فسروا بذلك * ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما قال اقرأ باسم ربك فكأنه قال اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا إنا أنزلناه في ليلة القدر والضمير عائد على ما دل عليه المعنى وهو ضمير القرآن * قال ابن عباس وغيره أنزله الله تعالى ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة * وقال الشعبي وغيره إنا ابتدأنا إنزال هذا القرآن إليك في ليلة القدر * وروي أن نزول الملك في حراء كان في العشر الأواخر من رمضان * وقيل المعنى إنا أنزلنا هذه السورة في شأن ليلة القدر وفضلها ولما كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيما وتحسينا فليست ليلة القدر ظرفا للنزول بل على نحو قول عمر رضي الله تعالى عنه لقد خشيت أن ينزل في قرآن * وقول عائشة لأنا أحقر في نفسي من أن ينزل في قرآن * وقال الزمخشري عظم من القرآن من إسناد إنزاله إلى مختصا به ومن مجيئه بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه وبالرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه انتهى وفيه بعض تلخيص وسميت ليلة القدر لأنه تقدر فيها الآجال والأرزاق وحوادث العالم كلها وتدفع إلى الملائكة لتمتثله قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما * وقال الزهري معناه ليلة القدر العظيم والشرف وعظم الشأن من قولك رجل له قدر * وقال أبو بكر الوراق سميت بذلك لأنها تكسب من أحياها قدرا عظيما لم يكن له قبل وترده عظيما عند الله تعالى * وقيل سميت بذلك لأن كل العمل فيها له قدر وخطر * وقيل لأنه أنزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر لأمة ذات قدر * وقيل لأنه ينزل فيها ملائكة ذات قدر وخطر * وقيل لأنه قدر فيها الرحمة على المؤمنين * وقال الخليل لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله ومن قدر عليه رزقه أي ضيق وقد اختلف السلف والخلف في تعيينها وفيها اختلاف متعارض جدا وبعضهم قال رفعت والذي يدل عليه الحديث أنها لم ترفع وأن العشر الأخير تكون فيه وأنها في أوتاره كما قال عليه الصلاة والسلام التمسوها في الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة وفي الصحيح من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه * وما أدراك ما ليلة القدر تفخيم لشأنها أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك * قال سفيان بن عيينة ما كان في القرآن وما أدراك فقد أعلمه وما قال وما يدريك فإنه لم يعلمه * وقيل وأخفاها الله تعالى عن عباده ليجدوا في العمل ولا يتكلوا على فضلها ويقصروا في غيرها والظاهر أن ألف شهر يراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام والحسن في ليلة القدر أفضل من العمل في هذه الشهور والمراد خير من ألف شهر عار من ليلة القدر وعلى هذا أكثر المفسرين * وقال أبو العالية خير من ألف شهر رمضان لا يكون فيها ليلة القدر * وقيل المعنى خير من الدهر كله لأن العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلها قال تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة يعني جميع الدهر وعوتب الحسن بن علي على تسليمه الأمر لمعاوية فقال إن الله تعالى أرى في المنام نبيه صلى الله عليه وسلم بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فاهتم لذلك فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وهي خير من مدة ملوك بني أمية وأعلمه أنهم يملكون هذا القدر من الزمان * قال القاسم بن الفضل الحداني فعددنا ذلك فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما وخرج قريبا من معناه الترمذي

الملائكة والروح ﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ بإذن ربهم ﴾ متعلق بتنزل ﴿ من كل أمر ﴾ متعلق بتنزل ومن للسبب أي تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل ﴿ سلام هي ﴾ أي هي سلام جعلها سلاما لكثرة السلام فيها قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها

وقال حديث غريب انتهى * وقيل آخر ملوك بني مروان الجعدي في آخر هذا القدر من الزمان
ولا يعارض هذا أن ملك بني أمية في جزيرة الأندلس مدة غير هذه لأنهم إنما كانوا في بعض أطراف
الأرض وآخر عمارة العرب بحيث كان في اقليم العرب اذذاك ملوك كثيرون غيرهم وذكر أيضا
في تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة
ذلك الغازي * وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا
ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد * وقال أبو بكر الوراق ملك كل
من سليمان وذي القرنين خمسمائة سنة فصار ألف شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا
من ملكهما * تنزل الملائكة والروح تقدم الخلاف في الروح أهو جبريل أم رحمة ينزل بها أم ملك
غيره أم أشراف الملائكة أم جند من غيرهم أم حفظة على غيرهم من الملائكة والتنزل إما الى الأرض
واما الى سماء الدنيا * باذن ربهم متعلق بتنزل من كل أمر متعلق بتنزل ومن للسبب أي تتنزل من أجل
كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل * وسلام مستأنف خبر للمبتدأ الذي هو هي أي هي سلام
الى أول يومها قاله أبو العالية ونافع المقري والفراء وهذا على قول من قال ان تنزلهم لتقدير الأمور لهم
* وقال أبو حاتم من بمعنى الباء أي بكل أمر وابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرىء أي من أجل
كل انسان * وقيل يراد بكل امرىء الملائكة أي من كل ملك تحية على المؤمنين العاملين بالعبادة
وأنكر هذا القول أبو حاتم سلام هي أي هي سلام جعلها سلاما لكثرة السلام فيها * قيل لا يلقون
مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة * وقال منصور والشعبي سلام بمعنى التحية أي تسلم
الملائكة على المؤمنين ومن قال تنزلهم ليس لتقدير الامور في تلك السنة جعل الكلام تاما عند قوله
باذن ربهم * وقال من كل أمر متعلق بقوله سلام هي أي من كل أمر مخوف ينبغي أن يسلم منه هي
سلام * وقال مجاهد لا يصيب أحدا فيها داء * وقال صاحب اللوامح وقيل معناه هي سلام من كل
أمر وأمري سالمة أو سالمة منه ولا يجوز أن يكون سلام بهذه اللفظة الظاهرة التي هي المصدر
عاملا فيما قبله لامتناع تقدم معمول المصدر على المصدر كما أن الصلة كذلك لا يجوز تقديمها على
الموصول انتهى وعن ابن عباس تم الكلام عند قوله سلام ولفظة هي اشارة الى أنها ليلة سبع
وعشرين من الشهر اذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة انتهى ولا
يصح مثل هذا عن ابن عباس وانما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله تعالى * وقرأ الجمهور
مطلع بفتح اللام وأبو رجاء والأعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وأبو عمرو بخلاف
عنه بكسرها * فقيل هما مصدران في لغة بني تميم * وقيل المصدر بالفتح وموضع الطلوع بالكسر
عند أهل الحجاز

## ﴿ سورة البينة مدنية وهي ثماني آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله
يتلوا صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة * وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة *
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين * حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين

﴿ سورة البينة ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ الآية هذه السورة مكية ولما ذكر انزال القرآن في ليلة القدر وفي السورة التي قبلها اقرأ باسم ربك ذكرنا أن الكفار لم يكونوا منفكين عن ما هم عليه حتى جاءهم الرسول عليه السلام يتلوا عليهم ما أنزل عليه من الصحف المطهرة التي أمر بقراءتها وقسم الكافرين هنا الى أهل كتاب وأهل شرك وأهل الكتاب اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان من العرب ﴿ منفكين ﴾ اسم فاعل من انفك وهي التامة وليست الداخلة على المبتدأ والخبر ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي من المشركين وتفضيل بعضهم من بعض فقال كل ما يدل عنده على صحة قوله ﴿ الا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ وكان يقتضي مجيء البينة أن يجمعوا على اتباعها ﴿ حنفاء ﴾ أي مستقيمي الطريقة مائلين عن طرق الضلال الى طريق الهداية ﴿ وذلك دين

القيمة * إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر
البرية * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾
هذه السورة مكية في قول الجمهور * وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار مدنية قاله ابن عطية وفي
كتاب التحرير مدنية وهو قول الجمهور * وروى أبو صالح عن ابن عباس انها مكية واختاره
يحيى بن سلام ولما ذكر انزال القرآن وفي السورة التي قبلها اقرأ باسم ربك ذكر هنا أن الكفار
لم يكونوا منفكين عن ماهم عليه حتى جاءهم الرسول يتلو عليهم ماأنزل عليه من الصحف المطهرة
التي أمر بقراءتها وقسم الكافرين هنا الى أهل كتاب وأهل إشراك * وقرأ بعض القراء
والمشركون رفعا عطفا على الذين كفروا * والجمهور بالجر عطفا على أهل الكتاب وأهل
الكتاب اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان من العرب * وقال ابن عباس أهل الكتاب
اليهود الذين كانوا بيثرب هم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها
والمدينة وحولها * قال مجاهد وغيره لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة
* وقال الفراء وغيره لم يكونوا منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والتوكف
لأمره حتى جاءتهم البينة فتفرقوا عند ذلك * وقال الزمخشري كان الكفار من الفريقين يقولون
قبل المبعث لاننفك مما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة
والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله ما كانوا يقولونه * وقال ابن عطية ويتجه في معنى
الآية قول ثالث بارع المعنى وذلك انه يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم منفكين من أمر الله تعالى
وقدرته ونظره لهم حتى يبعث الله تعالى اليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة ويتم على من آمن
النعمة فكأنه قال ما كانوا ليتركوا سدى ولهذا نظائر في كتاب الله تعالى انتهى * وقيل لم يكونوا
منفكين عن حياتهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة والظاهر أن المعنى لم يكونوا منفكين أي منفصلا
بعضهم من بعض بل كان كل منهم مقرا الآخر على ماهو عليه مما اختاره لنفسه هذا من اعتقاده في
شريعته وهذا من اعتقاده في أصنامه والمعنى انه اتصلت مودتهم واجتمعت كلمتهم الى أن أتتهم البينة
* وقيل معنى منفكين هالكين من قولهم انفك صلا المرأة عند الولادة وأن ينفصل فلا يلتئم والمعنى
لم يكونوا معذبين ولا هالكين إلا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب انتهى
ومنفكين اسم فاعل من انفك وهي التامة وليست الداخلة على المبتدا والخبر * وقال بعض النحاة
هي الناقصة ويقدر منفكين عارفين أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو هذا وخبر كان وأخواتها
لايجوز حذفه لا اقتصارا ولا اختصارا نص على ذلك أصحابنا ولهم علة في منع ذلك ذكروها في علم
النحو وقالوا في قوله حين ليس مجير أي في الدنيا فحذف الخبر انه ضرورة والبينة الحجة الجلية
* وقرأ الجمهور رسول بالرفع بدلا من البينة وأبي وعبد الله بالنصب حالا من البينة * يتلو صحفا أي
قراطيس مطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق * وماتفرق الذين
أوتوا الكتاب أي من المشركين وانفصل بعضهم من بعض فقال كل مايدل عنده على صحة قوله * إلا
من بعد ماجاءتهم البينة وكان يقتضي مجيء البينة أن يجتمعوا على اتباعها * وقال الزمخشري كانوا
يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم مافرقهم عن الحق ولا أقرهم على
الكفر إلا مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال أيضا أفرد أهل الكتاب يعني في قوله وماتفرق

القيمة ﴾ أي الامة المستقيمة وذكر تعالى مقر الاشقياء وجزاء السعداء والبرية جميع الخلق وحكم على الكفار من الفريقين بامرين بالخلود في النار وبكونهم شر البرية وبدأ باهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته وجنايتهم أعظم لانهم أنكروه مع العلم به وشر البرية ظاهره العموم

الذين أوتوا الكتاب بعد جمعهم والمشركين قيل لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر * وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند * وقال ابن عطية ذكر تعالى مذمة من لم يؤمن من أهل الكتاب من انهم لم ينفرقوا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم إلا من بعد ما رأوا الآيات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على نبوته وصفته فلما جاء من العرب حسدوه انتهى * وقرأ الجمهور مخلصين بكسر اللام والدين منصوب به والحسن بفتحها أي يخلصون هم أنفسهم في نياتهم وانتصب الدين إما على المصدر من ليعبدوا أي ليدينوا الله بالعبادة الدين وإما على إسقاط في أي في الدين والمعنى وما أمروا أي في كتابيهما بما أمروا به إلا ليعبدوا حنفاء أي مستقيمي الطريقة * وقال محمد بن الأشعب الطالقاني القيمة هنا الكتب التي جرى ذكرها كأنه لما تقدم لفظ قيمة نكرة كانت الألف واللام في القيمة للعهد كقوله تعالى كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول * وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة فالهاء في هذه القراءة للمبالغة أو أنث على ان عنى بالدين الملة كقوله ماهذه الصوت يريد ماهذه الصيحة * وذكر تعالى مقر الأشقياء وجزاء السعداء والبرية جميع الخلق * وقرأ الأعرج وابن عامر ونافع البريئة بالهمز من برأ بمعنى خلق * والجمهور بشد الياء فاحتمل أن يكون أصله الهمز ثم سهل بالابدال وأدغم واحتمل أن يكون من البراء وهو التراب * قال ابن عطية وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأ وهو اشتقاق غير مرضي ويعني اشتقاق البرية بلا همز من البرا وهو التراب فلا يجعله خطأ بل قراءة الهمز مشتقة من برأ وغير الهمز من البرا والقراءتان قد تختلفان في الاشتقاق نحو أو ننساها أو ننسها فهو اشتقاق مرضي وحكم على الكفار من الفريقين بالخلود في النار وبكونهم شر البرية وبدأ بأهل الكتاب لانهم كانوا يطعنون في نبوته وجنايتهم أعظم لانهم أنكروه مع العلم به وشر البرية ظاهره العموم * وقيل شر البرية الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم اذ لا يبعد أن يكون في كفار الأمم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح * وقرأ الجمهور خير البرية مقابل شر البرية وحميد وعامر بن عبد الواحد خيار البرية جمع خير كجيد وجياد وبقية السورة واضحة وتقدم شرح ذلك افرادا وتركيبا

## ﴿سورة الزلزال مدنية وهي ثماني آيات﴾

## ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا زلزلت الارض زلزالها * وأخرجت الارض أثقالها * وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ * الذرة النملة صغيرة حمراء رقيقة ويقال انها أصغر ماتكون اذا مضى لها حول * وقال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لودب محول * من الذر فوق الاتب منها لأثرا

* وقيل الذر مايرى في شعاع الشمس من الهباء ﴿اذا زلزلت الارض زلزالها * وأخرجت الارض أثقالها * وقال الانسان مالها * يومئذ تحدث أخبارها *

﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار وجزاء المؤمنين فكأن قائلا قال متى ذلك فقال اذا زلزلت الارض زلزالها قيل والعامل فيها مضمر تدل عليه الجمل الآتية تقديره تحشرون وأضيف الزلزال الى الارض اذ المعنى زلزالها الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ جعل مافي بطنها أثقالا ﴿وقال الانسان مالها﴾ على معنى التعجب لما يرى من الاهوال والظاهر عموم الانسان ﴿يومئذ﴾ أي يوم اذ زلزلت وأخرجت ﴿تحدث﴾ والظاهر أنه حديث حقيقة وقيل مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال مايقوم مقام التحديث باللسان * وفي سنن ابن ماجه حديث في آخره تقول الارض يوم القيامة يارب هذا

(الدر)

(ع) وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأ وهو اشتقاق غير مرضي انتهى (ح) يعني اشتقاق البرية بلا همز من البرا وهو التراب فلا يجعله خطأ بل قراءة الهمز مشتقة من برأ وغير الهمز من البرا والقراءتان قد يختلفان في الاشتقاق نحو أو ننساها أو ننسها فهو اشتقاق مرضي

مااستودعتنى وعن ابن مسعود تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان مالها فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك جوابا لهم عن سؤالهم ﴿بان ربك أوحى لها﴾ أى بسبب ايحاء الله تعالى لها فالباء متعلقة بتحدث ﴿ يومئذ يصدر الناس﴾ انتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون (٥٠٠) عن ورد فقال الجمهور هو كونهم فى الارض مدفونين والصدر قيامهم للبعث وأشتاتا جمع شت أى فرقا مؤمن وكافر ومؤمن عاص سائرون الى العرض ﴿ليروا أعمالهم﴾ والظاهر تخصيص العامل أى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من السعداء لان الكافر لا يرى خيرا فى الآخرة وتعميم من يعمل مثقال ذرة شرا من الفريقين لانه تقسيم جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم وقرئ ليروا بضم الياء وفتحها ونبه بقوله مثقال ذرة على أن مافوق الذرة يراه قليلا كان أو كثيرا وهذا يسمى مفهوم الخطاب وهو أن يكون المذكور والمسكوت عنه فى حكم واحد بل يكون المسكوت عنه بالاولى فى ذلك الحكم والظاهر انتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال ذرة مقدار وقيل بدل من مثقال وقرئ يره بالفتح فى الياء فيهما أى يرى جزاءه من ثواب وعقاب

( الدر )

﴿ سورة زلزلة ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

بأن ربك أوحى لها * يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ هذه السورة مكية فى قول ابن عباس ومجاهد وعطاء * مدنية فى قول قتادة ومقاتل لان آخرها نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة * ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون فى النار وجزاء المؤمنين فكأن قائلا قال متى ذلك فقال اذا زلزلت الارض زلزالها * قيل والعامل فيها مضمر يدل عليه مضمون الجمل الآتية تقديره تحشرون * وقيل اذكر * وقال الزمخشرى تحدث انتهى وأضيف الزلزال الى الارض اذ المعنى زلزالها الذى تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها ولو لم يضف لصدق على كل قدر من الزلزال وان قل والفرق بين أكرمت زيدا كرامة وكرامته واضح * وقرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاى والجحدرى وعيسى بفتحها * قال ابن عطية وهو مصدر كالوسواس * وقال الزمخشرى المكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الأبنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف انتهى أما قوله والمفتوح اسم فجعله غيره مصدرا جاء على فعلال بالفتح * ثم قيل قد يجىء بمعنى اسم الفاعل فتقول فضفاض فى معنى مفضفض وصلصال فى معنى مصلصل وأما قوله وليس فى الأبنية الخ فقد وجد فيها فعلال بالفتح من غير المضاعف قالوا ناقة بها خزعال بفتح الخاء وليس بمضاعف وأخرجت الأرض أثقالها جعل ما فى بطنها أثقالا * وقال النقاش والزجاج والقاضى منذر بن سعيد أثقالها كنوز وموتاها ورد بان الكنوز انما تخرج وقت الدجال لا يوم القيامة وقائل ذلك يقول هو الزلزال يكون فى الدنيا وهو من أشراط الساعة وزلزال يوم القيامة كقوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فلا يرد عليه بذلك اذ قد أخذ الزلزال على الاعتبار وقتيه ففى الأول أخرجت كنوزها وفى الثانى أخرجت موتاها وصدقت انها زلزلت زلزالها وأخرجت أثقالها * وقيل أثقالها كنوزها ومنه قوله تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة * وقال ابن عباس موتاها وهو اشارة الى البعث وذلك عند النفخة الثانية فهو زلزال يوم القيامة لا الزلزال الذى هو من الاشراط * وقال الانسان مالها معنى التعجب لما يرى من الهول والظاهر عموم الانسان * وقيل ذلك الكافر لانه يرى مالم يقع فى ظنه قط ولا صدقه والمؤمن وان كان مؤمنا بالبعث فانه استهول المرأى وفى الحديث ليس الخبر كالعيان * قال الجمهور الانسان هو الكافر يرى مالم يظن * يومئذ أى يوم اذ زلزلت وأخرجت تحدث ويومئذ بدل من اذا فيعمل فيه لفظ العامل فى المبدل منه أو المكرر على الخلاف فى العامل فى البدل * تحدث اخبارها الظاهر انه تحديث وكلام حقيقة بان يخلق فيها حياة وادراكا فتشهد بما عمل عليها من صالح أو فاسد وهو قول ابن مسعود والثورى وغيرهما ويشهد له ما جاء فى الحديث بانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر الا شهد له يوم القيامة وما جاء فى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية ثم قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم فقال ان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول

(ش) المكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف انتهى (ح) أما قوله والمفتوح اسم فجعله غيره مصدرا جاء على فعلال بالفتح ثم قيل قد يجىء بمعنى اسم الفاعل فتقول فضفاض فى معنى مفضفض وصلصال فى معنى مصلصل وأما قوله وليس فى الابنية الخ فقد وجد فيها فعلال بالفتح من غير المضاعف قالوا ناقة بها خزعال بفتح الخاء وليس بمضاعف

عمل كذا يوم كذا وكذا قال فهذه أخبارها هذا حديث حسن صحيح غريب * قال الطبري وقوم التحديث مجاز عن إحداث الله تعالى فيها الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات وان هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويحدثون عنه * وقال يحيى بن سلام تحدث بما أخرجت من أثقالها وهذا هو قول من زعم أن الزلزلة هي التي من أشراط الساعة * وفي سنن ابن ماجه حديث في آخره تقول الارض يوم القيامة يا رب هذا ما استودعتني * وعن ابن مسعود تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان ما لها فتخبر ان أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك جوابا لهم عند سؤالهم وتحدث هنا تتعدى الى اثنين والاول محذوف أي تحدث الناس وليست بمعنى اعلم المنقولة من علم المتعدية الى اثنين فتتعدى الى ثلاثة * بان ربك أوحى لها أي بسبب ايحاء الله فالباء متعلقة بتحدث * قال الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث ان ربك أوحى لها اخبارها على أن تحديثها بان ربك أوحى لها تحديث باخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين انتهى وهو كلام فيه عفش ينزه القرآن عنه * وقال أيضا ويجوز أن يكون بان ربك بدلا من اخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث باخبارها بأن ربك أوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا انتهى واذا كان الفعل تارة يتعدى بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزائد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز انك تقول من الذنب ولا اخترت زيدا الرجال الكرام بنصب الرجال وخفض الكرام وكذلك لا يجوز أن تقول استغفرت من الذنب العظيم بجر الذنب ونصب العظيم وكذلك في اخترت فلو كان حرف الجر زائدا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروطه المحررة في علم النحو تقول ما رأيت من رجل عاقلا لان من زائدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على مراعاة جواز دخول من وان ورد شيء من ذلك فبابه الشعر وعدى أوحى باللام لا بالى وان كان المشهور تعديتها بالى لمراعاة الفواصل * قال العجاج يصف الأرض

أوحى لها القرار فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت

فعداها باللام * وقيل الموحى اليه محذوف أي أوحى الى ملائكته المصرفين ان تفعل في الأرض تلك الأفعال واللام في لها للسبب أي من أجلها ومن حيث الافعال فيها واذا كان الايحاء اليها احتمل أن يكون وحي الهام واحتمل أن يكون برسول من الملائكة * يومئذ يصدر الناس انتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون عن ورد * وقال الجمهور هو كونهم في الارض مدفونين والصدر قيامهم للبعث وأشتاتا جمع شت أي فرقا مؤمن وكافر وعاص سائرون الى العرض ليروا أعمالهم * وقال النقاش الصدر قوم الى الجنة وقوم الى النار ووردهم هو ورد المحشر فعلى الاول المعنى ليرى عمله ويقف عليه وعلى قول النقاش ليرى جزاء عمله وهو الجنة والنار والظاهر تعلق ليروا بقوله يصدر * وقيل بأوحى لها وما بينهما اعتراض * وقال ابن عباس أشتاتا متفرقين على قدر أعمالهم أهل الايمان على حدة وأهل كل دين على حدة * وقال الزمخشري أشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين انتهى ويحتمل أن يكون أشتاتا أي كل واحد وحده لا ناصر له ولا عاضد كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى * وقرأ الجمهور ليروا بضم الياء والحسن والأعرج وقتادة وحماد بن سلمة

---

(الدر) (ع) (ش) ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها اخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين انتهى (ع) كلام فيه عفش ينزه القرآن عنه (ش) ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا انتهى (ح) اذا كان الفعل تارة يتعدى بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزائد فلا يجوز في تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب وجر العظيم لجواز أنك تقول من الذنب ولا اخترت زيدا الرجال الكرام بنصب الرجال وخفض الكرام وكذلك لا يجوز أن تقول استغفرت من الذنب العظيم بجر الذنب ونصب العظيم وكذلك في اخترت فلو كان حرف الجر زائدا جاز الاتباع على موضع الاسم بشروطه المحررة في علم النحو تقول ما رأيت من رجل عاقلا لان من زائدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل على مراعاة جواز دخول من وان ورد شيء من ذلك فبابه الشعر

والزهري وأبو حيوة وعيسى ونافع في رواية بفتحها والظاهر تخصيص العامل أي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من السعداء لان الكافر لا يرى خيرا في الآخرة وتعميم ومن يعمل مثقال ذرة شرا من الفريقين لانه تقسيم جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم * وقال ابن عباس قال هذه الأعمال في الآخرة فيرى الخير كله من كان مؤمنا والكافر لا يرى في الآخرة خيرا لان خيره قد عجل له في دنياه والمؤمن تعجل له سيآته الصغائر في دنياه في المصائب والأمراض ونحوها وما عمل من شر أو خير رآه ونبه بقوله مثقال ذرة على أن مافوق الذرة يراه قليلا كان أو كثيرا وهذا يسمى مفهوم الخطاب وهو أن يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم واحد بل يكون المسكوت عنه بالاولى في ذلك الحكم كقوله ولا تقل لهما أف والظاهر انتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال ذرة مقدار * وقيل بدل من مثقال * وقرأ الجمهور بفتح الياء فيهما أي يرى جزاءه من ثواب وعقاب * وقرأ الحسين بن علي وابن عباس وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي وأبو حيوة وخليد بن نشيط وابان عن عاصم والكسائي في رواية جيد بن الربيع عنه بضمها وهشام وأبو بكر بسكون الهاء فيهما وأبو عمرو بضمهما مشبعتين وباقي السبعة باشباع الاولى وسكون الثانية والاسكان في الوصل لغة حكاها الأخفش ولم يحكها سيبويه وحكاها الكسائي أيضا عن بني كلاب وبني عقيل وهذه الرؤية رؤية بصر * وقال النقاش ليست برؤية بصر وانما المعنى يصيبه وينا له * وقرأ عكرمة يراه بالألف فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة في حروف العلة حكاها الأخفش أو على توهم ان من موصولة لا شرطية كما قيل في انه من يتقي ويصبر في قراءة من أثبت ياء يتقي وجزم يصبر توهم ان من شرطية لا موصولة فجزم ويصبر عطفا على التوهم والله تعالى أعلم

﴿ سورة العاديات مدنية وهي احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ﵟ والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا * إن الانسان لربه لكنود * وانه على ذلك لشهيد * وإنه لحب الخير لشديد * أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور * وحصل ما في الصدور * إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﵞ العاديات الجاريات بسرعة وهو وصف وبأتي في التفسير الخلاف في الموصوف * الضبح تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح بل هو غير المعتاد من صوت الحيوان الذي يضبح وعن ابن عباس ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب * قيل ولا يصح عن ابن عباس لان الابل تضبح والاسود من الحيات والبوم والصدى والأرنب والثعلب والقوس كما استعملت العرب لها الضبح * أنشد أبو حنيفة في صفة قوس

حنانة من نشم أو تألب * تضبح في الكف ضباح الثعلب

وقال أهل اللغة أصله للثعلب فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار غيرت لونه ولم تبالغ فيه والضبح لونه تغير الى السواد قليلا * وقال أبو عبيدة الضبح والضبع بمعنى العدو الشديد وكذا قال المبرد الضبع من اضباعها في السير * القدح الصك * وقيل الاستخراج ومنه قدحت العين أخرجت منها الفاسد والقداح والقداحة والمقدحة ما توري به النار * أغار على العدو قصده لنهب أو قتل أو أسر * النقع الغبار * قال الشاعر

﴿ سورة والعاديات ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ والعاديات ضبحا ﴾ هذه السورة مكية لماذكر فيما قبلها مايقتضى تهديدا ووعيدا بيوم القيامة اتبع ذلك بتعنيف لمن لايستعد لذلك اليوم ومن آثر أمر دنياه على أمر آخرته والعاديات الجاريات بسرعة والضبح تصويت جهير عند العدو  الشديد ليس بصهيل ولارغاء ﴿ فالموريات قدحا ﴾ الايراء اخراج النار أى تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار لصك بعض الحجارة ببعض ﴿ فالمغيرات صبحا ﴾ أى تغير على العدو فى الصبح وفى هذا دليل على أن هذه الاوصاف لذات واحدة لعطفها بالفاء التى تقتضى التعقيب والضمير فى به عائد فى الاول على الصبح أى هيجن فى ذلك الوقت غبارا وفى به الثانى على الصبح قيل أو النقع أى وسطن النقع الجمع فتكون الباء للتعدية وقيل الضمير فى به يعود على المكان الذى يقتضيه المعنى وان لم يجر له ذكر لدلالة والعاديات ومابعدها عليه والظاهر أن المقسم به هو جنس العاديات وليست أل فيه للعهد والمقسم عليه ﴿ ان الانسان لربه لكنود ﴾ وفى الحديث الكنود الذى يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده والظاهر

يخرجن من مستطار النقع دامية * كأن آذانها أطراف أقلام

وقال ابن رواحة

عدمت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع من كنفى كداء

وقال أبو عبيدة النقع رفع الصوت * ومنه قول لبيد

فتى ينقع صراخ صادق * تحلبوها ذات جرس وزجل

الكنود الكفور للنعمة * قال الشاعر

كنود لنعماء الرجال ومن يكن * كنودا لنعماء الرجال يبعد

وعن ابن عباس الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصى وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السيء الملكة وقاله مقاتل * وقال الكلبى مثله الا انه قال وبلسان بنى مالك البخيل ولم يذكر وحضرموت ويقال كند النعمة كنودا * وقال أبو زبيد فى البخيل

ان تفتنى فلم أطب عنك نفسا * غير انى أمنى بدهر كنود

حصل الشئ جمعه * وقيل ميزه من غيره * ومنه قيل للمنخل المحصل وحصل الشئ ظهر واستبان ﴿ والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا * إن الانسان لربه لكنود * وإنه على ذلك لشهيد * وإنه لحب الخير لشديد * أفلا يعلم إذا بعثر مافى القبور * وحصل مافى الصدور * إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ هذه السورة مكية فى قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية فى قول ابن عباس وأنس وقتادة لماذكر فيما قبلها مايقتضى تهديدا ووعيدا بيوم القيامة بتعنيف لمن لايستعد لذلك اليوم ومن آثر أمر دنياه على أمر آخرته والجمهور من أهل التفسير واللغة على أن العاديات هنا الخيل تعدو فى سبيل الله وتضبح حالة عدوها * وقال عنترة

والخيل تكدح حين تضبح * فى حياض الموت ضبحا

وقال أبو عبدالله وعلى وابراهيم والسدى ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير العاديات الابل * أقسم بها حين تعدو من عرفة ومن المزدلفة اذا دفع الحاج * وبأهل غزوة بدر لم يكن فيها غير فرسين فرس للزبير وفرس للمقداد وبهذا حج على رضى الله عنه ابن عباس حين تماريا فرجع ابن عباس الى قول على رضى الله تعالى عنهما * وقالت صفية بنت عبد المطلب

فلا والعاديات غداة جمع * بأيديها اذا سطع الغبار

وانتصب ضبحا على اضمار فعل أى يضبحن ضبحا أو على انه فى موضع الحال أى ضابحات أو على المصدر على قول أبى عبيدة أن معناه العدو الشديد فهو منصوب بالعاديات * وقال الزمخشرى أو بالعاديات

عود الضمير فى ﴿ وانه على ذلك لشهيد ﴾ أى لشهيد على كنوده ولايقدر أن يجحده لظهور أمره ﴿ وانه ﴾ أى وان الانسان ﴿ لحب الخير ﴾ أى المال ﴿ لشديد ﴾ أى قوى فى حبه وقيل له لبخيل بالمال ضابط ﴿ أفلا يعلم ﴾ توقيف على مايؤول اليه الانسان ومفعول يعلم محذوف وهو العامل فى الظرف أى فلا يعلم مآله اذا بعثر ويجوز أن تكون يعلم معلقة والجملة المعلقة قوله ان ربهم كما تقول علمت ان زيدا لقائم فالجملة فى موضع نصب ﴿ وحصل مافى الصدور ﴾ أى جمع

---

( الدر ) ﴿ سورة العاديات ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) (ش) أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع

كأنه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو انتهى واذا كان الضبح مع العدو فلا يكون معنى والعاديات معنى الضابحات فلا ينبغي أن يفسر به * فالموريات قدحا والايراء اخراج النار أى تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار لصك بعض الحجارة بعضا و يقال قدح فأورى وقدح فأصلد وتسمى تلك النار التى تقدحها الحوافر من الخيل أو الابل نار الحباحب قال الشاعر

تقد السلوقى المضاعف نسجه * وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وقيل فالموريات قدحا مجاز أو استعارة فى الخيل تشعل الحرب قاله قتادة * وقال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويقال حمى الوطيس اذا اشتد الحرب * وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم الموريات الجماعة التى تمكر فى الحرب والعرب تقول له اذا أرادت المكر بالرجل والله لا يكون ذلك ولأورين لك وعن ابن عباس أيضا التى تورى نارها بالليل لحاجتها وطعامها وعنه أيضا جماعة الغزاة تكثر النار ارهابا * وقال عكرمة ألسنة الرجال تورى النار من عظيم ما تتكلم به وتظهر من الحجج والدلائل واظهار الحق وابطال الباطل * فالمغيرات صبحا أى تغير على العدو فى الصبح ومن قال هى الابل قال العرب تقول أغار اذا عدى جريا أى من مزدلفة الى منى أو فى بدر وفى هذا دليل على أن هذه الأوصاف لذات واحدة لعطفها بالفاء التى تقتضى التعقيب والظاهر أنها الخيل التى يجاهد عليها العدو من الكفار ولا يستدل على أنها الابل بوقعة بدر وان لم يكن فيها الا فرسان لانه لم يذكر أن سبب نزل هذه السورة هو وقعة بدر ثم بعد ذلك لا يكاد يوجد ان الابل جوهد عليها فى سبيل الله بل المعلوم انه لا يجاهد فى سبيل الله تعالى الا على الخيل فى شرق البلاد وغربها * فأثرن معطوف على اسم الفاعل الذى هو صلة أل لانه فى معنى الفعل اذ تقديره فاللاتى عدون فأغرن فأثرن * وقال الزمخشرى معطوف على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه انتهى وتقول أصحابنا هو معطوف على الاسم لانه فى معنى الفعل * وقرأ الجمهور فأثرن فوسطن بتخفيف الثاء والسين وأبو حيوة وابن أبى عبلة بشدهما وعلى وزيد بن على وقتادة وابن أبى ليلى بشد السين * وقال الزمخشرى وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار أو قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهى مبالغة فى وسطن انتهى أما قوله أو قلب فتمحل بارد وأما ان التشديد للتعدية فقد نقلوا أن وسط مخففا ومثقلا بمعنى واحد وأنهما لغتان والضمير فى به عائد فى الأول على الصبح أى هيجن فى ذلك الوقت غبارا أو فى به الثانى على الصبح * قيل أو على النقع أى وسطن النقع الجمع فيكون وسطه بمعنى توسطه * وقال على وعبد الله فوسطن به جمعا أى الابل وجمعا اسم للمزدلفة وليس بجمع من الناس * وقال بشر بن أبى حازم

فوسطن جمعهم وأفلت حاجب * تحت العجاجة فى الغبار الاقتم

* وقيل الضمير فى به معا يعود على العدو الدال عليه والعاديات أيضا * وقيل يعود على المكان الذى يقتضيه المعنى وان لم يجر له ذكر لدلالة والعاديات وما بعدها عليه * وقيل المراد بالنقع هنا الصياح والظاهر أن المقسم به هو جنس العاديات وليست أل فيه للعهد والمقسم عليه ان الانسان لربه لكنود وفى الحديث الكنود يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده * وقال ابن عباس والحسن هو الجحود لنعمة الله تعالى وعن الحسن أيضا هو اللائم لربه يعد السيئات وينسى الحسنات * وقال الفضيل هو الذى تنسيه سيئة واحدة حسنات كثيرة ويعامل الله على عقد عوض * وقال عطاء

( الدر )

العدو انتهى (ح) واذا كان الضبح مع العدو فلا يكون معنى والعاديات معنى والضابحات فلا ينبغى أن يفسر به (ش) وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار أو قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهى مبالغة فى وسطن للتعدية انتهى (ح) أما قوله أو قلب فتمحل بارد وأما أن التشديد للتعدية فقد نقلوا ان وسط مخففا ومثقلا بمعنى واحد وانهما لغتان

هو الذي لا يعطي في النائبات مع قومه * وقيل البخيل * وقال ابن قتيبة أرض كنود لا تنبت شيأ والظاهر عود الضمير في وانه على ذلك لشهيد أي يشهد على كنوده ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقاله الحسن ومحمد بن كعب * وقال ابن عباس وقتادة هو عائد على الله تعالى أي وربه شاهد عليه وهو على سبيل الوعيد * وقال التبريزي هو عائد على الله تعالى وربه شاهد عليه هو الأصح لأن الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورين ويكون ذلك كالوعيد والزجر عن المعاصي انتهى ولا يترجح بالقرب الا اذا تساويا من حيث المعنى والانسان هنا هو المحدث عنه والمسند اليه الكنود وأيضا فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى أولى من جعلهما لمختلفين ولا سيما اذا توسط الضمير بين ضميرين عائدين على واحد * وانه أي وان الانسان لحب الخير أي المال لشديد أي قوي في حبه * وقيل لبخيل بالمال ضابط له ويقال للبخيل شديد ومتشدد * وقال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

* وقال قتادة الخير من حيث وقع في القرآن هو المال * قال ابن عطية ويحتمل أن يراد هذا الخير الدنيوي من مال وصحة وجاه عند الملوك ونحوه لان الكفار والجهال لا يعرفون غير ذلك فأما المحب في خير الآخرة فممدوح مرجو له الفوز * وقال الفراء نظم الآية أن يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال لشديد وحذف من آخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤس الآى كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا للايام كأنه قال في يوم عاصف الريح انتهى وقال غيره ما معناه لأنه ليس أصله ذلك التركيب بل اللام في لحب لام العلة أي وانه لأجل حب المال لبخيل أو وانه لحب المال وايثاره قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا * قال الزمخشري أو أراد وانه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض * أفلا يعلم توقيف الى ما يؤول اليه الانسان ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في الظرف أي أفلا يعلم ما آله اذا بعثر * وقال الحوفي اذا ظرف مضاف الى بعثر والعامل فيه يعلم انتهى وليس بمتضح لأن المعنى أفلا يعلم الآن * وقرأ الجمهور بعثر بالعين مبنيا للمفعول * وقرأ عبد الله بالحاء * وقرأ الاسود بن زيد بحث * وقرأ نصر بن عاصم بحثر على بنائه للفاعل * وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبي سعدان وحصل مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول * وقرأ ابن يعمر أيضا ونصر بن عاصم أيضا وحصل مبنيا للفاعل خفيف الصاد والمعنى جمع ما في المصحف أي أظهر محصلا مجموعا * وقيل ميز وكشف ليقع الجزاء عليه * وقرأ الجمهور ان بكسر الهمزة لخبير باللام وهو استئناف اخبار والعامل في بهم وفي يومئذ لخبير وهو تعالى خبير دائما لكنه ضمن خبير معنى مجاز لهم في ذلك اليوم * وقرأ أبو السمال والحجاج بفتح الهمزة واسقاط اللام ويظهر في هذه القراءة تسلط يعلم على إن لكنه لا يمكن إعمال خبير في اذا لكونه في صلة أن المصدرية لكنه لا يمكن أن يقدر له عامل فيه من معنى الكلام فانه قال يجزيهم اذا بعثر وعلى هذا التقدير يجوز أن يكون يعلم معلقة عن العمل في قراءة الجمهور وسدت مسد المعمول في ان وفي خبرها اللام ظاهر إذ هي في موضع نصب بيعلم واذا العامل فيها من معنى مضمون الجملة تقديره كما قلنا يجزيهم اذا بعثر

﴿ سورة القارعة مكية وهى احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القارعة * ماالقارعة * وما أدراك ماالقارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية * وما أدراك ماهيه * نار حامية ﴾ الفراش قال الفراء هو الهمج الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد ويقال هو أطيش من فراشة * قال وقد كان أقوام رددت قلوبهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل * وقيل فراشة الحلم نفشت الصوف والقطن فرقت ما كان ملبدا من أجزائه ﴿ القارعة * ماالقارعة * وما أدراك ماالقارعة * يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * وتكون الجبال كالعهن المنفوش * فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية * وأما من خفت موازينه فأمه هاوية * وما أدراك ماهيه * نار حامية ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لأنه ذكر وقت بعثرة القبور وذلك هو وقت الساعة * وقال الجمهور القارعة القيامة نفسها لأنها تقرع القلوب بهولها * وقيل صيحة النفخة فى الصور لانها تقرع الاسماع وفى ضمن ذلك القلوب * وقال الضحاك هى النار ذات التغيظ والزفير * وقرأ الجمهور القارعة ماالقارعة بالرفع فما استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب وهو مبتدأ والقارعة خبره وتقدم تقرير ذلك فى الحاقة ماالحاقة * وقيل ذلك فى قوله فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة * وقال الزجاج هو تحذير والعرب تحذر وتغرى بالرفع كالنصب * قال الشاعر

* أخو النجدة السلاح السلاح * وقرأ عيسى بالنصب وتخريجه على أنه منصوب باضمار فعل أى اذكروا القارعة وما زائدة للتوكيد والقارعة تأكيد لفظى للاولى * وقرأ الجمهور يوم بالنصب وهو ظرف العامل فيه قال ابن عطية القارعة فان كان عنى بالقارعة اللفظ الأول فلا يجوز للفصل بين العامل وهو فى صلة أل والمعمول بالخبر وكذا لو صار القارعة علما للقيامة لا يجوز أيضا وان كان عنى اللفظ الثانى أو الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه * وقال الزمخشرى الظرف نصب بمضمر دل عليه القارعة أى تقرع يوم يكون الناس * وقال الحوفى تأتى يوم يكون * وقيل اذكر يوم * وقرأ زيد بن على يوم يكون مرفوع الميم أى وقتها يوم يكون الناس كالفراش المبثوث * قال قتادة هو الطير الذى يتساقط فى النار * وقال الفراء غوغاء الجراد وهو صغيره الذى ينتشر فى الأرض يركب بعضه بعضا من الهول * وقيل الفراش طير دقيق يقصد النار ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق شبهوا فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجىء والذهاب على غير نظام والتطاير الى الداعى من كل جهة حتى تدعوهم الى ناحية المحشر كالفراش المتطاير الى النار * قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلى

وقرن بين الناس والجبال تنبيها على تأثير تلك القارعة فى الجبال حتى صارت كالعهن المنفوش

﴿ سورة القارعة ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ القارعة ماالقارعة ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لأنه ذكر وقت بعثرة القبور وذلك هو وقت الساعة وقال الجمهور القارعة القيامة نفسها لانها تقرع القلوب بهولها ما استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجب وهو مبتدأ القارعة وتقدم تقرير ذلك فى الحاقة ﴿ يوم يكون الناس كالفراش ﴾ هو الطير الذى يتساقط فى النار * والعهن الصوف وقرن بين الناس والجبال تنبيها على تأثير تلك القارعة فى الجبال حتى صارت كالعهن المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند سماعها وتقدم الكلام فى الموازين وثقلها فى الاعراف * وعيشة راضية فى الحاقة ﴿ فامه هاوية ﴾ قيل دركة من دركات النار وأمه معناه مأواه كما قيل للارض أم الناس لأنها تؤويهم ﴿ وما أدراك ماهيه ﴾ هى ضمير يعود على هاوية والهاء فى ماهيه هاء السكت وحذفت فى الوصل نار خبر مبتدأ محذوف تقديره هى نار

( الدر )

﴿ سورة القارعة ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ( ع ) ويوم ظرف العامل فيه القارعة انتهى ( ح ) ان كان عنى بالقارعة اللفظ الأول فلا يجوز الفصل بين العامل وهو فى صلة أل والمعمول بالخبر وهو لا يجوز وكذلك لو صار القارعة علما للقيامة لا يجوز أيضا وان كان عنى اللفظ الثانى أو الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه

فكيف يكون حال الانسان عند سماعها وتقدم الكلام في الموازين وثقلها وخفتها في الأعراف وعيشة راضية في الحاقة * فأمه هاوية الهاوية دركة من دركات النار وأمه معناه مأواه كما قيل للارض أم الناس لانها تؤويهم وكما قال عتبة بن أبي سفيان في الحرب فنحن بنوها وهي أمنا * وقال قتادة وأبو صالح وغيره فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا * وقيل هو تفاؤل بشر واذا دعوا بالهلكة قالوا هوت أمه لانه اذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا * قال الشاعر

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

* وقرأ الجمهور فأمه بضم الهمزة وطلحة بكسرها * قال ابن خالويه وحكى ابن دريد أنها لغة وأما النحويون فانهم يقولون لا يجوز كسر الهمزة الا أن يتقدمها كسرة أو ياء انتهى * وما أدراك ماهيه هي ضمير يعود على هاوية ان كانت كما قيل دركة من دركات النار معروفة بهذا الاسم وان كانت غير ذلك مما قيل فيها فهي ضمير الداهية التي دل عليها قوله فأمه هاوية والهاء في ماهيه هاء السكت وحذفها في الوصل ابن أبي اسحق والأعمش وحمزة وأثبتها الجمهور نار خبر مبتدا محذوف أي هي نار أعاذنا الله منها بمنه وكرمه

## ﴿سورة ألهاكم مكية وهي ثماني آيات﴾

## ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾

هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين * وقال البخاري مدنية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وسبب نزولها فيما روى الكلبي ومقاتل كان بين بني سهم وبين بني عبد مناف لحاء فتعادوا الأشراف الأحياء أيهم أكثر فكثرهم بنو عبد مناف ثم تعادوا بالأموات فكثرهم بنو سهم لانهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية * وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان وبنو فلان أكثر من بني فلان * وقال ابن زيد نزلت في بطن من الانصار ألهاكم شغلكم فعلى ما روى الكلبي ومقاتل يكون المعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالأموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وهذا معنى ينبو عنه لفظ زرتم وقيل حتى زرتم أي متم وزرتم بأجسادكم مقابرها أي قطعتم بالتكاثر والمفاخر بالأموال والأولاد والعدد أعماركم حتى متم وسمع بعض الاعراب حتى زرتم فقال بعث القوم للقيامة ورب الكعبة فان الزائر منصرف لا مقيم وعن عمر بن عبد العزيز نحو من قول الاعرابي * وقيل هذا تأنيب على الاكثار من زيارة تكثرا بمن سلف واشادة بذكره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم قال فزوروها أمر اباحة للاتعاظ بها لا لمعنى المباهاة والتفاخر * قال ابن عطية كما يصنع الناس في ملازمتها وتسنيمها بالحجارة والرخام وتلوينها شرفا وبنيان النواويس عليها وابن عطية لم ير الا قبور أهل الاندلس فكيف لو رأى ما يتباهى به أهل مصر في مدافنهم بالقرافة الكبرى والقرافة

هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وسبب نزولها فيما روى أنه كان بين بني سهم وبني عبد مناف لحاء فتعادوا الاشراف الاحياء أيهم أكثر فكثرهم بنو عبد مناف ثم تعادوا بالأموات فكثرهم بنو سهم لانهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية وألهاكم شغلكم المعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى استوعبتم عددهم وسمع بعض الاعراب حتى زرتم المقابر فقال بعث القوم للقيامة ورب الكعبة فان الزائر منصرف لا مقيم وقال علي كرم الله وجهه كلا سوف تعلمون في القبور ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ في البعث غاير ما بينهما بحسب التعلق وتبقى ثم على بابها من المهلة في الزمان ﴿كلا لو تعلمون﴾ أي ما بين أيديكم مما تقدمون عليه وجواب لو محذوف تقديره ما ألهاكم التكاثر واللام في لترون جواب قسم محذوف والجملة بعدها تأكيد لها ونص على قوله ﴿علم اليقين﴾ رفعا للمجاز الذي قبله ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ الظاهر العموم في النعيم وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب فالمؤمن يسأل سؤال اكرام وتشريف والكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع

الصغرى وباب النصر وغير ذلك وما يضيع فيها من الأموال لتعجب من ذلك ولرأى ما لم يخطر
ببال وأما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين الى الصوف أقوام ليس لهم شغل الا زيارة القبور
زرت قبر سيدي فلان بكذا وقبر فلان بكذا والشيخ فلانا بكذا والشيخ فلانا بكذا فيذكرون أقاليم
طافوها على قدم التجريد وقد حفظوا حكايات عن أصحاب تلك القبور وأولئك المشايخ بحيث لو
كتبت لجاءت أسفارا وهم مع ذلك لا يعرفون فروض الوضوء ولا سننه وقد سخر لهم الملوك وعوام
الناس في تحسين الظن بهم وبذل أموالهم لهم وأما من شذ منهم لأن يتكلم للعامة فيأتي بعجائب
يقولون هذا فتح هذا من العلم اللدني علم الخضر حتى ان من ينتمي الى العلم لما رأى رواج هذه الطائفة
سلك مسلكهم ونقل كثيرا من حكاياتهم ومزج ذلك بيسير من العلم طلبا للمال والجاه وتقبيل اليد
ونحن نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لطاعته * وقرأ الجمهور ألهاكم على الخبر وابن عباس وعائشة
ومعاوية وأبو عمران الجوني وأبو صالح ومالك بن دينار وأبو الجوزاء وجماعة بالمد على الاستفهام وقد
روى كذلك عن الكلبي ويعقوب وعن أبي بكر الصديق وابن عباس أيضا والشعبي وأبي العالية
وابن أبي عبلة والكسائي في رواية أألهاكم بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير على قبح
فعلهم والجمهور على ان التكرير توكيد * قال الزمخشري والتكرير تأكيد للردع والانذار
وثم دلالة على ان الانذار الثاني أبلغ من الاول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل
والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى * وقال علي
ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث
غاير بينهما بحسب التعلق وتبقى ثم على بابها من المهلة في الزمان * وقال الضحاك الزجر الاول ووعيده
للكافرين والثاني للمؤمنين * كلا لو تعلمون أي ما بين أيديكم مما تقدمون عليه علم اليقين أي كعلم
ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو العلم اليقين فأضاف الموصوف الى صفته وحذف
الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو ألهاكم التكاثر * وقيل اليقين هنا الموت * وقال قتادة البعث لانه
اذا جاء زال الشك ثم قال لترون الجحيم والظاهر أن هذه الرؤية هي رؤية الورود كما قال تعالى وان
منكم الا واردها ولا تكون رؤية عند الدخول فيكون الخطاب للكفار لانه قال بعد ذلك ثم لتسألن
يومئذ عن النعيم ثم لترونها عين اليقين تأكيد للجملة التي قبلها وزاد التوكيد بقوله عين اليقين
نفيا لتوهم المجاز في الرؤية الاولى وعن ابن عباس هو خطاب للمشركين فالرؤية رؤية دخول * وقرأ
ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وباقي السبعة بالفتح وعلي وابن كثير في رواية وعاصم في رواية
بفتحها في لترون وضمها في لترونها ومجاهد والاشهب وابن أبي عبلة بضمهما * وروى عن الحسن
وأبي عمرو بخلاف عنهما انهما همزا الواوين استثقلوا الضمة على الواو فهمزوا كما همزوا في
وقتت وكان القياس أن لا تهمز لانها حركة عارضة لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها لكنها لما تمكنت
من الكلمة بحيث لا تزول أشبهت الحركة الأصلية فهمزوا وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول
في الوقف نحو استروا الصلاة فهمز هذه أولى * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الظاهر العموم
في النعيم وهو كل ما يتلذذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب فالمؤمن يسأل سؤال اكرام
وتشريف والكافر سؤال توبيخ وتقريع * وعن ابن مسعود والشعبي وسفيان ومجاهد هو
الأمن والصحة * وعن ابن عباس البدن والحواس فيم استعملها * وعن ابن جبير كل ما يتلذذ به
وفي الحديث بيت يكنك وخرقة توارى بك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم

﴿ سورة العصر مكية وهي ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والعصر * إن الانسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ هذه السورة مكية في قول ابن عباس وابن الزبير والجمهور ومدنية في قول مجاهد وقتادة ومقاتل لما قال فيما قبلها ألهاكم التكاثر ووقع التهديد بتكرار كلا سوف تعلمون بين حال المؤمن والكافر * والعصر قال ابن عباس هو الدهر يقال فيه عصر وعصر وعصر أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب * وقال قتادة العصر العشي أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة * وقيل العصر اليوم والليلة * ومنه قول حميد بن ثور

ولن يلبث العصران يوم وليلة * اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

* وقيل العصر بكرة والعصر عشية وهما الأبردان فعلى هذا والقول قبله يكون القسم بواحد منهما غير معين * وقال مقاتل العصر الصلاة الوسطى أقسم بها وبهذا القول بدأ الزمخشري قال لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله لأن التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم انتهى * وقرأ سلام والعصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء * قال ابن عطية وهذا لا يجوز إلا في الوقف على نقل الحركة * وروى عن أبي عمرو بالصبر بكسر الباء إشماما وهذا أيضا لا يكون إلا في الوقف انتهى وفي الكامل للهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسر ما قبل الساكن في هذه كلها هارون وابن موسى عن أبي عمرو والباقون بالاسكان كالجماعة انتهى * وقال ابن خالويه وتواصوا بالصبر بنقل الحركة عن أبي عمرو وقال صاحب اللوامح عيسى البصرة بالصبر بنقل حركة الهاء الى الباء لئلا يحتاج أن يأتي ببعض الحركة في الوقف ولا الى أن يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شائعة وليست شاذة بل مستفيضة وذلك دلالة على الاعراب وانفصال عن التقاء الساكنين ومادته حق الموقوف عليه من السكون انتهى وقد أنشدنا في الدلالة على هذا في شرح التسهيل عدة أبيات كقول الراجز

أنا جرير كنيتي أبو عمر * أضرب بالسيف وسعد في العصر

يريد أبو عمرو * والعصر والانسان اسم جنس يعم ولذلك صح الاستثناء منه والخسر الخسران كالكفر والكفران وأي خسران أعظم ممن خسر الدنيا والآخرة * وقرأ ابن هرمز وزيد ابن علي وهارون عن أبي بكر عن عاصم خسر بضم السين والجمهور بالسكون ومن باع آخرته بدنياه فهو في غاية الخسران بخلاف المؤمن فانه اشترى الآخرة بالدنيا فربح وسعد * وتواصوا بالحق أي بالأمر الثابت من الذين عملوا به وتواصوا به وتواصوا بالصبر في طاعة الله تعالى وعن المعاصي

﴿ سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ويل لكل همزة لمزة * الذي جمع مالا وعدده * يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم

---

﴿ سورة والعصر ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
﴿ والعصر ان الانسان لفي خسر ﴾ هذه السورة مكية لما قال فيما قبلها ألهاكم التكاثر ووقع التهديد بتكرار كلا سوف تعلمون بين حال المؤمن والكافر * والعصر قال ابن عباس هو الدهر يقال فيه عصر وعصر وعصر أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب والانسان اسم جنس والظاهر العموم ولذلك صح الاستثناء منه والخسر الخسران كالكفر والكفران وأي خسران أعظم ممن خسر الدنيا والآخرة ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ أي بالأمر الثابت من الذين عملوا به وتواصوا به ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ على طاعة الله تعالى وعن المعاصي

موصدة * في عمد ممددة ﴾ * الحطمة أصله الوصف من قولهم رجل حطمة أي أكول * قال الراجز * قد لفها الليل بسواق الحطم * وقال آخر

إنا حطمنا بالقضيب مصعبا * يوم كسرنا أنفه ليغضبا

﴿ ويل لكل همزة لمزة * الذي جمع مالا وعدده * يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * في عمد ممددة ﴾ هذه السورة مكية لما قال فيما قبلها ان الانسان لفي خسر بين حال الخاسر فقال ويل لكل همزة ونزلت في الأخنس بن شريق أو العاصي بن وائل أو جميل بن معمر أو الوليد بن المغيرة أو أمية بن خلف أقوال ويمكن أن تكون نزلت في الجميع وهي مع ذلك عامة فيمن اتصف بهذه الأوصاف * وقال السهيلي هو أمية بن خلف الجمحي كان يهمز النبي صلى الله عليه وسلم ويعيبه ذكره ابن اسحق وانما ذكرته وان كان اللفظ عاما لان الله سبحانه وتعالى تابع في أوصافه والخبر عنه حتى فهم انه يشير الى شخص بعينه وكذلك قوله في سورة ن ولا تطع كل حلاف مهين تابع في الصفات حتى علم أنه يريد انسانا بعينه وتقدم الكلام في الهمزة في سورة ن وفي اللمز في سورة براءة وفعلة من أبنية المبالغة كنومة وعيبة وسخرة وضحكة * وقال زياد الأعجم

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا * وان أغيب فأنت الهامز اللمزه

* وقرأ الجمهور بفتح الميم فيهما والباقون بسكونها وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك منه ويشتم ويهمز ويلمز * الذي بدل أو نصب على الذم * وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن عامر والاخوان جمع بشد الميم وباقي السبعة بالتخفيف والجمهور وعدده بشد الدال الاولى أي أحصاه وحافظ عليه * وقيل جعله عدة لطوارق الدهر والحسن والكلبي بتخفيفهما أي جمع المال وضبط عدده * وقيل وعددا من عشيرته * وقيل وعدده على ترك الادغام كقوله * إني أجود لأقوام وان ضننوا * أخلده أي أبقاه حيا إذ به قوام حياته وحفظه مدة عمره * قال الزمخشري أي طول المال أمله ومناه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت * قيل وكان للأخنس أربعة آلاف دينار * وقيل عشرة آلاف دينار * كلا ردع له عن حسبانه * وقرأ الجمهور لينبذن فيه ضمير الواحد وعلي والحسن بخلاف عنه وابن محيصن وحميد وهارون عن أبي عمرو لينبذان بألف ضمير اثنين الهمزة وماله * وعن الحسن أيضا لينبذن بضم الذال أي هو وأنصاره * وعن أبي عمرو لينبذنه * وقرأ الجمهور في الحطمة وما أدراك ما الحطمة وزيد بن علي في الحاطمة وما أدراك ما الحاطمة وهي النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها * قال الضحاك الحطمة الدرك الرابع من النار * وقال الكلبي الطبقة السادسة من جهنم وحكى عنه القشيري أنها الدركة الثانية وعنه أيضا الباب الثاني * وقال الواحدي باب من أبواب جهنم انتهى ونار الله أي هي أي الحطمة * التي تطلع على الأفئدة ذكرت الأفئدة لانها ألطف ما في البدن وأشده تألما بأدنى شيء من الأذى واطلاع النار عليها هو أنها تعلوها وتشتمل عليها وهي تعلو الكفار في جميع أبدانهم لكن نبه على الأشرف لانها مقر العقائد * وقرأ الاخوان وأبو بكر في عمد بضمتين جمع عمود وهارون عن أبي عمرو بضم العين وسكون الميم وباقي السبعة بفتحها

﴿سورة الهمزة﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ هذه السورة مكية ولما قال فيما قبلها ان الانسان لفي خسر بين حال الخاسر فقال ويل لكل همزة ونزلت في الاخنس بن شريق أو العاصي بن وائل أو جميل بن معمر ويمكن أن تكون نزلت في الجميع وهي مع ذلك عامة فيمن اتصف بهذه الاوصاف وتقدم الكلام في الهمز في ن والقلم وفي اللمز في براءة وفعلة من أبنية المبالغة كنومة وعيبة وسخرة وضحكة ﴿الذي﴾ بدل معرفة من نكرة ﴿جمع﴾ المال وضبط عدده ﴿أخلده﴾ أي أبقاه حيا يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت ﴿كلا﴾ ردع له عن حسبانه ﴿لينبذن﴾ أي ليرمين ﴿في الحطمة﴾ أصله الوصف من قولهم رجل حطمة أي أكول ﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ وهي النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى اليها ﴿نار الله الموقدة﴾ أي هي أي الحطمة ﴿التي تطلع على الافئدة﴾ ذكرت الافئدة لانها ألطف ما في البدن وأشده تألما بأدنى شيء من الأذى واطلاع النار عليها هو أنها تعلوها وتشتمل عليها وهي تعلو الكفار في جميع أبدانهم لكن نبه على الاشرف لانه مقر العقائد ﴿انها﴾ أي نار الآخرة أو يسوا من الخروج باطباق الابواب عليهم وتمدد العمد كل ذلك ايذانا بالخلود الى غير نهاية

﴿ سورة الفيل ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة أخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا والظاهر أن الخطاب للرسول عليه السلام يذكر نعمته عليه إذ كان صرف ذلك العدد العظيم عام مولده عليه أفضل الصلاة والسلام وارهاصا بنبوته إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدي الانبياء عليهم السلام ومعنى ألم تر ألم تعلم قدره على وجود علمه بذلك إذ هو أمر منقول نقل التواتر فكأنه قيل قد علمت فعل الله ربك بهؤلاء الذين قصدوا حرمه ضلل كيدهم وأهلكهم بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها أن تقتل وقصة الفيل ذكرها أهل السير مطولة وأصحاب الفيل أبرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده والظاهر أنه فيل واحد وكان العسكر ستين ألفا لم يرجع منهم أحد إلا أميرهم في شرذمة قليلة فلما أخبروا بما رأوا أهلكوا وكان الفيل يوجهونه نحو مكة لما كان قريبا منها فيبرك ويوجهونه نحو الشام واليمن فيسرع وزرماقة والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب بتر وكيف معمولة لفعل وفي خطابه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فعل ربك تشريف له عليه السلام واشادة من ذكره كأنه قال ربك معبودك هو الذي فعل ذلك لا أصنام قريش أساف ونائلة وغيرهما في تضليل في تضييع وابطال يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا وتضييع كيدهم هو بأن أحرق الله تعالى البيت الذي بنوه قاصدين أن يرجع حج العرب إليه وبأن أهلكهم لما قصدوا هدم بيت الله تعالى الكعبة بأن أرسل عليهم طيرا جاءت من جهة البحر ليست بنجدية ولا تهامية ولا حجازية سوداء وقيل خضراء على قدر الخطاف والطير اسم جمع يذكر ويؤنث وقيل الضمير عائد على ربك ﴿ بحجارة ﴾ كان كل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران كل حجر فوق حبة العدس ودون حبة الحمص مكتوب في كل حجر اسم مرميه ينزل على رأسه ويخرج من دبره ومرض أبرهة فتقطع أنملة أنملة ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت أبو مكسوم وزيره وطائر يتبعه حتى وصل الى النجاشي وأخبره بما جرى للقوم فرماه الطائر بحجره فمات بين يدي الملك ﴿ أبابيل ﴾ أي جماعات وقال الفراء لا واحد له من لفظه وذكر الرقاشي أنه سمع في واحده ابالة وحكى الفراء ابلة بالتخفيف ﴿ سجيل ﴾ تقدم شرحه في هود والعصف في الرحمن شبهوا بالعصف الذي أكل أي وقع فيه الأكال والتبن الذي أكلته الدواب وراثته قال ابن اسحق لما رد الله الحبشة عن الكعبة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك من الله تعالى نعمة عليهم وقيل هو اجابة لدعاء الخليل عليه السلام

وهو اسم جمع الواحد عمود * وقال الفراء جمع عمود كما قالوا أديم وأدم * وقال أبو عبيدة جمع عماد * قال ابن زيد في عمد حديد مغلولين بها * وقال أبو صالح هذه النار في قبورهم والظاهر أنها نار الآخرة إذ يئسوا من الخروج باطباق الأبواب عليهم وتمدد العمد كل ذلك إيذانا بالخلود الى غير نهاية * وقال قتادة كنا نحدث أنها عمد يعذبون بها في النار * وقال أبو صالح هي القيود والله تعالى أعلم

## ﴿ سورة الفيل مكية وهي خمس آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ * الفيل أكبر ما رأيناه من وحوش البر يجلب الى ملك مصر ولم نره بالأندلس بلادنا ويجمع في القلة على أفيال وفي الكثرة على فيول وفيلة * الأبابيل الجماعات تجيء شيأ بعد شيء * قال الشاعر

كادت تهد من الأصوات راحلتي * إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

﴿ وقال الأعشى ﴾

طريق وجبار رواء أصوله * عليه أبابيل من الطير تنعب

* قال أبو عبيدة والفراء لا واحد له من لفظه فيكون مثل عباديد وبيادير * وقيل واحده إبول مثل عجول * وقيل ابيل مثل سكين * وقيل ابال وذكر الرقاشي وكان ثقة أنه سمع في واحده إبالة وحكى الفراء أبالة مخففا ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ هذه

السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة أخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا والظاهر أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم يذكر نعمته عليه إذ كان صرف ذلك العدو العظيم عام مولده السعيد عليه السلام وارهاصا بنبوته إذ مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومعنى ألم تر ألم تعلم قدره على وجود علمه بذلك إذ هو أمر منقول نقل التواتر فكأنه قيل قد علمت فعل الله ربك بهؤلاء الذين قصدوا حرمه ضلل كيدهم وأهلكهم بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها انها تقتل وقصة الفيل ذكرها أهل السير والتفسير مطولة ومختصرة وتطالع في كتبهم وأصحاب الفيل أبرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده والظاهر انه فيل واحد وهو قول الأكثرين * وقال الضحاك ثمانية فيلة * وقيل اثنا عشر فيلا * وقيل ألف فيل وهذه أقوال متكاذبة وكان العسكر ستين ألفا لم يرجع أحد منهم إلا أميرهم في شرذمة قليلة فلما أخبروا بما رأوا هلكوا وكان الفيل يوجهونه نحو مكة لما كان قريبا منها فيبرك ويوجهونه نحو اليمن والشام فيسرع * وقال الواقدي أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم * وقرأ السلمي ألم تر بسكون وهو جزم بعد جزم * ونقل عن صاحب اللوامح ترأ بهمزة مفتوحة مع سكون الراء على الأصل وهي لغة لتيم وتر معلقة والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب به وكيف معمول لفعل وفي خطابه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فعل ربك تشريف له صلى الله عليه وسلم واشادة من ذكره كأنه قال ربك معبودك هو الذي فعل ذلك لا أصنام قريش أساف ونائلة وغيرهما * ألم يجعل كيدهم في تضليل وابطال يقال ضلل كيدهم اذا جعله ضالا ضائعا * وقيل لامرئ القيس الضليل لانه ضلل ملك أبيه أي ضيعه وتضييع كيدهم هو بان أحرق الله تعالى البيت الذي بنوه قاصدين أن يرجع حج العرب اليه وبان أهلكهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة بان أرسل عليهم طيرا جاءت من جهة البحر ليست نجدية ولا تهامية ولا حجازية سوداء * وقيل خضراء على قدر الخطاف * وقرأ الجمهور ترميهم بالتاء والطير اسم جمع يؤنث القراءة وقوله

* كالطير ينجو من الشؤبوب ذي البرد * وتذكر كقراءة أبي حنيفة وابن يعمر وعيسى وطلحة في رواية عنه يرميهم * وقيل الضمير عائد على ربك بحجارة كان كل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران كل حجر فوق حبة العدس ودون حبة الحمص مكتوب في كل حجر اسم مرميه ينزل على رأسه ويخرج من دبره ومرض أبرهة فتقطع أنملة أنملة وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت أبو مكسوم وزيره وطائره يتبعه حتى وصل الى النجاشي وأخبره بما جرى للقوم فرماه الطائر بحجره فمات بين يدي الملك وتقدم شرح سجيل في سورة هود والعصف في سورة الرحمن شبهوا بالعصف ورق الزرع الذي أكل أي وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود والتبن الذي أكلته الدواب وراثته وجاء على آداب القرآن نحو قوله كانا يأكلان الطعام أو الذي أكل حبه فبقي فارغا فنسبه انه أكل مجاز إذ المأكول حبه لا هو * وقرأ الجمهور مأكول بسكون الهمزة وهو الأصل لان صيغة مفعول من فعل * وقرأ أبو الدرداء فيما نقل ابن خالويه بفتح الهمزة اتباعا لحركة الميم وهو شاذ وهذا كما اتبعوا في قولهم محموم بفتح الحاء لحركة الميم * قال ابن اسحاق لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله تعالى عليهم * وقيل هو إجابة لدعاء الخليل عليه الصلاة والسلام

﴿ سورة لايلاف قريش مكية وهي أربع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لايلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ * قريش علم اسم قبيلة وهم بنو النضر بن كنانة فمن كان من بني النضر فهو من قريش دون بني كنانة * وقيل هم بنو فهر بن مالك بن النضر فمن لم يلده فهر فليس بقرشي * قال القرطبي والقول الاول أصح وأثبت وسموا بذلك لتجمعهم بعد التفرق والتقريش التجمع والالتئام * ومنه قول الشاعر

اخوة قرشوا الذنوب علينا * في حديث من دهرهم وقديم

كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا * ومنه قوله

أبونا قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

* وقال الفراء التقرش التكسب وقد قرش يقرش قرشا اذا كسب وجمع ومنه سميت قريش * وقيل كانوا يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها والقرش التفتيش * ومنه قول الشاعر

أيها الناطق المقرش عنا * عند عمرو وهل لذا انتهاء

وسأل معاوية ابن عباس بم سميت قريش قريشا فقال بدابة في البحر أقوى دوابه يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى * ومنه قول تبع

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تترك فيها لذي جناحين ريشا

هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا

وفي الكشاف دابة تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فان كان قريش من مزيد فيه فهو تصغير ترخيم وان كان من ثلاثي مجرد فهو تصغير على أصل التصغير الشتاء والصيف فصلان معروفان من فصول السنة الأربعة وهمزة الشتاء مبدلة من واو قالوا شتا يشتو وقالوا شتوة والشتاء مفرد وليس بجمع شتوة ﴿ لايلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ هذه السورة مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك وابن السائب * ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ولا سيما ان جعلت اللام متعلقة بنفس فجعلهم وهو قول الأخفش أو باضمار فعلنا ذلك لايلاف قريش وهو مروي عن الأخفش حتى تطمئن في بلدها فذكر ذلك للامتنان عليهم اذلو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد والأقاليم ولم تجتمع لهم كلمة * قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل وعن عمر انه قرأهما في الثانية من صلاة



﴿ سورة قريش ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ لئلاف قريش ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ولا سيما ان جعلت اللام متعلقة بنفس فجعلهم أو باضمار فعلنا ذلك لئلاف قريش حتى تطمئن في بلدها فذكر ذلك للامتنان عليهم اذلو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في الاقاليم ولم تجتمع لهم كلمة وقال الخليل اللام تتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى لان فعل الله بقريش هذا ومكنهم من إلفهم هذه النعمة ﴿فليعبدوا﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل ايلافهم الرحلة وإلاف الرحلة كانوا أربعة اخوة وهم بنو عبد مناف هاشم كان يؤلف ملك الشام أخذ منه خيلا فأمن به في تجارته الى الشام وعبد شمس كان يؤلف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس فكان هؤلاء يسمون المجيرين فتختلف تجر قريش الى الامصار بحبل هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم أحد ﴿رب هذا البيت﴾ هو الكعبة وتمكن هنا هذا اللفظ لتقدم حمايته في السورة التي قبلها ومن هنا للتعليل أي لأجل الجوع كانوا قطانا ببلد غير ذي زرع عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى بهم وسألته بدعوة ابراهيم عليه السلام قال تعالى تجبى اليه ثمرات كل شيء ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ فضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيث ما حلوا يقال هؤلاء قطان بيت الله فلا يتعرض اليهم أحد وغيرهم خائفون وقال ابن عباس وآمنهم من خوف معناه من الجذام فلا ترى بمكة مجذوما

المغرب وقرأ في الأولين والتين والمعنى انه أهلك أهل الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتيهم انتهى * قال الحوفي ورد هذا القول جماعة وقالوا لو كان كذا لكان لايلاف بعض سورة ألم تر وفي اجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال يعني الأخفش والكسائي والفراء تتعلق باعجبوا مضمرة أي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بالعبادة بعد وأعلمهم ان الله هو الذي أطعمهم وآمنهم لا آسفهم أي فليعبدوا الذي أطعمهم بدعوة أبيهم حيث قال وارزقهم من الثمرات وآمنهم بدعوته حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا ولا تشتغلوا بالأسفار التي انما هي طلب كسب وعرض دنيا * وقال الخليل بن أحمد تتعلق بقوله فليعبدوا والمعنى لان فعل الله بقريش هذا ومكنهم من إلفهم هذه النعمة * فليعبدوا وأمرهم أن يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلة * قال الزمخشري (فان قلت) فلم دخلت الفاء (قلت) لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى امالا فليعبدوا لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة انتهى * وقرأ الجمهور لايلاف قريش مصدر آلف رباعيا وابن عامر لالاف على وزن فعال مصدر ألف ثلاثيا يقال ألف الرجل الأمر الفا والافا وآلفه غيره اياه ايلافا وقد يأتي ألف متعديا لواحد كالف * قال الشاعر

من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى في متنها يتوضح

ولم يختلف القراء السبعة في قراءة ايلافهم مصدر الرباعي * وروى عن أبي بكر عن عاصم انه قرأ بهمزتين فيهما الثانية ساكنة وهذا شاذ وان كان الأصل أبدلوا الهمزة التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين ولم يبدلوا في نحو يؤلف على جهة اللزوم لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه وهذا المروي عن عاصم هو من طريق الشمني عن الأعشى عن أبي بكر * وروى محمد بن داود النقار عن عاصم إئلافهم بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ناشئة عن حركة الهمزة الثانية لما أشبع كسرتها والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية وانه قرأ كالجماعة * وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري لالاف قريش وقرأ فيما حكى ابن عطية الفهم * قال الشاعر

زعمتم أن إخوتكم قريشا * لهم إلف وليس لكم إلاف

جمع بين مصدري ألف الثلاثي وعن أبي جعفر وابن عامر إلافهم على وزن فعال * وعن أبي جعفر وابن كثير الفهم على وزن فعل وبذلك قرأ عكرمة وعن أبي جعفر أيضا ليلاف بياء ساكنة بعد اللام اتبع لما أبدل الثانية ياء حذف الاولى حذفا على غير قياس وعن عكرمة ليألف قريش وعنه أيضا لتألف قريش على الأمر وعنه وعن هلال بن فتيان بفتح لام الأمر وأجمعوا هنا على صرف قريش راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه ملحوظا فيه معنى القبيلة للتأنيث والعلمية * قال الشاعر * وكفى قريش المعضلات وسادها * جعله اسما للقبيلة سيبويه في نحو معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للاحياء أكثر وان جعلتها اسما للقبائل لجائز حسن * وقرأ الجمهور رحلة بكسر الراء وأبو السمال بضمها فبالكسر مصدر وبالضم الجهة التي يرحل اليها والجمهور على أنهما رحلتان * فقيل الى الشام في التجارة ونيل الارباح * ومنه قول الشاعر

سفرين بينهما له ولغيره * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

* وقال ابن عباس رحلة الى اليمن ورحلة الى بصرى * وقال يرحلون في الصيف الى الطائف

حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء الى مكة للتجارة وسائر أغراضهم * وقال الزمخشري وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الالباس كقوله

كلوا في بعض بطنكم تعفوا * فان زمانكم زمن خميص

انتهى وهذا عند سيبويه لا يجوز الا في الضرورة ومثله * حمامة بطن الواديين ترنمي * يريد بطني الواديين أنشده أصحابنا على الضرورة * وقال النقاش كانت لهم أربع رحل * قال ابن عطية وهذا قول مردود انتهى ولا ينبغي أن يرد فان أصحاب الايلاف كانوا أربعة اخوة وهم بنو عبد مناف هاشم كان يؤلف ملك الشام أخذ منه حبلا فأمن به في تجارته الى الشام وعبد شمس يؤلف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس فكان هؤلاء يسمون المجيرين فتختلف تجر قريش الى الأمصار بحبل هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم * قال الازهري الايلاف شبه الاجارة بالخفارة فاذا كان كذلك جاز أن يكون لهم رحل أربع باعتبار هذه الأماكن التي كانت التجار في خفارة هؤلاء الأربعة فيها وفيهم يقول الشاعر يمدحهم

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذون العهد من آفاقها * والراحلون لرحلة الايلاف

والرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

والخالطون غنيهم لفقيرهم * حتى يصير فقيرهم كالكافي

فتكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد ولا كثر وايلافهم بدل من لايلاف قريش أطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول به وهو رحلة أي لأن الفوا رحلة تفخيما لأمر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه * هذا البيت هو الكعبة وتمكن هنا هذا اللفظ لتقدم حمايته في السورة التي قبلها ومن عنا للتعليل أي لأجل الجوع كانوا قطانا ببلد غير ذي زرع عرضة للجوع والخوف لولا لطف الله تعالى بهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام * قال تعالى تجبى اليه ثمرات كل شئ * وآمنهم من خوف فضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيث ما حلوا فيقال هؤلاء قطان بيت الله فلا يتعرض اليهم أحد وغيرهم خائفون * وقال ابن عباس والضحاك وآمنهم من خوف معناه من الجذام فلا ترى بمكة مجذوما * قال الزمخشري والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم * وقرأ الجمهور من خوف باظهار النون عند الخاء والمسيبي عن نافع باخفائها وكذلك مع العين نحو من علي وهي لغة حكاها سيبويه * وقال ابن الاسلت يخاطب قريشا

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الاخاشب

فعندكم منه بلاء ومصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتائب

كتيبة بالسهل تمشي ورجلة * على العادقات في رؤس المناقب

فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساق وحاجب

فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * الى أهله ملجيش غير عصائب

---

( الدر )

﴿ سورة قريش ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لامن اللباس كقوله كلوا في بعض بطنكم انتهى

﴿سورة الدين﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين﴾ هذه السورة مكية فى قول الجمهور ومدنية فى قول ابن عباس وقال هبة الله الضرير نزل نصفها بمكة فى العاصى بن وائل ونصفها بالمدينة فى عبد الله بن أبى المنافق ولما عدد تعالى نعمه على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء اتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه والظاهر ان أرأيت هى التى بمعنى أخبرنى فتتعدى الى اثنين أحدهما الذى والآخر محذوف تقديره أليس مستحقا عذاب الله ﴿يدع اليتيم﴾ يدفعه عن حقه كان سفيان بن حرب ينحر فى كل أسبوع  جزورا فأتاه يتيم فسأله شيأ فقرعه بعصا ﴿ولا يحض﴾ اشارة الى أنه هو لا يطعم اذا قدر وهذا من باب الاولى لانه اذا لم يحض غيره بخلا فلان يترك هو ذلك فعلا أولى وفى اضافة طعام الى المسكين دليل على أنه مستحقه ولما ذكر أولا عمود الكفر وهو التكذيب بالدين ذكر مايترتب على التكذيب من الايذاء والمنع من النفع وذلك مما يتعلق بالمخلوق ثم ذكر مايترتب عليه مما يتعلق بالخالق وهو عبادته بالصلاة فقال ﴿فويل للمصلين﴾ والظاهر أن المصلين هم غير المذكور قبل وهو داع اليتيم غير الحاض وان كان كل من الاوصاف الذميمة ناشئا عن التكذيب بالدين فالمصلون هنا والله أعلم هم المنافقون أثبت لهم الصلاة وهى التى يفعلونها ثم قال ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ نظرا الى انهم لا يوقعونها كما يوقعها المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب بها الى الله تعالى وفى الحديث عن صلاتهم ساهون يؤخرونها عن وقتها تهاونا بها وتقدم الكلام فى الرياء فى البقرة ﴿ويمنعون الماعون﴾ قال ابن عباس وجماعة مايتعاطاه الناس بينهم كالفأس والدلو والآنية والمقص وفى الحديث سئل

﴿سورة الماعون مكية وهى سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين * فذلك الذى يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين * فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤن * ويمنعون الماعون﴾ سها عن كذا يسهو سهوا اذا تركه عن غفلة * الماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل تقول العرب ماله معن أى شئ قليل وقاله قطرب * وقيل أصله معونة والألف عوض من الهاء فوزنه مفعل فى الأصل على مكرم فتكون الميم زائدة ووزنه بعد زيادة الألف عوضا مافعل * وقيل هو اسم مفعول من أعان يعين جاء على زنة مفعول قلب فصارت عينه مكان الفاء فصار موعون ثم قلبت الواو الفا كما قالوا فى يوب ياب فصار ماعون فوزنه على هذا مفعول * وقال أبو عبيدة والزجاج والمبرد الماعون فى الجاهلية كل مافيه منفعة حتى الفاس والدلو والقدر والقداحة وكل مافيه منفعة من قليل أو كثير * وأنشدوا بيت الأعشى

بأجود منه بماعونه * اذا ماسماؤهم لم تغم

وقالوا المراد به فى الاسلام الطاعة وتأتى أقوال أهل التفسير فيه ان شاء الله تعالى عز وجل ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين * فذلك الذى يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين * فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤن * ويمنعون الماعون﴾ هذه السورة مكية فى قول الجمهور ومدنية فى قول ابن عباس وقتادة * قال هبة الله المفسر الضرير نزل نصفها بمكة فى العاصى بن وائل ونصفها بالمدينة فى عبد الله بن أبى المنافق ولما عدد تعالى نعمه على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء اتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه ونزلت فى أبى جهل أو الوليد بن المغيرة أو العاصى بن وائل أو عمرو بن عائذ أو رجلين من المنافقين أو أبى سفيان بن حرب كان ينحر فى كل أسبوع جزورا فأتاه يتيم فسأله شيأ فقرعه بعصا أقوال آخرها لابن جريج والظاهر أن أرأيت هى التى بمعنى أخبرنى فتتعدى لاثنين أحدهما الذى والآخر محذوف فقدره الحوفى أليس مستحقا عذاب الله وقدره الزمخشرى من هو ويدل على أنها بمعنى أخبرنى قراءة

---

(الدر) ﴿سورة الماعون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ح) الماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل لقول العرب ماله معن أى شئ قليل قاله قطرب وقيل أصله معونة والألف عوض من الهاء فوزنه مفعل فى الأصل على وزن مكرم فتكون الميم زائدة ووزنه بعد زيادة الألف عوضا مافعل وقيل هو اسم مفعول من أعان يعين جاء على زنة مفعول قلب فصارت عينه مكان الفاء فصار موعون ثم قلبت الواو ألفا كما قالوا فى يوب باب فصار ماعون فوزنه على هذا مفعول

عليه السلام عن الشيء الذي لا يحل منعه فقال الماء والملح والنار وفي بعض الطرق والإبرة والخمير

(النهر) (ش) وطريقة أخرى أن يكون فذلك مبتدأ ... [illegible] جوابا لأرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قال أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم [illegible] فلينصح ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين (ح) فالمصلين على معنى فويل لهم [illegible]

عبد الله أرأيتك بكاف الخطاب لأن كاف الخطاب لا تلحق البصرية • قال الحوفي ويجوز أن تكون من رؤية البصر فلا يكون في الكلام حذف وهمزة الاستفهام تدل على التقرير ... لتذكر السامع من يعرف بهذه الصفة والدين الجزاء بالثواب والعقاب • وقال الزمخشري وقرئ أرأيت الذي يكذب بالجزاء هو الذي يدع اليتيم أي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف انتهى • وقرأ الجمهور يدع بضم الدال وشد العين وعلي والحسن وأبو رجاء واليماني بفتح الدال وخفف العين أي يتركه بمعنى لا يحسن إليه ويجفوه • وقرأ الجمهور ولا يحض مضارع حض وزيد بن علي يحاض مضارع حاضضت • وقال ابن عباس يكذب بالدين بحكم الله • وقال مجاهد بالحساب • وقيل بالجزاء • وقيل بالقرآن • وقال إبراهيم ابن عرفة يدع اليتيم يدفعه عن حقه • وقال مجاهد يدفعه عن حقه ولا يطعمه وفي قوله ولا يحض إشارة إلى أنهم لا يحضون إذ قد يكون من لا يقدر ... من باب الأولى لأنه إذا لم يحض غيره بخلا فلأن يترك هو ذلك فعلا أولى وأحرى وفي إضافة طعام إلى المسكين دليل على أنه يستحقه ولما ذكر أولا عمود الكفر وهو التكذيب بالدين ذكر ما يترتب عليه مما يتعلق بالخالق وهو عبادته بالصلاة • فقال فويل للمصلين والظاهر أن المصلين هم غير الذي يكذب • وقيل هو داع اليتيم غير الحاض وأن كلا من الأوصاف الذميمة ناشئ عن التكذيب بالدين فالمصلون هنا والله أعلم هم المنافقون أثبت لهم الصلاة وهي الهيئات التي يفعلونها • ثم قال الذين هم عن صلاتهم ساهون نظرا إلى أنهم لا يوقعونها كما يوقعها المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب بها إلى الله تعالى وفي المصحف عن صلاتهم ساهون يؤخرونها عن وقتها تهاونا بها • وقال مجاهد تأخير ترك وإهمال • وقال إبراهيم هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا ملتفتا • وقال قتادة هو التارك لها أو هم الغافلون الذين لا يبالي أحدهم أصلى أم لم يصل • وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله تعالى • وقال ابن عباس المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصلونها علانية وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى الآية ويدل على أنها في المنافقين قوله تعالى الذين هم يراءون وقاله ابن وهب عن مالك • قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم لكانت في المؤمنين • وقال عطاء الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم • وقال الزمخشري بعد أن قدم أن فذلك ... أن فذلك الذي يدع في موضع رفع قال وطريقة أخرى أن تكون فذلك عطفا على الذي يكذب إما عطف ذات على ذات أو عطف صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قال أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي إذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم إلا أنه وضع صفتهم موضع


(ح) ... [illegible] نصب ... وهو ... كأنه قال أخبرني ... يؤذي ... اليتيم ... ولا ... في المسكين ... التقدير أخبرني ... يؤذينا ... القول ... الإشارة في فذلك ... لجعل المسكين ... فيصنع ... يصلح ... المصيح ... يؤذوننا ... إلينا ... يؤذونا ... قوله فلينصح ... ذلك فلا ... [illegible]


ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف إليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم • فإن قلت كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد • قلت معناه الجمع لأن المراد به الجنس انتهى • فجعل فذلك في موضع رفع وجعل جملة فذلك الذي يدع جوابا لأرأيت • وقال • فإن قلت أين جواب الشرط • قلت • ... إشارة إلى الذي يكذب فليس إليها بمعنى لأن إشارة الى المفرد بقوله فذلك هو واحد أمفعوله ويكون جوابا لأرأيت محذوفا فلا نسلم به جواب بل هو في موضع المفعول الثاني لأرأيت وأما تقديره أنعم ما يصنع فهمزة الاستفهام لا نعلم دخولها على نعم ولا بئس لأنهما إنشاء والاستفهام لا يدخل إلا على الخبر وأما وضعه المصلين موضع الضمير وأن المصلين جمع لأن ضمير الذي يكذب بمعنى الجمع فتكلف وضع ولا ينبغي أن يحمل القرآن الا على ما اقتضاه ظاهر التركيب وهكذا عادة هذا الرجل يتكلف أشياء في فهم القرآن ليست بواضحة

ضميرهم لأنهم كانوا مع التكذيب وما أضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم (فان قلت) كيف جعلت المصلين قائماً مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد (قلت) معناه الجمع لان المراد به الجنس انتهى فجعل فذلك في موضع نصب عطفاً على المفعول وهو تركيب غريب كقولك أكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن الينا فالمتبادر الى الذهن أن فذلك مرفوع بالابتداء وعلى تقدير النصب يكون التقدير أكرمت الذي يزورنا فأكرمت ذلك الذي يحسن الينا فاسم الاشارة في هذا التقدير غير متمكن تمكن ماهو فصيح إذ لاحاجة الى أن يشار الى الذي يزورنا بل الفصيح أكرمت الذي يزورنا فالذي يحسن الينا أو أكرمت الذي يزورنا فيحسن الينا وأما قوله اما عطف ذات على ذات فلا يصح لان فذلك اشارة الى الذي يكذب فليسا بذاتين لان المشار اليه بقوله فذلك هو واحد وأما قوله ويكون جواب أرأيت محذوفاً فلا يسمى جواباً بل هو في موضع المفعول الثاني لأرأيت وأما قوله أنم ما يصنع فهمزة الاستفهام لانعلم دخولها على نعم ولا بئس لانهما إنشاء والاستفهام لايدخل إلا على الخبر وأما وضعه المصلين موضع الضمير وأن المصلين جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف واضح ولا ينبغي أن يحمل القرآن إلا على ما اقتضاه ظاهر التركيب وهكذا عادة هذا الرجل يتكلف أشياء في فهم القرآن ليست بواضحة وتقدم الكلام في الرياء في سورة البقرة * وقرأ الجمهور يراؤن مضارع راأى على وزن فاعل وابن أبي اسحاق والأشهب مهموزة مقصورة مشددة الهمزة وعن ابن أبي اسحاق بغير شد في الهمزة فتوجيه الأولى الى أنه ضعف الهمزة تعدية كما عدوا بالهمزة فقالوا في رأى أرى فقالوا راأى فجاء المضارع برأى كيصلي وجاء الجمع برؤن كيصلون وتوجيه الثانية انه استثقل التضعيف في الهمزة فخففها أو حذف الألف من براؤن حذفاً لا لسبب * ويمنعون الماعون قال ابن المسيب وابن شهاب الماعون بلغة قريش المال * وقال الفراء عن بعض العرب الماعون الماء * وقال ابن مسعود وابن عباس وابن الحنفية والحسن والضحاك وابن زيد مايتعاطاه الناس بينهم كالفأس والدلو والآنية * وفي الحديث سئل صلى الله عليه وسلم عن الشيء الذي لايحل منعه فقال الماء والملح والنار * وفي بعض الطرق الابرة والخمير * وقال علي وابن عمر وابن عباس أيضاً الماعون الزكاة * ومنه قول الراعي

أخليفة الرحمن إنا معشر * حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله من أموالنا * حق الزكاة منزلا تنزيلا
قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

يعني بالماعون الزكاة وهذا القول يناسبه ماذكره قطرب من أن أصله من المعن وهو الشيء القليل فسميت الزكاة ماعوناً لانها قليل من كثير وكذلك الصدقة غيرها * وقال ابن عباس هو العارية * وقال محمد بن كعب والكلبي هو المعروف كله * وقال عبد الله بن عمر منع الحق * وقيل الماء والكلأ

## ﴿ سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ * انحر أمر من النحر

وهوضرب النحر للابل بمايفيت الروح من محدود * الأبتر الذى لاعقب له والبتر القطع بترت الشئ قطعته وبتر بالكسر فهو أبتر انقطع ذنبه * وخطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد فيها الله تعالى ولاصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ورجل أباتر بضم الهمزة الذى يقطع رحمه * ومنه قول الشاعر

لئيم بدت فى أنفه خنزوانة * على قطع ذى القربى أجذ أباتر

والبترية قوم من الزيدية نسبوا الى المغيرة بن سعد ولقبه الأبتر والله تعالى أعلم ﴿ إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر ﴾ هذه السورة مكية فى المشهور وقول الجمهور مدنية فى قول الحسن وعكرمة وقتادة ولماذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة قابل فى هذه السورة البخل باناأعطيناك الكوثر والسهو فى الصلاة بقوله فصل والرياء بقوله لربك ومنع الزكاة بقوله وانحر أراد به التصدق بلحم الاضاحى فقابل أربعا بأربع ونزلت فى العاصى بن وائل كان يسمى الرسول صلى الله عليه وسلم بالأبتر وكان يقول دعوه إنما هو رجل أبتر لاعقب له لوهلك انقطع ذكره واسترحتم منه * وقرأ الجمهور أعطيناك بالعين والحسن وطلحة وابن محيصن والزعفرانى أنطيناك بالنون وهى قراءة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال التبريزى هى لغة للعرب العاربة من أولى قريش ومن كلامه صلى الله عليه وسلم اليد العلياء المنطية واليد السفلى المنطاة ومن كلامه أيضا عليه الصلاة والسلام وأنطوا النبعة * وقال الأعشى

جيادك خير جياد الملوك * تصان الجلال وتنطى الشعيرا

* قال أبو الفضل الرازى وأبو زكريا التبريزى أبدل من العين نونافان عنيا النون فى هذه اللغة مكان العين فى غيرها فحسن وان عنيا البدل الصناعى فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا يقول الأصل العين ثم أبدلت النون منها * وذكر فى التحرير فى الكوثر ستة وعشرين قولا والصحيح هو مافسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح * وفى صحيح مسلم وأقطعنا منه قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم انتهى قال ذلك عليه الصلاة والسلام عند مانزلت هذه السورة وقرأها * وقال ابن عباس الكوثر الخير الكثير * وقيل لابن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير * وقال الحسن الكوثر القرآن * وقال أبو بكر بن عياش ويمان بن رئاب كثرة الأصحاب والأتباع * وقال هلال بن يساف هو التوحيد * وقال جعفر الصادق نور قلبه دله على الله تعالى وقطعه عما سواه * وقال عكرمة النبوة * وقال الحسن بن الفضل تيسير القرآن وتخفيف الشرائع * وقال ابن كيسان الايثار وينبغى حمل هذه الأقوال على التمثيل لأن الكوثر منحصر فى واحد منها والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط

﴿ سورة الكوثر ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ هذه السورة مكية ولماذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة قابل فى هذه السورة البخل باناأعطيناك الكوثر والسهو عن الصلاة بقوله فصل والرياء بقوله لربك ومنع الزكاة بقوله وانحر أراد به التصدق بلحم الاضاحى فقابل أربعا باربع ونزلت فى العاصى ابن وائل كان يسمى الرسول صلى الله عليه وسلم بالابتر وكان يقول دعوه انما هو رجل أبتر لاعقب له لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه وذكر المفخر فى الكوثر أقوالا كثيرة والصحيح هو مافسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو نهر فى الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفى صحيح مسلم واقطعناه منه فقال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم قال ذلك صلى الله عليه وسلم عند مانزلت هذه السورة وقرأها عليهم ﴿ ان شانئك ﴾ أى مبغضك تقدم انه العاصى بن وائل وقيل أبو جهل قال ابن عباس لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الأبتر

﴿ سورة الكافرون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ الآية هذه السورة مكية
وذكروا في أسباب نزولها أنهم قالوا له عليه السلام دع ما أنت عليه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا ونملكك علينا
وإن لم تفعل هذا فتعبد آلهتنا ونعبد إلهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلناه جميعا ولما كان أكثر شانئيه قريشا وطلبوا منه
أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة أنزل الله تعالى هذه السورة تبريا منهم واخبار الاشك فيه وان ذلك لا يكون أبدا وفي قوله قل
دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله تعالى وخطابه لهم بيا أيها الكافرون في ناديهم ومكان بسطة أيديهم مع ما في
الوصف من الارذال لهم
دليل على انه محروس
من عند الله تعالى لايبالى
بهم والكافرون ناس
مخصوصون وهم الذين
قالوا له تلك المقالة الوليد
ابن المغيرة والعاصي بن
وائل والاسود بن المطلب
وأمية وأبي ابنا خلف وأبو
جهل وابنا الحجاج
ونظراؤهم ممن لم يسلم
ووافى على الكفر تصديقا
للاخبار في قوله ولا أنتم
عابدون ما أعبد وللمفسرين
في هذه الجمل أقوال
أحدها أنها للتوكيد
فقوله ولا أنا عابد ما عبدتم
توكيد لقوله لا أعبد
ما تعبدون وقوله ولا أنتم
عابدون ما أعبد ثانيا
توكيد لقوله ولا أنتم
عابدون ما أعبد أولا
والتوكيد في لسان العرب
كثير جدا وفائدة هذا
التوكيد قطع اطماع
الكفار وتحقيق الاخبار
بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون أبدا والثاني انه ليس للتوكيد واختلفوا فقال الأخفش المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا
أنتم عابدون الساعة ما أعبد ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل
جملة بزمان مغاير وقال أبو مسلم ما في الاولين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الأخريين مصدرية أي لا أعبد عبادتكم المبنية
على الشك وترك النظر ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين وقال ابن عطية لما كان قوله لا أعبد محتملا أن يراد به الآن
ويبقى المستأنف منتظرا ما يكون فيه جاء البيان بقوله ولا أنا عابد ما عبدتم أي أبدا وما حييت ثم جاء قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد

الكثرة * قيل لاعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر * وقال الشاعر

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

فصل لربك وانحر الظاهر أن فصل أمر بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل والنحر نحر
الهدي والنسك والضحايا قاله الجمهور ولم يكن في ذلك الوقت جهاد فأمر بهذين * قال أنس كان
ينحر يوم الأضحى قبل الصلاة فأمر أن يصلي وينحر وقاله قتادة * وقال ابن جبير نزلت وقت صلح
الحديبية * قيل له صل وانحر الهدي فعلى هذا الآية من المدني وفي قوله لربك تنذير بالكفار حيث
كانت صلاتهم مكاء وتصدية ونحرهم للاصنام * وعن علي رضي الله تعالى عنه صل لربك وضع يمينك
على شمالك عند نحرك في الصلاة * وقيل ارفع يديك في استفتاح صلاتك عند نحرك * وعن عطية
وعكرمة هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى * وقال الضحاك استو بين السجدتين جالسا حتى
يبدو نحرك * وقال أبو الأحوص استقبل القبلة بنحرك * ان شانئك أي مبغضك تقدم انه العاصي
ابن وائل * وقيل أبو جهل * وقال ابن عباس لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر * وقال شمر بن عطية
هو عقبة بن أبي معيط * وقال قتادة الأبتر هنا يراد به الحقير الذليل * وقرأ الجمهور شانئك بالألف
وابن عباس شينك بغير ألف * فقيل مقصور من شاني كما قالوا برر وبر في بارر وبار ويجوز أن
يكون بناء على فعل وهو مضاف للمفعول ان كان بمعنى الحال أو الاستقبال وان كان بمعنى الماضي
فتكون اضافته لا من نصب على مذهب البصريين وقد قالوا حذر أمورا ومزقون عرضي فلا
يستوحش من كونه مضافا للمفعول وهو مبتدأ والأحسن الأعرف في المعنى ان يكون فصلا أي هو
المنفرد بالبتر المخصوص به لا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجميع المؤمنين أولاده وذكره مرفوع
على المنائر والمنابر ومسرود على لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى
بذكره صلى الله عليه وسلم وله في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وشرف وكرم

﴿ سورة الكافرون مكية وهي ست آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم *

الثانى حتما عليهم أنهم لا يؤمنون به أبدا كالذى كشف الغيب فهذا كما قيل لنوح عليه السلام لن يؤمن من قومك الا من قد آمن أما أن هذا فى معينين وقوم نوح عموا بذلك فهذا معنى الترديد الذى فى السورة وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته انتهى ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ أى لكم شرككم ولى توحيدى وهذا غاية فى التبرى ولما كان الاهم انتفاءه عليه السلام من دينهم بدأ بالنفى فى الجمل السابقة بالمنسوب اليه ولما تحقق النفى رجع الى خطابهم فى قوله لكم دينكم على سبيل المهادنة وهى منسوخة بآية السيف

( الدر )

﴿ سورة الكافرون ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ش ) لا أعبد أريدت به العبادة فى المستقبل لأن لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى ولا أنا عابد ما عبدتم أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام ولا أنتم عابدون ما أعبد أى وما عبدتم فى وقت ما أنا على عبادته ( فان قلت ) فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم ( قلت ) لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله فى ذلك الوقت انتهى ( ح ) أما حصره فى قوله لأن لا لا تدخل كما أن ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم وقد ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال وذلك مذكور فى المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يورد سيبويه ذلك بأداة الحصر انما قال و يكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل وقال وأما ما فهى نفى لقوله هو يفعل اذا كان فى حال الفعل وذكر الغالب فيهما وأما قوله فى قوله ولا أنا عابد ما عبدتم أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم لأن عابدا اسم فاعل قد عمل فيما عبدتم فلا يفسر بالماضى انما يفسر بالحال أو الاستقبال وليس مذهبه فى اسم الفاعل

ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دين ﴾ هذه مكية فى قول الجمهور * وروى عن قتادة انها مدنية وذكروا من أسباب نزولها انهم قالوا له عليه الصلاة والسلام دع ما أنت فيه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا ونملكك علينا وان لم تفعل هذا فلتعبد آلهتنا ونحن نعبد الهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلناه جميعا ولما كان أكثر شانئه قريشا وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا الهه سنة أنزل الله تعالى هذه السورة تبريا منهم واخبارا لا شك فيه ان ذلك لا يكون وفى قوله قل دليل على انه مأمور بذلك من عند الله وخطابه لهم بيا أيها الكافرون فى ناديهم ومكان بسطة أيديهم مع ما فى هذا الوصف من الارذال بهم دليل على انه محروس من عند الله تعالى لا يبالى بهم والكافرون ناس مخصوصون وهم الذين قالوا له تلك المقالة الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب وأمية وأبى ابنا خلف وأبو جهل وابنا الحجاج ونظراؤهم ممن لم يسلم ووافى على الكفر تصديقا للاخبار فى قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد وللمفسرين فى هذه الجمل أقوال أحدها انها للتوكيد فقوله ولا أنا عابد ما عبدتم توكيد لقوله لا أعبد ما تعبدون وقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد أولا والتوكيد فى لسان العرب كثير جدا وحكوا من ذلك نظما ونثرا ما لا يكاد يحصر وفائدة هذا التوكيد قطع أطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفر وانهم لا يسلمون أبدا * والثانى انه ليس للتوكيد واختلفوا فقال الأخفش المعنى لا أعبد الساعة ما تعبدون ولا أنتم عابدون السنة ما أعبد ولا أنا عابد فى المستقبل ما عبدتم ولا أنتم عابدون فى المستقبل ما أعبد فزال التوكيد اذ قد تقيدت كل جملة بزمان مغاير * وقال أبو مسلم ما فى الاوليين بمعنى الذى والمقصود المعبود وما فى الأخريين مصدرية أى لا أعبد عبادتكم المبنية على الشك وترك النظر ولا أنتم تعبدون مثل عبادتى المبنية على اليقين * وقال ابن عطية لما كان قوله لا أعبد محتملا أن يراد به الآن ويبقى المستأنف منتظرا ما يكون فيه جاء البيان بقوله ولا أنا عابد ما عبدتم أبدا وما حييت ثم جاء قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد الثانى حتما عليهم انهم لا يؤمنون به أبدا كالذى كشف الغيب فهذا كما قيل لنوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن أما ان هذا فى معينين وقوم نوح عموا بذلك فهذا معنى الترديد الذى فى السورة وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته انتهى * وقال الزمخشرى لا أعبد أريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى ولا أنا

عابد ما عبدتم أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته (فان قلت) فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم (قلت) لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل البعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت انتهى اما حصره في قوله لان لا لا تدخل وفي قوله ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك غالب فيهما لا متحتم وقد ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما على المضارع يراد به الاستقبال وذلك مذكور في المبسوطات من كتب النحو ولذلك لم يورد سيبويه ذلك بأداة الحصر انما قال وتكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل وقال واما ما فهي نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال الفعل فذكر الغالب فيهما وأما قوله في قوله ولا أنا عابد ما عبدتم أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم لان عابدا اسم فاعل قد عمل فيما عبدتم فلا يفسر بالماضي انما يفسر بالحال أو الاستقبال وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي وهشام من جواز اعماله ماضيا وأما قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته فعابدون قد أعمله فيما أعبد فلا يفسر بالماضي واما قوله وهو لم يكن الى آخره فسوء أدب منه على منصب النبوة وهو أيضا غير صحيح لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل موحدا لله عز وجل منزها له عن كل ما لا يليق بجلاله مجتنبا لأصنامهم بحج بيت الله ويقف بمشاعر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهذه عبادة لله تعالى وأي عبادة أعظم من توحيد الله تعالى ونبذ أصنامهم والمعرفة بالله تعالى من أعظم العبادات قال تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون * قال المفسرون معناه ليعرفون فسمى الله تعالى المعرفة به عبادة والذي أختاره في هذه الجمل انه أولا نفى عبادته في المستقبل لان لا الغالب انها تنفي المستقبل قيل ثم عطف عليه ولا أنتم عابدون ما أعبد نفيا للمستقبل على سبيل المقابلة ثم قال ولا أنا عابد ما عبدتم نفيا للحال لان اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال ثم عطف عليه ولا أنتم عابدون ما أعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى انه صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما يعبدون لا حالا ولا مستقبلا وهم كذلك إذ قد حتم الله موافاتهم على الكفر ولما قال لا أعبد ما تعبدون فاطلق ما على الأصنام قابل الكلام بما في قوله ما أعبد وان كانت يراد بها الله تعالى لان المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد وهذا على مذهب من يقول ان ما لا تقع على آحاد من يعلم أما من جوز ذلك وهو منسوب الى سيبويه فلا يحتاج الى استعذار بالتقابل * وقيل ما مصدرية في قوله ما أعبد * وقيل فيها جميعها * وقال الزمخشري المراد الصفة كأنه قيل لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق * لكم دينكم ولي دين أي لكم شرككم ولي توحيدي وهذا غاية في التبرؤ ولما كان الأهم انتفاءه عليه الصلاة والسلام من دينهم بدأ بالنفي في الجمل السابقة بالمنسوب اليه ولما تحقق النفي رجع الى خطابهم في قوله لكم دينكم على سبيل المهادنة وهي منسوخة بآية السيف * وقرأ سلام ديني بياء وصلا ووقفا وحذفها القراء السبعة والله تعالى أعلم

﴿سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله

(الدر)

مذهب الكسائي وهشام من جواز إعماله ماضيا وأما قوله ولا أنتم عابدون أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته فعابدون قد أعمله في ما أعبد فلا يفسر بالماضي وأما قوله وهو لم يكن الخ فسوء أدب على منصب النبوة وغير صحيح لانه عليه السلام لم يزل موحدا لله منزها له عن كل ما يليق بجلاله مجتنبا لأصنامهم يحج بيت الله ويقف بمشاعر ابراهيم عليه السلام وهذه عبادة وأي عبادة أعظم من توحيد الله ونبذ أصنامهم والمعرفة بالله أعظم العبادات قال تعالى وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون قال المفسرون معناه ليعرفون فسمى الله تعالى المعرفة به عبادة والذي أختاره في هذه الجمل أنه أولا نفى عبادته في المستقبل لأن لا الغالب أنها تنفي المستقبل ثم عطف عليه ولا أنتم عابدون ما أعبد نفيا للمستقبل على سبيل المقابلة ثم قال ولا أنا عابد ما عبدتم نفيا للحال لأن اسم الفاعل العامل الحقيقة فيه دلالته على الحال ثم عطف عليه ولا أنتم عابدون ما أعبد نفيا للحال على سبيل المقابلة فانتظم المعنى أنه عليه السلام لا يعبد ما يعبدون لا حالا ولا مستقبلا وهم كذلك اذ قد حتم الله موافاتهم على الكفر

أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ هذه مدنية نزلت منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر وعاش بعد نزولها سنتين * وقال ابن عمر نزلت في أوسط أيام التشريق بمنى في حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما أو نحوها صلى الله عليه وسلم ولما كان في قوله لكم دينكم موادعة جاء في هذه بما يدل على تخويفهم وتهديدهم وانه آن مجيء نصر الله وفتح مكة واضمحلال ملة الأصنام واظهار دين الله تعالى * قال الزمخشري اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة انتهى وكذا قال الحوفي ولا يصح اعمال فسبح في اذا لأجل الفاء لان الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط فلا تعمل فيه بل العامل في اذا الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصور في علم العربية وقد استدللنا على ذلك في شرح التسهيل وغيره وان كان المشهور غيره والنصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد ومتعلق النصر والفتح محذوف فالظاهر انه نصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على أعدائهم وفتح مكة وغيرها عليهم كالطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن * وقيل نصره صلى الله عليه وسلم على قريش وفتح مكة وكان فتحها لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومعه عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار * وقرأ الجمهور يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول في دين الله في ملة الاسلام الذي لا دين له يضاف غيرها * أفواجا أي جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا بعد واحد واثنين اثنين * قال الحسن لما فتح عليه الصلاة والسلام مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما الظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل * وقال أبو عمر بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده * قال ابن عطية والمراد والله أعلم العرب عبدة الأوثان وأما نصارى بني تغلب فما أراهم أسلموا قط في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن أعطوا الجزية * وقال مقاتل وعكرمة المراد بالناس أهل اليمن وفد منهم سبعمائة رجل * وقال الجمهور وفود العرب وكان دخولهم بين فتح مكة وموته صلى الله عليه وسلم * وأفواجا جمع فوج * قال الحوفي وقياس جمعه أفوج ولكن استثقلت الضمة على الواو فعدل الى أفواج كأنه يعني انه كان ينبغي أن يكون معتل العين كالصحيح فكما أن قياس فعل صحيحها أن يجمع على أفعل لا على أفعال فكذلك هذا والأمر في هذا المعتل بالعكس القياس فيه أفعال كحوض وأحواض وشذ فيه أفعل كثوب وأثوب وهو حال ويدخلون حال أو مفعول ثان ان كان أرأيت بمعنى علمت المتعدية لاثنين * وقال الزمخشري اما على الحال على ان أرأيت بمعنى أبصرت أو عرفت انتهى ولا نعلم رأيت جاءت بمعنى عرفت فتحتاج في ذلك الى استثبات فسبح بحمد ربك أي متلبسا بحمده على هذه النعم التي

مدنية نزلت منصرفه عليه السلام من غزوة حنين وعاش بعد نزولها سنتين وقيل نزلت في أيام التشريق بمنى من حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوما ولما كان في قوله لكم دينكم موادعة جاء في هذه بما يدل على تخويفهم وتهديدهم وان مجيء نصر الله وفتح مكة واضمحلال ملة الاصنام واظهار دين الله تعالى والفتح فتح البلاد ﴿ أفواجا ﴾ أي جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ أي ملتبسا بحمده على هذه النعم التي خولكها من نصرك على الاعداء وفتحك البلاد واسلام الناس وأي نعمة أعظم من هذه اذ كل حسنة يعملها المسلمون فهي في ميزانه وعن عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وقد علم صلى الله عليه وسلم من هذه السورة دنو أجله وحين قرأها عليه السلام استبشر الصحابة وبكى العباس فقال وما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين ﴿ انه كان توابا ﴾ فيه ترجئة عظيمة للمستغفرين

( الدر )

( ش ) اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعمال النبوة انتهى ( ح ) كذا قال الحوفي ولا يصح اعمال فسبح في اذا لأجل الفاء لأن الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط فلا تعمل فيه بل العامل في اذا الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصور في علم العربية وان كان المشهور غيره ( ش ) اما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت انتهى ( ح ) لا نعلم رأيت جاءت بمعنى عرفت فتحتاج في ذلك الى استثبات

﴿ سورة تبت ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله اتبع بذكر من لم يدخل في الدين وخسر ولم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الايمان والتب الخسران وأسند الهلاك الى اليدين لان العمل أكثر ما يكون بهما وهو في الحقيقة للنفس والظاهر ان تبت دعاء ﴿ وتب ﴾ اخبار بحصول ذلك روى أنه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين قال عليه السلام يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما ثم صعد الصفا فنادى بطون قريش يا بني فلان يا بني فلان وروى أنه صاح بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعوا اليه من كل وجه فقال لهم أرأيتم لو قلت لكم اني أنذركم خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فتفرقوا عنه ونزلت هذه السورة وأبو لهب اسمه عبد العزى ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أن ما في ما أغنى عنه ماله نفي أي لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه ﴿ وما كسب ﴾ هو بنفسه أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها ويجوز أن تكون ما استفهاما في موضع نصب أي أي شيء يغني عنه ماله على وجه التقرير والانكار والمعنى أين الغنى الذي لماله ولكسبه والظاهر أن ما في قوله وما كسب موصولة وأجيز أن تكون مصدرية واذا كانت ما في ما أغنى استفهاما فيجوز أن يكون ما في قوله وما كسب استفهاما أيضا ﴿ سيصلى ﴾ وعدله بانه يصلى النار في الآخرة ﴿ وامرأته ﴾ يجوز أن تكون مبتدأ وحمالة خبره ويجوز أن يكون معطوفا على الضمير المستكن في سيصلى وحسن ذلك الفصل بينهما وعلى هذا التأويل تكون حمالة خبر مبتدأ محذوف تقديره هي حمالة وقرئ عاصم حمالة نصبا على الذم فيتعين أن يكون وامرأته عطفا على الضمير المستكن في سيصلى وامرأته اسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت عوراء والظاهر أنها كانت تحمل الحطب الذي فيه الشوك لتؤذي بالقائه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتعقرهم فذمت بذلك وسميت حمالة الحطب وقيل حمالة الحطب كناية عن المشي بالنميمة والجيد العنق والظاهر أن الحبل من مسد والمسد الليف ولما سمعت أم جميل هذه السورة أتت أبا بكر وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر فقالت بلغني أن صاحبك هجاني ولأفعلن وأفعلن وأعمى الله بصرها عن رسوله عليه السلام فروى أن أبا بكر قال لها هل ترى معي أحدا فقالت أتهزأ بي لا أرى غيرك وان كان شاعرا فانا مثله أقول مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا فسكت أبو بكر ومضت هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرها بذكرانها ماتت مخنوقة بحبلها وأبو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال

خولكها من نصرك على الأعداء وفتحك البلاد واسلام الناس وأي نعمة أعظم من هذه إذ كل حسنة يعملها المسلمون فهي في ميزانه * وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك * قال الزمخشري والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته ولان الاستغفار من التواضع وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة انتهى وقد علم هو صلى الله عليه وسلم من هذه السورة دنو أجله وحين قرأها عليه الصلاة والسلام استبشر الصحابة وبكى العباس فقال وما يبكيك ياعم قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين * إنه كان توابا فيه ترجئة عظيمة للمستغفرين

## ﴿ سورة اللهب مكية وهي خمس آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد ﴾ * الحطب معروف ويقال فلان يحطب على فلان اذا وشى عليه * الجيد العنق * المسد الحبل من ليف * وقال أبو الفتح ليف المقل * وقال ابن زيد هو شجر باليمن يسمى المسد انتهى وقد يكون من جلود الابل ومن أوبارها * قال الراجز

* ومسد أمر من أيانق *

ورجل ممسود الخلق أي مجدوله شديده ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل

من مسد﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله تعالى أتبع بذكر من لم يدخل في الدين وخسر ولم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الإيمان وتقدم الكلام على التباب في سورة غافر وهنا قال ابن عباس خابت وقتادة خسرت وابن جبير هلكت وعطاء ضلت ويمان ابن رئاب صفرت من كل خير وهذه الأقوال متقاربة في المعنى وقالوا في حكي شابة أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجيز وإسناد الهلاك إلى اليدين لأن العمل أكثر ما يكون بهما وهو في الحقيقة للنفس كقوله ذلك بما قدمت يداك * وقيل أخذ بيده حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسند التب إليهما والظاهر أن التب دعاء وتب إخبار بحصول ذلك كما قال الشاعر

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة عبد الله وقد تب * وروي أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين قال يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد لا أغني لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم ثم صعد الصفا فنادى بطون قريش يا بني فلان يا بني فلان * وروي أنه صاح بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعوا إليه من كل وجه فقال لهم أرأيتم لو قلت لكم إني أنذركم خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فافترقوا عنه ونزلت هذه السورة وأبو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقرأ ابن محيصن وابن كثير أبي لهب بسكون الهاء وفتحها باقي السبعة ولم يختلفوا في ذات لهب لأنها فاصلة والسكون يزيلها على حسن الفاصلة * قال الزمخشري وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس مالك بالضم انتهى يعني سكون الهاء في لهب وضم الشين في شمس ويعني في قول الشاعر

وإني لمهد من ثنائي فقاصد * به لابن عمي الصدق شمس بن مالك

فأما في لهب فالمشهور في كنيته فتح الهاء وأما شمس بن مالك فلا يتعين أن يكون من تغيير الأعلام بل يمكن أن يكون سمي بشمس المنقول من شمس جمع كما جاء أذناب خيل شمس * قيل وكني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه ولم يذكر تعالى باسمه لأن اسمه عبد العزى فعدل عنه إلى الكنية أو لأن الكنية كانت أغلب عليه من الاسم أو لأن مآله إلى النار فوافقت حالته كنيته كما يقال للشرير أبو الشر وللخير أبو الخير أو لأن الاسم أشرف من الكنية فعدل إلى الأنقص ولذلك ذكر الله تعالى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم ولم يكن أحدا منهم والظاهر أن ما في ما أغنى عنه ماله نفي أي لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه وما كسب هو بنفسه أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها أو ما كسب من أرباح ماله الذي يتجر به ويجوز أن تكون ما استفهاما في موضع نصب أي أي شيء يغني عنه ماله على وجه التقرير والإنكار والمعنى أين الغنى الذي لماله ولكسبه والظاهر أن ما في قوله وما كسب موصولة وأجيز أن تكون مصدرية وإذا كانت ما في ما أغنى استفهاما فيجوز أن تكون ما في وما كسب استفهاما أيضا أي وأي شيء كسب أي لم يكسب شيئا وعن ابن عباس وما كسب ولده وفي الحديث ولد الرجل من كسبه وعن الضحاك وما كسب هو عمله الخبيث في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن قتادة وعمله الذي ظن أنه منه على شيء * وروي عنه أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقا فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي * وقرأ عبد الله وما اكتسب ببناء الافتعال * وقرأ أبو حيوة وابن مقسم وعباس في اختياره وهو أيضا سيصلى بضم الياء وفتح الصاد وشد اللام ومن يشه وعنه أيضا ومريئته على التصغير فيهما بالهمز وبإبدالها ياء وإدغام ياء التصغير

( الدر )

( ش ) وهو من تغيير الأعلام كقولهم شمس ابن مالك بالضم انتهى

( ح ) يعني سكون الهاء في لهب وضم الشين في شمس ويعني في قول الشاعر

وإني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عمي الصدق شمس ابن مالك *

فأما في لهب فالمشهور في كنيته فتح الهاء وأما شمس ابن مالك فلا يتعين أن يكون من تغيير الأعلام بل يمكن أن يكون سمي شمس المنقول من شمس الجمع كما جاء أذناب خيل شمس

فيها * وقرأ أيضا حمالة للحطب بالتنوين في حمالة وبلام الجر في الحطب * وقرأ الحسن وابن أبي
اسحق سيصلى بضم الياء وسكون الصاد وأبو قلابة حاملة الحطب على وزن فاعلة مضافا واختلس
حركة الهاء في وامرأته أبو عمرو في رواية والحسن وزيد بن علي والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة
وابن محيصن وعاصم حمالة بالنصب * وقرأ الجمهور سيصلى بفتح الياء وسكون الصاد وامرأته على
التكبير حمالة على وزن فعالة للمبالغة مضافا الى الحطب مرفوعا والسين للاستقبال وان تراخى
الزمان وهو وعيد كائن انجازه لامحالة وارتفع وامرأته عطفا على الضمير المستكن في سيصلى
وحسنه وجود الفصل بالمفعول وصفته وحمالة في قراءة الجمهور خبر مبتدأ محذوف أو صفة لامرأته
لانه مثال ماض فيعرف بالاضافة وفعال أحد الأمثلة الستة وحكمها كاسم الفاعل وفي قراءة النصب
انتصب على الذم وأجازوا في قراءة الرفع أن يكون وامرأته مبتدأ وحمالة واسمها أم جميل بنت حرب
أخت أبي سفيان وكانت عوراء والظاهر أنها كانت تحمل الحطب أي مافيه شوك لتؤذي بالقائه
في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتعقرهم فذمت بذلك وسميت حمالة الحطب قاله ابن
عباس فحمالة معرفة فان كان صار لقبا لها جاز فيه حالة الرفع أن يكون عطف بيان وأن يكون بدلا
* قيل وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل في طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء
بها يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر * قال الشاعر

من البيض لم يصطد على ظهر لامة * ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر * وقال الراجز

ان بني الادرم حمالو الحطب * هم الوشاة في الرضا وفي الغضب

* وقال ابن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم يحطب على ظهره * قال تعالى وهم يحملون أوزارهم
على ظهورهم * وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس أي يحمل الجناة على الجنايات والظاهر
أن الحبل من مسد * وقال عروة بن الزبير ومجاهد وسفيان استعارة والمراد سلسلة من حديد في
جهنم * وقال قتادة قلادة من ودع * وقال ابن المسيب قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات
والعزى لأنفقنها على عداوة محمد * قال ابن عطية وانما عبر عن قلادتها بحبل من مسد على جهة
التفاؤل لها وذكر تبرجها في هذا السعي الخبيث انتهى * وقال الحسن انما كانت خرزا * وقال
الزمخشري والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل الحزمة من الشوك وتربطها في
جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض
من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس
الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب * فقال

ماذا أردت الى شتمي ومنقصتي * أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء شادخة في المجد سامية * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى ان حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل
حزمة الشوك فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجر الزقوم أو الضريع وفي جيدها
حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه انتهى ولما سمعت أم جميل
هذه السورة أتت أبا بكر وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وبيدها فهر فقالت

﴿سورة الاخلاص﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قل هو الله أحد﴾ الآية هذه السورة مكية ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس اليه وهو عمه أبو لهب وما كان يقاسي من عباد الاصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الاوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد وعن ابن عباس أن اليهود قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزل قل هو الله أحد ﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج * قال الشاعر ألا بكر الناعي بخير بني أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد * قال الزمخشري لم يلد لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴿ولم يولد﴾ لان كل مولود محدث وجسم والله تعالى قديم لا أول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه أحد أي لم يماثله ولم (٥٢٧) يشاكله ويجوز أن تكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة انتهى ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ يقال كفو بضم الكاف وفتحها وكسرها مع سكون الفاء وقال الزمخشري * فان قلت الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في أفصح الكلام وأعربه * قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وتعالى وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه انتهى وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك أن قوله ولم يكن له كفوا أحد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح أن يكون خبر الكان بل هو متعلق بكفوا وقدم عليه فالتقدير ولم يكن أحد كفوا له أي مكافئه فهو في معنى المفعول متعلق بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان الأصل التأخير لأن تأخير الاسم هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي وغيره أن له الخبر وكفوا حال من أحد لانه ظرف ناقص لا يصلح أن يكون خبرا وبذلك يبطل سؤال الزمخشري وجوابه وسيبويه انما تكلم في الظرف الذي يصلح أن يكون خبرا ويصلح أن يكون غير خبر قال سيبويه وتقول ما كان فيها أحد خير منك وما كان أحد مثلك فيها وليس أحد فيها خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم أجريت الصفة على الاسم فان جعلته على فيها زيد قائم نصبت فتقول ما كان فيها أحد خيرا منك وما كان أحد خيرا منك فيها الا أنك اذا أردت الالغاء فكلما أخرت الملغى كان أحسن واذا أردت أن يكون مستقرا فكلما قدمته كان أحسن والتقديم والتأخير والالغاء والاستقرار عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا أحد

---

بلغني ان صاحبك هجاني ولأفعلن وأفعلن وأعمى الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروي ان أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال لها هل ترين معي أحدا فقالت أتهزأ بي لا أرى غيرك وان كان شاعرا فأنا مثله أقول * مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا * فسكت أبو بكر ومضت هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجبتني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرها وذكر انها كانت مخنوقة بحبلها وأبو لهب رماه الله تعالى بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال

﴿سورة الاخلاص مكية وهي أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾ الصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج ويستقل بها قال

الا بكر الناعي بخير بني أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

﴿وقال آخر﴾

علوته بحسام ثم قلت له * خذها حزيت فأنت السيد الصمد

الكفو النظير ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾ هذه السورة مكية في قول عبد الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد وقتادة مدنية في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبي العالية والضحاك ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عمه أبو لهب وما كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية وبالتثليث وبغير ذلك من

المذاهب المخالفة للتوحيد وعن ابن عباس ان اليهود قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت وعن أبي العالية قال قادة الاحزاب انسب لنا ربك فنزلت فان صح هذا السبب كان هو ضميرا عائدا على الرب أي قل هو الله أي ربي الله ويكون مبتدا وخبرا وأحد خبر ثان * وقال الزمخشري وأحد بدل من قوله الله أو على هو أحد انتهى وان لم يصح السبب فهو ضمير الأمر والشان مبتدا والجملة بعده مبتدا وخبر في موضع خبر هو وأحد بمعنى واحد أي فرد من جميع جهات الوحدانية أي في ذاته وصفاته لا يتجزأ وهمزة أحد هذا بدل من واو وابدال الهمزة مفتوحة من الواو قليل من ذلك امرأة إناة يريدون وناة لانه من الونى وهو الفتور كما أن أحدا من الوحدة * وقال ثعلب بين واحد وأحد فرق الواحد يدخله العدد والجمع والاثنان والأحد لا يدخله يقال الله أحد ولا يقال زيد أحد لان الله خصوصية له الأحد وزيد تكون منه حالات انتهى وما ذكر من ان أحد الا يدخله ما ذكر منقوض بالعدد * وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن أبي اسحق وأبو السمال وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والاصمعي واللؤلؤي وعبيد وهرون عنه أحد الله بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف وهو موجود في كلام العرب وأكثر ما يوجد في الشعر نحو قوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * ونحو قوله * عمرو الذي هشم الثريد لقومه * الله الصمد مبتدا وخبر والأفصح أن تكون هذه جملا مستقلة بالاخبار على سبيل الاستئناف كما تقول زيد العالم زيد الشجاع * وقيل الصمد صفة والخبر في الجملة بعده وتقدم شرح الصمد في المفردات * وقال الشعبي ويمان بن رياب هو الذي لا يأكل ولا يشرب * وقال أبي بن كعب يفسره ما بعده وهو قوله لم يلد ولم يولد * وقال الحسن الصمد المصمت الذي لا جوف له * ومنه قوله

شهاب حروب لا تزال جياده * عوابس يعلكن الشكيم المصمدا

وفي كتاب التحرير أقوال غير هذه لا تساعد عليها اللغة * وقال ابن الانباري لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد هو السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد اليه الناس في أمورهم وحوائجهم * قال الزمخشري لم يلد لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا ودل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة * ولم يولد لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه أحد * قال له كفو بضم الكاف وكسرها وفتحها مع سكون الفاء وبضم الكاف مع ضم الفاء * وقرأ حمزة وحفص بضم الكاف واسكان الفاء وهمز حمزة وأبدلها حفص واوا وباقي السبعة بضمها والهمز وسهل الهمزة الأعرج وأبو جعفر وشيبة ونافع وفي رواية عن نافع أيضا كفا من غير همز نقل حركة الهمزة الى الفاء وحذف الهمزة * وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس كفاء بكسر الكاف وفتح الفاء والمد كما قال النابغة

* لا تقذفني بركن لا كفاء له * الا علم لا كفاء له لا مثل له * وقال مكي سيبويه يختار أن يكون الظرف خبرا اذا قدمه وقد خطأه المبرد بهذه الآية لانه قدم الظرف ولم يجعله خبرا والجواب ان سيبويه لم يمنع الغاء الظرف اذا تقدم انما أجاز أن يكون خبرا وأن لا يكون خبرا ويجوز أن يكون حالا من النكرة وهي أحد لما تقدم نعتها عليها نصب على الحال فيكون له الخبر على مذهب سيبويه واختياره ولا يكون للمبرد حجة على هذا القول انتهى وخرجه ابن عطية أيضا على الحال * وقال الزمخشري (فان قلت) الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في أفصح الكلام وأعربه ( قلت ) هذا



( ش ) فان قلت الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في أفصح الكلام وأعربه * قلت هذا كلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه انتهى (ح) هذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك أن قوله ولم يكن له كفوا أحد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح أن يكون خبرا لكان بل هو متعلق بكفوا وقدم عليه فالتقدير ولم يكن أحد كفوا له أي مكافئه فهو في معنى المفعول متعلق بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان الأصل التأخر لأن تأخر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي وغيره أن له الخبر وكفوا حال من أحد لأنه ظرف ناقص لا يصلح أن يكون خبرا

الكلام انما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وتعالى وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شئ وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه انتهى وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك ان قوله ولم يكن له كفوا أحد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح أن يكون خبرا لكان بل هو متعلق بكفوا وقدم عليه فالتقدير ولم يكن أحد كفوا له أي مكافئه فهو في معنى المفعول متعلق بكفوا وتقدم على كفوا للاهتمام به اذ فيه ضمير الباري تعالى وتوسط الخبر وان كان الأصل التأخر لان تأخر الاسم هو فاصلة فحسن ذلك وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي وغيره ان له الخبر وكفوا حال من أحد لانه ظرف ناقص لا يصلح أن يكون خبرا وبذلك يبطل سؤال الزمخشري وجوابه وسيبويه انما تكلم في هذا الظرف الذي يصلح أن يكون خبرا ويصلح أن يكون غير خبر * قال سيبويه وتقول ما كان فيها أحد خير منك وما كان أحد مثلك فيها وليس أحد فيها خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم أجريت الصفة على الاسم فان جعلته على فيها زيد قائم نصبت فتقول ما كان فيها أحد خيرا منك وما كان أحد خيرا منك فيها الا انك اذا أردت الالغاء فكلما أخرت الملغى كان أحسن واذا أردت أن يكون مستقرا فكلما قدمته كان أحسن والتقديم والتأخير والالغاء والاستقرار عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا أحد * وقال الشاعر * مادام فيهن فصيل حيا * انتهى وما نقلناه ملخصا وهو بألفاظ سيبويه فأنت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي يصلح أن يكون خبرا ومعنى قوله مستقرا أي خبرا للمبتدا ولكان (فان قلت) فقد مثل بالآية الكريمة (قلت) هذا الذي أوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما أراد سيبويه ان الظرف التام وهو في قوله * مادام فيهن فصيل حيا * أجرى فضلة لا خبرا كما أن له في الآية أجرى فضلة فجعل الظرف القابل أن يكون خبرا كالظرف الناقص في كونه لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من قوله ولم يكن له أحد بل لو تأخر كفوا وارتفع على الصفة وجعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل أنت ترى ان النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي هو كفوا وله متعلق به والمعنى ولم يكن له أحد مكافئه وقد جاء في فضل هذه السورة أحاديث كثيرة ومنها انها تعدل ثلث القرآن وقد تكلم العلماء على ذلك وليس هذا موضعه والله الموفق

## ﴿ سورة الفلق مكية وهي خمس آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق اذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ الفلق فعل بمعنى مفعول وتأتي أقوال أهل التفسير فيه ان شاء الله تعالى * وقب الليل أظلم والشمس غابت والعذاب حل * قال الشاعر

وقب العذاب عليهم فكأنهم * لحقتهم نار السموم فأخمدوا

( الدر ) وبذلك يبطل سؤال الزمخشري وجوابه وسيبويه انما تكلم في الظرف الذي يصلح أن يكون خبرا ويصلح أن يكون غير خبر وقال سيبويه وتقول ما كان فيها أحد خير منك وما كان  أحد مثلك فيها وليس أحد فيها خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم أجريت الصفة على الاسم فان جعلته على فيها زيد قائم نصبت تقول ما كان فيها أحد خيرا منك وما كان أحد خيرا منك فيها الا انك اذا أردت الالغاء فكلما أخرت الملغى كان أحسن واذا أردت أن يكون مستقرا فكلما قدمته كان أحسن والتقديم والتأخير والالغاء والاستقرار عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا أحد وقال مادام فيهن فصيل حيا انتهى ما نقلناه ملخصا وهو بألفاظ سيبويه فأنت ترى كلامه وتمثيله بالظرف الذي يصلح أن يكون خبرا ومعنى قوله مستقرا أي خبرا للمبتدأ أو لكان فان قلت فقد مثل بالآية الكريمة قلت هذا الذي أوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما أراد سيبويه أن الظرف التام وهو في قوله مادام فيهن فصيل حيا أجرى فضلة لا خبرا كما أن له في الآية  أجرى فضلة فجعل الظرف القابل أن يكون خبرا كالظرف الناقص في قوله كونه لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح أنه لا ينعقد كلام من ولم يكن له أحد بل لو تأخر كفوا وارتفع على الصفة وجعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل أنت ترى أن النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي هو كفوا وله متعلق به والمعنى ولم يكن له أحد مكافئه

النفث شبه النفخ دون تفل بريق قاله ابن عطية * وقيل نفخ بريق معه قاله الزمخشري * وقال صاحب اللوامح شبه النفخ من الفم في الرقية ولا ريق معه فاذا كان بريق فهو التفل * قال الشاعر

فان أبرأ فلم أنفث عليه * وان يفقد فحق له الفقود

﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق اذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ هذه السورة مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ورواية كريب عن ابن عباس مدنية في قول ابن عباس في رواية صالح وقتادة وجماعة * قيل وهو الصحيح وسبب نزول المعوذتين قصة سحر لبيد بن الأعصم اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جف والجف قشر الطلع فيه مشاطة رأسه عليه الصلاة والسلام وأسنان مشطه ووتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروز بالابر فأنزلت عليه المعوذتان فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة فقام فكأنما انشط من عقال ولما شرح أمر الالهية في السورة قبلها شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته والفلق الصبح قاله ابن عباس و جابر بن عبد الله ومجاهد وقتادة وابن جبير والقرطبي وابن زيد وفي المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح * وقال الشاعر

يا ليلة لم أنمها بت مرتقبا * أرعى النجوم الى أن قدر الفلق

* وقال الشاعر يصف الثور الوحشي

حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق * هاديه في أخريات الليل منتصب

* وقيل الفلق كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض والنبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك * وقال ابن عباس أيضا وجماعة من الصحابة والتابعين الفلق جب في جهنم ورواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لما اطمأن من الأرض الفلق وجمعه فلقان * وقيل واد في جهنم * وقال بعض الصحابة بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره * وقرأ الجمهور من شر ما خلق باضافة شر الى ما وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالاحراق بالنار والاغراق بالبحر والقتل بالسم * وقرأ عمرو بن فايد من شر بالتنوين * وقال ابن عطية وقرأ عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بان الله تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شئ ولهذه القراءة وجه غير النفي فلا ينبغي أن نردوهو أن يكون ما خلق بدلا من شر على تقدير محذوف أي من شر شر ما خلق فحذف لدلالة شر الأول عليه أطلق أولا ثم عم ثانيا والغاسق الليل ووقب أظلم ودخل على الناس قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وزمكه الزمخشري على عادته فقال والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما ووقوبه دخول ظلامه في كل شئ انتهى * وقال الزجاج هو الليل لانه أبرد من النهار والغاسق البارد استعيذ من شره لانه فيه تنبث الشياطين والهوام والحشرات وأهل الفتك * قال الشاعر

﴿ سورة الفلق ﴾ ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ هذه السورة مكية وسبب نزول المعوذتين قصة لبيد وما حكى عنه ولما شرح أمر الالهية في  السورة قبلها شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته * والفلق الصبح قاله ابن عباس ﴿ من شر ما خلق ﴾ عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشئ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالاحراق بالنار والاغراق بالبحر والقتل بالسم * والغاسق الليل ووقب أظلم ودخل على الناس قاله ابن عباس والنفاثات النساء السواحر يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والاستعاذة من شرهن هو ما يصيب الله به من الشر عند فعلهن ذلك وقيد الغاسق والحاسد بالظرف لأنه اذا لم يدخل الليل لا يكون شر منسوب اليه والحاسد لا يؤثر حسده الا اذا أظهره بان يحتال للمحسود فيما يؤذيه أما اذا لم يظهر الحسد فلا يتأذى به الا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره

( الدر )

﴿ سورة الفلق ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( ع ) وقرأ عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بان الله تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شئ انتهى ( ح ) لهذه القراءة وجه غير النفي فلا ينبغي أن نردوهو أن يكون ماخلق الله بدلا من شر على تقدير محذوف أي من شر شر ما خلق فحذف شر لدلالة شر الاول عليه أطلق أولا ثم عم ثانيا

يا طيف هند لقد أبقيت لي أرقا * إذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا

* وقال محمد بن كعب النهار دخل في الليل * وقال ابن شهاب المراد بالغاسق الشمس اذا غربت * وقال القتبي وغيره هو القمر اذا دخل في ساهوره فخسف وفي الحديث نظر صلى الله عليه وسلم الى القمر فقال يا عائشة نعوذ بالله من هذا فانه الغاسق اذا وقب وعنه صلى الله عليه وسلم الغاسق النجم * وقال ابن زيد عن العرب الغاسق الثريا اذا سقطت وكانت الأسقام والطاعون تهيج عند ذلك * وقيل الحية اذا لدغت والغاسق سم نابها لانه يسيل منه والنفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين * وقرأ الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وابن عمر والحسن أيضا وعبد الله بن القاسم ويعقوب في رواية النافثات والحسن أيضا وأبو الربيع النفثات بغير ألف نحو الحذرات والاستعاذة من شرهن هو ما يصيب الله تعالى به من الشر عند فعلهن ذلك * وسبب نزول هاتين المعوذتين ينفي ما تأوله الزمخشري من قوله ويجوز أن يراد به النساء ذات الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك انتهى * وقال ابن عطية وهذا النفث هو على عقد تعقد في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيؤذى بذلك وهذا الشأن في زماننا موجود شائع في صحراء المغرب وحدثني ثقة انه رأى عند بعضهم خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت من رضاع أمهاتها بذلك فكان اذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل الى أمه في الحين فرضع انتهى * وقيل الغاسق والحاسد بالطرف لانه اذا لم يدخل الليل لا يكون منسوبا اليه وكذا كل ما فسر به الغاسق وكذلك الحاسد لا يؤثر حسده اذا أظهره بأن يحتال للحسود فيما يؤذيه أما اذا لم يظهر الحسد فانما يتأذى به هو لا المحسود لاغتمامه بنعمة غيره * قال الزمخشري ويجوز أن يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهار أثره انتهى * وعم أولا فقال من شر ما خلق ثم خص هذه لخفاء شرها إذ يجيء من حيث لا يعلم وقالوا شر العداة المراجي بكيدك من حيث لا تشعر ونكر غاسق وحاسد وعرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة وكل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه لا حسد إلا في اثنتين * ومنه قول أبي تمام

* وما حاسد في المكرمات بحاسد * وقال آخر * ان العلا حسن في مثلها الحسد * وقول المنظور اليه للحاسد اذا نظر الخمس على عينيك يعني به هذه السورة لانها خمس آيات وعين الحاسد في الغالب واقعة نعوذ بالله من شرها

## ﴿ سورة الناس مدنية وهي ست آيات ﴾

## ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس * الذي يوسوس في صدور الناس * من الجنة والناس ﴾ تقدم انها نزلت مع ما قبلها والخلاف أهي مدنية أم مكية وأضيف الرب الى الناس لان الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم استعاذوا بربهم مالكهم وإلههم كما يستعيذ العبد بمولاه اذا دهمه أمر والظاهر أن ملك الناس إله الناس صفتان * وقال الزمخشري هما عطفا بيان كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا

---

﴿ سورة الناس ﴾

( بسم الله الرحمن الرحيم )

﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ الآية تقدم أنها نزلت مع ما قبلها وأضيف الرب الى الناس لان الاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم استعاذوا بربهم مالكهم وإلههم كما يستعيذ العبد بمولاه اذا دهمه أمر والظاهر ان ملك الناس إله الناس صفتان والخناس الراجع على عقبه المستتر أحيانا وذلك من الشيطان متمكن اذا ذكر العبد الله تأخر ومن في من الجنة والناس للتبعيض أي كائنا من الجنة والناس فهي في موضع الحال أي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس وكان عليه السلام اذا أوى الى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وبارك وترحم

( النهر )

﴿ سورة الناس ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ح) الظاهر ان ملك الناس اله الناس صفتان

(ش) هما عطفا بيان

بإله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان انتهى وعطف البيان المشهور أنه يكون بالجوامد وظاهر قوله انهما عطفا بيان لواحد ولا أنقل عن النحاة شيأ في عطف البيان هل يجوز أن يتكرر لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز * وقال الزمخشري (فان قلت) فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة (قلت) لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار انتهى والوسواس قالوا اسم من أسماء الشيطان والوسواس أيضا ما يوسوس به شهوات النفس وهو الهوى المنهي عنه والخناس الراجع على عقبه المستتر أحيانا وذلك في الشيطان متمكن اذا ذكر العبد الله تعالى تأخر وأما الشهوات فتخنس بالايمان و بلمة الملك و بالحياء فهذان المعنيان يندرجان في الوسواس و يكون معنى من الجنة والناس من الشياطين ونفوس الناس أو يكون الوسواس أريد به الشيطان والمغرى المزين من قرناء السوء فيكون من الجنة والناس تبيينا لذلك الوسواس * قال تعالى عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال قتادة ان من الانس شياطين ومن الجن شياطين فنعوذ بالله منهم * وقال أبو ذر لرجل هل تعوذت من شياطين الانس * وقال الزمخشري الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس وقد تكلمنا معه في دعواه أن الزلزال بالفتح اسم و بالكسر مصدر في اذا زلزلت و يجوز في الذي الجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ومن في من الجنة والناس للتبعيض أي كائنا من الجنة والناس فهي في موضع الحال أي ذلك الموسوس هو بعض الجنة و بعض الناس * وقال الزمخشري و يجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة الناس انتهى ولما كانت مضرة الدين وهي آفة الوسوسة أعظم من مضرة الدنيا وان عظمت جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث الرب والملك والاله وان اتحد المطلوب وفي الاستعاذة من ثلاث الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة وهي الرب وان تكثر الذي يستعاذ منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه جمع كفيه ونفث فيهما وقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا * صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وكرم * وعلى آله وصحبه ذوي الكرم وسلم تسليما كثيرا

( الدر )

كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية البيان (ح) عطف البيان المشهور أنه يكون بالجوامد وظاهر قوله انهما عطفا بيان لواحد ولا أنقل عن النحاة شيئا في عطف البيان هل يجوز أن يتكرر لمعطوف عليه واحد أم لا يجوز والله أعلم بالصواب

﴿ يقول راجى عفو ربه المجيب * مصححه محمد اسماعيل الذيب ﴾

حمدا لمن أنشأ لمن اصطفاه سحائب ينابيع الحكم * وأمطرهم ( أنهر ) سوابغ النعم * وأمدهم ( ببحر ) فيض فضله ( المحيط ) الزاخر * المتلاطمة أمواجه بأسرار المعجزات البواهر * مملوءة سفنه ببواهر الحجج الزواهي الزواهر * وصلاة وسلاما على خير مبعوث بخير كتاب لخير أمة * وآله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم ونفيسهم أن لهم الجنة ﴿ وبعد ﴾ فكم من مكنونات فى أصدافها مودعة خبايا الخفايا * حتى كادت أن يخبر عنها بكان لولا عناية رب البرايا * فقيض الله سبحانه وله المنة والطول * ولا حمد إلا له ولا حول * مليك السيف والقلم * ومعدن الأسرار والحكم * وارث مجد آبائه الفخام * حامى حوزة بيضة الاسلام * المتحلى بأوصاف جده عليه الصلاة والسلام * السلطان الأعظم * والملك الأجل الأكرم * مولاى عبد الحفيظ * ابن مولاى السلطان حسن * خلد الله ملكه ما توالى الزمن * فأصدر أمره السنى العالى * بابراز هذه اللآلى * ألا وهما التفسيران الجليلان * اللذان ما سمح وما يسمح بمثلهما الزمان * أحدهما البحر المحيط * وثانيهما النهر الماد من البحر المحيط * نسيجا مليك الحفاظ والوعاه * ووحيد اللغويين والنحاه * تاج الأقران * الشهير بأبى حيان * وناهيك بكتاب قال فيه الشريف العلامة محب كل عالم وعابد * مولانا عبد الواحد * ابن السلطان الأعظم المجاهد فى سبيل الله * سيدى محمد بن عبد الله * أحد أجداد مولاى السلطان عبد الحفيظ نصره الله * وهاك ما قال

أتاك البحر يلفظ بالغوالى * ويرمى بالزبرجد واللآلى

﴿ وقال بعض الفضلاء منهم أيضا ﴾

يقول لسابحيه وغائصيه * هلموا فالنفائس فى خلالى

فهو والحق يقال كتاب غاص مؤلفه فى بحار حكم كلام الله عز وجل ولم يظهر حتى أظهرها جلية للناظرين * ولم يترك شاردة ولا واردة حتى دنت قطوفها للجانين * وقد رتبه ترتيبا عجيبا * وسلك فيه مسلكا غريبا * بدأ فى أول الآيات بتوضيح مفرداتها اللغويه * وثنى الكلام على تفسير المركبات التنزيليه * ذاكرا سبب ماله سبب ونسخ ما هو منسوخ واحكام ما هو محكم ومناسبات الآى والسور لما قبلها * ومبينا أوجه القرا آت الشاذة وغيرها * مشمولا هذا الطبع الميمون * بنظر الأمين الأجل الحاج محمد بن العباس بن شقرون * بتوكيل نجله الحاج عبد السلام * وفقه الله للقيام بهذا العمل المبرور خير قيام * وكان هذا الطبع الزهى الزاهر الميمون * وتمثيل هذا الشكل الرائق المصون * بمطبعة السعادة الكائن محل ادارتها جوار محافظة مصر درب سعادة * ادارة مديرها الهمام الأمثل المثيل * حضرة محمد أفندى اسماعيل * ووافق التمام أوائل سنة ١٣٢٩ من هجرة خير الأنام * عليه أفضل الصلاة والسلام * ما توالت الليالى بعدها الأيام